الدكتور احمد عيسى الأحمد

داود وسليمان

في العهد القديم والقرآن الكريم

دراسة لغوية تاريخية مقارنة

الدكتور أحمد عيسى الاحمد

داود وسليمان

في العهد القديم والقرآن الكريم

دراسة لغوية تاريخية مقارنة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

هذا الكتاب هو في الاصل
رسالة دكتوراه نوقشت في كلية
دار العلوم بجامعة القاهرة
وحصلت على مرتبة الشرف الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين

موضوع هذه الرسالة (داود وسليمان في العهد القديم وفي القرآن الكريم) من الموضوعات التى فرضتها طبيعة المرحلة الراهنة، والأمة العربية المسلمة بحاجة إلى ان تراجع ثقافتها في مجال علاقاتها، ومشكلاتها الاتصالية مع العبرانيين بخاصة، ومع الشعوب غير المسلمة بعامة، من حيث كان الصراع الحضاري الذى نعيشه نابعا من رواسب تاريخية مؤثرة، تقوم على بعض الدعاوى العنصرية الملفقة.

لقد كانت مرحلة (داود وسليمان) فترة الازدهار في التاريخ اليهودي القديم وعلى أساسها بنى الاسرائيليون أحلامهم، ونسجوا أوهامهم حول فلسطين، كما تنسج العنكبوت بيتها على فريستها، «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون».

غير أن التاريخ المدوّن لمملكة داود وسليمان قد ناله الكثير من التحريف والتزييف على أيدي هؤلاء العابثين، فلم يكن كلا النبيين الا داعياً الى الخير، وهاديا إلى التوحيد، وأسوة لقومه فيما يدعوهم إليه من مكارم الأخلاق، ولكن هؤلاء الكذبة عكفوا على التاريخ يزورونه، وعلى النصوص يحرفونها، بالادعاءات الكاذبة، ويضيفون إليها من إفراز خيالاتهم المريضة، فوسعوا المملكة على الورق حتى دخلوا بها إلى أراضي الشعوب المجاورة، تعبيرا عن رغباتهم المكبوتة، فما لم يدركوه على أرض الواقع، رسموه على أرض الأكاذيب، ونسبوا إلى داود وسليمان كل نقيصة، وألصقوا بهما جرائم الزنا والتآمر والخيانة وعبادة الأوثان، سعيا إلى تقرير مشروعيتها في إطار العقيدة الفاسدة التي دانوا بها. وهي تخول لهم أن يرتكبوا المنكرات باسم الدين، فكل أرض، وكل مال أو عرض أو نفس حِمًى مستباحٌ لهم مادام مملوكا لمن دونهم من الشعوب، في إطار ما زيفته الكتب، واخترعه الكهنة من تعاليم في عهدهم القديم، وهو ما سجله القرآن عليهم في قوله تعالى: «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما، ذلك بأنهم قالوا: ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون».

والواقع أن الفترة التى عاشها داود وسليمان، بما حققا من انتصارات، وما تحقق لهما من ملك عريض - هي التي تركت بصماتها على النفس اليهودية، فجعلتها تدور دائما في فلك أحلامها، وتتخذ منها

مادة للأساطير ، وتبنى حصونا وممالك من الأوهام ، وهي في سبيل ذلك ترتكب كل جريمة ، وتستحل كل منكر ، بدءاً بتحريف كلام الله ، وانتهاء باستحلال ما حرمه الله من الأنفس ، حتى صار ذلك السلوك الشائن دستوراً للحياة اليهودية في كل العصور ، سواء أكانت هذه الحياة في المنتبذ المغلق (الجيتو) ، أم كانت في المجتمعات المفتوحة ، التي اتسعت لطوائفهم ، ومنحتهم حقوق المواطنة والعيش الكريم ، في بلاد الإسلام ، أو في أوربا وأمريكا والاتحاد السوفيتي ، سواء بسواء .

ولذلك نرى أن كراهية الشعوب ، كل الشعوب ، لليهود لا تأتي من فراغ ، ولا تخلو من أساس ومنطق ، وما كان لدويلة إسرائيل أن تقوم في عصرنا الّا باستغلال هذه الكراهية في تحريض الجماعات اليهودية على الانتقاض على مجتمعاتها ، والتجمع في فلسطين لإنشاء تلك الدويلة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تحمست شعوب أوربا للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، لا حبا فيهم ، بل حرصا على التخلص منهم ، ودفعهم خارج المجتمعات التي تحتقرهم وتحقد على وجودهم ، وترى فيهم مثال الغطرسة والشر والفساد في الأرض ، وكيف لا تكرههم شعوب الأرض ، وهم دائما وراء كل داهية تصيب الأمم ، هم ملوك الربا ، وملاك المواخير ، وبناة الدعارة ، ومؤسسو عصابات المافيا ، وتجار المخدرات ، وهم وراء كل تضليل إعلامي ، أو إفساد اقتصادي ، أو دمار أخلاقي ، لأنهم يملكون غالبا اقتصاديات الدول ، ويتحكمون في مقوماتها ، ويدعمون النظم الدكتاتورية ، كيما تساند مخططاتهم الجهنمية .

إن صراع النفس اليهودية بين نوازع الغطرسة في تكوينها ، وعوامل الاحتقار من حولها ، هو في الحقيقة مأساتها عبر العصور ، وهذا الصراع هو الذي يجرى تمثيل أحد فصوله الآن على مسرح فلسطين ، ولن يكون آخر فصول الهول الذي ارتبط بهذه النفس الشريرة .

ولم يشهد العالم في تاريخه كله مأساة كمأساة الشعب الفلسطيني المسلم ، تلك المأساة التي تعتبر ـ طبقا لادعاءات النظم الصهيونية ـ ثمنا لما عانته الطائفة اليهودية على يدي الطاغية الألماني هتلر ، من اضطهاد وتنكيل ، تحت شعار (معاداة السامية) .

لقد كان المنطق يفرض على الصهيونية أن تستدير لتضرب مضطهديها ، وتنكل بمن نكلوا بها من الشعب الألماني ، ولكن العجب كل العجب أن تدير الصهيونية ظهرها للألمان ، وتهجم على الشعب العربي المسلم المسالم ، لتمعن فيه تقتيلا وتشريدا ، وتمثل به على مدى أكثر من نصف قرن ، تحت شعار (معاداة الإسلامية) .

والغريب أن التاريخ يسجل في كل المراحل لهذه الطائفة اليهودية نفس التناقض بين الفعل ورد الفعل ، فكلما تعرضوا لعدوان أخذوا ثأرهم من غير قاتليهم ، وصبوا لعنتهم على جار ضعيف من جيرانهم ،

وهكذا كان توجههم إلى فلسطين عقب ما أسموه بالمذابح الجماعية هروبا من مواجهة الألمان الأقوياء ، وطلبا للثأر عند من لم يسىء إليهم من الفلسطينيين الضعفاء ، وهو مسلك يتصف به الجبناء من بني صهيون المعاصرين ، كما اتصف به الأذلاء من بني اسرائيل الغابرين .

من أجل هذا ـ كان لابد من دراسة تاريخ مرحلة النبيين (داود وسليمان) لتتبع أخبارها في المصادر اليهودية ، ولاسيما العهد القديم ، ومقارنتها بما جاء في القرآن الكريم بما فيه من أخبار صادقة على وجه الاطلاق ، وبذلك يقاس مدى التحريف الذى أصاب تلك النصوص التوراتية ، وأصاب من بعدُ عقولَ أصحابها من بني اسرائيل المعاصرين .

ولقد استطاع الأخ الدكتور أحمد عيسى الأحمد أن ينهض بهذا البحث ، على الرغم من تشتت مصادره ، وتنوعها ، وعلى الرغم من صعوبة الحصول عليها أحيانا ، ولا ريب أن الايمان في هذا الموضوع كان من أكبر الدوافع إلى استمرار العمل ، فقد نذر الباحث نفسه لينطلق في هذا المجال ، يتقصى أحوال النفسية الاسرائيلية في (مزامير داود) موضوع دراسته للماجستير ، ثم كانت هذه الدراسة عملا جادا ، وإضافة علمية تتميز بالعمق والشمول ، وهي تكشف ـ إلى جانب ما قررناه عن النفسية اليهودية ـ عن مدى ما يفصل الوثائق اليهودية عن الحق الذي قرره القرآن ، أى : إنها تكشف عن كمية الأكاذيب التى تعشش في عقول الإسرائيليين ، وتغذى أحلامهم ، وتحدد حركتهم في طريق المستقبل البهيم .

إن هذا العمل الذي أنجزه الدكتور الأحمد يبشر بأعمال أخرى ، تسبر غور هذا المجال ، وتزيد الأجيال الناشئة من شعبنا العربي المسلم إدراكا لحجم المخاطر المتوقعة ، والأعباء الملقاة على كواهلهم من أجل تأمين المستقبل المأمول .

والله يزيده توفيقا ويهديه للتى هي أقوم .

في ١٩٨٩/٣/١٠

ا . د عبد الصبور شاهين
أستاذ ورئيس قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية
جامعة القاهرة ـ كلية دار العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

داود وسليمان عليهما السلام، يمثلان عند بني اسرائيل العصر الذهبي في كل تاريخهم عبر العصور، ويحتلان مكانا بارزا في أسفارهم وكتبهم المقدسة .. كما يحتل النبيان الكريمان مكانة خاصة عند المسلمين، اذ ورد ذكرهما في كثير من سور القرآن الكريم، فذكر داود عليه السلام في ستة عشر موضعا، بينما ذكر سليمان عليه السلام في سبعة عشر موضعا.

ولم يقتصر ذلك على القرآن الكريم، بل تعداه الى الأحاديث النبوية الشريفة، فذكرهما خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم في العديد من أحاديثه الشريفة.

وبرغم المنزلة الرفيعة لهذين النبيين، فإن صورتهما جاءت مشوهة في أسفار العهد القديم وفي مصادر المؤرخين الغربيين .. ولعل ذلك كان الحافز الأول وراء الرغبة في معالجة هذا الموضوع الذي تطلب جهدا مضنيا، خاصة وأنني رغبت في أن تكون دراستي له «بالمنهج النقدي للنصوص» لوضعه أمام أحكام القرآن الكريم، من منطلق عدم استقامة هذه النصوص وتهافتها أمام خبر القرآن الكريم ودلالاته وبراهينه القاطعة، بحكم أنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

كما أنني لم أجد من تعرض لهذا الأمر ممن سبقني من الباحثين والدارسين، لكشف الزيف والتشويه في سيرة داود وسليمان .. ورد افتراءات كتبة الأسفار ومن شايعهم بحقهما ثم اظهار الصورة النقية الحقيقية للنبيين الكريمين .. بالمنهج الذي اتبعته.

وأود أن أشير هنا الى أن طبيعة الدراسة لغوية أساسا، ولم يكن توسعي فيها وتطرقي للجانب التاريخي - رغم اتساعه - الا وسيلة لإيجاد الجو الذي تدرس فيه النصوص دراسة لغوية ... وقد تمكنت بهذا المنهج من تبيان الصورة بجوانبها المختلفة، وهو أمر ضروري - في اعتقادي - للخروج بالحكم النهائي الواضح المنزه عن الغرض فيما يتعلق بما هدفت اليه هذه الدراسة.

وقد حرصت في دراستي للأسفار التي جاءت سيرة داود وسليمان مبسوطة فيها، على أن أقف على مراحل كتابتها، والأيدي المتعددة التي تدخلت فصاغت مادتها عبر العصور وفق ميولها وأغراضها .. فعملت تلك الأيدي عملها حذفا واضافة وتشويها، حتى جاءت صورة داود وسليمان في أسفار العهد القديم على ماهي عليه الآن منافية لعصمة الأنبياء ومخالفة لوظيفة النبي ورسالته الالهية المقدسة .. لقد جعل أولئك

الكتبة دور النبي يختلط بدور الكهنة في أحاجيهم وطقوسهم .. وابتعدوا به عن دوره الحقيقي الأصيل في حمل رسالة الوحي الالهي التي تقضي بتوجيه البشر واسعادهم من خلال مايوحيه رب العالمين الى رسوله ونبيه ..

ومع التسليم بأننا ـ كمسلمين ـ نؤمن بجميع الرسل .. فإننا لا نقف عند حد الإيمان بهم فقط ، بل نقف وندافع عنهم ، ونحاول ـ جهدنا ـ كشف الزيف واظهار التزوير والتحريف والتشويه الذي شاب الصورة النقية الطاهرة لهؤلاء الرسل .. لأن رسالتهم واحدة ، ودينهم واحد «ان الدين عند الله الاسلام» فجميع الأنبياء مسلمون. يقول القرآن الكريم في ذلك :

ـ «أم كُنْتُم شُهَدَاءَ إذْ حَضَرَ يعقوبَ الموتُ إذ قالَ لبنيه ما تَعْبُدون من بَعدي قالوا نعبدُ إلهك وإله آبائِك ابراهيمَ واسماعيلَ واسحق إلها واحدا ونحنُ له مسلمون».

ـ «ماكان إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانيا ولكنْ كان حنيفاً مسلماً وماكان من المشركين».

ـ «واذ أوحيتُ الى الحواريّين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشْهَدْ بأنَّنا مسلمون».

ـ «إنه من سليمانَ وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألّا تَعْلُوا عليّ وأْتُوني مسلمين ».

ـ «قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت معَ سليمانَ للهِ ربِ العالمين».

ـ «إنما أُمِرْتُ أن أعبدَ ربَّ هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمِرْتُ أن أكونَ من المسلمين».

لكل ذلك اقتضت الدراسة ابراز ما احتوى عليه التراث اليهودي ، كذلك اظهار ماجاء في المصادر التي تلقفت مادة ذلك التراث ونسجت على منوالها فتشكل من ذلك كله صورة اعتقد كتبة ذلك التراث ، كما اعتقد أولئك النساجون أنها الصورة الحقيقية لكل من داود وسليمان .. ولكنها صورة باهتة زائفة لا نقبل بها ولا نقرها .. فكان لابد من البحث عن الصورة الحقيقية الصحيحة لهذين النبيين الكريمين في القرآن الكريم لنبرهن بها على بطلان ماذهب اليه كتبة التراث اليهودي في العهد القديم ومن لف لفهم في تناول سيرة داود وسليمان .. الأمر الذي يترتب عليه أن يكون عطاء القرآن الكريم هو وحده الحكم الفصل الذي تتفق أخباره فيما يتعلق بالنبيين الكريمين وعصمة الأنبياء والنبوة والدور الذي وكله اليهما رب العزة في تبليغ رسالته بين الناس.

وعند دراسة الأسفار التي تعرضت لسيرة داود وسليمان ، واجهتني مشكلة هي كيفية الحصول على المراجع الموثوق بها في موضوع البحث من جوانبه المختلفة ، سواء من الناحية اللغوية أو التاريخية أو النقدية ، فلم أجد في المكتبة العربية من البحوث والمراجع مايشفى الغليل .. فكان لابد من الاتجاه الى المكتبات والمصادر الأجنبية ومؤلفات العلماء والباحثين والناقدين الغربيين أبحث وأنقب في بطون كتبهم علني أجد ضالتي .. وقد تيسر لي ذلك بفضل الله وتوفيقه.

وقد صادفتني مشكلة البحث في موضوع تحريف الأسفار التي تتحدث عن داود وسليمان ، والعثور على مواطن التحريف فيها ، ومنها أن كتبة الأسفار جعلوا حدود دولة داود وسليمان ، وهي ما أطلق عليه اسم «المملكة الموحدة» تمتد أكثر مما كانت عليه فعلا . وقد تطلب رفضي رواية العهد القديم في هذا الشأن وإثبات أنها محرفة ، البحث في بطون المراجع الموثوق بها ، دون إغفال دور علم الآثار والمكتشفات الأثرية التي تلقى الضوء على هذا الأمر . ومنها المبالغة في أوصاف هيكل سليمان ومقادير الذهب التي أدخلت في زخرفته .. الى غير ذلك من التحريفات التي تعرضت لها أسفار العهد القديم فيما يتعلق بسيرة داود وسليمان على أيدي الكتبة ، والتي كان لابد من الرد عليها واثبات بطلانها .

وقد اعتمدت في دراستي بالدرجة الأولى على ماجاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والتفاسير ، بالاضافة إلى أسفار العهد القديم ، ثم على مجموعة من المراجع تأتي في مقدمة المؤلفات التي تعرضت لدراسة ونقد أسفار العهد القديم التي تحدثت عن داود وسليمان ، ولعل أهمها ماكتبه كل من العلماء : درايفر ، بورني ، فايفر ، أيسفلت ، كيندي ، سكنر ، روبنسون ، سميث ، وشاين .

كما استعنت بالعديد من المعاجم العبرية والعربية ودوائر المعارف المختلفة ، بالاضافة الى الكثير من كتب المفسرين والمؤرخين ، إلى جانب المراجع الأخرى التي أفردت لها قائمة مفصلة في نهاية الدراسة .

وقد قسمت هذه الدراسة الى ثلاثة أبواب يسبقها مدخل في أصل العبرانيين ويعقبها خاتمة ..

وقد تحدثت في المدخل عن الخلفية التاريخية لبني اسرائيل منذ بداية ظهورهم على مسرح الأحداث وكيفية دخولهم إلى مصر ثم خروجهم منها .. ثم كيف دخلوا أرض كنعان (أو فلسطين) وبدأوا يقيمون أول كيان لهم فيها .

وخصصت الباب الأول للحديث عن داود وسليمان في العهد القديم . وجاء هذا الباب في ثلاثة فصول ، تحدثت في الفصل الأول عن داود في العهد القديم : تسميته ، ونسبه ، ونشأته ، ومراحل حياته ، وكيفية وصوله إلى الحكم ، وأعماله ، والحروب التي خاضها ، مع عرض لآراء المؤرخين في كل ذلك .

وقد خصصت الفصل الثاني للحديث عن سليمان في العهد القديم : تسميته ، ونشأته ، وصفاته ، وكيف تولى الحكم الذي بدأه بالتخلص من خصومه ومنافسيه على السلطة ، ثم أعماله وأهمها بناء الهيكل والقصور المحيطة به .. وقد تحدثت في هذا الفصل عن علاقات سليمان الخارجية التي كان أهمها علاقته بحيرام ملك صور الذي ساعده في بناء الهيكل وفي اقامة المشروعات التجارية في البر والبحر مما مكن سليمان من جني أرباح طائلة من ورائها .. كما تحدثت عن علاقة سليمان بملكة سبأ التي سمعت بخبره فأتت لتمتحنه بمسائل حسب رواية العهد القديم .. كما اشتمل هذا الفصل على الحديث عن الأسفار المنسوبة لسليمان والتعريف بكل منها .. ولم أغفل في كل ذلك عن إيراد آراء المؤرخين وتعليقاتهم .

وتناولت في الفصل الثالث موضوع الدراسة اللغوية التاريخية الناقدة للأسفار التي تحدثت عن داود وسليمان وهي أسفار صموئيل الأول والثاني والملوك الأول . وقد تعرضت فيها لتسمية هذه الأسفار ومؤلفيها وبيان محتوياتها ومصادرها وعصر تدوينها ولغتها وأسلوبها ، ثم الملاحظات اللغوية الناقدة لمادة هذه الأسفار وبيان مافيها من تحريف واضطراب .

أما الباب الثاني فيتحدث عن داود وسليمان في القرآن الكريم وجاء في ثلاثة فصول ، تحدثت في الفصل الأول عن داود وبيان صورته في القرآن الكريم وصفته عند المفسرين ، ثم تعداد النعم التي أنعم الله بها عليه ، وقد جاءت صورته معززة بأحاديث الرسول الكريم بشأنه .

وتحدثت في الفصل الثاني عن سليمان وبيان صورته في القرآن الكريم من خلال التعرض للحديث عن حكاية السحر وماكانت تتلوه الشياطين على ملك سليمان ونَفْي الكفر عنه «وما كفر سليمان» .. ثم بيان قصته مع ملكة سبأ ، وحكايته مع الخيل ، ثم تناولت موضوع «فتنة» سليمان والجسد الذي ألقى على كرسيه .. ثم تعداد النعم التي أنعم الله بها على سليمان .

وقد تعرضت في الفصل الثالث للحديث عن الاسرائيليات حول داود وسليمان في التفاسير ، مع بيان هذه الاسرائيليات والتنبيه اليها لاتقاء ضررها وخطرها على عقول العامة .

وفي الباب الثالث والأخير ، بينت أوجه الشبه والخلاف بين روايات العهد القديم والقرآن الكريم فيما يتعلق بموضوع الرسالة ، وقد جاء هذا الباب في فصلين ، ذكرت في مقدمة الباب أوجه الشبه والخلاف حول ماجاء في الخلفية التاريخية قبل بداية عصر داود وسليمان .

ثم ذكرت في الفصل الأول أوجه الشبه والخلاف حول داود وحكمه . وفي الفصل الثاني بينت أوجه الشبه والخلاف حول سليمان وحكمه . وقد ضمنت الخاتمة النتائج التي توصلت اليها في هذه الدراسة ، وأتبعت ذلك باثبات قوائم بالمراجع العربية والعبرية والأجنبية وتلك المترجمة الى اللغة العربية مرتبة حسب الحروف الأبجدية لمؤلفيها في كل لغة من هذه اللغات .

وقد راعيت عند الاشارة إلى أي مرجع أو الاستناد إليه أن أذكر في الهامش اسم المرجع ومؤلفه كاملا أول مرة ، واذا ماتكررت الاشارة اليه اكتفيت بذكر المؤلف فقط أو اسم المرجع مع رقم الصفحة أو الصفحات المشار إليها . واذا كان للمؤلف أكثر من كتاب ، أوردت اسم الكتاب الثاني أو الثالث عند الاشارة اليها .. وراعيت أيضا عند الاقتباس أو النقل من نص ورد في مرجع لمؤلف غير صاحب النص المذكور أن أشير في الهامش إلى صاحب النص الأصلي . أما عند الاشارة إلى دوائر المعارف أو المعاجم ، فقد اكتفيت أحيانا بذكر اسم الدائرة أو المعجم مع بيان عنوان المادة التي رجعت اليها ، اذ إن هذه المادة تحدد

مكانها من مجلدات وصفحات المرجع ، وقد أوردت احيانا أسماء الاسفار برموزها المعروفة ، وعند الاشارة إلى فقرة من فقرات الأسفار أثبت مايلي :

كتابة اسم السفر ، يتبعه رقم الاصحاح (أو الفصل) وقد رمزت اليه بالرمز (ص) ثم رقم الفقرة المشار اليها ، ويفصل بين الرقمين نقطتان فوق بعضهما ، مثال ذلك :

(١ صم ٣:٧) أي الفقرة السابعة من الاصحاح الثالث في سفر صموئيل الأول . ومثال آخر :

(١ مل ٩:١٠) أي الفقرة العاشرة من الاصحاح التاسع في سفر الملوك الأول .

وقبل أن أختتم هذه المقدمة لابد من إزجاء الشكر كله للعلماء الأفاضل الذين تفضلوا بمدّ يد العون والمساعدة .. وفي مقدمتهم الأستاذان الكبيران الدكتور عبدالصبور شاهين والدكتور عبدالرحمن عوف اللذان أشرفا على هذا العمل ، وتعهّدا صاحبه بالرعاية والعناية في سبيل تحقيق النتائج المرجوة .. ولايسعنى أيضا إلا أن أتقدم بعظيم الشكر والتقدير للعالم الكبير الأستاذ الدكتور كمال بشر ، الذي كان لنصحه وترشيده لصاحب البحث مااستمد منه البحث قيمته ..

ولا يفوتني أن أتقدم بأصدق مشاعر الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل عبدالعزيز محمد جعفر وكيل وزارة الاعلام بدولة الكويت الذى كان له الفضل الأول في طباعة هذا الكتاب وظهوره الى حيز الوجود ..

وإلى الأستاذ الفاضل محمد العمر مدير مطبعة الحكومة الذى أخذ بيد صاحب الكتاب ، وأشرف على تنفيذ هذا العمل ..

كما أوجه شكرى وتقديري للأخوة المسئولين والمخرجين والطباعين في مطبعة الحكومة الذين تولوا إخراج وطباعة هذا الكتاب حتى ظهر بهذه الصورة . والله يتولانا واياهم ، انه نعم المولى ، ونعم النصير ....

مدخل

في أصل العبرانيين

بنو اسرائيل قبل داود وسليمان

الخلفية التاريخية :

لم يكن لبني اسرائيل أهمية تذكر في أيامهم مثلما أصبح تأثيرهم على تاريخ العالم فيما بعد ..[١] ولم يكونوا جديرين بالاشارة اليهم لولم يؤثر عنهم ذلك التراث الديني والأدبي الفريد ..[٢] فقد كانوا منذ بداية تاريخهم المدون ، وقبل دخولهم أرض كنعان ، بدوا يرعون قطعان الماشية ويسكنون الخيام .[٣] كان الفرد منهم اذا ماأراد أن يعبر عن فكرة عودته إلى بيته ، فانه يذكر العودة إلى خيمته ، كما ورد في كثير من نصوص العهد القديم .[٤] ونجد عبارات في العهد القديم مثل : «أمَا انْتُزِعَتْ منهم طُنُبُهم»[٥] ، فعلى الرغم من أن العبارة تدل على موتهم ، فإن الكاتب لم يستطع أن يتخلص من تأثير البيئة التي كان يعيشها ، ومن الاستعمالات اللفظية المصاحبة لتلك البيئة .

إن حلم البدوي في أرض زراعية غنية توضحه لنا عبارة : «أرض تفيض لبَنَاً وعَسَلاً» الواردة في أماكن متعددة من المعهد القديم[٦] ، بينما حلم الفلاح يتمثل في «أرض تفيض حنطة وشعيرا وذرة وشرابا متنوعا وزيتا» .

وقد اقتصر استعمال بني اسرائيل على الاصطلاح الأول بحكم بيئتهم البدوية ، الا أنهم استخدموا الاصطلاح الثاني أيضا ، ولكن في فترة متأخرة ترجع إلى الوقت الذي عرفوا فيه الزراعة وأصبحوا زراعيين .[٧]

أما تاريخ بني اسرائيل الحقيقي فإنه لم يبدأ إلا على أرض فلسطين ، يقول نوث : «إسرائيل .. وجود اتحاد بين اثنتي عشرة قبيلة .. لم يكن ظاهرة حية إلا ابتداء من اللحظة التي احتلت فيها البلد ذا الثقافة الفلسطينية .. وتاريخها لايبدأ إلا على أرض فلسطين» .[٨]

---

(١) Wells,H.G. A Short History of The World, Penguin Books Ltd., England, 1984,PP. 72 – 73.

(٢) Easton, Stewart C., A Survey of Ancient, Medieval, & Modern History, Barnes & Nobles Inc., New York, 1964, P. 21.

(٣) Lods, Adolphe, Israel From Its Beginning To The Middle of The Eighth Century, Routledge & Kegan Paul Ltd., Broadway House, Carter Lane, London, P. 190.

(٤) انظر ٢ صم ١٨ : ١٧ ؛ ١٩ : ٨ ؛ ٢٠ : ١ ؛ ١ مل ١٢ : ١٦ .

(٥) سفر أيوب ٤ : ٢١ .

(٦) الخروج ٣٣ : ٣ ؛ العدد ١٣ : ٢٧ ؛ ١٤ :٨ .

(٧) Lods, P. 190.

(٨) رجاء جارودى ، فلسطين أرض الرسالات الالهية ، ترجمة وتعليق وتقديم الدكتور عبدالصبور شاهين ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١١١ .

ويؤكد الأب دوفو هذه الحقيقة حين يقول : «إن شعب إسرائيل لم يتكون ـ في نظر المؤرخ المعاصر ـ إلا بعد أستقراره في كنعان .»[٩]

ويصل جوستاف لوبون إلى نفس النتيجة حين يقول : «إن تاريخ بني إسرائيل لا يبدأ بالحقيقة إلا في عهد ملوكهم ، فقد كانوا أقل من أمة حتى زمن شاؤل .. كانوا مجموعة غير منسجمة تتألف من قبائل بدوية صغيرة ، تقوم حياتها على الغزو والجدب وانتهاب القرى الصغيرة حيث تقضى عيشا رغيدا بضعة أيام تعود بعدها إلى حياة التيه والبؤس .»[١٠]

ثم استوطنوا أرض كنعان (أو ما أسموه يهودا) قبل عام ١٠٠٠ ق . م ، وأصبحت بعد ذلك أورشليم عاصمة لهم .. إن قصتهم محبوكة بقصص الامبراطوريات الكبرى المحيطة بهم .. مصر من الجنوب ، وتعاقب الامبراطوريات في سوريا وآشور وبابل من الشمال .. كان موطنهم ـ كما يقول ويلز ـ ممرا لا مناصَ منه بين هذه الامبراطوريات من جهة ، ومصر من جهة أخرى .[١١]

أما آباؤهم الأول فكانوا ابراهيم واسحق ويعقوب ومنهم انحدر العبرانيون كما يقول ويلز .. لقد كانوا عبارة عن شيوخ من البدو يعيشون عيشة رعاة البادية في المنطقة الواقعة بين بابل ومصر .[١٢]

أما من أين انحدر الأب الأول إبراهيم عليه السلام ، فسنبين ذلك فيما يلي :

●●●

ابراهيم وموطنه الأصلي

اسم ابراهيم (אַבְרָהָם أقراهام) معناه : أبو الجماهير ، وأقرام אַבְרָם (أبرام) ـ وهو الاسم الذي كانت تطلقه عليه التوراة في البداية ـ معناه : الأب العالي .[١٣] ولكن أجمل أسمائه هو (خليل الله) الذي أطلقه عليه العرب والمسلمون .[١٤] ويفيد معنى اسم ابراهيم أيضا (حبيب الله) .[١٥]

---

(٩) نفس المرجع والصفحة .

(١٠) الدكتور جوستاف لوبون ، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٣٢ .

(١١) Wells, Short History of The World, PP. 72 - 73.

(١٢) Wells, The Outline of History, Cassell & Co. Ltd., Twelfth Edition, London, 1951, P. 254.

(١٣) אנציקלופדיה כללית — כרך I .

(١٤) مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج ١ ، القسم الأول ، دار الطليعة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٤١٤ ،
האנציקלופדיה העברית — כרך I .

(١٥) عباس محمود العقاد ، ابراهيم أبو الأنبياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٩٤ .

وهو ابراهيم بن تارح بن ناحور ، ويعتبره اليهود أباهم الأول . أما عن موطنه الأصلي فجاء في التوراة أنه من أور الكلدانيين : «وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراى كنته امرأة ابرام ابنه . فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان ، فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك » .[١٦]

ويفهم من الاصحاح الثاني عشر من سفر التكوين أن عشيرة ابراهيم وبيت أبيه وأرضه ومقامه في حاران : «وقال الرب لأبرام إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك ... وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران فأخذ أبرام ساراى امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران .. فأتوا إلى أرض كنعان » .[١٧]

وجاء في السفر المذكور أيضا أن ابراهيم طلب من كبير عبيده أن لا يأخذ زوجة لابنه اسحق من بنات كنعان ، بل يذهب إلى أرضه وعشيرته في أرام النهرين ويأخذ منها زوجة لابنه .[١٨]

ويعلق محمد عزة دروزه على رواية التوراة فيقول : ان فكرة نزوح اسرة واحدة من بلاد كلدة أو من أور إلى أرض بعيدة جدا غير مستساغة كثيرا ، غير أن الكلدانيين أو الاكاديين كانوا قد مدوا سلطانهم من العراق إلى بلاد الشام منذ عصر سرجون ونارام سين ، ومنذ وجدت امبراطورية أور وامبراطورية بابل الاولى قبل عصر ابراهيم بقرون . فليس من المستبعد والحالة هذه أن تكون فكرة النزوح إلى بلاد الشام فأرض كنعان قد انبثقت من تلك البلدان ، فكان من جملة ذلك ابراهيم وأسرته وعشيرته .[١٩]

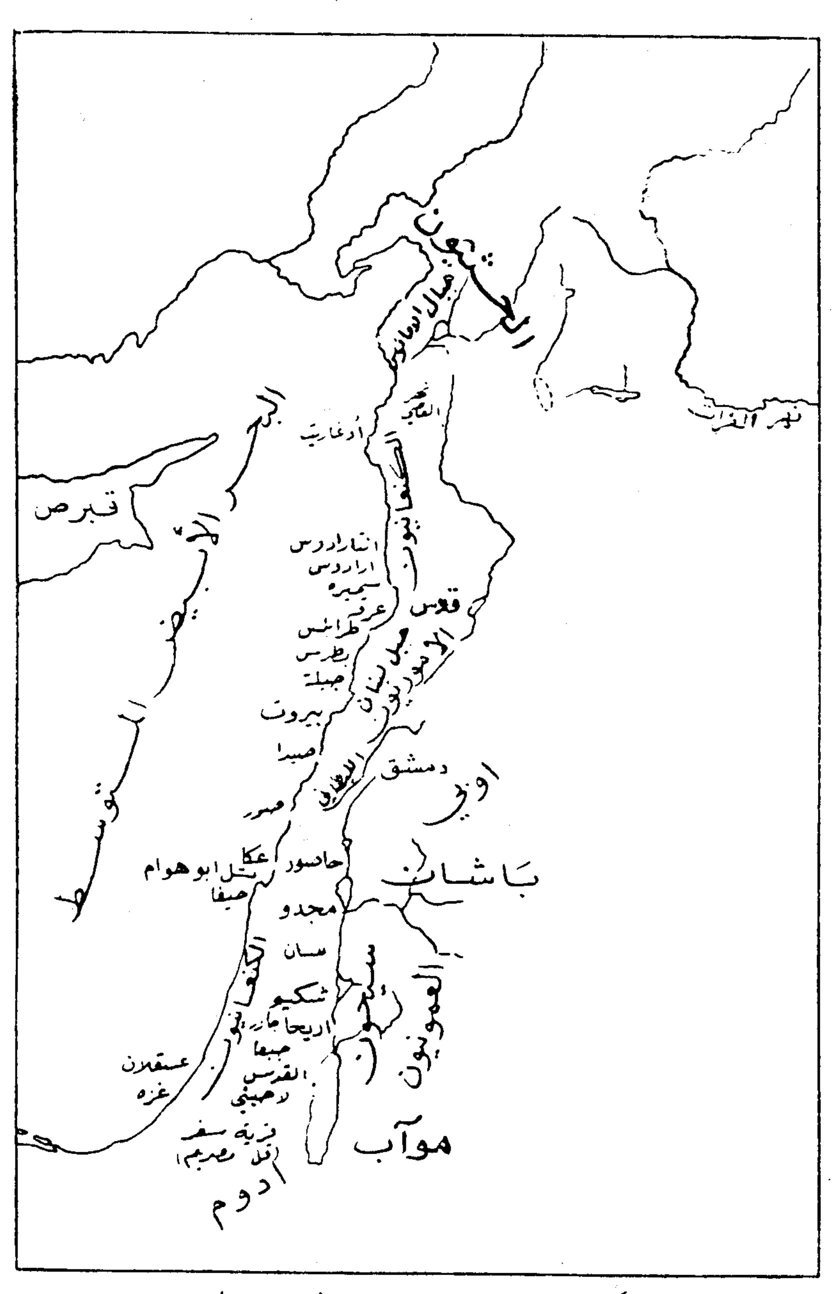
وهناك بعض المؤرخين يرون أنه أموری من السوريين الذين حكموا العراق مدة مائتين وسبعين سنة وأسسوا فيه الدولة البابلية الأولى .[٢٠]

وهناك من يقول إنه نشأ في أسرة حديثة عهد بالهجرة من شمال اليمن إلى جنوب العراق .[٢١]

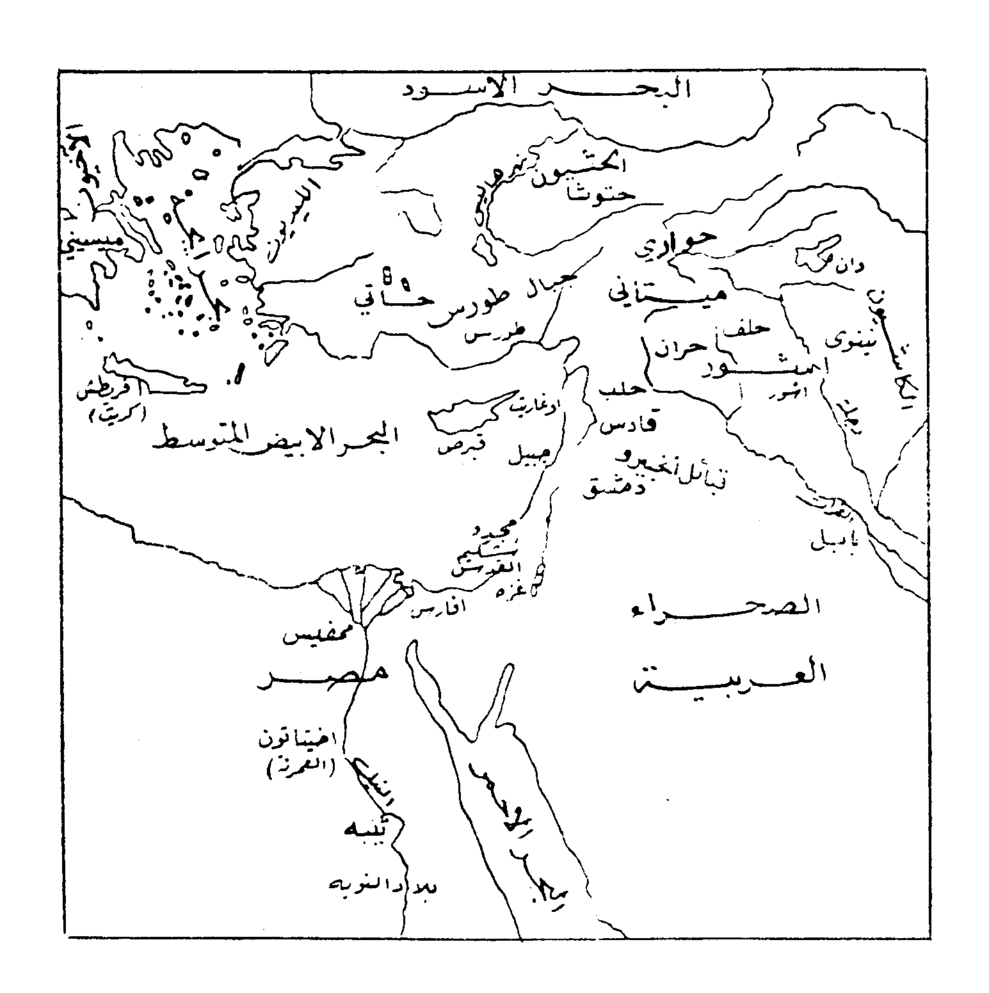
ومهما تكن آراء المؤرخين في هذا الشأن ، فاننا نعتقد أن ابراهيم عليه السلام كان من أسرة استوطنت أور في جنوب العراق بعد أن قدمت مهاجرة من الجزيرة العربية ضمن واحدة من الموجات التي كانت تنطلق خارج الجزيرة هربا من القحط وقلة المياه .. وكانت هذه الموجات تتجه إلى أرض الرافدين أو بلاد الشام وأرض كنعان .. فكانت أسرته واحدة من أولئك المهاجرين .. إلى أن تلقى رسالة السماء فقام بالدعوة إلى

---

(١٦) التكوين ١١ : ٣١ ـ ٣٢ .
(١٧) التكوين ١٢ : ١ ـ ٥ .
(١٨) التكوين ، الاصحاح (٢٤) .
(١٩) محمد عزة دروزة ، تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا وبيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٨ .
(٢٠) الدباغ ، ص ٤١٤ .
(٢١) العقاد ، ابراهيم أبو الأنبياء ، ص ٢٩٠ .



بلاد كنعان قبل مقدم العبرانيين



منطقة تواجد قبائل العبيرو أو (الخبيرو) بين الامبراطوريات الكبرى في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

الوحدانية وعبادة الله الواحد الأحد ، إلا أن دعوته لم تجد أذنا صاغية في تلك الأرض ، فأمر بالتوجه إلى الأرض المقدسة .

● ● ●

هجرة ابراهيم إلى فلسطين

أخذ ابراهيم عليه السلام يدعو قومه في العراق إلى عبادة الله عز وجل ونبذ عبادة الأوثان .. ولما وجد أن دعوته لم تلق آذانا صاغية عزم على الهجرة في سبيل نشر دعوته ومبادئه . فخرج من أور مع زوجته (ساره) وابن أخيه (لوط) وزوجته وغيرهم ، واستقر في (حاران) وبقى فيها حتى موت أبيه . ثم أخذ هو ومن معه يتنقلون في بلاد الشام بين سهولها وجبالها وقراها ومدنها إلى أن نزل وصحبه في (شكيم) بفلسطين . ولم يطل به المقام فأخذ يتجول في البلاد حتى استقر أخيرا في منطقة بئر السبع حيث أخذ يدعو الناس إلى اعتناق تعاليم الاسلام ومبادئه الأخلاقية ، يقول القرآن الكريم : (ماكان ابراهيمُ يهودياً ولا نَصرانيّاً ولكنْ كان حنيفاً مسلماً وماكان من المشركين)[٢٢] . وهكذا فان هجرته عليه السلام من العراق إلى بلاد كنعان كانت في سبيل مبادئه الدينية والأخلاقية وليست اقتصادية مادية ، فالعراق كانت في ذلك الوقت أكثر خصبا ورقيا من فلسطين .[٢٣] إننا نرجح هذا الرأى على غيره من آراء المؤرخين الذين يرون أن هجرته كانت طلبا للرزق .[٢٤] وما أن استقر به المقام في فلسطين حتى أخذ يبني المساجد ودور العبادة ، فبنى مسجدا في مدينة بئر السبع[٢٥] وغيره في (بيت ايل) وهي (بيتين) بالقرب من مدينة رام الله حاليا ، وفي الخليل وغيرها[٢٦] وقد أحبه أهل البلاد على وثنيتهم ، وتذكر التوراة أن ملكي صادق ملك أورشليم ، وكان كاهنا لله العلي أخرج خبزا وباركه قائلا : «مبارك ابراهيم من الله العلي مالك السموات والأرض» .[٢٧]

ثم ارتحل ابراهيم إلى مصر هو وعائلته اثر قحط أصاب البلاد ، وبعد غيبة لم تطل عاد إلى أرض كنعان مصطحبا معه جارية اسمها (هاجر) ، وفي رواية أخرى انها ابنة فرعون مصر أو احدى بنات الأمراء .[٢٨]

---

(٢٢) آل عمران : ٦٧ .
(٢٣) بلادنا فلسطين للدباغ ، ص ٤١٤ ، ٤١٥ .
(٢٤) انظر على سبيل المثال : جوستاف لوبون ، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٣٢ .
(٢٥) تاريخ الطبرى ، ٣١١/١ .
(٢٦) بلادنا فلسطين للدباغ ، ص ٤١٥ .
(٢٧) التكوين ١٤ : ١٩ .
(٢٨) العامرى ، عروبة فلسطين ، ص ٩٧ .

ولما كانت زوجته (ساره) عاقرا دخل بجاريته هاجر باذن من سارة ، فولدت له اسماعيل . وتشاء إرادة الله أن لاتبقى ساره عقيما فحملت وولدت اسحق .. وكان ذلك بعد ثلاث عشرة سنة من مولد اسماعيل . ولما كبر اسحق تزوج بابنة عمه (رفقة) وكانت تقطن مع عائلتها في حاران .

وأخيرا توفى ابراهيم عليه السلام فدفنه ولداه اسماعيل واسحق في مغارة المكفيلة وهو المكان الذي دفنت فيه سارة . وقد سكن اسحق بعد وفاة أبيه في أقصى الجنوب من فلسطين وهناك ولد له ابنه يعقوب ، وهو الذي أطلق عليه فيما بعد اسم (اسرائيل) وأبناؤه هم بنو اسرائيل . وقد ذهب إلى منطقة حاران ، حيث يوجد أقاربه وتزوج من ابنتي خاله (لابان) وهما (ليئة) و (راحيل) وأنجب اثنى عشر ولدا ولدوا جميعهم في حاران أو (سورية) باستثناء (بنيامين) فقد ولدته أمه راحيل في طريق بيت لحم ، وهم عائدون من حاران إلى فلسطين .[٢٩]

● ● ●

مسألة «العبيرو»

يوحد نوث بين العبرانيين و«العبيرو» ...[٣٠] فمن هم هؤلاء «العبيرو» .

يكاد يجمع الباحثون على أن العبرانيين الذين تشير اليهم التوراة هم من «العبيرو» الذين أشارت اليهم رسائل تل العمارنة ، ووثائق أوغاريت وماري وغيرها من وثائق الدول والمالك .

تقول الدكتورة كاثلين كنيون : إن ترادف كلمات «عبراني» و «عبيرو» و «خبيرو» و «هبيرو» وتطابقها في المعنى لايثير أي اعتراض لغوي .. إن العبيرو ـ في رأى معظم العلماء ـ لايمكن الاعتراف بهم كجماعة تنتسب إلى جنس (عرق) واحد ، لأننا لا نرى لهم أسماء خاصة تدل عليهم .. ولا يمكن أن نقول إنهم يحترفون حرفة محددة ، لأننا نراهم أحيانا جنودا محترفين ، وأحيانا عمالا عاديين ، وأحيانا عبيدا مستخدمين . والصفة الوحيدة المشتركة بينهم هي أنهم أجانب أو غرباء ، وأن أنسب مايمكن أن ينطبق عليهم من التفاسير أنهم عصابات مغامرة وجنود تسعى وراء الكسب ، وانهم يظهرون في الأماكن المضطربة ، غزاة للمدن غير المحصنة ، ويتجندون كمرتزقة في جيوش الدول القوية .. وهم في أيام السلم يبيعون خدماتهم كعمال وعبيد للحكومات القوية .. مثل هذه الجماعات كانت تجند من مصادر متنوعة ، من الأشخاص الذين لا مأوى لهم ،

---

(٢٩) التكوين ١٦ : ١ ـ ٦ ؛ ١٧ : ١٩ ؛ ٢٥ : ٨ ـ ١٠ ؛ انظر أيضا الاصحاحات ٢٩ ـ ٣١ من نفس السفر ، وأيضا التكوين ٣٥ : ١٧ ـ ١٩ .
(٣٠) عن عروبة فلسطين في التاريخ لمحمد أديب العامرى ، المكتبة العصرية ، بيروت وصيدا ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٦ .

ومن العصابات المغامرة ، ومن العصاة الخارجين على القانون ممن أخرجوا من ديارهم ، وفوق هذا من جماعات بدوية فقيرة من جزيرة العرب ، ولذلك فهي جماعات ذات أصل مختلط .. وبنو اسرائيل هم أحفاد جماعات العبيرو التي دخلت إلى فلسطين من شمالي سورية في القرن التاسع عشر قبل الميلاد .[٣١]

ويصل جارودى إلى نتائج قريبة من ذلك عندما يقول عن «الخبيرو» : «كانوا بلا أرض ، يعيشون على الهامش ، يُستأجَرون لأية مهمة ، ويكونون أحيانا بعض فرق الجند المرتزقة في خدمة الأمراء ، أو حتى بعض عصابات النهب التي تبث الرعب في قلوب الأغنياء ، هؤلاء هم الخبيرو Habiru وهي كلمة من نفس جذر الكلمة (هبرو Hebreu) ، وقد نسبها معظم الشراح والمؤرخين اليه» .

ويستطرد جارودي قائلا : لقد ورد ذكر هؤلاء في ألواح ماري بالعراق . وفي مصر يتحدث رمسيس الثاني (١٣٠١ ـ ١٢٣٤ ق . م) عن دور الخبيرو في الأعمال الكبيرة ، «فهم يقدمون إعانات لجنود الجيش ، وللخبيرو الذين حملوا الحجارة لبناء البوابة الكبرى» . ونجد في رسائل تل العمارنة ، أميرا فلسطينيا مهددا يشكو إلى فرعون : «فليعلم الملك أن رئيس الخبيرو يعمل ضد البلد» . كما أن هناك ذكرا للخبيرو في أماكن أخرى . ويضيف جارودي : انهم ينتمون بلا أدنى شك إلى عروق سامية لم تتوقف عن الترحل في أنحاء الهلال الخصيب .. ولكنهم ينتمون إلى تلك الطبقة الاجتماعية من الذين لم يجدوا أرضا فاضطروا إلى تأجير خدماتهم في المجالات الزراعية .. وفي فرق المرتزقة لدى الأمراء ، وعندما كانوا لايجدون شيئا يعمدون إلى تشكيل عصابات نشطة للسلب والنهب .[٣٢]

ويقول أولبرايت : « إن مسألة (العبيرو) ماتزال غامضة ، غير أنه يجب القول إن كلمة عبري (Ibri) أى (Hebrew) بمفهومها الحالي ، لابد وأن تكون مشتقة من كلمة (عبيرو Abiru) ، واذا ماكانت هذه المعادلة صحيحة ، فان العبرانيين المنحدرين من هؤلاء كانوا في وضع شاذ بالنسبة لحالتهم الاجتماعية والاقتصادية . لقد كانوا دخلاء في كل أرض أتوا اليها كما ثبت بالدليل القاطع .. حيث لم يكونوا في حالة استقرار دائم ولا هم كانوا بدوا رحلا .. وكانوا في بعض الأحيان يستخدمون كعمال مأجورين كما حصل لهم في مصر» .[٣٣]

ويقول اندرسون : «إن وثائق الآلف الثاني قبل الميلاد تشير إلى الهبيرو (Habiru) أو العبيرو (Apiru) على أنهم كانوا جماعة لا أثر لهم نسبيا وكانوا مبعثرين في بلدان كثيرة مثل آسيا الصغرى وبلاد مابين النهرين ، وسوريا ، وكنعان ومصر .

---

(٣١) Kathleen Kenyon : Arch. in The Holy Land, PP. 183, 184.

(٣٢) جارودى ، فلسطين أرض الرسالات الالهية ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

(٣٣) Albright, W.F. : Archaeology and the Religion of Israel, Fifth Edition, The John Hopkins Press, Baltimore, 1968, P. 200.

والتعبير لايشير إلى مجموعة عرقية معينة على الرغم من أن كثيراً من الهبيرو (Habiru) كانوا ساميين .. لقد كانوا جوالين أو أجانب على البلاد التي يرتادونها ، وكان وجودهم على أطراف المجتمعات المتحضرة عابرا ، اذ كانوا يتجولون من مكان لمكان ـ كالغجر الحاليين ـ مع قطعان ماشيتهم وعائلاتهم ، وكانوا أحيانا يشكلون من أنفسهم عصابات لمهاجمة القوافل ، أو يشنون حملات مزعجة على القرى .. وكانوا في بعض الأوقات يضعون أنفسهم في خدمة الغير كجنود مأجورين ، أو كانوا يجبرون ـ كالعبيد ـ على العمل في مشاريع عامة . على أن كلمة هبيرو (Habiru) من المحتمل أن تكون معادلة لكلمة عبرى (Hebrew) الواردة في التوراة .. غير أن هذا لايعني ـ على أية حال ـ أن ذكر الهبيرو في مصادر بلاد مابين النهرين ومصر يرجع إلى العبريين القدماء أقرباء ابراهيم (عليه السلام) ، بل الأصح أن عبريي التوراة ينتمون إلى الموجات المتلاحقة من البشر أشباه البدو الذين يشكلون مجموعات وصفت بلفظ هبيرو (Habiru).[٣٤] »

ويقول بروس : نادرا مايوصف العبيرو بأنهم مستقرون في بيوت لهم ، إنهم يوصفون كغرباء ، بل غرباء أعداء أينما ذكروا . ومع أن للمصطلح (عبيرو) معنى خاصا ، فقد درج استعماله عامة بمعنى (أعداء) أو (ثوار) أو (قوم غير محترمين) وفي بعض الحالات كان نعتا قبيحا ترمى به عدوك.[٣٥]

ويقول نوث : قلما نستطيع الشك بأن (العبيرو) الذين أشارت إليهم رسائل تل العمارنة في استنجادات (عبد ـ خيبا) والى القدس ـ هم أنفسهم الذين تدل عليهم كلمة (العبرانية) التي تستعملها التوراة .. وعندما يذكر الاسم (عبرانيون) نجد شعبا من أصول متنوعة جدا .. وتشير التسمية بخاصة إلى وضع اجتماعي وقانوني معين .. وإننا لنجد التسمية مستخدمة في التوراة بصورة تدل على هذا الوضع (خروج ٢١ : ٢) و (تثنية ١٤ : ١٢) ، أى إنهم ذوو مستوى وضيع وموارد ضئيلة في وسط البلاد المتمدنة في الشرق القديم ، إنهم يؤدون الخدمات في المكان المطلوب وبالصورة المبتغاة ويمثلون عناصر متنقلة قلقة لا جذور لهم في الأرض.[٣٦]

---

(٣٤) Anderson, Bernhard W. : The Living World of the Old Testament, Second Edition, Longmans,1967, P. 27.

(٣٥) Bruce : Arch. and Old Test. Study, PP. 10, 11.

(٣٦) Noth : The History of Israel, P. 34.

ويشبه أديب العامرى « العبيرو » بالشطار أو « العيارين » الذين ظهروا أيام الدولة العباسية ووصف حالهم الدكتور أحمد أمين في كتابه « الصعلكة والفتوة في الاسلام » (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٩٩ .) يقول العامرى : بالنظر لما قد يتبادر الى الذهن من أول وهلة من غرابة جماعات العبيرو ، وتطاول المدة التي ظلوا فيها قائمين كظاهرة اجتماعية ناشزة في الهلال الخصيب (٢٠٠٠ ـ ١٠٠٠ ق . م) فاننا نجد لهم شبها ، ولو كان محدودا ، في تاريخ العرب قد يقرب ظاهرتهم الى الأذهان وهم « الشطار » أيام الدولة العباسية . ففي أوائل القرن التاسع الميلادى (أوائل القرن الثالث الهجرى) ظهرت جماعة مختلطة الأصول والأجناس ، أكثرها من الفرس والأتراك والزنج . وكانت هذه الجماعة تنهب ممتلكات الأغنياء في بغداد وما حولها وتغير على القرى الآمنة والمساكن والسفن ، ولم تكن الدولة دائما قادرة على كبح جماح هؤلاء الشطار (أو العيارين) بل ان بعض الحكام كان يستفيد منهم ويستعين بقوتهم . ويبدو أن أمر هؤلاء الشطار قد انتهى بتطوع الناس ضدهم وتألبهم عليهم والقضاء على فسادهم وعبثهم . (انظر : عروبة فلسطين ص ١٣٠) .

وقد ورد اسم (عبريو) في ورقتين من أوراق البردي كتبتا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، في عهد رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة ، وموجودتين في متحف لايد بهولندا ، وقد رجح الباحثون أن (العبريو) هؤلاء هم بنو اسرائيل الذين نموا وترعرعوا في مصر .[٣٧] وقد أطلقت التوراة على ابراهيم (عليه السلام) الذي يعتبره بنو اسرائيل جدهم الأعلى (ابرام العبراني) .[٣٨]

ويتبين لنا من المصادر التاريخية المختلفة ومن حفريات علماء الاثار ان موجة «العبيرو» او «الخبيرو» انقسمت بعد دخولها إلى فلسطين وشرقي الاردن مع ابراهيم حوالي سنة (١٩٠٠ ق . م) الى قسمين .. قسم بقى في فلسطين وشرقي الأردن وهو الذي ذكرت رسائل تل العمارنة خبر عبثه في البلاد في القرن الرابع عشر ق .م مما استدعى امراءها ومنهم والي القدس (عبد ـ خيبا) المار ذكره الاستنجاد بملوك مصر وكان ذلك زمن الفرعونين امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع الذي عرف باخناتون . أما القسم الآخر ، فقد ارتحل إلى مصر مع غزوة الهكسوس حوالي (عام ١٧٠٠ ق . م) وكان ضمن هذا القسم بنو اسرائيل .

وفي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، خرج موسى بجماعته من مصر الذين كانوا يشكلون القسم المتواجد فيها أو جزءاً منهم . اذن فجماعة موسى أو (قوم موسى) هؤلاء ، هم الذين يمكن اعتبارهم أصل ما أصبح بعدئذ (بني اسرائيل) .

على أننا يجب أن نلاحظ أن بني اسرائيل تألفوا في الغالب من العبيرو ، وليس العكس ، فان جماعات من العبيرو ظهرت واختفت دون أن تكون لها علاقة بالاسرائيليين .[٣٩]

● ● ●

دخول بني اسرائيل الى مصر

تقول التوراة إن يعقوب (أو إسرائيل) وأبناءه ارتحلوا الى مصر بعد القحط الذي تعرضت له أرض كنعان ، وكان عدد هؤلاء النازحين سبعين شخصا وأقاموا في أرض جاسان[٤٠] . ويقول القرآن الكريم إن يوسف عليه السلام استدعى أباه وإخوته من البدو وجاء بهم الى مصر آمنين .[٤١]

---

(٣٧) محمد عزة دروزة ، تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ، ص ٣١ .

(٣٨) سفر التكوين ١٤ : ١٣ .

(٣٩) انظر : عروبة فلسطين ص (١٣٥) ؛ تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم (ص ٣٤) ؛ Lods, PP., 181 - 183.

(٤٠) التكوين ٤٦ : ٥ ـ ٧ ؛ ٤٦ : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٤١) يوسف : ٩٩ ، ١٠٠ .

أما العلماء والباحثون فلهم وجهة نظر أخرى . يقول لودز في تفسير دخول بني إسرائيل الى مصر : إن مجموعة من بدو بني اسرائيل الذين شكلوا فيما بعد ما عرف (ببيت يوسف) وهم قبائل أفرايم ومنسى وبنيامين ، حصلت على اذن ـ مع قبائل أخرى أو أجزاء من قبائل ـ بالاقامة على حدود مصر في منطقة تكثر فيها المراعي تقع بين الدلتا والصحراء العربية ، بعد أن هجروا مأواهم إما بسبب المجاعة التي خلفها القحط والجفاف ، وإما بسبب طرد إخوتهم لهم استنادا لما جاء في أحد مصادر التوراة عن قصة يوسف ، وإما بسبب طردهم من قبل بدو آخرين هم الأدوميون ـ على رأي (اسيدور ليفي Isidore Levy)[٤٢] ، لقد كان ترحال البدو وقصدهم البلدان الزراعية عادة متبعة على طول حدود الصحراء العربية في فصول معينة من السنة ، وقد حدث ذلك في جميع الأزمنة على الحدود الآسيوية لمصر . جاء في (بردية بطرسبورج) أن بدوا جاءوا الى مصر في طلب الماء لهم ولماشيتهم زمن ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة (من ٢٣٦٠ ـ ٢١٦٠ ق.م) ويبدو من اللوحة الأثرية التي عثر عليها في (مقبرة بني حسن) بجوار تل العمارنة في صعيد مصر ، أن قبيلة صغيرة من البدو عددها سبعة وثلاثون شخصا وتضم نساء وأطفالا جاءت الى مصر حوالي عام ١٩٠٠ ق.م[٤٣] . إلا أن باحثين آخرين ينظرون الى رحلة هذه القبيلة ، وهي من العموريين الفلسطينيين يقودها شيخها المسمى (أبشا Absha) ، على أنها رحلة تجارية ، قدم أعضاؤها ومعهم أمتعتهم محملة على ظهور الحمير للتجارة في الروائح والدهان العطرية كثيرة الاستعمال عند المصريين ، وقد أحضروا معهم هدية لحاكم الاقليم . ولم تكن هذه الرحلة هي الوحيدة في بابها ، فقد كان عدد التجار الفلسطينيين الوافدين الى مصر أكثر من أن يحصى .[٤٤]

وهناك نقش على قبر الفرعون (جور محب) مؤسس الأسرة التاسعة عشرة (١٣٤٥ ـ ١٣٢١ ق.م) يمثل مجموعة من الآسيويين طردوا من مدنهم في الصحراء بواسطة أعدائهم ويطلبون إذنا « بالدخول الى أرض فرعون حسب ما جرت عليه العادة منذ آباء آبائه » .[٤٥]

وحدث في أيام (مرنبتاح) ـ ١٢٣٣ ـ ١٢٢٤ ق.م ـ أن حاكم مقاطعة الحدود في وادي الطوميلات الواقع في أرض جاسان ، قال ـ حسب ما جاء في بردية أناستاسي (Anastasi Papyrus) ـ إنه سمح لقبائل شاسو (Shasu) الأدومية البدوية باجتياز مستنقعات (فيثوم) « ليتمكنوا من العيش هم وقطعانهم في مملكة فرعون »[٤٦] .

---

(٤٢) Lods P. 171.
(٤٣) Lods, P. 172.
(٤٤) بلادنا فلسطين للدباغ ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ؛ عروبة فلسطين ، ص ٥٩ ؛ لودز : هامش صفحة (١٧٢) .
(٤٥) Lods, P. 172.
(٤٦) نفس المرجع والصفحة .

يقول لودز : لقد كانت هذه الترتيبات في مصلحة ملوك مصر .. حيث إن أولئك البدو الذين سمح لهم بالاقامة ، كان عليهم الدفاع عن مراعيهم الجديدة وبالتالي الدفاع عن حدود المملكة من غارات أقرانهم من البدو .(٤٧)

وباستطاعتنا القول على ضوء ما سبق إن بني إسرائيل جاءوا الى مصر سائلين ، أصحاب حاجة ورجاء ، ولم تكن في حركة القوم هذه أدنى علاقة من معاني الدين أو تخطيط الدعوى .. لقد كانوا في حالة من البداوة والتخلف وسوء الحال والاستعداد المفرط للعبودية والذل من أجل قضاء حوائجهم .

يقول لودز إن الفرعون حاول أن يستوعب قبائل بني اسرائيل البدوية ، التي اقتطعت أرض جاسان ، ليكونوا ضمن الشعب المصري ، الا أنه فشل في ذلك نظرا لروح الاستقلال التي يتمتع بها البدوي(٤٨) . أما التوراة فتقول إن محاولة الفرعون كانت من أجل بناء مدينتي المخازن (فيثوم) و (رمسيس)(٤٩) .

ويقول ويلز : إن قصة إقامة بني اسرائيل وعبوديتهم في مصر قصة صعبة معقدة . إذ يوجد هناك مدوّنة مصرية تنسب الى الفرعون رمسيس الثاني تتحدث عن اقامة أناس ساميين في أرض جاسان ، وتذكر أنهم قدموا الى مصر طلبا للطعام .(٥٠)

ويضيف ويلز إنه لأمر محير .. ويصبح أكثر حيرة عندما نقرأ ما تقوله الألواح الطينية التي اكتشفت في مصر ـ وهي ألواح تل العمارنة ـ من أن أحد الحكام المصريين لاحدى مدن كنعان وجه رسائل الى الفرعون أمينوفس الرابع ، الذي كان ضمن فراعنة الأسرة الثامنة عشرة التي حكمت مصر قبل رمسيس الثاني ، يقول فيها إن العبريين أخذوا يجتاحون بلاد كنعان .

إنه من الواضح أنه إذا كان العبريون قد غزوا كنعان في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، فانه من المستحيل أن يكونوا قد خضعوا للاضطهاد والأسر من قبل الفرعون رمسيس الثاني وهو أحد فراعنة الأسرة التاسعة عشرة وقبل دخولهم أرض كنعان . ولكن قد يكون الأمر مفهوما اذا علمنا أن رواية سفر الخروج التي كتبت بعد زمن طويل من وقوع الأحداث التي ترويها ، قد تكون ركزت على جوانب معينة وبسطت جوانب أخرى وجسدت جوانب ثالثة ورمزت الى غيرها في قصة من أكثر قصص غزو القبائل تعقيدا وطولا . قد تكون قبيلة من قبائل بني اسرائيل انحدرت الى مصر وخضعت للعبودية هناك ، بينما كانت بقية قبائلهم ـ أو أسباطهم ـ تهاجم المدن الكنعانية . ويضع ويلز احتمالا آخر لتفسير هذا الأمر ، وهو احتمال أن

---

(٤٧) نفس المرجع والصفحة .

(٤٨) Lods, P. 174.

(٤٩) تقول التوراة : « فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالهم . فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس » ، (الخروج ١ : ١١) .

(٥٠) Wells, The Outline of History, P. 255.

تكون البلاد التي تعرض فيها بنو اسرائيل للأسر والاضطهاد لم تكن مصر (وهي باللغة العبرية مصرايم) ، وانما (متسريم) وتقع في شمال الجزيرة العربية على الضفة الأخرى للبحر الأحمر.[٥١]

ويؤكد هذا القول (شاين T.K. Cheyne) الذي يرى أن بني اسرائيل وأسباطهم كانوا في شمال الجزيرة العربية وأن النصوص الواردة في العهد القديم والمذكور فيها كلمة (مصرايم) باللغة العبرية على أنها تشير الى مصر ، تلك النصوص حصل بها تحريف ، إذ إن المقصود بها (متسريم) الواقعة في شمال الجزيرة العربية . ويضرب مثالا لهذه النصوص بنص من سفر الملوك الأول يقول : « من مدخل حماة الى وادي مصر »[٥٢] . ويستطرد قائلا : إن هذا النص لا بد أن يكون غير قائم على رواية قديمة ، إذ إن كاتبه فيما بعد أخطأ في الجغرافيا .. لأن (وادي مصر) المذكور في النص ، المقصود به ذلك الوادي الذي يقع الى الشرق من (متسريم) في شمال الجزيرة العربية وليس في مصر.[٥٣]

●●●

خروج بني اسرائيل من مصر

يقول المؤرخون إن دخول بني اسرائيل الى مصر كان في أثناء حكم الهكسوس الذين بدأوا سيطرتهم على مصر حوالي عام ١٧٣٠ ق.م ، وقد جاء بنو اسرائيل سائلين متسولين إثر القحط الذي أصاب بلاد كنعان كما تقول التوراة .. إلا أنهم بغرائز الطبع الملتوي والخلق النهّاز ، استغلوا فرصة سيطرة القوى الأجنبية على مقدرات مصر ، فابتدأوا يتقربون الى عدو البلاد الذى يسيطر عليها في نواحي الحياة المختلفة .. ونفذوا هم بالفعل اليها واستطاعوا أن يسيطروا بعد ذلك على كثير من مقومات الحياة عن طريق الرشوة واختلاس مساحات شاسعة من الأرض الزراعية في أخصب بقاع الدلتا والوادي .. ثم جعلوا لهم أسواقا خاصة بهم .. واندسوا بين السادة الحاكمين خدما ووشاة ، الى أن أوشكوا خلال فترة حكم الهكسوس ، أن يكونوا هم أيضا سادة للشعب المصري .. وبعد طرد الهكسوس أحس المصريون أن العبرانيين أو بني اسرائيل يشكلون خطرا محققا عليهم ، خاصة بعد أن ازداد عددهم ، اذ يذكر سفر الخروج[٥٤] ان بني اسرائيل نموا وتكاثروا ، فخشي ملك مصر من عواقب ذلك فاضطهدهم وسخرهم في بناء مدينتي فيثوم ورمسيس ، وشغلهم بالطين واللبن والأعمال الشاقة الأخرى ، وأمر قابلتي العبرانيات بقتل كل ذكر يولد

---

(٥١) نفس المرجع ص : ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٥٢) الملوك الأول ٨ : ٦٥ .

(٥٣) T.K. Cheyne. The Veil of Hebrew History, Adam and Charles Black, London, 1913, P. 74.

(٥٤) الخروج ١ : ١٢ ـ ١٤ ، ٢٠ . غير أن كثيرا من المؤرخين والنقاد يرفضون الأرقام الخيالية الواردة في التوراة عن عدد بنى اسرائيل ، ومن هؤلاء على سبيل المثال الشيخ رحمة الله الهندى في كتابه « اظهار الحق » .

لهم . وقد بلغت ذروة اضطهادهم في عهد رمسيس الثاني أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذي حكم من سنة (١٣٠١ ـ ١٢٣٤ ق.م)[٥٥] .

وهنا يأتي دور موسى عليه السلام ليحمل رسالة السماء الى هؤلاء القوم ويقود بني اسرائيل ويخلصهم من الاضطهاد والعبودية ... وقد هيأه الله تعالى لهذا الدور منذ البداية ، يقول تعالى : (.. ولَقد مَنَنَّا عليكَ مرَّةً أخرى . إذْ أوْحَيْنا الى أُمِّكَ ما يُوحَى . أن اقْذِفيه في التابوت فاقذفيه في اليَمِّ فلْيُلْقِهِ اليمُّ بالساحل يأخذه عدوٌّ لي وعدوٌّ له ، وألقَيْتُ عليكَ محبةً منّي ولِتُصْنَعَ على عيني . إذ تمشي أختُكَ فتقولُ هل أدلُّكم على مَنْ يكفُلُه فرَجَعْنَاكَ الى أمكَ كي تَقَرَّ عينُها ولا تحزن ، وقَتَلْتَ نَفْسًا فنجَّيْنَاكَ من الغَمِّ وفَتَنَّاكَ فُتُونا ، فلبِثْتَ سنينَ في أهلِ مَدْيَنَ ثم جِئْتَ على قَدَرٍ يا موسى . واصطنعتُكَ لنفسي إذهَبْ أنت وأخوك بآياتي ولا تَنِيَا في ذكري . إذهبا الى فرعَونَ إنه طغى . فأْتِيَاه فقولا إنا رسولا ربِّكَ فأَرْسِلْ معنا بني اسرائيلَ ولا تعذِّبْهم ..)[٥٦] .

ويذهب موسى وهارون الى فرعون ، فيرفض الانصياع الى دعوتها ، وتنزل على يدي موسى المعجزات ، ويتعرض فرعون وقومه للأوبئة والمزعجات الأخرى كالدم والضفادع والبعوض والذباب ... الخ . وكان فرعون كلما ظهرت معجزة وأخفق السحرة في التغلب عليها طلب الشفاعة من موسى مع وعده باطلاق بني إسرائيل .. الا أنه كان في كل مرة ينكث بوعده ، الى أن اضطر في النهاية الى أن يفي بالوعد .. ويخرج موسى ببني اسرائيل فيما عرف « بالخروج » من مصر متوجهين الى أرض كنعان التي وعدهم الله بها حسب رواية التوراة .[٥٧]

ويختلف المؤرخون والباحثون في تاريخ خروج بني اسرائيل من مصر ، فمنهم من يرى أنهم خرجوا بعد طرد الهكسوس من مصر ، ويؤيد هذا الرأي كل من (هول H. R. Hall) و (هوميل Hommel) و (أر Orr) الذين يرون أن غزو الهكسوس لمصر ودخول بني اسرائيل اليها كان سنة ١٨٧٧ ق.م وكان الخروج بعد ٤٣٠ سنة حسبما جاء في نص سفر الخروج [٥٨] أي في سنة ١٤٤٧ ق.م عندما كانت مصر تحت حكم امينوفيس الثاني . وهؤلاء يقولون إن غزو فلسطين من قبل بني اسرائيل حدث بعد أربعين سنة من هذا التاريخ ، أي في الوقت الذي كتبت فيه رسائل تل العمارنة ، وأن بناء الهيكل حدث بعد ٤٨٠ سنة من الخروج أي في سنة ٩٦٧ ق.م حسبما جاء في سفر الملوك الأول[٥٩] .

---

(٥٥) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ، ص (٦٥) ؛ التاريخ اليهودى العام ص (٧٦ ، ٧٧) ؛ لودز ، ص (١٨١) .

(٥٦) طه : ٣٧ ـ ٤٣ ، ٤٧ .

(٥٧) تقول التوراة : (فقلت اصعدكم من مذلة مصر الى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزّيين والحوّيين واليبوسيين الى أرض تفيض لبنا وعسلا) الخروج ٣ : ١٧ .

(٥٨) الخروج ١٢ : ٤٠ ، ٤١ . وهو النص الماسورى ، أما الترجمة السبعينية فتجعل إقامة بنى اسرائيل في مصر لمدة ٢١٥ سنة فقط .

(٥٩) الملوك الأول ٦ : ١ . والنص هو « وكان في سنة الأربعمائة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على اسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني أنه بنى البيت للرب » .
انظر : لودز ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

ولكن نظرية هؤلاء النقاد يقابلها الكثير من الاعتراضات .. فلا يوجد أثر في أسفار بني اسرائيل أو تاريخهم يفيد بدخولهم مصر كمنتصرين ، كما لا يوجد ما يشير الى أن ملوكا اسرائيليين حكموا مصر ، كما هو الحال مع الهكسوس .. وانما كانت الاشارة فقط الى اضطهادهم واستعبادهم . يضاف الى ذلك فان رواية سفرى يشوع والقضاة بشأن استيطان بني اسرائيل في فلسطين لا تتفق - في مجملها - مع ما ورد في رسائل تل العمارنة . ومثال على ذلك فان أسماء ملوك الكنعانيين المذكورة في سفرى يشوع والقضاة ، لم تكن هي أسماء الأمراء الذين حكموا نفس المدن في عهد كل من الفرعونين أمينو فيس الثالث وأمينو فيس الرابع (أو اخناتون) وهذا جدول للمقارنة :

اسم المدينة	اسم الملك في سفرى يشوع والقضاة	اسمه في رسائل تل العمارنة
أورشليم	أدوني صادق (أو أدوني بازق)	عبد - خيبا
جازر	حورام	يباحى
حاصور	يابين	عبدى - ترشى

ولو كان كل من النصين يرجع الى نفس الحقائق في استقاء مادته ، اذن فان رواية أسفار بني اسرائيل تصبح - والحالة هذه - مشوشة ومضطربة وميئوسا منها[٦٠] .

ولعل الأمر يصبح أكثر تعقيدا بالنسبة للحقيقة التاريخية المتعلقة بالحملات العسكرية الكبيرة التي شنها على فلسطين كل من تحتمس الثالث وسيتي الأول ورمسيس الثاني ومرنبتاح ، فان هذه الحملات طبقا لنظرية النقاد سالفي الذكر تكون قد حدثت بعد أن استقر بنو اسرائيل في فلسطين بشكل نهائي . وهنا يصبح من الصعب تفسير سكوت الرواية الاسرائيلية فيما يتعلق بالصراع المحتوم مع المصريين الفاتحين ، وخاصة بالنسبة لادارة البلاد من قبل مسئولين مصريين ، وهي حقيقة أصبحت أهميتها جليَّة ظاهرة .[٦١]

ويقول لودز إنه بموجب هذه النظرية يصبح من الصعب أيضا تعليل الحقيقة التي تقول إنه خلال المدة من عام ١٥٠٠ ق.م . وحتى عام ١٢٠٠ ق.م كانت صناعة الخزف على أيدي الحرفيين والفنانين الفلسطينيين مزدهرة بتأثير من الحضارة الايجية ، وهناك أدلة وافرة على تقدم الفلسطينيين في هذه الصناعة بحيث يمكن اعتبار هذه المدة بالذات العصر الذهبي لصناعة الخزف الكنعانية .[٦٢]

(٦٠) لودز ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .
(٦١) لودز ، ص ١٨٣ .
(٦٢) لودز ، ص ١٨٣ .

ويضيف قائلا إنه يبدو غريبا أن ازدهار هذا الفن يتطابق ـ وفق النظرية المشار اليها ـ مع غزو البلاد من قبل أناس بدويين[٦٣] كانوا بالتأكيد أقل حضارة من السكان الأصليين . الا أن الأمر يبدو طبيعيا أكثر اذا ما اعتبرنا وصول هؤلاء « البرابرة » ـ على حد تعبير لودز ويعني بهم الاسرائيليين ـ الى فلسطين يجب أن يتطابق مع أفول تلك الصناعة بعد عام ١٢٠٠ ق.م وهو أمر لدينا الأدلة عليه .[٦٤]

ويرى لودز أن دخول بني اسرائيل الى أرض كنعان كان أثناء حكم مرنبتاح .[٦٥] . ويرى كثير من العلماء أن الضغط على بني اسرائيل كان في عهد رمسيس الثاني ، وخروجهم من مصر بقيادة موسى كان في أيام حكم خليفته وهو ابنه مرنبتاح الأول المتوفى سنة ١٢١٥ ق.م[٦٦] .

الا أن بعض الباحثين يرون أن خروج بني اسرائيل من مصر حدث عندما كان الارتباك والضعف على أشدّه في عهد مرنبتاح الثاني من ملوك الأسرة التاسعة عشرة .

ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي نقلا عن مانيتون المؤرخ المصري الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وكتب تاريخا شاملا لملوك مصر وسيرتهم ـ يقول إن الاسرائيليين ثاروا ثورة عاتية زمن مرنبتاح الثاني[٦٧] فزحف عليهم وقتل منهم كثيرين ، ففروا فطاردهم الى أن خرجوا من مصر .[٦٨]

ويقول بريستد إنه لما زاد الضغط على بني اسرائيل في أعمال البناء التي كانوا مسخرين لها في عهد رمسيس الثاني ، هربت احدى قبائلهم تخلصا من العذاب ، وهذا ما يسوغ القول ان بني اسرائيل خرجوا على دفعتين من مصر ، دفعة صغرى في عهد رمسيس الثاني ودفعة كبرى في عهد مرنبتاح الأول أو الثاني ـ والثاني هو المرجح ـ وهي التي خرجت بقيادة موسى . ويصبح من المرجح أن الدفعة الأولى دخلت فلسطين وعاشت مع سكانها الأولين سلما كما فعلت أسرة ابراهيم ، ثم ثارت فنكل بها مرنبتاح الأول وأبادها[٦٩] وقد أثبت ذلك في النقش الحجري المعروف باسمه .

يقول المؤرخ المصري الدكتور سليم حسن لقد عبر موسى وقومه البالغ عددهم حوالي (٥٥٥٠) نسمة بحيرة المنزلة ـ لا البحر الأحمر ـ في طريقهم الى سيناء ومن ثم الى فلسطين[٧٠] وكان ذلك حوالي عام ١٢٢٧ ق.م على رأي بعض الثقات من المؤرخين .

---

(٦٣) ويعني بهم بني اسرائيل .
(٦٤) نفس المرجع والصفحة .
(٦٥) لودز ، ص ١٨٨ .
(٦٦) بلادنا فلسطين للدباغ ، ص ٥٢٦ . وعلى رأى بعض المؤرخين كانت وفاة مرنبتاح سنة ١٢٢٥ ق.م (انظر : لودز ، ص ١٨١) .
(٦٧) ويسميه بعض المؤرخين (منفتاح) أو (مرنفتاح) .
(٦٨) محمد عزة دروزة ، تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ، ص ٦٩ نقلا عن بريستد .
(٦٩) المرجع السابق ، ص ٦٩ ، ٧٠ .
(٧٠) الدكتور سليم حسن ، مصر القديمة ١٢٠/٧ ، ١٣٣ .

وجاء في سفر الخروج أن عدد بني اسرائيل الذين خرجوا مع موسى كان نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأطفال[٧١]، وجاء في سفر العدد أن عدد بني اسرائيل الذين أحصاهم موسى وهارون عند خروجهم من الذين أعمارهم فوق عشرين سنة كان ستمائة وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين (٦٠٣٥٥٠) نسمة[٧٢] عدا اللاويين الذين بلغ عدد ذكورهم (٢٢٠٠٠) . وهذا يعني أن عددهم جميعا حين خروجهم كان نحو مليون ونصف أو أكثر اذا ما أضيف النساء والأولاد الذين هم دون العشرين ، وهذا الرقم لا يمكن أن يكون صحيحا وهو غير معقول ، ومن المبالغات التي اختلط فيها الخيال مع الذكريات والروايات عبر الأجيال المتعاقبة .[٧٣] وقد رفض جون برايت العدد الوارد في التوراة ، وبين بالحساب أننا لو قبلنا ذلك العدد من ذوي الأعمار العسكرية لبلغ عدد الخارجين (٢ ـ ٣) مليون نسمة ، مما لا يمكن أن تعتني بنساء هذا العدد قابلتان فقط (الخروج ١ : ١٥ ـ ٢٢)[٧٤] .

أوردنا قبل قليل أن فرعون وافق على خروج بني اسرائيل من مصر بعد الضربات المتعددة التي نزلت بفرعون وقومه ، ولكنه عندما علم بأنهم في طريقهم للخروج تراجع عن رأيه ، فشد رحاله ولحق ببني اسرائيل فأدركهم عند البحر ، فأمر الرب موسى أن يضرب بعصاه البحر فانشق فدخل بنو اسرائيل في وسط البحر وأصبح الماء سورا لهم عن يمينهم وعن شمالهم ، وفرعون وقومه خلفهم ، وما أن خرج موسى وقومه الى اليابسة حتى أطبق الماء على المصريين بمركباتهم وفرسانهم على حد رواية التوراة .[٧٥]

ويقول القرآن الكريم في هذا الشأن : « وأوحَيْنا الى موسى أن أسْرِ بعبادي إنكم مُتَّبَعُون . فأرسل فرعون في المدائن حاشرين » .. « فلمّا تراءى الجَمْعَان قالَ أصحابُ موسى إنا لَمُدْرَكُون . قال كلّا إن معي ربِّي سيَهدين . فأوحَيْنا الى موسى أن اضربْ بعصاك البحرَ فانفَلَقَ فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم . وأزلَفْنا ثَمَّ الآخرين . وأنْجَيْنَا موسى ومَنْ معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين » .[٧٦]

غير أن (فرويد) يقول إن موسى نفذ عملية الخروج من مصر بسلام وبدون مطاردة أو ملاحقة من أحد ، وقد ساعده على ذلك نفوذه الكبير ، اذ كان أحد رجال البلاط الملكي ، وربما كان في ذلك الوقت حاكما لمقاطعة جاسان التي تقع على الحدود ، بالاضافة الى كون السلطة المركزية التي يمكنها التدخل في الأمر معدومة ـ وقتها ـ ولم يكن لها أي وجود ، وهو يرى أن الخروج لا بد أن يكون قد حدث خلال الفترة من

---

(٧١) الخروج ١٢ : ٣٧ .
(٧٢) سفر العدد ١ : ٤٦ .
(٧٣) الشيخ رحمة الله الهندى ، اظهار الحق ص ٩٠ ؛ دروزة ص ٧٠ .
(٧٤) عروبة فلسطين للعامرى ، ص ١١٧ .
(٧٥) الخروج ١٤ : ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢١ ـ ٢٣ ، ٢٦ ـ ٢٨ .
(٧٦) الشعراء ٥٢ ، ٥٣ ، ٦١ ـ ٦٦ .

١٣٥٨ الى ١٣٥٠ ق.م أي بعد موت اخناتون وقبل قيام (حار محاب) Haremhab باعادة تأسيس سلطة الدولة .(٧٧)

●●●

بنو اسرائيل في سيناء بعد خروجهم من مصر

خرج موسى وقومه الى برية سيناء حيث أقاموا ردحا من الزمن ، فأخذ بنو اسرائيل يتذمرون فقالوا لموسى وهارون أخيه : (ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر اذ كنّا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع . فانكما أخرجتمانا الى هذا القفر لكي تُميتا كلَّ هذا الجمهور بالجوع)(٧٨) .

ان هذا الموقف التذمري تكرر مرارا من قبل بني اسرائيل ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على أن الايمان لم يعمر قلوبهم ، كما يدل على ضعف مقاومتهم وروحهم التعجيزية ، فكفروا بأنعم الله ومعجزاته التي رأوها بأم أعينهم .. ومن نعم الله عليهم أن أظلهم بالغمام ليقيهم حرارة الصحراء اللافحة ، وأنزل عليهم المن والسلوى غذاء طيبا بعد خروجهم من مصر .(٧٩)

وعندما لم يجدوا ماء في الصحراء فجر الله لهم العيون ليشربوا .(٨٠)

والعجيب في أمر بني اسرائيل أن هذه المعجزات الخارقة لم تقنعهم بالرسالة التي جاءهم بها موسى عليه السلام ، فظلوا يتحيّنون الفرص للنكوص عن دعوته ومخالفته في كل شيء .. فقد رفضوا الطعام الذي أنزل اليهم من السماء ، ذلك الطعام الذي لم يكن يخطر ببالهم أبدا وهم يرزحون تحت نير العبودية ويأكلون الفتات ، فكفروا بنعمة الله .. فضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله لأنهم كفروا بآياته .(٨١)

ولما ذهب موسى لميقات ربه ومكث على الجبل أربعين ليلة عاد بعدها فماذا وجد ؟ ! وجد بني اسرائيل قد اتخذوا لهم وثنا إلها صاغوه من حليّ نسائهم وشكلوه على هيئة عجل وعبدوه(٨٢) فغضب الرب عليهم لأنهم « شعب صلب الرقبة »(٨٣) .

---

(٧٧) S. Freud, Moses and Monotheism, Translated and Edited by James Strackey, London 1974, PP. 28 – 29.

إن هذا الافتراض يجعل زمن الخروج قبل أكثر من قرن من الزمن الذى يفترضه معظم المؤرخين الذين يجعلونه أيام حكم مرنبتاح .

(٧٨) الخروج ١٦ : ٣ .

(٧٩) البقرة : ٥٧ .

(٨٠) البقرة : ٦٠ .

(٨١) البقرة : ٦١ .

(٨٢) الأعراف : ١٤٨ .

(٨٣) الخروج : ٣٢ : ٩ .

ثم تنقل بنو اسرائيل في سيناء من قادش وحضيروت الى برية فاران . وتقول التوراة إن الرب أمر موسى بارسال رجال يتجسسون أرض كنعان التي وعدهم بها ، فاختار رجلا من كل سبط وأرسلهم لمعرفة الأرض وأحوال سكانها ، وليجيئوا بمعلومات مفيدة قبل الاغارة على البلاد .[٨٤]

وذهب الجواسيس في مهمتهم ، وبعد عودتهم أخبروا موسى بأن الأرض « تفيض لبنا وعسلا » ، وأحضروا معهم شيئا من ثمرها .[٨٥]

وأما عن سكان الأرض فيقول الجواسيس : إنهم معتزون بأنفسهم ، والمدن حصينة ، وأخذوا يشيعون في بني اسرائيل أن الأرض تأكل ساكنيها خوفا من هؤلاء السكان .. وكان فيهم العمالقة .[٨٦]

ونرى هنا التناقض في رواية الجواسيس ، فبعد أن وصفوا الأرض لموسى ، وقالوا إنها (تفيض لبنا وعسلا) ، وأحضروا له شيئا من ثمرها ، عادوا وأشاعوا بين بني اسرائيل غير ذلك .. أما ماذا كان رد الفعل عند بني اسرائيل ، فقد أخذوا يتآمرون على موسى وهارون بقصد إقامة رئيس جديد عليهم يعيدهم الى مصر .[٨٧]

فعلم موسى بما في نفوسهم وما يضمرون ، وأخبرهم أن الرب سمع كلامهم وأقسم قائلا : « لن يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة »[٨٨] .

إلا أن اثنين من الجواسيس وهما كالب بن يَفُنَّه ويشوع بن نون حاولا بث الشجاعة في قلوب الناس ، مما أثار غضب جمهور بني اسرائيل ، فحاولوا رجمها بالحجارة .. فقضى الرب على ذلك الجيل بالفناء ، باستثناء كالب ويشوع ، وعلى أبنائهم بالتيه في الصحراء أربعين سنة[٨٩] .

يقول لانكستر هاردنج : عندما وجد موسى ومن معه مقاومة من سكان شرقي الأردن من الأدوميين والعموريين ، اضطر أن يسلك طريقا طويلة الى خليج العقبة ، ثم الى جهات (معان) ثم الى (مأدبا) مارين دائما بتخوم الصحراء .[٩٠]

وقد استمر بنو اسرائيل في رحلتهم فنزلوا (وادي الحسا) ومنه الى (الموجب) فاصطدموا مع (سيحون) ملك الأموريين الذى أبى أن يسمح لهم بالمرور بأرضه ، فهزموه وقتلوه ، فكان ذلك أول انتصار

---

(٨٤) العدد ١٣ : ١٧ ـ ٢٠ .
(٨٥) العدد ١٣ : ٢١ ـ ٢٧ .
(٨٦) العدد ١٣ : ٢٨ ـ ٣٢ .
(٨٧) العدد ١٤ : ١ ـ ٤ .
(٨٨) التثنية ١ : ٢٧ ـ ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ .
(٨٩) العدد ١٤ : ١٠ ـ ١١ ، ٢٨ ـ ٣٣ .
(٩٠) لانكستر هاردنج ، آثار الأردن ، ص ٢٨ .

لهم في طريقهم الى فلسطين ، واستولوا على أرضه . ثم تقدموا شمالا الى حوران ، فانتصروا على ملكها (عوج) وأخذوا أرضه . وهكذا تم لهم الاستيلاء على جميع البلاد الواقعة بين نهر الموجب جنوبا وبلاد حوران شمالا . ويعود الفضل في ذلك الى كثرة جماعة موسى بالنسبة الى أعدائهم ، والى التنظيمات التى أدخلها موسى ، وما كان لشخصيته الفذة القوية من التأثير عليهم.[91]

وقد توفي موسى وهو يقود قومه في طريقه الى فلسطين التى رآها من الجبال العالية في شرقي الأردن دون أن يدخلها ، ودفن في (جبل نبو) على مسيرة عشرة كيلو مترات الى الشمال الغربي من مأدبا . تقول التوراة : (وصعد موسى من عربات موآب الى جبل نبو الى رأس الفسجة الذى قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض .. فمات هناك موسى عبدالرب في أرض موآب حسب قول الرب . ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره الى هذا اليوم)[92] .

●●●

يشوع يقود بني اسرائيل لدخول فلسطين

جاء في التوراة ما يفيد بأن الرب أخطر موسى بدنوّ أجله ، وأن موسى طلب من الرب تعيين وكيل ليقود بني اسرائيل حتى لا يكونوا (كالغنم التي لا راعي لها) ،[93] فكان يشوع بن نون هو الذي خلف موسى في قيادة بني اسرائيل[94] لدخول أرض كنعان . وقد أوردت التوراة الخطة التى يجب أن يتبعها بنو اسرائيل عند دخولهم الأرض ليملكوها ، هذا هو نصها : « متى أتى بك الرب الهك الى الأرض التى أنت داخل اليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوّيين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ، ودفعهم الرب الهك أمامك وضربتهم فإنك تحرّمهم ـ أي تبيدهم وتفنيهم ـ لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ، ولا تصاهرهم . بنتك لا تُعطِ لابنه وبنته لا تأخذ لابنك . لأنه يردّ ابنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى فيحمي غضب الرب عليكم ويهلككم سريعا . ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار . لأنك أنت شعب مقدس للرب الهك . إياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعباً أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » .[95]

---

(٩١) بلادنا فلسطين للدباغ ، ص ٥٤٨ .

(٩٢) التثنية ٣٤ : ١ ، ٥ ، ٦ . وقول التوراة : (فمات هناك موسى .. ولم يعرف إنسان قبره الى هذا اليوم) قرينة ـ في نظر النقاد والباحثين ـ على التحريف الذى تعرضت له التوراة ، فلا يعقل أن يكتب موسى نفسه خبر وفاته ، بل إن كتابة هذا النص كانت بعد وفاته بزمن طويل ، بحيث اندثر قبره ولم يعرف أحد مكانه الى زمن كتابة النص .

(٩٣) سفر العدد ٢٧ : ١٧ .

(٩٤) العدد ٢٧ : ١٨ .

(٩٥) التثنية ٧ : ١ ـ ٦ .

كان يشوع من الذين آزروا موسى وعضدوه ، وتقول التوراة إنه كان خادمه[96] ، وهو من جملة الجواسيس الذين أرسلهم موسى لاستكشاف أرض كنعان ومعرفة أحوالها وأحوال سكانها . فلما آلت إليه قيادة الاسرائيليين كان عليه أن ينفذ الخطة الواردة في التوراة والتي تهدف الى إبادة السكان الأصليين في أرض كنعان والحلول محلهم . وتضيف التوراة الى الخطة التي أوردنا نصها قبل قليل أمر الرب الموجه الى يشوع بعبور نهر الأردن الى الأرض التي تقول التوراة إنه أعطاها لبني اسرائيل ، ومما جاء في الأمر : « ... كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم »[97] .

وتقول التوراة إن يشوع أرسل اثنين من الجواسيس الى أريحا[98] ليقف على حقيقة الوضع فيها قبل مهاجمتها ، اذ كانت خطته أن يدخل فلسطين من حدودها الشرقية عند أريحا . وقد طمأنه الجاسوسان الى أن الذعر استولى على السكان من أخبار بني إسرائيل .

وقد استغل يشوع حالة الذعر هذه فعبر الأردن في نحو عام ١١٩٠ ق.م[99] وبدأ بأريحا فحاصرها ثم اقتحم حصونها ودك أسوارها . الا أن التوراة تقول إن أسوارها سقطت عندما هتف الشعب وضربوا بالأبواق : « وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور في مكانه وصعد الشعب الى المدينة »[100] .

ويشك بعض المؤرخين في أمر الغزو ، ويظنون أن الدخول كان تسللا خلال زمن طويل .. تقول الدكتورة كاثلين كنيون في كتابها (حفريات أريحا) عن غزوة يشوع وجماعته : « لم يشمل دخول العبرانيين الى مصر وخروجهم منها سائر أسلافهم .. لذلك ليس من الضروري أن نعتقد أن جميع قبائل بني اسرائيل اشتركت مع يشوع في الدخول الى الارض الموعودة » . وتستمر قائلة : « وعلى أي حال فقد مرت فترة طويلة على غزوة يشوع قبل تأسيس أول مملكة عبرانية ـ هي مملكة داود ـ سنة ١٠٠٠ ق.م . وهذا يؤكد ان الدخول لم يكن بقوة كبيرة ، وانما بعصابة (band) صغيرة استولت على الأرض تدريجيا ، ثم جمعت تحت سيطرتها ، تدريجيا أيضا ، القبائل الحليفة ـ أي قبائل العبيرو الآخرين ـ وذلك على الأرجح بتأثير المعتقدات الدينية . لذلك يجب أن لا نفاجأ حين لا نجد سجلا أثريا يدل على غزو ضخم عندما تم تدمير أريحا » .[101]

---

(٩٦) سفر يشوع ١ : ١ .
(٩٧) يشوع ١ : ٣ ، ٤ .
(٩٨) يشوع ٢ : ١ .
(٩٩) عروبة فلسطين للعامرى ، ص ١١٩ . ويقول السير فلندرز بيترى في كتابه : (.. Palestine and Israel) إن دخوله كان عام ١١٨٦ ق.م . (انظر : بلادنا فلسطين ، ص ٥٥٢) .
(١٠٠) يشوع ٦ : ٢٠ .
(١٠١) Kenyon : Digging up Jericho, PP. 258 – 259.

وتفترض الدكتورة كنيون أن العصابات التي هاجمت أريحا كانت تتألف من فرسان راكبين، أوانها استعملت القذائف أو رمت بالرماح أو استخدمت المنجنيق.(١٠٢)

وتقول التوراة إن يشوع وقومه « حرّموا - أي أفنوا - كلّ مافي المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف .. وأحرقوا المدينة بالنّار مع كلّ مابها. إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب ».(١٠٣)

ويذكر جارودي استنادا لما قاله الأب دوفو أن البحوث التاريخية اللاحقة قد أثبتت أن بني اسرائيل الذين وصلوا الى أريحا في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لم يستطيعوا الاستيلاء على المدينة لأنها كانت حينئذ قد هجرت.(١٠٤)

بعد إخضاع أريحا توجه يشوع الى (عاي) الواقعة خرائبها بجوار بلدة (دير دبوان) الحالية، فهزم أهل المدينة بني إسرائيل في البداية، فحثا شيوخهم التراب على رؤوسهم ومزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه وخاطب الرب قائلا: « لماذا أجزت هذا الشعب (نهر) الأردن لتسلمنا الى أيدي الأموريين ليبيدونا »(١٠٥) فأخبره الرب أنه إنما خذلهم لأن أحدهم سرق من غنائم أريحا، فأمر برجمه. وحينئذ وعده الرب بالنصر، فأرسل جيشا من ثلاثين ألف محارب لاخضاع المدينة. فخرج ملك (عاي) للقائهم، ولكنه لم يقدر عليهم لكثرة عددهم فدارت الدائرة عليه، فأمسكوه حيا وسلموه ليشوع الذي صلبه على خشبة حتى غروب الشمس ثم أنزلوا جثته وطرحوها عند مدخل المدينة(١٠٦). وتقول التوراة في شأن إخضاع مدينة العاي إن الرب أمر يشوع أن « تفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها، غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم »(١٠٧) وقد استولى يشوع على جميع مافي المدينة من أموال ومواش، وقتل رجالها ونساءها، فكان عدد القتلى اثني عشر ألفا، ثم أمر باحراقها. تقول التوراة: « فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفا جميع أهل عاي .. وأحرق عاي وجعلها تلّا أبديا خرابا الى هذا اليوم ».(١٠٨)

واستمر تقدم بني اسرائيل في أرض كنعان (فلسطين) فأخضعوا الكثير من المدن بالطريقة نفسها التي أخضعوا بها أريحا وعاي، الا أن مدنا كثيرة بقيت في أيدي الكنعانيين ولم يتمكن يشوع من اخضاعها

---

(١٠٢) نفس المرجع.
(١٠٣) يشوع ٦ : ٢١، ٢٤.
(١٠٤) جارودى، فلسطين أرض الرسالات، ص ٦٨.
(١٠٥) يشوع ٧ : ٧.
(١٠٦) يشوع ٨ : ٢٩.
(١٠٧) يشوع ٨ : ٢.
(١٠٨) يشوع ٨ : ٢٥، ٢٨.

ومنها بيسان ومجدو وعكا وسهولها والطنطورا وقسم كبير من شمال شرقي فلسطين ويبوس ـ وهي أورشليم أو القدس ـ وجازر. كما أن الساحل بكامله من الكرمل الى سيناء بقي في أيدي الفلسطينيين. [١٠٩]

يقول صاحب قصة الحضارة: « أقام يشوع حكمه على قانون الطبيعة الثاني، وهو أن أكثر الناس قتلا هو الذي يبقى حيا. وبهذه الطريقة الواقعية التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة ». [١١٠]

ويقول جارودي اعتمادا على رأي الأب دوفو إن قصة « الاستيلاء على عاي » من قبل يشوع هي أكثر قصص الغزو تفصيلا، فهي لا تتضمن أي عنصر خارق، بل وتبدو كأنها الأكثر احتمالا، ولقد كذبها ـ بكل أسف ـ علماء الآثار.. فعندما وصل الاسرائيليون لم يكن هنالك مدينة في عاي، بل كانت أنقاضا قديمة منذ ألف ومائتي عام[١١١] .

أما جوستاف لوبون فيشير الى فظائع بني اسرائيل في فلسطين والى أن فظائعهم لم تقتصر على ما قاموا به من قتل وسلب في أيام قائدهم يشوع فيقول: « يعرف قراء التوراة وحشية اليهود التى لا أثر للرحمة فيها، وما على القارىء، ليقنع بذلك، إلا أن يتصفح نصوص سفر الملوك التى تدلنا على أن ملوكهم كانوا يأمرون بحرق جميع المغلوبين وسلخ جلودهم ووشرهم بالمنشار. وكان الذبح المنظم بالجملة يعقب كل فتح مهما قل، وكان الأهالي الأصليون يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة فيبادون باسم يهوه من غير نظر الى الجنس ولا الى السن، وكان التحريق والسلب يلازمان سفك الدماء ». [١١٢]

ويقول (ويلز): عندما غزا بنو اسرائيل فلسطين بقيادة يشوع اصطدموا بشعب جديد على البلاد، وهذا الشعب هو المسمى بالفلسطينيين الذين استوطنوا الساحل في مدن أشهرها غزة، جت، اسدود، عسقلان وعقرون. لقد كان الفلسطينيون ـ كالعبرانيين ـ قادمين جدد، ومن المحتمل أنهم كانوا في غالبيتهم من الكريتيين القادمين من البحر ومن الشمال، حيث سبق لهم أن تحالفوا مع الحثيين ـ وكان هؤلاء في آسيا الصغرى وما حولها ـ ومع غيرهم من الأجناس الآرية الأخرى. وهكذا فان غزو بني اسرائيل الذى بدأ كهجوم على الكنعانيين، سرعان ما تحول الى صراع طويل غير ناجح مع هؤلاء الفلسطينيين الأشداء. إنه لا يمكن الادعاء مطلقا بأن أرض الميعاد كانت بكاملها في قبضة بني اسرائيل.. ومن تتبعنا لما ورد في أسفار العهد القديم مثل يشوع، القضاة، روث، صموئيل الأول والثاني، الملوك الأول والثاني، وأخبار الأيام،

---

(١٠٩) بلادنا فلسطين للدباغ، ص ٥٥٤.
(١١٠) ول ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول ـ الجزء الثاني ـ القاهرة ١٩٥٠، ص ٣٢٧.
(١١١) فلسطين أرض الرسالات الالهية، ص ٦٩.
(١١٢) جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٤٧.

فاننا نجد الفلسطينيين قد وطدوا أقدامهم بثبات في الأراضي الخصبة على طول الساحل الجنوبي ، بينما نجد الكنعانيين والفينيقيين صامدين أمام الاسرائيليين في الشمال . إن انتصارات يشوع الأولى لم تتكرر.(١١٣)

ويتفق (جون باولي) مع (ويلز) في القول بأن الفلسطينيين كانوا موجودين في فلسطين عندما غزا بنو اسرائيل بلاد كنعان (فلسطين) .(١١٤)

وقام يشوع بتوزيع الأراضي والمدن التي تمكن من إخضاعها على اسباط بني اسرائيل ، وتعترف التوراة بأن أراضي كثيرة لم يتمكن يشوع من احتلالها ، فقد جاء في سفر يشوع : (وشاخ يشوع ، تقدم في الأيام ، فقال له الرب أنت قد شخت ، تقدمت في الأيام ، وقد بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك ....)(١١٥) ونجد في الاصحاح الثالث عشر تفصيلا لهذه الأرض وهي كثيرة وواسعة في الجنوب والغرب والشمال . ويموت يشوع عن مائة وعشر سنين ويدفن قرب نابلس حاليا(١١٦) وتؤول زعامة بني اسرائيل الى زعماء منهم أسموهم (القضاة) ولسيرتهم سفر خاص في التوراة .

● ● ●

عهد القضاة

بعد موت يشوع جاء عهد عرف بعهد القضاة لأن الزعماء والقواد الذين قادوا بني اسرائيل بعده سموا «قضاة» وقد بلغ عددهم أربعة عشر قاضيا امتد حكمهم قرابة مائة وخمسين عاما على الرغم من أن حساب سفر القضاة يجعل حقبتهم تمتد الى نحو (٣٥٠) سنة.(١١٧)

ويقرر (ويلز) الحالة التي كان عليها بنو اسرائيل في هذا العهد فيقول: «إن سفر القضاة عبارة عن سجل كئيب محزن لفشل بني اسرائيل وخذلانهم .. لقد طارت قلوبهم.. فتركوا عبادة إلههم «يهوه» وعبدوا «البعل» و«عشتروت» ـ وهما من آلهة الكنعانيين ـ لقد اختلطوا بالفلسطينيين والحثيين وغيرهم، فأصبحوا من ثم شعبا مختلط الأجناس.. لقد شنوا ـ بقيادة سلسلة من حكامهم وأبطالهم ـ حروبا فاشلة، في معظمها، ضد

---

(١١٣) Wells, The Outline of History. PP. 256, 257.

(١١٤) Bowle, A New Outline of World History, P. 121.

(١١٥) يشوع ١٣ : ١ .

(١١٦) يشوع ٢٤ : ٢٩ ، ٣٠ .

(١١٧) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ، ص ١٢٢ . ويقول محمد عزة دروزة إن حقبة القضاة لا تزيد على المائة سنة ، حيث إن الملك الرسمى لبنى اسرائيل قام حوالى عام (١٠٣٠ ق . م) ـ بتولى شاؤل الملك ـ وكان خروج بنى إسرائيل من مصر في أواخر القرن الثالث عشر ق . م (حوالى عام ١٢١٠ ق . م) واستمرت زعامة موسى ويشوع من بعده نحو (٨٠) سنة . انظر دروزة ص ١٢٣ ؛ بلادنا فلسطين ص ٥٥٥ ؛ عروبة فلسطين ، ص ١٣٨ .

أعدائهم.. لقد هزموا من قبل المؤابيين والكنعانيين والمدينيين والفلسطينيين على التوالي. إن قصة هذه الصراعات، بالاضافة الى قصص جدعون وشمشون وأبطالهم الآخرين مفصلة في سفر «القضاة»(١١٨).

ويقول (مايرز): لم تكن هناك وحدة تجمع أسباط بني اسرائيل خلال عصر «القضاة» بل كان الخطر المشترك من قبل أعدائهم وخاصة الفلسطينيين يشمل جميع قبائلهم(١١٩).

أما (أولبرايت) فيؤكد الوضع البدائي الذى كان عليه بنو اسرائيل قائلا: لقد كان هناك فرق واضح في النظام السياسي بين مختلف الشعوب التى كانت تقطن في فلسطين وجنوب سوريا في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. فبينما كان بنو اسرائيل يدافعون عن اتحادهم المفكك الأوصال وغير المترابط، معتمدين في قيادتهم على قيادات تبرز بينهم بشكل عفوي تلقائي، كانت الأمم المحيطة بهم تتمتع بنظم سياسية على درجة عالية من التنظيم والرقي. لقد كان لكل من الأدوميين والمؤابيين والعمونيين ملوك أرقى من أن يعدوا أمراء قبليين - كما هو الحال عند غيرهم - وكما عرفنا من المكتشفات الأثرية «كنقش بالوعة» Balu'ah Stela الذى يرجع الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، «ونقش ميشع» Meshe Stone الذي يرجع الى القرن التاسع قبل الميلاد، واللذين يؤكدان المعطيات الواردة في العهد القديم بهذا الشأن(١٢٠).

ويضيف (أولبرايت): أما بالنسبة للفلسطينيين فكان لهم سادتهم الذين يبدو أنهم كانوا مستبدين بتأثير من الزعماء الايجيين، وكان الكنعانيون الذين يعيشون في فينيقيا (وهي لبنان حاليا) منظمين في مدن اتخذت شكل الدول على الطراز الذي كان سائدا في العصر البرونزي، وكانوا متحررين من أية هيمنة خارجية. وكانت تجارتهم التي امتدت وتوسعت الى أبعد مدى في بداية العصر الحديدي، قد جعلت من (صور) و(صيدا) و(بيبلوس) أمما قوية لها سلطانها الخاص المتمركز بيد الملك، يشهد بذلك ماجاء في المصادر المصرية ومصادر العهد القديم نفسه،بالاضافة الى الآثار المحلية التي تم اكتشافها في تلك المدن(١٢١).

ويقول (جوستاف لوبون) عن عهد القضاة: قضى العبريون زمنا طويلا ليكون لهم سلطان ضئيل في فلسطين لا أن يكونوا سادتها. وهم، اذ كانوا منقسمين - كالكنعانيين - الى عدة عشائر، لم يتفقوا فيما بينهم حتى على اكمال الفتح. ومضى جميع دور القضاة الذي عد دور بطولة العبريين التاريخي، في القتال الجزئي بجماعات صغيرة، وذلك بأن تدافع كل جماعة بمشقة عما استولت عليه من قطعة أرض. هذا النوع من القتال كان قتالا بين الزراع والرعاة وبين الحضريين والبدويين.. ومما يقع احيانا ان يكتفي البدوي بغزو البلاد الزراعية، فاذا ما انزل ضربته وحمل خيله وجماله ماغنمه لاذ بالفرار وأوغل في الصحراء وتوارى فيها..

---

(١١٨) Wells, The Outline of History, P. 257.

(١١٩) Myers, General History, P. 35.

(١٢٠) Albright, From The Stone Age to Christianity, P. 289.

(١٢١) نفس المرجع والصفحة.

ولكن الذى يقع في الغالب هو ان يميل الى حياة الزراع المطمئنة المنتظمة فينساب بينهم ويقيم عندهم قهرا، فاذا مضى دور الخصام رضى به جيرانه واختلط بهم. ولم يكن غير ذلك غزو بني اسرائيل لفلسطين، وذلك مع الفارق القائل ان عدد بني اسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم في مصر وحرمانهم الهائل في التيه جمع بينهم واقنطهم فصاروا كقطيع من الذئاب الهزيلة التي دفعها الجوع الى الاقتراب حتى من المدن[١٢٢].

ويستمر لوبون قائلا: والحق انك لا تجد «قاضيا» استطاع أن يبسط سلطانه على جميع بني اسرائيل، فكل واحد من هؤلاء الحكام أو الشيوخ كان يتسلم قيادة زمرة واحدة عندما تُهَدَّد هذه الزمرة تهديدا مباشرا، وهو اذا ماكتب له النصر لم يحتفظ حتى بتلك القيادة.. ومن يقرأ سفر صموئيل وسفر القضاة بشيء من روح النقد يبصر دور العنت الذى جاوزه بنو اسرائيل في استقرارهم بفلسطين، غير ان هذه الأقاصيص نفسها اذا مانظر اليها من خلال ابخرة الحماسة الدينية، ألقت في النفوس وهما قائلا: ان ذلك الفتح ساطع معجز[١٢٣] !!

وهكذا يتضح لنا مما جاء في سفر القضاة نفسه، ومن المراجع التاريخية والأثرية ان بني اسرائيل زمن قضاتهم لم يستطيعوا ان يمدوا سلطانهم على جميع فلسطين.. بل اننا نستطيع القول ان الشعوب التى كانت تقطن في غرب الاردن وشرقه من فلسطينيين واموريين وكنعانيين ومؤابيين وعمونيين وأدوميين، ظلت مستقرة في الأرض محتفظة بشخصياتها وكياناتها القومية، بل وكانوا اصحاب تأثير قوي في بني اسرائيل دينيا واجتماعيا. وكان الفلسطينيون في الجنوب بنوع خاص أصحاب قبضة واستعلاء[١٢٤].

ويكفينا هنا أن نشير الى معركة واحدة وقعت بين الفلسطينيين وبني اسرائيل وقد دارت رحى هذه المعركة في (أفيق) وتمكن الفلسطينيون فيها من هزيمة بني اسرائيل فقتلوا منهم أربعة آلاف[١٢٥]. ثم رجع الاسرائيليون الى «شيلوه» حيث يوجد (تابوت عهد الرب)[١٢٦] فحملوه معهم للاستنصار به. ولما عرف الفلسطينيون ذلك لم يجزعوا بل قاتلوا كما لم يقاتلوا من قبل مصممين على النصر. فهزم الاسرائيليون هزيمة منكرة، وقتل منهم ثلاثون ألف رجل كان من بينهم (حفني) و(فينحاس) ابنا (عالي) الكاهن، وكانا فاسقين منحرفين وفي نفس الوقت هما اللذان يحملان التابوت المقدس.. ووقع التابوت بيد الفلسطينيين. وقد أثارت نتيجة هذه المعركة الذعر في نفوس بني اسرائيل مما جعلهم يمزقون ثيابهم وينصبون المناحات في كل بيت.. ووصل الخبر الى (عالي) الكاهن وكانت الشيخوخة قد هدته، فسقط عن كرسيه فاندقت عنقه ومات بعد ان قضى لبني اسرائيل اربعين سنة[١٢٧].

---

(١٢٢) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٣٤، ٣٥.
(١٢٣) نفس المرجع، ص ٣٥، ٣٦.
(١٢٤) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم، ص ١٣٢.
(١٢٥) سفر صموئيل الأول ٤ : ٢.
(١٢٦) هو الصندوق الذى كانوا يحفظون فيه المدونات الدينية المقدسة التى سلمها موسى لبنى لاوى.
(١٢٧) صموئيل الأول ٤ : ٤، ٩ـ ١١، ١٨.

ويعلق (لودز) على هذه المعركة وما ترتب عليها من نتائج قائلا: لقد ارجع المؤرخون الذين انصب اهتمامهم على مصير التابوت المقدس، ارجعوا بشيء من الغبطة، الضربات التى نزلت بالفلسطينيين المنتصرين، الى كون التابوت موجودا بين ظهرانيهم بعد استيلائهم عليه، مما أجبرهم على اعادته. ولكن هؤلاء المؤرخين لا يخبروننا شيئا عن النتائج التى ترتبت على هزيمة بني اسرائيل. غير أننا نستطيع أن نتبين خطورة الموقف. فلا يوجد أدنى شك في ان (شيلوه) التي كان هيكلها مسكنا (لتابوت العهد)، قد دمرت[128]. حيث إن التابوت لم يوضع فيها بعد ان أعاده الفلسطينيون، كما أن كهنة شيلوه هجروها الى (نوب).. بالاضافة الى ذلك فان الفلسطينيين اقاموا نصبا تذكاريا في جبع[129] تخليدا لانتصارهم الباهر.. لقد كان من نتيجة هذه المعركة ان فرض الفلسطينيون سيطرتهم على الاسرائيليين ودان هؤلاء لهم بالسيادة في معظم مناطق تواجدهم في فلسطين[130].

وفي عهد القضاة اختلط بنو اسرائيل بالكنعانيين وتزوجوا من بناتهم، وكان نتيجة لذلك ان تقدموا في الزراعة وتعلموا منهم سكنى المدن والبناء بالحجارة ورفع الأسوار وغير ذلك. غير أن الفوضى استشرت بينهم وأصبحت طابعهم المميز بالاضافة الى الخلافات المستحكمة بينهم والنكبات التى حلت بهم والانحلال الخلقي والديني الذى عم بني اسرائيل في هذا العهد. ويُعْزَى ذلك الى عدم وجود حكومة مركزية تجمع شتاتهم وتوحد بينهم[131].

ويتفق المؤرخون على أن التفكك الذى حل ببني اسرائيل والخطر الذى كان محدقا بهم من قبل الفلسطينيين بصورة خاصة، وماشاهدوه من أبهة الملك عند الشعوب المحيطة بهم.. كل ذلك أجبرهم على الالتفاف حول قائد واحد يستطيع أن يلم شملهم ويجمع كلمتهم .. حتى يتمكنوا من التصدي لأعدائهم .. فنصبوا عليهم (شاؤل بن قيس) ملكا ينضوون تحت لوائه، وكان ذلك حوالي عام ١٠٢٠ق. م[132].

● ● ●

(١٢٨) انظر: سفر ارميا ٧: ١٢ ـ ١٥؛ ٢٦: ٦؛ المزامير ٧٨: ٦٠.
(١٢٩) انظر: صموئيل الأول ١٠: ٥؛ ١٣: ٣ ـ ٤.
(١٣٠) Lods, Israel ..., P. 351.
(١٣١) بلادنا فلسطين للدباغ، ص ٥٥٦.
(١٣٢) Myers, General History, P. 35; Lods, Israel ... P. 351.
يختلف المؤرخون حول تاريخ بدء حكم شاؤل، إذ يرى مؤرخون آخرون أن حكمه بدأ سنة ١٠٣٠ ق.م، ويرى غيرهم أنه بدأ سنة ١٠٢٥، ويرى آخرون أنه كان سنة ١٠٠٠ ق.م. انظر:

Albright, From the Stone Age to Christianity, P. 290.
Wells, A Short History of the World, P. 76.

شاؤل أول ملوك بني اسرائيل

لم يتشعب ويتباعد مسار الأحداث، ولم تتعدد اتجاهاته في كل تاريخ بني اسرائيل كما تشعب واختلف، عندما قاد مجرى تلك الأحداث الى ارتقاء شاؤل عرش بني اسرائيل. وليس من الصعب معرفة حال الملكية آنذاك، فقد تقلب ذلك الحال فكان بين مد وجزر، يخضع للبيئات المسيطرة المختلفة بين حين وآخر.. اضافة الى ذلك فان شخصية شاؤل قدمت بألوان متعددة اختلفت تبعا لدرجة التعاطف مع خط داود، ذلك التعاطف الذى استحوذ على الذين كتبوا أحداث حقبة شاؤل في التوراة.

لقد اكتفى نقاد التوراة، بالنسبة للروايات المتعلقة بتأسيس الملكية،[١٣٣] بالتمييز بين نوعين منها، أحدهما مؤيد لمبدأ إقامة الملكية، والآخر معاد لهذا المبدأ[١٣٤]. أما حقيقة الموقف كما يقول (لودز) فان شاؤل لفت الانتباه اليه ـ على ما يظهر ـ بانتصاره على الفلسطينيين الذين كانوا يحتلون مدينة (جبع) مسقط رأسه، وكنتيجة لهذا الانجاز نودي به ملكا من قبل اسباط بني اسرائيل[١٣٥].

ولد شاؤل في جبع (أو جبعة) «تل الفول»، في ظاهر بيت المقدس، وهو من قبيلة بنيامين، أضعف قبائل بني اسرائيل وكان تواجد هذه القبيلة في مكان متوسط بين بقية القبائل[١٣٦].

ويعلق جارودي على اختيار شاؤل بقوله: «لم يكن اختيار شاؤل باعتباره اكثر الناس إلهاما، كما كان الأمر بالنسبة «للقضاة» الذين اختارتهم الرابطة المقدسة ، فالشعب هو الذي اختاره، وهكذا كان الانتقال من المقدس الى السياسي. ويبدو أن واضع القصة كان ضائقا بأن اسرائيل التي كانت ـ طبقا للرواية ـ دينية الاتجاه، قد صارت قوة سياسية»[١٣٧].

وكان الرب قد أوحى الى صموئيل بأنه سيجيئه الذى اختاره لقيادة الشعب.. ثم صب على رأسه الدهن وقال له: «ان الرب قد مسحك قائدا على ميراثه». ثم استدعى الشعب في المصفاة وقال لهم: ان الله اختار لكم قائدا لا نظير له في جميع الشعب وكان اطول رجال بني اسرائيل ولم يكن فيهم من هو احسن منه[١٣٨].. فهتف كل الشعب وقالوا ليحيى الملك.. وأما بنو بليعال فقالوا كيف يخلصنا هذا، فاحتقروه»[١٣٩].

---

(١٣٣) أنظر : صموئيل الأول ، الاصحاحات (٧ ـ ١٥) .

(١٣٤) انظر كمثال على النوع الأول : صموئيل الأول ، الاصحاح التاسع ، ثم العاشر : ١ ـ ١٦ ، ٢٧ ، والحادى عشر : ١ ـ ١١ ، ١٥ ، والثالث عشر ، والرابع عشر . وكمثال على النوع الثاني : صموئيل الأول ٧ : ٢ ـ ٨ ، ٢٢ ؛ ١٠ : ١٧ ـ ٢٥ ، ثم الاصحاح الثاني عشر ، والخامس عشر .

(١٣٥) Lods, Israel .. PP. 351 – 2.

(١٣٦) Albright, From The Stone Age To Christianity, P. 290.

(١٣٧) جارودى ، فلسطين أرض الرسالات ، ص ١٢٠ .

(١٣٨) صموئيل الأول : الاصحاحان التاسع والعاشر .

(١٣٩) صموئيل الأول : ١٠ : ٢٤ ، ٢٧ .

أما القرآن الكريم فيشير الى شاؤل وتنصيبه ملكا على بني اسرائيل، قال تعالى: «وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت[١٤٠] ملكا، قالوا أنَّى يكون له المُلْكُ علينا ونحن أحقُّ بالمُلْكِ منه ولم يُؤْتَ سَعَةً من المال، قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بَسْطة في العلم والجسم والله يؤتي مُلْكَه من يشاء، والله واسع عليم»[١٤١].

وهكذا قام على رأس بني اسرائيل ملك بعد نحو مائتي عام من طروئهم على شرق الأردن وغربه وقضائهم حياة مضطربة، فانتقلت حالتهم بذلك من دور الى دور[١٤٢].

يقول جوستاف لوبون: بدأ بنو اسرائيل بشاؤل يؤلفون أمة فاستحقوا أن تفتح لهم صفحة صغيرة من التاريخ الحقيقي الذي كان لهم في العالم[١٤٣].

ويقول اولبرايت عن تولي شاؤل: لقد كان امرا في غاية الاهمية ان الملك الجديد في تحالف قبلي تسوده الغيرة والحسد، لم يكن في البداية ليثير أي احتكاك اقليمي بين القبائل[١٤٤].

وقد تفحص (توينبي) Toynbee بعناية حالة بني اسرائيل وما كانوا عليه خلال المدة من ١٢٠٠ ـ ٩٠٠ ق.م فوجد أنهم كانوا بين تحد وقبول لهذا التحدي بتأثير وبدافع من الضربات التى كانوا يتعرضون لها[١٤٥]. ومن هذا الحافز تمكن الاسرائيليون من توحيد صفوفهم، على الرغم من القوى المناوئة لهم والتى كانت تعمل على كسر اي تحالف بينهم. ولم يتمكن شاؤل الذى حكم من ١٠٢٠ ـ ١٠٠٠ق.م ـ إلا من اقامة تحالف سياسي محدود بسبب الضعف الفطري الذى جبل عليه[١٤٦].

أما (لودز) فيقول عن شاؤل وحكمه: لقد تميز حكم شاؤل بحروبه مع الفلسطينيين إلا أن القليل منها كان معارك ضارية، وأما الباقي فكان عبارة عن مناوشات بسيطة. ولم يحاول شاؤل ايجاد الوسائل اللازمة لاستمرار كفاح بني اسرائيل كفرض الضرائب وتجنيد القوات، وانما بقي قابعا في مزرعته، فلم يكن له قصر أو بلاط ملكي فخم.. كان يجتمع بضباطه في بيته على ضوء القمر جالسا على مقعد وظهره الى الحائط ورمحه بجانبه.. وكان يعقد مجلس حربه تحت (الأثلة) الشجرة المقدسة في (جبعه). أما نواة قواته فكانت تتكون من مقاتلين من قبيلته (بنيامين)، وقد عيَّن (أبنير) ابن عمه قائدا لهم.[١٤٧] وقد أعطى لرؤساء قبيلته (بنيامين)

---

(١٤٠) طالوت هو اسم شاؤل حسب التقليد الاسلامى وكما عرفه العرب.
(١٤١) البقرة: ٢٤٧.
(١٤٢) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم، ص ١٣٧.
(١٤٣) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٣٦.
(١٤٤) Albright, From The Stone Age .... P. 290.
(١٤٥) المرجع السابق والصفحة.
(١٤٦) المرجع السابق والصفحة.
(١٤٧) صموئيل الأول ١٤ : ٥٠.

أفضل بساتين الكرم والحقول التي أخذوها من أصحاب الأرض(١٤٨)، وهكذا فان حكمه كان ـ لاعتبارات كثيرة ـ حكما قبليا ومع ذلك فكان متقدما ـ نوعا ما ـ عن حكم جدعون ويفتاح ـ زمن القضاة(١٤٩).

الى جانب البنياميين الذين يشكلون نواة قواته، ضم شاؤل كل رجل «جبار» أو «ذي بأس»، جاء في العهد القديم (واذا رأى شاؤل رجلا جبارا أو ذا بأس ضمه الى نفسه)(١٥٠)، وكان من الذين ضمهم (داود) الذى ينتمي الى قبيلة (يهوذا).

يقول لودز كان شاؤل يشعر أنه مسئول عن وضع قواته بتصرف كل من قال انا اسرائيلي. فلم ينقذ (يابيش جلعاد) فقط، ولكنه تدخل بقواته المسلحة في مناسبات أخرى لمساعدة بنى اسرائيل الذين كانوا يقطنون شرقي نهر الاردن. كما تدخل لمساعدة اولئك الذين اتخذوا من شمال فلسطين مسكنا لهم ضد ملوك (بيت رحوب) و(صوبه) الآراميين. وحارب العمالقة دفاعا عن قبائل الجنوب. ووجه جهوده لاخضاع المدن الكنعانية التى بقيت تحتفظ باستقلالها بعيدا عن سيطرة الاسرائيليين(١٥١).

من ناحية اخرى تميز حكم شاؤل بطابع ديني.. ودلالة على ذلك كان يأخذ معه في حملاته العسكرية كاهنا لاستشارته. ولكن حكمه في اواخر ايامه كان مظلما بسبب الاضطراب العقلي الذي اصابه واثر فيه.. اذ كانت تنتابه نوبات من الكآبة والسوداء مما ادى به الى حالة من الوهن والضعف جعلته يقوم بأعمال هستيرية شاذة ويتصور كل من حوله خونة.. وقد انصبت كراهيته بصفة خاصة على داود الذى اختاره ليعزف له على القيثارة ويسرّي عن نفسه اذا ما انتابته احدى نوبات الصرع، وهو الذى زوجه من ابنته ميكال وجعله رئيسا لقواده(١٥٢).

وقد لقي شاؤل مصيرا مأساويا هو وثلاثة من اولاده في معركة جبل جلبوع على يد الفلسطينيين الذين علقوا جثثهم على اسوار بيت شان (وهي بيسان حاليا). أما الأقليات من بني اسرائيل الذين كانوا يقيمون في تلك المنطقة وفي غيرها من المدن في سهل يزرعيل (وهو مرج ابن عامر) فقد اجبروا على الرحيل. وقد سقط وسط فلسطين مرة ثانية وأصبح خاضعا للفلسطينيين(١٥٣).

ويوجز لودز الحال الذى أصبح عليه بنو اسرائيل بعد موت شاؤل قائلاً: إن عملية توحيد بني إسرائيل وتحريرهم التى تمت على يد شاؤل قد أزيلت وطمست.. ومهما يكن من امر فانه لجدير بالملاحظة ان

---

(١٤٨) صموئيل الأول ٢٢ : ٧.

(١٤٩) Lods, Israel .... P. 356.

(١٥٠) صموئيل الأول ١٤ : ٥٢.

(١٥١) Lods, P. 357.

(١٥٢) نفس المرجع : ص ٣٥٨.

(١٥٣) صموئيل الأول : الاصحاح ٣١.

النجاح الذى حققه شاؤل الملك الأول لبني اسرائيل، قد طبعهم بطابعه بحيث انهم لم يفكروا مطلقا في إلغاء تأسيس الملكية[١٥٤].

ويلخص ويلز فترة حكم شاؤل فيقول: لم يكن شاؤل أكثر نجاحا من القضاة.. وكانت نهايته هزيمة منكرة على جبل جلبوع. أما جيشه فقد سحق من قبل الفلسطينيين الشجعان وسقط هو وأبناؤه الثلاثة صرعى في أرض المعركة.[١٥٥]

ويقول جوستاف لوبون: إن فتح فلسطين في عهد شاؤل كان بعيدا عن التمام، وفي فلسطين كان يعيش اليبوسيون وطائفة من الأمم الصغيرة بجانب بني اسرائيل، وكان السلطان في فلسطين للفلسطينيين[١٥٦].

هكذا كان حال بني اسرائيل قبل العصر الذهبي للملكة الموحدة زمن داود وسليمان.. أسفار العهد القديم والمؤرخون والنقاد وعلماء الآثار.. كلهم يؤكدون أن بني اسرائيل لم تكن لهم سيادة حقيقية على البلاد التى ذكرت أسفارهم أنهم وعدوا بها، ونعني بها بلاد كنعان أو فلسطين. قبل داود كانت البلاد ـ في معظمها ـ خاضعة لسيطرة الفلسطينيين والكنعانيين.. حتى اولئك الاسرائيليون الذين اتخذوا من مناطق تقع شرقي نهر الاردن موطنا لهم، عندما رأوا ماحل بشاؤل واولاده وجيشه في معركة «جبل جلبوع»[١٥٧] ، هربوا تاركين المدن والقرى التى استوطنوها للفلسطينيين. يقول العهد القديم في هذا الشأن: «ولما رأى رجال اسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الاردن ان رجال اسرائيل قد هربوا وان شاؤل وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا فأتى الفلسطينيون وسكنوابها»[١٥٨].

بعد معركة جلبوع أصبح الفلسطينيون يسيطرون على الطريق التجارية الدولية المارة في سهل مرج ابن عامر والغور التى تصل بلادهم مع دمشق وغيرها.. وبهرب بني اسرائيل من مدنهم ومناطقهم، أصبحت للفلسطينيين السيطرة الكاملة على مساحات شاسعة من ارض كنعان، تمتد من التخوم الجنوبية إلى تخوم الجليل.

لقد رأينا كيف كانت نشأة بني اسرائيل، وكيف ان حياتهم كانت تقوم على الغزو والنهب مثل غيرهم من البدو، وكيف سمح لهم ملوك الفراعنة بالاقامة على حدود مصر الشرقية لصد غزوات أقرانهم من البدو.. وبعد تطور احوالهم في مصر واستعبادهم هناك، خرجوا بقيادة موسى الى صحراء سيناء.. وأمرهم موسى بدخول ارض كنعان «التى تفيض لبنا وعسلا» ـ كما تقول التوراة ـ غير انهم جبنوا ورفضوا ان يدخلوها

---

(١٥٤) Lods, P. 359.
(١٥٥) The Outline of History, P. 260.
(١٥٦) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٣٥.
(١٥٧) ويعرف اليوم باسم جبل (فقوعة) نسبة الى قرية (فقوعة).
(١٥٨) صموئيل الأول ٣١ : ٧.

طالما أن أهلها فيها. فحرم ذلك الجيل من دخولها، الى ان دخلها يشوع وتمكن من احتلال بعض مدنها من الجهة الشرقية.. وتمضي الايام والاسرائيليون يحاولون ان يوطدوا احتلالهم ويوسعوه، الا انهم لاقوا مقاومة عنيفة من أهل البلاد الأصليين، حتى كادوا ان يفقدوا سيطرتهم على الأجزاء الصغيرة التى بقيت في أيديهم.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى عندما دخل بنو اسرائيل فلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل، كان الفلسطينيون قد أدخلوا معهم الى البلاد صناعة الحديد التي كانوا يتقنونها، وصناعة الخزف المزدهرة لدرجة ان هذه الصناعة كانت في عصرها الذهبي عند دخول الاسرائيليين الى فلسطين. وكان للفلسطينيين فن رفيع في البناء، بينما كان بنو اسرائيل يقيمون ـ قبل دخولهم فلسطين ـ في الخيام . وكان للفلسطينيين عدد كبير من العجلات الحربية والفرسان واستعمل مشاتهم الخوذ والدروع والحراب والرماح، وهي اسلحة لم تكن معروفة عند بني اسرائيل.

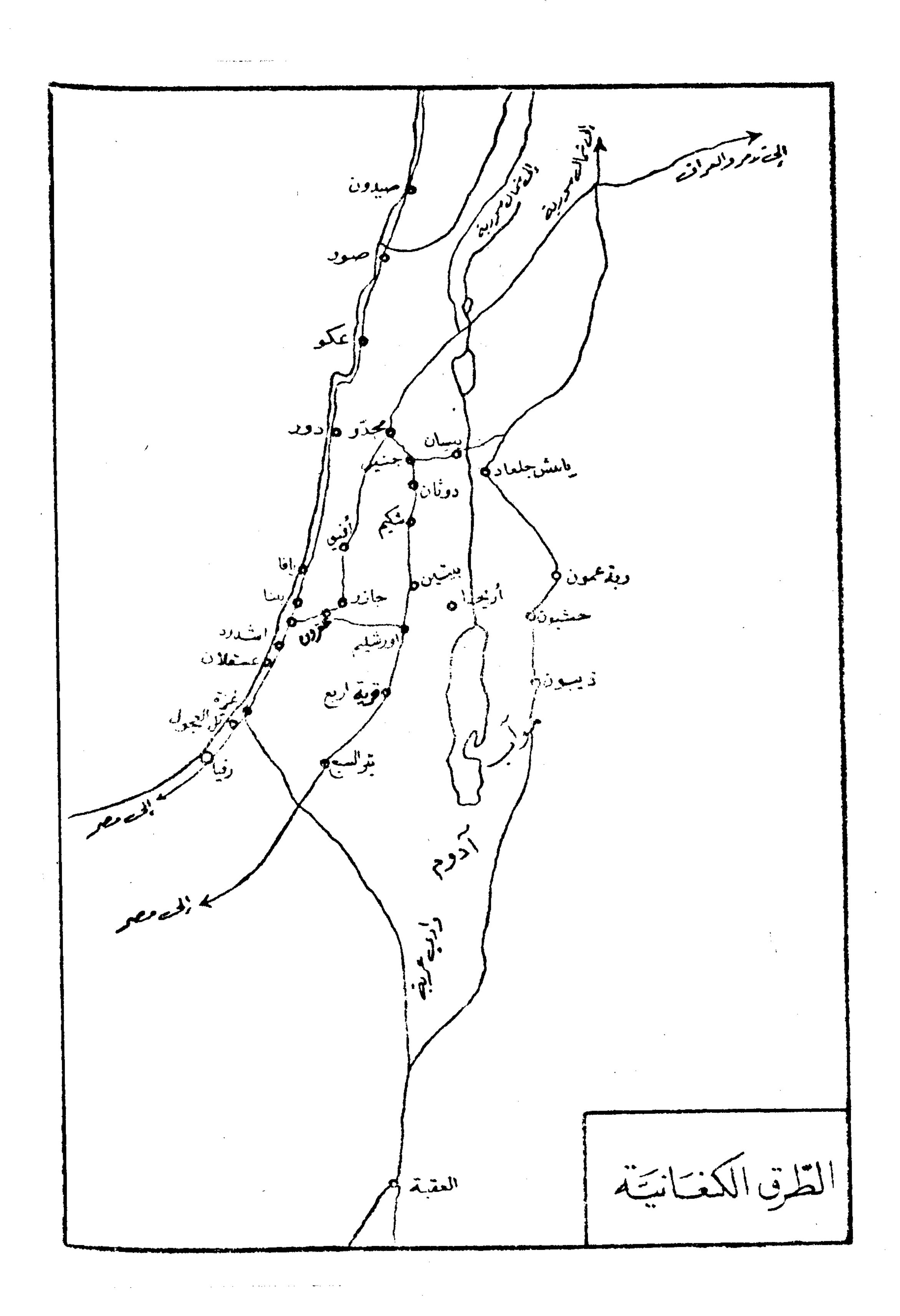
وخلاصة القول «كان امر بني اسرائيل» ـ كما يقول جوستاف لوبون ـ «كأمر جميع العروق الدنيا التي تكون في أحوال مماثلة، فلم يقتبسوا من تلك الامم العليا سوى اخس مافي حضارتها، اي لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارية وخرافاتها.. فقربوا لجميع آلهة آسيا. قربوا لعشتروت ولبعل ولمولك ـ وهي من آلهة البلاد التي دخلوها ـ من القرابين ما هو أكثر جدا مما قربوه لاله قبيلتهم «يهوه» العبوس الحقود الذي لم يثقوا به الا قليلا لطويل زمن على الرغم من كل انذار جاء به انبياؤهم.. وكانوا يعبدون عجولا معدنية، وكانوا يضعون أبناءهم في ذرعان محمرة من نار مولك.. وأثبت اليهود عجزهم التام العجيب عن الاتيان بأدنى تقدم في الحضارة التي اقتبسوا أحط عناصرها.. ولم يكن تاريخهم الكئيب غير قصة لضروب المنكرات، فمن حديث الاسارى الذين كانوا ينشرون بالمنشار أحياء أو الذين كانوا يشوون في الافران، الى حديث سكان المدن الذين كانوا يذبحون من غير تفريق بين الرجال والنساء والشيب والولدان. ان ما تضمنته اسفارهم من كره عميق لمختلف الامم التي اتصلوا بها، صانهم من الزوال وأبعدهم عن الانصهار فيها..»[١٥٩].

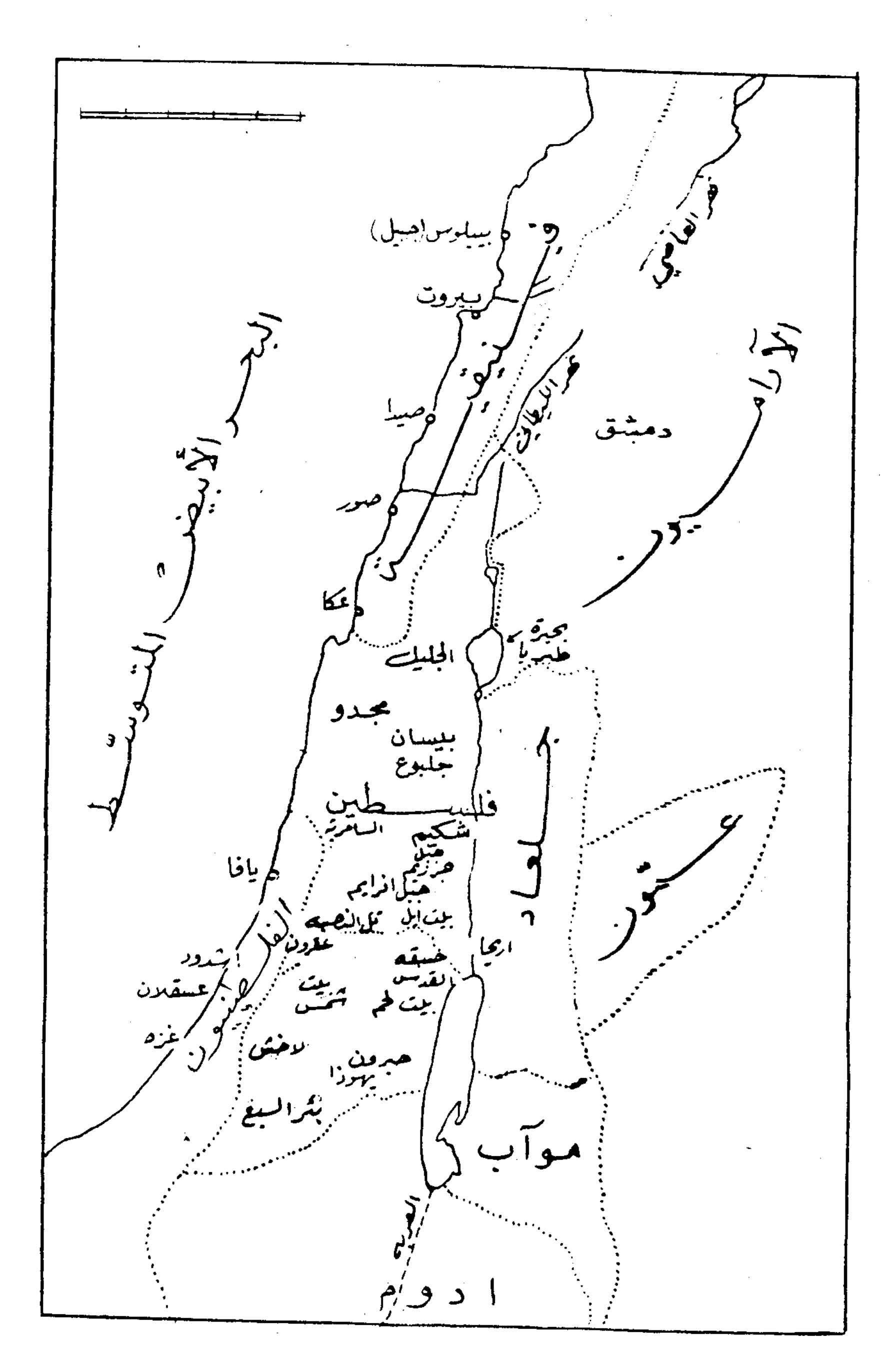
بعد موت شاؤل تولى داود الحكم، واختلفت حال بني اسرائيل في زمانه على ماسوف نرى فيما بعد.

● ● ●

---

(١٥٩) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٢٠ ، ٢١ .


صيدون
صور
عكو
دور
مجدو
بيسان
جنين
يابش جلعاد
دوثان
شكيم
يافا
جازر
بيتين
أريحا
ربة عمون
حشبون
عقرون
اشدود
اورشليم
عسقلان
ديبون
قرية اربع
غزة
تل العجول
رفيا
بئر السبع
موآب
آدوم
إلى مصر
إلى مصر
إلى تدمر والعراق
العقبة
الطرق الكنعانية



فلسطين في عهد ملوك العبرانيين

(ويلاحظ أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على قسم كبير من فلسطين حتى في أوج امتداد حكمهم).

الباب الأول

« داود وسليمان في العهد القديم »

« الفصــل الأول »

داود في العهد القديم
(نشأته ، وظروف وصولـه للحكم ، وأعماله)

تسمية داود

דָּוִד (داود) تسميته مشتقة من الفعل العبري דּוּד بمعنى احب ـ وَدَد . والصيغة قد تكون مشتقة من الاسم דּוֹדִי بمعنى صديق او محبوب، فحذف الحرف الأول وعادت الياء الوسطى الى أصلها وهو (الواو) وأصبحت דוד دود أو דָּוִד [1].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس ان معنى اسم داود «محبوب»، وهو ابن يَسَّى وثاني ملوك بني إسرائيل[2].

ويقول القس منيس عبدالنور إن اسمه معناه (المحبوب)، وهو اسم مختصر من الاسم الكامل الذى معناه (المحبوب من يهوه).. ولا يوجد شخص آخر في العهد القديم باسم داود[3].

وجاء في قاموس العهد القديم لهيستنجز أنه لا يوجد لدينا اساس واضح يفيد بأن النظرية القديمة القائلة بان اسم داود يعني «المحبوب» قد بنيت عليه ـ وهكذا فإن اشتقاق هذا الاسم وأصله يبقى غير مؤكد[4].

● ● ●

نشأة داود ونسبه

ينتسب داود لسبط يهوذا، ومسقط رأسه هو مدينة بيت لحم. ويتضمن سفر راعوث سجلا خاصا بنسبه الذى يرجع الى فارص بن يهوذا بن يعقوب. جاء في هذا السفر: «وهذه مواليد فارص: فارص وَلَدَ حصرون وحصرون وَلَدَ رام، ورام وَلَد عمّينا داب ، وعمّينا داب وَلَد نَحْشون ، ونحشون ولد سَلْمُون، وسلمون ولد بوعز، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد وَلَدَ يَسَّى، ويسى وَلَد داود[5] ».

وكما يظهر من سفر راعوث فإن داود ليس من بني اسرائيل تماما، اذ إن والدة جده عوبيد ـ وهي راعوث التى سمي هذا السفر باسمها ـ هي من مؤاب تزوجها رجل من بني اسرائيل يدعى مَحْلُون كان قد

---

(١) [illegible]

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٦١ .

(٣) القس منيس عبدالنور ، داود صاحب المزامير ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٩ .

(٤) Hastings, Dictionary of The Bible, P. 201.

(٥) سفر راعوث ٤ : ١٨ ـ ٢٢ .

نزح مع ابيه وأمه الى مؤاب إثر قحط حل بالبلاد[٦]. فتوفي الرجل وابوه، فعادت الام وكنتها الى بيت لحم.. وهناك تزوجت الكنة من شخص قريب لحماتها اسمه (بوعز)،فولدت له ولدا سمي (عوبيد)، وكبر عوبيد وتزوج فأنجب ولدا سمي (يَسَّى) الذى هو والد داود عليه السلام.

يقول ماير: كانت أسرة داود تعيش على ممتلكات الآباء التى أضاف اليها بوعز ثروة طائلة من مؤاب. ولعلها بدأت تتناقص بسبب هجمات الفلسطينيين الذين كانوا مستقرين هناك. فإننا نقرأ في العهد القديم عن «الغُنَيْمات» (أي الأغنام قليلة العدد) التي كان يتكون منها قطيعه ، والهدية المتواضعة جدا التى أرسلها يسّى الى أبنائه وهم في المعركة. ويبدو ان الظروف التى ربّىَ فيها يسَّى أبناءه الثمانية وابنتيه كانت قاسية لا تتحمل اسرة كبيرة العدد كهذه[٧].

ويقول القس منيس عبدالنور: جد داود الكبير اسمه سلمون كان اميرا في يهوذا، وقد تزوج راحاب الزانية من أريحا[٨]، وجده بوعز الذي تزوج راعوث الموآبية. أما يسى والد داود، فجاء في التراث اليهودي انه كان رجلا تقيا ينسج السجاد الذى يفرشون به بيت الله. وكان يملك قطعة أرض صغيرة، كما كان يملك بعض الأغنام القليلة التى كان يرعاها له ابنه داود. ولم يكن يسى غنيا، ويظهر هذا من الهدية البسيطة التى أرسلها لأولاده وهم يحاربون جليات الجبار، كما يظهر من قول أولاده عن أغنامهم إنها «غُنَيْمات قليلة».

وكان لداود سبعة إخوة واختان. وكان هو أصغر إخوته الأولاد، فكان قريبا في العمر من أولاد اخته «صروية»، فأخذ منهم مساعدين له في المملكة ـ وهم يوآب وأبيشاي وعسائيل[٩].

ويقول ماير: إننا لا نسمع شيئا من بين شفتي داود عن أبيه، ولكنه يتحدث عن امه مرتين ملقبا اياها «أمَةَ الرب»[١٠]. لقد استقى منها مواهبه التى جعلته شاعرا فذا، وطبيعته الحساسة، وصفاته الروحية العميقة[١١].

ويضيف منيس عبدالنور أن أم داود كانت سيدة تقية مؤمنة بالرب، ولابد ان ايمانها كان سبب تقوى ابنها وحبه للرب.. وكان داود محبوبا من امه وأبيه.. لكن إخوته لم يكونوا يحبونه، وقد ظهرت خشونتهم معه في مرات كثيرة، لكنه كان كريما مع إخوته ومحبا لهم، كما كان يوسف الصديق من قبله[١٢].

---

(٦) راعوث ٤ : ١٠ .

(٧) «حياة داود» ، تأليف ف . ب . ماير ، ترجمة مرقس داود ، مكتبة المحبة بالقاهرة ، سنة ١٩٥٨ ، ص ١٤ .

(٨) قصة راحاب التي خبأت جواسيس يشوع الذين أرسلهم الى أريحا قبل دخوله ببنى إسرائيل أرض كنعان ، مسجلة في سفر يشوع ـ الاصحاح الثاني .

(٩) القس منيس عبدالنور ، داود صاحب المزامير ، ص ٩ ـ ١٠ . ونجد أسماء اخوة داود في سفر صموئيل الأول (١٧ : ١٢ ـ ١٤) ، وفي أخبار الأيام الأول (٢ : ١٣ ـ ١٥) .

(١٠) انظر: مزمور ٨٦ : ١٦ ، ومزمور ١١٦ : ١٦ .

(١١) حياة داود ، ص ١٤ .

(١٢) داود صاحب المزامير ، ص ١٠ .

وقد مرت حياة داود بعدة مراحل يمكن تلخيصها فيمايلي[١٣] :-

١ ـ المرحلة الأولى :

مرحلة حداثته وشبابه، وقد قضى الشطر الأول من هذه المرحلة في بيت لحم، وكان أصغر ابن بين ثمانية بنين، ومع أننا نرى في سجل سبط يهوذا (أخبار الأيام الأول ٢ :١٣ ـ ١٥) سبعة أبناء ليسى فقط ، الا أنه يرجح أن أحدهم مات دون ان يعقب نسلا. وقد عرفت ام داود بالتقوى والصلاح. وتاريخ أسلافه رائع وبديع وباعث على الالهام، الا انه لم يخل من بعض لوثات الخطيئة في بعض الأحيان.

٢ ـ المرحلة الثانية:

وتتضمن خدمته لشاؤل. فانه لما رفض الله شاؤل اعتراه روح شرير.. فانحرف عقله عن جادة الصواب، فنصح أن يلحق ضاربا بالقيثار بخدمته ليهدىء من روعه، وذُكِرَ له داود كلاعب ماهر وبطل شجاع يعمل في الحرب ببأس لحداثته وشبابه. فدعا شاؤل داود وأفاد كثيرا بموسيقاه ورضي عن أخلاقه وعيّنه حامل سلاح له.

٣ ـ المرحلة الثالثة:

بعد ان قتل داود جليات (أو جالوت) لمع نجمه واشتهر مما اثار غيرة شاؤل الذى أصبح عدوا لداود منذ ذلك الحين، فحاول قتله مرات عديدة، فهرب الى الفلسطينيين وطلب حماية ملكهم، ثم انتقل الى برّية يهوذا حيث اجتمع لديه جماعة متعددة الأغراض بلغ عددهم ٦٠٠ رجل. وقد تميزت هذه المرحلة بمطاردة شاؤل له.

٤ ـ المرحلة الرابعة:

تبدأ بعد موت شاؤل، حيث اختار سبط يهوذا داود ملكا عليه لأنه من هذا السبط، وبدأ حكمه في حبرون.

٥ ـ المرحلة الخامسة:

داود ملك على كل بني اسرائيل، واتخذ من اورشليم عاصمة له.

وجاء في قصص الأنبياء لابن كثير أن السدى ذكر فيما يرويه ان داود عليه السلام كان أصغر اولاد ابيه، وكانوا ثلاثة عشر ذكرا[١٤].

---

(١٣) قاموس الكتاب المقدس ، مادة داود ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٤ .

(١٤) قصص الأنبياء للامام أبي الفداء اسماعيل بن كثير ، دار التراث العربي للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٤٨٢ .

وقال ابن قتيبة: كان داود سابع سبعة أخوة له، هو أصغرهم[١٥].

● ● ●

صفات داود

يقول ماير : لعل الصبي داود كان يدين ببعض الفضل في حياته الروحية لمدارس الانبياء التي اسسها صموئيل .. وكان ابناء هذه المدارس يحجون الى بيت لحم ، ولعل داود تعلم منهم كيف يجعل أغانيه على نظم الشعر ويقرنها بالعود والرباب . على أن الطبيعة كانت مهذبة له ومعلمته ورفيقته ، ولأنه كان راعيا فقد نشأ وترعرع في العزلة والاختلاء ، وكان يتأمل في السموات والأرض .. وتعلم الكثير من مناظر الطبيعة وأفاد من القيادة الرعوية مما نراه ظاهرا في حياته وفي أشعاره فيما بعد .

لم يتميز داود بطول القامة كأخيه اليآب ، ولكنه كان قوي العضلات سريع الركض ، خفيف القدمين كالظبي .. كان يتميز بعينيه الزرقاوين وجمال طلعته .. كانت نفسه رقيقة الاحساس مما خلق فيه ملكة الشعر ، ولكنها في نفس الوقت كانت جريئة مقدامة . أما لباسه فكان مجرد حلة خشنة بسيطة .. وكان عتاده المقلاع والعصا والعكاز . كان ضاربا على العود ، رقيق الاحساس نحو الطبيعة سريع التأثر بمناظرها . كان « جبار بأس ورجل حرب » شجاعا باسلا ، فقد ضرب أسدا ودبا وقتلهما .

كان فصيحا في الكلام ، فطنا ذكيا إذا أعطى مشورة أو رسم خطة ، كما كان سريعا في التنفيذ . كانت له معرفة بالأوقات ، وبالقلوب البشرية ، وبالسياسة الرشيدة .. كان يعرف تماما كيف يعمل ومتى يعمل .. كان صريحا مع اصدقائه ، كريماً مع اعدائه ، ثابتا في صداقته ، هادئا في وقت الخطر ، صابرا وقت التعب والمشقة .. كان محبوبا ذا شخصية جذابة .. اينما تحرك سيطر على من حوله .. لقد توفرت لديه كل العوامل التي تجعل منه قائدا شعبيا محبوبا لان الرب كان معه .[١٦]

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن داود كان اشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر ، كما كان شجاعا مخلصا في عمله .. وتمتع بمواهب موسيقية من صنف ممتاز ، فقد اجاد اللعب على القيثار ، ثم انشأ فيما بعد المزامير والاناشيد . [١٧]

وجاء في مراجع المؤرخين الاسلاميين عن صفات داود أنه كان قصيرا أزرق العينين فيه قرع من

---

(١٥) المعارف لابن قتيبة ، حققه وقدم له ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٥ .
(١٦) ماير ، ص ١٥ ـ ١٦ ، ٢٦ ، ٣٠ .
(١٧) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٦١ .

ناحية من رأسه .. وكان مسقاما مصفارا .. طاهر القلب نقيّه .. كان شديد الاجتهاد دائب العبادة كثير البكاء .. وكان يأكل من كسب يده .. لم يعط الله ـ فيما يذكرون ـ أحدا من خلقه مثل صوته . [١٨]

● ● ●

كيف وصل داود للحكم

جاء في سفر صموئيل الأول أن صموئيل أوعز الى شاؤل ، أول ملوك بني اسرائيل ، ان يذهب ليضرب العماليق ـ أو العمالقة ـ الذين وقفوا في طريق بني اسرائيل عند خروجهم من مصر ، وذلك بناء على أمر الرب الذى يقول : « فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كلَّ مالَهُ ولا تعفُ عنهم بل اقتل رجلا وامرأة ، طفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، جملا وحمارا » . [١٩]

وحشد شاؤل مائتي ألف رجل بالاضافة الى عشرة آلاف آخرين من قبيلة يهوذا . وزحف على العمالقة فأبادهم ، الا انه استبقى ملكهم «أجاج» «وأمسك أجاجَ ملك العماليق حيا وحرَّم جميعَ الشعب بحد السيف . وعفا شاؤل والشعب عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر والثُّنيّان والخراف وعن كل الجيّد ولم يرضوا ان يحرّموها ، وكلُّ الأملاك المحتقرة والمهزولة حرموها » . [٢٠]

الا ان هذا التصرف أغضب الرب كما جاء في السفر المذكور فوجه كلامه الى صموئيل قائلا : «ندمت على اني قد جعلت شاؤل ملكا ، لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي» . [٢١] فذهب صموئيل الى شاؤل وأنَّبه ، فاعترف شاؤل بخطأه وطلب الصفح والغفران ، الا ان الرب رفضه ولم يصفح عنه . فاستدعى صموئيل « أجاج » ملك العمالقة فقطعه إربا ، ولم يعد صموئيل لرؤية شاؤل حتى موته . [٢٢]

ويعلق محمد عزة دروزة على حادثة شاؤل مع العماليق وتسجيلها في العهد القديم بقوله : إن العملية على النحو المسجل فظيعة جدا في بواعثها وقسوتها وصورتها ، وتبرز فيها إن صحت الرواية روح عدوانية شديدة حاقدة في بني اسرائيل ضدُ غيرهم حينما يمكنهم ذلك . وحتى لو لم تكن الرواية صحيحة فإن تسجيلها على النحو الوارد يدل على تأصل تلك الروح في اجيالهم التي دونت الاسفار في عهدهم واستساغة الجريمة

---

(١٨) تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى) ، جـ ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ ، ص ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ؛ المعارف لابن قتيبة ، ص ٤٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المجلد الأول ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٢٢٣ ؛ قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٤٨٤ .

(١٩) صموئيل الأول ١٥ : ٣ .

(٢٠) صموئيل الأول ١٥ : ٨ ـ ٩ .

(٢١) صموئيل الأول ١٥ : ١١ .

(٢٢) انظر صموئيل الأول ١٥ : ٣٢ ـ ٣٥ .

التى يقترفونها بقوة هذه الروح . والمتبادر أن هذا التسجيل يظل ذا أثر شديد في بقاء هذه الروح واستساغة الجريمة المقترفة بقوتها في مختلف أجيال بني اسرائيل ، ومَنْ دان باليهودية من غيرهم وظل متأثرا بتعاليم أسفارهم وأحداثهم المسجلة . وقد شهدت مختلف الحقب والأقطار والأجناس ، وما تزال تشهد آثارها منهم[٢٣].

ويقول اندرسون بشأن ما ورد في السفر والأمر بإفناء العمالقة وابادتهم : « يعتبر هذا الأمر بالابادة الجماعية عملا بربريا اذا ما نظرنا اليه على اساس اخلاقي ، أما بالنسبة الينا فإن الإبقاء على حياة (أجاج) يبدو أنه عمل انساني ، كما أن الاحتفاظ بأفضل المواشي والدواب وعدم إفنائها يدل من الناحية العملية على الحكمة . إلا أن هذه الأشياء كلها كانت من وجهة النظر القديمة تخص يهوه وهو المتصرف بشأنها » . [٢٤]

صموئيل يهيّىء داود للحكم :

ثم يذكر سفر صموئيل الأول أن الرب أمر صموئيل أن يذهب الى بيت لحم قائلا : « املأ قَرْنَكَ دُهْناً وتعالَ أُرْسِلْكَ الى يسّى البيتلحمي لأني قد رأيت لي في بنيه مَلِكا » . [٢٥]

فذهب صموئيل الى بيت لحم واستدعى يسّى وطلب منه أن يحضر أولاده عسى أن يكون أحدهم هو الذى اختاره الرب . ويروي السفر أن يسى أحضر بنيه السبعة أمام صموئيل ، إلا أن الشخص المطلوب لم يكن واحدا منهم . «وقال صموئيل ليسّى هل كَمُلَ الغلمان ، فقال بقي بعد الصغير وهو ذا يرعى الغنم ، فقال صموئيل ليسىً أرسل وأت به لأننا لانجلس حتى يأتي الى ههنا . فأرسل وأتى به ، وكان أشقر مع حلاوة العينين وحَسَنَ المنظر ، فقال الرب قم امسحه لأن هذا هو . فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته ، وحلّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا » . [٢٦]

ويخبرنا المؤرخ اليهودي « يوسيفوس » أن صموئيل همس في أذن داود وهو يمسحه وقال له : « أنت ستكون ملكا » . [٢٧]

ويقول بعض المفسرين إن داود كان في الخامسة عشرة عندما مسحه صموئيل ، ويقول آخرون إن عمره كان عشرين سنة . [٢٨]

---

(٢٣) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ، ص ١٤١ .

(٢٤) Anderson, PP. 134 – 135.

(٢٥) صموئيل الأول ١٦ : ١ . وقرن الدهن اسمه أيضا قنينة الدهن ، وهو الوعاء الذى يضعون فيه الدهن الخاص الذى يمسحون به الكهنة والملوك علامة اختيار الرب لهم .

(٢٦) صموئيل الأول ١٦ : ١١ ـ ١٣ .

(٢٧) ماير ، ص ٢٣ ؛ منيس عبدالنور ، ص ١٧ .

(٢٨) عبدالنور ، ص ١٥ .

داود في قصر الملك :

وتمضي رواية السفر فتقول إن الرب أذهب عن شاؤل روحه انتقاما منه لمخالفته لأمره وبغته بروح رديئة .[٢٩] يقول محمد عزة دروزة إن عبارة الاصحاح تفيد أنه ابتلى بالصرعة [٣٠] ، فنصحه عبيده بأن يحضر رجلا يحسن الضرب على العود ، وكان ذلك علاجا مجربا للصرعة ، فرشحوا له داود للقيام بهذه المهمة «فأجاب واحد من الغلمان وقال هوذا قد رأيت ابنا ليسّى البيتلحمى ويحسن الضرب وهو جبار بأس ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه . فأرسل شاؤل رسلا الى يسّى يقول أرسل اليّ داود ابنك الذى مع الغنم .. فجاء داود الى شاؤل ووقف أمامه فأحبه جدا وكان له حامل سلاح .»[٣١] وكان يضرب له العود فترتاح نفسه ويذهب عنه الروح الرديء .

وهكذا دخل داود بلاط الملك وحاز على ثقته ، فكان حارسه وحامل سلاحه . وكانت خدمة داود لشاؤل خير مدرسة تدرب فيها داود ، فقد تعلم أساليب الحرب والسياسة والحكم . وقد اتصل بحكم عمله بعدد من أقدر الرجال في ذلك الحين ورأى جوانب الملك المنيرة والمظلمة . [٣٢]

داود يهزم جليات :

بعد ذلك تأتي قصة بطل الفلسطينيين جُلْيات (أو جالوت) الذى برز من صفوف جيش الفلسطينيين يتحدى من ينازله من جيش شاؤل ، بعد أن نشبت الحرب بين الطرفين ، فغزا الفلسطينيون يهوذا وأقاموا معسكرهم على مسافة تقرب من خمسة عشر ميلا غربي بيت لحم .[٣٣] ويورد العهد القديم وصفا لجليات وسلاحه فيقول : « فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جُلْيات من جَتّ طوله ستة أذرع وشبر . وعلى رأسه خوذة من نحاس ، وكان لابسا درعا حَرْشَفِيًّا ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس ، وجُرْمُوقَا نحاسٍ على رجليه ، ومزراقُ نحاس بين كتفيه ، وقناة رمحه كَنَوْلِ النَساجين ، وسنان رمحه ست مئة شاقل حديد » . [٣٤]

وينطوي هذا الوصف على صورة من صور محاربي ذلك الزمان ، وما كانوا يعدونه ويلبسونه من أدوات النزال والحرب . وعندما خرج جليات أظهر تحديه لبني اسرائيل واحتقاره لشأنهم قائلا : « أمَا أنا الفلسطيني

---

(٢٩) صموئيل الأول ١٦ : ١٤ .
(٣٠) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ، ص ١٤١ .
(٣١) صموئيل الأول ١٦ : ١٨ ـ ٢١ .
(٣٢) قاموس الكتاب المقدس ، مادة داود ، ص ٣٦١ .
(٣٣) نفس المرجع ، ص ٣٦٢ .
(٣٤) صموئيل الأول ١٧ : ٤ ـ ٧ .

وأنتم عبيد لشاؤل . اختاروا لأنفسكم رجلا ولينزل اليّ . فان قدر أن يحاربني ويقتلني نصير لكم عبيدا . وان قدرت أنا عليه وقتلته تصيرون أنتم لنا عبيدا وتخدموننا» . [٣٥] وقد ظل جليات على هذا الحال يتحدى بني اسرائيل ويعيرهم صباحا ومساء لمدة أربعين يوما ، حتى أوقع الرعب في قلوب شاؤل ومن معه .

وهنا يبرز داود وتأتيه الفرصة مرة ثانية ، فما أن سمع تحدي الفارس الفلسطيني حتى عظم الأمر عليه ، فذهب الى شاؤل وابدى استعداده لمبارزة جليات ، الا ان شاؤل حاول أن يثنيه عن عزمه قائلا : « لاتستطيع أن تذهب الى هذا الفلسطيني لتحاربه لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه » . [٣٦] غير أن داود صمم على موقفه وقال له إنه قتل أسدا ودبا تعرضا لقطيعه . وازاء تصميمه واندفاعه وافق شاؤل على طلبه والبسه ثيابه ، ولكنه لم يستطع أن يمشي بها فخلعها وتقدم لملاقاة جليات بعصاه ومقلاعه ومعه خمسة حجارة ملساء انتخبها من الوادي ووضعها في كنف الرعاة على ظهره . وما أن رآه جليات متقدما نحوه حتى احتقره ، اذ كيف يجرؤ على قبول تحديه وهو لايعدو كونه غلاما لاخبرة له ولاتجربة في ميادين القتال . غير أن داود قذفه بحجر من مقلاعه فارتز الحجر في جبهته وسقط على الأرض ، فأسرع داود وأخذ سيف جليات وقطع به رأسه . [٣٧]

أما سبب انتصار داود على جليات فيرجع الى أن حركة جليات البطيئة بسبب ثقل السلاح الذى كان يلبسه أعاقته كثيرا ، كذلك كان نوع السلاح الذى يحمله يحتم عليه أن يكون قتاله عن قرب ، فهو لايستطيع أن يتمكن من خصمه مادام بعيدا عنه . أما داود فقد جاء اليه خفيف الحركة لايعوقه ثقل السلاح أو ما أشبه ذلك ، أتى ومعه مقلاع كلن قد اتقن استخدامه وانتقى خمسة احجار ملس يمكن قذفها عن بعد ، يضاف الى ذلك كان يتملكه احساس بعدالة القضية التى يدافع عنها ويحارب لاجلها ، ويسود على قلبه وكل مشاعره شعور سماوي بالثقة بالله . [٣٨]

ويمكننا أن نضيف قبل كل ذلك أن سبب انتصار داود على جليات يرجع بالدرجة الأولى الى حكمة ربانية .. فإن الله سبحانه وتعالى كان مع داود المؤمن بربه والمدافع عن دينه ضد دعاة الوثنية والشرك .. ثم ان هناك حكمة أخرى أرادها الله سبحانه ، وهي أن يُقْتَلَ هذا الجبار الغشوم بيد فتى صغير ليرينا أن الطغاة والظالمين مهما أوتوا من قوة فإن قوتهم هذه تافهة لاقيمة لها أمام ارادة الخالق .

لذلك فإننا نقول في مسألة مقتل جليات على يدي داود ما قاله الحق تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى » .

---

(٣٥) صموئيل الأول ١٧ : ٨ ـ ٩ .
(٣٦) صموئيل الأول ١٧ : ٣٣ .
(٣٧) انظر صموئيل الأول ١٧ : ٣٨ وما بعدها .
(٣٨) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٦٢ .

ملاحظتان :

الأولى :

هناك حادثة لابد من الوقوف عندها لما تحتمله من تناقض في رواية العهد القديم المتعلقة باستدعاء داود للقصر الملكي . فقد ورد في الرواية أن شاؤل سأل أبنير قائد الجيش ، عندما خرج داود للقاء جليات في المعركة ، قائلا له : « ابن من هذا الغلام يا أبنير ؟ فقال ابنير : وحياتك أيها الملك لست أعلم . فقال الملك : اسأل ابن من هذا الغلام ..» . [٣٩]

إن هذا النص يدل على أن شاؤل لم يسبق له أن عرف داود من قبل . كما ورد في الرواية أن أول مرة عرف فيها شاؤل داود كانت عندما قدم له كموسيقي يضرب بالعود ليسري عن نفسه المريضة . [٤٠]

وفي نص آخر كانت أول مرة لفت فيها انتباه الملك عندما قتل جليات . [٤١] هناك بعض النقاد يرون ان استدعاء داود للقصر الملكي تم بعد حادثة مقتل جليات ، وهم يتفقون مع النص الأخير الذي يقول إن أول مرة مثل فيها داود أمام شاؤل كانت بمناسبة مقتل جليات ، بدليل عدم معرفة شاؤل لداود الذى مثل امامه وفي يده رأس القائد الفلسطيني .

ويعلق ماير على هذا الرأي بقوله : لو أخذنا بوجهة النظر هذه لواجهتنا مشكلة وهي كيف تجاسرت حاشية شاؤل أن تقدم لسيدها رجلا (هو داود) أثار سخطه وغضبه وغيرته من قبل [٤٢] ، أو لماذا استدعى الأمر كل ذلك اللف والدوران في الكلام لوصف شخصية ذلك المغني الشاب (صموئيل الأول ١٦ : ١٨) .. إنه كان يكفي أن يذكر ما فعله في وادي البطم [٤٣] لتقديمه للملك .

ويستطرد ماير قائلا : إذن فنحن نستنتج أن هذا الاستدعاء قد تم قبل حادثة قتل جليات . [٤٤]

أما القس منيس عبد النور فيرى أن استدعاء داود للقصر الملكي تم قبل حادثة قتل جليات أيضا ، ويورد بعض البراهين على هذه المسألة قائلا : قد يكون أحدها صحيحا ، وقد يكون بعضها صحيحا ، أو قد تكون كلها معاً صحيحة .

(١) كان داود يدخل الى حضرة الملك . وكان يضرب على العود حتى يستريح ، وبعد ذلك يخرج . ولم يكن شاؤل ينتبه الى وجود داود ، ولذلك لم يعرف من هو .

---

(٣٩) صموئيل الأول ١٧ : ٥٥ ـ ٥٦ .

(٤٠) انظر صموئيل الأول ١٦ : ١٤ ـ ٢٣ .

(٤١) انظر صموئيل الأول ١٧ : ٢٦ وما بعدها .

(٤٢) وذلك عندما قدم داود كموسيقى ليسرى عن شاؤل ، وبموجب هذا الرأى يكون تقديمه قد حصل بعد انتصاره على جليات ، ذلك الانتصار الذي أثار غيرة شاؤل وحقده على داود .

(٤٣) هو المكان الذى وقعت فيه المعركة التي قتل فيها جليات .

(٤٤) ماير ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) كان داود قد ترك خدمة الملك بعض الوقت ، وذهب الى بيت لحم . ولا نعرف بالضبط المدة التى قضاها داود في بيت لحم ، حتى أرسله أبوه ليسأل عن اخوته (الذين كانوا يحاربون في جيش الملك) ربما كانت هذه المدة ثلاث سنوات أو أربع ، وفي أثناء هذه المدة كبر داود وتغير شكله حتى لم يعرفه الملك (عندما سأل عنه عند مقتل جليات) ، خصوصا وان داود كان في مرحلة النمو التى يتغير فيها الانسان بسرعة ، ولذلك لم يعرف شاؤل داود .

(٣) ربما كان شاؤل يسأل عن أسرة داود وليس عن داود نفسه ، لأن سؤاله كان : « ابن من هذا الغلام ؟» والسبب في السؤال عن عائلة داود ان داود سيصير نسيب الملك ، لأن شاؤل وعد أن يعطي ابنته زوجة للشخص الذى يقتل جليات .. لما كان داود يضرب للملك على العود ، لم تكن معرفة عائلته مهمة .. أما وسيصير داود زوجا لابنة الملك ، فقد أراد شاؤل أن يعرف إن كانت عائلة داود تستحق أن تناسب عائلة الملك . [٤٥]

ويقول قاموس الكتاب المقدس في تبرير تأييده لهذا الرأي : لم يقم داود مع شاؤل باستمرار ، اذ يبدو أن حالة الملك تحسنت . وقد أتيحت الفرصة لداود مرارا كثيرة أن يعود ليشرف على غنم أبيه . [٤٦] وبينما كان يقوم بزيارة قريته ويشرف على الغنم ، اذ نشبت الحرب بين العبرانيين والفلسطينيين فغزا الفلسطينيون يهوذا . فقاد شاؤل الجيش لملاقاتهم ، وكان اخوة داود الثلاثة الكبار مع الجيش ، فارسل يسّى ابنه داود للاطمئنان على اخوته ، وحدث بعد ذلك ما حدث من قتل داود لجليات .

أما عن سؤال شاؤل من يكون داود ؟ فيقول قاموس الكتاب المقدس : يبدو أن شاؤل أراد في سؤاله أن يعرف مركز اسرة المنتصر الذى وعد أن يعطيه ابنته زوجة ، ولكي يعفي اسرة أبيه من الضرائب التى كانت مفروضة عليهم ، فاكتشف أنه لايوجد في اسرة داود مايمكن أن يخجل منه اذا ما صار صهره . [٤٧]

ومهما يكن من أمر ، فان ورود النصين في سفر صموئيل الأول بشكلهما الحالي ، واللذين يدل أحدهما على أن شاؤل عرف داود لأول مرة عندما قدم له كعازف على العود ، بينما يدل النص الآخر على أنه عرفه لأول مرة عندما قتل جليات ، يعطينا دليلا آخر على مافي العهد القديم من تناقض وتحريف .. ومهما برع اللاهوتيون في تفسير النصوص وتحميلها مالا تحتمل والدفاع عن أصالتها ، فان الحقيقة التى لايرقى اليها الشك تكمن في أن التناقض والتحريف موجودان في نصوص كثيرة من العهد القديم ، وذلك أمر لابد أن يوضع في الاعتبار قبل أن تؤخذ أمثال هذه النصوص على أنها حقائق مسلم بها .

---

(٤٥) داود صاحب المزامير ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .
(٤٦) انظر : صموئيل الأول ١٧ : ١٥ .
(٤٧) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٦٢ .

الملاحظة الثانية :

ورد في سفر صموئيل الأول (١٧ : ٣٨ وما بعدها) أن داود قتل جليات بطل الفلسطينيين . غير أننا نقرأ نصا آخر يقرر أن الذى قتل جليات هو شخص آخر غير داود ، ونعني به الحانان البيتلحمي .

فقد ورد في سفر صموئيل الثاني مايلي : « ثم كانت أيضا حرب في جوب مع الفلسطينيين، فألحانان ابن يَعْرِى أُرَجِيمَ البيتلحمي قتل جليات الجتيِّ ، وكانت قناة رمحه كَنَوْلِ النسّاجين » . (٤٨)

ثم يعود العهد القديم فيقول إن الحانان هذا لم يقتل جليات ، وإنما قتل أخاه الذى يدعى (لَحْمى) .

فقد ورد في سفر أخبار الأيام الأول ما يلي : « وكانت أيضا حرب مع الفلسطينيين فقتل الحانان بن ياعور لحمى أخا جليات الجتي ، وكانت قناة رمحه كَنَوْل النساجين » .(٤٩)

وهكذا فإننا نجد أمامنا ثلاثة نصوص تتعلق بحادثة واحدة ، بينما يحمل كل منها معنى يختلف عن الآخر . وفي ذلك أيضا تأكيد على التناقض والتحريف في نصوص العهد القديم .

يقول «اندرسون» معلقا على النص الذى يقول إن الحانان هو الذى قتل جليات وليس داود : إن هذا يلقي بظلال الشك على قصة داود قاتل جليات العملاق الفلسطيني .(٥٠)

● ● ●

داود يدخل في خدمة شاؤل

ويمضي داود قدما مجتازا العقبة تلو الأخرى يشق طريقه ليتبوأ المركز الذى أعد له .. فكان انتصاره على جليات سببا في تألق نجمه ، حتى إن يوناثان بن شاؤل أعجب به وتعلقت نفسه بنفسه فخلع عليه جبته وأعطاه ثيابه وسيفه وقوسه ومِنطقته .. كما أنه حَسُنَ في أعين جميع الشعب وفي أعين عبيد شاؤل ايضا .(٥١)

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه الى النساء اللواتي خرجن الى الشوارع يهتفن للقائد المنتصر ـ داود ـ حتى كدن ينسين الملك نفسه .. يقول سفر صموئيل الأول : « وكان عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطيني أن النساء خرجت من جميع مدن اسرائيل بالغناء والرقص للقاء شاؤل الملك بدفوف وبفرح وبمثلثات فأجابت النساء اللاعبات وقلن : ضرب شاؤل ألوفه وداود رِبْواته » .(٥٢)

---

(٤٨) صموئيل الثاني ٢١ : ١٩ .
(٤٩) أخبار الأيام الأول ٢٠ : ٥ .
(٥٠) Anderson, P. 139.
(٥١) صموئيل الأول ١٨ : ١ ـ ٥ .
(٥٢) صموئيل الأول ١٨ : ٦ ـ ٧ وتعنى كلمة (ربواته) عشرات الألوف .

لقد كانت هذه العبارة كافية لتثير في نفس شاؤل الحقد والغيرة ، فكيف تحط النساء من منزلته وتجعله « قاتل الالوف » ، بينما ترفع منزلة داود فوق الملك وتجعله « قاتل عشرات الالوف » . «فاحتمى شاؤل جدا وساء هذا الكلام في عينيه وقال : أعطين داود ربوات ، وأما أنا فأعطينني الألوف ..» (٥٣)

يقول قاموس الكتاب المقدس : كان انتصار داود على جليات مرحلة ذات اهمية عظمى في حياته ، فقد أظهر من البطولة والشجاعة والتواضع والتقوى ما جعله محببا الى نفس يوناثان ، فتعلقت نفسه بداود وأحبه كنفسه ، ولم يسمح له بعد ذلك أن يعود الى بيت ابيه ، بل بقي في بلاط شاؤل على الدوام . ولكن الاكرام الذى ناله داود لانتصاره على جليات أثار غيرة شاؤل الذى اصبح عدوا لداود منذ ذلك الحين .. وقد رأى شاؤل أن تنبؤ صموئيل بانتقال الملك منه الى من هو خير منه قرب من تمامه في داود ، فحاول أن يمنع ذلك جهد المستطاع . ومن أجل ذلك حاول أن يقتله بالحربة ، وحط من مكانته الحربية ومن سلطته .. ثم اعطى ابنته التى وعد أن يزوجها لداود ، زوجة لرجل آخر . (٥٤)

وحاول أن ينصب من محبة داود لميكال فخا له لقتله .. وكلما ازدادت شهرة داود كلما خاف شاؤل على ملكه منه وحاول قتله من جديد . وظل على هذا الحال الى أن أخبره يوناثان بن شاؤل بعد أن تحرى الموقف ، أنه لاأمان له ما دام باقيا في بلاط شاؤل . (٥٥)

أثناء خدمة داود في بلاط الملك ، انتدبه شاؤل لمهمة كبيرة اذ جعله « رئيس ألف » . ويعلق « ماير » على هذا التعيين بقوله : لقد كانت مهمة مريبة خطيرة ، إذ كان يأمل شاؤل من وراء هذه الترقية الفجائية لهذا المركز العالي المحفوف بالمخاطر ، أن تؤدي الى غرور داود بحيث تجعله يرتكب أية خيانة يستحق من أجلها قصاص الموت . ولكن داود تصرف بحكمة في كل خطواته ، متجنبا كل عثرة ومبتعدا عن كل الفخاخ ، حتى إن الملك الذى كان يراقبه عن كثب ليسجل عليه سقطة ، اقتنع اقتناعا كليا بأن الرب حصن له ، وامتلأقلبه خوفا من جهته . (٥٦)

ويقول « اندرسون » : من وجهة نظر شاؤل ، لابد أن داود كان يشكل تهديدا مباشرا لوجوده أكثر مما كان يشكله الفلسطينيون انفسهم . ومع رفضه من قبل الرب فانه اصبح مزعزعا مضطربا ، وقد تفاقمت حالته وساءت عندما كان يلاحظ سحر شخصية داود وكياسته ونجاحه . كان يبدو أن هدف داود الرئيسي هو الوصول الى العرش (٥٧) .

● ● ●

---

(٥٣) صموئيل الأول ١٨ : ٨ .
(٥٤) صموئيل الأول ١٨ : ١٧ ـ ١٩ .
(٥٥) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ .
(٥٦) ماير ، ص ٦٨ .
(٥٧) Anderson, P. 136.

داود يلجأ الى الفلسطينيين

بعد أن تأكد داود أن شاؤل مصمم على قتله ، اضطر الى الهرب من وجهه والالتجاء الى أرض الفلسطينيين مرتين ، وأرسل اسرته لاجئة الى مؤاب . وأقام في المرة الثانية في كنف أخيش ملك جت الفلسطيني ، وفي مدينة صقلغ في الصحراء ـ أي صحراء بئر السبع أو النقب المتصلة بسيناء ـ وهي المدينة التى خصصها له أخيش بناء على طلبه .

جاء في سفر صموئيل الأول : « فقال داود لأخيش : إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فليعطوني مكانا في احدى قرى الحقل فاسكن هناك ، ولماذا يسكن عبدك في مدينة المملكة معك . فأعطاه أخيش في ذلك اليوم صقلغ » . [٥٨]

بعد أن استقر داود في صقلغ أخذ هو ورجاله يقومون بغزوات على الجشوريين والجرزيين والعمالقة الذين كانوا سكان الأرض من شور الى مصر . « وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلا ولا امرأة ، وأخذ غنما وبقرا وحميرا وجمالا وثيابا ورجع وجاء الى أخيش .. وهكذا عادته كل أيام إقامته في بلاد الفلسطينيين » . [٥٩]

غير أن شاؤل لم يتركه وشأنه ، فكان يطارده ويتعقبه في كل مكان ذهب اليه ليتخلص منه ويقتله ، على أمل أن ينقذ عرشه ممن يعتقد أنه سيستولى عليه . ولكن داود كان يهرب من وجهه ويفلت من مطاردته ، بل إن شاؤل نفسه كاد يقع في قبضة داود مرتين ، ولكنه عفا عنه في المرتين ، واكتفى في المرة الأولى بأن قطع طرف جبة شاؤل سرا ، عندما وجده نائما وقد تعب من مطاردته له . [٦٠] وأما في المرة الثانية فقد أخذ رمح شاؤل وكوز الماء الموجود بجانب رأسه وهو نائم أيضا ، عندما كان يطارده في برية زيف ، ورفض أن يقتله باعتباره « مسيح الرب » . جاء في سفر صموئيل الأول : « ... حاشا لي من قبل الرب أن أمد يدي الى مسيح الرب . والآن فخذ الرمح الذى عند رأسه وكوز الماء وهلم . فأخذ داود الرمح وكوز الماء من عند رأس شاؤل ، وذهبا ولم ير ولا علم ولا انتبه احد ، لأنهم جميعا كانوا نياما ، لأن سبات الرب وقع عليهم » . [٦١]

لقد اغتنم الفلسطينيون الفرصة فعادوا لمهاجمة بني اسرائيل ، فخرج شاؤل لملاقاتهم .. وقد اصطحب الملك أخيش داود ورجاله لقتال الاسرائيليين ، الا ان بقية رؤساء الفلسطينيين رفضوا مجيء داود ورجاله

---

(٥٨) صموئيل الأول ٢٧ : ٥ ـ ٦ .
(٥٩) صموئيل الأول ٢٧ : ٩ ، ١١ .
(٦٠) صموئيل الأول ٢٤ : ٤ ، مزمور ٥٧ .
(٦١) صموئيل الأول ٢٦ : ١١ ـ ١٢ .

وطلبوا من أخيش اعادته الى المكان الذى سمح له أن يقيم فيه ، لأنهم لم يطمئنوا الى وجوده بينهم ، حيث له سابقة ضدهم عندما قتل بطلهم جليات .

فدارت المعارك في وادي يزرعيل [٦٢] وانتصر الفلسطينيون على بني اسرائيل وقتلوا منهم اعدادا كبيرة ، وكان من بين القتلى شاؤل وابناؤه الثلاثة ، وهرب بنو اسرائيل من امام الفلسطينيين وتركوا المدن ، فجاء الفلسطينيون واحتلوها . وقد عرفت تلك المعركة بمعركة « جبل جلبوع » . [٦٣]

● ● ●

داود ملك يهوذا

بعد مقتل شاؤل انقسم بنو اسرائيل الى قسمين : قسم بايع « إشبوشت »[٦٤] بالملك وهو رابع أبناء شاؤل ، وهذا القسم يتألف من أسباط بنى اسرائيل فى الشمال ، الذين قاموا بقيادة (أبنير) - وكان من أقوى رجال عصره - بتنصيب إشبوشت ملكا عليهم فى محنايم شرقى الأردن ، وكان عمر اشبوشت أربعين سنة حين ملك ، كما جاء فى سفر صموئيل الثانى[٦٥] ، غير أن لودز يقول إنه ربما كان قاصرا لم يبلغ سن الرشد بعد .[٦٦]

أما القسم الآخر وهو سبط يهوذا فى الجنوب ، ومقره فى مدينة بيت لحم ، فقد اختار داود ملكا عليهم لأنه من هذا السبط .[٦٧] وكان داود قد سأل الرب قائلا : « أ أصعد الى احدى مدائن يهوذا ؟ فقال له الرب : اصعد . فقال داود : الى أين أصعد ؟ فقال : الى حبرون . فصعد داود الى هناك .. وأصعد رجاله الذين معه كل واحد وبيته وسكنوا فى مدن حبرون . وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا »[٦٨] وكان عمره آنذاك ثلاثين عاما .[٦٩]

---

(٦٢) سهل يزرعيل هو مرج ابن عامر حاليا في فلسطين .
(٦٣) صموئيل الأول ٣١ : ١ - ٧ .
(٦٤) ورد اسمه (إشبعل) في سفر أخبار الأيام الأول ٨ : ٣٣ ؛ ٩ : ٣٩ . ومعنى اسم (إشبعل) باللغة العبرية هو : (رجل الرب) ، والرب هنا هو (بعل) - أحد أسماء الالهة التي كان يعبدها الكنعانيون قبل مجيء بنى اسرائيل - وقد تم تحوير الاسم الى (إشبوشت) ، ويعنى بالعبرية (رجل الخزى والعار) وذلك كراهية لكلمة (بعل) التي كانت تعتبر تسمية وثنية . (انظر : لودز ، ص ٣٥٩) .
(٦٥) ٢ صم ٢ : ٨ - ١٠ .
(٦٦) لودز ، ص ٣٥٩ .
(٦٧) يقول لودز (ص ٣٥٩) كان نصف قبيلة يهوذا من بنى اسرائيل ، أما نصفها الآخر فكان من الكنعانيين .
(٦٨) ٢ صم ٢ : ١ - ٤ .
(٦٩) ٢ صم ٥ : ٤ .

يقول لودز : لقد كانت هذه الخطوة انتهاكا لادعاءات (اشبوشت) بالسلطة . أما الفلسطينيون فانهم أيدوا الاجراء الذى اتخذه داود ورحبوا به طالما بقى تابعا لهم وتحت سيطرتهم.[٧٠]

ويقول اندرسون : إن الوسائل التى اتبعها داود تدل على أنه كان سياسيا داهية ، لم يتوقف عند شيء لتحقيق طموحاته السياسية .. فعند موت شاؤل كان منفيا لدى الفلسطينيين ، فكان عليه أن يضع نفسه فى وضع استراتيجي يمكنه من تحقيق خطته السياسية لقيادة بنى اسرائيل .. ولحسن حظه كان قد أعد العدة مع قبيلته الخاصة (يهوذا) التى هو أصلا من احدى مدنها . كما استطاع أن يفوز بالحظوة عند أبناء قبيلته تلك أثناء فترة فراره من وجه شاؤل فى برية يهوذا ، وكذلك أثناء خدمته عند الفلسطينيين .. ذلك أنه كان يحميهم من اللصوص ، كما كان يتقاسم مع زعماء القبيلة الغنائم التى كان يحصل عليها أثناء هجماته على أعدائهم . اذن لم يكن غريبا بعد فترة وجيزة من وفاة شاؤل أن نودى به ملكا فى حبرون ، حيث ملك لأكثر من سبع سنوات ، كان خلالها تابعا للفلسطينيين بصورة واضحة .[٧١]

ويقول روبنسون : بعد موت شاؤل أصبح داود ملكا فى حبرون ، ومن المحتمل أنه كان آنذاك تحت حماية ملك (جَت)[٧٢] .

● ● ●

داود ملك على كل أسباط بنى اسرائيل

لقد تبع هذه الأحداث حرب أهلية بين الملكين وأنصارهما استمرت سبع سنين وانتهت لصالح داود ، ويتحدث سفر صموئيل الثانى عن خلاف حدث بين إشبوشت وأبنير قائد جيشه ، الأمر الذى جعل أبنير يغضب ويذهب الى داود للاتفاق معه على مبايعة الأسباط الشمالية له بالملك نكاية باشبوشت ، وكان جزء من الصفقة أن يسترد داود (ميكال) زوجته الأولى وهى ابنة شاؤل .. غير أن يوآب قائد جيش داود وابن أخته (صروية) ، عندما علم بمجيء أبنير ، خشى أن يكون قد دبر من خلفه شيئا ما يضر بمكانته عند داود ، بل إن وساوسه وشكوكه صورت له أن داود يفكر فى أن يحل أبنير محله ، فلحق به وهو فى طريق عودته وقتله غيلة وغدرا ، انتقاما لمقتل أخيه عسائيل ، كما يبدو فى الظاهر .[٧٣]

---

(٧٠) لودز ، ص ٣٦٠ .

(٧١) أندرسون ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٧٢) Robinson, Theodore H., A History of Israel, Vol. I, Oxford, 1957, P. 200.

(٧٣) ٢ صم ٣ : ٢٧ ، انظر أيضا : المرجع السابق ، ص ٢١١ ، أندرسون ، ص ١٤٠ ، ١٤٢ .

ولما سمع اشبوشت أن أبنير قتل دب الرعب فى قلبه . وبعدها اغتيل هو الآخر من قبل اثنين من قواد جيشه البنياميين اللذين قدما رأسه الى داود ..

ويقول لودز فى تعليقه على مقتل أبنير واشبوشت : لقد أسهم اغتيالهما فى نتيجة الحرب التى كانت فى مصلحة داود .. وقد برأ داود نفسه من مسئولية اغتيالهما بطريقة ملفتة للنظر .. فأقام لكل منهما جنازة مهيبة ، وأمر باعدام قتلة مزاحمه ومنافسه على السلطة اشبوشت .. ولكنه فى نفس الوقت جنى بمهارة فائقة ثمار اغتيالهما وجيّره لصالحه ، بحيث ان الوجهاء وعلية القوم فى جميع القبائل تجمعوا واحتشدوا فى مدينة حبرون حيث يوجد داود ونادوا به ملكا على قبائل بنى اسرائيل جميعا .[٧٤]

وبذلك تكون جميع أسباط بنى اسرائيل الشمالية والجنوبية قد دخلت فى بيعة داود .. وقد ملك أربعين سنة ، منها سبع سنين وستة أشهر على يهوذا فى حبرون .. وفي أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة على اسرائيل ويهوذا .[٧٥]

يعلق جارودى على اختيار داود بقوله : لم يكن اختيار داود الذى تم بوساطة سبط يهوذا ـ ذا صبغة مقدسة ، لأنه لم يعين من قبل أى نبى .[٧٦]

ويعلق روبنسون على توحيد بنى اسرائيل تحت قيادة داود ورد فعل الفلسطينيين على ذلك بقوله : أما بالنسبة للفلسطينيين فانهم لم يحتملوا وجود مملكة موحدة ، ولم يستطيعوا أن يتسامحوا فى هذا الأمر ، فأعلنوا الحرب على داود .[٧٧]

ويقول اوسترلى وروبنسون عن داود : لقد كانت مقدرته العسكرية وحنكته السياسية وشخصيته الجذابة كافية لترفعه من زعيم لعصابة من الخارجين على القانون ، ليتربع على عرش مملكة مترامية الأطراف .[٧٨]

وقد كتب داود مزمورا يشير الى هذه الحقبة من حياته ، هو المزمور الثامن عشر ، دوّن فيه عبارات الشكر والولاء لله سبحانه وتعالى .[٧٩] أما عنوان هذا المزمور فهو : « لإمام المغنين ، لعبد الرب داود الذى كلم الرب بكلام هذا النشيد في اليوم الذى أنقذه فيه الرب من أيدى كل أعدائه ومن يد شاؤل » .

---

(٧٤) لودز ، ص ٣٦٠ .
(٧٥) ٢ صم ٥ : ٤ ـ ٥ .
(٧٦) فلسطين أرض الرسالات الالهية ، ص ١٢٢ .
(٧٧) History of Israel, Vol. I, P. 200.
(٧٨) Oesterley, W.O.E. and Robinson, Theodore H., Hebrew Religion, S.P.C.K., London, 1966, P. 207.
(٧٩) ماير ، ص ١٧٠ .

ويلقى (شاين T.K Cheyne) ضوءاً جديدا يبدو مناقضا للروايات القديمة بشأن مسرح الأحداث الواردة فى العهد القديم والمتعلقة بالمملكة التى تمكن بنو اسرائيل من إقامتها زمن شاؤل وداود ، فيقول إن مسرح تلك الأحداث كان فى المنطقة الواقعة على الحدود الشمالية لجزيرة العرب ..

ويضيف قائلا إن نقطة انطلاق داود والقصص المتعلقة به والتى وصلتنا عبر أسفار العهد القديم .. كل ذلك كان فى شمال الجزيرة العربية . ويورد الكثير من المقارنات بالنسبة للأسماء المذكورة فى العهد القديم . ويقول إنها أسماء محرفة عن أسماء عربية كانت موجودة فى تلك المنطقة .(٨٠)

● ● ●

أعمال داود

تميز عهد داود بالكثير من المنجزات والأعمال حسب ماورد فى أسفار العهد القديم ، ومن هذه الأعمال ما يلي :

١ ـ الاستيلاء على أورشليم وجعلها عاصمة لملكه :

بعد أن نودى بداود ملكا على جميع أسباط بنى اسرائيل ، فكر فى اتخاذ عاصمة له يكون موقعها متوسطا بين القبائل ، بحيث يسهل عليه منها حكم الدولة . فوقع اختياره على أورشليم ، لتوسطها ، ولأنها تتميز بموقع استراتيجى وسط الجبال يصعب الهجوم عليها من قبل أعدائه .

ولكن أورشليم كانت بيد اليبوسيين وهم أصحابها . فذهب داود ورجاله يطلبون الأرض من اليبوسيين ، الا أنهم رفضوا طلبهم . يقول سفر صموئيل الثانى : « وذهب الملك ورجاله الى أورشليم الى

(٨٠) Cheyne, T.K., The Veil of Hebrew History, a Further Attempt To Lift It, Adam and Charles Black, London, 1913, PP. 13 – 19, 48, 60 – 61.

وقد طرح الدكتور كمال صليبي ، رئيس قسم التاريخ والآثار بالجامعة الأمريكية في بيروت ، نظرية تقول إن الأحداث المتعلقة باليهود في العهد القديم لم تحصل في فلسطين ، وانما في منطقة جبال عسير في الجزيرة العربية .. وتعتمد نظرية د . صليبى على الأسانيد اللغوية بشكل كبير ، اضافة الى مجموعة من القرائن والأدلة الطبوغرافية والبيئية الأخرى .. فقد توصل الى أن قسما كبيرا من أسماء المدن والمواقع المذكورة في روايات العهد القديم موجودة فعلا في منطقة جبال عسير ، في الوقت الذى لم يثبت فيه وجود سوى أسماء أعداد قليلة من المواقع المذكورة في تلك الروايات في فلسطين . ويرى د . صليبى أن الخلط الجغرافى لأحداث روايات العهد القديم حصل أثناء عملية تنقيح واعادة كتابة الأسفار بحيث أخضعت القصص والأحداث وأسماء الأماكن لعمليات تبديل وتغيير تلائم الواقع الفلسطيني . ومهما يكن من أمر هذه النظرية ، أو ما يقوله شاين فان أسماء كثيرة من التى تطلقها الأسفار على مواقع فلسطينية لها مثيل في الجزيرة العربية بحيث لا نستطيع أن نسقط أمثال هذه النظريات من حسابنا .. ولو أنه تنقصنا الأدلة الكافية للأخذ بها .

اليبوسيين سكان الأرض ، فكلموا داود قائلين لاتدخل الى هنا مالم تنزع العميان والعرج ، أى لايدخل داود الى هنا » .[81]

وهذا يعنى أن المدينة كانت على قدر من المناعة حتى إن اليبوسيين كانوا يفخرون بأن الأعمى والأعرج بإمكانهما الدفاع عنها .

يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس إن داود غضب من هذا الكلام ، وملأ قلب الشعب غيرة ليحاربوا أورشليم ويأخذوها .[82] لذلك « قال داود فى ذلك اليوم : إن الذى يضرب اليبوسيين ويبلغ الى القناة والعرجِ والعمىِ المُبْغِضِين من نفس داود ، لذلك يقولون لا يدخل البيت أعمى أو أعرج . وأقام داود فى الحصن وسماه مدينة داود ، وبنى داود مستديرا من القلعة فداخلا . وكان داود يتزايد متعظما والرب إله الجنود معه » .[83]

وعن الطريقة التى احتل داود بواسطتها المدينة يقول جون إلدر : إن هذه الطريقة غير أكيدة تماما . الا أننا نستطيع أن نستنتج ، استنادا الى ماجاء فى احدى ترجمات الكتاب المقدس ، بأن قوات داود وصلت الى الداخل عن طريق قناة مائية تجرى تحت الأرض وتصل الى وسط المدينة ، وربما قام بحفرها سكان البلاد الأصليون تحت جبل صهيون لتوصيل المياه الى الداخل ، وكانت هذه القناة متصلة بكهف سفلى . ولعل قوات داود قد اكتشفت مدخل الكهف وتتبعت مجراه حتى وصلت الى القلعة واحتلتها . أو لعل المهاجمين تسلقوا جدران القلعة بواسطة الحبال والخطاطيف واستولوا عليها .[84]

ويتفق الباحثون والمؤرخون على أن اختيار داود لمدينة بيت المقدس (أورشليم) وجعلها عاصمة لملكه كان ضربة ذكية نظرا لموقعها الجغرافى المتوسط بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب ، فكان الاستيلاء عليها من اليبوسيين من أهم العوامل التى مكنت داود من توحيد أسباط بنى اسرائيل الذين كانوا متفرقين مبعثرين شمالا وجنوبا وشرقا .

يقول لودز : لم يكن باستطاعة داود أن يأخذ زمام المبادرة ويهاجم أورشليم مباشرة بعد أن نودى به ملكا على جميع أسباط بنى اسرائيل ، كما تدعى رواية العهد القديم ،[85] وانما كان عليه أن يتصدى لهجمات الفلسطينيين التى قاموا بشنها عليه فى هذه المرحلة . كانت أورشليم ـ وهى المدينة العربية التى بقيت فى أيدى الكنعانيين (اليبوسيين) ـ تتدخل بشكل خطير ومؤثر فى الاتصالات التى تتم بين الشمال والجنوب ، وبذلك

---

(٨١) صموئيل الثاني ٥ : ٦ .

(٨٢) داود صاحب المزامير ، ص ١١٣ .

(٨٣) صموئيل الثاني ٥ : ٨ ـ ١٠ .

(٨٤) جون الدر ، الأحجار تتكلم ، ترجمة د. عزت زكى ، بدون تاريخ ، ص ٧٩ .

(٨٥) أنظر : ٢ صم ٥ : ٤ ـ ٢٥ .

كانت تمنع توحيد قبيلة يهوذا فى الجنوب والقبائل الاسرائيلية الأخرى فى الشمال ، وهو أحد الأهداف الرئيسية التى كانت تقوم عليها سياسة داود ، يضاف الى ذلك أنه كان ينوى أن يجعل أورشليم عاصمة لملكه .[٨٦]

ويقول روبنسون : كانت أورشليم أعظم انتصارات داود ، وفى كل تاريخها الطويل كان نبوخذ نصر وتيطوس هما القائدين الآخرين فقط اللذين استوليا على المدينة بمحاصرتها بشكل مباشر ، على الرغم من أنها كانت فى الغالب تستسلم لقوة أخرى اذا ما استطاعت هذه القوة التغلب على بقية البلاد .. ولم تكن هناك شهادة أعظم من تلك فى دلالتها على زعامة داود وبسالته وبراعته الفائقة ، يمكن أن تقدم للأمة .. لقد كان اتخاذ داود لمدينة أورشليم عاصمة له رسالة تذكير دائمة لشعبه على مهارته الشخصية كجندى ، كان عمله هذا علامة على بداية الملكية فى اسرائيل .[٨٧]

ويقول جوستاف لوبون : إن آية مجد داود فى منحه بنى اسرائيل عاصمة وفى حسن اختياره لهذه العاصمة ، فلولا أورشليم (القدس) لكان شأن اليهود ضئيلا الى الغاية .. وأضحت أورشليم رأس بنى اسرائيل وقلبهم .. وأورشليم اوج ورمز لاتزال تلقى أشعتها على العالم من خلال ماضيها مع إكليل نسجته حماسة ملايين البشر وايمانهم واوهامهم لاريب ، ولكن لاجدال فى نور هذا الاكليل .. وداود لكى ينعم على قومه بتلك العاصمة الواقعة فى أصلح مكان ، وأسهل محل للدفاع عن فلسطين ، اضطر الى طرد اليبوسيين ، سادة جبل صهيون .[٨٨]

ويقول جاكسون : إن الاستيلاء على أورشليم كان نقطة تحول فى تاريخ بنى اسرائيل ، وبدأت معه حقبة جديدة من التاريخ .. لقد انتهت أيام بنى اسرائيل البدائية القديمة عندما سقط آخر حصن منيع للكنعانيين بيد داود .. واذا لم تؤخذ فى الاعتبار الأهمية العظيمة التى أصبحت عليها المدينة فيما بعد ، والتأثير الهائل الذى احدثته فى خيال الجنس البشرى ، فان عمل داود البطولى لجدير بالملاحظة .. انه لا يمكن اعتبار امتلاك حصن قوى كحصن (صهيون) حدثا عاديا ، ولكنه كان حدثا له تاثير كبير على مصير بنى اسرائيل ومستقبلهم .[٨٩]

أما جون جرى John Gray فيقول : على الرغم من أن رجالا نافذين فى اسرائيل[٩٠] كانوا فى ذلك الوقت يتقربون من داود وقبلوا به ملكا عليهم ، الا أنه لايوجد لدينا دليل على أن الاستيلاء على مدينة

---

(٨٦) لودز ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

(٨٧) History of Israel, P. 218.

(٨٨) لوبون ، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٨٩) Jackson, F.J. Foakes, The Biblical History of The Hebrews To The Christian Era, Fourth Edition, London, 1921, P., 172.

(٩٠) المقصود هنا قبائل بنى اسرائيل الشمالية غير قبيلة يهوذا في الجنوب .

اورشليم كان ثمرة للتحالف الجديد بين جميع أسباط بنى اسرائيل بقيادة داود .. بل على النقيض من ذلك ، كان الاستيلاء عليها قد تم بالعمل الجرىء الذى قامت به قوة ضاربة صغيرة من أتباع داود تحت قيادة قريبه يوآب[91] ،وقد اعتبر ذلك العمل من انجازات داود الشخصية ، وأصبح يطلق على أورشليم طوال مدة « مملكة اليهود » (مدينة داود) .. لقد كانت دولة داخل الدولة .[92]

لقد جعل داود مقر إقامته فى أورشليم ، غير أنه سمح للسكان الأصليين بالبقاء هناك ، وبمساعدة الفينيقيين بنى داود مقرا له فوق حصن أورشليم .

وقد شعر داود أن عاصمته الجديدة ينقصها الطابع الدينى .. لقد كان لأورشليم الكنعانية أماكنها المقدسة التى تبناها بنواسرائيل ـ كعادة ذلك الزمان ـ فى طقوس عبادة (يهوه) ومن هذه الأماكن :

١) نبع جيحون ، حيث تم مسح سليمان ملكاً من قبل الكاهن صادوق .[93]

٢) عَيْن روجَل ، حيث قدّم ادونيابن داود قرابين من الغنم والبقر عند حجر الزاحفة بجانب عين روجل[94] .

٣) حية النحاس التى دعاها بنواسرائيل « نَحُشْتَان » وكانوا مازالوا يعبدونها حتى القرن الثامن قبل الميلاد ، عندما سحقها حزقيا بن آحاز ملك يهوذا وألغى عبادتها .[95]

٤) الصخرة التى أقيم عليها هيكل سليمان ـ كما يقول لودز ـ ثم بنيت فوقها قبة الصخرة المشرفة ، المقدسة عند المسلمين .

وقد أصبحت كل هذه الأماكن مقدسة وأدخلت فى عبادة (يهوه) بقصد جذب الاسرائليين المتدينين الى أورشليم .[96]

٢ ـ احضار التابوت الى أورشليم :

بعد أن أتم داود تأسيس المملكة وجه عنايته الى الشئون الدينية فأحضر تابوت العهد باحتفالات دينية وذبائح وفرح عظيم ، فنقله من قرية يعاريم ووضعه فى خيمة الاجتماع التى نصبها له فى مدينة داود .[97]

---

(٩١) أنظر : ٢ صم ٥ : ٦ ـ ٨ ، أخبار الأيام الأول ١١ : ٦ .

(٩٢) Gray, John, Archaeology and The Old Testament World, Thomas Nelson & Sons Ltd., P. 129.

(٩٣) الملوك الأول ١ : ٣٨ ـ ٣٩ .

(٩٤) الملوك الأول ١ : ٩ .

(٩٥) الملوك الثانى ١٨ : ٤ .

(٩٦) Lods, P. 361 – 362; Robinson, History of Israel, P. 218.

(٩٧) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٦٤ .

يقول سفر صموئيل الثانى : « فذهب داود وأصعد تابوت الله من بيت عوبيد أدوم الى مدينة داود بفرح .. وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب . وكان داود متنطقا بأفود من كتان . فأصعد داود وجميع بيت اسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق . ولما دخل تابوت الرب مدينة داود أشرفت ميكال بنت شاؤل من الكوّة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب فاحتقرته فى قلبها . فأدخلوا تابوت الرب وأوقفوه فى مكانه فى وسط الخيمة التى نصبها له داود ، وأصعد داود محرقات أمام الرب وذبائح سلامة . »[٩٨]

كان التابوت فى الأصل فى مدينة « شيلوه » أيام عالى الكاهن . وفى الحرب ضرب الفلسطينيون بنى اسرائيل وأخذوا منهم التابوت .[٩٩] الا أن الرب ضربهم على ما يروى سفر صموئيل الأول بسبب التابوت ، فوضعوه على عجلة جديدة سارت به الى قرية يعاريم الى بيت أبينا داب .[١٠٠]

والتابوت هو عبارة عن صندوق صنعه موسى من خشب السنط المغطى بالذهب ، طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع ونصف ، وارتفاعه ذراع ونصف . وعلى جانبى التابوت أربع حلقات من الذهب توضع فى كل اثنتين منها عصا ليحمل اللاويون التابوت بها ، وكان فيه وعاء المنّ ، وعصا هارون ، ولوحا العهد عليهما الوصايا العشر ، ثم وضع فيه كتاب التوراة .[١٠١]

ويعلق النقاد والمؤرخون على قيام داود باحضار التابوت الى أورشليم فيقولون إن ذلك يدل على اهتمامه بالشئون الدينية ، علاوة على اهتمامه بالشئون العسكرية والسياسية .. ويقولون إن أورشليم لم تكن حتى ذلك الوقت مدينة مقدسة عند إله بنى إسرائيل (يهوه) ، وانما كانت فى الحقيقة ولمدة طويلة معبدا كنعانيا .[١٠٢] الا أن احضار التابوت اليها جعل منها ـ علاوة على المركز الدينى ـ مركز الحياة الوطنية أكثر من أى وقت مضى . وعلى الرغم من وجود أماكن ورموز مقدسة أخرى ، فإن التابوت كانت له أهمية استثنائية خاصة ، لا يدانيه فيها أى رمز مقدس آخر ، وترجع الرواية أهميته الى أيام موسى ، حيث جعلته علامة ملموسة ظاهرة على العهد الذى بنيت على أساسه الشخصية والعقيده عند بنى اسرائيل .[١٠٣]

ويقول جارودى : « استقدم داود من قرية يعاريم الكنعانية التابوت الذى أخذه من الفلسطينيين ، وأودعه فى أورشليم ، ليجعل من هذه المدينة ـ رمزيا ـ مركزا للرابطة بين الأسباط الاثنى عشر ، وهو يربطهم بماضيهم المقدس » .[١٠٤]

---

(٩٨) صموئيل الثانى ٦ : ١٢ ، ١٤ ـ ١٧ .
(٩٩) صموئيل الأول ٤ : ٤ ـ ١١ .
(١٠٠) صموئيل الأول ٦ : ٧ ؛ ٧ : ١ .
(١٠١) داود صاحب المزامير ، ص ١١٩ .
(١٠٢) Jackson, P. 174.
(١٠٣) Robinson, History of Israel, P. 218.
(١٠٤) جارودى ، ص ١٢٣ .

ويقول جون جرى : « كانت ضربة داود الرئيسية فى الميدان السياسى هى احضار التابوت ـ الرمز المشترك فى العقيدة عندبنى اسرائيل ـ الى أورشليم ، وضم عهد يهوه مع بنى اسرائيل إلى عهد يهوه مع بيت داود » .[١٠٥]

وتقول كاثلين كينيون : « كان تابوت العهد الرمز الأساسى لعبادة يهوه ، وقد تنقل مع بنى اسرائيل فى تنقلاتهم المتكررة ، وتعرض لصروف الأيام ، بما فى ذلك استيلاء الفلسطينيين عليه ، ونقله داود فى احتفال كبير الى بيت المقدس بعد أن كان فى اسدود التى ظل فيها بعد استرجاعه من الفلسطينيين ، وأراد أن يبنى له هيكلا لإيوائه فيه .. كانت خطة داود ـ فى الحقيقة ـ ثورية ، لقد كان التابوت متنقلا تحميه خيمة ، وكان ذلك الترتيب ملائما للرمز الدينى لاله قوم من البدو المتنقلين .. غير ان النبى ناثان أبلغ داود أن إرادة يهوه هى أن لايبنى هيكلا . ولذلك ظل التابوت فى الخيمة بقية حياة داود كلها » .[١٠٦]

بعد أن وحّد داود قبائل بنى إسرائيل الشمالية والجنوبية تحت قيادته ، وبعد أن استولى على أورشليم واتخذها عاصمة له ونقل اليها تابوت العهد .. بعد كل هذه الانجازات ، كان لابدّ له ـ وهو الرجل العبقرى الطموح كما يقول لودز ـ أن يتلفت حواليه ليجد أن الفرصة سانحة لمد رقعة الأرض التى يسيطر عليها ، منتهزا أولا فرصة تركيز قيادة بنى اسرائيل فى يديه دون منازع ، ثم انشغال القوى الكبرى المحيطة به والتى تشكل خطرا عليه ، فى مشاكل ومنازعات داخلية .. اذن فلينتهز الفرصة السانحة ويضرب ضربته .. ويقول لودز : لقد ظهر للشعوب المجاورة أن تأسيس دولة منظمة فى وسط فلسطين بجيشها الهائل المدرب ، ما هو الا تهديد لقوتها أو حتى لوجودها ، وهو ما يجب الاعتراف به بصورة عادلة .[١٠٧]

٣ ـ حـــروب داود :

أ ـ حربه مع الفلسطينيين :

عندما كان داود ملكا على سبط يهوذا فى حبرون لم يتدخل الفلسطينيون فى شئونه ، وربما اعتبروه فى تلك الفترة تابعا لهم ، ويبدو أنهم كانوا يتوقعون أن تندلع حرب أهلية بين بيت شاؤل وبيت داود ينقسم بنواسرائيل فيها الى قسمين . ولكن عندما ازدادت قوة داود باتحاد جميع القبائل وخضوعها لحكمه ، فقد شعر الفلسطينيون عندئذ أن الوقت قد حان للعمل[١٠٨] ، فزحفوا قاصدين مهاجمة داود قبل أن يتفاقم أمره ، « ...

(١٠٥) Gray, P. 143.
(١٠٦) Kenyon, Jerusalem, P. 54.
(١٠٧) Lods, PP. 362 – 363.
(١٠٨) Anderson, PP. 142 – 143.

وانتشروا فى وادى الرفائيين وسأل داود من الرب قائلا أأصعد الى الفلسطينيين ، أتدفعهم ليدى ؟ فقال الرب لداود : اصعد لأنى دفعا أدفع الفلسطينيين ليدك . فجاء داود الى بَعْل فَراصيم وضربهم داود هناك وقال قد اقتحم الرب أعدائى أمامى كاقتحام المياه . لذلك دَعَى اسم ذلك الموضع بعل فَراصيم . وتركوا هناك أصنامهم ، فنزعها داود ورجاله . »[109]

ولكن الفلسطينيين عاودوا الكَرَّة على الاسرائيليين ، « فسأل داود من الرب ، فقال لا تصعد بل دُرْ من ورائهم وهلمَّ عليهم مقابل أشجار البَكا .. ففعل داود كذلك كما أمره الرب وضرب الفلسطينيين من جبع الى مدخل مدينة جازر » .[110]

وقد تقدم داود بعد انتصاره الثانى على الفلسطينيين فغزا بلادهم وأخذ جَتّ . وفي هذه المرة ثم فى مرات تالية قام فيها داود بمهاجمة الفلسطينيين ، تمكن من إخضاعهم تماما .[111]

بعد هزيمة الفلسطينيين فى المرتين السابقتين يقول محمد عزة دروزة : اغتنم الفلسطينيون فرصة المحن الملمة باسرائيل ، فأخذوا يغيرون عليهم ، وتجدد العداء بينهم - كما يظهر من نص الاصحاح الحادى والعشرين فى سفر صموئيل الثانى . وقد تكررت الوقائع وتساجل النصر بين الفريقين دون نتيجة حاسمة . وقد كاد داود أن يقتل فى إحدى هذه الوقائع .[112]

ويعلق جاكسون على علاقة داود بالفلسطينيين بقوله : إنه لم ينتصر عليهم فحسب ، بل تمكن من استرضائهم واستمالتهم الى جانبه .. إننا يجب ألا ننسى أنه كان فيما مضى حليفا لهم ، وقد قاتل ضمن جيشهم ، وعاش مدة طويلة فى تحالف وثيق وحميم معهم . كما أن الفلسطينيين تقلدوا فيما بعد المناصب الرفيعة سواء فى بلاط داود أو فى جيشه .[113]

ويقول روبنسون : لقد تمتع داود بالتأكيد بصداقة الفلسطينيين حتى نهاية أيامه ، فقد اتخذ منهم حرسه الخاص .[114]

ب - حربه مع المؤابيين :

لقد اتسم غزو مؤاب بالقسوة والوحشية كما يقول المؤرخون .. وقد أخضعهم داود على الرغم من عدم وجود تفصيلات لحربه معهم .

---

(١٠٩) صموئيل الثانى ٥ : ١٨ — ٢١ . ومعنى « بعل فراصيم » : إله الهزائم .
(١١٠) صموئيل الثانى ٥ : ٢٣ ، ٢٥ . وأشجار « البكا » هي أشجار مثل أشجار التوت .
(١١١) صموئيل الثانى ٢١ : ١٥ - ٢٢ . انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٦٤ .
(١١٢) دروزة ، ص ١٥٢ .
(١١٣) Jackson, P. 173.
(١١٤) The Abingdon Bible Commentary, P. 64.

يقول العهد القديم فى هذا الشأن : « وضرب المؤابيين وقاسهم بالحبل ، أضجعهم على الأرض فقاس بحَبْلَيْن للقتل وبحبل للاستحياء . وصار المؤابيون عبيدا لداود يقدمون هدايا . »[١١٥]

ويقول : « وبنايا هو بن يهويا داع ابنُ ذى بأسٍ كثيرُ الأفعال من قَبْصِئيلَ ، هو الذى ضرب أسدَىْ مؤاب وهو الذى نزل وضرب أسداً فى وسط جُبِّ يوم الثلج » .[١١٦]

ويعلق لودز على ذلك بقوله : لا يوجد لدينا أي شك فى أن داود قاتل المؤابيين وانتصر عليهم وعاملهم معاملة فى غاية القسوة والشدة ، وجعلهم خاضعين وتابعين له .[١١٧]

وتقول دائرة المعارف اليهودية : بعد إخضاع الفلسطينيين تُرِكَ داود حُرّاً فى شن الحرب على جيرانه على الضفة الشرقية لنهر الأردن . فقاتل المؤابيين وسيطر على المنطقة المتنازع عليها والتى تمتد بين (عرنون) و(حشبون) . ثم أخضع المؤابيين الى الجنوب من (عرنون) واستعبدهم .[١١٨]

ويقول جاكسون : لقد تمكن داود من إبادة قوة المؤابيين وإخضاعهم ، كما أجبرهم على دفع الجزية .. وبعد إخضاع مؤاب عومل المؤابيون بوحشية كبيرة .. وتم قتل جميع الذكور منهم ، وبقيت مؤاب خاضعة لبنى اسرائيل لعدة أجيال قادمة .[١١٩]

ويقول روبنسون : إن داود قتل ثلثى الرجال القادرين على حمل السلاح من المؤابيين .[١٢٠]

جـ - حرب داود مع الأدوميين :

الى الجنوب تمكن داود من إخضاع الأدوميين وقهرهم فى حملة لا نملك تفاصيل موثوقة عنها باستثناء حقيقة أن المعركة الفاصلة فيها جرت فى وادى الملح ليس بعيدا عن بئر السبع[١٢١]، وعلى الرغم من انتصار بنى اسرائيل فى هذه المعركة ، فإننا نجد تناقضا واضحا فى العهد القديم فى هوية القائد الذى حقق ذلك النصر .. فبينما يعزو سفر أخبار الأيام الأول هذا النصر الى (أبيشاى بن صروية) يذكر سفر الملوك الأول أن الذى انتصر هو (يوآب) .

يقول سفر أخبار الأيام الأول « وأَبْشَاى بن صروية ، ضرب من أدوم فى وادى الملح ثمانية عشر ألفا . وجعل فى أدوم محافظين ، فصار جميع الأدوميين عبيدا »[١٢٢].

---

(١١٥) ٢ صم ٨ : ٢ .
(١١٦) ٢ صم ٢٣ : ٢٠ ، أخبار الأيام الأول ١١ : ٢٢ .
(١١٧) لودز ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .
(١١٨) Enc. Judaica, Vol. 5, David, Col. 1320.
(١١٩) جاكسون ، ص ١٧٥ .
(١٢٠) Robinson, History of Israel, P. 219.
(١٢١) Robinson, History of Israel, P. 219.
(١٢٢) أخبار الأيام الأول ١٨ : ١٢ - ١٣ .

ويقول سفر الملوك الأول : « وحدث لما كان داود فى أدوم عند صعود يوآب رئيس الجيش لدفن القتلى وضَرَبَ كل ذكر فى أدوم ، لأن يوآب وكلَّ اسرائيل أقاموا هناك ستة أشهر حتى أفنوا كل ذكر فى أدوم ، أنَّ هَدَدَ هرب هو ورجال أدوميون ليأتوا الى مصر » .[123]

وقد ورد ذكر معركة وادى الملح فى سفر صموئيل الثانى حيث يقول : « ونصب داود تذكارا عند رجوعه من ضَرْبِهِ ثمانية عشرَ ألفا من أرام[124] فى وادى الملح وجعل فى أدوم محافظين ، وضع محافظين فى أدوم كلها ، وكان جميع الأدوميين عبيدا لداود »[125].

ويعلق المؤرخون على نتيجة الحرب مع الأدوميين بقولهم : إن يوآب أظهر ضراوته ووحشيته المعهودة فى غزو أدوم .. فقد ذبح كل الذكور بحد السيف خلال ستة الأشهر التى تلت الهزيمة النكراء التى منى بها جيش الأدوميين فى وادى الملح . الا أن هذه الهزيمة كانت ساحقة ، بحيث أصبح الأدوميون خاضعين لاسرائيل لعدة أجيال . أما العائلة المالكة فقد أبيدت إبادة تامة باستثناء أمير صغير هو (هدد) الذى نجح فى الهرب الى مصر .[126]

د ـ حربه مع العمونيين :

قصة حرب داود مع العمونيين تبدأ بعد وفاة ملك عمون ، إذ تذكر الرواية أن داود أرسل الى (حانون ابن ناحاش) لتعزيته فى وفاة أبيه ، « فقال رؤساء بنى عمون لحانون سيدهم : هل يكرم داود أباك فى عينيك حتى أرسل اليك معزين . أليس لأجل فحص المدينة وتجسسها وقلبها أرسل داود عبيده اليك . فأخذ حانون عبيد داود وحلق أنصاف لحاهم وقص ثيابهم من الوسط الى أستاههم ثم أطلقهم » .[127]

لقد أغضب هذا العمل داود ، وشعر بنو عمون بالشر الذى وقع بينهم وبين داود ، ورأوا أن الحرب لابد واقعة بين الطرفين . فاستأجروا من آراميي بيت رحوب وصوبة عشرين ألف راجل ، ومن ملك معكه ـ وهو آرامى أيضا ـ ألف رجل ، ومن طوب اثنى عشر ألف رجل .[128]

وعندما علم داود باستعداد العمونيين للقتال أرسل جيشه بقيادة يوآب ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين ، فكانت الغلبة للاسرائيليين فهزموا الآراميين ثم العمونيين الذين لاذوا بالفرار وتحصنوا بعاصمتهم « ربة عمون » ـ وهى عمّان اليوم ـ فحاصرها يوآب ، ثم زحف داود على راس جيش آخر الى عمون ففتح

---

(١٢٣) الملوك الأول ١١ : ١٥ ـ ١٧ .
(١٢٤) هكذا ورد في النص ، ولعل المقصود (أدوم) لأن المعركة في وادى الملح كانت مع الأدوميين .
(١٢٥) ٢ صم ٨ : ١٣ ـ ١٤ .
(١٢٦) Jackson, P. 175; Lods, P. 364.
(١٢٧) صموئيل الثانى ١٠ : ٣ ، ٤ .
(١٢٨) صموئيل الثانى ١٠ : ٦.

العاصمة وأخذ تاج ملكها عن رأسه وكان وزنه قنطارا من الذهب ، ثم أخرج سكانها ووضعهم تحت مناشير ونوارج من حديد ، وطرح منهم فريقا فى أتون الآجرّ ، وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون .»[١٢٩]

ويعلق روبنسون على هذه الحرب بقوله : إنها لحقيقة ذات مغزى كبير أن ملك بنى عمون كان بين أولئك الذين آووا داود وقدموا له المساعدة عندما فر عبر نهر الأردن هرباً من ابنه أبشالوم أثناء ثورته عليه ، بينما يذكر العهد القديم أن داود قام بتعذيب الأسرى العمونيين حتى الموت بمختلف المعدات ، وقام بشيّهم فى الأفران .[١٣٠]

ويقول جاكسون ، لقد عومل العمونيون من قبل داود بوحشية متناهية ، على الرغم من أن نص العهد القديم يحاول أن يلطف الحال بقوله إن السجناء أخذوا ليعملوا فى إنشاء المبانى الملكية .[١٣١]

ويقول شاين : إن هجوم داود على مدينة من المحتمل أن اسمها كان يدعى (عقربة بنى عرمون) كان هجوما ظالما ، وذلك اذا أخذنا بعين الاعتبار الترحيب الذى استقبل به من قبل ملك بنى عمون السابق .. غير أن طموح داود كان أقوى من أن يقيم وزنا لرقة العواطف أو العرفان بالجميل ، يتضح ذلك من قصة حصار ربة عمون (أو عرمون) . ويقول شاين إن كلمة عمون تحريف مألوف لكلمة عرمون [illegible] التى تقع فى شمالى الجزيرة العربية . ويقول إن داود شنّ هذه الحرب على شعب يقطن شمالى الجزيرة العربية .[١٣٢]

هـ ـ حربه مع الآراميين :

كذلك فان داود أخضع الآراميين فى صوبة ودمشق . يقول سفر صموئيل الثانى (٨ : ٣ ـ ٦) : « وضرب داود هَدَد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات . فأخذ داود منه ألفا وسبعمائة فارس وعشرين ألف راجل . وعرقب داود جميع خيل المركبات وأبقى منها مائة مركبة . فجاء أرام دمشق لنجدة هدد عزر ملك صوبة ، فضرب داود من أرام اثنين وعشرين ألف رجل . وجعل داود محافظين فى آرام دمشق . وصار الآراميون لداود عبيدا يقدمون هدايا . »

وتعلق الموسوعة اليهودية على حرب داود مع الآراميين بقولها : لقد كان الصدام مع الآراميين لا مفر منه لأن كلا الخصمين كان يكافح للسيطرة على الأردن من أجل ثروات البلاد ، وليتحكم بالطريق التى تمر عبر سلسلة الجبال الوسطى للأردن .. إن النصر الذى أحرزه داود على هَدَد عزر والملوك الآخرين الذين

---

(١٢٩) ٢ صم ١٠ : ٧ وما بعدها ؛ ١١ : ١ ؛ ١٢ : ٢٦ ـ ٣١ .

(١٣٠) Robinson, History of Israel, P. 220.

(١٣١) Jackson, P. 175.

(١٣٢) Cheyne, PP. 45 – 46.

« كانوا عبيدا له »[١٣٣] قد كبح جماح الآراميين ومنعهم من التوسع فى جنوب سوريا من ناحية ، كما أنه بسط سلطة داود خارج الحدود حتى وصلت الى ضفاف الفرات[١٣٤] من ناحية أخرى ، على الرغم من أن بعض العلماء والباحثين يشكون فى مدى صحة ذلك من الناحية التاريخية . أما أرام دمشق فقد ضمها داود كلية بينما جعل من الولايات الآرامية الأخرى محميات خاضعة له .. أما الذى مكن داود من النجاح فى حروبه الخارجية هذه ، فيرجع ليس الى مقدرته العسكرية فحسب ، ولكن الى مقدرته الدبلوماسية ، واستغلاله الناجح لمجريات الأحداث السياسية التى كانت سائدة فى أيامه .. وقد تمكن من إقامة امبراطورية بسبب الفراغ الذى نشأ فى سوريا وفلسطين نتيجة لحالة الضعف التى كانت عليها مصر فى الجنوب ، والآشوريون والبابليون فى الشمال .[١٣٥]

أما روبنسون فيقول : إنه من الواضح أن هزيمة السوريين كانت الضربة الأخيرة التى كان داود بحاجة اليها ليدمج الامبراطورية الفلسطينية ضمن المناطق التى يسيطر عليها .. وبذلك امتدت سلطة داود جنوبا وشرقا حتى الصحراء . أما من الجهة الشمالية فلم يكن هناك خطر يتهدد الحدود ، بسبب طبيعة البلاد الجغرافية ، ثم إنه بعد الانتصار على السورين (الآراميين) فان ملك حماة مدّ حبال الصداقة مع داود ، ومن المحتمل أنه كانت هناك أرض مترامية الأطراف تقع بين المملكتين لم يستخدمها أى منهما ، كما لم يفكر فى مدّ حدوده اليها ..

أما رواية العهد القديم فتجعل حدود دولة داود تمتد حتى مدخل حماة ، وهذا يعنى أنها تضم أرضاً تابعة لملك حماة . أما الى الشمال الغربى ، فقد أمَّن داود حدوده بطريقة سلمية ، وذلك بأن عقد معاهدة مع ملك صور ..

ويضيف روبنسون قائلا : وهكذا اذن أقيمت ـ أخيرا ـ المملكة الفلسطينية الحقيقية للمرة الأولى والأخيرة فى التاريخ فى تلك البلاد . أما حدودها فلم تكن بذلك الاتساع الذى يدعيه العهد القديم ، الا أنها بالتأكيد كانت تضم من الأراضى أكبر من تلك التى ضمتها تحت حكم أى ملك بمفرده من الملوك المحليين الذين حكموا فى تلك البلاد قبل داود وبعده . حقيقة ان حدوده لم تشمل المدن الفلسطينية التى تمتد على السهل الساحلى ، غير أنها كانت تمتد من دان فى الشمال الى بئر السبع فى الجنوب ، وكانت القبائل المجاورة باستثناء تلك التى تقع الى الغرب ، إما خاضعة لداود أو مرتبطة معه بأواصر الصداقة . وهناك عوامل متعددة أسهمت فى هذه النتيجة ، منها ضعف كل من مصر وبلاد ما بين النهرين ، ومنها القوة التى جُوبِهَ بها

---

(١٣٣) جاء فى ٢ صم ١٠ : ١٩ « ولما رأى جميع الملوك عبيد هدد عزر أنهم انكسروا أمام اسرائيل صالحوا إسرائيل واستعبدوا لهم » .
(١٣٤) انظر : الملوك الأول ٥ : ١ ، ٤ ، أخبار الأيام الثانى ٩ : ٢٦ .
(١٣٥) Enc. Judaica, Vol. 5, Cols. 1321 – 1322.

الفلسطينيون والتي عُزِيَتْ الى التعاون بين أسباط بنى اسرائيل ، ثم التأثير الذى تركته الديانة وما أدى اليه ذلك من توحيد لصفوفهم ، أما أهم تلك العوامل فكان شخصية داود نفسه.(١٣٦)

ويقول جارودى : أنشأ داود مملكة تتجاوز حدود دولة اسرائيل ، لقد كانت إمبراطورية فلسطينية ترتبط مكوناتها المتنافرة بشخص الملك وحده .. ولقد يسرت الظروف الدولية المحيطة مهمة داود ، فلا مصر الممزقة بصراعاتها الداخلية ، ولا العراق الذى يحكمه الكاسيون ، ولا الحثيون الذين حطمهم غزو شعوب البحر ـ لم يكن هؤلاء جميعا يستطيعون أن يقفوا في وجه توسع مملكة داود .(١٣٧)

ويعلق محمد عزة دروزة على عبارة استرداد سلطة داود على نهر الفرات بقوله : إن هذه العبارة عجيبة ، لأنه لم يذكر من قبل أن داود وطّد سلطةً ما له على هذا النهر .. وأين نهر الفرات من فلسطين ! ونعتقد أن هذا وليد الخيال أو الخلط . ومن المحتمل أن يكون قد اشتبك في حرب مع ملك صوبة المجاور لشرق الأردن لسبب من الأسباب ، وأن يكون آراميو دمشق قد سارعوا الى نجدة إخوانهم .. ومع ذلك فالسياق مشوب بالخيال كما هو المتبادر ، وفي الاصحاح العاشر من نفس السفر نقض لما جاء هنا .(١٣٨)

٤ ـ إحصاء الشعب :

جاء في سفر صموئيل الثاني أن غضب الرب اشتد على بنى اسرائيل فأهاج عليهم داود وأغراه بتعدادهم . يقول السفر : « وعاد فحمى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلا : امضِ واحصِ اسرائيل ويهوذا ، فقال الملك ليوآب رئيس الجيش الذى عنده : طُفْ في جميع أسباط اسرائيل من دان الى بئر سبع وعدّوا الشعب فأعلَمَ عدد الشعب .. وطافوا كل الأرض وجاءوا في نهاية تسعة أشهر وعشرين يوما الى أورشليم ، فدفع يوآب جملة عدد الشعب الى الملك فكان اسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذى بأس مستلّ السيف ، ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل » .(١٣٩)

وجاء خبر إحصاء بنى اسرائيل بصيغة أخرى في سفر أخبار الأيام ، فبينما يذكر سفر صموئيل الثاني أن الرب هو الذى أغرى داود بتعداد الشعب ، يقول سفر الأخبار إن الشيطان هو الذى أغرى داود بالتعداد . وهذه هي عبارة السفر : « ووقف الشيطان ضد اسرائيل وأغوى داود ليحصى اسرائيل . فقال داود ليوآب ولرؤساء الشعب اذهبوا عدوا اسرائيل من بئر سبع الى دان وأتوا اليّ فأعلَمَ عددَهم » .(١٤٠)

---

(١٣٦) History of Israel, PP. 221 – 224.
(١٣٧) جارودى ، ص ١٢٣ .
(١٣٨) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ، ص ١٤٨ .
(١٣٩) صموئيل الثانى ٢٤ : ١ ـ ٢ ، ٨ ـ ٩ .
(١٤٠) سفر أخبار الأيام الأول ٢١ : ١ ـ ٢ .

ونجد أيضا أن نتيجة الاحصاء هنا تختلف عن النتيجة السابقة . يقول سفر الأخبار : « فخرج يوآب وطاف في كل اسرائيل ، ثم جاء الى أورشليم . فدفع يوآب جملة عدد الشعب الى داود ، فكان كل اسرائيل ألف ألف ومئة ألف رجل مستلّ السيف ، ويهوذا أربعمائة وسبعين ألف رجل مستلى السيف ، وأما لاوى وبنيامين فلم يعدّهم معهم » .[141]

ويعلق منيس عبدالنور على مسألة إحصاء الشعب من قبل داود بقوله : ليس الإحصاء حراما ، فقد أحصى موسى الشعب ثلاث مرات أو أكثر (الخروج ٣٠ : ١٢ ، العدد ـ الاصحاحات ١ ، ٣ ، ٢٦) ، ولكن الحرام في إحصاء داود للشعب هو أن داود أراد أن يفتخر بعدد رجاله ، ويقارن نفسه بالممالك التى حوله . أو ربما كان الخطأ في إحصاء الشعب أن داود قصد أن يزيد الضرائب على الناس ، فأراد معرفة زيادة عددهم حتى يزيد عليهم الضريبة .[142]

٥ ـ داود يبنى مذبحا للرب :

بعد الوباء الذى ضرب بنى إسرائيل وأمات منهم سبعين ألفا بسبب الإحصاء الذى أمر به داود ، يذكر سفر صموئيل الثاني أن الرب ندم عن الشر[143] « وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها ، فندم الرب عن الشر وقال للملاك المُهْلِكِ الشعبَ كفى ، الآن رُدَّ يدَك . وكان ملاك الرب عند بيدر أرونة اليبوسى » .[144]

ثم ذهب النبى جاد الى داود بأمر الرب ليقيم مذبحا للرب في بيدر أرونة اليبوسى . فصدع داود للأمر وذهب من فوره يطلب البيدر من أرونة . فتنازل له هذا عن البيدر بدون مقابل . « فقال الملك لأرونة : لا بل اشترى منك بثمن ولا أُصْعِدُ للرب مُحْرَقاتٍ مجّانية . فاشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلا من الفضة . وبنى داود هناك مذبحا للرب وأصعد محرقات وذبائح سلامة ، واستجاب الرب من أجل الأرض ، فكفت الضربة عن اسرائيل . »[145]

وفي رواية أخرى يختلف مقدار المبلغ الذى اشترى به داود بيدر أرونة ، إذ جاء في سفر أخبار الأيام الأول ما يلي : « ودفع داود لأرنان عن المكان ذهباً وزنه ست مئة شاقل . »[146]

---

(١٤١) سفر أخبار الأيام الأول ٢١ : ٤ ـ ٦ .
(١٤٢) داود صاحب المزامير ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .
(١٤٣) حاشى لله أن تلصق به مثل هذه الأوصاف ، ولكنه العهد القديم وروايته ، ونحن هنا ننقل عنه .
(١٤٤) صموئيل الثانى ٢٤ : ١٦ .
(١٤٥) صموئيل الثانى ٢٤ : ٢٤ ـ ٢٥ .
(١٤٦) سفر أخبار الأيام الأول ٢١ : ٢٥ .

٦ ـ التحضير لبناء الهيكل :

عندما أحضر داود التابوت الى أورشليم أراد أن يبنى بيتا للرب يليق بأن يوضع التابوت فيه ، إلا أن الرب رفض أن يقوم داود ببناء البيت . جاء في سفر أخبار الأيام الأول على لسان داود : « قد كان في قلبى أن أبنى بيتا لاسم الرب إلهى . فكان اليّ كلام الرب قائلا : قد سفكت دما كثيرا وعملت حروبا عظيمة فلا تبنى بيتا لاسمى لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامى . هو ذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة ، وأريحه من جميع أعدائه حواليه ، لأن اسمه يكون سليمان ، فأجعل سلاما وسكينة في اسرائيل في أيامه . هو يبنى بيتا لاسمى .. » (١٤٧)

وإزاء هذا الوضع لم يكن بامكان داود أن يبنى البيت ، ولما كان ابنه سليمان صغيرا ، فانه أراد أن يسهل مهمته عندما يتفرغ لبناء البيت . « وقال داود إن سليمان ابنى صغير وغضّ ، والبيت الذي يُبنى يكون عظيما جدا في الاسم والمجد في جميع الأراضى ، فأنا أهيىء له . فهيأ داود كثيرا قبل وفاته » . (١٤٨)

ويبالغ السفر المذكور في كمية المواد التى هيأها داود لبناء الهيكل فيقول على لسان داود : « هأنذا في مذلتى هيأت لبيت الرب ذهبا مئة ألف وزنة وفضة ألف ألف وزنة ونحاسا وحديدا بلا وزن لأنه كثير . وقد هيأت خشبا وحجارة فتزيد عليها . وعندك كثيرون من عاملى الشغل ، نحّاتين وبنائين ونجارين وكل حكيم في كل عمل . الذهب والفضة والنحاس والحديد ليس لها عدد .. » (١٤٩)

ويعلق جاكسون على محاولة داود بناء الهيكل بقوله : لقد سبق لداود أن بنى قصرا له بمساعدة البنائين والمعماريين السوريين ، لذلك فان رغبته في بناء مقر دائم لتابوت العهد ، كانت نتيجة طبيعية لحماسه الكبير في خدمة الرب ، فقال لناثان النبى : « انظر ، إنى ساكن في بيت من أرز وتابوت الله ساكن داخل الشقق » . (٢ صم ٧ : ٢) ، لقد كان بناء مسكن (ليهوه) على غرار هياكل آلهة الفلسطينيين والسوريين ، يعتبر بحد ذاته ابتكارا وتجديدا له شأنه الكبير ، خاصة بتوظيف أناس وثنيين لهذه المهمة .. فقد كان بنو اسرائيل معتادين على البساطة المطلقة في العبادة ، فكانت معابدهم ومذابحهم تقام في رؤوس التلال والمرتفعات مفتوحة بدون أسقف ، كان مسكن تابوتهم المقدس خيمة عربية ، أما الهيكل الذى كان داود يعتزم بناءه ، فيعتبر نقلة نوعية لم يسبق لها مثيل في حياتهم . (١٥٠)

وكما جاء في الرواية فإن الرب رفض قيام داود ببناء الهيكل لأنه سفك دماء كثيرة .. فقام داود بإعداد

---

(١٤٧) سفر أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٧ ـ ١٠ .
(١٤٨) سفر أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٥ .
(١٤٩) سفر أخبار الأيام الأول ٢٢ : ١٤ ـ ١٦ .
(١٥٠) Jackson, P. 183.

وتحضير المواد اللازمة للبناء لتسهيل مهمة ابنه سليمان الذى سيبنى الهيكل فيما بعد . وفي ذلك يقول روبنسون : على الرغم من أن البناء الحقيقى يُعزى الى سليمان بن داود ، الا أن ترتيبات ذلك البناء والتحضير له كان من عمل داود .(١٥١)

٧ ـ داود ينظم طقوس العبادة في المعبد :

يذكر العهد القديم أن داود شكل فريقا من العازفين والمرتلين وخصصهم للخدمة في المعبد ، وأدخل المزامير لتشكل عنصرا مهما في طقوس العبادة ، فكانت التراتيل والتسابيح تستخدم في هذه الطقوس بمصاحبة أنواع عديدة من المعازف مضفية جوا من الخشوع الذى يتطلبه الموقف في العبادة الجماعية .

يقول سفر أخبار الأيام الأول إن داود « جمع كل رؤساء اسرائيل والكهنة واللاويين .. من هؤلاء للمناظرة على عمل بيت الرب أربعة وعشرون ألفا ، وستة آلاف عرفاء وقضاة ، وأربعة آلاف بوابون ، وأربعة آلاف مسبحون للرب بالآلات التى عملت للتسبيح . وقسمهم داود فرقا ... »(١٥٢)

يعلق أولبرايت على رواية سفر الأخبار هذه ويورد الكثير من الأدلة التى تثبت أن داود لم يكن أول من أوجد نظام استخدام الموسيقى في الطقوس الدينية ويقول : إن كلا من فلسطين وسوريا اشتهرت بالعازفين والموسيقيين في تاريخ الشرق الأدنى القديم .. كما أن العديد من الآلات الموسيقية استعارها اليونانيون مع أسمائها من الكنعانيين .. وقد شكل المغنون في أوجاريت مجموعة منهم خاصة بالهيكل سنة ١٤٠٠ ق . م . علاوة على ذلك فقد جاء في سفر أخبار الأيام ذكر لأسماء اساف وهيمان وايثان أو (يدوثون) .. ويسمى سفر الملوك الأول ايثان « الأزراحى » ، أي إنه أحد أعضاء عائلة من سكان البلاد الأصليين الذين كانوا موجودين قبل طروء بنى اسرائيل على أرض كنعان . ويطلق سفر أخبار الأيام الأول (٢ : ٦) على جميع مؤسسى فرق الموسيقى تسمية (الأزراحيين) ، ويظهر من عنوان المزمور (٨٨) أن (هيمان) كان أزراحيا .. وبمعنى آخر فان جميع هذه الفرق الموسيقية كانت كنعانية الأصل ، بدليل الأسماء الواردة فيها . يتضح من هذه المقارنات أن موسيقى الهيكل العبرية التي كانت معروفة عند بنى اسرائيل ترجع في حقيقتها ـ كما يقول أولبرايت ـ الى أصول تعود الى ما قبل ظهورهم في تلك الديار ، كما أنها تبرهن على أن داود لم يكن أول من أوجد نظام استخدام الموسيقى في الطقوس الدينية .(١٥٣)

٨ ـ داود وتأليف المزامير :

هناك سفر ضمن أسفار العهد القديم يسمى « سفر المزامير » يحتوى على مائة وخمسين مزمورا ،

(١٥١) History of Israel, P. 201.

(١٥٢) أخبار الأيام الأول ٢٣ : ٢ ، ٤ ـ ٦ .

(١٥٣) Albright, Arch. and The Religion of Israel, PP. 125 – 128, 209.

وينسب تأليف هذا السفر لداود عليه السلام . وقد تكون المزامير هي الزبور (١٥٤) الذى يذكر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى آتاه إياه . وهذه المزامير عبارة عن ترانيم وتسابيح وأناشيد وابتهالات لله عز وجل .

وسفر المزامير يدعى مزامير داود تغليبا أي تسمية للكل باسم الجزء ، لأن أكثر هذه المزامير منسوب لداود الذي كان ذا صوت شجيّ ، وكان يحسن الضرب على بعض الآلات الموسيقية . لذلك كانت نبرات المزامير وأوزانها تتلاءم مع التوقيع على الآلات الموسيقية التى كانت تصاحب ترنيمها وقت العبادة .

أما عن تأليف المزامير الموجودة بين أيدينا ، فانه من الثابت أنها لم تكن من وضع شخص واحد ، بل وضعت من قبل أشخاص عديدين ، وقد تأثرت بالمزامير الكنعانية وبأساليبها وألفاظها .

ويشير أولبرايت الى الآثار الأدبية التى اكتشفت في أوجاريت ويقول إنها تظهر بوضوح أن العديد من المزامير مشبعة بالأساليب والألفاظ الكنعانية ، وبلغ التشابه حدا وصل الى اقتباس المزامير لمواد بكاملها من مثيلاتها الكنعانية . (١٥٥) كما يتفق أيسفلت مع أولبرايت في هذا الرأى ويضيف أن الكنعانيين اعتمدوا في أناشيدهم بدورهم على ما أخذوه من المصريين والبابليين وسكان آسيا الصغرى . (١٥٦)

ويقول الدكتور أحمد بدوى إننا نلحظ الأثر الواضح الذى تركته أناشيد أخناتون في المزامير . (١٥٧)

ويؤكد ول ديورانت ذلك فيقول : ما بين نشيد أخناتون وبين المزمور الرابع بعد المائة من تشابه يغفل عنه الناس ، لا يترك مجالا للشك في ما كان لمصر من أثر في الشاعر العبرانى . (١٥٨)

وبالقاء نظرة على عناوين المزامير ، فاننا نجد غالبية هذه العناوين تنبئنا عن مؤلفيها ، ومنها يظهر أن ثلاثة وسبعين مزمورا فقط تنسب الى داود من أصل مائة وخمسين .

ويقول (وايزر) في ذلك إن السبب الرئيسي لوضع مثل هذه العناوين لم يكن أبدا لتسمية مؤلف المزمور .. كما أنه لا يعرف أساسا من هو الذى وضع المزامير أو ألفها . (١٥٩)

ويقول الدكتور فؤاد حسنين على : لقد جرت العادة أن يقال إن داود هو مغنى المزامير ، لكن الواقع

---

(١٥٤) هناك علاقة بين كلمتى (مزمور) و (زبور) ، هذه العلاقة جاءت من حرف الميم في (مزمور) ، وحرف الباء في (زبور) ، وهي علاقة صوتية ، حيث إن الحرفين شفويان لأنهما يشتركان معا في مخرج واحد هو الشفه .

(١٥٥) Albright, Archaeology and The Religion of Israel, PP. 128 – 129.

(١٥٦) Eissfeldt, PP. 446 – 448.

(١٥٧) الدكتور أحمد بدوى ، في موكب الشمس ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٨١٥ ـ ٨١٩ .

(١٥٨) قصة الحضارة ، ج ٢ ، مجلد ١ ، ص ١٧٥ .

(١٥٩) Weiser, Artur : The Psalms, A Commentary, Translated by Herbert Hartwell, Old Testament Library, SCM Press Ltd. London, 1965, P. 95.

أنه قد يكون هو الواضع لها كعازف موسيقى فقط .. أما بخصوص تأليفه لبعض المزامير فذلك ما لا يمكن الجزم به . (١٦٠)

لكل ذلك فاننا لا نستطيع أن نجزم بأن داود عليه السلام ألف المزامير أو بعضها .

● ● ●

أبشالوم وثورته

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن معنى اسم أبشالوم في العبرية هو : « أبو سلام » أو « الأب سلام » أو « أبو السلام » ، وهو ثالث أبناء داود . ولد في حبرون واسم أمه معكة بنت تلماي ملك جشور . وعندما نقل داود عاصمة ملكه الى أورشليم انتقل معه أبشالوم وهو ما يزال بعد صبيا صغيرا . كان أبشالوم حسن المنظر جميل الصورة طويل الشعر محبوبا من أبيه ومن جميع الشعب . (١٦١)

ويقول روبنسون : إن الأخطار التى رافقت مملكة اتسمت بتعدد زوجات ملوكها مازالت تتفاعل ، وهي مجسدة هنا بقصة أبشالوم (١٦٢) التى حدثت في النصف الثاني من حكم داود ، وتعطينا صورة حية عن ذلك الشاب الأنيق ، الجذاب ، العاطفى ، الطموح ، ولكنه أيضا عديم الضمير مجرد من المبادىء الخلقية .

ويضيف روبنسون : كان داود يقترب من الشيخوخة ، ولم يعد قادرا على القيام بأعباء القضاء كما كان في السابق ، والقضاء هو أول الواجبات التى على الحاكم الشرقي القيام بها . لقد أفاد أبشالوم من فشل داود في هذه الناحية وذلك بخلق حالة من عدم الرضا بين الناس ، وكان ناجحا في ذلك خاصة وأن المتقاضين كانوا يأتون من مناطق كثيرة في البلاد ، وبالتالى كانوا يحملون معهم لدى عودتهم انطباعا حسنا عن لطف أبشالوم وكياسته . (١٦٣)

ويقول جاكسون : أما داود فيبدو أنه في ذلك الوقت ، فقد قوته ونشاطه ، كما فقد التصميم والثبات اللذين كان يتحلا بهما في شبابه .. كان سلوكه كله يتصف بالوهن والضعف بشكل مغاير تماما لقوته وحصافته وحكمته وهي الصفات التى كانت طابعه في أوائل حكمه .

ويضيف قائلا : لقد ظهر أنه أصبح غير مكترث لواجباته الملكية ، بحيث اضطربت أمور العدل والقضاء ، وأضحى داود تحت السيطرة الكاملة لمستشاريه الأقوياء أمثال يوآب .. كان داود خلال تلك الفترة

---

(١٦٠) الدكتور فؤاد حسنين على ، التوراة ـ عرض وتحليل ـ مطبعة دار المستقبل ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٦٤ ـ ٦٦ .
(١٦١) قاموس الكتاب المقدس : أبشالوم ، ص ١٣ .
(١٦٢) انظر : صموئيل الثانى ، الاصحاحات ١٣ ـ ١٩ .
(١٦٣) Robinson, History of Israel, PP. 225 – 226.

المضطربة محزنا ومثيرا للشفقة أكثر منه بطلا ، كانت شئون الدولة تدار في الحقيقة بواسطة أشخاص أقوى منه .. إن (الدراما) التي أدت إليها الأحداث لم يلعب فيها داود أو ابنه أبشالوم الدور الرئيسي .. فعندما أعلن أبشالوم عصيانه توقف عن المبادرة بشيء يذكر ، وأصبح ألعوبة بأيدى مستشاريه .(١٦٤)

ويقول لودز : إن العصر الذهبي لدولة بنى اسرائيل لم يكن الا عبارة عن سعادة غير متكاملة .. فكان النصف الثاني من حكم داود مظللا بالمنافسات المأساوية بين مختلف المطالبين بخلافته على العرش بعد أن تقدمت به السن .

وقد استغل أبشالوم بمهارة العيوب والخلل الذى أصاب إدارة داود ، وخاصة فيما يتعلق بالقضاء ، ومن ثم نجح في إثارة عصيان عام ضد والده الذى أجبر على الهرب الى شرقي الأردن مع بعض أتباعه وحرسه الخاص من الفلسطينيين . الا أن أبشالوم هزم في المعركة وقتل من قبل يوآب .

غير أن العداوة التى لم تمت بين « اسرائيل » و« يهوذا » ، والكراهية التى تعتمل في صدور البنياميين ضد داود الذى نجح في سلب بيت شاؤل ، كل ذلك أدى الى انفصال جميع المقاطعات التى تقع الى الشمال من أورشليم ، بحيث أجبر داود على إخضاعها مرة أخرى .(١٦٥)

ويقول جارودى إن جيش داود الذى استردّ بواسطته سلطته كان من المرتزقة . يقول : وكان على داود أن يحطم مغامرات أبشالوم في الداخل للاستيلاء على السلطة ، وقد ظهر جيش داود المرتزق متفوقا على جيوش الأسباط التى دفعها أبشالوم ، وهكذا عاد داود الى العرش الذى اغتصبه ابنه ذات لحظة . ويشير الى تمرد القبائل الشمالية وإخماد ذلك التمرد بقوله : وقمع داود أيضا تمرد أسباط اسرائيل الذى أعلنوه بكلمة السر : « ليس لنا قسم في داود .. كل رجل الى خيمته يا اسرائيل !! » (٢ صم ٢٠ : ١) .(١٦٦)

أما عن مسرح ثورة أبشالوم فيعلق شاين على ما جاء في سفر صموئيل الثاني (١٥ : ١١) ونصه : « وانطلق مع أبشالوم مئتا رجل من أورشليم قد دُعُوا وذهبوا ببساطة ولم يكونوا يعلمون شيئا » ، فيقول إن الرجال المائتين ـ كما يفهم من النص ـ لم يكونوا يعلمون شيئا عن ترتيبات أبشالوم في الاستيلاء على التاج ، الا أن ذلك من المؤكد بعيد عن الاحتمال ، حيث إن الرجال المائتين لا يمكن أن يكونوا يجهلون ما يعرفه كل واحد أو يتوقع حدوثه . لقد كانت المؤامرة قوية لدرجة أن الرجال المقاتلين كانوا يتزايدون باستمرار مع أبشالوم(١٦٧) . إنه من الواضح أن أولئك الذين رافقوا أبشالوم الى حبرون لم يكونوا مغفلين ساذجين لا يعلمون شيئا .. لقد كانوا في الحقيقة يشكلون حرسه الشخصي من شمالى الجزيرة العربية .

---

(١٦٤) Jackson, P. 178.

(١٦٥) لودز ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

(١٦٦) جارودى ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(١٦٧) جاء في (٢ صم ١٥ : ١٢) : « وكانت الفتنة شديدة وكان الشعب لا يزال يتزايد مع أبشالوم » .

وجاء في صموئيل الثاني (١٥ : ١٨) أن هناك ستمائة رجل من « الجلّادين » و« السعاة » رافقوا داود في هربه من أورشليم وشكلوا نواة جيشه . يقول شاين إن المدينة التي تألفت فيها هذه القوة الكبيرة نسبيا من الرجال المسلحين من شمالى الجزيرة العربية ومن غير الاسرائيليين ، كانت أورشليم الجنوبية التى تقع شمالى جزيرة العرب وليست بالتأكيد أورشليم التى تسمى الآن القدس .

ويضيف شاين : إننى لا أجادل في وجود حرس ملكى خاص سواء في السامرة أو في أورشليم الشمالية ، ومهما كانت تسميات هذا الحرس ، فان أعضاءه ـ كما يظهر من تسمياتهم وألقابهم العرقية ـ كانوا من الجنس العربي الذى يقطن شمالى جزيرة العرب . ولكننى أبين مع ذلك أن مثل هذه الفرقة كبيرة العدد (٦٠٠ أو ٨٠٠ شخص) لا يمكن أن تكون إلا في أورشليم الجنوبية التى تقع شمالى جزيرة العرب ، والا فانها تشكل خطرا أبديا مستمرا على الملك أكثر من كونها مشكّلة لحمايته . ويختتم شاين تعليقه بقوله : إن مسرح قصص داود المنحدرة الينا والقصص المتفرعة عنها ، كقصة أبشالوم ، هو شمال الجزيرة العربية .[١٦٨]

● ● ●

منجزات داود

لا بد لنا الآن من أن نعرض لأهم المنجزات التى حققها داود ، بعد أن انتقل بنو اسرائيل في عهده من مجتمع يتحكم فيه النظام القبلى ، الى مجتمع متطور يحاكى المجتمعات المتحضرة المحيطة به .. وأصبح هذا المجتمع الذى تحول الى الملكية ، يتطلع الى تطبيق الأسس والأنظمة التى تقوم عليها الدول في مجالات كثيرة .

يقول روبنسون : هناك ثلاث وظائف رئيسية للحكومات الشرقية هي :

١ ـ الحرب ٢ ـ الشؤون المالية ٣ ـ شؤون القضاء .

ويمكن أن تضاف الى هذه الوظائف ، الشؤون التجارية ، وشؤون النقل والمواصلات . وحتى تؤدى هذه الوظائف عملها ، لا بد من توفير الوسائل الاحتياطية اللازمة ، اذا كانت الأمور تسير بشكل منظم في الدولة المعنية .[١٦٩]

الجيش :

يقول روبنسون : لقد كان تنظيم الجيش في مملكة داود بسيطا اذا ما قورن بغيره من الجيوش . وعلى الرغم من أنه لا توجد لدينا معلومات كاملة عن ذلك الجيش ، إلا أن القوات الاسرائيلية المجندة كانت تنظم

---

(١٦٨) شاين ، ص ٥١ ـ ٥٣ .

(١٦٩) Robinson, History of Israel, P. 230.

بصورة عامة من مجموعات وفصائل محلية ، بحيث كان الرجال يقاتلون جنبا الى جنب مع جيرانهم وأسرهم وأقاربهم . وكان الضباط يرأسون مجموعات من الرجال ، تتكون كل مجموعة من مائة رجل أو ألف ، الا أن هذا العدد لم يكن دائما ثابتا . أما التدريب العسكرى المنظم فلم يكن قد عرف بعد ، حيث إن القتال كان يقوم في معظمه على المبادرات الفردية وبدون تنظيم .. وكانت الجيوش تعتمد في النصر ـ بصورة كبيرة ـ على الرعب الذى يصيب الطرف الآخر نتيجة الصدمة المفاجئة التى يسببها البادىء بالهجوم المباغت .. وكان من النادر جدا أن يبقى في أرض المعركة جندى بمفرده اذا ما ولّى رفقاؤه في السلاح هاربين . ويسجل العهد القديم في هذا المجال اسم أحد أبطال داود المشهورين ، الذى صمد في أرض المعركة بعد أن هرب جميع رفاقه من أمام الفلسطينيين مذعورين .[١٧٠]

وقد أنشأ داود ـ بالاضافة الى المجندين الوطنيين ـ نواة لجيش نظامى ، وإنه لمن الممتع حقا أن نلاحظ أن قوة داود الرئيسة اكتسبها من مصادر وقوى أجنبية ، حيث إن (الجلادين) و (السعاة) كانوا في الغالب فلسطينيين ، ولم يكونوا يشكلون الدعامة الأساسية لقوة داود الشخصية فحسب ، بل كان وجودهم في القوات المسلحة لسليمان سبباً في تأمين ارتقائه على العرش .. ويقول روبنسون في وصف حالهم : كان الجلادون والسعاة بالنسبة لداود كالحرس الامبراطورى بالنسبة لأباطرة الرومان .[١٧١]

كان جيش داود ، بالاضافة الى ذلك ، يتميز أيضا بوجود مجموعتين مهمتين من الجبابرة ، ولم يكن لهؤلاء الجبابرة ـ على ما يظهر ـ أي مكانة أو رتبة عسكرية معينة ضمن المجموعات الأخرى التى يتكون منها جيش داود ـ على الرغم من إمكانية وجود ذلك ـ حيث إن هذا الأمر كان يتم ترتيبه بالنسبة اليهم ، عندما كانت قوات الجيش تتأهب عمليا للذهاب الى المعركة . وكان بنايا هو بن يهويا داع قائدا للحرس الملكى ، بينما كان أبيشاى رئيسا (للثلاثين) .[١٧٢]

ويقول جاكسون : لما كان داود نفسه من أصل مختلط ، اذ ترجع أصوله الى بنى اسرائيل والمؤابيين ، وحيث إنه عاش ردحا من الزمن بين الفلسطينيين ، لذلك فانه كان وسيطا طبيعيا بين قومه والعالم الخارجي في نقل فنون الأمم الأخرى ، الأكثر تحضرا ورقيا من شعبه .. ومن ذلك أنه قام بتنظيم جيشه على غرار جيش الفلسطينيين .[١٧٣]

الشؤون المالية :

إن المعلومات المتوفرة عن تنظيم السلطة المدنية فيما يتعلق بالشؤون المالية والأشغال العامة قليلة

(١٧٠) صموئيل الثانى ٢٣ : ١١ وما بعدها .
(١٧١) Robinson, History of Israel, P. 230.
(١٧٢) نفس المرجع والصفحة .
(١٧٣) Jackson, P. 190.

جدا ، باستثناء ما ورد في العهد القديم من تعيين أدورام كمسئول عن تأمين أعمال السخرة غير مدفوعة الأجر[١٧٤] . الا أننا نستطيع أن نفترض أن هذا التنظيم كان قد ظهر الى حيز الوجود في عهد داود ، بالرغم من أنه لم يكتمل الا زمن سليمان .

أما بالنسبة للضرائب التى تجبى ، فانه لا يوجد لدينا أي دليل عن قيمة هذه الضرائب التى كانت تدفع للملك ، ولو أنه من الواضح أنها كانت تكفى لنفقات البلاط الملكى ، مع أن الضرائب كانت في عهد سليمان كبيرة الى حد ما . كما أننا لا نملك أي شاهد أو بيّنة على الطريقة التى كانت تحدد على أساسها نسبة الضرائب أو طريقة جبايتها . ومن المحتمل أن الترتيبات بهذا الشأن كانت ما تزال في مرحلة بدائية غير متطورة . [١٧٥]

النظام القضائي :

اذا ما تحولنا الى النظام القضائي ، فان المعلومات التى لدينا والتى تمس هذا الموضوع بصورة مباشرة ، تعد أقل معلومات عن أي موضوع آخر تعرضنا لذكره . ويمكن الافتراض أن الطرق القديمة في فض المنازعات هي التى كانت سائدة زمن داود ، وأن نظام المجتمع سواء كان في المدينة أو القرية لم يطرأ عليه الا تغير طفيف ـ إن كان هناك تغيير يذكر .

أما القضاء فعلى ما يظهر أنه كان ما يزال مسألة محلية كما يتضح من قصة المرأة التقوعية[١٧٦] ، حيث هبّت كل العشيرة مطالبة بتوقيع القصاص على ابن تلك المرأة الذى قتل أخاه . الا أن هذه القصة نفسها ترينا أنه تم الاحتكام الى الملك الذى كان له الحق حتى في أن ينحّى جانبا التقليد العريق والعادة المتبعة في البلاد ، فيلغى حكم المحكمة البدائية ويعفو عن المجرم المدان .. إن هذا العمل يمكن تلخيصه بكلمة واحدة هو أنه قرار من المحكمة النهائية والذى لا قرار بعده .[١٧٧]

ومن قصة ثورة أبشالوم نستطيع أن نرى أيضاً الواجبات التى كان يتولاها داود في مجال القضاء ، بالاضافة الى أن هذه القصة تكشف لنا عن الوضع الذى أصبح عليه داود في ذلك الوقت .. فترينا كيف كان أبشالوم يعامل الفرقاء المتخاصمين الذين كانوا يأتون للاحتكام الى أبيه داود ، وكيف أنه استطاع أن يكسب جانب المتخاصمين بمعاملته اللطيفة أولا ، ثم بالتأكيد لهم أنه لو كانت بيده أمور القضاء ، لقضى بينهم بما

---

(١٧٤) نص العهد القديم في هذا الشأن هو كما ورد في صموئيل الثانى ٢٠ : ٢٤ : (وأدورام على الجزية) ، الا أن روبنسون يقول إن النص الحالى أضيف في وقت متأخر وقد يكون أخذ عن سجل آخر .

(١٧٥) Robinson, History of Israel, P. 231.

(١٧٦) صموئيل الثانى ١٤ : ٥ ـ ٧ .

(١٧٧) السابق ، ص ٢٣٢ .

يرضيهم جميعا . وكان في ذلك بطبيعة الحال تلميح واضح للتأخير الذى كان يحدث في تقاضيهم أمام داود ، وللقرارات غير الملائمة التى كانت تصدر عنه .[(١٧٨)]

الكتابة والشؤون الادارية :

ظهر في زمن داود وظائف جديدة لم تكن معروفة من قبل . فبالاضافة الى الوظائف المار ذكرها ، ذكر أن هناك وظيفتين إداريتين تنتميان لما يمكن أن نسميه (السكرتاريا) . وهاتان الوظيفتان هما وظيفة (المسجل) ووظيفة (الكاتب) . إن عمل الوظيفتين يمكن أن يكون متداخلا ومتشابكا ، غير أن اختصاصاتهما الرئيسية يمكن تمييزها بسهولة .

يحتفظ البلاط في جميع الممالك الشرقية بسجل رسمى للأحداث ، وكان هذا السجل في عهدة شخص تقع على عاتقه مسئولية النظر في الحوليات الملكية وتأريخ الأحداث على نحو واف . كما كان من الضروري وجود جهاز كامل من موظفى السكرتارية للقيام بأعمال المراسلات المختلفة التى يحتاجها البلاط .

وبينما كان فن الكتابة معروفا ومتداولا منذ عدة قرون في فلسطين ، فانه كان فنا عالميا ، يقتصر ـ كما هو الحال الآن في الشرق ـ على فئة متخصصة في هذا المجال . وقد يكون من الممتع أن نعرف الطريقة التى كانت تتم بواسطتها هذه المراسلات ، وفي أي لغة كانت تكتب .

قبل ذلك بأربعة قرون كانت الكتابة المسمارية واللغة الأكادية تستعملان عالميا في المراسلات الرسمية في فلسطين ، وبعد انتهاء عصر الملكية ، أصبحت اللغة الآرامية هي المستعملة في تلك المراسلات .. وقد اكتشفت في آثار سيناء محاولات لأشكال أخرى من الكتابة قام بها الفينيقيون والفلسطينيون قبل ذلك ، وترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أو من المحتمل أنها ترجع الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ومن المحتمل أن اللغة التى كانت تستخدم في مملكة بنى اسرائيل ـ كما هو الحال في مملكة مؤاب في القرن التاسع قبل الميلاد ـ هي اللغة العبرية مكتوبة بالخط المسمارى .[(١٧٩)]

النظام الكهنوتى :

هناك قائمتان متشابهتان ولكن مع بعض الاختلاف مذكورتان في سفر صموئيل الثاني[(١٨٠)] ، وتتضمنان أسماء الضباط القادة في مملكة داود ، ولكن تنتهى كل قائمة بذكر أسماء كهنة داود . إن هذه الملاحظة تدل على أن النظام الكهنوتى المحكم الذى أنشىء لتنظيم الخدمة في الهيكل ، لم تكن نسبته الى داود صحيحة ،

---

(١٧٨) السابق ، ص ٢٣٢ .

(١٧٩) المرجع السابق ، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(١٨٠) صموئيل الثانى ٨ : ١٦ ـ ١٨ ؛ ٢٠ : ٢٣ ـ ٢٦ .

وأن ما عُزِى الى داود في هذا الشأن فيما بعد ، كان بعيدا عن الحقائق الفعلية . إذ نجد في القائمتين ذكر كاهنين بالاسم هما صادوق وأبياثار ، ولا نستطيع القول كيف كانت واجباتهما موزعة بينهما ، كما لا يوجد بين أيدينا ما يبين الطريقة التى وصل بها صادوق الى هذا المركز . كان أبياثار « بأفوده »[١٨١] واحدا من أقدم أتباع داود ، فقد التجأ اليه بعد المذبحة التى حلت بعائلته في نوب على يدى شاؤل .

وبينما كان أبياثار ما يزال الكاهن المختص بالأفود[١٨٢] بينما عهد الى صادوق مسئولية أمور تابوت العهد ، الا أن الأمر الذى يلفت الانتباه هو ما جاء في نهاية القائمتين ، فقد انتهت القائمة الواردة في صموئيل الثاني (٢٠ : ٢٦) بالعبارة التالية : « ... وعيرا اليائيرى أيضا كان كاهنا لداود » . وهذا يعنى أنه كان « لعيرا » المذكور جهاز خاص مستقل عن النظام الكهنوتى العادى في الهيكل الوطنى .[١٨٣]

إن هذا الوضع بحد ذاته يعد أمرا غريبا مستهجنا ، ولكن الأغرب من ذلك مازال ـ وفق النظرية التى جاءت فيما بعد ـ هو وضع العبارة التالية في نص الاصحاح الثامن ، فقرة ١٨ ، من صموئيل الثاني : « .. وبنو داود كانوا كهنة » . إلا أنه لا يوجد لدينا سبب للشك في أن تلك العبارة كانت تاريخية غير أسطورية ، وان النص الأصلى في القائمتين المشار اليهما ، كان يحتوى على أسماء كل من « عيرا » وأبناء داود . إذ إن الملك نفسه قام بوظيفة كاهن عند إحضار التابوت الى أورشليم ، ولم يكن هناك شيء غير مألوف في تفكيره بالنسبة لتعيين أبنائه في تلك الوظيفة . ومما لا شك فيه وجود آخرين أحق وأقدر على خدمة الهيكل ، ومع ذلك ، فإن المؤسسة الكهنوتية لداود ، كانت مسألة في غاية البساطة ، اذا ما قورنت بتلك التى نظمها سليمان واحتفظ بها خلفاؤه من بعده .[١٨٤]

اختفاء النظام القبلى وظهور طبقة (الارستقراطيين) :

لقد جلب تأسيس الملكية معه تغييرا مهما في النظام الذى يقوم عليه المجتمع فقد اختفت القبيلة ولم تعد تشكل وحدة قائمة بذاتها .. إننا نسمع بأسماء قبلية ظهرت فيما بعد ، مثل زبولون ونفتالى وأفرايم ومنسّى في القرن الثامن ق . م . وبالنسبة للاسمين الأولين ، فهما اسمان محليان أكثر من كونهما اسمين قبليين ، أما الاسمان الآخران فيدلان في المقام الأول على الصراع الذى كان دائراً بين القبائل المتنافسة . لقد كان هناك ميل لتوحيد القبائل منذ الأيام الأولى التى استوطن فيها بنو اسرائيل أرض كنعان ، غير أن هذه العملية

---

(١٨١) الأفود هو الثوب (يشبه الصدرة) الذي كان يلبسه رئيس الكهنة أثناء خدمة الكهنوت وكان يصنع من كتان دقيق مبروم ، من لون ماء الذهب واللون الأزرق والارجوانى والقرمزى ، وكانت للأفود قيمة دينية كبيرة ، اذ كان يستخدم في طلب إرشاد الله وفي العبادة ، (انظر : قاموس الكتاب المقدس : « أفود » ص ٩٦) .

(١٨٢) يكون على ذلك رئيسا للكهنة ، لأن الأفود لا يلبسه الا رئيس الكهنة .

(١٨٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(١٨٤) السابق ، ص ٢٣٣ .

كانت طويلة وبطيئة ، فلم يحقق الاسرائيليون إلا قدرا ضئيلاً جدا في هذا المضمار . وبقى نظام القبيلة هو النظام الفاعل المؤثر ، حتى مجيء داوْد حيث قام بتنظيم المملكة . ومع حكم داود وحكم ابنه سليمان من بعده ، أصبح الاحتفاظ بالتقسيمات القبلية السابقة في حكم المستحيل .. فقد حولت الملكية المركزية القوية في أيامها ، أعين الناس صوب الملك وصوب العاصمة أكثر من الاهتمام برؤساء القبائل المحليين ،[١٨٥] الذين ضعفت قوتهم وانحسرت سلطتهم وأصبح خضوعهم للملك واضحا جليا .. لقد أدى اتحاد البلاد سياسيا الى زيادة إمكانية الاتصال بين أجزاء البلاد ، وأدى الى كسر الحواجز والعوائق بينها ، وبينما كان الفلاحون والمزارعون ، يحافظون على بقاء القبائل مستقلة عن بعضها ، فان تحركات الأفراد كانت تعرض عمليا الامتيازات القديمة للانقراض والاختفاء . كما أن العديد من الأجانب الذين يقيمون بين السكان ويختلطون بهم ، تحولوا بشكل طبيعي نحو الملك ، مفضلينه عن الجماعة الصغيرة التي لم يكونوا يهتمون بمعتقداتها .[١٨٦]

في عهد داود ظهرت طبقة (أرستقراطية) غنية ، وهو عامل برز في حياة بنى اسرائيل بعد تأسيس الملكية ، على الرغم من أن ظهور هذه الطبقة لم يكن جليا واضحا حتى القرن الثامن ق . م . فقد كان أفراد هذه الطبقة يدينون بالولاء للملك نفسه الذى بفضل رعايته وتأييده لهم حققوا نجاحهم وازدهارهم . كان العديد من الموظفين الرسميين المنحدرين من مختلف قطاعات الشعب يتواجدون باستمرار في بلاط الملك ، وكان من شأن التأثير الذى تتركه نشاطاتهم المختلفة في البلاد ، أن يكسر حواجز التفاوت والتفرقة بين الناس .

ولما كانت المدن الملكية تضم أجناسا مختلفة من السكان . وبسبب الانفتاح والتوسع الذى حصل في حياة الناس ، فان المدن كانت مراكز جذب لاهتمام الناس بالشئون المحلية .

الا أن نظام الحياة في المجتمع القديم كان ما يزال سائدا بين المزارعين وأشباه البدو من السكان . ومع ذلك عطل النظام القبلى مع مرور الوقت ، أو بتعبير أوضح علق بصورة مؤقتة ، تمشيا مع الظروف السائدة .[١٨٧]

يتضح لنا مما سبق أن داود كان المؤسس الحقيقي لدولة اسرائيل ، غير أن الطريق الى ذلك ، كان قد تم التمهيد اليه بعد سنوات طويلة من الصراع ضد القوى الأجنبية ، وكانت الاشارات والدلائل المتفرقة على قدوم السلطة الملكية تظهر ثم تزول بسرعة ، بيد أنها كانت واضحة منذ وقت مبكر .

---

(١٨٥) صحيح أن وجود هؤلاء الرؤساء لم يتلاشَ على الرغم من أن قوتهم تقلصت وبُتِرَتْ ، الا أنه كان لهم ـ على ما يظهر ـ دورهم المهم خلال السبى البابلى وبعده ، عندما اختفت الملكية ، مما أدى الى استرجاع الأوضاع الاجتماعية البدائية القديمة .

(١٨٦) المرجع السابق ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

(١٨٧) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

لقد جعل الضغط الذى سببه تقدم الفلسطينيين في البلاد ، توحيد العناصر المختلفة المجزأة من بنى اسرائيل بأي شكل من الأشكال ، أمرا ملحا لا يمكن تجنبه ، والا فما عليهم الا أن يبقوا خاضعين لهم الى الأبد .

لقد بدا أن حياة وممات شاؤل كانا بدون فائدة في ذلك الوقت ، الا أن هذا الأمر لم يكن شيئا لا طائل من ورائه .. إذ إن المأساة التى رافقت موت شاؤل جعلت فكرة المملكة الاسرائيلية ليست معقولة وملائمة فحسب ، بل تستهوى الشعب وتجذبه لإقامتها .. ومع أنه كان كبيرا ، الا أن إتمام العمل الذى بدأه كان يحتاج الى من هو أكبر منه .. وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر !

وهكذا جاء دور الرجل الذى أتم العمل ، فكان داود المؤسس الحقيقي لدولة بنى إسرائيل .[١٨٨]

وصية داود قبل وفاته :

عندما حضرت داود الوفاة استدعى ابنه سليمان وزوده بوصاياه : أن يتمسك بشريعة موسى ، وأن يبنى الهيكل ، وأن ينتقم من يوآب ابن أخته وقائد جيشه لأنه خانه ، وأن ينتقم أيضا من شمعى بن جيرا البنياميني ، وأن يحسن لأبناء برزلاى الجلعادى لأنهم ساعدوه عندما هرب من وجه ابنه أبشالوم .

يقول سفر الملوك الأول :« ولما قربت أيام وفاة داود أوصى سليمان ابنه قائلا : أنا ذاهب في طريق الأرض كلها ، فتشدّد وكن رجلا . احفظ شعائر الرب الهك إذ تسير في طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى .. وأنت أيضا تعلم ما فعل بى يوآب ابن صَرُوية .. فافعل حسب حكمتك ولا تدع شيبته تنحدر بسلام الى الهاوية . وافعل معروفا لبنى برزلاى الجلعادى .. وهوذا معك شمعى بن جيرا البنياميني .. فاعلم ما تفعل به وأحْدِرْ شيبته بالدم الى الهاوية . واضطجع داود مع آبائه ودفن في مدينة داود » .[١٨٩]

وكان عمر داود عند وفاته واحدا وسبعين عاما[١٩٠] . وقد حكم من سنة (١٠٠٠ ـ ٩٦٠ ق . م) .[١٩١]

● ● ●

---

(١٨٨) אינציקלופדיה של המקרא כרך ב .

(١٨٩)الملوك الأول ٢ : ١ ـ ١٠ .

(١٩٠) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٦٥ .

(١٩١) لودز ، ص ٣٦٠ . وقد اختلف المؤرخون في مدة حكم داود ، فهناك من يرى أن مدة حكمه كانت من (١٠٠٤ ـ ٩٦٣ ق . م) ، بينما يرى غيرهم أنه حكم من (١٠٠٠ ـ ٩٧٠ ق . م) ، ويرى آخرون أن مدة حكمه كانت من (٩٩٠ ـ ٩٦٠ ق . م) وآخرون يرون أنها من (١٠٠٠ ـ ٩٨٠ ق . م) ، وذهب غيرهم الى أن حكمه كان من (١٠٢٥ ـ ٩٩٣ ق . م) ، وقد أخذنا بأشهر الروايات .

الفصل الثاني

سليمان في العهد القديم

(تسميتـه ونشـأتــه وكيف تـولى الحكم وأعماله وعلاقاته الخارجية)

اسم سليمان ومعناه

سليمان هو ابن داود وبت شيفع ، وعندما ولدته أمه أطلق عليه أبوه داود هذا الاسم « فدعا اسمَه سليمان والربُّ أحبه »[1] .

وهو في العبرية שלמה ومعناه « سلامة الرب أو سلامته » ، وقد أطلق عليه داود هذا الاسم متمنياً له سلاما بلا حرب[2] .

وطبقا لما جاء في « الترجوم » و « البشيطا » فان الذى أطلق عليه هذا الاسم هو أمه وليس أباه[3] .

ثم أطلق عليه النبي ناثان اسم : יְדִידְיָה يَديد يا أي « محبوب يهوه »[4] .

جاء في سفر صموئيل الثاني : « وأرسل بيد ناثان النبي ودعا اسمَه يَديديا من أجل الرب »[5] .

ويقول قاموس العهد القديم إن الاسم الذى أطلقه عليه ناثان وهو يديديا ومعناه « المحبوب من يهوه » أو « محبوب يهوه » ، هو نفس معنى اسم « داود » ... إلا أنه لم ترد أي إشارة لتسمية « يديديا » مرة أخرى ، ربما لأنه اسم مقدس . لقد كان هذا الاسم ثمرة لفضل الله على داود[6] .

غير أن اسمه الرئيسي الظاهر كان سليمان ، وهو اسم مماثل للأسماء الفينيقية المشابهة مثل : שלמין شلومين ، و בעל שלם بعل شلوم .

ويظهر تفسير للاسم من النص الوارد في سفر أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٩ « هو ذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة وأريحه من جميع أعدائه حواليه لأن اسمه يكون سليمان ، فأجعل سلاما وسكينة في اسرائيل في أيامه » .

أما تسمية « يديديا » فهي تسمية فيها الحب والحنان ، أو هي لقب شرف وتكريم « من أجل الرب » ، أو ـ كما تقول الترجمة السبعينية ـ « بكلمة الرب »[7] .

---

(١) صموئيل الثانى ١٢ : ٢٤ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٤٨١ .

(٣) Enc.Judaica, Vol.15, Solomon, Col. 95 .

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٤٨١ ؛ قاموس هيستنجز ص ٩٢٨ .

(٥) صموئيل الثانى ١٢ : ٢٥ .

(٦) Hastings, Dictionary of The Bible, P. 928 .

(٧) Enc. Judaica, Vol. 15, Col. 96 .

وتضيف الموسوعة اليهودية قائلة : إن اسم سليمان في التراث اليهودي كان في الأصل « يديديا » (المحبوب من يهوه) ، وقد نسخ هذا الاسم وأبطل وحلّ محلّه اسم « سليمان » بسبب السلام الذى ساد في عهده . وقد عرف أيضا باسم קֹהֶלֶת (قُوهِلِت) أي « الجامعة » ، إذ ورد في سفر الجامعة ما يأتي :

דִּבְרֵי קֹהֶלֶת בֶּן־דָּוִד מֶלֶךְ בִּירוּשָׁלָֽם :

أي : « كلام الجامعة ابن داود الملك في أورشليم » .[٨]

وعرف كذلك باسم לְמוּאֵל (لَمُوئيل) ، إذ ورد في سفر أمثال سليمان ما يلي :

דִּבְרֵי לְמוּאֵל מֶלֶךְ מַשָּׂא אֲשֶׁר־יִסְּרַתּוּ אִמּֽוֹ :

أي : « كلام لَمُوئيل مَلِكِ مَسَّا . عَلَّمته إياه أُمُّه . »[٩] .

كما عرف أيضا باسم אָגוּר בִּן־יָקֶה « أجور ابن متقية »، و אִיתִיאֵל « إيثيئيل »[١٠] .

نشأة سليمان

سليمان هو ثالث ملوك بني اسرائيل ، وهو ابن داود من زوجته بت شيفع[١١] وربما كان أكبر أولاده الأحياء منها . أما وضعه في قوائم أبناء داود الوارده في سفر صموئيل الثاني (٥ : ١٤) ، وفي سفر أخبار الأيام الأول (٣ : ٥ ؛ ١٤ : ٤) ، فهو وضع غريب ـ كما يقول قاموس هيستنجز ـ وربما ورد للتأكيد[١٢] .

وقد ملك سليمان أربعين سنة[١٣] ، (من ٩٦١ ـ ٩٢٢ ق . م)[١٤] وجاء في قاموس هيستنجز أن حكم

---

(٨) سفر الجامعة ١ : ١
(٩) سفر الأمثال ٣١ : ١ .
(١٠) سفر الأمثال ٣٠ : ١ .
انظر : Enc. Judaica, Vol. 15, Solomon, Col. 106 .
(١١) صموئيل الثانى ١٢ : ٢٤ .
(١٢) Hastings , P. 928 .
(١٣) الملوك الأول ١١ : ٤٢ .
(١٤) Harper's Bible Dictionary, P. 692 .

سليمان كان من (٩٦٩ ـ ٩٢٢ ق . م) ، بينما حكم شيشق (أو شيشنق) كان من (٩٤٠ ـ ٩٢٠ ق . م) ، وحكم حيرام ملك صور لا بد أنه كان من (٩٦٩ ـ ٩٣٦ ق . م)[١٥] ـ وكلاهما كان معاصرا لسليمان ـ .

وهناك آراء أخرى تقول إن حكم سليمان كان من ٩٦٠ ـ ٩٢٢ ق . م[١٦] أو من ٩٩٣ ـ ٩٥٣ ق . م ؛ أو من ٩٧٣ ـ ٩٣٣ ق . م ؛ أو من ٩٧٠ ـ ٩٣٥ ؛ أو من ٩٧٠ ـ ٩٣٣[١٧] . وجاء في الموسوعة اليهودية أن سليمان حكم في حياة والده من سنة ٩٦٧ ـ ٩٦٥ ق . م ، ثم حكم وحده من ٩٦٥ ـ ٩٢٨ ق . م[١٨] . ولا يزال العلماء والمؤرخون مختلفين حتى اليوم حول تاريخ ملوك بني اسرائيل .

جاء في سفر الملوك الأول (٦ : ١) أن سليمان بنى الهيكل في السنة الرابعة لملكه ، وبعد ٤٨٠ سنة من خروج بني اسرائيل من مصر .

يقول السفر : « وكان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على اسرائيل .... أنه بنى البيت للرب » .

ويعلق قاموس هيستنجز على هذه التواريخ بقوله يعتبر الأساس الذي جاء منه الرقم (٤٨٠) والتفسير الذى أورده المفسرون بشأنه أمرا مشكوكا فيه[١٩] .

وجاء في التراث اليهودي أن سليمان حكم عندما كان عمره (١٢) سنة ... وقد تكون الرواية اليهودية اعتمدت على ما جاء في سفر الملوك الأول (٣ : ٧) « والآن أيها الرب إلهي أنت مَلَّكْتَ عبدك مكان داود أبي وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول » .

ويعلق قاموس هيستنجز على هذه الرواية بالقول إن عبارة « فتى صغير » في النص المشار اليه لا تتضمن ما جاء من التقليد اليهودي من أن سليمان كان عمره اثنى عشر عاما عندما ارتقى على العرش ، إن الأقرب الى الاحتمال هو أن عمره كان حوالي عشرين عاما ، وقد حكم لمدة أربعين سنة مثل والده داود[٢٠] .

لقد نشأ سليمان في البيت الملكي ، ولما كان ابن « بت شيفع » التى كانت زوجة لأوريا الحثي ، فقد أحبه داود لأنه ابن زوجته المفضلة[٢١] .

● ● ●

(١٥) Hastings, P. 928 .
(١٦) Albright, From The Stone Age To Christianity, P. 291; Wells, The Outline Of History P. 260 .
(١٧) Myers, P. 36 ; Easton , P. 21 .
(١٨) Enc. Judaica, Vol. 15, Solomon, Cols. 98—99 .
(١٩) Hastings , P. 928 .
(٢٠) Hastings, P. 928 .
(٢١) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٨١ .

صفات سليمان

كان سليمان شخصية ساحرة قوية . أما الأبهة التى كانت تحيط به ، فكانت تظهر من خلال هالة التقوى والخشية من الله ، ومن خلال ما ألهمته شخصيته من أساطير مروية[٢٢] .

وكان شديد الذكاء بحيث استوعب كل الدراسات التي تلقاها غالبا على يد ناثان النبي (الملوك الأول ٤ : ٣٢ ـ ٣٣)[٢٣] .

لقد أحب سليمان الرب (الملوك الاول ٣ : ٣) ، وصلّى طالبا قلبا فهيما ليميز بين الخير والشر (الملوك الأول ٣ : ٩ ، ١٢) ، وكانت حكمته معطاة له من الله (الملوك الأول ٤ : ٢٩) ، وكانت مصحوبة بتواضع عميق (الملوك الأول ٣ : ٧) .

وقد اشتهر بهذه الحكمة التي تفوقت على حكمة أهل المشرق وكل حكمة مصر (الملوك الأول ٤ : ٣٠) .

الا أن سليمان ظهر مع ذلك بمظهر العظمة ، وكان مسرفا في كل شيء[٢٤] فقد صنع لنفسه عرشا من العاج المغشى بالذهب ، يصعد اليه على ست درجات تقف عند أطرافها تماثيل اثنى عشر أسدا من الذهب ، وكانت جميع آنيته من الذهب أيضا .[٢٥] وكان بيته يستهلك من الطعام كل يوم مقادير ضخمة . وقد جاء عن ذلك في سفر الملوك : « وكان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كرّسميذ ، وستين كرّدقيق ، وعشرة ثيران مسمّنة ، وعشرين ثورا من المراعي ، ومائة خروف ، ما عدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمّن »[٢٦] .

كما أنه انغمس في حياة الترف وتعدد الزوجات ، وظلت هذه الصفة شاهد احتجاج على الافراط في إعطاء النفس مداها .[٢٧] .

● ● ●

كيف تولى سليمان الحكم

عندما شاخ داود وتقدمت به السن ، طمع أكبر أبنائه الأحياء ـ وهو أدونيا ـ في الملك ، اذ كان الابن الأكبر للملك داود بعد موت أمنون الذى قتله أبشالوم أخوه ، ومقتل أبشالوم في الثورة التى قام بها ضد أبيه .

---

(٢٢) Harper's Bible Dictionary, P. 692 .

(٢٣) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٨١ .

(٢٤) هذا رأى المؤرخين ، وسنرد على هذه الاتهامات في فصل قادم .

(٢٥) أخبار الأيام الثانى ٩ : ١٧ ـ ٢٠ .

(٢٦) الملوك الأول ٤ : ٢٢ ـ ٢٣ . والكرّ يساوى نحو ٢٣٠ لتراً (انظر : شنوده ، اليهود .. ص ٩٦) .

(٢٧) سيكل سيل ، ص ١٢١ . وسنرد على هذه الاتهامات في الباب الثالث فيما بعد .

فأخذ أدونيا يعد العدة لخلافة أبيه وتنصيب نفسه ملكا ، وذلك بمساعدة كل من يوآب قائد جيش داود السابق ، والذي كان داود قد نحّاه عن القيادة بعد ثورة أ بشالوم ، وأبياثار الكاهن . « فذبح أدونيا غنما وبقرا ومعلوفات عند حجر الزاحفة الذي بجانب عَيْنْ روجَل ، ودعا جميع إخوته بني المَلِك وجميع رجال يهوذا عبيد الملك »[٢٨] .

غير أن كثيرا من كبار رجال الدولة لم يكونوا في صف أدونيا ، ومنهم ناثان النبي وبنا ياهو وسليمان أخوه والجبابرة وغيرهم . وما أن علم هؤلاء بالأمر حتى تحركوا ....

يقول سفر الملوك الأول : « فكلم ناثان بت شيفع أم سليمان قائلا : أما سمعت أن أدونيا ابن حجّيت قد مَلَك وسيدنا داود لا يعلم . فالآن تعالى أشير عليك مشورة فتنجي نفسك ونفس أبنك سليمان . اذهبي وادخلي الى الملك داود وقولي له أما حلفت أنت يا سيدي الملك لأَمَتِكَ قائلا إن سليمان ابنكِ يملك بعدي وهو يجلس على كرسيّي ، فلماذا مَلَكَ أدونيا ، وفيما أنت متكلمة هناك مع الملك أدخل أنا وراءك وأكمل كلامك »[٢٩] .

وبعد أن شرح كل من بت شيفع وناثان الموقف لداود ، يستطرد سفر الملوك الأول قائلا : « فحلف الملك وقال : حيّ هو الرب الذي فدى نفسي من كل ضيقة ، إنه كما حلفت لكِ بالرب إله إسرائيل قائلا إن سليمان ابنك يملك بعدي وهو يجلس على كرسيّي عوضا عني ، كذلك أفعل هذا اليوم »[٣٠] .

وتستمر رواية سفر الملوك الأول : « وقال الملك داود : أدعُ لي صادوق الكاهن وناثان النبي وبنايا هو بن يهو ياداع . فدخلوا الى أمام الملك . فقال الملك لهم : خذوا معكم عبيد سيدكم وأَرْكِبُوا سليمان ابني على البغلة التي لي وانزلوا به الى جيحون . وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكا على اسرائيل ، واضربوا بالبوق وقولوا : ليحيى الملك سليمان . وتصعدون وراءه فيأتي ويجلس على كرسيّي وهو يملك عوضا عني واياه قد أوصيت أن يكون رئيسا على اسرائيل ويهوذا »[٣١] .

فنفذوا أوامر داود وأخذوا سليمان الى جيحون حيث مسح ملكا ، فهتف الشعب بحياته واستتب له الملك واستوى على العرش .

أما أدونيا ومن معه ، فما أن سمعوا صوت البوق وهتاف الشعب لسليمان حتى دب الذعر في أوصالهم ، فتفرقوا مذعورين وانطلق أدونيا وتمسك بقرون المذبح . « فأُخْبِرَ سليمان وقيل له هوذا أدونيا خائف من الملك

---

(٢٨) الملوك الأول ١ : ٩ .
(٢٩) الملوك الأول ١ : ١١ ـ ١٤ .
(٣٠) الملوك الأول ١ : ٢٩ ـ ٣٠ .
(٣١) الملوك الأول ١ : ٣٢ ـ ٣٥ .

سليمان وهوذا قد تمسك بقرون المذبح قائلا : ليحلفْ لي اليوم الملك سليمان أنه لا يقتل عبده بالسيف . فقال سليمان : إن كان ذا فضيلة لا يسقط من شعره الى الأرض ، ولكن إن وجد به شرّ فانه يموت . فأرسل الملك سليمان فأنزلوه عن المذبح فأتى وسجد للملك سليمان . فقال له سليمان : اذهب الى بيتك »[٣٢] .

أما السبب في فشل خطة أدونيا فيعود لسوء تدبيره وتقديره للأمور . ويعلق منيس محمد النور على ذلك بقوله : لم يكن أدونيا حكيما في تدبيره ، إذ ذهب الى مكان قريب من أورشليم وأخذ معه عددا قليلا من الناس ، وترك كل عظماء المملكة في أورشليم[٣٣] .

وهكذا تم تنصيب سليمان ملكا على بني اسرائيل ، وقد ملك عليهم وداود ما يزال موجودا على قيد الحياة .

وقد اختلفت آراء المؤرخين فيما يتعلق بتولى سليمان الملك ، فمنهم من وقف مؤيدا ومنهم من رأى أن ذلك كان كارثة لبني اسرائيل .. وكمثال لرأي المؤيدين يقول جاكسون : لما كان حكم سليمان قد اتسم بالازدهار والرخاء الاقتصادي والتقدم في فنون الحياة المختلفة التي تتكون منها الحضارة ... فإننا نتصور أن داود اختار واحداً من أصغر أبنائه لوراثة العرش بتروٍّ وتأنٍّ وهذا الهدف ماثل أمامه ...

كما أن التحالف الذي تم بين أكبر أبنائه الأحياء وهو أدونيا ـ ويوآب وأبياثار ، كان بدافع إبقاء الأمور على حالها القديم ، دون محاولة التطور والتقدم ... أما داود على الجانب المقابل ، فلا بد أنه تعلم من خبرته المريرة أن أبناءه الكبار تنقصهم المواصفات والمؤهلات الضرورية لحمل أعباء العمل الذي بدأه .. تحت هذه الظروف فان الملك المسنّ لا بد أنه صمم على تدريب سليمان ليصبح ملكا على عرش بني اسرائيل عن جدارة واستحقاق ... لقد كان قمع مؤامرة أدونيا نصرا للفئة الشابة التي كانت تسعى لبسط السلم ونشر الثقافة[٣٤] .

وكمثال للرأي الآخر يقول ويلز : كانت بداية حكم سليمان دموية كما هو الحال في بداية حكم أبيه .. وكان آخر خطاب مسجل لداود عبارة عن تمهيد لقتل « شمعي » ، وكانت آخر كلمة مسجلة له هي الدم ، اذ يقول موجها كلامه الى سليمان « ... وأَحْدِرْ شيبتَهُ بالدم الى الهاويه » .. وكانت السهولة التي استبدل فيها سليمان رئيس الكهنة المعادي له بآخر موال له هو « صادوق » ، دليلا على هشاشة وضعف البناء الديني الذي كان يقوم في ذلك الوقت على العنصرية .. لقد ظهر هذا الاتجاه بشكل صارخ في عملية قتل يوآب من قبل بناياهو ، رئيس جيش سليمان المتوحش ، الذي قتله في الهيكل بينما كان ممسكا بقرون المذبح[٣٥] .

---

(٣٢) الملوك الأول ١ : ٥١ ـ ٥٣ .

(٣٣) داود صاحب المزامير ، ص ١٥٥ .

(٣٤) جاكسون ، ص ١٩٣ ـ ١٩٥ .

(٣٥) The Outline of History , PP. 260—261 .

ويقول روبنسون : تدل الظروف المحيطة بتنصيب سليمان على أن وصوله الى العرش كان انتصارا للأوتوقراطية وهي قاعدة حكم الفرد المطلق . لقد كان أحد أبناء داود الصغار ، الا أن مطالبته بالعرش لم تلق قبولا واسعا . وعلى الرغم من عدم وجود قاعدة بشأن حق البكورة الذي ينص على حق البكر في الإرث كله دون سائر الأبناء ، الا أنه مع ذلك كان من الطبيعي أن يخلف داود أحد أبنائه الكبار . كانت هذه هي وجهة النظر التي على ما يظهر أخذ بها أدونيا وتبنى على أساسها فكرة كونه الوريث الشرعي .

ويضيف روبنسون : ربما كان اختيار خليفة لداود واحد من أبنائه الصغار كارثة على بني اسرائيل .... فلو كان خليفته واحدا من أبنائه الذين عرفوا ـ نتيجة لتجربتهم ـ شيئا عن حياته الأولى ، وشيئا عن حكمه في حبرون ، وشيئا عن كفاحه من أجل ايجاد مملكته وشعبه ، عندئذ فان تاريخ بني اسرائيل يمكن أن يكون قد اتخذ منحى آخر يختلف كثيرا عن المنحى المعروف .

ولكن سليمان « ولد وهو يرتدي لباس السلطة » عندما كانت سيطرة داود وسلطته قد أنجزت بثبات على جميع أسباط بني اسرائيل وعندما كانت فتوحاته الخارجية على وشك الانتهاء ، إن لم تكن قد انتهت بالفعل . وهكذا جاء سليمان الى الحكم مزودا بالمفاهيم المتعلقة بالمملكة والتي تفترض مقدما أن يكون الملك حاكما مطلقا ، وان يكون وجود الشعب ـ الى حد بعيد ـ من أجل مصلحته[٣٦] .

وقد اختلف المؤرخون أيضا بشأن وصية داود لسليمان التي أوردنا نصها فيما سبق ... إذ يرى بعضهم أن نص الوصية حُرِّفَ لتبرئة سليمان من مسئولية قتل شمعي ويوآب بإلقاء التبعة في ذلك على داود .. ويرى آخرون غير ذلك .

يقول روبنسون مشككا في صحة رواية العهد القديم الحالية : إننا لا نستطيع إلا أن نسأل أنفسنا عما اذا كانت روايات العهد القديم صحيحه ودقيقة في نسبتها هذه الوصايا والتعليمات الى داود ، وقد كان لدى سليمان الأسباب الوفيرة التي تجعله يبادر الى قتل كل من شمعي ويوآب ، لأن الأول كان يمثل بيت شاؤل ، بينما كان يوآب يشكل قوة كبيرة في جماعة (أدونيا) يمكن لها أن تعاود نشاطها من جديد ، كما أن تأثيره كقائد للقوات المجندة في الدولة جعل منه رجلا خطيرا .. ومن هنا فان أي ملك من ملوك الشرق لا يستطيع أن يشعر بالأمان ، بينما يوجد أمثال هؤلاء الرجال أحياء يرزقون ، بعيدا عن الأخطار التي يمكن أن تسببها أقوال هذا وأفعال ذاك ... إننا نظن أن روايات العهد القديم في هذا الشأن بشكلها الحالي ، ما هي الا محاولة لإزالة وصمة العار التي يمكن أن يوصم بها سليمان وذلك بالقاء المسئولية على داود ... ولا يوجد ما يمنعنا من أن ننسب هذا الأمر الى سليمان[٣٧] .

---

(٣٦) History of Israel, PP. 240, 243 .
(٣٧) History of Israel , PP. 244 — 245 .

ويرى هذا الرأي أيضا كل من : بنزنجر Benzinger ، ستيد Stade ، كورنهل Cornhill ، وكمفاوزن Kamphausen[٣٨] الذين لا يتفقون مع ما جاء في رواية العهد القديم بشأن وصية داود لابنه سليمان ، ويرون أنها وضعت بهذا الشكل لتبرئة سليمان ... أي أنها تحريف للنص الأصلي الذي جاءت عليه الرواية ، وهو النص غير الموجود بين أيدينا الآن .

أما لودزفيؤيد الرواية ويقول : يعتقد بعض المؤرخين المشهورين بإمكانية تبرئة داود من وصمة العار التي لحقت به نتيجة تحريضه على ارتكاب هذه الأعمال الانتقامية ، وحسب رأيهم فان مؤرخا متأخرا هو الذى ألقى بالمسئولية في هذه الأعمال على عاتق داود لتبرئة سليمان بصفته مؤسس الهيكل .

ثم يقول إن ذلك من غير المرجح ، فلو كان غرض الرواة هو تبرئة ساحة سليمان لكان عليهم أيضا أن يلقوا باللوم على داود فيما يتعلق بمقتل أدونيا ... إننا نجد في كلمات الملك المسنّ نكهة من أثر قديم ... لقد قال بالضبط ما كان يجب أن يقوله ... ومن ناحية أخرى فان سليمان عمل ما كان متوقعا له أن يعمل[٣٩] .

وتذهب هذا المذهب أيضا الموسوعة اليهودية التي تقول عن الوصية : يجب عدم اعتبارها بالضرورة انحيازا مدبرا من قبل مؤلف الرواية الى سليمان لعدة أسباب :

١ ـ إن حقد داود وعداءه ليوآب كان معروفا وواضحا تماما .

٢ ـ لم يكن من الضروري ـ بالتأكيد ـ نسبة مسألة أبناء برزلاي الجلعادي لوصية داود الأخيرة[٤٠] .

٣ ـ أما السبب الثالث والأهم ، فهو ما جاء في الرواية المتعلقة برفعة سليمان وسموه ، إذ لم تتضمن تلك الرواية تمجيدا مبالغا فيه لسليمان[٤١] .

● ● ●

أعمال سليمان

١ ـ التخلص من خصومه ومنافسيه :

أ ـ أدونيا :

بعد أن تم تنصيب سليمان ملكا على بني اسرائيل أخذ يتحين الفرص للقضاء على مناوئيه ومن يعتقد أنهم يشكلون خطرا عليه . وكان أول هؤلاء أخوه أدونيا الذي تطلع للملك ففشل في مسعاه ، وعلى الرغم من أن

---

(٣٨) انظر لودز ، هامش ص ٣٦٧ ؛ روبنسون ، هامش ص ٢٤٥ .

(٣٩) لودز ، ص ٣٦٧ .

(٤٠) انظر صموئيل الثانى ٢ : ٥ ـ ٩ .

(٤١) Enc. Judaica, Vol. 15, Solomon, Cols. 97—98 .

سليمان عفا عن أدونيا كما جاء في الرواية ، الا أنه ـ كما يبدو ـ كان يترقب الفرصة المواتية للتخلص منه . وقد جاءته هذه الفرصة عندما طلب أدونيا من بت شيفع أم سليمان أن تتوسط له لدى سليمان لكي يوافق على زواجه من (أبيشج الشونمية) وكانت سرية لأبيه ، فاعتبر سليمان طلبه هذا سعيا وراء الملك ، إذ كانت العادة آنذاك أن تنتقل زوجات وسراري الملك المتوفى الى الملك الجديد ، فأرسل اليه بنايا هو بن يهويا داع قائد الجيش فقتله .

يقول سفر الملوك : « ثم جاء أدونيا ابن حجّيت الى بت شيفع أم سليمان فقال أنت تعلمين أن المُلْك كان لي وقد جعل جميع اسرائيل وجوههم نحوي لأملك ، فدار المُلْك وصار لأخي لأنه من قبل الرب صار له . والآن أسألك سؤالا واحدا فلا ترديني فيه . فقالت له : تكلم . فقال : قولي لسليمان الملك لأنه لا يردك أن يعطيني أبيشج الشونمية امرأة . فقالت بت شيفع : حسناً ، أنا أتكلم عنك الى الملك . فدخلت بت شيفع الى الملك سليمان ... فقالت : لِتُعْطَ أبيشج الشونمية لأدونيا أخيك أمرأة . فأجاب الملك سليمان وقال لأمه : ولماذا أنت تسألين أبيشج الشونمية لأدونيا ، فاسألي له المُلْك لأنه أخي الأكبر مني .. وحلف سليمان الملك بالرب قائلا : هكذا يفعل لي الله وهكذا يزيد ، إنه قد تكلم أدونيا بهذا الكلام ضد نفسه ... إنه اليوم يقتل . فأرسل الملك سليمان بيد بناياهو بن يهويا داع فبطش به فمات »[٤٢] .

ب ـ أبيا ثار الكاهن الأكبر :

كان أبياثار الكاهن أحد الذين ساعدوا أدونيا في تطلعه الى العرش ، لذلك كان لا بد أن يتخذ سليمان ضده إجراء ما على الرغم من أن وصية أبيه داود لم تتضمن شيئا ضد أبياثار . الا أن سليمان اكتفى بعزله وطرده .

يقول سفر الملوك الأول : « وقال الملك لأبياثار الكاهن : اذهب الى عناثوت الى حقولك لأنك مستوجب الموت ولست أقتلك في هذا اليوم لأنك حملت تابوت سيدي الرب أمام داود أبي ، ولأنك تذلّلت بكل ما تذلّل به أبي . وطرد سليمان أبياثار عن أن يكون كاهنا للرب .. » .[٤٣]

جـ ـ يوآب :

كان يوآب قائدا لجيش داود ، وكان يده اليمنى في كل الحروب التي خاضها .. غير أنه ارتكب أعمالا ضد رغبة داود ، فحقد عليه وأبغضه . من هذه الأعمال قتله لأبشالوم بن داود عندما ثار ضد أبيه واضطره للهرب الى شرقي الأردن ولحق به ، فنشبت معركة بين الطرفين تمكن خلالها من قتل أبشالوم على الرغم من تحذير داود بعدم قتله .

---

(٤٢) الملوك الأول ٢ : ١٣ ـ ٢٥ .
(٤٣) الملوك الأول ٢ : ٢٦ ـ ٢٧ .

ومنها أيضا قتله لأبنير دون علم داود ، مما كان يمكن أن يفسر أن ذلك تم بتحريض من داود لولا أنه نفى ذلك بشده .

وأخيرا تحالفه مع أدونيا عندما سعى للعرش .. لهذه الأسباب فقد وصّى داود ابنه سليمان « ألّا يَدَع شَيْبَتَه تنحدر بسلام الى الهاوية » .

عندما علم يوآب ما جرى لأدونيا وأبياثار الكاهن على يد سليمان خاف وهرب محتميا بالمذبح . فأرسل سليمان بناياهو فقتله هناك .

يقول سفر الملوك : « .. فأتى الخبر الى يوآب ، لأن يوآب مال وراء أدونيا ولم يمل وراء أبشالوم . فهرب يوآب الى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح ... فأرسل سليمان بناياهو بن يهويا داع قائلا : اذهب ابطش به وادفنه وأزل عنّي وعن بيت أبي الدم الزكي الذي سفكه يوآب .... فصعد بناياهو وبطش به وقتله فدفن في بيته في البرّية . وجعل الملك بناياهو بن يهويا داع مكانه على الجيش ، وجعل الملك صادوق الكاهن مكان أبياثار »[٤٤] .

د ـ شمعي بن جيرا :

لقد بقي من الذين وردت أسماؤهم في وصية داود لسليمان ، بقى شمعي بن جيرا البنياميني الذي سبق له وأن أساء لدواد وتعرض له بالشتائم عندما كان هاربا من وجه أبشالوم . وعلى ما يظهر كانت هناك دوافع تكمن وراء كراهية شمعي هذا لدواد ، لكونه من قبيلة بنيامين وهي قبيلة شاؤل الذي كان يحاول التخلص من داود لئلا ينتزع منه ومن قبيلته عرش المملكة . فلما آل الحكم لدواد ظل البنيامينيون على عدائهم لدواد بالرغم من اختفاء هذا العداء في الظاهر .

لذلك قال داود في وصيته بشأن شمعي : « وأحْدِرْ شيبته بالدم الى الهاوية . » إلا أن سليمان كان يريد أن يقع شمعي في خطأ ما ، فيأخذه به ويقتله . ففرض عليه الإقامة الجبريه في أورشليم ، ومنعه من الخروج منها والا قتله . وحدث أن هرب عبيد لشمعي والتجأوا الى أخيش ملك جتّ الفلسطيني . فخرج شمعي من أورشليم ليفتش عليهم وكان ذلك سببا كافيا لقتله ، فاستدعاه سليمان وأمر به فقتل .

يقول سفر الملوك : « ثم أرسل الملك ودعا شمعي وقال له إبن لنفسك بيتا في أورشليم وأقم هناك ولا تخرج من هناك الى هنا أو هنالك . فيوم تخرج وتعبر وادي قدرون اعلمنَّ بأنك موتا تموت ويكون دمك على رأسك .. فأقام شمعي في أورشليم أياما كثيرة . وفي نهاية ثلاث سنوات هرب عبدان لشمعي الى أخيش بن معكة

(٤٤) الملوك الأول ٢ : ٢٨ ـ ٣٥ .

ملك جت ، فأخبروا شمعي قائلين هوذا عبداك في جت . فقام شمعي وشدّ على حماره وذهب الى جت الى أخيش ليفتش على عَبْدَيْه ... فأُخْبِرَ سليمان بأن شمعي قد انطلق من أورشليم الى جت ورجع .

فأرسل الملك ودعا شمعي وقال له : اما استحلفتك بالرب وأشهدت عليك قائلا إنك يوم تخرج وتذهب الى هنا وهنالك اعلمن بأنك موتا تموت ، فقلت لي حَسَنٌ الأمر ، قد سمعت . فلماذا لم تحفظ يمين الرب والوصية التى أوصيتك بها . ثم قال الملك لشمعي أنت عرفت كل الشر الذى علمه قلبك الذى فعلته لداود أبي ، فليرد الرب شرّك على رأسك ... وأمر الملك بناياهو بن يهويا داع فخرج وبطش به فمات . وتثبت المُلْك بيد سليمان »[٤٥] .

٢ ـ أعمال البناء :

كان سليمان بنّاء عظيما مثل رمسيس الثاني[٤٦] فشاد العديد من الأبنية والحصون . وهذه أهم أعماله العمرانية :

أ ـ بناء الهيكل :

لقد ذاعت شهرة سليمان بالدرجة الأولى لبنائه الهيكل ولكونه أكثر أهل الشرق حكمة[٤٧] وكان بناء الهيكل أعظم أعمال سليمان العمرانية بل كان أعظم أعماله كلها بلا جدال[٤٨] .

أما عن دوافع بناء الهيكل فيبدو أن سليمان كان متأثرا في ذلك بحوافز سياسية وأهداف دينية . لقد رغب في أن يبهر أعين الشعوب المحيطة به ، ويخلد أسرته وأهميتها ، ورغب أخيرا في أن يعزز هيبة العاصمة ومكانتها وذلك ببناء مسكن فخم لتابوت العهد الذى وضعه داود هناك لايوازيه أي مسكن آخر ... يضاف الى ذلك فإن بناء الهيكل كان محاولة للتوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة ـ كما يقول لودز ـ وذلك باندماج عبادة يهوه ، المتمثلة في تابوت العهد ، مع العبادات الأجنبية وخصوصا عبادات الفينيقيين[٤٩] .

أما روبنسون فيجعل الدافع لبناء الهيكل هو حب الشهرة ، يقول : لقد أحب سليمان أن يكون مشهوراً في حقل البناء ، لذلك فإنه لم يكتف بإقامة الحصون التي تشير اليها رواية العهد القديم ضمناً ، ولكنه وطّن نفسه على أن يجعل من أورشليم مدينة تليق بأن تكون مدينة ملكية مميزة ، فقام بتوسيعها من الناحية الشمالية وجعلها تشمل المرتفع اليبوسي القديم الذي يضم بيدر أرونه ، حيث أقام الهيكل الذي جعله مشهوراً[٥٠] .

---

(٤٥) الملوك الأول ٢ : ٣٦ ـ ٤٦ .
(٤٦) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٨٢ .
(٤٧) Robinson, History of Israel, P. 239 .
(٤٨) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٨٢ .
(٤٩) Lods, PP. 414—415 .
(٥٠) History of Israel, P. 248 .

ويقول جاكسون : كان هيكل سليمان جزءاً من مشروع معماري كبير مكون من قصر ، وقاعة للقضاء ، ومستودع للأسلحة ، ومعبد(٥١) .

وتقول الموسوعة اليهودية إن بناء الهيكل وانتقال العبادة من خيمة الاجتماع اليه يرمز الى الانتقال من النظام القبلي الى النظام الملكي(٥٢) .

وعندما قرر سليمان البدء ببناء الهيكل طلب مساعدة حيرام ملك صور لأنه كان صديقاً وحليفاً لأبيه داود . يقول سفر الملوك الأول : « فأرسل سليمان الى حيرام يقول : أنت تعلم داود أبي أنه لم يستطع أن يبني بيتاً لاسم الرب إلهه بسبب الحروب التي أحاطت به .. والآن فقد أراحني الرب إلهي من كل الجهات فلا يوجد خصم ولا حادثة شر .. فأْمُرْ أن يقطعوا لي أرزا من لبنان ، ويكون عبيدي مع عبيدك ، وأجرة عبيدك أعطيك إياها حسب كل ما تفعل لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين(٥٣) » .

وقد وافق حيرام على طلب سليمان .. « فكان حيرام يعطي سليمان خشب أرز وخشب سرو حسب كل مسرته . وأعطى سليمان حيرام عشرين ألف كُرّ حنطة طعاماً لبيته ، وعشرين كرّ زيت .. هكذا كان سليمان يعطي حيرام سنة فسنة(٥٤) » .

ويقول سفر الأخبار : « وشرع سُليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المُرِيَّا حيث تراءى لداود أبيه حيث هيَّأ داود مكاناً في بيدر أرنان اليبوسي . وشرع في البناء في ثاني الشهر الثاني في السنة الرابعة لملكه(٥٥) » .

ويقول سفر الملوك : « وكان في سنة الأربعمائة والثمانين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر ، في السنة الرابعة لملك سليمان على اسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني ، أنه بنى البيت للرب(٥٦) » .

ويضيف قائلاً : « .. وفي السنة الحادية عشرة في شهر بول وهو الشهر الثامن ، أكمل البيت في جميع أموره وأحكامه ، فبناه في سبع سنين(٥٧) » .

وقد استخدم سليمان في بناء الهيكل مقادير ضخمة من الحجارة والخشب والذهب والنحاس ... وسخر ثلاثين ألف رجل وقسمهم الى ثلاث مجموعات كان يرسلهم لقطع الخشب من لبنان مع عبيد حيرام .. كما سخر

---

(٥١) Jackson, P. 205 .
(٥٢) Enc. Judaica, Vol. 15, Solomon, Col. 106 .
(٥٣) الملوك الأول ٥ : ٢ ـ ٤ ، ٦ .
(٥٤) امل ٥ : ١٠ ـ ١١ .
(٥٥) أخبار الأيام الثاني ٣ : ١ ـ ٢ .
(٥٦) امل ٦ : ١ .
(٥٧) امل ٦ : ٣٨ .

سبعين ألف رجل لحمل الأثقال وثمانين ألفاً لقطع الأحجار . أما المشرفون على العمل والمراقبون فبلغوا ثلاثة آلاف وثلاثمائة[58] . « وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة حجارة كريمة لتأسيس البيت حجارة مربعة ، فنحتها بناؤو سليمان وبناؤو حيرام والجِبْلِيُّون وهيأوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت[59] » .

أما عن حجم الهيكل وأوصافه فيقول سفر الملوك : « والبيت الذي بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً . والرّواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعاً حسب عرض البيت وعرضه عشر أذرع قدام البيت . وعمل للبيت كُوًى مسقوفة مشبّكة . وبنى مع حائط البيت طبقاً حواليه مع حيطان البيت حول الهيكل والمحراب ، وعمل غرفات في مستديرها[60] » .

ويعلق ويلز على رواية سفر الملوك بشأن الهيكل ، فيقول متهكماً : في سفر الملوك الأول وصف مسهب لعظمة سليمان ، يبين أن جمال وروعة البناء والتنظيم لملوك عظام مثل تحتمس الثالث أو رمسيس الثاني أو نصف دسته من الفراعنة الآخرين ، أو سرجون الثاني أو سردانابلوس Sardanapalus أو نبوخذ نصر الكبير ، لم تكن بجانب عظمة سليمان إلا شيئاً تافهاً !

ويضيف ويلز : لقد كانت قياسات هيكل سليمان عبارة عن قياسات قصر صغير[61] .

وفي هذا المعنى يقول ول ديورانت : لم يكن هيكل سليمان كنيسة بالمعنى الصحيح ، بل كان سياجاً مربعاً يضم عدة أجنحة . ولم يكن بناؤه الرئيسي كبير الحجم ، فقد كان طوله حوالي مائة وأربعة وعشرين قدماً ، وعرضه حوالي خمسة وخمسين ، وارتفاعه اثنين وخمسين .. وكان العبرانيون الذين أقبلوا من جميع أنحاء البلاد اليهودية ليعملوا في إقامة الهيكل ، يعتقدون أنه إحدى عجائب العالم ، ومن حقهم علينا ألا نلومهم على هذا الاعتقاد لأنهم لم يروا هياكل طيبة وبابل ونينوى التي لا يعد هيكلهم بجانبها شيئاً مذكورا[62] .

ويتفق المؤرخون على أن الهيكل الذي قام بتصميمه المهندسون المعماريون الفينيقيون كان متـأثرا بالنماذج الفينيقية والكنعانية التي أخذت في الأصل ومنذ زمن بعيد من مصر وبلاد ما بين النهرين ، حتى إنه أطلق على الهيكل اسم كنعاني جديد هو (היכל هيكل) ـ وهي كلمة استعارها الكنعانيون في الأساس من السومريين قبل عام ٢٥٠٠ق.م[63] .

---

(٥٨) امل ٥ : ١٣ ـ ١٦ .
(٥٩) امل ٥ : ١٧ ـ ١٨ .
(٦٠) امل ٦ : ٢ ـ ٥ .
(٦١) The Outline of History , P. 263 .
(٦٢) قصة الحضارة ، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .
(٦٣) Albright, From The Stone Age To Christianity, PP. 293—294; Robinson, History of Israel, PP. 248—251; Jackson, P. 206; Lods, PP. 414—415; Anderson, P. 153;
جارودى ، ص ١٢٤ .

وعن الزخرفات والنقوش التي عملها الفنيون والذهب الذي وضعوه في الهيكل يقول سفر الملوك : « وبنى حيطان البيت من داخل بأضلاع أرز من أرض البيت الى حيطان السقف ، وغشّاه من داخل بخشب وفرش أرض البيت بأخشاب سرو ... وأرز البيت من داخل كان منقوراً على شكل قثّاء وبراعم زهور ، الجميع أرز . لم يكن يُرى حجر . وهيّأ محراباً في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب . وغشّاه بذهب خالص ، وغشّى المذبح بأرز . وغشّى سليمان البيت من داخل بذهب خالص . وسدّ بسلاسل ذهب قدّام المحراب وغشاه بذهب . وجميع البيت غشاه بذهب الى تمام كل البيت وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بذهب . وعمل في المحراب كروبَيْن من خشب الزيتون علوّ الواحد عشر أذرع . وخمس أذرع جناح الكروب الواحد وخمس أذرع جناح الكروب الآخر ... وغشّى الكروبين بذهب .. وغشى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج . وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون .. ورسم عليهما نقش كروبيم ونخيل وبراعم زهور وغشاهما بذهب ورصّع الكروبيم والنخيل بذهب[٦٤] » .

ويشير سفر الملوك الى فنان صورى اسمه حيرام استقدمه سليمان لعمل الزخارف النحاسية ، وكان هذا الفنان حكيماً بارعاً في صنعته .

يقول السفر : « وأرسل الملك سليمان وأخذ حيرام من صور . وهو ابن امرأة أرملة من سبط نفتالي وأبوه رجل صوري نحّاس وكان ممتلئاً حكمة وفهماً ومعرفة لعمل كل عمل في النحاس . فأتى الى الملك سليمان وعمل كل عمله . وصوّر العمودين من نحاس ، طول العمود الواحد ثمانية عشر ذراعاً ..

وعمل تاجين ليضعهما على رأس العمودين من نحاس مسبوك ، طول التاج الواحد خمس أذرع وطول التاج الآخر خمس أذرع ..

وأوقف العمودين في رواق الهيكل ، فأوقف العمود الأيمن ودعا اسمه ياكين ، ثم أوقف العمود الأيسر ودعا اسمه بوعز . وعلى رأس العمودين صيغة السوسن ، فكمل عمل العمودين[٦٥] » .

ويستطرد السفر في وصف الاضافات التي عملت في الهيكل فيقول : « وعَمِلَ البحرَ مسبوكاً ، عشر أذرع من شفته الى شفته وكان مدوّراً مستديراً .. وكان قائماً على اثني عشر ثوراً ... وعمل عشر مراحض من نحاس تَسَعُ كل مرحضة أربعين بثاً وعمل حيرام المراحض والرفوش والمناضح ، وانتهى حيرام من جميع العمل الذي عمله للملك سليمان لبيت الرب وجميع هذه الآنية التى عملها حيرام للملك سليمان لبيت الرب هي من نحاس مصقول . في غور الأردن سبكها الملك في أرض الخزف بين سُكّوت وصَرَتان[٦٦] » .

---

(٦٤) الملوك الأول ٦ : ١٥ ، ١٨ ـ ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ـ ٣٢ .
(٦٥) امل ٧ : ١٣ ـ ١٦ ، ٢١ ـ ٢٢ .
(٦٦) امل ٧ : ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٥ ـ ٤٦ .

أما المائدة وتوابعها فكانت من الذهب الخالص . يقول السفر : « وعمل سليمان جميع آنية بيت الرب ، المذبحَ من ذهب ، والمائدة التي عليها خبز الوجوه من ذهب . والمنائر خمساً عن اليمين وخمساً عن اليسار أمام المحراب من ذهب خالص ، والأزهار والسُّرُج والملاقط من ذهب . والطسوس والمقاصّ والمناضح والصحون والمجامر من ذهب خالص ... وأُكْمِلَ جميع العمل الذي عمله الملك سليمان لبيت الرب . وأدخَلَ سليمان أقداسَ داود أبيه ، الفضة والذهب والآنية ، وجعلها في خزائن بيت الرب[٦٧] » .

ويعلق محمد عزه دروزة على ما نسبته الأسفار من أعمال لهذا الفنان الصوري حيرام بقوله إن ذلك يدل على أنه لم يكن لبني اسرائيل جهد فني أو براعة فنية في العمل ، وأنهم كانوا عيالاً على الفينيقيين والكنعانيين[٦٨] .

كما يرى المؤرخون أن ما أضيف الى الهيكل من زخرفات وإضافات أخرى كان بتأثير الفنون الكنعانية والفينيقية والمصرية وبلاد ما بين النهرين .

يقول أولبرايت : كانت كل الاضافات في الهيكل مثل الأعمدة المسماة (ياكين) و (بوعز) ، البحر ، المغاسل المتنقلة ، المذبح الكبير ، زخرفة الجدران بأشكال من الكروبيمات والأسود والثيران والنخل والزنبق الخ . كل ذلك كان بايحاء من الفنون الكنعانية المعاصرة[٦٩] .

ويقول لودز : كان الهيكل زاخراً بالرموز التي توضح مفاهيم غريبة بصورة كلية عن (اليهودية) ، ومشتقة مباشرة من صور وصيدا ، وحتى من بابل ومصر[٧٠] .

ويقول جاكسون : كانت الزخارف التي زين بها الهيكل أكثر مثاراً للاعجاب من البناء نفسه .. لقد سمح للمصممين الصوريين بابداء مهارتهم وفنهم ، غير عابئين بوساوس الاسرائيليين وارتيابهم تجاه الرسوم والصور[٧١] ..

ويعلق روبنسون على عبارة العهد القديم التي تقول إن الهيكل كان مغشى من الداخل بالذهب بقوله : إن هذا الأمر مع أنه غير ممكن تاريخياً ، فهو محل تساؤل من وجهة النظر النقدية ، مما يجعلنا نستبعد صحته بالنسبة لمعظم أنحاء الهيكل[٧٢] .

---

(٦٧) امل ٧ : ٤٨ ـ ٥١ .

(٦٨) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ، ص ١٦٥ .

(٦٩) Albright, From the Stone Age, P. 294; Albright, Arch. and The Religion of Israel , P. 148.

(٧٠) Lods , P. 415 .

(٧١) Jackson, P. 207 .

(٧٢) History of Israel, PP. 250—251 .

وعن أهمية الهيكل الدينية يقول لودز: *لقد بالغ كتبة العهد القديم في العصور المتأخرة في أهمية بناء الهيكل في أورشليم ، لقد بدأ الهيكل يأخذ مكانة مميزة في الديانة اليهودية ، نتيجة لتدمير مملكة اسرائيل الشمالية* سنة ٧٢٢ ق.م من قبل الأشوريين ... وكان الفضل كله يرجع الى إصلاح يوشيا (سنة ٦٢٢ ق.م) الذي أعلن أن الهيكل هو المعبد الشرعي الوحيد (ليهوه) ، بحيث أصبح الهيكل بالنسبة للديانة اليهودية وحتى إبطال تقديم القرابين عام ٧٠ بعد الميلاد ، قلب الديانة الوطنية .. عندما شاد سليمان الهيكل لم يدر بخلده أن يحل محل الأماكن المرتفعة القديمة ـ جبعون ، حبرون ، بيت إيل ، جلجال ، دان ، بئر السبع ـ حيث إن العديد من هذه الأماكن استمر تواجده لعدة قرون .. إنه لم يكن يتوقع أن الشعب كله سيفزع الى المعبد الجديد الذي كان في الأصل كنيسة صغيرة أو مكاناً خاصاً أقيم ليتعبد فيه الملك .. إن هيكل سليمان استطاع فقط أن يأتي ببدايات أسطورة مقدسة . وفوق ذلك فان بناءه الفخم لم يكن في أعين القبائل الشمالية أكثر من زيادة في فرض الضرائب والمكوس .... لقد كانت فخامة الهيكل المبالغ فيها إساءة لبنى إسرائيل أكثر من أن تكون جاذبة لهم ، خاصة وقد تعلقوا بالتقليد السائد والمتمثل في بساطة العبادة الحقيقية ليهوه .. إن إبراز الغنى والثروة في هيكل أورشليم المتألق بالذهب وخشب الأرز ، كان هجرا متعمداً ومدروساً للعادات القديمة(٧٣) .

ويقول جاكسون : إن الهيكل لم يكن معترفاً به كمعبد وطني .. كان هناك في حبرون وبئر السبع أماكن مساوية إن لم تكن أكثر قداسة من الهيكل . لقد جعل وجود التابوت في الهيكل كل بني اسرائيل تنظر باحترام وإجلال الى الهيكل الجديد ، ولكن أورشليم لم تصبح بعد ، ذلك المكان المهيب الترتبط بشيلوه أو بيت إيل أو شكيم أو جلجال أو دان .. لقد كان اليوم الذي تتجه فيه أفكار كل عابد ليهوه نحو أورشليم ، باعتبارها البقعة الوحيدة على الأرض التي يمكن عبادته فيها بالشكل الصحيح ، ما يزال بعيداً .... واذا كان الفينيقيون قد شادوا الهيكل ، فإنهم أدخلوا معهم عبادة البعل الى بني إسرائيل(٧٤) .

ويقول أولبرايت : كان هناك ضعف روحي خطير في الهيكل الجديد ، يتمثل في تنظيمه المعقد ، وكونه مديناً بقوة لأسلوب البناء الديني وطريقة الأداء الدينية للسوريين والفينيقيين ... كما أن خطر التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة أصبح كبيراً جداً لدرجة أن القرون التالية تميزت بصراع متقطع بين المتدينين والمنشقين عن الدين . أما التنازلات الرسمية الأولى فقد قام بها سليمان نفسه عندما سمح ببناء المعابد للآلهة الأجنبية الى جوار أورشليم نفسها ....

إن حركة الارتداد الى الوثنية ، التي يمكن القول إنها دشنت مع بناء الهيكل وعجل بقيامها تسامح

---

(٧٣) لودز ، ص ٤١٣ ـ ٤١٥ .
(٧٤) جاكسون ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

سليمان تجاه الشعائر الوثنية التي كانت تقام في ظل الهيكل ، استمرت وتطورت الى أبعاد خطيرة خلال الجيلين التاليين(٧٥) .

ويقول قاموس العهد القديم : إننا نستطيع أن نتبين في بناء الهيكل تدفق الثقافة الكنعانية والأفكار الدينية الأجنبية ، كما أنه في الحقيقة لم يبن ليكون مثالاً للعبادة الحقيقية عند بني اسرائيل(٧٦) .

يتبين لنا من كل ما تقدم أن الهيكل لم يكن بالفخامة التي حاول بنو اسرائيل أن يصوروه بها ، كما تبين من بنائه وما أدخل عليه من زخارف فنية أن بني اسرائيل لم يكن لديهم باع في هذا المجال ، حيث إن الذي قام بذلك العمل هم المهندسون والفنيون الفينيقيون الذين بنوه على غرار ما كان لديهم وما أخذوه عن المصريين وبلاد ما بين النهرين . كما أن الهيكل لم تكن له تلك الأهمية التي أصبحت له فيما بعد .

ب ـ بناء القصور :

بعد أن فرغ سليمان من بناء الهيكل بنى لنفسه قصراً ليقيم فيه عرشه ، وقد استخدم في بنائه مقادير ضخمة من الحجارة والخشب والذهب والنحاس . وقد تفنن في زخرفته وأسرف في ضخامته كما جاء في رواية العهد القديم . وقد استغرق بناؤه ثلاث عشرة سنة . وجعل سليمان قسماً من قصره لسكناه ، وآخر للقضاء والحكم وسماه غابة لبنان .

ثم بنى قصراً ثانياً لزوجاته ـ وقد كان له ألف زوجة وسرية ـ حسب الرواية ـ وبنى قصراً ثالثاً لزوجته المصرية ابنة الفرعون لتقيم فيه وحدها تعظيماً لقدرها وسعياً لاكتساب رضى أبيها(٧٧) .

جاء في سفر الملوك الأول : « وأما بيته فبناه سليمان في ثلاث عشرة سنة وأكمل كل بيته . وبنى بيت وعر لبنان طوله مئة ذراع وعرضه خمسون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً على أربعة صفوف من أعمدة أرز وجوائز أرز على الأعمدة . وسُقِفَ بأرز من فوق على الغرفات الخمس والأربعين التي على الأعمدة ، كل صف خمس عشرة . والسقوف ثلاث طباق ، وكُوَّةٌ مقابل كوّة ثلاث مرات . وجميع الأبواب والقوائم مربعة مسقوفة .. وعمل رواق الأعمدة طوله خمسون ذراعاً وعرضه ثلاثون ذراعاً . ورواقاً آخر قدّامها وأعمدةً وأُسْكُفَّةً قُدَّامها . وعمل رواق الكرسي حيث يقضي ، أي رواق القضاء ، وغُشّيَ بأرز من أرضٍ الى سقف . وبيته الذي كان يسكنه في دار أخرى داخل الرواق كان كهذا العمل . وعمل بيتاً لابنة فرعون التي أخذها سليمان كهذا الرواق . كل هذه من حجارة كريمة كقياس الحجارة المنحوتة منشورة بمنشار من داخل ومن خارج ، من الأساس الى الافريز ومن خارج الى الدار الكبيرة . وكان مؤسَّساً على حجارةٍ كريمةٍ حجارةٍ عظيمة حجارة

---

(٧٥) Arch. and The Religion of Israel, PP. 154—155 .
(٧٦) Hastings , P. 930 .
(٧٧) زكي شنوده ، اليهود ـ نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ، ص ٩٨ ؛ دروزه ، ص ١٦٤ .

عشر أذرعٍ وحجارة ثمان أذرع . ومن فوقٍ حجارة كريمة كقياس المنحوتة وأرز . وللدار الكبيرة في مستديرها ثلاثة صفوف منحوتة وصف من جوائز الأرز . كذلك دار بيت الرب الداخلية ورواق البيت[٧٨] » .

جـ ـ بناء القلاع والحصون :

أحاط سليمان أورشليم بأسوار حصينة ، كما بنى قلعة لحماية الهيكل ، وأقام العديد من الحصون في أنحاء المملكة لحمايتها والدفاع عنها .. فقام بتحصين مدينة « حاصور » التي كانت من قبل عاصمة مملكة الكنعانيين في شمال فلسطين ، كما قام بتحصين مدينة « مجدّو » التي كانت من قبل من أملاك الكنعانيين أيضاً ، وكانت تقع على مسافة عشرين ميلاً جنوب شرقي حيفا ، وهي التي كان قد استولى عليها رمسيس الثالث فرعون مصر في القرن الخامس عشر قبل الميلاد في موقعه مجدّو الشهيرة[٧٩] .

يقول سفر الملوك الأول : « وهذا هو سبب التسخير الذي جعله الملك سليمان لبناء بيت الرب وبيته والقلعة وسور أورشليم وحاصور ومجدّو وجازر[٨٠] » .

ويقول أيضاً : « ولكن بنت فرعون صعدت من مدينة داود الى بيتها الذي بناه لها . حينئذ بنى القلعة[٨١] » .

د ـ بنـــاء المدن الأخـــرى :

يذكر سفر أخبار الأيام الثاني أن سليمان أعاد بناء المدن التي أعطاه إياها حيرام ملك صور ، وأسكن فيها بني اسرائيل[٨٢] .

كما أعاد سليمان بناء مدينة جازر ، وهي مدينة كنعانية قديمة ، كان فرعون مصر قد غزاها وأحرقها ثم أعطاها مهراً لابنته زوجة سليمان . وهي تقع على بعد ثمانية عشر ميلاً شمال غربي أورشليم .

وأعاد سليمان بناء مدينتي « بيت حور العليا » المسماة اليوم (بيت عور الفوقـه) ، و « بيت حور السفلى » المسماة اليوم (بيت عور التحتة) وكانتا تقعان على بعد اثني عشر ميلاً شمالي أورشليم[٨٣] .

---

(٧٨) الملوك الأول ٧ : ١ ـ ١٢ .
(٧٩) شنودة ، اليهود ، ص ٩٨ .
(٨٠) الملوك الأول ٩ : ١٥ .
(٨١) الملوك الأول ٩ : ٢٤ .
(٨٢) سفر أخبار الأيام الثانى ٨ : ١ ـ ٢ .
(٨٣) شنودة ، اليهود ، ص ٩٨ .

وبنى سليمان أيضاً مدينة تدمر ومدينة بعلة في أرض البرية ؛ جاء في سفر الملوك الأول : « صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاها مهراً لابنته امرأة سليمان . وبنى سليمان جازر وبيت حورون السفلى . وبعلة وتدمر في البرية في الأرض[٨٤] » .

وجاء في سفر أخبار الأيام : « وبنى تدمر في البرية وجميع مدن المخازن التي بناها في حماة . وبنى بيت حورون العليا وبيت حورون السفلى مدنا حصينة بأسوار وأبواب وعوارض . وبعلة وكل مدن المخازن التي كانت لسليمان ، وجميع مدن المركبات ومدن الفرسان ، وكل مرغوب سليمان الذي رغب أن يبنيه في أورشليم وفي لبنان وفي كل أرض سلطانه[٨٥] » .

ويعلق محمد عزه دروزة على ذكر هذه المباني فيقول : من المتبادر أن هذه الأخبار ممتزجة بالخيال والذكريات والأساطير التي انتشرت فيما بعد ، وخاصة أمر بناء سليمان لتدمر ، فان الأسفار لم تذكر انبساط سلطان سليمان الى خارج أرض كنعان ، بل لم يكن شاملاً بلاد الفلسطينيين في جنوب أرض كنعان ، فكيف يكون بنى مدينة تدمر وبعلة في البرية [٨٦] .

يقول لودز فيما يتعلق بخبر بناء سليمان لمدينة تدمر : إن الكلمة أصلها (تامار Tamar) ، غير أن كاتب السفر الطموح غيّر الكلمة وجعلها « تدمر » ، ناسباً بذلك لسليمان بناء مدينة (بالميرا) أو (تدمر)[٨٧] .

٣ ـ نقل التابوت الى الهيكل :

بعد أن أتم سليمان بناء الهيكل أقدم على خطوة أخرى فقام بنقل تابوت العهد ، وخيمة الاجتماع من مدينة داود الى الهيكل في احتفال كبير شارك فيه شيوخ قبائل بني اسرائيل ووجهاؤهم . وقد صاحب عملية النقل ذبح الأغنام والأبقار بأعداد كبيرة .

جاء في سفر الملوك الأول : « حينئذ جمع سليمان شيوخ اسرائيل وكل رؤوس الأسباط رؤساء الآباء من بني اسرائيل الى الملك سليمان في أورشليم لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود ... فاجتمع الى الملك سليمان جميع رجال اسرائيل في العيد في شهر أيْثانيم ، هو الشهر السابع ، وجاء جميع شيوخ اسرائيل ، وحمل الكهنة التابوت . وأصعدوا تابوت الرب وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التي في الخيمة فأصعدها الكهنة واللاويون . والملك سليمان وكل جماعة اسرائيل المجتمعين اليه معه أمام التابوت كانوا يذبحون من الغنم

---

(٨٤) الملوك الأول ٩ : ١٦ ـ ١٨ .
(٨٥) أخبار الأيام الثاني ٨ : ٤ ـ ٦ .
(٨٦) دروزة ، ص ١٦٧ .
(٨٧) Lods , P. 369 .

والبقر ما لا يحصى ولا يعد من الكثرة . وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب الى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس الى تحت جناحي الكروبَيْن . لأن الكروبَيْن بسطا أجنحتهما على موضع التابوت ، وظَلَّلَ الكروبان التابوت وعصيَّه من فوق .. لم يكن في التابوت الا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني اسرائيل عند خروجهم من أرض مصر[٨٨] » .

وحدث بعد أن انتهى الكهنة من وضع التابوت في المحراب ـ وهو قدس الأقداس ـ وخرجوا من هناك ، أن ملأ الغمام بيت الرب ، فلم يستطيعوا أداء الخدمة .

يقول السفر : « وكان لما خرج الكهنة من القدس أن السحاب ملأ بيت الرب . ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ البيت[٨٩] » .

عندئذ بارك سليمان كل جمهور اسرائيل الذي كان واقفاً هناك ، وألقى فيهم خطاباً طويلاً مجد فيه الرب وشكره على فضله ونعمائه عليه وعلى أبيه . وتضرع الى الله أن يستجيب لدعاء بني اسرائيل اذا دعوه في هذا البيت ويغفر لهم ذنوبهم ، ووصاهم أن يخلصوا للرب ويحفظوا وصاياه .

يقول سفر الملوك : « حينئذ تكلم سليمان ، قال الرب إنه يسكن في الضباب . إني قد بنيت لك بيت سُكْنَى مكاناً لسكناك الى الأبد . وحوَّلَ الملك وجهه وبارك كل جمهور اسرائيل ، وكل جمهور اسرائيل واقف . وقال : مبارك الرب إله اسرائيل الذي تكلم بفمه الى داود أبي ... ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة اسرائيل وبسط يديه الى السماء وقال : أيها الرب إله اسرائيل ليس إله مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم ... فالتفت الى صلاة عبدك والى تضرعه أيها الرب إلهي ، واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها عبدك أمامك اليوم . لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلاً ونهاراً على الموضع الذي قلت إن اسمي يكون فيه لتسمع الصلاة التي يصليها عبدك في هذا الموضع . واسمع تضرع عبدك وشعبك اسرائيل الذين يصلون في هذا الموضع ، واسمع انت في موضع سكناك في السماء ، واذا سمعت فاغفر ....[٩٠] » .

وفي نهاية الخطاب وصَّى الشعب قائلاً : « فليكن قلبكم كاملاً لدى الرب إلهنا إذ تسيرون في فرائضه وتحفظون وصاياه كهذا اليوم[٩١] » .

بعد ذلك أقيمت الاحتفالات ونحرت الذبائح والقرابين ابتهاجاً بتدشين البيت ، واستمرت تلك

---

(٨٨) الملوك الأول ٨ : ١ ـ ٩ .
(٨٩) الملوك الأول ٨ : ١٠ ـ ١١ .
(٩٠) الملوك الأول ٨ : ١٢ ـ ١٥ ، ٢٢ ـ ٢٤ ، ٢٨ ـ ٣٠ .
(٩١) الملوك الأول ٨ : ٦١ .

الاحتفالات أربعة عشر يوماً . وقد أورد سفر الملوك أعداد الذبائح التي تم ذبحها ، والتي يرى المؤرخون والنقاد أن هذه الأعداد خيالية ومبالغ فيها .

يقول سفر الملوك : « ثم إن الملك وجميع اسرائيل معه ذبحوا ذبائح أمام الرب . وذبح سليمان ذبائح السلامة التي ذبحها للرب ، من البقر اثنين وعشرين ألفاً ، ومن الغنم مئة الف وعشرين ألفاً ، فدشن الملك وجميع بني اسرائيل بيت الرب . في ذلك اليوم قدَّس الملك وسط الدار التي أمام بيت الرب ، لأنه قرَّب هناك المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة لأن مذبح النحاس الذي أمام الرب كان صغيراً عن أن يسع المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة . وعيَّد سليمان العيد في ذلك الوقت وجميع اسرائيل معه .. أمام الرب إلهنا سبعة أيام وسبعة أيام أربعة عشر يوماً[٩٢] » .

٤ ـ بـــرك سليمـــان :

يقول التقليد اليهودي إن سليمان أحاط القصور التي بناها في أورشليم بحدائق غناء شاسعة جلب لها الماء من مكان بعيد به آبار لا تزال معروفة حتى اليوم ببرك سليمان[٩٣] .

جاء في سفر الجامعة الذي ينسب لسليمان : « بنيت لنفسي بيوتاً ، غرست لنفسي كروماً ، عملت لنفسي جنّات وفراديس وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثَمَر عملت لنفسي برك مياه لِتُسْقَى بها المغارسُ المنبتةُ الشجرَ[٩٤] » .

وجاء في قاموس الكتاب المقدس وصف لهذه البرك فهي ـ كما يقول ـ ثلاث برك توجد في الجنوب الغربي من بيت لحم ، على بعد عشرة أميال من أورشليم . ويقول التقليد إن سليمان بناها ليتجمع فيها الماء ويصل الى أورشليم في قناة . وبعضها منحوت في الصخر ، والبعض الآخر مبنيّ بناء متيناً . ويتجمع الماء النازل من المطر من التلال المحيطة ، ويصل الى البرك عن طريق قناة تحت الأرض لحفظ المياه من التبخر . وهي برك عظيمة الحجم ، كانت تموّن أورشليم بالماء ، وتصب في بركة أسمها البحر الكبير عند الهيكل . وقد عمل بيلاطس البنطي إصلاحات كثيرة في هذه البرك ورمَّمها[٩٥] .

٥ ـ سليمان والتجـــارة :

يرى بعض المؤرخين أن التجارة لم تبدأ عند بني اسرائيل إلا في عهد الملك سليمان ، فهم لم يعرفوا

---

(٩٢) الملوك الأول ٨ : ٦٢ ـ ٦٥ .
(٩٣) شنودة ، اليهود ، ص ٩٨ .
(٩٤) سفر الجامعة ٢ : ٤ ـ ٦ .
(٩٥) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٨٣ .

صناعة ما قبله .. أما في عصره فقد ظهر النشاط التجاري بشكل واسع وعلى نطاق ملحوظ في الداخل والخارج ، وذلك على شكل أسواق ومعاهدات تجارية مع البلدان المحيطة به ... بل إن ذلك تعدى هذه البلدان الى أقطار نائية أخرى ، كما حصل مع ملكة سبأ .

كانت طموحات سليمان لا حدود لها ، ويرى المؤرخون أن حاجته الى المال والسلع المستوردة كانت لسببين :

١ ـ كان يحتاج الى السلع من أجل متطلبات المنشآت والمباني العديدة التي أقامها ، والمال للصرف على إقامة هذه المنشآت العمرانية .

٢ ـ كان بحاجة للمال أيضاً للمحافظة على مظهر الأبهة والفخامة الذي كان ماثلا للعيان ، وأصبح مضروباً به المثل .

لذلك ، كان من الضروري بالنسبة لسليمان أن يوجد مصادر أخرى للثروة بالاضافة الى تلك المصادر التي تأتيه عن طريق أرضه وشعبه . لذلك فقد تميز كأول ملك تجاري كبير في بني اسرائيل بل كأول تاجر كبير بينهم[٩٦] .

أما المصادر الجديدة للثروة التي أوجدها سليمان فتتمثل فيما يلي :

١ ـ الجبايات التي كان يحصل عليها بسبب سيطرته على الطرق التجارية المارة بفلسطين شمالاً وجنوباً ، وشرقاً وغرباً .

٢ ـ التجارة براً ، عن طريق الخيول والمركبات التي تجرها الخيول .

٣ ـ التجارة بحراً ، وهي التجارة التي تمت بمساعدة حيرام ملك صور . وسنتعرض لتوضيح كل مصدر من هذه المصادر فيما يلي :

أولاً ـ الطـــرق التجارية :

إن سيطرة سليمان على مناطق صوبة ودمشق وحوران وعمون ومؤاب وأدوم لم تجلب له منافع اقتصادية مباشرة ومنافع سياسية فحسب ، بل جلبت معها بصورة رئيسية المنفعة التجارية الناتجة عن السيطرة على طرق المواصلات الرئيسية بين مصر وبلاد ما بين النهرين والأناضول حيث كانت هذه الطرق الدولية تمر عبر فلسطين . كما كان يحتكر تجارة القوافل كلية بين الجزيرة العربية وشمال البحر الأحمر حتى تدمر . كذلك كان

---

(٩٦) Robinson, History of Israel, P. 256 .

يسيطر على الطرق التجارية عبر المناطق التي تصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر .. على طول طرق المواصلات هذه ، كانت تسير تجارة ضخمة متشعبة ، تمتد من الأناضول شمالاً الى سبأ جنوبي الجزيرة العربية جنوباً ، ومن ورائها الى (أوفير) التي يمكن أن يكون موقعها شرقي أفريقيا ، مما قدم له مصدراً مهماً من مصادر الدخل(٩٧) .

ثانياً ـ تجارة الخيول والمركبات :

بالرغم من أن بلاد كنعان كانت بلاداً زراعية لا توجد فيها صناعة تذكر وأن التاجر الفلسطيني لم يكن يمتلك من مواد التصدير ما يمكنه من بناء تجارة خارجية مثمرة ، إلا أنه مع ذلك كان في وضع يستطيع معه أن يعمل كوسيط تجاري . ويظهر أن سليمان عرف هذه الحقيقة ، لأنه يُعْزَى اليه تأسيس تجارة الخيول(٩٨) .

وقد أشار العهد القديم الى تجارة سليمان بالخيول ، فقد جاء في سفر الملوك الأول (١٠ : ٢٨ ـ ٢٩) : « وكان مَخْرَجُ الخيلِ التي لسليمان من مصر ، وجماعة تجار الملك أخذوا جَلِيبَةً بثمن . وكانت المركبة تَصْعَدُ وتَخْرُجُ من مصر بستمائة شاقل من الفضة ، والفَرَسُ بمائةٍ وخمسين ، وهكذا لجميع ملوك الحثيين وملوك آرام كانوا يُخْرِجُون عن يَدِهم » .

وعلى ما يظهر فإن الخيول كانت مهملة عند بني اسرائيل وليس لها أي دور في حياتهم قبل سليمان . لذلك يقول أحد المؤرخين إن بني اسرائيل آنذاك كانوا يعتبرون الخيول حيوانات يجب إبادتها وليس الاستفادة منها ، أما بعد سليمان فقد دخلت المركبات الحربية التي تجرها الخيول ضمن الاستخدام العام في جيوشهم(٩٩) .

ويؤيد معظم المؤرخين ما جاء في رواية سفر الملوك الأول المشار اليها بشأن تجارة سليمان بالخيول ، بيد أن أولبرايت يرى أن النص غامض ، الا أنه أصبح بالامكان فهمه بفضل المكتشفات الأثرية ، وهو يقدم تعديلاً للنص حتى يصبح مفهوماً وترجمته كما يلي : « وكانت خيول سليمان تُصَدَّرُ من كليكيا : جلبها تجار الملك من كليكيا بالسعر الدارج . وكانت المركبة تُصَدَّرُ من مصر بستمائة شاقل من الفضة والفرس من كليكيا بمائة وخمسين ؛ وهكذا (بهذا السعر) كانوا يسلمونها بواسطة وكلائهم لجميع ملوك الحثيين وملوك آرام » .

وينقل أولبرايت عن هيرودوتس أن كليكيا كانت مصدراً لأفضل الخيول التي كان يستعملها الرسل والسعاة الرسميون من الفُرْس الذين كانوا يوفدون في مهمات رسمية .

ويقول أولبرايت إنه من المعروف جيداً أن المصريين آنذاك كانوا خبراء في صناعة المركبات التي كانوا

---

(٩٧) Albright, Arch. PP. 131—132; Ency. Jud. Vol. 15 . Col. 99 .
(٩٨) Lods. P. 370 .
(٩٩) Jackson. P. 198 .

يستوردون الخشب الخاص بها من سوريا . إن نص سفر الملوك يبين بوضوح أن تجار سليمان كانوا يحتكرون عملياً التجارة في الخيول والمركبات لكونهم يسيطرون على جميع الطرق التجارية بين مصر وسوريا ، فكان المصريون يعتمدون على بني اسرائيل للحصول على أجود خيولهم ، بينما يعتمد السوريون على بني اسرائيل أيضاً للحصول على أفضل مركباتهم . ومهما كان السعر الأصلي لها ، فكان هناك ثمن ثابت عند المبادلة ، إذ كانت كل أربع خيول من كليكيا بمركبة مصرية واحدة .

أما عن رواية العهد القديم التي تقول إن سليمان نفسه كان له اهتمام خاص بالخيول والمركبات ، وأنه بنى جيشاً قوياً ، فقد أثبت اكتشاف الاصطبلات الملكية التي أقيمت في (مجدّو) في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد صحة ذلك ـ كما يقول أولبرايت ـ وقد وجد علماء الآثار أن هذه الاصطبلات أقيمت لتتسع لـ ٤٥٠ فرساً وربما لحوالي ١٥٠ مركبة . ثم يقول : إن التجارة الخارجية في الأساس كانت احتكاراً ملكياً ، كان هذا هو الحال في العديد من أقطار الشرق الأدنى[١٠٠] .

ويعلق جارودي على هذا الأمر بقوله : قلد سليمان الأمبراطوريات التي كان للمركبات فيها دور كبير في فنون الحرب ، وعلى الرغم من أنه لم يحارب قط ، فقد بنى اصطبلات واسعة (الملوك الأول ٩ : ١٩) لخيول مركباته الحربية ، بناها في مجدّو لمجرد الأبهه[١٠١] .

أما شاين فيرى أن تجارة سليمان في الخيول والمركبات كانت مع تجار مقاطعات شمالي الجزيرة العربية حيث كانت الخيول تربى في هضاب الجزيرة ، وكانت من المشاهد العامة المألوفة هناك ... كما أن سليمان حصل على مركباته كما حصل على خيوله من شمالي الجزيرة العربية ، اذ إن المركبات الاسماعيلية (العربية) كانت مشهورة ـ كما يقول شاين ـ[١٠٢]

ثالثاً : التجارة بحراً :

بالاضافة الى التجارة في البر ، فقد أقدم سليمان على خطوة جريئة وهي توسيع تجارته لتشمل البحر أيضاً .. وباستثناء إشارة واحدة في (أنشودة دبورة)[١٠٣] ، لا يوجد ما يدل على اشتغال بني اسرائيل بالملاحة . فقد احتل الفلسطينيون والفينيقيون سواحل البحر الأبيض المتوسط ، لهذا لم تكن هناك فرصة أمام بني اسرائيل لينزلوا الى ذلك البحر العظيم الواسع الذي كانوا يشاهدونه من مرتفعاتهم ، حتى لو رغبوا في ذلك ـ كما يقول جاكسون[١٠٤] .

---

(١٠٠) Albright, Arch . and The Religion of Israel, P. 135—138 .

(١٠١) جارودى ، ص ١٢٤ .

(١٠٢) شاين ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(١٠٣) جاء في الأنشودة : « ... ودان لماذا استوطن لدى السفن » (القضاة ٥ : ١٧)

(١٠٤) جاكسون ، ص ١٩٩ .

يقول المؤرخون إن أفضل مثال على اندفاع سليمان في إقامة المشاريع التجارية هو قيامه ـ بمساعدة حليفه الفينيقي حيرام ملك صور ـ ببناء أسطول تجاري من السفن في عصيون جابر على خليج العقبة ، كما أن تحالفه مع حيرام مكنه من جلب الثروة الى فلسطين عبر الموانيء الفينيقية وأتـاح له الاستفـادة من مهارة الفينيقيين في الملاحة في استثمار منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي(١٠٥) .

وعن تجارته البحرية بمساعدة حيرام يقول سفر الملوك : « لأنه كان للملك في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام ، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة كل ثلاث سنوات ، أتت سفن ترشيش حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس(١٠٦) » .

ويقول سفر الملوك ايضاً (١ مل ٩ : ٢٦ ـ ٢٨) : « وعمل الملك سليمان سفناً في عصيون جابر التي بجانب أيله على شاطيء بحر سوف في أرض أدوم . فأرسل حيرام في السفن عبيده النواتيّ العارفين بالبحر مع عبيد سليمان فأتوا الى أوفير وأخذوا من هناك ذهباً أربعمائة وزنة وعشرين وزنة وأتوا بها الى الملك سليمان » .

يقول المؤرخون إن (اسطول ترشيش) كان يعود كل ثلاث سنوات حاملاً البضائع التي كان يحضرها تجار (أوفير) ـ التي يقول لودز إنها من المحتمل تقع جنوبي الجزيرة العربية ـ من أفريقيا والهند ، مثل الأحجار الكريمة والذهب والفضة والقرود والعاج والطواويس . كما يقول إن الأسماء العبرية للعديد من هذه المواد يبدو أنها اشتقت من كلمات سنسكريتية أو من لغة التاميل(١٠٧) .

ويقول فيليب حتّي : كان أسطول سليمان يرسو في خليج العقبة ، وفي الراجح أن أوفير التي أبحرت اليهـا سفن حيرام وسليمـان في طلب الذهب وخشب الصنـدل والحجارة الكـريمة ، هي ظفـار من أعمال عمان(١٠٨) .

ويقول أولبرايت إن الرحلات الى أوفير التي كانت تستغرق ثلاث سنوات حسب رواية العهد القديم ، لها مثيل في التاريخ ... فكان هناك رحلات مشابهة يقوم بها البابليون في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد الى (ملوخا Melukhkha) التي ربما كانت في جنوب غرب الجزيرة العربية ، ومن المحتمل أنها كانت تشمل الصومال ، حيث إن البابليين كانوا يعتبرونها مع أثيوبيا بلداً واحداً في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وكانت رحلات البابليين هذه تستغرق ثلاث سنوات أيضاً . ويؤكد أولبرايت أن مثل هذه الرحلات الطويلة ، لا يمكن أن تكون قد إقتصرت على الشاطىء الأفريقي ، وانما امتدت لتشمل الشاطيء العربي من البحر الأحمر ثم

---

(١٠٥) أندرسون ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .
(١٠٦) الملوك الأول ١٠ : ٢٢ .
(١٠٧) لودز ، ص ٣٧٠ .
(١٠٨) فيليب حتى ، تاريخ العرب ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٩٥٨ ، ص ٥٢ .

يقول إن أوفير كانت تقع بوضوح على الساحل الأفريقي من الصومال[١٠٩] .

أما شاين فيقول : إن هدف مشروعات سليمان البحرية كان جزءاً من أجزاء شاطىء شمالي الجزيرة العربية ، حيث كان الذهب والفضة هما الهدف العام للتجارة . ثم يقول إن النص الوارد في (سفر أرميا ١٠ : ٩) و (حزقيال ٢٧ ـ ١٢) والذي يقول إن الفضة جاءت من ترشيش والذهب من أوفاز (أو أوفير) يمكن أن يكون صحيحاً ، وأن كلا من ترشيش وأوفاز يمكن أن يكونا مقاطعتين في شمالي الجزيرة العربية[١١٠] .

يتضح لنا مما تقدم أن الكثير من المؤرخين يرون أن عصر سليمان كان عصر تجارة ، وأن مملكته بلغت شأوا كبيراً وحققت مركزاً عظيماً في التجارة .... غير أن هناك من المؤرخين والكتاب من لا يذهب هذا المذهب ، بل يخالف أولئك المؤرخين ويرى أن عصر سليمان لم يكن عصر تجارة بالمعنى المعروف ، وانما كان أشبه بموجة انتهت بعد فترة قصيرة ، أو كعاصفة هبت ثم انتهت ، من هؤلاء الدكتور حسن ظاظا وزميله السيد محمد عاشور اللذان يرفضان مقولة أن عصر سليمان كان عصر تجارة للأسباب التالية :

(١) توصف الدولة بأنها تجارية ، اذا كان الشعب هو الذي يقوم بالتجارة وأن يكون دخل الشعب من التجارة بدرجة تعادل على الأقل ٣٠٪ من دخله ، حتى يمكن أن نقول إن التجارة تلعب دوراً هاماً في حياة الشعب الاقتصادية . ولكن الحال لم يكن كذلك في عصر سليمان ، إذ كانت الحكومة هي التي تقوم بالتجارة .

(٢) ان التجارة اذا كانت بيد الشعب فإنها تكون في الغالب مهنة دائمة لا تنتهي ، لأن الشعب باق ... بينما لو كانت التجارة بيد الحكومة فإنها قد تنهار بعد فترة قصيرة وذلك بانتهاء الحكومة ، وهذا ما حدث في عصر سليمان ، اذ إنه بعد وفاة الملك سليمان انقسمت المملكة على بعضها وضعفت التجارة .

(٣) أن التجارة في عصر سليمان كانت بأيدي الفينيقيين ، وكانوا هم الذين يقومون بالتصدير والاستيراد ، كما أنهم هم الذين قاموا ببناء السفن التي كانت تمخر عباب البحر وتجلب السلع المختلفة من الأقطار البعيدة .

(٤) على الرغم من أن الحركة التجارية قد زادت في عهد الملك سليمان إلا أن طرق القوافل كانت في أيدي الفلسطينيين ، وبعد موت الملك سليمان لم يتمكن اليهود من الاستمرار في التجارة ، لأن الفلسطينيين كانوا مسيطرين على هذه الطرق ، ثم تلا ذلك انقسام المملكة مما عجل بضعف التجارة وانهيارها .

(٥) التجارة في اسرائيل قامت نتيجة حلف بين سليمان وحيرام ملك صور ، وكان اليهود في هذا الحلف بصفة شركاء فقط وليس لهم أن يديروا شيئاً ، لأنهم لا يعرفون شيئاً عن التجارة ، وانما كان لهم حق الحصول

---

(١٠٩) Albright, Arch.& The Religion Of Israel, PP. 133—135 .
(١١٠) Cheyne , P. 82 .

على أتاوة كما كان يفعل المماليك في مصر . فلما مات سليمان انتهى بالتالي التحالف مع الصوريين القائمين على شئون التجارة مما أدى الى انهيارها .

(٦) كانت التجارة مصدراً من مصادر الدخل ، أي إنها كانت سلاحاً يستعمل لزيادة إيراد الدولة ولم تكن مهنة الشعب ، فانتهى هذا المصدر بانتهاء سليمان وحكمه .

(٧) التجارة مع مصر كانت تجارة خارجية ، وكانت مصر تصدر الخيول ، فلما مات الملك سليمان هبطت التجارة بينهما .

(٨) لم يكن الشعب الاسرائيلي قد بلغ شأوا في الصناعة ، بينما كان الفلسطينيون هم الذين يقومون بها وخاصة صناعة النسيج ، وكان جهل الاسرائيليين بالصناعة سبباً في ضعف حركة التجارة .

(٩) كان معظم غنى الملك سليمان نتيجة فرض الضرائب على القوافل المارة باسرائيل .

(١٠) أن المعاهدات والمعاملات التي قامت بين سبأ والملك سليمان لم تدم طويلا ، إذ إنها ضعفت بعد موت سليمان ، وهذا دليل على عدم ثبات قدم اليهود في التجارة في عهد سليمان .

(١١) لم تكن التجارة البحرية ناجحة ، وذلك لأن الفلسطينيين كانوا على الساحل ولم يكن لليهود ميناء بحري في ذلك العصر[١١١].

هذه أهم الأسباب التي يرفض الكاتبان على أساسها اعتبار عصر سليمان عصراً تجارياً .. وهي أسباب لابد أن توضع في الاعتبار عند الحديث عن سليمان والتجارة ... فعلى الرغم من أن عصر الملك سليمان تميز بالازدهار والرخاء في مجالات كثيرة ، إلا أن الاسرائيليين لم يكونوا شعباً تجارياً بالنشأة .. فمن الحالة البدوية التي كان عليها بنو اسرائيل منذ بداية ظهورهم على مسرح التاريخ ، الى حالة من الاستقرار التدريجي والاشتغال بالزراعة بعد أن استوطنوا بلاد كنعان .. بيد أن هذا الاستيطان لم يكن شاملا أرض فلسطين .. بل لم يكن ثابتاً مطمئناً في كل الأحوال في المناطق التي تمكنوا من احتلالها ، مما حدا بهم في معظم فترات حكامهم قبل داود وسليمان ، بل وحتى أيام حكمهما ، الى البقاء بصفة مستمرة في حالة من الاستعداد والترقب لصد الهجمات التي توجه اليهم من الخارج ، والعمل على وأد المؤامرات والقضاء على الفتن والتمرد من الداخل ، على الرغم من الاستقرار النسبي في عهد سليمان .

إن شعباً يواجه ظروفاً مثل هذه الظروف لا يمكن أن يتأتى له الاشتغال بالتجارة حتى لو كان مهيأ لذلك ولديه الفطرة والاستعداد ... فكيف إذا كان لم يسبق لهذا الشعب أن عمل بمهنة كهذه ، ولم يعرف من فنونها

---

(١١١) الدكتور حسن ظاظا والسيد محمد عاشور ، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٨٥ ـ ٨٧ .

وطرقها المتشعبة شيئاً يذكر . صحيح أنه ظهرت أيام سليمان حركة تجارية نشطة ، جنت الدولة بسببها أموالا طائلة ، سجلتها أسفار بني اسرائيل بكثير من الغلو ... إلا أن هذه الحركة ما لبثت أن خبت وضعفت بعد وفاة سليمان وانقسام المملكة ، ولم نعد نسمع عن أية نشاطات في هذا الميدان . إن من أهم الأسباب التي جعلت سليمان يشتغل بالتجارة ويشجعها هو تطلعه الى حياة الأبهة والرفاهية مقلداً في ذلك المصريين والكنعانيين والفينيقيين ، وحاجته الى المال للصرف على البلاط الملكي والقصور التي شادها[١١٢]. فكان له ما أراد بفضل مساعدة الصوريين له .. ولكن بعد وفاته أضمحل كل شيء وتلاشى النشاط التجاري .. ويعتبر ذلك بحد ذاته دليلا على عدم تأصُّل هذه الميزة عند بني اسرائيل .

ونستطيع أن نجد مبرراً آخر لعدم اشتغالهم بالتجارة من كلام أنبيائهم ، فقد وقف الأنبياء ضد الأعمال التجارية ، وكان بعضهم يعارض العمل في التجارة بكل قوة ولعل هذه المعارضة كانت للأسباب التالية :

(١) أن التجارة أضرَّتْ بالنظم الدينية حتى إن التجار أصبحوا لا يقدسون يوم السبت ، بخلاف ما لو كانوا زراعاً فإنهم يحتفلون بهذا اليوم .

(٢) وجد أن التجارة بدأت تؤثر في أخلاق اليهود وتجعلها سيئة .

(٣) التجار اليهود أصبحوا يختلطون بالأجانب وهم وثنيون ، وهذه المخالطة تخالف ما تنص عليه التوراة[١١٣].

لكل هذه الأسباب فإن التجارة التي لاقت رواجاً في عهد سليمان انهارت بعد وفاته وانقسام المملكة ، لأنها لم تكن في الأصل قائمة على أرض صلبة .

٦ ـ الصناعة في عصر سليمان :

هل اشتغل سليمان بالصناعة ؟ وما هي الصناعة التي أدخلها الى البلاد ؟

هناك إشارات في العهد القديم تدل على أن سليمان كانت لديه صناعة مزدهرة .. أما هذه الصناعة فكانت بالتحديد في تكرير خام النحاس وصناعته ... ولقد ظهرت هذه الاشارات الى النحاس في الأعمال التي قام بها الفنان الصوري حيرام في هيكل سليمان . جاء في سفر الملوك أن هذا الفنان « كان ممتلئاً حكمةً وفهماً ومعرفة لعمل كل عملٍ في النحاس ، فأتى الى الملك سليمان وعمل كل عمله »[١١٤]. كانت كل أعمال حيرام من النحاس المصقول : « وعمل حيرام المراحض والرفوش والمناضح ... والبحر الواحد والاثني عشر ثوراً

---

(١١٢) هذا هو رأي المؤرخين الغربيين .
(١١٣) نفس المرجع ، ص ٩٣ .
(١١٤) الملوك الأول ٧ : ١٤ .

تحت البحر .. وجميع هذه الآنية التي عملها حيرام للملك سليمان لبيت الرب هي من نحاس مصقول »[١١٥].

أما عن المكان الذي كانت تتم فيه عمليات التكرير والسبك فيقول سفر الملوك : « في غور الأردن سبكها الملك في أرض الخزف بين سُكُّوت وصَرَتَان »[١١٦].

ويعلق أولبرايت على موضوع الصناعة زمن سليمان ويؤكد أنها كانت موجودة .. وثبتت حقيقة هذا الأمر عن طريق المكتشفات الأثرية الحديثة ، وهو يقول في توضيح ذلك : لقد كشفت أعمال التنقيب عن الآثار جانباً جديداً ومهما في نشاطات سليمان الصناعية ألا وهو تطوير مناجم النحاس وتكريره . لقد كشفت الحفريات التي قام بها نلسون جلوك Nelson Glueck في « تل الخليفة » ـ الذي كان يسمى قديماً عصيون جابر على خليج العقبة ـ عن وجود معمل لتكرير النحاس بُنِيَ لأول مرة في القرن العاشر ق.م ، ثم أعيد بناؤه مرات عديدة فيما بعد . وكان هذا المعمل عندما بني لأول مرة يقوم في وسط مستطيل حصين ، يحيط به حائط منيع مبني بالأسلوب الذي كان معروفاً في العصر الحديدي المبكر . كان بناء المعمل جيداً ، وهو يبين ـ كما قال جلوك ـ أنه كانت هناك معرفة عملية في هذا المجال لا تتأتّى إلا بفضل الخبرة الطويلة ، وقد بين جلوك أيضاً أن العمال الذين كانوا يعملون في معمل تكرير النحاس لابد أنهم كانوا عبيداً أو من المحكوم عليهم بالسجن ، لأنه من غير المعقول أن يقبل رجال مطلقو الحرية العمل تحت ظروف شاقة مرهقة يفتقد الانسان القدرة على احتمالها . إن هذه الحقائق تشير بما لا يدع مجالا للشك إلى معامل التكرير الفينيقية ، وتشير كذلك الى تقليد ومحاكاة طرق التكرير الفينيقية ، كما هو الحال في التقليد الذي أتبعه سليمان في بناء الهيكل وتنظيمه . إن كلمة (ترشيش)[١١٧] لابد أنها تعني « معمل تكرير » في اللغة الفينيقية . إذن كانت « تل الخليفة » عبارة عن « ترشيش » أي محطة تشبه المحطات الفينيقية .

إن اكتشاف مصنع تكرير النحاس في تل الخليفة يجعل من المؤكد من الناحية العملية أن مناجم العصر الحديدي المبكر التي وجدها (جلوك) في وادي عربة جنوبي البحر الميت وشمالي عصيون جابر ، كانت تعمل من قبل سليمان ... هذه البينة تتضح من خلال نص سفر الملوك الأول (٧ : ٤٠ ـ ٤٦) من أن أدوات الطقوس النحاسية المستعملة في الهيكل تم سبكها في وادي الأردن بين سُكُّوت وصَرَتان ... وبالقرب من هذا المكان توجد مشاغل قديمة تختص بالنحاس في التلال شديدة الانحدار الواقعة على نهر الأردن الى الشرق ، غير أنها لم تكتشف حتى الآن[١١٨].

---

(١١٥) الملوك الأول ٧ : ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ .

(١١٦) الملوك الأول ٧ : ٤٦ .

(١١٧) جاءت كلمة ترشيش في عبارة سفر الملوك الأول (١٠ : ٢٢) « لأنه كان للملك في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام ، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات أتت سفن ترشيش حاملة ذهبا وفضة وعاجا وقرودا وطواويس » .

(١١٨) Albright, Archaeology & The Religion of Israel, PP. 136—137 .

وجاء في قاموس هيستنجز حول هذا الموضوع أن المكتشفات الأثرية بينت أن كلمة (ترشيش) كانت تنطبق - في القرن التالي لزمن سليمان - على منطقة تقع في جنوب سردينيا اسمها (نورا NORA) . وهو يتفق مع أولبرايت في أن كلمة (ترشيش) تعني في دلالتها ومعناها العام (معمل تكرير)[١١٩].

ويقول موسكاتي : تعد مصانع التكرير في عصيون جابر أعظم ما كشف من أمثالها بين آثار العالم القديم حتى الآن ، ولهذا نعجب إذ لا يذكر العهد القديم شيئاً عنها[١٢٠].

أما جون جري فيرجع الى عصور ما قبل ظهور بني اسرائيل في تلك المنطقة ويؤكد أن منطقة وادي عربة كانت حافلة بالنشاط الصناعي .. ففي الجروف العميقة وخاصة الى الشرق من المنخفض الطبيعي الكبير الواقع بين البحر الميت وخليج العقبة ، كان المصريون في عصر الأهرامات - في الألف الثالث قبل الميلاد - يستثمرون عروق معدن النحاس في عمليات التنجيم التي كانوا يقومون بها هناك ، ويستخلصون منها السبائك والقوالب النحاسية . وحتى القرن الرابع من العصر المسيحي ، كان المسيحيون يعاقبون ويحاكمون مع المجرمين ليقوموا بالأشغال الشاقة في هذه المنطقة الحارة ، إذ كانت خامات النحاس تستثمر للمرة الثانية ، بعد عصور طويلة من الهدوء والسكون ، في (تمنه Timnah) التي تبعد حوالي عشرين ميلا الى الشمال من إيلات الحالية .

وربما كانت هذه الترسبات والتراكمات الطبيعية من النحاس والحديد هي التي أغرت داود باخضاع أدوم التي تقع معظم تلك المناجم في أراضيها[١٢١].

ومن المحتمل أن يكون هذا هو الأساس التاريخي الذي يكمن خلف التقليد الاسلامي الذي يعتبر داود رائد صناعة المعادن[١٢٢].

ويظهر من الحفريات التي قام بها (فرانكن H.J.Franken) في بلدة « دير علّا » الواقعة بجوار المنطقة التي أجرى فيها (جلوك) حفرياته ، ومن المواد التي تم اكتشافها هناك ، أن تلك المنطقة بكاملها كانت عبارة عن مركز لصناعة المعادن زمن المملكة اليهودية ، ومما جعل ذلك ممكناً هو كون الصلصال الموجود فيها ملائماً ومناسباً لتشكيل القوالب والأشكال المطلوبة منه ، وبفضل الخبرة الطويلة التي اكتسبها السكان المحليون في تلك المنطقة في هذه الصناعة التي تتطلب براعة يدوية خاصة[١٢٣].

---

(١١٩) Hastings, P. 929 .
وفي رواية سفر يونان (يونس) يتضح من دخول يونان الى السفينة ليهرب الى ترشيش من يافا (يونان ١ : ٣) أنها مدينة وأن الطريق اليها كانت عبر مياه البحر الأبيض المتوسط .

(١٢٠) موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص ٢٨٠ .

(١٢١) انظر صموئيل الثاني ٨ : ١٤ ؛ أخبار الأيام الأول ١٨ : ١١ - ١٣ ؛ امل ١١ : ١٥ - ١٦ .

(١٢٢) Gray, PP. 135 .

(١٢٣) H. J. Franken, The Excavations at Deir'Alla in Jordan, 1960, PP. 386—393 .

ويقول جري : ربما كان اسم (سكوت) يدل على أصل المكان الذي أستوطنه « القينيون Kenites » أو الحدادون المتجولون .

ويستطرد قائلا : على أية حال فقد كان الكثير من النحاس الذي يصنع في وادي عربة يصدر على شكل أدوات مصنوعة جاهزة ، أو على شكل كتل مسبوكة ، ضمن الحملات التجارية التي يقوم بها سليمان بمساعدة الفينيقيين الى جنوب الجزيرة العربية وشرق أفريقيا[١٢٤].

٧ - تقسيم البلاد إلى مقاطعات ادارية :

قام سليمان بتقسيم مملكته الى اثنتي عشرة مقاطعة ادارية . وقد اختلف النقاد والمؤرخون في سبب هذا التقسيم ، والبواعث التي حدت بسليمان أن يتخذ هذا الاجراء .

لقد ذكر هذا التقسيم في القائمة الواردة في سفر الملوك الأول (٤ : ٧ ـ ٢٠) وقد جاء في أول هذه القائمة ما يلي : « وكان لسليمان اثنا عشر وكيلا على جميع اسرائيل ، يمتارون للملك وبيته ، كان على الواحد أن يمتار شهراً في السنة »[١٢٥].

ويمكن أن نجمل آراء المؤرخين في سبب هذا التقسيم فيما يلي :

١ ـ سد احتياجات الأسرة الملكية من المؤن ، وذلك بأن يقوم كل وكيل من الوكلاء الاثنى عشر بتزويد البيت الملكي بحاجته لمدة شهر واحد في السنة . ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط ، بل تعداه الى تزويد البلاط الملكي بجميع احتياجاته بصورة عامة ، مثل الخيول المطهمة وربما المركبات أيضاً[١٢٦].

٢ ـ فرض نظام جباية الضرائب وأعمال السخرة مشابه لذلك النظام الذي كان معروفاً في مصر ، لمواجهة المصاريف الباهظة التي استلزمتها الأعمال العامة التي قام بها ، وحياة البذخ والاسراف في القصر الملكي . وفي ذلك يذكر سفر الملوك : « وكان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كرّ سميد وستين كرّ دقيق ، وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثوراً من المرعى ومائة خروف ، ماعدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمّن » (امل ٤ : ٢٢ ـ ٢٣)[١٢٧].

٣ ـ كان التقسيم ضرباً من ضروب السياسة ، يأمل من ورائه القضاء على النظام القبلي الذي كان سائداً بين بني اسرائيل ، لأنه لم يكن منسجماً مع وجهة نظره في الوحدة الوطنية .. كان يرجو من وراء اهمال

---

(١٢٤) Gray, P. 136 .

(١٢٥) امل ٤ : ٧ . وكلمة (يمتار) تعني تزويد الملك بالطعام والمؤن . والأصل في المَيْر : القَطْع .

(١٢٦) Robinson, History of Israel, P. 255; Enc.Jud. vol. 15, Col. 103 .

(١٢٧) Lods, P. 371; Anderson, P. 157 .

الحدود القبلية وتجاهل تلك الموانع بين القبائل ، أن يجعل شعبه ينسى الضغائن والأحقاد ، ويتحد في الكفاح من أجل تحقيق الوحدة الوطنية ، ولكنه أفلس في هذا وأفلست بلاده معه ـ كما يقول ول ديورانت(١٢٨).

٤ ـ عزم سليمان وتصميمه على تعزيز المركزية في البلاد وتركيز القوة في التاج الملكي ، ومن ثم تدمير شكل حكومة المقاطعات المستقلة ، أو التي لها صبغة الحكم الذاتي ، فاستبدل المقاطعات الاثنتي عشرة بالنظام القبلي القديم تحت إشراف الوكلاء الذين عينهم والذين كان اثنان منهم متزوجين من ابنتي سليمان(١٢٩).

٥ ـ التقسيم كان تنفيذا لخطة داود من قبل .. فقد استفاد سليمان من خبرة أبيه وميل القبائل ورغبتها في الابتعاد عن مركز السلطة ، فأعاد تنظيم الأقسام الادارية التي أنشأها أبوه ، متبعاً في ذلك أن تكون حدودها متفقة مع الحدود القديمة لقبائل بني اسرائيل ... ويقول أولبرايت من المحتمل جداً أن يكون داود نفسه هو الذي خطط لمثل هذا التحرك قبل وفاته ، وما كان تنظيم سليمان في الواقع إلا تنفيذاً للخطة التي وضعها أبوه .. وربما كان هذا التنظيم الجديد اقتداء بتقسيمات قبلية أقدم . وقد أقدم الملك على هذه الخطوة مضطراً بعد أن أضيفت الى الدولة مناطق شاسعة جديدة(١٣٠).

٦ ـ التقسيم كان اتباعاً للنمط الكنعاني .. يقول جون جري في هذا الشأن : يظهر من التنظيمات الادارية التي اكتشفت في (رأس الشمرا) أن بني اسرائيل اتبعوا النمط الكنعاني في نظامهم الجديد ... إن التقسيم الأميري لمملكة بني اسرائيل تحت حكم سليمان اتبع نفس تقسيم مملكة أوجاريت ، حيث استبدل بالتقسيم القبلي القديم ، تقسيم جديد يقوم على أساس المقاطعات ، على الرغم من أننا نلمح أثراً بسيطاً من النظام القديم(١٣١).

٧ ـ يرى كثير من المؤرخين أن القبيلة التي ينحدر منها الملك سليمان وهي قبيلة يهوذا استثنيت من تقسيم المقاطعات الادارية ولم تكن ضمنها ، ويقولون إن ذلك يدل على المعاملة التفضيلية التي اختصت بها قبيلة الملك وأعفيت بموجبها من واجب الضريبة .

ويعلق لودز على ذلك بقوله : إن هذه الحقيقة يمكن أن تساعد على تفسير الكراهية المتزايدة التي نمت بين القبائل الشمالية ضد ملك أورشليم ، تلك الكراهية التي انفجرت لأول مرة خلال حكم سليمان ، عندما فرضت أعمال السخرة على رجال قبائل بني اسرائيل الشمالية لإقامة التحصينات في العاصمة . لقد أخمدت الثورة ، وأجبر قائدها (يربعام) على الهرب الى مصر .. إلا أن الثورة اندلعت بعد وفاة سليمان مباشرة .. وانه

---

(١٢٨) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ، جاكسون ، ص ٢٠٠ .

(١٢٩) Lods, PP. 371—372; Anderson, P. 157; Hastings, P. 929 .

(١٣٠) Albright , Arch. and The Religion of Israel, P. 140 .

(١٣١) Gray, Archaeology and The O.T. World, PP. 143 —145 .

يتحمل بدرجة كبيرة مسئولية الانفصال الذي حدث ، بسبب تحيزه ومحاباته لأورشليم ويهوذا ، ولفرضه الأعباء الثقيلة والقاسية على مواطنيه من أجل تغطية نفقاته الكبيرة التي وضع التنظيمات من أجلها[١٣٢].

كما يعلق روبنسون على هذا الأمر بقوله : إن المعاملة التفضيلية الممنوحة لقبيلة يهوذا في هذا الشأن لابد وأنها أثارت حسد القبائل وكانت أحد الأسباب التي أسهمت في تمزق المملكة[١٣٣]

أما شاين فيقول إن الواجبات الملقاة على عاتق الولاة الذين عينهم سليمان على مقاطعاته لم تقف عند تزويد الملك وبيته بالمواد التموينية وإنما تعدت ذلك إلى جباية الضرائب لمواجهة النفقات الحربية .. ثم يورد بعض الأدلة في هذا الشأن لتدعيم وجهة نظره القائلة بأن بني اسرائيل كانوا في شمالي الجزيرة العربية لا في فلسطين .

من هذه الأدلة أن اثنين من الوكلاء اتخذا لهما زوجتين من عرب شمالي الجزيرة[١٣٤] وذلك لتعزيز تأسيس مملكة قوية شمالي الجزيرة العربية تحت حكم أسرة من بني اسرائيل تعبد (يهوه) .

ويستطرد قائلا : لو كانت لدينا الروايات المتعلقة بسليمان في شكلها الأصلي ، لما كان هناك شك على الاطلاق ، ولكان قد تم الاعتراف بالنظرية القائلة إن بني اسرائيل كانوا في شمالي الجزيرة العربية لا في فلسطين ، بكل ما فيها من حقائق مؤكدة . وقد عرف كتبة العهد القديم ، على أية حال ، الحقيقة . ونستطيع أن نتبين ذلك مما نراه مخفيا تحت الستار الشفاف للنصوص المحرفة . ثم يقول : إنني لا أستطيع أن أفهم كيف اقتنع الباحثون بالوصف الذي لا قيمة له لكل من يهوذا واسرائيل والوارد في سفر الملوك الأول (٤ : ٢٠)[١٣٥] إن هذا الوصف كان يجب بالتأكيد أن يكون وصفاً للشعوب التابعة لسليمان الخاضعة له وأبرزها العرب .. إن كتبة الأسفار هم الذين تسببوا في هذا التفسير الخاطىء لأسماء الأماكن الحقيقية الموجودة شمالي الجزيرة العربية[١٣٦].

يتبين لنا مما تقدم أن تقسيم سليمان للبلاد الى اثنتي عشرة مقاطعة لم يكن ابتكارا جديدا ، وإنما تنفيذا لما كان يخطط له أبوه داود للقضاء على استقلال قبائل بني اسرائيل ، وجعل السلطة تتركز في أيدي الملك نفسه . وقد وجد مثيلا لهذا النظام عند الكنعانيين أهل البلاد الأصليين الذين سبقوا بني اسرائيل في كثير من أوجه الحضارة فحاول تطبيقه إلا أنه لم يتمكن .

---

(١٣٢) Lods, PP. 371—372 .
(١٣٣) Robinson, History of Israel, P. 265 .
(١٣٤) الزوجتان هما : طافة ، وباسمة (الملوك الأول ٤ : ١١ ، ١٥) . ويقول شاين إن الاسمين محرفان ، وهما يرجعان الى مناطق شمالي الجزيرة العربية .
(١٣٥) النص هو : « وكان يهوذا واسرائيل كثيرين كالرمل الذى على البحر في الكثرة » .
(١٣٦) شاين ، ص ٦٧ ـ ٦٩ .

وبعد وفاته قام سليمان بتنفيذ هذا المشروع ، وكان يهدف من ورائه الى أمرين اثنين :

أولهما : القضاء على الاستقلال النسبي الذي كان يسود النظام القبلي القديم فكانت كل قبيلة تأتمر بأوامر زعيمها وتقر له بالسلطة والمسئولية في كل شيء . وقد وصل الأمر عند بعض القبائل أن كان عندها معبدها الديني غير عابئة بهيكل أورشليم ، كما أن حجم بعض القبائل كان كبيرا لدرجة قد تجعل ملك أورشليم يتوجس خيفة من تألّبها ضده ، خاصة وأن عوامل كثيرة كان يمكن أن تحرك هذه القبائل ـ وعلى وجه الخصوص القبائل الشمالية ـ وتجعلها تنقض على الملك . لذلك فان نظام المقاطعات الجديد الذي طبقه سليمان قسم التجمعات الكبيرة وفرقها بعضها عن بعض .

وثانيهما : لما كان سليمان قد توسع في مشاريعه العمرانية التي كان يحاكي فيها الدول العظمى من حوله مثل مصر وأشور ، وما استلزم ذلك من بذخ وترف ـ على رأي بعض المؤرخين ـ فإنه أصبح في حاجة ماسة للمال حتى يواجه المتطلبات الجديدة . فعلى الرغم من قيام حركة تجارية نشطة في البلاد أيام سليمان ، وعلى الرغم من ارتياده البحار وتوسعه في مشاريعه التجارية مما كان يعود عليه بالمال الوفير ، بالاضافة الى ما كان يحصل عليه من الضرائب والاتاوات من القوافل التجارية المارة عبر أراضيه .. بالرغم من كل ذلك فان حاجته الى المال كانت دائما في ازدياد ، مما اضطره الى فرض الضرائب ليس على الشعوب التي كانت خاضعة له فحسب ، بل تعداها ليشمل الاسرائيليين أنفسهم . وحتى تكون عملية جباية الضرائب مثمرة ومنظمة ، فإنه قام بتقسيم البلاد الى اثنتي عشرة مقاطعة ، وعين على كل منها حاكما أو واليا يأتمر بأوامره ويكون مسئولا عن الجباية وتموين بلاط الملك بما يحتاج إليه .

ولكي يضمن ولاء هؤلاء الحكام أو الولاة فإنه قام بتزويج بعضهم من بناته ، وهل هناك أكثر حرصاً على ولاء أولئك الحكام من ذلك ؟

غير أن تلك الضرائب المفروضة على الشعب كانت باهظة وأكثر من أن يطيقها الناس زمنا طويلا . لذلك كانت من أهم الأسباب التي أدت الى تمزيق المملكة الموحدة وانهيارها ، خاصة وأن الملك استثنى قبيلته ـ يهوذا ـ (كما يقول بعض المؤرخين) من دفع الضرائب الأمر الذي أوغر صدور الشماليين الذين يشكلون غالبية أسباط اسرائيل وجعلهم يتحينون الفرص للانقضاض ، وقد جاءتهم الفرصة أيام خليفة سليمان ، وهو ابنه رحبعام .

٨ ـ الأسفار المنسوبة لسليمان :

يقول العهد القديم : « وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطىء البحر ، وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر . وكان أحكم من جميع

الناس ، من إيثان الأزراحي وهيمان وكلكول ودردع بني ماحول ، وكان صيته في جميع الأمم حواليه ، وتكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت نشائده ألفاً وخمساً ، وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدَّبيب وعن السمك . وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان ، من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته »[١٣٧]

وينسب التقليد اليهودي لسليمان تأليف ثلاثة أسفار من الأسفار القانونية في العهد القديم ، وهذه الأسفار هي :

أ ـ سفر الأمثال .

ب ـ سفر الجامعة .

جـ ـ سفر نشيد الانشاد .

وفيما يلي تعريف موجز بكل من الأسفار الثلاثة :

أ ـ سفر الأمثال :

اسم هذا السفر في النص العبري هو :

מִשְׁלֵי שְׁלֹמֹה בֶן־דָּוִד מֶלֶךְ יִשְׂרָאֵל

« أمثال سليمان بن داود ملك اسرائيل » (الأمثال ١ : ١) .

إن هذا السفر مؤلف من أقوال في الحكمة تسمى أمثالا ، وهو مكتوب في العبرية على طريقة السجع . وكما أن سفر المزامير يسمى « مزامير داود » تغليباً ، لأنه كتب عدداً منها لا كلَّها ، كذلك سفر الأمثال يسمى « أمثال سليمان » لأن سليمان مؤلف قسم كبير من محتويات هذا السفر ـ على حد قول القس سيكل سيل[١٣٨].

ويقول حبيب سعيد : من المتفق عليه إجماعاً بين علماء الكتاب ، أن هذا السفر ـ في وضعه النهائي ـ يرجع تاريخه الى ما بعد عصر عزرا[١٣٩] وهو العصر الذي ازدهرت فيه مدارس الحكمة . ولكن سفر الأمثال ـ مثل أسفار التوراة الخمسة الأولى ـ يمثل الطور النهائي لأحاديث متواترة ترجع في بداءتها على الأقل الى عصر سليمان ، الذي ربما يكون قد وضع أو جمع نواتها الأصلية الأولى[١٤٠].

ويقول ريز جونز : W.A. Rees Jones وأندرو والز : Andrew F. Walls :

---

(١٣٧) الملوك الأول ٤ : ٢٩ ـ ٣٤ .

(١٣٨) سيكل سيل ، المرشد الى الكتاب المقدس ، ص ١١٦ .

(١٣٩) عاش عزرا في القرن الخامس قبل الميلاد .

(١٤٠) حبيب سعيد ، المدخل الى الكتاب المقدس ، ص ١٤٥ .

إن نسبة هذا السفر لسليمان لا تدل على أنه كتب السفر كله ، لكنها تذكرنا بأن الجزء الأكبر جاء منه ، وأنه أعظم شخصية في الحكمة المثليّة[١٤١].

ويقول الربيون : « إن حزقيا وأصحابه كتبوا إشعياء ، والأمثال ، ونشيد الانشاد ، والجامعة » . أي بعبارة أخرى هم الذين حرروها أو نشروها . أما عن الأمثال فيقول جونز ووالز إنهما يشكّان في أن عبارة الربيين السابقة تستند إلى أي أساس غير ما ورد في عنوان الاصحاح الخامس والعشرين من سفر الأمثال[١٤٢]، والعنوان هو : « هذه أيضا أمثال سليمان التي نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا » .

ويقول حبيب سعيد إن مادة هذا السفر كثيرة ومتنوعة ، فالاصحاحات (من ١ ـ ٢٩) تنتمي إلى أحاديث سليمان وأقواله ، أما الاصحاحان الباقيان (٣٠ ـ ٣١) فمأخوذان عن أصول أجنبية غريبة ، ويذهب جمهرة العلماء الى أن المجموعة المعنونة « أمثال سليمان » ـ (الاصحاحات ١٠ : ١ ـ ٢٢ : ١٦) ـ هي أقدم المجموعات في سفر الأمثال ، أما المجموعة الأولى المعنونة « أمثال سليمان » (الاصحاحات ١ ـ ٩) فهي أحدثها ، ولكن بالنظر إلى العناصر الكنعانية في هذا القسم ، فإن بعض العلماء يظنون أن جزءاً من هذه المجموعة تضمنته أحاديث الحكمة قبل تاريخ السبي ، والذي يمكن الجزم به في يقين أن سفر الأمثال يشمل مجموعة عجيبة من الأقوال والأحاديث يمتد تاريخها إلى كل فترات التاريخ تقريباً في العهد القديم[١٤٣].

وتجدر الاشارة الى أن المادة الواردة في الاصحاحين ، الثاني والعشرين والثالث والعشرين (٢٢ : ١٧ إلى ٢٣ : ١٢) ترجع في الأصل الى مصدر مصري ، فهي مأخوذة عن كتاب تعاليم الحكمة للحكيم المصري (أمين ـ ام ـ أوبه) (Amen-em-ope) الذي كتبه حوالي عام ١٠٠٠ق.م[١٤٤] وسلك في وضع نصائحه التي ضمنها ثلاثين بابا ، نفس الطريق الذي سلكه حكماء الشرق منذ القدم ، فساقها على صورة نصائح والد لولده ، كما هو الحال في هذه الحكمة التي ينصح بها لقمان ابنه حسبما ورد في القرآن الكريم[١٤٥].

وقد كشف عن هذا المصدر (أدولف ارمان) في بحثه الذي تقدم به الى المجمع العلمي البروسي سنة ١٩٢٤ بعنوان : (مصدر مصري لأمثال سليمان)[١٤٦].

يقول الدكتور فؤاد حسنين علي : إن كتاب الأمثال عبارة عن مجموعة متفرقة من الحكم والأمثال التي لا تربط بينها رابطة ، ولا نلمس في أسلوبها وحدة أو تناسقا ، فهو لا يمكن أن يكون من وضع فرد بعينه أو نتاج

---

(١٤١) تفسير الكتاب المقدس ـ الجزء الثالث ـ سفر الأمثال ، مركز المطبوعات بيروت ، ص ٣٣٧ .
(١٤٢) نفس المرجع ، ص ٣٣١ .
(١٤٣) المدخل الى الكتاب المقدس ، ص ١٤٦ .
(١٤٤) Eissfeldt, P. 474 .
(١٤٥) انظر سورة لقمان ، الآيات ١٣ ـ ١٩ .
(١٤٦) د . فؤاد حسنين علي ، التوراه ـ عرض وتحليل ، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

قريحة عصر بمفرده ... وهو يتساءل : « متى كانت أمثال أمة من الأمم من وضع فرد أو عصارة عصر من عصور تاريخها المختلفة » ؟؟

أما لماذا نسب سفر الأمثال لسليمان فيقول الدكتور فؤاد حسنين لما كان كل من التوراة والقرآن الكريم قد عزا لسليمان الحكمة ، فهل يستبعد بعد هذا أن ينسب اليه المتأخرون من اليهود معظم ما يتصل بالفلسفة والحكمة في كتابهم المقدس كالأمثال والجامعة ونشيد الانشاد ..

وكما أننا ننفي فكرة سليمان كمؤلف ، كذلك فإننا ننفي فكرة وجود شخص بعينه كمؤلف لهذا السفر أيضا ، وذلك بدليل تكرار أكثر من مائة من الأمثلة الواردة فيه ، ولو أن بعضها لم يكرر حرفيا .

(قارن مثلا : الاصحاح ١٨ : ٨ مع الاصحاح ٢٦ : ٢٢ ، والاصحاح ١٩ : ٢٤ مع الاصحاح ٢٦ : ١٥) .

أما جمع هذا السفر فيرجح أنه قد تم حوالي القرن الثالث قبل الميلاد[١٤٧].

ب ـ سفر الجامعة :

عنوان هذا السفر هو : « كلمات الجامعة ابن داود ، الملك في أورشليم » ، وأطلق على السفر اختصاراً كلمة « الجامعة » :

קֹהֶלֶת (Koheleth)

وهي باليونانية (Ecclesiastes) . واللفظ في اللغة العبرية يعني الشخص الذي يجمع الناس بقصد مخاطبتهم أو « الواعظ » (The Preacher) وهي مشتقة من كلمة (קָהָל) التي تعني « جمعية » أو « جماعة » ، وكانت تطلق على « الخطيب » في هذه الجمعية[١٤٨].

ويرى (جينز بيرج Ginsberg) أن لفظة קֹהֶלֶת مترجمة خطأ عن لفظة קָהֲלָא الآرامية التي هي بصيغة المذكر التوكيدي ، وتعني الشخص الذي يدعو الناس للتجمع ، وقد ترجمت خطأ على اعتبار أنها مؤنث مطلق .

كما يرى جينز بيرج أن سفر الجامعة لم يكتب في الأساس باللغة العبرية ، وإنما وضع بالآرامية وترجم بعد ذلك الى العبرية[١٤٩]. أما التاء في اسم الجامعة فهي ليست للتأنيث بل للمبالغة ، مثل « الراوية »[١٥٠]. وليست

---

(١٤٧) المرجع السابق ، ص ٦٩ ، ٧٢ ـ ٧٣ .

(١٤٨) Eissfeldt, P. 492 .

(١٤٩) Ginsberg , ' Studies in Koheleth ', 1950 ; ' The Structure and Contents of The Book of Koheleth ', 1955, PP. 138—149 .

(١٥٠) سيكل سيل ، ص ١١٩ .

الجامعة اسم علم لفرد بالذات، بل هي وصف لوظيفة. وكان المعتقد أن هذه الوظيفة قام بها سليمان، الذي كان من عادته أن يجمع شيوخ ورؤساء الأسباط، ويبدو بينهم كأنه البشير الحكيم المتفوق[١٥١].

يقول هندري (G.S.Hendry): يعد سفر الجامعة من وجوه كثيرة سفراً غامضاً، وهو مفكك التركيب، غامض المفردات، وغالباً سرّى المعنى في أسلوبه، فهو يحيّر فهم القارىء وادراكه. ويحتوي السفر على عدد من الكلمات، لم ترد في غيره من أسفار العهد القديم، وهي كلمات يصعب تحديد معناها بالضبط، ويحتوي أيضاً على متناقضات ظاهرية تجعل من الصعب علينا أن نؤكد الرأي الخاص لكاتب السفر. وهذه المقابلات قادت البعض الى الظن بوجود كتاب أصلي تم تهذيبه وصقله في هذا السفر، لعبت فيه أيد عديدة[١٥٢].

ويضم سفر الجامعة اثني عشر إصحاحاً تحتوي على شعر من ذلك النوع الذي يطلق عليه شعر الحكمة، وهو يشبه في سفر الأمثال .. الاصحاحات (١ ـ ٩) وكذلك الاصحاح (٣٠)، وهنا يحدثنا حكيم له كثير من الخبرة والمعرفة (الاصحاحات ١، ٧، ٨)، ويبدو أحياناً متشائماً فاقد الأمل إذ يرى أن كل نشاط بشري باطل وقبض الريح، هكذا يبدأ:

« باطل الأباطيل الكل باطل، قال الجامعة » (١ : ٢)، وهكذا ينتهي:

« باطل الأباطيل قال الجامعة، الكل باطل » (١٢ : ٨).

لكن بالرغم من هذا اليأس الذي استولى على المؤلف خاصة بعد أن رأى أن العاقل كالجاهل في الحياة، نجده يفرق بينهما في الاصحاحات (٢ و ٧ : ١١ ـ ١٢؛ ١٠ : ٢ ـ ٣). وبالرغم من ذلك أيضاً نراه مضطرباً شاكاً فيما يخبئه الدهر للانسان (٦ : ١٢؛ ٨ : ٧)، لذلك لابد من الأخذ بالحياة كما هي، وهو ينصح تلاميذه ومريديه أن يستمتعوا بالحياة وهم أحياء:

« ليس للإنسان خير من أن يأكل ويشرب ويُرِيَ نفسه خيراً في تعبه » (٢ : ٢٤) لكن مما يعكر صفو هذه المتعة الموت الذي ينتظرنا (٣ : ٢٢؛ ٩ : ٩ ـ ١٠؛ ١١ : ٨؛ والاصحاح ١٢)[١٥٣].

أما الفكرة القائلة بأن هذا السفر متأثر بالفلسفة اليونانية فهي موضع شك عظيم، لأن فكرة التشاؤم وهذا النوع من الفلسفة شرقي قديم نجده عند البابليين وقدماء المصريين، أما فكرة أن لكل شيء وقته وزمانه (٣ : ١ ـ ٨) فهي فكرة بابلية ومصرية، وفكرة التحذير من الجري وراء اللذات والملاهي موجودة في ملحمة

---

(١٥١) حبيب سعيد، ص ١٦١.
(١٥٢) تفسير الكتاب المقدس، الجزء الثالث، سفر الجامعة، ص ٣٨٩.
(١٥٣) التوراة ـ عرض وتحليل، ص ٧٤، المدخل الى الكتاب المقدس، ص ١٦١ ـ ١٦٢.

جلجاميش وفي الأدب المصري القديم (عازف القيثارة) ، فالسفر في مجموعه عرض لفلسفة شرقية قديمة لا دخيل عليها[١٥٤].

أما مؤلفه فليس سليمان على الرغم من نسبته إليه ، والدليل على ذلك ما جاء في الاصحاح ١ : ١٢ « انا الجامعة كنت ملكاً على اسرائيل في أورشليم » ، وهذا يعني أن (سليمان ـ الجامعة) تنازل عن العرش خلال حياته وهو الآن يلقي نظرة على ملكه الغابر ، وهذا يتعارض مع الحقائق التاريخية المألوفة من أن سليمان مات ملكاً[١٥٥].

وقد قامت حول هذا السفر مشاكل عديدة لاشتماله على كثير من عبارات الشك والالحاد والزندقة ، ولولا ورود اسم سليمان فيه ونسبته اليه ما استطاع ربانيو اليهود ضمه الى كتابهم المقدس ، أما تأليفه فيرجح أنه تم حوالي أواخر القرن الثالث ق.م ، ولا نعلم شيئا عن مؤلفه . ومما يجب الاعتراف به أن هذا السفر فرض نفسه لا على الكتاب المقدس فحسب ، بل على كثيرين من الشعراء والفلاسفة ، وقال فيه رينان : « هذا ما نحبه لأنه لمس حقيقة آلامنا »[١٥٦].

جـ ـ سفر نشيد الانشاد :

اسم هذا السفر في النص العبري هو :

שיר השירים אשר לשלמה

(The Song of Songs of Solomon)

« نشيد الأناشيد لسليمان » وقد تضاربت آراء العلماء المسيحيين واليهود بشأنه ، فمنذ زمن أوريجين[١٥٧] ساد الاعتقاد بأنه شعر مجازي أو تمثيلي ، يمثل المسيح كالعريس والكنيسة كعروسه . وقد ظن اليهود من قبل أنه غزل بين يهوه وبين اسرائيل ، لذلك فهم يرتلونه حتى اليوم في عيد الفصح . وقبوله في الكتاب المقدس يرجع ـ بعد تردد عظيم في الواقع ـ الى نسبته لسليمان وكثرة ورود اسمه فيه . وقد اعتقد اليهود أن سليمان كتب هذا السفر في أيام شبابه ، وكتب الأمثال في عهد رجولته وكتب الجامعة في سنّي شيخوخته .

---

(١٥٤) Eissfeldt, PP. 498—499 .
انظر أيضا : التوراة ـ عرض وتحليل ، ص ٧٤ .

(١٥٥) المرجع السابق ، ص ٤٩٩ .

(١٥٦) د . فؤاد حسنين علي ، التوراة ـ عرض وتحليل ، ص ٧٥ .

(١٥٧) ولد سنة ١٨٥م في الاسكندرية وكان مدرسا في المدرسة الدينية هناك ثم انتقل للتدريس في المدرسة اللاهوتية في قيصرية بفلسطين منذ عام ٢٣٢م . اشتهر بأنه عمل (الهكسبلا) أو « المسدسة » بأن جمع الترجمات اليونانية للعهد القديم بما فيها الترجمة السبعينية ورتبها بأن وضع كلا منها في عمود مع النص العبرى ، بالاضافة الى النص العبرى في حروف يونانية ، من أجل المقارنة مع النص العبرى للخروج بنسخة منقحة عن هذه الترجمات بعد أن أدخل علامات نقدية خاصة على العمل (Eissfeldt, PP. 709—710)

أما اليوم فقد ثبت أنه ليس لسليمان ، فلغته تطالعنا صراحة على أنه جمع بعد عصره بزمن بعيد ، ولو أن الأغاني والأناشيد التي يشتمل عليها قديمة جداً ، وربما كان أحدث أسفار العهد القديم من حيث تاريخه ذلك أنه حوى بعض الألفاظ الفارسية والآرامية واليونانية التي لم تدخل اللغة العبرية الا بعد السبي بزمن طويل .

وكان القوم ينشدون أناشيد هذا السفر على آلات الموسيقى في الأفراح وحفلات الزواج ، ولم يستطع أحد الجهر بأن السفر عبارة عن أغان شعبية وأنه من وضع الشعب وليس لسليمان قبل القرن السابع عشر[١٥٨] .

ويقول ايسفيلت يرجح أن جمع السفر تم في القرن الثالث ق.م[١٥٩] كما ينسبون لسليمان تأليف سفرين آخرين هما : « حكمة سليمان » و « مزامير سليمان » والسفر الأول يعتبر من أسفار « الأبوكريفا » Apocrypha وهي مجموعة الأسفار والكتابات الملحقة بالعهد القديم وليست منه ، وجاءتنا محفوظة في الترجمة السبعينية اليونانية (Septuagint) . ومعنى كلمة (أبو كريفا) في اللغة اليونانية الكلاسيكية الخاصة بالكتاب المقدس : « خفيّ » ، واستعملت أيضاً بمعنى « غامض » أو « سرّ » . وبعض هذه الأسفار الخفيّة غير مقدس ولا معتمد في نظر اليهود ، بينما بعضها الآخر مقدس أي معترف بأنه موحى به ومعتمد في نظرهم ، ولكن رأى أحبارهم وجوب إخفائه ، وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور ولا أن يدرج في أسفار العهد القديم .

بينما يعتبر السفر الثاني « مزامير سليمان » من أسفار « البسيد بجرافا » (Pseudepigrapha) وهي الأسفار الخارجة أو المنسوبة خطأ الى أشخاص لم يكتبوها[١٦٠] .

وفيما يلي تعريف بكل من السفرين :

١ ـ حكمة سليمان :

يتألف هذا السفر من تسعة عشر إصحاحاً تنقسم الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : (الاصحاحات ١ ـ ٥) نظم شعرا في أبيات متوازية .

القسم الثاني : (الاصحاحات ٦ ـ ٩) نظم ـ على العموم ـ شعرا ، غير أنه يحتوي أحياناً على مقطوعات نثرية .

---

(١٥٨) Eissfeldt, PP. 485—490 .
انظر أيضا : د . فؤاد حسنين علي ، التوراة ـ عرض وتحليل ، ص ٧٦ ؛ حبيب سعيد ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ؛ سيكل سيل ، ص ١٢١ .

(١٥٩) Eissfeldt , P. 490 .

(١٦٠) Eissfeldt, PP. 574 ff .
أنظر أيضا : د . فؤاد حسنين علي ، التوارة ، ص ١١٨ ـ ١١٩ ؛ حبيب سعيد ، المدخل الى الكتاب ، ص ١٨٤ ؛ د . علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ، الطبعة الثالثة ، دار نهضة مصر القاهره ١٩٨٣ ، ص ٢٣ .

القسم الثالث : الاصحاحات في بداية هذا القسم (١٠ ـ ١٢ : ١٨) نظمت في أغلبها شعرا ، ولكنها تضمنت أحياناً بعض المقطوعات النثرية ، بينما جاء باقي القسم الثالث (١٢ : ١٩ ـ ١٩ : ٢٣) في معظمه شعرا منثوراً .

ويتحدث القسم الأول عن تفوق الانسان الورع التقي الحكيم ، على الكافر الملحد ، بينما القسم الثاني عبارة عن نشيد في تمجيد الحكمة ، يبدأ بموعظة للملوك لتحسس مواقع الحكمة ، وينتهي بصلاة من أجلها .

ويصف القسم الثالث العجائب والمعجزات التي تسببها الحكمة وهكذا فان السفر يندرج تحت أدب الحكمة ، وهو ينسب مثل سفرى « الأمثال » و« الجامعة » لسليمان . ويظهر أثر أدب الحكمة الأجنبي في أسفار الحكمة الاسرائيلية ، وخاصة الأثر اليوناني ، ويتجلى هذا الأثر في الأسلوب . غير أن سفر حكمة سليمان جاء بكامله ـ وخاصة نصفه الثاني الذي يغلب عليه الشعر المنثور ـ مكتوباً بأسلوب حزين منسق يرجع الى العصر الهيليني .

وقد استعار السفر ملامحه وما تضمنه من أفكار توفق بين المعتقدات المختلفة ، من الأفكار الهيلينية والمصرية والشرقية ، أما زمن كتابة السفر فهو القرن الأول ق.م في الفترة المعاصرة لفيلون السكندري ، والبيئة التي كتب فيها هي بيئة الاسكندرية في ذلك الوقت[١٦١] .

٢ ـ مزامير سليمان :

يحتوي هذا السفر على ثماني عشرة مقطوعة شعرية تشبه المزامير القانونية ، الا أن لها أيضاً مميزاتها وصفاتها الخاصة بها ، وتتراوح أطوالها بين ستة الى ستة وأربعين بيتاً من الشعر .

أما أصلها العبري فإنه فقد ، وبقيت ترجمتها باليونانية التي نشرت عام ١٦٢٦ . كذلك فان اسم سليمان ورد فيها بشكل اعتباطي ، ومن المحتمل أنه أضيف مع عناوين هذه المزامير فيما بعد ، وقد أخذ بالحسبان عند اضافتها ما ورد في سفر الملوك الأول[١٦٢] ، بغية لفت النظر الى مغايرتها وتباينها مع مزامير داود . ومزامير سليمان موجودة الآن في ثماني مخطوطات يونانية ، بالاضافة الى الترجمة السريانية الآرامية « البشيطا » المأخوذة عن اليونانية .

ولعل وجود المصطلحات الفنية الموسيقية في هذه المزامير ، مثل :
לַמְנַצֵּחַ (لإمـام المغـنّـين) و סֶלָה (ســلاه) ، وهـي المصطلحات الموجودة في

---

(١٦١) Eissfeldt , PP. 600—602 .

(١٦٢) « والرب أعطى سليمان حكمة .. » (الملوك الأول ٥ : ١٢)

مزامير داود ، يدل على أن هذه المزامير كانت تستعمل ـ كمثيلاتها مزامير داود ـ في طقوس العبادة .

أما الاختلافات بين مزامير سليمان وتلك الموجودة في سفر المزامير ، ففي كون أنواع المزامير في الأولى مختلطة ومتمازجة في بعضها بشكل ملحوظ أكثر من اختلاطها في الثانية ، وأن عنصر التأمل والتفكير في مزامير سليمان واضح في الغالب .

أما تاريخ مزامير سليمان فيمكن تحديده ، على ضوء ما جاء في هذه المزامير وارجاعه الى الفترة ما بين سنة ٦٣ وحوالي سنة ٣٠ ق.م . وليس من الضروري الجزم بأنها جاءت من شاعر واحد ، اذ يمكن أن يكون عدة شعراء كتبوا هذه المزامير ، ولكنها بالتأكيد كتبت في فلسطين في نفس الفترة المشار اليها ..

وعن نسبة هذه المزامير لسليمان فان ذلك يرجع الى أن الأشعار المفردة هنا ـ والتي تختلف عما ورد في سفر الحكمة مثلاً ـ تضمنت الادعاء بأن كاتبها هو سليمان ، غير أن نسبة كتابة المجموعة بكاملها الى سليمان انما جاءت بدون شك من واقع أنه لم يكن بالامكان ضم هذه المزامير الى مزامير داود القانونية التي اختتمت قبل ذلك بوقت طويل ، وهكذا نسبت لابن داود ، وهو سليمان حيث صُنِّفَ في المرتبة التالية لداود كأشهر كاتب للأناشيد[١٦٣] .

حكمة سليمان

ومن أهم ما اشتهر به سليمان عليه السلام حكمته التي فاقت حكمة أهل الشرق جميعاً .

يقول العهد القديم في هذا الشأن : « وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطيء البحر . وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر . وكان أحكم من جميع الناس ... وكان صيته في جميع الأمم حواليه . وتكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت نشائده الفا وخمسا . وتكلم عن الأشجار من الأرز الذي في لبنان الى الزوفا النابت في الحائط . وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك . وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان ، من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته[١٦٤] » .

وقد أيد فريق من المؤرخين والنقاد رواية العهد القديم فيما يتعلق بحكمة سليمان ... كما عارضها فريق آخر .

---

(١٦٣) Eissfeldt, PP. 610—613 .

(١٦٤) امل ٤ : ٢٩ ـ ٣٤ .

أما المؤيدون فيقولون إن أهداف الملك منذ بداية حكمه كانت نبيلة ورفيعة ، يتبين ذلك من القصة المعروفة المتعلقة باختياره الحكمة .. فقد جاء في العهد القديم أن (يهوه) ظهر له في منامه في جبعون ودعاه أن يسأل ما يريد وهو بين يديه . فكان توسل سليمان اليه أن يمنحه « قلبا فهيما لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر ، لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا[١٦٥] » فحسن الكلام في عيني الرب ومنحه ما سأل وما لم يسأل « غِنًى وكرامة حتى إنه لا يكون رجل مثلَكَ في الملوك كل أيامِك[١٦٦] » .

وقد جاء في العهد القديم ما يبرهن على قوة بصيرته وفطنته وحسن تمييزه ، في قضائه المشهور الذي اكتشف بموجبه والدة الطفل الحيّ عندما أمر بأن يقسم بين المرأتين اللتين أدعت كل منهما أنه ابنها[١٦٧] .

ويقول المؤيدون للرواية إن من الأمور الدالة على حكمة سليمان ، أنه برهن منذ سنوات حكمه الأولى ، أنه كفء لتحمل أعباء الميراث الذي ورّثه له أبوه ... لقد انتصر على الشقاق الذي قامت به زمرة مناوئة له في الداخل ، وانتصر على الخصومات التي ثارت في الخارج .. كما دخل في تحالف وطيد مع أعظم ملوك ذلك الزمان ، بحيث لم تكد تمضي أربع سنوات حتى دخل في مشاريع واسعة من أجل مصلحة امبراطوريته[١٦٨] .

ويقولون أيضاً : كانت حكمة سليمان جزءاً أساسياً من حكمة الشرق ومن حكمة مصر ، على الرغم من أنها كانت أعلى درجة . لهذا كانت الشعوب الأخرى تكنّ له الاحترام والتبجيل ، وتمجده بالاطراء المفرط .. وقد اعتبر سليمان قاضياً حكيماً كما يظهر من رؤياه في جبعون ، ومن قصة المرأتين . كانت حكمة سليمان ظاهرة جلية بصورة رئيسية فيما يتعلق بسلطاته الملكية التي يمكن تخيلها في العصور الحاضرة وفي الشرق القديم . ... . لقد تجلت حكمته في إقامة العدالة بين الناس ، وفي تأسيس نظام حكم قويم ... وقد تجسدت بدقة في قدرته على القيادة التي تفرق بين الخير والشر ...

بالاضافة الى ذلك فقد تعدت سلطة سليمان الى نواح أخرى مثل القيام بالشعائر الدينية وتقديم القرابين بنفسه ، كما كان يبارك الناس على طريقة الكهنة .. لقد كان هذا التنوع في مفهوم القيادة محاطاً بإلهام مقدس ، هو الذي جلب الشهرة للملك الحكيم ، مما دعا الأجيال المتعاقبة أن تنسب اليه نظم الكثير من الأشعار المختلفة وأعمال الحكمة[١٦٩] .

---

(١٦٥) امل ٣ : ٩
(١٦٦) امل ٣ : ١٣ .
(١٦٧) امل ٣ : ١٦ ـ ٢٨ .
(١٦٨) جاكسون ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧
(١٦٩) Enc. Judaica, Vol. 15,Cols. 105—106 .

أما الذين عارضوا رواية العهد القديم في هذا الشأن ونفوا نسبة الحكمة الى سليمان فيقولون إن الأمثلة التي سجلتها روايات العهد القديم بشأن حكمة سليمان تبين أن ما كان يمتلكه سليمان في هذا الشأن لا بد أن يكون من صنف آخر ... فقد يكون سليمان قد امتلك العقل الرصين الذي كان يمكنه من حل المسائل المعقدة في شئون القضاء ... ومن الممكن أن سليمان كان له اهتمام بدائي في العلوم .. ومن الممكن أنه كانت لديه نزعة في قول الحكم البارعة ، وموهبة في الشعر الغنائي الممتاز .. ولكن لا يوجد شيء من ذلك يمكن أن يعوض حاجته المطلقة للحكمة الصحيحة ، وعجزه عن رؤية معنى الحقائق ، وفشله في تقييم القوانين الأبدية التي تحكم العلاقات بين الانسان والانسان ... لقد كان سليمان أقل شأناً في كل ذلك من والده ، بل إنه وقف حتى دون مستوى عامة الاسرائيليين ، وفي الدرك الأسفل من المستوى الذي بلغه الأنبياء الكبار في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد[١٧٠] .

وينفي ويلز الحكمة عن سليمان بقوله : إنها ضربة ثقيلة على عقول الناس وما استقر فيها من حقائق ، أن استطاعت قوة الإصرار على توكيد رواية العهد القديم أن تفرض ، ليس على المسيحيين فحسب ، ولكن على العالم الاسلامي أيضاً ، الاعتقاد بأن الملك سليمان لم يكن عظيماً فقط ، بل كان واحداً من أحكم الناس ... ويضيف قائلاً : أما بالنسبة لحكمته وفنه في الحكم وادارة شئون الدولة ، فإن المرء لا يحتاج أكثر من أن يقف عند نص العهد القديم نفسه ليرى أن سليمان لم يكن سوى مساعد فقط في الخطط والمشاريع الواسعة لحيرام - وكانت مملكته مرتهنة بين فينيقيا ومصر[١٧١] . وسنتكلم عن حكمة سليمان في الباب الثالث مع بيان وجهة النظر الاسلامية ، ثم تعليقنا على هذه المسألة .

●●●

علاقات سليمان الخارجيـــة

بعد أن استقر بنو اسرائيل في فلسطين كان همهم الأول ينصب على تركيز دعائم وجودهم هناك دون النظر الى الأقطار التي تحيط بهم ، أو التفكير في مد سلطانهم اليها ... ولكن الظروف المتغيرة ، والضعف الذي بدا مهيمناً على تلك الأقطار ، جعل بني اسرائيل ، وفي فترة لم تتكرر في تاريخهم - زمن داود وسليمان - يمدون بصرهم خارج الحدود ، شمالاً وجنوباً ... أما سليمان فإنه - مع الاستقرار الذي شعر به في الداخل - أخذ ينظر الى الممالك من حوله وما وصلت اليه من تقدم حضاري ، سواء في نظم الحكم أو في الشئون التجارية والاجتماعية والسياسية .

---

(١٧٠) Robinson, History of Israel, PP. 240—242 .
(١٧١) The Outline of History, PP. 262—263 .

يقول موسكاتي : كان سليمان شديد الاختلاف عن أبيه ، فقد أحدث تغييراً جوهرياً في كل حياة المملكة ، وأعاد تنظيمها على نمط الممالك المطلقة السلطان في الشرق الأدنى القديم ... وكان ما أدخله من البيئات الخارجية يمثل نظاماً يختلف تمام الاختلاف عن أساليب العبريين في الحياة والتفكير ، نظاماً لم يكن بدّ من أن يعجل انتهاجه بوقوع أزمة[١٧٢] .

أما علاقات سليمان الخارجية فكانت على النحو التالي :

١ ـ العلاقات مع مصر :

لم يكن لبني اسرائيل تعامل أو اتصال مع مصر منذ زمن الخروج وحتى أيام سليمان . أما السبب الرئيسي في ذلك فكان انشغال مصر عن التدخل في شئون فلسطين ، ولأن بني اسرائيل ـ الذين قصروا اهتمامهم على الأقاليم الرئيسية في البلاد ـ كان اهتمامهم بالشعوب الأخرى قليلاً جداً .

يقول المؤرخون : بعد أن أصبحت مملكة بني اسرائيل تشكل قوة في غرب آسيا وبعد أن نجح سليمان بدبلوماسيته في جعل بلاده تقع داخل دائرة القوى الكبرى .. فانه مد علاقاته مع مصر وحاز على صداقة فرعونها .. حتى إن هذا الفرعون ـ الذي لا بد أن يكون آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين أو قبل الأخير كما يقول لودز ـ أعطى سليمان إحدى بناته ، بالرغم من أنه كان على صلة (بهدد) الأدومي الذي تزوج من شقيقة زوجة الفرعون وكان خصماً لسليمان في نفس الوقت .

ويعلق لودز على هذا الزواج بقوله : إننا نعرف من رسائل تل العمارنة أن هذا الامتياز الذي حصل عليه سليمان كان مرغوباً فيه من قبل الفرعون ، اذ كان يطمع في أشياء أخرى من ورائه ، وكان الفراعنة نادراً ما يمنحون مثل هذا الامتياز حتى لأكبر جيرانهم قوة .

ويضيف لودز : لقد أحضرت الأميرة المصرية معها مهراً لسليمان ، وكان المهر مدينة (جازر) التي استولى عليها فرعون مصر حديثاً من الكنعانيين[١٧٣] .. وربما تحقق الفرعون في تلك الحملة التي شنها على سكان جنوب غرب فلسطين من قيمة التحالف مع ملك بني اسرائيل[١٧٤] .

ويعلق ويلز على زواج سليمان من ابنة فرعون مصر بقوله : هناك نقطة مهمة في قصة سليمان ، كونها تدل على أن هناك دوراً جديداً قد بدأ فيما يتعلق بالشئون المصرية ، هذه النقطة هي زواج سليمان من ابنة فرعون مصر ـ أما هذا الفرعون فلا بد أن يكون واحداً من فراعنة الأسرة الحادية والعشرين . في الأيام

---

(١٧٢) سبتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة د . السيد يعقوب بكر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهره ، ١٩٥٧ ص ١٤٣ .
(١٧٣) امل ٩ : ١٦
(١٧٤) Lods, PP. 368 — 369; Jackson, P. 196 .

العظيمة زمن الفرعون أمينوفيس الثالث ، كان الفرعون ـ كما تشهد رسائل تل العمارنة ـ يمكن أن يتنازل ويتواضع بقبول أميرة بابلية ضمن حريمه ، ولكنه رفض إطلاقاً أن يزوج أميرة مصرية من ملك بابلي ... وبعد هذا الفرعون بثلاثة قرون ، كان النفوذ المصري ، آخذاً في الأفول والضعف ، بحيث إن ملكاً صغيراً مثل سليمان استطاع أن يتزوج ـ بشروط متساوية ـ أميرة مصرية . إلا أنه مع ذلك كانت هناك نهضة بتسلم الأسرة الثانية والعشرين السلطة في مصر ، وقد استفاد مؤسسها وهو الفرعون شيشق ، من الانشقاق الذي حصل بين « اسرائيل » و« يهوذا » ، ذلك الانشقاق الذي كان ينمو ويكبر أيام حكم كل من داود وسليمان ، وهكذا استولى على اورشليم وغنم كل ما في هيكل سليمان وقصره المنيف(١٧٥) .

ويقول روبنسون إن زواج سليمان من ابنة الفرعون كان اعترافاً ـ على نحو ما ـ بسيادة ذلك الفرعون ، حيث إن الزواج من ابنة ملك آخر ، وإن يكن مفضلاً ومرغوباً فيه ، إلا أنه كان ـ في الغالب ـ اعترافاً بتبعيته وخضوعه لذلك الملك .. لقد كان الفرعون الذي تحالف مع سليمان على شيء من القوة ، بحيث كان بامكانه أن يفرض سلطانه وسيادته على فلسطين بالقوة(١٧٦) .

ويؤكد هذا الرأي بريستد حيث يقول : « والظاهر أن سليمان الحكيم كان والياً وقتئذ تحت النفوذ المصري في فلسطين(١٧٧) » .

٢ ـ العلاقـات مـع صـور :

كانت تتحكم بعلاقات سليمان مع صور والفينيقيين أمور تجارية بحتة .. ومن باب تشجيعه للتجارة أقام علاقات مع شعوب بعيدة .. أما علاقته مع صور فقد اتبع فيها خطوات سلفه ، حيث إن داود كان قد دخل في تحالف مع حيرام ملك صور .

وقد ذكرنا ما جاء في العهد القديم فيما يتعلق بالتعاون الذي كان بين سليمان وحيرام والفينيقيين بصورة عامة ، سواء في مساعدتهم لسليمان في بناء الهيكل وتزيينه وتجميله بالزخارف والنقوش وغير ذلك ، أو مساعدتهم له في مجال التجارة وارتياد البحار .

ويقول المؤرخون عندما بدأ احتكاك بني اسرائيل بأهل صور الفينيقيين المغامرين الذين بلغوا شأواً بعيداً في حضارتهم ، فان بني اسرائيل افتتنوا بتلك الحضارة ، وأخذوا يتعلمون وينقلون عن الصوريين ما وسعهم .. فقد كان الفينيقيون رجال بحر ، وهم أسلاف القرطاجيين .. وكانوا قد أخذوا يستثمرون الفرص

---

(١٧٥) Wells, The Outline of History, P. 262 .
(١٧٦) History of Israel, PP. 246—247 .
(١٧٧) بريستد ، تاريخ مصر الى الفتح الفارسي ، ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ... نقلا عن الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ص ٥٦٢ .

التجارية المتاحة لهم في بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ، ومن ثم أوجدوا لهم موطىء قدم خلف البحار في ذروة توسعهم .

على أية حال فان تحالف داود مع حيرام استمر في عصر سليمان أيضاً .. لقد استثمر حيرام هذا التحالف بأن استخدم مملكة سليمان كطريق تمكن بواسطته من الوصول الى البحر الأحمر وبناء السفن هناك .. وكان من نتيجته أيضاً أن تمكن سليمان من جمع وتكديس ثروة في أورشليم لم يسمع بمثلها حتى اليوم - كما يقول ويلز - .. إذ مكنه هذا التحالف من الاستفادة من مهارة الفينيقيين في الملاحة وارتياد البحار ، وذلك باستثمار منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي ، بعد أن تمكن - بمساعدة حيرام أيضاً - من بناء أسطول بحري في عصيون جابر(١٧٨) .

٣ - العلاقــات مــع أدوم :

كانت حرب داود مع الأدوميين شرسة ودموية ، وقد جرد يوآب حملة عسكرية ضدهم قتل فيها كل من وجده من الذكور بوحشية متناهية - كما يقول جاكسون - إلا أن عملية إبادتهم لم تكن كاملة ، فتمكن بعضهم من الهرب الى مصر وكان بينهم غلام صغير من البيت الملكي اسمه (هَدَد) ، استطاعت مجموعة من المقاتلين الأدوميين أن تأخذه الى مدين ومن ثم الى مصر - التي ربما بيع فيها في البداية كعبد كما بيع يوسف من قبل حسب قول روبنسون - وقد نشأ هدد تحت رعاية تحفنيس زوجة فرعون . وبعد وفاة داود ويوآب حصل على إذن بالعودة الى أدوم .. إننا لا نجد في رواية العهد القديم إشارة ما الى تاريخ عودة هدد الى بلاده ، إلا أن حقيقة أن سليمان كان باستطاعته أن يشغل ويستخدم ميناء عصيون جابر ، تجعل من شبه المؤكد قيام هدد بعصيانه في وقت متأخر من حكم سليمان ، وليس في بداية حكمه . وقد نجح جزئياً في استعادة مملكته حيث تقول رواية العهد القديم إنه « أصبح ملكاً لأدوم »(١٧٩) .

ويمكن الافتراض أن سليمان أقام في النهاية حالة من السلم مع هدد ، من المحتمل من خلال تدخل فرعون آخر هو صهر سليمان ، ولكن بعد الاذعان لهدد والتسليم بلقبه كما يقول لودز ...

ويقول روبنسون إن أدوم حصلت على استقلالها قبل وفاة سليمان ، وان ممتلكات داود - بذلك - قد تقلصت في الجنوب . ولما كانت رواية العهد القديم تبين أن مساعدة هدد من قبل فرعون مصر ، إنما كانت جزءاً من سياسة البيت الملكي في مصر ، فان ذلك يعني أنه قذ حصل تغيير في الأسرة المالكة المصرية . إنه من الصعب تأكيد التواريخ الدالة على هذه الأحداث ، غير أن نهاية حكم الأسرة الحادية والعشرين وبداية حكم الأسرة

---

(١٧٨) Wells, The Outline of History, P. 261; A Short History of The Wrold, P. 76; Robinson, History of Israel, PP. 239-257; Lods, PP. 368, 370; Jackson, P. 206, Anderson, P. 155; Enc. Judaica, Vol. 15, Col. 100.

(١٧٩) امل ١١ : ٢٥ .

الثانية والعشرين يمكن أن تكون حوالي عام ٩٤٥ ق.م ـ وهو ما يراه بريستد أيضاً ـ أي إن ذلك تم خلال حكم سليمان .

ويورد روبنسون احتمال أن يكون الفرعون الذي كان يساند سليمان ، واحداً من أمراء الدلتا الذين احتفظوا لأنفسهم باستقلال عملي خلال أواخر حكم الأسرة الحادية والعشرين(١٨٠) .

٤ ـ العلاقات مع سوريا :

في الشمال برز خصم أكثر رعباً ، إنه (رَزُون) الذي كان عبداً (لِهَدَد عَزَر) ملك صوبة ، وعندما هُزِم هَدَد عزر من قبل داود(١٨١) تحرر رزون من ولائه لسيده وأصبح قاطع طريق . ويشبه روبنسون (رزون) عندما قاد الثورة السورية ضد سليمان ، بداود عندما هرب من وجه شاؤل . يقول روبنسون : تذكرنا الثورة السورية في بعض جوانبها بقصة داود . فقد هرب (رزون) من الضربة التي أنزلها داود بهدد عزر والتجأ الى البرّية ، ثم جمع حوله فرقة من الرجال الخارجين على القانون ووضع يده على دمشق . إن ما لدينا من مراجع بهذا الشأن يخبرنا أن سليمان لم يحاول قط أن يمنع احتلال دمشق .. كما أن رواية العهد القديم لا تتضمن كلمة واحدة عن أي حملة عسكرية أعدت أثناء حكمه . إن خسارة هذين البلدين : أدوم ودمشق ، لا بد أن تعني نقصاً خطيراً في دخل سليمان ، ليس فقط في الضرائب المباشرة ، ولكن أيضاً في الضرائب والاتاوات التي تفرض على تجارة السلع المارة عبر البلاد .. كما أن تأسيس مملكتين في هذين البلدين يعتبر مثالاً على أن حاكم بني اسرائيل الجديد لم يكن قادراً على الاحتفاظ بحدود المملكة التي تسلمها من أبيه سليمة دون أذى .

إن مملكة دمشق كانت فيما بعد شوكة حادة في خاصرة مملكة بني اسرائيل(١٨٢) . جاء في سفر الملوك الأول (١١ : ٢٥) : « وكان خصماً لاسرائيل كل أيام سليمان مع شر هدد ، فكره إسرائيل ومَلَك على أرام » .

٥ ـ علاقات سليمان مع الجزيرة العربية :

لقد أبرزنا في مكان آخر من هذه الدراسة العلاقة المميزة التي اشتهرت بين الملك سليمان وملكة سبأ وورد ذكرها في الكتب السماوية بشيء من التركيز . غير أن علاقة سليمان بالجزيرة العربية وبالتجار العرب لم تقتصر على العلاقة مع ملكة سبأ . فهناك إشارات واضحة في العهد القديم ، تدل على الاتصال الذي كان يحدث بين سليمان والجزيرة العربية .

فقد ذكر سفر الملوك الأول ما يلي : « وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ست مئة وستاً وستين وزنة ذهب ما عدا الذي من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض(١٨٣) » .

---

(١٨٠) Robinson, History of Israel, P. 246; Lods, P. 368; Jackson, P. 195 .

(١٨١) ٢ صم ٨ : ٣ ـ ١٢ ؛ ٢ صم ١٠ : ١٦ ـ ١٨ .

(١٨٢) Lods, P.368; Robinson, History of Israel, P. 259; Jackson, PP. 195-196 .

(١٨٣) سفر الملوك الأول ١٠ : ١٤ ـ ١٥ .

إن ذكر « جميع ملوك العرب » هنا يدل على أنه كانت لسليمان علاقة ما مع هؤلاء الملوك ، وفي الغالب كانت علاقة تجارية ، ومن الممكن أنها تعدت ذلك الى العلاقات السياسية بغية توطيد حكمه واستقراره .

ويقول سفر الملوك أيضاً : « فتعاظم الملك سليمان على كل ملوك الأرض في الغنى والحكمة ، وكانت كل الأرض ملتمسة وجه سليمان لتسمع حكمته التي جعلها الله في قلبه . وكانوا يأتون كل واحد بهديته بآنية فضة وآنية ذهب وحُلَلٍ وسلاح وأطياب وخيل وبغال سنة فسنة[١٨٤] » .

إن ورود كلمة « أطياب » بصفة خاصة ، يدل على أن مصدرها هو الجزيرة العربية ، وفي ذلك دليل أيضاً على علاقة سليمان مع الجزيرة العربية وتجارها .

وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني بعد أن ذكر كمية الذهب التي جاءت لسليمان قال : « ... فضلاً عن الذي جاء بـه التجار والمُسْتَبْضِعُـون ، وكل ملوك العـرب وولاة الأرض كانـوا يأتـون بذهب وفضـة الى سليمان[١٨٥] » .

يتبين لنا من هذا النص أن علاقة سليمان لم تكن مع ملك واحد من ملوك العرب (ملكة سبأ مثلاً التي ورد ذكرها بصورة خاصة كما سبق) ، بل كانت مع كثيرين منهم ، كما أن العلاقـة التجاريـة معهم تعدت « الطيوب » لتشمل الذهب والفضة .

وجاء في الموسوعة اليهودية أن تجارة الطيوب بدأت في ذلك الوقت ـ زمن سليمان ـ تنمو وتزدهر بين الأقطار الأفريقية وجنوب الجزيرة العربية من جهة ، وبين سوريا وبلدان البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى . ولما كان سليمان يسيطر على طرق القوافل التجارية ، فانه كان يشـارك بشـكل فعـال في تجارة الطيوب ، التي كانت تلاقي رواجاً كبيراً في الأقطار المتحضرة . ولما كان تجار سبأ يذهبون في تعاملهم التجاري الى شمالي الجزيرة العربية المرتبط بأرض سليمان ، لذلك كان سليمان يرتبط بعلاقات تجارية مع كافة التجار العرب ، الأمر الذي كان يدر عليه أرباحاً كبيرة[١٨٦] .

وعن طيوب بلاد العرب ، يقول هيرودوتس (الكتاب الثالث) : « إن بلاد العرب كلها كانت تفوح بالعطر والطيوب ، لأنها البلاد الوحيدة التي تنتج المرّ واللبان والأقاصيا والقرفة واللاذن .. وتصون الأشجار التي تحمل اللبان حيّات مجنّحة وهي صغيرة الحجم متنوعة الألوان تتدلى بأعداد لا حصر لها من كل شجرة » .
أما الجغرافي « سترابو » فانه ـ بعد أن دعا جنوبي الجزيرة العربية « بلاد الطيوب » ـ قال : « وبلاد السبأى بلاد مزدحمة السكان .. وهي أخصب تلك الأراضي على الاطلاق ، ثمارها المر واللبان والقرفة » .

وأعاد « ديدورس الصقلي » ذلك الوصف فقال : « إن جزيرة العرب أرض تثمر الطيوب بحيث كانت تربتها نفسها تعبق بالأريج » .

---

(١٨٤) الملوك الأول ١٠ : ٢٣ ـ ٢٥ .
(١٨٥) أخبار الأيام الثانى ٩ : ١٤ .
(١٨٦) Enc.Judaica, Cols. 99-100 .

وأكد « بلينيوس » هذه الميزة وأضاف « أن السبأى هم أشهر قبائل الجزيرة لغناهم باللبان » . ومن الواضح أن حضرموت كانت في ذلك الزمان تتصدر بلاد اللبان قاطبة .

وكان لهؤلاء الكتاب من اليونان والرومان إعجاب عظيم بما ناله عرب الجنوب من ثروة ورخاء ، فقد ذكر « سترابو » مدناً عامرة تزيّنها الهياكل الجميلة والقصور وقال : « لقد أصبحت « السبأى » و « الجرهاي[١٨٧] » بما لها من نصيب في تجارة (الطيوب) أغنى القبائل عامة ، فعندهما مستحدثات الأدوات المصوغة من الذهب والفضة ، منها الأسرّة ومثلثات القوائم والأحواض وأوعية الشرب ، وناهيك بمنازلهم الفخمة ، وقد تزوقت أبوابها وجدرانها وسطوحها بالألوان وترصعت بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة » .

وروى « بلينيوس » عن « إيليوس غالوس » ما يؤيد ذلك فقال : « فاقت السبأى الجميع ثروة بما يتوفر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب وأمواه للري ، وهي تنتج العسل والشمع بكثرة .. فلو تحرّيت هذه الأقطار تماماً علمت أنها أغنى بلاد الأرض قاطبة » .

أما عن ذهب الجزيرة العربية فيقول المؤرخ فيليب حتى : لئن كان اللبان والطيوب أفخر الحاصلات التي اشتهرت بها البلاد ، فثروتها المعدنية لم تقل عن تلك قيمة ، وأخص معادنها الذهب وكانت مناجمه على ساحل الجزيرة الغربي بين « مدين » واليمن وفي أواسط الجزيرة أيضاً .

أما عن ذهب « أوفير » الذي أشار اليه العهد القديم ووصفه كتاب اليونان والرومان فقالوا : « إنه لم تمسّه النار » ، فيظن الآن أنه عربي الأصل . وقد بسط « ديدورس » أن الجزيرة غنية بمناجم الذهب الذي بلغت نقاوته حداً لم تعد معه حاجة الى تصفيته بواسطة الصهر .

وقد أفرد العالمان الجغرافيان العربيان : المقدسي والهمذاني (القرن العاشر للميلاد) فقرة كاملة في كل من كتابيهما[١٨٨] أتيا فيها على وصف معادن الجزيرة العربية وتقرير ما فيها من الذهب[١٨٩] .

وكلها دلائل على الثروات التي كانت تتمتع بها الجزيرة العربية ، مما حدا بسليمان أن يقيم مع أهلها علاقات تجارية واقتصادية أتت عليه بالنفع الكثير والربح الوفير .



(١٨٧) هي في العربية « الجرعاء » على الخليج العربي ، انظر : حتى ، ص ٦٠ .
(١٨٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، نشر دى غويه ، ليدن ، ١٨٧٧ ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ ؛ الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، نشر ملر ، ليدن ، ١٨٨٤ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .
(١٨٩) فيليب حتى ، تاريخ العرب ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٩٥٨ ، ص ٥٩ ـ ٦١ .

« الفصـل الثالث »

دراسة لغوية تاريخية لأسفار صموئيل الأول والثاني ، والملوك الأول (تسمية الأسفار ومؤلفوها ، وبيان محتوياتها ومصادرها وعصر تدوينها ، ولغتها وأسلوبها ، ثم ملاحظات لغوية ناقدة للأسفار)

تمهيد

سنتعرض في هذا الفصل لدراسة الأسفار التي ورد ذكر داود وسليمان عليهما السلام فيها ، وهي أسفار صموئيل الأول والثاني ، والملوك الأول ، مع التركيز بشكل خاص على الإصحاحات التي جاءت سيرتهما مبسوطة فيها دون غيرها . وستتناول الدراسة تسمية هذه الأسفار ولغتها ومصادرها ، وبيان محتوياتها ، والأسلوب الذي كتبت به ، والزمن الذي دونت فيه .

ثم نبين الملاحظات اللغوية الناقدة للنص العبري للاصحاحات ذات الصلة بموضوع دراستنا .

وقد اعتمدت في ذلك على كتاب العالم الكبير (درايفر Driver) الذي ضمنه ملاحظاته النقدية على النص العبري لسفري صموئيل الأول والثاني ، وعلى كتاب (بورني C.F.Burney) المتضمن نقده للنص العبري لسفري الملوك الأول والثاني . وكذلك كتاب (كنيدي A.R.Kennedy) الذي يحتوي على دراسة نقدية لنصوص سفري صموئيل ، وكتاب (سكنر Skinner) المتضمن دراسة نقدية لسفري الملوك . بالاضافة الى كتب مشاهير العلماء الذين تعرضوا لأسفار التوراة بالدراسة والتحليل ، أمثال : أيسفلت ، وفايفر ، وأوسترلي ، وروبنسون وغيرهم .

وسنأتي أولا على دراسة سفري صموئيل الأول والثاني ، وبعد ذلك ندرس سفر الملوك الأول[1].

●●●

أولا : سفرا صموئيل الأول والثاني

١ ـ أصل تسميتهما ومن ألفهما :

كان سفرا صموئيل الأول والثاني يعتبران في الأصل في الكتاب المقدس العبري ، كتابا واحدا ـ كما هو الحال مع سفري الملوك ـ وهو ما يخبرنا به التلمود (Baba Bathra 14 b) ، يوسيفوس (Eusebius: Hist. eccl.7:25) وجيروم : Jerome (Prologus Galeatus)[2]. غير أن المخطوطات والمطبوعات العبرية أخذت تتبنى تقسيم الكتاب الى قسمين واعتبارهما كتابين منفصلين منذ عام ١٤٤٨م[3].

وكانت الترجمة السبعينية اليونانية للكتاب المقدس هي أول من اعتبرهما ـ قبل ذلك ـ سفرين

---

(١) لقد وردت سيرة داود وسليمان أيضا في سفرى أخبار الأيام الأول والثانى ، غير أن المادة الواردة فيهما بشأن داود وسليمان تكرار ـ بزيادة أو نقصان ـ لما ذكر في أسفار صموئيل والملوك . لذلك لن نتعرض لدراسة هذين السفرين وإنما سنشير ـ عند الضرورة ـ لما جاء فيهما على سبيل المقارنة لبيان صحة النص الأصلي .

(٢) Pfeiffer, Introduction To The Old Testament, Harper & Brothers Publishers, New York, 1948, P. 338 .

(٣) Eissfeldt, The O.T. An Introduction, P. 268 .

منفصلين ، والسبب في ذلك يعود الى أن الترجمة اليونانية ، التي تكتب فيها حروف العلة ، تطلبت مساحة أكبر بمرة وثلاثة أرباع المرة ، مما تطلبته الكتابة العبرية ، التي لم تكن تستعمل حروف العلة حتى ما بعد عام (٦٠٠م)[٤]. وقد جاء تقسيم الكتاب الى سفرين منفصلين لأول مرة في النص العبري للكتاب المقدس في الطبعة التي نشرها (دانيال بومبرج Daniel Bomberg) في البندقية عام ١٥١٧ ـ ١٥١٨م ، ومن ثم اتبع هذا التقسيم في جميع الطبعات العبرية للكتاب المقدس[٥].

أما الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس المعروفة باسم الفولجاتا Vulgate فقد اتبع فيها جيروم التقسيم الذي جاء في الترجمة السبعينية . غير أن الترجمة السبعينية تعتبر ما جاء في أسفار صموئيل والملوك سردا تاريخيا متكاملا لمملكتي اسرائيل ويهوذا ، وتظهر هذه الأسفار فيها على أنها عمل تاريخي واحد أطلق عليه اسم (الممالك Kingdoms) ، وقسم هذا العمل الى أربعة أقسام ، فسمي سفر صموئيل الأول : الممالك الأول ، وسمي سفر صموئيل الثاني : الممالك الثاني ، وسمي سفر الملوك الأول : الممالك الثالث ، وسفر الملوك الثاني : الممالك الرابع . أما الفولجاتا فقد اختلفت فيها التسمية قليلا ، إذ إن جيروم اختار للاسفار الأربعة اسم : « أسفار الملوك الأربعة » Libri Regum بدلا من « الممالك »[٦].

وبناء على الرواية اليهودية المستقاة من سفر أخبار الأيام الأول (الاصحاح ٢٩ : ٢٩ ـ ٣٠) فان سفري صموئيل كتبهما صموئيل نفسه ، أو صموئيل وناثان وجاد ، ويحملان اسم كاتبهما أو الكاتب الرئيسي لهما وهو صموئيل . إلا أن أيسفلت يعلق على ذلك بقوله : في الحقيقة فإن تسميتهما جاءت من كون صموئيل يلعب الدور الرئيسي فيهما ، أو على الأقل في السفر الذي أصبح يسمى : (صموئيل الأول)[٧].

أما الاسم العبري لسفري صموئيل فيرتبط ـ كما يقول (بنتزن) ، و (كايزر) ـ بالرواية التي تعتبر صموئيل مؤلف أسفار صموئيل والقضاة .

ولما كان الجزء الأكبر من سفري صموئيل يروي أحداثاً وقعت بعد وفاة صموئيل ، فإن الرواية اليهودية[٨] تنسب الأحداث الوارد ذكرها بعد وفاته الى الرائي[٩] جاد والنبي ناثان[١٠].

---

(٤) Pfeiffer, P. 338 .

(٥) Oesterley & Robinson, An Introduction To The Books of The O.T., Society For Promoting Christian Knowledge, London, 1934, P. 85 .

(٦) نفس المرجع والصفحة ، أنظر أيضا : فايفر ص ٣٣٨ ، أيسفلت ص ٢٦٨ .

(٧) Eissfeldt, P. 268 .

(٨) Baba Bathra 15a

(٩) الرائي : هو المتنبيء .

(١٠) Aage Bentzen, Introduction To The O.T. , Vol. II, Second Edition, G.E.C. Gad Publisher Copenhagen, P.91; Otto Kaiser, Introduction To The O.T. , Translated by John Sturdy , Basil Blackwell, Oxford, 1975, P.152 .

وينتقد كل من أوسترلي وروبنسون تسمية سفري صموئيل بهذا الاسم ويعلقان على ذلك بقولهما : مهما كان السبب الذي يكمن وراء اطلاق اسم صموئيل على هذين السفرين في العهد القديم ، فانه لا جدال بأن هذه التسمية غير ملائمة ، كما أنه من الصعب الاعتقاد بأن هذه التسمية كانت قد تقررت في الأصل ، ذلك أنه باستثناء بعض الاصحاحات ، فان صموئيل لم يكن له يد في ذلك العمل ، ويختفي تماما عند منتصف صموئيل الأول[١١].

٢ ـ تحليل السفرين وبيان محتوياتهما :

أ ـ سفر صموئيل الأول :

يمكن تقسيم محتويات سفر صموئيل الأول كما يلي :

(الاصحاحات ١ ـ ٧) : طفولة صموئيل وانتصاره على الفلسطينيين الذين أرهقوا اسرائيل قبل ذلك في حروب مستمرة .

(الاصحاحات ٨ ـ ١٥) : تنصيب شاؤل من قبل صموئيل كملك بناء على رغبة الشعب ، ثم نبذه من قبل (يهوه) .

(الاصحاحات ١٦ ـ ٣١) : العلاقة بين شاؤل وداود ، تلك العلاقة التي كانت في البداية حسنة ، ثم انقلبت الى عداء ، ثم وفاة شاؤل في المعركة الرهيبة التي وقعت على جبل جلبوع .

ب ـ سفر صموئيل الثاني :

ويمكن تقسيم محتويات هذا السفر كما يلي :

(الاصحاحات ١ ـ ٨) : صعود داود الى مركز السلطة ومسحه ملكاً على يهوذا واقامته في حبرون ، ثم يصبح ملكاً على جميع بني اسرائيل ، وهنا تكون إقامته في مدينة أورشليم التي تمكن من فتحها والسيطرة عليها .

(الاصحاحات ٩ ـ ٢٠) : وتتشابه مع ما ورد في سفر الملوك الأول .

(ص ١ ـ ٢) : تتضمن قصصاً عن عائلة داود ، وعلى الأخص المنافسة التي حصلت بين أبنائه للوصول الى العرش ، والتي أدت في النهاية وقبل وفاة داود بقليل الى تنصيب سليمان ملكاً .

(الاصحاحات ٢١ ـ ٢٤) : هي عبارة عن تتمة لتاريخ داود ، إذ تضمن (الاصحاح ٢١ : ١ ـ ١٤) وكذلك الاصحاح (٢٤) روايتين تتعلقان بمجاعة حصلت للشعب وبوباء الطاعون . وتضمن (الاصحاح ٢١ :

---

(١١) Oesterley & Robinson , P. 85 .

١٥ ـ ٢٢) ، وكذلك (الاصحاح ٢٣ : ٨ ـ ٣٩) قائمتين بقادة داود والأعمال التي قاموا بها .

أما الاصحاح (٢٢) والاصحاح (٢٣ : ١ ـ ٧) فقد تضمنا نشيدين لداود ، يعود أولهما للظهور في سفر المزامير ـ هو (المزمور ١٨) ـ والثاني عبارة عن كلمات ونصائح داود الأخيرة(١٢).

٣ ـ مصادرهما وعصر تدوينهما :

يكاد يجمع نقاد أسفار العهد القديم على أن محتويات سفري صموئيل هي جزء من عمل تاريخي يشكل في مجموعه المادة التاريخية التي تتألف منها أسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك . غير أن هذه المادة لم يكن مصدرها واحداً ، وإنما جاءت عن طريق مصدرين ـ كما يرى بعض النقاد ـ أو ثلاثة مصادر ـ كما يرى آخرون . ومع ذلك يرى بعض النقاد أن مادة هذه الأسفار هي استمرار لما جاء في أسفار موسى الخمسة ، ويعتبرون العمل الأساسي في هذه الأسفار جميعا ، عملا واحدا متصلا .

ومن أشهر أنصار هذا الرأي (هولشر Holscher) الذي يقول : « تشكل أسفار موسى الخمسة وأسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك ـ كما يظهر من محتوياتها ـ عملا واحدا متصلا ، تم تقسيمه فيما بعد الى تسعة أسفار منفصلة »(١٣).

أما الذين يعتبرون الأسفار (من يشوع الى الملوك) ، أو حتى (من التثنية الى الملوك) على أنها عمل تاريخي واحد ، فإنهم ينكرون أي ارتباط بين هذه الأسفار وأسفار موسى الخمسة . ويرون أن شخصا متأثرا بمادة سفر التثنية هو الذي قام بوضع تلك الأسفار استنادا الى نصوص متفرقة منفصل بعضها عن بعض كانت موجودة آنذاك ، بعد أن أضاف اليها مادة متنوعة من عنده ، وكان ذلك في يهوذا حوالي عام ٥٥٠ ق.م(١٤).

وفي هذا الصدد يقول (نوث Noth) : « إن مؤلف سفر التثنية هو أول من قام بضم الأجزاء التي كانت مستقلة حتى ذلك الوقت من أسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك ، بعضها الى بعض مع أجزاء سفر التثنية بالاضافة الى مادة من عنده لتصبح عملا واحدا(١٥) » .

ويثمن أيسفلت محاولة (نوث) توضيح المادة الرئيسية التي تتكون منها الأسفار (من التثنية الى الملوك) ويعلق على ذلك بقوله : « إن المواد التي تضمنتها تلك الأسفار تظهر انها متنوعة بشكل كبير ، وينقصها

---

(١٢) Eissfeldt, PP. 268-269; Pfeiffer, PP. 338-340; Oesterley & Robinson, PP. 86-87; Kaiser, PP. 152-153 .

(١٣) Eissfeldt, P. 243 .

(١٤) نفس المرجع ، ص ٢٤٢ .

(١٥) نفس المرجع ، ص ٢٤٣ .

بوضوح الترابط بين أجزائها من ناحية ، بينما تظهر بصورة متكررة أفكارا أساسية حافلة بذكريات سفر التثنية من ناحية أخرى »[١٦].

أما الذين يقولون بنظرية المصدرين فقد لاحظوا أن هناك شيئين اثنين يلاحظهما القارىء المتمعن لسفري صموئيل : الأول : أن أقسام السفرين يتتابع بعضها وراء بعض ، دون أي رابط بينها .

والثاني : يلاحظ في عدد من الأمثلة والشواهد أن الرواية الواحدة جاء ذكرها مرتين . ومن أمثلة تكرار الرواية الواحدة ما يلي :

أ ـ الرواية المتعلقة بتأسيس المملكة وتعيين شاؤل ملكاً ، ذكرت في مجموعتين من النصوص هكذا : (١ صم ٩ : ١ ـ ١٠ : ١٦) ؛ (١١ : ١ ـ ١١ ، ١٥) ؛ (١ صم ٨ ، ١٠ : ١٧ ـ ٢٥ أ) ؛ (ص ١٢) .

ب ـ هناك روايتان لأصل القول المأثور : « أشاؤل أيضا بين الانبياء ؟ » ، الرواية الاولى موجودة في (١ صم ١٠ : ١٠ ـ ١٢) ، أما الرواية الثانية فموجودة في (١ صم ١٩ : ١٨ ـ ٢٤) .

جـ ـ رواية داود عندما جاء الى بلاط شاؤل ذكرت في (١ صم ١٦ : ١٤ ـ ٢٣) وفي (١ صم ١٧ : ١٢ ـ ٥٨) .

د ـ رواية رفض شاؤل من قبل الرب ذكرت في (١ صم ١٣ : ٨ ـ ١٥) وفي (١ صم ١٥ : ١٠ ـ ٢٦) .

هـ ـ هرب داود الى الفلسطينيين : (١ صم ٢١ : ١٠ ـ ١٥) و (١ صم ٢٧ : ١ ـ ١٢) .

و ـ عفو داود عن شاؤل عندما كان قادرا على قتله : (١ صم ٢٤ : ١ ـ ٢٢) و (١ صم ٢٦ : ٤ ـ ٢٥ أ) .

ز ـ هناك روايتان لمقتل جليات ، إحداهما جاءت بالتفصيل في (١ صم ١٧ : ١ ـ ٥٨) حيث يتبين منها أن داود هو الذي قتل جليات ، والأخرى ذكرت في (٢ صم ٢١ : ١٩) ويظهر فيها أن ألحانان « قتل جليات الجتي وكانت قناة رمحه كنول النسّاجين » .

ح ـ رواية مقتل شاؤل ذكرت في (١ صم ٣١ : ٤ ـ ٦) ومنها يتبين أنه انتحر ، بينما جاءت في (٢ صم ١ : ٨ ـ ١٠) أن الذي قتله هو رجل عماليقي .

الى غير ذلك من الأمثلة التي ذكرت فيها الرواية الواحدة مرتين ، مما يدل على تعدد المصادر التي استقى منها كاتب سفري صموئيل مادته[١٧].

---

(١٦) نفس المرجع ، ص ٢٤٤ .

(١٧) Oesterley & Robinson , PP. 87-88 .

أما كيف اهتدى العلماء والنقاد الى نظرية اختلاف المصادر وتعددها وتحديد أماكنها في النصوص ، فيتضح مما يلي :

يقول العلماء إن الغرض الرئيسي من كتابة سفري صموئيل كان تسجيل الأساس الذي قامت عليه الملكية ، والأحداث التي رافقت تأسيسها ومن ثم توحيدها تحت قيادة داود .. وبمعنى آخر فإن بداية تاريخ المملكة في اسرائيل هو الموضوع الرئيسي لسفري صموئيل . وإنه من طبيعة الأشياء عند كتابة مثل هذا التاريخ وتدوينه أن يتصدى لهذا العمل أكثر من مؤرخ ، وليس بالضرورة أن يكون هؤلاء المؤرخون في زمن واحد . وقد يكون بين النصوص المتوفرة ما هو سهل المنال لمؤرخ ، صعب على غيره ، ويكون بينها ما هو في متناول مؤرخ آخر لم يتوفر للأول وهكذا . لذلك عندما جمع كاتب السفرين المواد والنصوص لهذا الغرض وجد تحت تصرفه أكثر من سلسلة من الروايات . وهكذا فان غالبية العلماء المحدثين تمكنوا من تمييز مصدرين أو أكثر في النصوص التي تشكل مادة السفرين .

ومن العلماء الذين يعتقدون بنظرية وجود مصدرين : (فلهاوزن Welhausen) ، (كورنيل Cornill) ، (بود Budde) ، (كيتل Kittel) و (سلين Sellin) ؛ وينسبون الأقسام التالية الى المصدر الأول وهو الأقدم : أجزاء من (١ صم ١ ، ٢ ، ٤ ـ ٦) ؛ كل (٩ : ١ ـ ١٠ : ١٦) ؛ (١١ : ١ ـ ١١ ، ١٥) ؛ (١٣ : ٢ ـ ٦ ، ١٥ ـ ٢٣) ؛ (١٤ : ١ ـ ٤٦ ، ٥٢) ؛ (١٦ : ١٤ ـ ٢٣) ؛ (أجزاء من ص ١٨ ، ص ٢٠) ؛ جميع الاصحاحات (٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ومن ٢٧ ـ ٣١) باستثناء (ص ٢٨ : ٣ ـ ٢٥) ؛ (٢ صم ١ : ١٧ ـ ٦ : ٢٣) ؛ بالاضافة الى الاصحاحات (من ٩ ـ ٢٠) بشكل رئيسي . كما أنهم ينسبون الى المصدر الثاني وهو الأحدث : معظم (١ صم ١ ـ ٣) ؛ جزءاً من الاصحاحات (٤ ـ ٦) ؛ جميع الاصحاحات (٧ : ٢ ـ ١٧) ، (ص ٨) ، (١٠ : ١٧ ـ ٢٥ أ) ، (ص ١٢) ، (ص ١٥) ، (ص ١٧) ، (ص ١٨ : ١ ـ ٥) ، (١٨ : ٦ ـ ٣٠) ، (ص ١٩) ؛ (أجزاء من ص ٢٠ ، ص ٢١ ، ص ٢٣ : ١ ـ ١٨) ، (ص ٢٦) ، (٢٨ : ٣ ـ ٢٥) ؛ (٢ صم ١ : ٦ ـ ١٠ ، ١٤ ـ ١٦) . وينسبون النصوص التالية من الملحق الوارد في نهاية صموئيل الثاني والمتمثل في الاصحاحات (٢١ ـ ٢٤) ، ينسبونها الى المصدر الأول وهي :

(٢ صم ٢١ : ١ ـ ٢٢) ؛ (٢ صم ٢٣ : ٨ ـ ٣٩) .

وبالرغم من ذلك فإن العلماء يرون أن أياً من هذين المصدرين لا يشكل وحدة قائمة بذاتها ، إذا ما اعتبرنا أنهما كتبا في البداية بالشكل الذي بين أيدينا الآن ـ كما يقول سلين ـ ويضيف قائلا : على العكس من ذلك فإن المصدرين يحتويان على نصوص متنوعة الأصل ترجع الى تاريخ أقدم منهما[18].

---

(18) Sellin , Introduction to The O.T. (English Edition),1923, P. 109. See: Oesterley And Robinson, P. 89

يقول أوسترلي وروبنسون إنه يبدو من محتويات هذين المصدرين أنهما يشبهان العناصر المكونة لمصدرين معروفين من مصادر العهد القديم ، ألا وهما : المصدر اليهوي ويرمز اليه بالرمز (J) والمصدر الإلوهيمي ويرمز اليه بالرمز (E) ، وتنطبق مادة المصدر الأول على مكونات المصدر اليهوي ، ومادة المصدر الثاني على مكونات المصدر الالوهيمي(١٩).

ويعتقد (بود K. BUDDE) أن المصدرين هما في الحقيقة استمرار لمصدري (J) و (E) في الأسفار الخمسة ، أو جزء من نفس ذلك العمل . وقد جمع (كلاين T. KLAEHN) الكثير من الشواهد والأدلة اللغوية ليبرهن على أن مؤلف المصدر القديم في سفري صموئيل هو نفس مؤلف المصدر اليهوي (J) . ويعلق (فايفر) على ذلك بقوله : يبدو أن الحل النهائي لهذه المسألة غير ممكن . أما الشيء المؤكد ـ كما يبدو ـ فهو أن المصادر القديمة في أسفار (القضاة ١٧ ـ ٢١) وصموئيل قد كتبتها يد واحدة(٢٠).

أما بطل نظرية المصادر الثلاثة في سفري صموئيل ، والأسفار التي سبقتها ، فهو (أيسفلت) الذي يرى وجود مصدر ثالث الى جانب المصدرين الآخرين : اليهوي (J) والالوهيمي (E) . أما هذا المصدر فهو المصدر غير الكهنوتي ، وأطلق عليه هذه التسمية لخلوّه من الأفكار الكهنوتية ، واقترح له الرمز (L) . وكان اقتراح أيسفلت هذا تطويراً لرأي (سمند R. SMEND) الذي قسم المصدر اليهوي الى قسمين ، سمّى القسم الأول (J1) والثاني (J2) وذلك لوجود روايتين متشابهتين في هذا المصدر .

غير أن ايسفلت رأى أن الروايتين مستقلتان ، ولكي يتلافى الالتباس الذي قد يظهر في استعمال الرموز التي اختارها (سمند) ، هذا الاستعمال الذي قد يفسر على أنه استكمالات لمادة المصدر الأساسي (J) ، وفي نفس الوقت لإظهار أن الوحدات التي اختارها (سمند) لها في الحقيقة قيمة متساوية مع المصادر الأخرى (E) ، (P) ، (D) التي اختيرت لها رموز بحروف مبسطة ، فإن أيسفلت قسم المصدر اليهوي الى قسمين وأطلق على المصدر الجديد منهما Lay Source (L) واستبدل بالرمز (J2) الموضوع من قبل (سمند) الرمز البسيط (J)(٢١).

وقد اعتبر أيسفلت المصدر (L) أقدم مصادر التوراة وبرهن على صحة نظريته بكثير من الأدلة ، فجعل الروايات القديمة في التوراة والتي تكشف عن بداية الاسرائيليين عندما كانوا بدواً يتصفون بالخشونة وغير النضج ، جعل مثل هذه الروايات تندرج ضمن المصدر (L) وقارن بين هذه الروايات وتلك التي تصنف على أنها من المصدر اليهوي (J) أو المصدر الكهنوتي (P) ، وبين أن الروايات التي تتبع المصدرين الأخيرين يظهر فيها الإسرائيليون على أنهم مزارعون ، بعكس روايات المصدر (L) التي تظهرهم على أنهم بدو رحل . ويقول

---

(١٩) Oesterley And Robinson, PP. 89-90.
(٢٠) Pfeiffer, P.341 .
(٢١) Eissfeldt, PP. 169,271 .

أيسفلت إن هذه الاعتبارات كانت علامة مميزة في تاريخ الاسرائيليين الذين أصبحوا مزارعين بعد أن كانوا قوماً من البدو[٢٢]. إذن فإن صفة البداوة كانت سابقة على الزراعة والفلاحة التي انتقلوا اليها في مرحلة لاحقة، وبالتالي فان ما يندرج تحت المصدر (L) أقدم مما يندرج تحت غيره من المصادر.

ويذكر أيسفلت النصوص التي يمكن إدراجها تحت المصدر (L) في سفري صموئيل الأول والثاني، ومن هذه النصوص ..

أ ـ في سفر صموئيل الأول ..:

١ ـ الروايات المتعلقة بانتصار شاؤل على العمونيين (١ صم ١١)، وانتصاره على الفلسطينيين (١ صم ١٣ ـ ١٤)، وهذه الروايات أقرب بدون شك الى الحقيقة من الرواية التي تتبع المصدر اليهوي (J) في صموئيل الأول (١ صم ٩ : ١ ـ ١٠ : ١٦ + ص ١١ : ٦ أ + ص ١٣ : ٣ ـ ١٥) حيث تنتهي هذه الرواية برفض شاؤل من قبل الرب.

٢ ـ الراوية المتعلقة بميكال ابنة شاؤل وزوجة داود ومساعدتها لداود على الهرب من وجه أبيها حتى لا يقتله (١ صم ١٩ : ١١ ـ ١٧). وهذه الرواية لها علاقة برواية أخرى من المصدر (L) جاءت في سفر التكوين (٣١ : ١٩ ، ٢١ ـ ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ـ ٣٦) حيث يلعب الصنم (أو الترافيم) دوراً مهماً في عملية الهرب بالرغم من أن الهارب في رواية سفر التكوين كان يعقوب، بينما هو في رواية صموئيل الأول داود ..

٣ ـ الملحق الوارد في نهاية سفر القضاة والمتمثل في الاصحاحات (١٧ ـ ٢١) به روايتان مزدوجتان ... هاتان الروايتان تتبعان المصدرين (L) و (J)، ويمكن فهمهما جيداً على أنهما مقدمتان لروايتين تحملان أفكاراً إيجابية عن الملكية، وهذا حقاً هو الحال كما يظهر من روايتي المصدرين (L)، (J) في سفر صموئيل الأول (الاصحاحات ٩ ـ ١٤)، حيث إن هاتين الروايتين تعتبران مملكة شاؤل منحه ونعمة إلهية ..

ب ـ في سفر صموئيل الثاني ..:

١ ـ القائمة المتضمنة أسماء أعضاء بلاط داود في سفر صموئيل الثاني (٨ : ١٦ ـ ١٨)، تماثل وتطابق القائمة المتضمنة أسماء أعضاء بلاط شاؤل في سفر صموئيل الأول (١٤ : ٤٩ ـ ٥١)، وكلاهما سبقت بتقرير عن حروب الملك، هذا التطابق في القائمتين يجعل من المحتمل أنهما تتبعان مصدراً واحداً وهو المصدر (L).

إذن فإن الراوية في (١ صم ١٤ : ٤٧ ـ ٥١) تنسب بالتأكيد للمصدر (L)، كما هو الحال في رواية (٢ صم ٨ : ١٦ ـ ١٨). وهكذا يمكن القول إن المصدر (L) يؤرخ ببساطة فترة ظهور الملكين، كما يعطي معلومات

---

(٢٢) نفس المرجع ص ١٩٥.

مختصرة عن حكمها المتتابع ..

٢ ـ الاصحاحات من (٢ ـ ٦ ، ٨) تنسب الى المصدر (L) وهي تختلف في مادتها عن المادة الواردة في الاصحاحات من (٩ ـ ٢٠) + الملوك الأول (١ ـ ٢) التي تتحدث بصورة إجمالية عن عائلة داود وتنسب في معظمها للمصدر (J) .

٣ ـ القوائم الواردة في الاصحاح (٢١ : ١٥ ـ ٢٢) والاصحاح (٢٣ : ٨ ـ ٣٩) تنسب الى المصدر (L) . حيث إن القوائم المذكورة في (٢١ : ١٥ ـ ٢٢) والتي تبتدىء « وكانت أيضاً حرب بين الفلسطينيين واسرائيل » تعتبر تكملة لرواية (٢ صم ٥ : ١٧ ـ ٢٥) المتعلقة بانتصارين أحرزهما داود على الفلسطينيين ، وهذه الراوية تنسب للمصدر (L) . أما لماذا نقلت تلك القوائم الى الاصحاح (٢١ : ١٥ ـ ٢٢) فذلك يرجع الى رغبة محرر السفر في أن ينقل رواية أعمال داود الخاصة قبل التحول الى ذكر أسماء أبطاله .

وهذا أيضاً هو السبب في وضع القائمة المذكورة في الاصحاح (٢٣ : ٨ ـ ٣٩) في مكانها الحالي . إذ كان ينبغي أن توضع ـ باعتبارها جزءاً من المصدر (L) ـ بعد قائمة أسماء أعضاء بلاط داود في (٢ صم ٨ : ١٦ ـ ١٨) ، تلك القائمة التي تنسب للمصدر (L) .

وتجدر الإشارة هنا الى أن سفر أخبار الأيام الأول قد ذكر قائمة بأسماء أبطال داود موازية للقائمة الواردة في (٢ صم ٢٣ : ٨ ـ ٣٩) ، غير أنها جاءت في أخبار الأيام الأول (١١ : ١٠ ـ ٤٧) بزيادة ست فقرات ، إذ ورد فيها من أسماء الأبطال أكثر مما ورد في رواية صموئيل الثاني ..

٤ ـ النشيدان المذكوران في (٢ صم ٢٢) ، (٢ صم ٢٣ : ١ ـ ٧) ، حيث يظهر النشيد الأول في سفر المزامير مكوناً (المزمور ١٨) . ومع أنه من الصعب القول بأنهما ينتميان في الأساس إلى المواد التي يتكون منها سفرا صموئيل ، أو أن مؤلفهما هو نفس مؤلف السفرين ، أو أن ذلك المؤلف قد وجدهما جاهزين وأدخلهما في عمله ـ وهو الأمر الأكثر احتمالا ـ إلا أنه يمكن القطع بأنهما لا ينتميان الى مادة الاصحاحات (٢ صم ٢٠ ـ ٢٤) + الملوك الأول (١ ـ ٢) ، تلك المادة التي تنسب في معظمها الى المصدر (J) بالاضافة الى المصدر (E) .

إذن لا توجد أية صعوبات تمنع انتسابهما الى المصدر (L) ، وحتى اعتبارهما يرجعان الى رواية واحدة . أما تاريخهما فيمكن أن يكون فترة ما قبل السبى البابلي .

ومن المحتمل أنهما يرجعان ـ كما هو الحال في كثير من الأناشيد الواردة في العهد القديم ، وعلى وجه الخصوص في سفر المزامير ـ الى عصر أقدم مما هو مفترض ، وعند ذلك يمكن اعتبارهما جزءاً من رواية من أقدم الروايات ، كما هو الحال في نشيد موسى الوارد في سفر التثنية (٣٢ : ١ ـ ٤٣)[٢٣]..

---

(٢٣) Eissfeldt, PP. 276-279.

أما عن تاريخ مصدر أيسفلت فإنه يرجعه الى الفترة الممتدة من نهاية حكم داود حتى ظهور النبيين عاموس وهوشع ، أي من ٩٦٤ ـ ٧٥٠ ق.م. ثم إن أيسفلت يضيق تلك الفترة التي تغطي قرنين من الزمن ويورد بعض الأدلة على إمكانية إرجاع أصل المصدر (L) الى الفترة من ٩٥٠ ـ ٨٥٠ ق.م[٢٤]

ويعلق اوسترلي وروبنسون على نظرية المصادر الثلاثة التي اكتشفها أيسفلت فيقولان : إنه دلل على صدق نظريته بالبراهين والحجج المقنعة وعرضها بمقدرة فائقة . ثم يضيفان : إن نظرية أيسفلت ذات الثلاثة مصادر التي تتحدث عن تأسيس الملكية تبدو ـ بالتأكيد ـ مقنعة كما يلاحظ عند قراءة النصوص التالية كل على انفراد ..:

أ ـ (١ صم ١٠ : ٢١ ب ـ ٢٧) ؛ (١ صم ١١ : ١ ـ ٥ ، ٦ ب ـ ١٥) .

ب ـ (١ صم ٩) ؛ (١ صم ١٠ : ١ ـ ١٦) .

ج ـ (١ صم ٨) ؛ (١ صم ١٠ : ١٧ ـ ٢١ ب) ؛ (١ صم ١٢)[٢٥].

يتبين من هذه النصوص أن الرواية في كل من البنود : (أ ، ب ، ج) مختلفة ، وعلى الرغم من أنها تتحدث عن تأسيس الملكية وتعيين شاؤل كأول ملك لبني إسرائيل ، إلا أن الاختلاف الظاهر فيها يدل على انفصال الراوية في كل بند عنها في البند الآخر ، مما يؤكد صحة نظرية أيسفلت ..

يتضح من كل ما تقدم أن سفري صموئيل تعرضا بدون شك للتنقيح والإضافة أكثر من مرة ، وقد تنوعت الآراء كثيراً بشأن النصوص ، وأي القطع منها ينتمي بشكل محدد ودقيق لأي من عمليات التنقيح المختلفة . على أنه يمكن القول إن السفرين خضعا للتنقيح والتحرير من قبل أكثر من كاتب من كتبة مدرسة التثنية (أو سفر الشريعة) ، يتضح ذلك جلياً في القطع التالية التي تعد من مصدر التثنية (D) ، كما أوردها أوسترلي وروبنسون : (١ صم ٢ : ٣٦) ؛ (٤ : ٨ ب) ؛ (٦ : ١٥) ؛ (٧ : ٣ ، ٤ ، ١٣ ، ١٤) ؛ (١٢ : ١٠ ، ١٢) ؛ (١٤ : ٤٧ ـ ٥١) ؛ (٢ صم ٥ : ٤ ، ٥) ؛ (٧ : ١٣) ؛ (ص ٨) ..

كما أن هناك إضافات أخرى الى السفرين جاءت بعد عصر السبى البابلي منها : (١ صم ٢ : ١ ـ ١٠) ـ أنشودة حَنَّة ـ ؛ (٢ صم ٢١ ـ ٢٤) ؛ (٢ صم ٢٢ : ١ ـ ٥١) ـ نشيد الشكر لداود ـ ؛ (٢ صم ٢٣ : ١ ـ ٧) ـ كلمات داود الأخيرة . على الرغم من أن البعض يرجع (أنشودة حنّة) الى تاريخ أقدم من التاريخ المفترض[٢٦].

أما (فايفر) فيضيف نصوصاً أخرى ويعتبرها من مصدر التثنية (D) ، منها : الإصحاحات من

---

(٢٤) نفس المرجع ص ١٩٨ .

(٢٥) Oesterley And Robinson, P. 90.

(٢٦) Oesterley And Robinson, P. 90.

(١ ـ ١٢) من صموئيل الأول ، ويقول إنها تشكل الجزء الأخير من الرواية المستمرة لكاتب سفر التثنية والواردة في سفر القضاة ..

الملخصات التاريخية والإحصائية لشاؤل في صموئيل الأول (١٤ : ٤٧ ـ ٥١) ، ولداود في صموئيل الثاني (٣ : ٢ ـ ٥) ، (٥ : ١٣ ـ ١٦) ؛ (ص ٨) ، (٢٠ : ٢٣ ـ ٢٦) ، يقول فايفر إنها كتبت بقلم أحد كتبة مدرسة التثنية[٢٧].

وعلى العموم فإن نص سفري صموئيل الأول والثاني قد وصلنا بحالة سيئة جداً .. غير أنه أمكن إصلاح ما لحقه من تلف بالمقارنة مع نصوص سفري أخبار الأيام الأول والثاني والترجمة السبعينية اليونانية[٢٨].

أما عن تاريخ وضع السفرين فيرجح أنه حدث في الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والسادس ق.م لاشتمالها على مواضيع متفاوتة في الزمن .. كما يقول الدكتور فؤاد حسنين علي[٢٩].

وقد رأينا فيما سبق أن مادة السفرين استقاها الكاتب من عدة مصادر كان أقدمها المصدر غير الكهنوتي (L) الذي اكتشفه أيسفلت وأرجع تاريخه الى الفترة من ٩٥٠ ـ ٨٥٠ ق.م[٣٠]، ويليه المصدر اليهوي (J) الذي ألّف حوالي عام ٨٥٠ ق.م في مملكة يهوذا ، ثم المصدر الالوهيمي (E) الذي ألّف حوالي عام ٧٧٠ ق.م في المملكة الشمالية[٣١]، وأخيراً مصدر سفر التثنية (D) الذي تم اكتشافه سنة ٦٢١ ق.م أثناء حكم يوشيا[٣٢].

ويقول فايفر إن بعض النصوص التي تنتمي الى المصدر الإلوهيمي في السفرين ترجع الى الفترة من ٦٥٠ ـ ٥٥٠ ق.م[٣٣].

وقد مر معنا أن هناك إضافات أخرى الى السفرين جاءت في وقت لاحق بعد السبى البابلي[٣٤].

وهكذا فقد خضع السفران للتنقيح والإضافة مدة طويلة من الزمن ، وتنوعت مصادرهما واختلفت بحيث جاء الكثير من النصوص في بعض الأماكن من السفرين ، متعارضاً مع نصوص أخرى .. علاوة على ما سببه ذلك من التفكك وعدم الترابط بين أجزاء السفرين .. وغير خاف على كل ذي بصيرة ما تعرض له السفران من تحريف ـ بإضافة أو حذف ـ على أيدي محرري وكتبة الأسفار وفق أغراضهم وأهدافهم .

---

(٢٧) Pfeiffer, PP. 365-368.
(٢٨) Bentzen, Introduction.., Vol. II, P. 96
(٢٩) د . فؤاد حسنين علي : التوراة عرض وتحليل ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ٤١ .
(٣٠) Eissfeldt, P. 198.
(٣١) موسكاتي ص ١٥٧ .
(٣٢) Eissfeldt, P. 172; Pfeiffer. P. 368.
(٣٣) Pfeiffer, P. 362.
(٣٤) Oesterley And Robinson, P. 90.

٤ ـ أسلوب السفرين ولغتهما :ـ

من عرضنا للمصادر التي جاءت منها مادة السفرين ، يتضح لنا أن الروايات الواردة فيهما انحدرت عن طريق أكثر من كاتب .. ومن ثم فاننا نلاحظ اختلاف الأسلوب الذي صيغت به تلك الروايات ، لاختلاف واضعيها . فمثلا نجد في بعض النصوص أن الرواية إذا كان مصدرها واحدا من كتبة مدرسة التثنية المتأثرين بالقيم الدينية ، فإن الأسلوب هنا يطبع الرواية بهذا الطابع الديني .. أما اذا كان المصدر غير ذلك ، فان الأسلوب يتخذ منحى آخر ، وهكذا .... وسنضرب بعض الأمثلة على الأساليب المختلفة في السفرين :

أ ـ الاصحاحات (٨ ـ ١٢) من سفر صموئيل الأول عبارة عن مقدمة لتأسيس الملكية ، واختيار شاؤل كأول ملك لبني إسرائيل . إن القارىء لهذه الإصحاحات يتكون لديه انطباع بأن الأسلوب الذي صيغت به الرواية تغلب عليه صفة العداء لتأسيس الملكية . ولكن إذا ما دققنا النظر جيداً في نصوص الاصحاحات ، فاننا نكتشف أن هذا الموقف يقتصر فقط على أجزاء من النصوص دون الأجزاء الأخرى . فالاصحاح الثامن الذي هو استمرار لما جاء في الإصحاح الذي سبقه ، تظهر فيه إسرائيل على أنها دولة مثالية تعيش في أمن وسلام تحت حكم ثيوقراطي [٣٥] ، لايزعجها الأعداء من الداخل أو الخارج . لذلك فان طلب شيوخ إسرائيل من صموئيل : « اجعل لنا ملكا يقضي لنا كسائر الشعوب » [٣٦] يعد عملا من أعمال العصيان والتمرد ضد (يهوه) ـ كما يقول كنيدي ـ لأنه ملكهم الحقيقي ، [٣٧] ولأن الثيوقراطية شكل من أشكال الحكومة المخولة من قبل الرب لنشر التعاليم الدينية بين الناس .

من ناحية أخرى ، فان وضع اسرائيل « شعب يهوه » في الاصحاح التاسع يظهرهم على أنهم كانوا في محنة شديدة على يد الفلسطينيين ، كما يظهر من نص الاصحاح التاسع ـ الفقرة ١٦ : « فامسحه رئيسا لشعبي اسرائيل فيخلص شعبي من يد الفلسطينيين لأني نظرت الى شعبي لأن صراخهم قد جاء اليّ » .

من هذا النص يتضح أن الملكية هي هبة ومنحة الهية « لشعب يهوه » .

ويصور هذا الاصحاح أيضا صموئيل على أنه مجرد « رائي » غير معروف في إحدى القرى الريفية [٣٨] ، وهى صورة تتناقض بشدة مع صورته في الاصحاحات ٧ ، ٨ ، ١٢ ، حيث يظهر قاضيا ثيوقراطيا لكل اسرائيل ، وممثلا ليهوه بيده كل أسباب القوة .

---

(٣٥) الحكم الثيوقراطي : أى الحكم الخاضع لرجال الدين .

(٣٦) صموئيل الأول ٨ : ٥ .

(٣٧) جاء في صموئيل الأول ١٢ : ١٢ (والربُّ إلهُكم ملكُكم) .

(٣٨) ١ صم ٩ : ٦ وما بعدها .

من هذه المواقف المتعارضة في شأن الملكية ، ومن الوضع السياسي المختلف والمتباعد لاسرائيل كما تصوره النصوص ، ومن الشخصية المتغيرة لصموئيل ، فاننا نستطيع تمييز أسلوبين لروايتين مختلفتين في الاصحاحات (٨ ـ ١٢) . الرواية الاولى صيغت بأسلوب معاد للملكية يغلب عليه الطابع الديني لأن مصدر الرواية هنا يرجع الى كاتب من مدرسة التثنية ، يظهر ذلك في (الاصحاح الثامن : ١ ـ ٢٢) ، وهذا الاصحاح وثيق الصلة بالاصحاح السابع بل هو استمرار له ، وكذلك في (الاصحاح العاشر : ١٧ ـ ٢٤) ، (والثاني عشر : ١ ـ ٢٥) .

أما الرواية الأخرى فقد صيغت بأسلوب مغاير مؤيد لوجود الملكية ، يتضح ذلك في (٩ : ١ ـ ١٠ : ١٦) ، وفي (١١ : ١ ـ ١١ ، ١٥) ، وتستمر في (١٣ : ٢ ـ ٧أ ، ١٥ب ـ ١٨ ، ٢٣) وفي (١٤ : ١ ـ ٤٦ ، ٥٢) .

أما الفقرات التي لم تذكر من هذه الاصحاحات فهي من وضع محرر أو منقح السفر ، اضطر لوضعها من أجل إيجاد ترابط بين الروايتين وترتيبهما ترتيبا زمنيا مقبولا .[٣٩]

ب ـ المرثاة المنسوبة لداود في سفر صوئيل الثاني (ص ١ : ١٧ ـ ٢٧) والتي يرثي فيها شاؤل ويوناثان ابنه .. هذه المرثاة التي لا جدال في نسبة تأليفها لداود ـ كما يقول فايفر ـ صيغت بأسلوب رفيع مؤثر .. إن العاطفة الجياشة التي تتخلل سطورها تبين أنها كتبت مباشرة بعد وقوع معركة جلبوع ، وتحت تأثير الصدمة التي سببتها كارثة مقتل شاؤل ويوناثان بالنسبة لداود .. إن أسلوب المرثاة يدل على أن كاتبها كان شاعراً يكن التبجيل لشاؤل كملك ، ولكنه في نفس الوقت أحب يوناثان كأخ وكانت صداقته ومحبته له أكثر من محبة النساء .[٤٠]

إن حزن الشاعر هنا عميق ومخلص ولكنه حزن الرجال ـ كما يقول فايفر ـ لأنه كان رجلا عسكريا لم يسمح لمرثاته أن يسيطر عليها أسلوب التملق والمداهنة ... وفوق ذلك فان المرثاة تميزت ببساطة الأسلوب وقوة التعبير فجاءت معبرة بصدق عن الأسف العميق .. إلا أن هذا الأسلوب جاء خاليا من الانعكاسات والملامح الدينية ، بحيث لم تذكر في المرثاة كلمة « الرب » مطلقا .

إن هذه المرثاة التي ترجع الى ما قبل عام ١٠٠٠ ق . م بقليل ، تعد ـ مثل نشيد دبورة (القضاة ، ص٥) ـ واحدة من أقدم وأروع المقطوعات الشعرية العبرية .[٤١]

---

(٣٩) A.R.S.Kennedy, The Century Bible,Samuel,Edinburgh,T.C.& E.C.Jack Ltd, London, PP. 14-16.

(٤٠) ٢ صم ١ : ٢٦ .

(٤١) Pfeiffer,P.351.

وسنورد فيما يلي النص العبري لهذه المرثاة مع ترجمته العربية لبيان الأسلوب المتميز الذي صيغت به :

הַצְּבִי יִשְׂרָאֵל עַל־בָּמוֹתֶיךָ חָלָל אֵיךְ
נָפְלוּ גִבּוֹרִים׃
אַל־תַּגִּידוּ בְגַת אַל־תְּבַשְּׂרוּ בְּחוּצֹת אַשְׁקְלוֹן
פֶּן־תִּשְׂמַחְנָה בְּנוֹת פְּלִשְׁתִּים פֶּן־תַּעֲלֹזְנָה בְּנוֹת
הָעֲרֵלִים׃ הָרֵי בַגִּלְבֹּעַ אַל־טַל וְאַל־מָטָר עֲלֵיכֶם
וּשְׂדֵי תְרוּמֹת כִּי שָׁם נִגְעַל מָגֵן גִּבּוֹרִים
מָגֵן שָׁאוּל בְּלִי מָשִׁיחַ בַּשָּׁמֶן׃
מִדַּם חֲלָלִים מֵחֵלֶב גִּבּוֹרִים קֶשֶׁת יְהוֹנָתָן
לֹא נָשׂוֹג אָחוֹר וְחֶרֶב שָׁאוּל לֹא תָשׁוּב רֵיקָם׃
שָׁאוּל וִיהוֹנָתָן הַנֶּאֱהָבִים וְהַנְּעִימִם בְּחַיֵּיהֶם
וּבְמוֹתָם לֹא נִפְרָדוּ מִנְּשָׁרִים קַלּוּ מֵאֲרָיוֹת גָּבֵרוּ׃
בְּנוֹת יִשְׂרָאֵל אֶל־שָׁאוּל בְּכֶינָה הַמַּלְבִּשְׁכֶם שָׁנִי
עִם־עֲדָנִים הַמַּעֲלֶה עֲדִי זָהָב עַל לְבוּשְׁכֶן׃
אֵיךְ נָפְלוּ גִבֹּרִים בְּתוֹךְ הַמִּלְחָמָה
יְהוֹנָתָן עַל־בָּמוֹתֶיךָ חָלָל׃
צַר־לִי עָלֶיךָ אָחִי יְהוֹנָתָן נָעַמְתָּ לִּי מְאֹד

נפלאתה אהבתך לי מאהבת נשים :
איך נפלו גבורים ויאבדו כלי מלחמה :

الترجمة العربية

« الظبي يا إسرائيل مقتول على شوامِخِك ، كيف سقَطَ الجبابرة . لا تُخبروا في جَتَّ . لا تُبشروا في أسواق أشْقلون ، لئلا تفرحَ بناتُ الفلسطينيين ، لئلا تَشمت بناتُ الغُلفِ .

ياجبال جلبوع لا يكنْ طَل ولا مطَر عليكنَّ ، ولا حقولُ تقدماتٍ ، لأنه هناك طُرح مِجن الجبابرة ، مِجن شاؤل بلا مَسحٍ بالدهن . مِن دمِ القتلى ، من شحم الجبابرة لم ترجعْ قوس يوناثان إلى الوراء ، وسيفُ شاؤل لم يرجعْ خائباً .

شاؤل ويوناثان المحبوبان والحُلوان في حياتهما ، لم يفترقا في موتهما . أخف من النسور وأشد من الأسود . يا بنات إسرائيل ابكينَ شاؤل الذي ألبسكن قِرمزا بالتنعُّم ، وجعل حُلي الذهبِ على ملابسكُن .

كيف سقطَ الجبابرةُ في وسَط الحرب . يوناثان على شوامِخك مقتولٌ .

قد تضايقت عليكَ يا أخي يوناثان ، كنتَ حلوا لي جداً . محبتك لي أعجبُ من محبةِ النساء .

كيف سقط الجبابرة ، وبادتْ آلات الحرب . »

ج ـ الاصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني الذي يتحدث عن رغبة داود في بناء بيت للرب . لقد جاء أسلوب هذا الإصحاح رديئاً بائسا ، ويعتبر « فايفر » أسلوبه مختلفا بصورة جذرية عن أسلوب كتابة بقية اصحاحات السفر ، ويقول : إن هذا الاصحاح الذي كتب بأسلوب نثري جدير بالازدراء ، يعد من أردأ أجزاء العهد القديم قاطبة ، حتى إن كاتب سفر أخبار الأيام ـ الذي لا يعد بين كتاب العهد القديم اللامعين ـ عندما نسخ مادة الاصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني وأدخلها في عمله [٤٢] ، شعر بأنه مجبر على استبعاد بعض أسوأ ما تضمنه ذلك الاصحاح . [٤٣]

وسنضرب فيما يلي بعض الأمثلة على رداءة أسلوب هذا الاصحاح ، مستعينين بالملاحظات التي ذكرها فايفر بهذا الشأن :

---

(٤٢) أي في الاصحاح السابع عشر من سفر أخبار الأيام الأول .
(٤٣) Pfeiffer, P. 341.

- וָאֶהְיֶה (יַהְוֶה) מִתְהַלֵּךְ בְּאֹהֶל וּבְמִשְׁכָּן׃

بمعنى : « بل كنت (يهوه) أسير في خيمة وفي مسكن » . (٧ : ٦)

- וְעָשִׂתִי לְךָ שֵׁם גָּדוֹל כְּשֵׁם הַגְּדֹלִים אֲשֶׁר בָּאָרֶץ׃

بمعنى : « وعملت لك أسما عظيما كاسم العظماء الذين في الأرض . » (٧ : ٩) .

- בַּעֲבוּר דְּבָרְךָ וּכְלִבְּךָ עָשִׂיתָ אֵת כָּל־הַגְּדוּלָּה הַזֹּאת לְהוֹדִיעַ אֶת־עַבְדֶּךָ׃

بمعنى : « فمن أجل كلمتِك ، وحَسَب قلبك ، فَعَلت هذه العَظائم كلَّها ، لتُعَرِّفَ عَبدك . » (٧ : ٢١) .

ولعل أسوأ مثال يعبر عن تفاهة أسلوب هذا الاصحاح وجهل مؤلفه بفن الصياغة والتعبير ـ كما يقول فايفر ـ ما ورد في الفقرة ٢٣ منه ونصها :

- וּמִי כְעַמְּךָ כְּיִשְׂרָאֵל גּוֹי אֶחָד בָּאָרֶץ אֲשֶׁר הָלְכוּ־אֱלֹהִים לִפְדּוֹת־לוֹ לְעָם וְלָשׂוּם לוֹ שֵׁם וְלַעֲשׂוֹת לָכֶם הַגְּדוּלָּה וְנֹרָאוֹת לְאַרְצֶךָ מִפְּנֵי עַמְּךָ אֲשֶׁר פָּדִיתָ לְּךָ מִמִּצְרַיִם גּוֹיִם וֵאלֹהָיו׃

بمعنى : « وأية أمةٍ على الأرضِ مثلُ شعبك إسرائيل ، الذي سَار الله ليفتديه لنفسه شعباً ، ويجعل له اسما ، ويعملَ لكم العظائم والتخاويف لأرضِكَ أمام شعبك الذي افتديته لنفسك من مصرَ ، من الشعـوبِ وآلهتهم . »

واذا ما أمعنا النظر في نصوص سفر المزامير ، فاننا نجد أن هناك تشابها بين المزمور (٨٩) وبين أجزاء من الاصحاح السابع الذي نحن بصدده ، حتى إن بعض العلماء مثل (دوم B. Duhm) ، يفترضون أن أجزاء من هذا المزمور هي عبارة عن إعادة صياغة ، ولكن بقالب شعري ، لبعض أجزاء الاصحاح المذكور .

إلا أن فايفر يقول إن هذا الافتراض محل تساؤل جدي . ويورد مقارنة بين أجزاء من النصين ويرى أن مقارنة (٢ صم ٧ : ٨ ـ ١٠) مع (مز ٨٩ : ٢٠ ـ ٢٢) ، و (٢ صم ٧ : ١٣ ـ ١٦) مع (مز ٨٩ : ٢٦ ـ ٣٣)

تبرهن على العلاقة الأدبية التي تربط بين هذه الفقرات ، كما تبرهن بالتأكيد على اعتماد رؤيا ناثان النبي الواردة في الاصحاح ، على نص المزمور . ويذهب فايفر إلى أبعد من ذلك عندما يقول إن مؤلف الإصحاح السابع نجح في إفساد وإتلاف الأجزاء التي اقتبسها من المزمور (٨٩) ؛ فكان مولعاً بالإسهاب والإطالة عند اقتباس الأبيات (٢٠ ـ ٢٣) من المزمور (٨٩) (في النص العبري ٨٩ : ٢١ ـ ٢٤) . فقد جاءت هذه الأبيات في المزمور مختصرة ، وهذا نصها :

מצאתי דוד עבדי בשמן קדשי משחתיו :
אשר ידי תכון עמו אף־זרועי תאמצנו :
לא־ישא אויב בו ובן־עולה לא יעננו :
וכתותי מפניו צריו ומשנאיו אגוף :

بمعنى : وجدتُ داودَ عبدي بدُهْنِ قُدْسي مَسَحْتُهُ
الذي تَثْبُتُ يدي معه أيضاً ذراعي تُشَدِّدُه
لا يُرْغِمُهُ عدوّ وابنُ الإثم لا يُذَلِّلُهُ
وأسحقُ أعداءَه أمامَ وجهِهِ وأضربُ مُبْغِضيه

أما عند اقتباسها في الاصحاح (٧ : ٨ ـ ١١أ) فجاءت مطولة هكذا :

ועתה כה־תאמר לעבדי לדוד כה אמר
יהוה צבאות אני לקחתיך מן־הנוה
מאחר הצאן להיות נגיד על־עמי על־
ישראל : ואהיה עמך בכל אשר הלכת
ואכרתה את־כל־איביך מפניך ועשתי
לך שם גדול כשם הגדלים אשר בארץ :
ושמתי מקום לעמי לישראל ונטעתיו
ושכן תחתיו ולא ירגז עוד ולא־
יסיפו בני־עולה לענותו כאשר בראשונה :
ולמן־היום אשר צויתי שפטים

עַל-עַמִּי יִשְׂרָאֵל וַהֲנִיחֹתִי לְךָ
מִכָּל-אֹיְבֶיךָ .

بمعنى : « والآن فهكذا تقول لعبدي داود . هكذا قال رب الجنود ، أنا أخذتك من المَرْبَض من وراء الغنم لتكون رئيسا على شعبي اسرائيل . وكنت معك حيثما توجهت ، وقرضتُ جميعَ أعدائك من أمامك ، وعملتُ لك اسماً عظيماً كاسم العظماء الذين في الأرض . وعينت مكاناً لشعبي إسرائيل وغرسته فسكنَ في مكـانه ولا يضطرب بعد ولا يعود بنو الإثم يذللونه كما في الأول . ومنذ يومَ أقمت فيه قضاة على شعبي إسرائيل ، وقد أرحتك من جميعِ أعدائك . »

وكان المؤلف ركيكافي أسلوبه عندما حول النص الشعري في (مز ٨٩ : ٢٦) (في النص العبري ٨٩ : ٢٧ وما بعدها) :

הוּא יִקְרָאֵנִי אָבִי אָתָּה אֵלִי וְצוּר
יְשׁוּעָתִי : אַף-אָנִי בְּכוֹר אֶתְּנֵהוּ

بمعنى : « هو يدعوني أبي أنتَ إلهي وصخرة خَلاصي .
أنا أيضا أجعله بِكرا .. »

الى ما يلي في (٢ صم ٧ : ١٤) :

אֲנִי אֶהְיֶה-לּוֹ לְאָב וְהוּא יִהְיֶה-לִּי לְבֵן .

بمعنى : « أنا أكون له أبا ، وهو يكون لي ابناً . »

وكذلك كان ركيكا عندما حول النص الشعري في (مز ٨٩ : ٣٣) (في النص العبري ٨٩ : ٣٤) :

וְחַסְדִּי לֹא-אָפִיר מֵעִמּוֹ

بمعنى : « أما رحمتي فلا أنزعها عنه . »

الى ما يلي فى (٢صم ٧ : ١٥) :

וְחַסְדִּי לֹא-יָסוּר מִמֶּנּוּ

بمعنى : « ولكن رحمتي لاتنزع منه » (٤٤)

---

(٤٤) أنظر أيضا : أخبار الأيام الأول ١٧ : ١٣ .

كما أن مؤلف الإصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني يكرر نفسه إلى حد كبير ، فبينما يستعمل المزمور (٨٩ : ٢٨ ـ ٢٩ ، ٣٦ ـ ٣٧) (في النص العبري ٨٩ : ٢٩ ـ ٣٠ ، ٣٧ ـ ٣٨) ستة مصطلحات مختلفة للتعبير عن بقاء أسرة داودالى الأبد ، نجد مؤلف الاصحاح السابع ـ بسبب ضعف أسلوبه الأدبي ـ يكرر كلمة « الى الأبد » [٤٥] ثلاث مرات في الفقرتين ١٣ ب ، ١٦ .

وهذا هو نص الفقرة ١٣ ب :

וכננתי את־כסא ממלכתו עד־עולם׃

بمعنى : « وأنا أُثبت كرسيَّ مملكته الى الأبد .»

وهذا نص الفقرة ١٦ :

ונאמן ביתך וממלכתך עד־עולם
לפניך כסאך יהיה נכון עד־עולם׃

بمعنى : ويأمن بيتك ومملكتك الى الأبد أمامك . كرسيّك يكون ثابتاً إلى الابد .» ويكرر أيضا الفعل « نزع » ثلاث مرات في فقرة واحدة ، هى فقرة ١٥ وهذا نصها :

וחסדי לא־יסור ממנו כאשר הסרתי
מעם שאול אשר הסרתי מלפניך׃

بمعنى : « ولكنَّ رحمتي لا تُنزع منه كما نزعتها من شاول الذي أَزلته من أمامِكَ . » إن هذه المعالجة لنصوص الإصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني كافية للبرهنة على ركاكة أسلوبه وضعفه ، كما أنها تبرهن على أن مادة الإصحاح لا يمكن أن تكون متقدمة زمنيا على مادة الزمور (٨٩) .

ويعلق « فايفر » على هذا الموضوع بقوله : لما كان الزمور يرجع ـ على نحو بين ـ إلى ما بعد السبي البابلي الذي حدث سنة ٥٨٦ ق.م ، ولما كان سفرا أخبار الأيام قد كتبا حوالي عام ٢٥٠ ق . م . ، وحيث إن كاتب سفري أخبار الأيام ينقل في مادته (الإصحاح ١٧ من سفر أخبار الأيام الأول) ما جاء في الإصحاح السابع من صموئيل الثاني ، إذن فإن هذا الاصحاح لابد أن يكون قد كتب في زمن يقع بين هذين التاريخين . ثم يضيف فايفر : استنادا إلى لغة هذا الاصحاح والأسلوب الذي كتب به فإنه يمكن القول إنه يرجع الى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد .... [٤٦]

---

(٤٥) بالرغم من اعتراض فايفر إلا أن هذه العبارة تأكيد لفظى شائع في أسفار العهد القديم .

(٤٦) Pfeiffer, P.373.

ويعتبر هذا الإصحاح مع الإصحاح الثاني ـ الفقرات (٢٧ ـ ٣٦) ـ من سفر صموئيل الأول ، من إضافات (المدراش) [٤٧] المتأخرة الى سفرى صموئيل ، تلك الإضافات التي أخذت طريقها الى أسفار العهد القديم خلال الفترة من ٤٠٠ ـ ٢٠٠ ق.م .

وهذه الإضافات في مجملها ليس لها أية قيمة أدبية أو تاريخية ، كما أنها تكشف عن جهل تام بالديانة أيام شاؤل وداود ، وتبين أن مؤلفيها كانوا يحاولون أن يجعلوا تلك الديانة تنسجم وتتفق مع الديانة اليهودية التي كانت موجودة بعد عام ٤٠٠ ق.م . إن أولئك المؤلفين يمجدون عظمة مملكة داود ، يظهر ذلك مما جاء في (٢ صم ٢٤ : ٩) من أن عدد أفراد جيش داود كان (.....١٣) مليونا وثلاثمائة ألف رجل [٤٨] ، كما أنهم يصورون صموئيل وداود كقديسين ، بينما يصورون أبناء (عالي) الكاهن وشاؤل كشريرين فاسدين ...

وفي ختام نقدنا لهذا الاصحاح يجدر بنا أن ننقل ما قاله (أرنولد) عنه ، فهو يلخص أسلوبه الرديء ولغته السيئة وقواعده غير السليمة ، مع ما تضمنه من مادة لا قيمة لها أدبيا أو تاريخيا في كلمتين اثنتين ، يقول : إنه « هراء رهباني » (Monkish Drivel) [٤٩] .

د ـ الإصحاح الأول من سفر صموئيل الأول يتضمن قصة صيغت بأسلوب أخاذ عن مولد صموئيل ، وعلى الرغم من أن هذه القصة تنتمي الى المصدر الإلوهيمي المشحون بالأساطير والخرافات ، والملىء بالنظريات والآراء المحرفة ـ كما يقول فايفر ـ ومع أن القليل من القصص يبين التفوق الأدبي لهذا المصدر في أسفار موسى الخمسة وسفر القضاة ، إلا أن قصة مولد صموئيل تعتبر أجمل تلك القصص على الاطلاق ، إذ إنها كتبت بأسلوب رقيق متناسق ، وذوق أدبي مصقول تميز به مؤلف المصدر الإلوهيمي ، وكان ذلك عام ٧٥٠ ق.م .

أما قصة داود وجليات المشهورة فقد جاءت في سفر صموئيل الأول ـ الاصحاح السابع عشر ، وتعتبر ثاني أفضل قصة بعد قصة مولد صموئيل ، في حسن الصياغة وجمال الأسلوب والـذوق الأدبي . ولكنه من الصعب الجزم برأي فيما يتعلق بمؤلفها أو تاريخ تأليفها ، وإن كان من الممكن القول إنها ألفت في القرن السابع ق.م [٥٠] .

هـ ـ الإصحاحات (٩ ـ ٢٠) من سفر صموئيل الثاني ...

---

(٤٧) المدراش هو تفسير لمادة العهد القديم قام به الربيون منذ بداية القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن العاشر الميلادى ، وقد أدخل فيه مواعظ تعتمد على أحكام التوراة ، بالاضافة الى مواعظ شفوية وقصص وتشريعات أخرى . ويعد المدراش تفسيرا كاملا متواصلا لأسفار العهد القديم (انـظر :

[illegible] .)

(٤٨) هذا الرقم خيالى غير واقعى ، ولا يقبله العقل أو المنطق .

(٤٩) Arnold,Ephod and Ark, P.42;Pfeiffer,PP.370-373.

(٥٠) Pfeiffer,P.362.

إن أسلوب هذه الاصحاحات يبز كل الأساليب التي كتب بها جميع النثر الأدبي العبري ، على حد قول فايفر الذي يضيف : إن خبرة المؤلف في استعمال التراكيب في الجمل والعبارات ، وتخيره لأساليب التعبير المناسبة ، بالإضافة الى لغته الممتازة التي تظهر في قدرته على التعبير عن المشاعر النبيلة أو الوضيعة ، وقدرته على تصوير وخلق الشخصيات الروائية ، وإجرائه الحوار المفعم بالحيوية ، كل ذلك لم يرق اليه أي أدب قط في تاريخ البشرية (٥١) ...

ويعلق (أرنولد W.R.Arnold) على مؤلف هذه الاصحاحات والأسلوب الرفيع الذي صيغت به فيقول : إن من سوء حظ هذا الرجل العظيم أن كتاباته انحدرت إلينا من خلال كتابات دينية مقدسة .

أما لوكان الأمر غير ذلك لما استمر الباحثون والدارسون للعلوم الثقافية في تجاهل هذا الأدب المنثور الذي صيغ بأسلوب « السهل الممتنع » ، وبقي متميزا لا يبارى في أدب العالم ، وصيّر الثقافة الرفيعة المتقدمة للجنس البشري منذ زمن بعيد ـ بما أمدّها به ـ أمرا لا يمكن بلوغه أو الوصول الى مستواه مدى الدهر (٥٢) ..

ويقول فايفر : إن كاتب سيرة داود ـ التي تضمنتها الإصحاحات المذكورة ـ كان رجلا عبقريا ، لأنه كتب ذلك العمل ، دون أن يعتمد على عمل مشابه يحذو حذوه ، فجاء رائعا ممتازا لا يفوقه أي عمل آخر من كافة النواحي ، سواء من الناحية التاريخية ، أو نفاذ بصيرته في الكشف عن العوامل النفسية ، أو الأسلوب الأدبي ، أو قوة المعالجة الدرامية .(٥٣)

أما عن لغة السفرين فقد كتبا باللغة العبرية ، وكما جاء في سفر إشعيا .. (١٩ : ١٨) فإن هذه اللغة اقتبست في الأصل عن لغة كنعان .. غير أن البروفسور (ادوارد نافيل Edouard Naville) يقول إن أسفار العهد القديم ليست الآن في شكلها الأصلي ، إذ إن أقدم هذه الأسفار ، وهي اسفار موسى الخمسة ، كتبت بالكتابة المسمارية البابلية ، أما بقية الأسفار ومنها سفرا صموئيل ، فقد كتبت باللغة الآرامية . وعن شكل الأسفار الحالي يقول إدوارد نافيل إنه جاء عندما حول رهبانيو اليهود لغة هذه الأسفار الى اللهجة العامية التي كانت سائدة في أورشليم ، تلك اللهجة التي انبثق عنها كتابة جديدة مشتقة من الآرامية هي العبرية المربعة ، وهي التي تم تبنيها في الكتابة . إن اللهجة المحلية التي كانت سائدة في المملكة الجنوبية ، وهي مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم ، والتي أصبحت تكتب بتلك الحروف المربعة ، هي ما نطلق عليه اللغة العبرية ، وبها كتبت أسفار العهد القديم الحالية ومنها سفرا صموئيل الأول والثاني (٥٤) .

(٥١) Pfeiffer,P.359.
(٥٢) W.R.Arnold,Ephod And Ark,P. 118. See: Pfeiffer,P.359.
(٥٣) Pfeiffer,P.357.
(٥٤) Edouard Naville, The Text of the O.T., The British Academy,Oxford University Press,London,1916,Preface, See also: P.45.

٥ - الملاحظات اللغوية على اصحاحات سفرى صموئيل

يوجد في الطبعة العبرية لسفـري صموئيل الأول والثاني الكثير من المشكلات اللغوية الجديرة بالبحث والتعليق . غير أني لن أتعرض لكل كلمة فيها ، وإنما سأتخير الملاحظات المتعلقة بداود ودوره الكبير في إرساء قواعد المملكة الموحدة في إسرائيل ، وبيان ما اكتنف النص العبري من اضطراب أو غموض أو تحريف .. معتمدا في ذلك بالدرجة الأولى على واحد من أشهر العلماء الذين تعرضوا بالنقد والتحليل لهذين السفرين - إن لم يكن أشهرهم - وهو (درايفر S.R.Driver) ، الذي قدم دراسة نقدية مفصلة للنص العبري للسفرين في كتابه.(Notes On The Hebrew Text And The Topography of The Books of Samuel)بالاضافة الى مشاهير النقاد أمثال : (كنيدي A.R.S. Kennedy) (وبيتر أكرويد Peter R. Ackroyd) وغيرهما . وسأبدأ بالملاحظات اللغوية على سفر صموئيل الأول .

أ) الملاحظات اللغوية على إصحاحات سفر صموئيل الأول

- الاصحاح السادس عشر - الفقرة ٧ :

عندما أمر الرب صموئيل أن يذهب الى بيت لحم ليمسح داود ملكا - بعد أن رفض شـاؤل - أراد صموئيل أن يمسح واحدا من إخوة داود ، اعتقد أنه هو المقصود لحسن منظره وطول قامته ، إلا أن الرب لم يكن يقصده . جاء في الفقرة السابعة في النص العبري :

לֹא אֲשֶׁר יִרְאֶה הָאָדָם כִּי הָאָדָם
יִרְאֶה לַעֵינַיִם וַיהוָה יִרְאֶה לַלֵּבָב :

بمعنى : « لأنه ليس كما ينظر الانسان ، لأن الانسان ينظر الى العينـين ، وأما الـرب فانـه ينظر الى القلب » .

جاء هذا النص في الترجمة السبعينية هكذا :

לֹא אֲשֶׁר יִרְאֶה הָאָדָם יִרְאֶה הָאֱלֹהִים ...לו.

بمعنى : « لأنه ليس كما ينظر الإنسان ينظر الله .... » .

ويرى (درايفر) أن هذه الزيادة لابد أن تكون قد سقطت عن غير قصد من النص العبري الأصلي ، لأن المعنى بدونها يكون مضطربا ناقصا . (٥٥) .

---

(٥٥) S.R.Driver,Notes on the Hebrew Text And The To pography of the Books of Samuel, With An Introduction .., Second Edition, Oxford, 1913,P.133.

ـ الاصحاح السادس عشر ـ الفقرة ٢٠ :

וַיִּקַּח יִשַׁי חֲמוֹר לֶחֶם

بمعنى : « فأخذ يسى (حمار خبز) .. »

يقول درايفر : اذا كان هذا النص صحيحا فانه يعني : « حمارا محملا خبزا » ، غيرأن العبارة في النص العبري جاءت بمعنى « حمار خبز » ، وهذا تعبير غريب ، حيث ان كلمة לחם (خبز) جاءت في أماكن أخرى مقترنة بكلمة « أرغفة » . إذن فإنه من المحتمل جدا أن تكون كلمة חמור تحريفا لكلمة חמשה (خمسة) او لكلمة עשרה (عشرة) (٥٦) .

وعلى هذا يكون معنى النص الأصلي : « فأخذ يَسى خمسة (أو عشرة) أرغفة خبز » : ويرى كنيدي أن النص محرف ، إذ يجب أن يقرأ : « عشرة أرغفة من الخبز » استنادا لما جاء في الاصحاح ١٧ : ١٧ . (٥٧)

ـ الاصحاح السابع عشر ـ الفقرة ٨ :

عبارة : בְּרוּ - לָכֶם بمعنى : « اختاروا لأنفسكم » . يرى درايفر أن كلمة בְּרוּ محرفة عن الكلمة الأصلية בַּחֲרוּ التي ترد في أماكن أخرى من العهد القديم مثل (الملوك الأول ١٨ : ٢٥ ، يشوع ٢٤ : ١٥) ، وترد في صموئيل الثاني ٢٤ : ١٢ بهذه الصيغة בְּחַר - לְךָ (اختر لنفسك) ، وذلك لأن الفعل ברה في اللغة العبرية يعني : (يأكل طعاما) أما المعنى : (يختار) ، أو (ينتخب) فان الفعل المذكور لا يجسده أو يثبته . (٥٨) .

ـ الاصحاح السابع عشر : الفقرات من ١٢ ـ ٣١ من هذا الاصحاح

محذوفة في الترجمة السبعينية الأصلية ، وهي غير موجودة في المخطوطة (B) من هذه الترجمة ، على الرغم من وجودها في المخطوطة (A) ، إلا أنها لا تشكل أي جزء في الترجمة السبعينية الأساسية . (٥٩)

---

(٥٦) نفس المرجع ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٥٧) Kennedy, P. 120.

(٥٨) ص ١٤٠ .

(٥٩) درايفر ، ص ١٤٠ . هاتان المخطوطتان هما من مخطوطات الترجمة السبعينية المتعددة ، والتى ترجع الى القرن الرابع الميلادى .

- جاء في الفقرة ١٢ من الاصحاح المذكور :

וְדָוִד בֶּן־אִישׁ אֶפְרָתִי הַזֶּה מִבֵּית לֶחֶם יְהוּדָה

بمعنى : « وداود هو ابن ذلك الرجل الأفراتي من بيتِ لحم يهوذا »

يقول درايفر إن وجود كلمة הַזֶּה هنا يتعارض مع قواعد اللغة كما أنه غير مناسب . ويرى أن الإشارة الى (يسى) ـ والد داود ـ الوارد اسمه في الاصحاح ١٦ السابق ، غير مقبولة . لذا فهو يرى وجوب تعديل النص ليصبح :

האיש האפרתי بدلاً من בן־איש...

وإنه يرى أيضا أن الفقرة بكاملها جاءت زائدة بعد الاصحاح ١٦ وغير ضرورية ، وهي تعتبر فقط كمقدمة لرواية غير مرتبطة في الأساس مع رواية الاصحاح ١٦ ، لذلك فان הַזֶּה تعتبر إضافة متأخرة غير سليمة جيء بها لتعيين المقصود بعبارة איש אפרתי المذكورة هنا ، وجعلها تطابق كلمة ישי الواردة في الاصحاح ١٦ .

وهناك افتراض آخر ، هو أن الكلمة تحريف لكلمة הָיָה (كان) على الرغم من عدم الحاجة الى الفعل في الجملة .

إلا أن (إهرلتش Ehrlich) يعتقد أنها تحريف لكلمة הוא (هو) ، ويقدم اقتراحا معقولا على أن جملة הוא מבית לחם יהודה هي جملة تفسيرية قصد بها بيان أن كلمة אפרתי (أفراتي) ـ قبلها ـ لا تعني (أفرايمي) ، ولكنها تعني (بيتلحمي)[(٦٠)] .

أما كنيدي فيعتقد أن الفقرة ١٢ بكاملها تحمل كل الدلائل على أنها بداية لرواية أخرى مستقلة . أما سميث W.R. Smith فيقترح تعديل نص الفقرة ليصبح : « وكان هناك رجل أفراتي من بيت لحم يهوذا ، اسمه يسّى[(٦١)] » .

- الاصحاح السابع عشر ـ الفقرة ١٥ :

וְדָוִד הֹלֵךְ וָשָׁב מֵעַל שָׁאוּל לִרְעוֹת אֶת־צֹאן אָבִיו בֵּית־לָחֶם :

---

(٦٠) درايفر ، ص ١٤٠ . والمقصود بذلك تأكيد أنه من بيت لحم الواقعة في يهوذا ، وليس من قبيلة (افرايم) الشمالية التي كانت تابعة لاسرائيل .

(٦١) Kennedy, P.123.

بمعنى : « وأما داود فكان يذهبُ ويرجعُ من عند شاؤل ليرعى غنم أبيه في بيت لحم » .

يقول درايفر إن هذه الفقرة ـ بدون شك ـ إضافة من قبل محرر السفر قصد بها تبرير غياب داود عن بلاط شاؤل ، إذ يفهم من الفقرات (٢١ ـ ٢٣) من الاصْحاح السادس عشر ، أن داود كان في بلاط شاؤل يضرب له بالعود فترتاح نفسه . وفي الحقيقة ، حسب الرواية التي يقدمها (الاصحاح ١٧ : ٥٥ ـ ٥٨) ، فإن داود كان مايزال غير معروف بالنسبة لشاؤل .[٦٢]

ـ الاصحاح السابع عشر ـ الفقرة ٣٩ :

ויסרם דוד « ونزعها داود » . جاءت هذه العبارة في الترجمة السبعينية مقتصرة على كلمة ויסרם « ونزعها » فقط . ويرى داريفر أن النص الأصلي العبرى كان يحتوى على هذه الكلمة دون كلمة דוד « داود » بعدها ، وقد قرأها بعضهم بصيغة الجمع ، والبعض الآخر بصيغة المفرد ، وقليل من الذين قرأوها بصيغة المفرد أضافوا إليها كلمة דוד .[٦٣]

ـ الرواية الواردة في (الاصحاح ١٧ : ١ وحتى الإصحاح ١٨ : ٥)

لا تتفق مع الرواية الواردة في (الاصحاح ١٦ : ١٤ ـ ٢٣) . الرواية الأولى التي تتكون من ٦٣ فقرة ، جاءت ناقصة بأكثر من ٣٠ فقرة في النص الأصلي لأقدم مخطوطة للترجمة السبعينية ، وهي المخطوطة المسماة (Codex B) ، وهذه الفقرات هي : (ص ١٧ : ١٢ ـ ٣١ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٥٥ ـ ٥٨ ؛ ص ١٨ : ١ ـ ٥) . والسؤال هو : أى النصين كان تحت يد محرر سفر صموئيل ، النص العبرى ـ وهو الأطول ـ أم النص الوارد في الترجمة السبعينية ؟

يتضح من النظرة الأولى الى النص الأطول أن داود كان غير معروف أبدا بالنسبة لشاؤل (ص ١٧ : ٥٥ ـ ٥٨) ، بينما كان في الواقع واحدا من العاملين في بلاط شاؤل (ص ١٦ : ٢٠ ـ ٢٣) . هذه الحقيقة تدل على أن الفقرات المحذوفة في الترجمة السبعينية اليونانية قام بحذفها مترجمو النص اليونانى بقصد التوافق وانسجام الرواية . هذا هو رأى عدد من النقاد المشهورين ومنهم فلهاوزن ، بود ، شاين ، درايفر وغيرهم .

الا أن هناك نقاداً آخرين يرون أن الفقرات الزائدة في النص العبرى إنما هى إضافات متأخرة الى النص الأصلى لسفر صموئيل ، بدليل الارتباط الناقص بين الفقرتين ١١ و ١٢ ، وكذلك بين الفقرتين ٣١ و ٣٢

---

(٦٢) ص ١٤١ . انظر : كنيدى ، ص ١٢٤ .
(٦٣) ص ١٤٦ .

من الاصحاح ١٧ في السفر الحالى . وعلى رأس هؤلاء النقاد روبرتسون سميث Robertson Smith ستيد Stade ، كورنيل Cornill ، اتش . بى سميث H.P.Smith ، لوهر Lohr ، نواك Nowack ، كيركباتريك Kirkpatrick وبيترز Peters . وهذا الرأى هو ماذهب إليه كنيدى .(٦٤) وعلى ذلك فإن هؤلاء النقاد يرون أن رواية الترجمة السبعينية هى الأصل .

ـ الجملة الأخيرة من الفقرة ٣٦ من الاصحاح السابع عشر :

כִּי חֵרֵף מַעַרְכֹת אֱלֹהִים חַיִּים

بمعنى : « لأنه قد عيَّرَ صفوفَ الله الحَيّ » .

يقول كنيدى : إن هذه الجملة إضافة من الفقرة ٢٦ في هذا الاصحاح ، لأن الفقرة ٣٦ تنتهى أصلا عند כְּאַחַד מֵהֶם « كواحد منها » .(٦٥)

ومن قراءة الفقرة ٢٦ ونصها : « فكلَّم داود الرجالَ الواقفين معه قائلا : ماذا يُفْعَلُ للرجل الذى يقتل ذلك الفلسطينى ويزيل العار عن إسرائيل ، لأنه من هو هذا الفلسطينى الأغلف حتى يعيِّر صفوف الله الحى » . نجد أن تلك العبارة من الفقرة ٣٦ مرتبطة تماما في معناها مع نص تلك الفقرة .

ـ الفقرتان ٤٦ ، ٤٧ من الاصحاح ١٧ :

يقول شاين إن هاتين الفقرتين أضيفتا من قبل واحد من مدرسة التثنية المتأخرين ليعطي درسا وعبرة للقصة بشكل أوضح .(٦٦)

ـ الفقرة : ٥٤ من الاصحاح ١٧ :

וַיִּקַּח דָּוִד אֶת־רֹאשׁ הַפְּלִשְׁתִּי וַיְבִאֵהוּ יְרוּשָׁלִָם

بمعنى : « وأخذ داود رأس الفلسطيني وأتى به الى أورشليم » .

---

(٦٤) Kennedy, PP. 120-121; Driver, PP. 149-150.
(٦٥) Kennedy, P. 127.
(٦٦) Kennedy, P. 128.

يقول كنيدى إن عبارة: וַיְבִאֵהוּ יְרוּשָׁלָם « وأتى به الى أورشليم » مفارقة تـاريخية غريبة وملفتة للنظر، حيث إن مدينة أورشليم التي أصبحت فيها بعد عـاصمة لـداود، كانت مـاتزال بيـد اليبوسيين. لذلك فإن شاين يقترح تعديل النص ليصبح: « وأتى به الى شاؤل ».[٦٧]

ـ الاصحاح الثامن عشر ـ الفقرة ٥ :

וַיֵּצֵא דָוִד בְּכֹל אֲשֶׁר יִשְׁלָחֶנּוּ שָׁאוּל יַשְׂכִּיל
וַיְשִׂמֵהוּ שָׁאוּל עַל אַנְשֵׁי הַמִּלְחָמָה וַיִּיטַב
בְּעֵינֵי כָל־הָעָם וְגַם בְּעֵינֵי עַבְדֵי שָׁאוּל׃

بمعنى: « وكان داود يخرجُ الى حيثما أرسله شاؤل، كان يفلح. فجعله شاؤل على رجال الحرب. وحَسُنَ في أعين جميع الشعب، وفي أعين عبيد شاؤل أيضا ».

جاء هذا النص معدلا ومرتبا بطريقة أخرى في ترجمة (لوسيان Lucian) هكذا:

וַיְשִׂמֵהוּ שָׁאוּל עַל אַנְשֵׁי הַמִּלְחָמָה (וַיְהִי דָוִד
יֹצֵא וַיָּבֹא) וּבְכֹל אֲשֶׁר יִשְׁלָחֶנּוּ
שָׁאוּל יַשְׂכִּיל וַיִּיטַב בְּעֵינֵי כָל־הָעָם
וְגַם בְּעֵינֵי עַבְדֵי שָׁאוּל׃

بمعنى: « فجعله شاؤل على رجال الحرب: (وكان داود يخرج ويدخل)[٦٨]، والى حيثما أرسله شاؤل كان يفلح. وحَسُنَ في أعين جميع الشعب، وفي أعين عبيد شاؤل أيضا ». ويؤيد كنيدى هذا التعديل ويعتبره أفضل من النص العبرى الحالي.[٦٩]

ـ الفقرات ١٧ ـ ١٩ من الاصحاح ١٨ :

يعلق كنيدى على الرواية الواردة في هذه الفقرات، والتي تتعلق برغبة شاؤل في إعطاء ابنته الكبيرة (مَيْرَب) زوجة لداود، إلا أنها أعطيت الى (عِدْرَئيل المحولي)، فيقول إنها رواية مربكة ومحيِّرة، وهي على

---

(٦٧) نفس المرجع، ص ١٢٩.

(٦٨) الفقرة بين القوسين في النصين العربي والعبرى اصطلاح عام يستعمل أثناء أداء الواجب العسكرى، وقد ورد هذا الاصطلاح في (١ صم ١٨ : ١٣، ١٦، ١صم ٢٩ : ٦).

(٦٩) Kennedy, P.131.

أية حال ، لا تشكل جزءا من النص الأصلي للاصحاح ، لأنها تختلف عن الرواية التاريخية الواردة في الفقرات (٢٠ وما بعدها) من هذا الاصحاح .[٧٠]

الاصحاح ١٨ : الفقرة ٢٧ :

تنص هذه الفقرة على مضاعفة المهر الذى اشترطه شاؤل على داود وهو مائة غلفة من الفلسطينيين[٧١] بأن جعله داود مائتي غلفة بصورة تلقائية حسب نص الفقرة ؛ غير أن الترجمة السبعينية اليونانية تقرأ في هذه الفقرة « مائة غلفة » ، وهذا يتطابق مع ما قاله داود في الاصحاح الثالث ـ فقرة ١٤ ـ من صموئيل الثاني .[٧٢]

إذن يمكن القول إن نص الفقرة ٢٧ المشار إليها تعرض للتحريف على يد محرر السفر ، مبالغة منه في مقدرة داود وتصوير شجاعته وبطولته ، خاصة إذا علمنا أن الذى كتب قصة داود في سفر صموئيل قام بذلك العمل تحت تأثير إعجابه بشخصية داود وتمجيده إياه ، والحط من مقام مناوئيه وخصومه .

ـ الاصحاح ١٨ : الفقرة ٢٨ ، وما بعدها :

וַיַּרְא שָׁאוּל וַיֵּדַע כִּי יְהוָה עִם־דָּוִד
וּמִיכַל בַּת־שָׁאוּל אֲהֵבַתְהוּ׃ וַיֹּאסֶף
שָׁאוּל לֵרֹא מִפְּנֵי דָוִד עוֹד וַיְהִי
שָׁאוּל אֹיֵב אֶת־דָּוִד כָּל־הַיָּמִים׃

بمعنى : « فرأى شاؤل وعلم أن الرب مع داود . وميكال ابنة شاؤل كانت تحبه . وعاد شاؤل يخاف داود بعدُ ، وصار شاؤل عدواً لداود كل الأيام » . نص هذه الفقرة في المخطوطة (Codex B) من الترجمة السبعينية مختلف ، فهو مختصر ومفهوم بشكل أوضح منه في النص العبرى . أما النص اليوناني فترجمته :

« فرأى شاؤل أن الرب مع داود ، وأن كل اسرائيل كانت تحبه ، وعاد يخاف داود أكثر » .

وأما ما يرد بعد هذا النص وحتى آخر الاصحاح فهو غير موجود في الترجمة السبعينية ، إذ تعتبره غريبا ودخيلا على النص الأصلي .[٧٣]

---

(٧٠) نفس المرجع والصفحة .
(٧١) ا صم ١٨ : ١٥ .
(٧٢) Kennedy, P. 134.
(٧٣) المرجع السابق ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

ـ الاصحاح ٢٠ : الفقرة ٥ :

וַיֹּאמֶר דָּוִד אֶל־יְהוֹנָתָן הִנֵּה־חֹדֶשׁ
מָחָר וְאָנֹכִי יָשֹׁב־אֵשֵׁב עִם־הַמֶּלֶךְ
לֶאֱכוֹל וְשִׁלַּחְתַּנִי וְנִסְתַּרְתִּי בַשָּׂדֶה
עַד הָעֶרֶב הַשְּׁלִשִׁית :

بمعنى : « فقال داود ليوناثان هُوَذَا الشهر غداً ، حينما أجلس مع الملك للاكل .. ولكن أرسلني فأختبىء في الحقل الى مساء اليوم الثالث » .

إن داود ـ كما يظهر من الفقرة ٢٥ ومابعدها من هذا الاصحاح ـ كان ، بالإضافة الى أبنير ويوناثان ، ملازماً لشاؤل بصورة منتظمة على مائدة الطعام .. هذا الوضع لا يتناسب ، بل يتعارض مع ماجاء في الفقرة (٥) التى أوردنا نصها ..... ومع أن بداية الشهر هي المناسبة التى اعتاد داود أن يكون فيها ضيفا على مائدة شاؤل حسب نص الفقرة ٥ ، إلا أنه على العكس من ذلك يمكن أن تكون بداية الشهر هى المناسبة التى يمكن أن يتذرع بها داود لتبرير غيابه عن مائدة شاؤل ، حيث كانوا يحتفلون بهذه المناسبة ويعتبرونها عطلة محببة تقام فيها الشعائر الدينية ، مثلها في ذلك مثل يوم السبت[٧٤] ...

لذلك فإن النقاد أمثال درايفر وكنيدى ، يرون وجوب تعديل نص الفقرة ليصبح .. :

הִנֵּה־חֹדֶשׁ מָחָר וְאָנֹכִי יָשֹׁב לֹא אֵשֵׁב
עִם־הַמֶּלֶךְ לֶאֱכוֹל

بمعنى « هو ذا الشهر غداً حينما لا أجلس مع الملك للاكل » . وهذا النص المعدل هو المعتمد في الترجمة السبعينية ..[٧٥] . كما ان كلمة הַשְּׁלִשִׁית « الى مساء اليوم الثالث » بشكلها الحالى لا تتفق مع قواعد اللغة ، وغير قابلة للإعراب ولا تتناسب مع كلمة הָעֶרֶב قبلها .. لذلك فإن الترجمة السبعينية حذفت هذه الكلمة . كما أن الترجوم[٧٦] عدّلها لتصبح بمعنى « أوفى اليوم الثالث » .

ويعلق درايفر على ذلك بقوله إن عبارة : « في اليوم الثالث » تـأتى دائما في اللغـة العبريـة هكذا :

(٧٤) Ackroyd, Peter R., The First Book of Samuel-Commentary, Cambridge, 1971, P.163.

(٧٥) Driver, P. 161; Kennedy, P. 140

(٧٦) الترجوم : هو الترجمة الآرامية لأسفار الكتاب المقدس .

בַּיּוֹם הַשְּׁלִישִׁי أما كلمة שְׁלִישִׁית عندما تكون غير مقترنة باسم اليوم ، فإنها تعنى دائما : « القسم الثالث »[٧٧]

لذلك من المحتمل أن تكون الكلمة أضيفت الى النص من قبل محرر السفر أو ناسخه الذى لاحظ أن داود بقى في الحقيقة مختبئا حتى اليوم الثالث كما يفهم من الفقرة ٣٥ [٧٨] ، أو أن هذا الناسخ أضاف الكلمة ، لرغبته في جعل اقتراح داود يتفق مع اقتراح يوناثان الذى يظهر في الفقرة ١٩ كما يقول كنيدى ..[٧٩] .

ـ الاصحاح ٢١ : الفقرة ١٤ ، جاء فيها ... :

וַיְשַׁנּוֹ אֶת־טַעְמוֹ בְּעֵינֵיהֶם

بمعنى « فَغَيَّر عقلَه في أعينهم ... » (فقرة ١٣ في النص العربى) .

يعلق درايفر على هذه العبارة بقوله إن جعل المفعول به لفعل ما مسبوقا بمقطع ـ كما هو الحال في אֶת־טַעְמוֹ ـ شائع في اللغة الآرامية . وعلى الرغم من ورود حالات مشابهة بصورة متفرقة في اللغة العبرية ، إلا أن هذا الاستعمال غير أصيل فيها ، وقد دخلها بتأثير اللغة الآرامية[٨٠] .

ـ الاصحاح ٢٢ : الفقرة ١ ، جاء فيها .. :

וַיֵּלֶךְ דָּוִד מִשָּׁם וַיִּמָּלֵט אֶל־מְעָרַת עֲדֻלָּם

بمعنى « فذهب داود من هناك ونَجا الى مغارة عَدُلّام » ...

يعلق كنيدى على عبارة מערת עדלם « مغارة عَدُلّام » بقوله إن كلمة מערת تحريف لكلمة عبرية مشابهة أخرى هى מצודה ومعناها (حصن) . وقد تكون (عدلام) هي بلدة (عيد لمه) Aid—el—Ma الحالية التى تبعد حوالى اثنى عشر ميلا الى الجنوب الغربى من بيت لحم[٨١] ...

---

(٧٧) القسم الثالث في العبرية معناه : הַחֵלֶק הַשְּׁלִישִׁי

(٧٨) Driver, PP. 161-162.

(٧٩) Kennedy, PP. 140-141.

(٨٠) Driver, P. 177.

(٨١) Kennedy, P. 150.

ويتساءل درايفر : هل يمكن أن يطلق على كلمة מערה (مغارة) لفظ מצודה (حصن) ، خاصة إذا علمنا أن هاتين الكلمتين وردتا في أماكن مختلفة وبصيغة الجمع أيضا : מערות ، מצדות ، وهما يمثلان اسمين لنوعين مختلفين من الأماكن التي يُختبأُ فيها . ويجيب درايفر على هذا التساؤل بالنفي ، ويعتقد أيضا أن عبارة מצדת עדלם هي تحريف قديم لعبارة : מערת עדלם .[٨٢]

الاصحاح ٢٨ : الفقرات ٣ ـ ٢٥ :

هذا الجزء الذى يشكل رواية مستقلة تماما ، يظهر كما لو كان في غير محله الصحيح ، فقد جاء في الفقرة ٤ أن الفلسطينين جاءوا ونزلوا في (شونم) التى تبعد ثلاثة أميال ونصف الى الشمال من « يزرعيل » ؛ وجاء في الفقرة الأولى من الاصحاح ٢٩ أنهم مازالوا في (أفيق) ـ وهى في سهل شارون (يشوع ١٢ : ١٨) ـ وقد وصلوا الى سهل يزرعيل ، بموجب ما جاء في الفقرة ١١ من الاصحاح ٢٩ ..

ويرى درايفر أن الرواية الواردة في الفقرات ٣ ـ ٢٥ المشار إليها .. ليست في مكانها الصحيح ، ويقول : لو نقلت الفقرات المذكورة وجاءت بعد الإصحاحين ٢٩ و ٣٠ لكانت في المكان المناسب . وتشكل الفقرة (٣) في بداية هذا الجزء مقدمة واضحة لما تضمنته الفقرات بعدها[٨٣] ...

الاصحاح ٢٨ : الفقرة ٣ ، جاء فيها .. :

וּשְׁמוּאֵל מֵת וַיִּסְפְּדוּ־לוֹ כָּל־יִשְׂרָאֵל
וַיִּקְבְּרֻהוּ בָרָמָה וּבְעִירוֹ

بمعنى : « ومات صموئيل ، وندبه كل إسرائيل ، ودفنوه في الرامة في مدينته » .

يعلق درايفر على وجود الواو (וּ) في كلمة וּבְעִירוֹ (في مدينته) قائلا : إذا كان وجودها هنا صحيحا فلابد أن تكون تفسيرية ، وتكون الجملة بمعنى : « ودفنوه في الرامة التى هي في مدينته » ، ولكن هذا التفسير غير مقبول ، لذلك من المحتمل أن تكون (الواو) قد جاءت نتيجة التحريف ، خاصة وأنها محذوفة من الترجمة السبعينية . ويرى درايفر أن ترتيب الجملة ברמה ובעירו يجب أن يكون هكذا : בעירו ברמה ، من غير وجود الواو .[٨٤]

---

(٨٢) Driver, P. 178.

(٨٣) نفس المرجع ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٨٤) ص ٢١٤ .

الاصحاح ٣٠ الفقرة ٢ ، جاء فيها .. :

וַיִּשְׁבּוּ אֶת־הַנָּשִׁים אֲשֶׁר־בָּהּ

بمعنى « وسَبَوُا النساء اللواتى فيها » .

عندما خرج الفلسطينيون لمحاربة بنى اسرائيل ، خرج معهم داود لمحاربة الإسرائيلين ، غير أن رؤساء الفلسطينين رفضوا أن يذهب داود معهم لأنهم لم يثقوا به ، فعاد داود ورجاله الى (صقلغ) ـ وهى المدينة التى كان الفلسطينيون قد أقطعوه إياها ليقيم فيها أثناء هربه من وجه شاؤل ـ فوجد العمالقة قد غزوا المدينة وأحرقوها بالنار(٨٥) .

أما ماورد في الفقرة المذكورة أعلاه من أن العمالقة سبوا النساء فقط ، فيعلق عليه (بيتر أكرويد) بقوله .. : إنه من الصعب التصديق بأن المدينة تركت خالية من الرجال أثناء ذهاب داود في حملته مع الفلسطينين ... كما أنه يفهم من الفقرة (٣) في هذا الاصحاح أن الأبناء أيضا قد تم سبيهم(٨٦) ...

لذلك فإن أكرويد يرى تعديل نص الفقرة ٢ ليصبح : « وسبوا النساء وكل من كان فيها .. » وهو التعديل الذى تبنته الترجمة السبعينية(٨٧) ...

الاصحاح ٣١ الفقرة ٧ ... :

וַיִּרְאוּ אַנְשֵׁי־יִשְׂרָאֵל אֲשֶׁר־בְּעֵבֶר הָעֵמֶק
וַאֲשֶׁר בְּעֵבֶר הַיַּרְדֵּן כִּי־נָסוּ אַנְשֵׁי יִשְׂרָאֵל
וְכִי־מֵתוּ שָׁאוּל וּבָנָיו וַיַּעַזְבוּ אֶת־הֶעָרִים
וַיָּנֻסוּ וַיָּבֹאוּ פְלִשְׁתִּים וַיֵּשְׁבוּ בָּהֶן׃

بمعنى « ولما رأى رجال إسرائيل الذين في عبر الوادى والذين في عبر الأردن أن رجال إسرائيل قد هربوا ، وأن شاؤل وبنيه قد ماتوا ، تركوا المدن وهربوا ، فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها ... » .

يعلق كنيدى على هذا النص بقوله : المقصود بالفقرة : « الذين في عبر الوادى » هم الإسرائيليون

(٨٥) ١ صم ٢٩ : ٢ ـ ٧ ؛ ص ٣٠ : ١ .
(٨٦) نص الفقرة ٣ هو : « فدخل داود ورجاله المدينة وإذا هى محرقة بالنار ، ونساؤهم وبنوهم وبناتهم قد سُبُوا ... »
(٨٧) Peter Ackroyd, P. 221.

الذين كانوا يقطنون في المنطقة الواقعة الى الشمال من وادى يزرعيل . أما الفقرة التى تأتى بعدها وهى : וַאֲשֶׁר בְּעֵבֶר הַיַּרְדֵּן « والذين في عبر الأردن » ، فقد حذفها كاتب سفر أخبار الأيام الأول[88] عندما اقتبس مادتها من هذا الاصحاح .. لذلك فإن كنيدى يرى وجوب حذفها من هذه الفقرة ، ويعلل ذلك بقوله : إن من غير المحتمل أن يكون الفلسطينيون قد احتلوا أى جزء من الأراضى الواقعة عبر الأردن ـ أى شرقى الأردن ـ ، وهو ما يفهم من الفقرة ، إذ إنهم سكنوا في المناطق التى هرب الإسرائيليون منها ومن ضمنها المناطق التى كانوا فيها عبر الأردن ، حسب نص الفقرة[89] ...

ب) الملاحظات اللغوية على اصحاحات سفر صموئيل الثاني

ـ الاصحاح الأول : البيت ٢١ :

تضمن هذا الاصحاح مرثاة داود لشاؤل ويوناثان ، جاء في البيت ٢١ من هذه المرثاة :

הָרֵי בַגִּלְבֹּעַ אַל־טַל וְאַל־מָטָר עֲלֵיכֶם וּשְׂדֵי תְרוּמֹת

بمعنى : « يـا جبال جِلْبُـوعَ لا يَكُنْ طَل ولا مَـطَر عليكنَّ ولا حقول تَقْـدِمَاتٍ » . يـرى النقاد أن عبـارة וּשְׂדֵי תְרוּמֹת « حقول تقدمات » هي اصطلاح غريب ومشكوك في صحته ، وفوق ذلك فإن جبال جلبوع هي جبال جرداء عارية لا تصلح أن تكون ذات حقول تحمل أشجار الفواكه والثمار بحيث تؤخذ منها (التقدمات) . لذلك فإن بعض النقاد عدّلوا هذه العبارة وجعلوها : הָרֵי הַמָּוֶת « جبال الموت » ، ومنهم لوسيان ، ونواك ، وبود ، وكذلك الترجمة اللاتينية القديمة Old Latin . وهناك نقاد آخرون جعلوها : שְׂדוֹת הַמָּוֶת « حقول الموت » ، ومنهم سميث H. P. Smith ، وبود .

أما درايفر فيرى تعديل نص البيت ليصبح : הָרֵי בַגִּלְבֹּעַ אַל (יֵרֵד) טַל וְאַל־מָטָר עֲלֵיכֶם שְׂדֵי תְרוּמוֹת

بمعنى : « يـا جبال جلبـوع لا (ينزل) طـلّ ولا مطر عليكن حقـول تقدمـات » وذلـك بـزيـادة الفعـل (יֵרֵד) في الجزء الأول من البيت ، وحذف (الواو) قبل كلمة (שְׂדֵי) .[90]

ـ الاصحاح الثالث : الفقرة ٣٦ ، جاء فيها :

כְּכֹל אֲשֶׁר עָשָׂה הַמֶּלֶךְ בְּעֵינֵי כָל־הָעָם טוֹב :

(٨٨) أخبار الأيام ١٠ : ٧ .

(٨٩) Kennedy, P. 189. See: Driver, P. 229.

(٩٠) Driver, P. 236; Kennedy, P. 196.

بمعنى : « كما أن كل ما صَنَعَ الملكُ ، كان حسنا في أعين جميع الشعب » .

يقترح درايفر تعديل النص بحيث يصبح : כאשר כל بدلا من ככל ، لأن الكاف (כ) وحدها ليس لها قوة حرف العطف . ويرى أن المعنى الصحيح للفقرة هو : « ككل ما صنع الملك (فإن صنيعه أو سلوكه في تلك المناسبة) حَسُنَ في أعين جميع الشعب » . وقد جعل كلمة טוב الواردة في الفقرة بمعنى الاسم « حسنا » ، جعلها بمعنى الفعل « حَسُنَ » ، على غرار ورودها في الفقرة ١٩ من هذا الاصحاح : אֵת כָּל־אֲשֶׁר־טוֹב בְּעֵינֵי יִשְׂרָאֵל .

بمعنى : « بكل ما حَسُنَ في أعين اسرائيل » .(٩١)

ـ الاصحاح الرابع : الفقرة ١ ، جاء فيها :

וַיִּשְׁמַע בֶּן־שָׁאוּל ، بمعنى : « ولما سمع ابن شاؤل » . يؤيد درايفر التعديل الذى أدخلته الترجمة السبعينية على هذه الفقرة ، وهو إضافة كلمة אישבשת إيشبوشت قبل בן־שאול ، ويقول إن حذف تلك الكلمة من النص العبرى يمكن تفسيره بسبب الشبه بين كلمة אישבשת (٩٢) وكلمة [illegible] في أول الفقرة .(٩٣)

ـ الاصحاح الخامس : الفقرة ٦ ، جاء فيها :

כִּי אִם־הֱסִירְךָ הַעִוְרִים بمعنى : « مالم تَنْزِعِ العُمْيانَ » يقترح درايفر تعديل قراءة كلمة הֱסִירְךָ بحيث تصبح : יְסִירֻךָ . أما النسخة المعتمدة من الطبعة الانجليزية للتوراة (A.V.) والنسخة المنقحة منها (R.V.) ، فقد جاء النص فيها معدلا هكذا : כִּי אִם הֱסִירֻךָ (أو הֲסִירֻךָ) .(٩٤)

وإذا ما رجعنا الى سفر أخبار الأيام الأول ١١ : ٥ ، فإننا نجد أنه يحذف الكلام من כי אם وحتى نهاية الفقرة .

---

(٩١) Driver, P. 252.

(٩٢) يرى النقاد أن אישבשת كان اسمه אשבעל ، ولعل هذا الاسم هو الذى كان في النص العبرى وحذف منه ، وهو أقرب شبها بكلمة [illegible] من الاسم الأول .

(٩٣) Driver, P. 252.

(٩٤) نفس المرجع ، ص ٢٥٨ . أما A.V فهى اختصار للترجمة الانكليزية : Authorised Version أو ترجمة الملك جيمز ، وقد ظهرت سنة ١٦١١ وقام بها ٥٤ مترجما وأهديت الى الملك جيمز الأول الذى سميت باسمه ، وقد تجنبت هذه الترجمة النقل الحرفى . أما R.V. فهى اختصار للترجمة الانكليزية المنقحة Revised Version وسبب ترجمتها أن لغة ترجمة الملك جيمز أصبحت غير مألوفة مما استدعى وجود ترجمة جديدة لاستعمالها في كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة ، وهكذا ظهرت هذه الترجمة سنة ١٨٨٥ .

ـ الاصحاح السادس : الفقرتان ٣ ، ٤

يعلق كنيدى على الفقرتين المذكورتين بقوله : إن الأسلوب غير البارع الذى صيغت به الفقرتان يبين أن هناك اضطرابا وعدم ترابط في نصهما . يظهر ذلك بصورة واضحة عند مقارنتهما بما جاء في الفقـرة ٧ من الاصحاح ١٣ من أخبار الأيام الأول .[٩٥]

ـ الاصحاح السابع : الفقرة ١١ ، جاء فيها :

וְהִגִּיד לְךָ יְהוָה כִּי־בַיִת יַעֲשֶׂה־לְּךָ יְהוָה׃

بمعنى : « والربُّ يخبرُكَ أنَّ الربَّ يَصْنَعُ لَكَ بيتاً » .

يرى كنيدى وجوب تعديل نص الفقرة ليصبـح : « ...וּבַיִת יִבְנֶה־לְּךָ יְהוָה » بمعنى : « ..الرب يبنى لك بيتا » . وهذا التعديل تبنته الترجمة السبعينية ، كما أنه جاء في الفقرة ١٠ من الاصحاح ١٧ من سفر أخبار الأيام الأول .[٩٦]

ـ الاصحاح السابع : ١٣

הוּא יִבְנֶה־בַּיִת לִשְׁמִי וְכֹנַנְתִּי אֶת־כִּסֵּא מַמְלַכְתּוֹ עַד־עוֹלָם׃

بمعنى : « هو يبني بيتـاً لاسمـي، وأنا أُثَبِّتُ كرسيَّ مملكته الى الأبد » .

يرى فلها وزن أن هذه الفقرة أقحمت على النص وليست منه ، ويؤيـده في ذلك معـظم الباحثـين المحدثين . ويرى كنيدى أن هذا الإقحام لابدّ أن يكون قد حصل في زمن مبكر ، وأنه كان معروفا لدى كتبة مدرسة التثنية[٩٧] الذين يجعلون الرؤيا المتعلقة ببناء البيت ، تختص بسليمان لا بداود .[٩٨]

---

(٩٥) Kennedy, P. 219.

(٩٦) نفس المرجع ، ص ٢٢٥ .

(٩٧) انظر النصوص المشابهة لهذه الفقرة في سفر الملوك الأول ٥ : ٥ ؛ ٦ : ١٨ وما بعدها ؛ ٨ : ١٤ وما بعدها .. وهي نصوص يرجع مصدرها الى كتبة التثنية .

(٩٨) Kennedy, PP. 225-226; Driver, P. 276.

ـ الاصحاح السابع : العبارة ١٩ ، نص الفقرة الأخيرة هو :

...וְזֹאת תּוֹרַת הָאָדָם אֲדֹנָי יְהוִה׃

بمعنى : « ... وهذه عادة الإنسان ياسيدى الرب » .

يعلق كنيدى على هذه الفقرة بقوله : إنها غامضة ولا يمكن فهمها ، وقد جرى تحريفها في القرن الثالث ق . م . ومن المحتمل أنها تشكل تكملة للفكرة التي تضمنتها الفقرة السابقة[٩٩] ، وبذلك قد يكون معناها : « ... وتجعلني دائما أرى الأجيال القادمة » . أى إن داود يأمل أن يكون حياً في الأجيال التي تنحدر منه . وقد ذهب الى هذا التأويل كل من فلها وزن ، إيوالد Ewald ، وبود Budde .[١٠٠]

ـ الاصحاح الثامن : الفقرة ١٣ :

וַיַּעַשׂ דָּוִד שֵׁם בְּשֻׁבוֹ מֵהַכּוֹתוֹ אֶת־אֲרָם בְּגֵיא־מֶלַח שְׁמוֹנָה עָשָׂר אָלֶף׃

بمعنى : « ونصب داود تذكاراً عند رجوعه من ضربه ثمانية عشر ألفاً من أرام في وادى الملح . » .

يرى نقاد التوراة أن هذه الفقرة محرفة ، ويظهر التحريف بمقارنتها بما جاء في سفر أخبار الأيام الأول ، وفي المزمور (٦٠) . جاء في أخبار الأيام الأول ١٨ : ١٢

וְאַבְשַׁי בֶּן־צְרוּיָה הִכָּה אֶת־אֱדוֹם בְּגֵיא הַמֶּלַח שְׁמוֹנָה עָשָׂר אָלֶף׃

بمعنى : « وأبشائ ابن صَرُوية ضرب من أدوم في وادى الملح ، ثمانية عشر ألفا » .

وجاء في عنوان المزمور ٦٠ :

וַיָּשָׁב יוֹאָב וַיַּךְ אֶת־אֱדוֹם בְּגֵיא־מֶלַח שְׁנֵים עָשָׂר אָלֶף׃

(٩٩) نص الفقرة بكاملها : « وقَلّ هذا أيضا في عينيكَ ياسيدى الرب ، فتكلمتَ أيضا من جهة بيت عبدك الى زمان طويل . وهذه عادة الإنسان ياسيدى الرب » .

(١٠٠) كنيدى ، ص ٢٢٧ . قارن : أخبار الأيام الأول ١٧ : ١٧ .

بمعنى : « فرجع يوآب وضرب من أدوم في وادى الملح ، اثنى عشر ألفا » .

أما وادى الملح الذى تشير اليه الفقرة ، فمن المحتمل أنه الوادى الموجود حاليا والذى يحمل نفس الاسم « وادى الملح » ، وهو امتداد « لوادى السبع » القريب من مدينة بئر السبع ، وهذا آخر مكان يمكن أن نتوقع أن يصله السوريون أو (الآراميون) ، - كما يقول كنيدى - .

ويقول درايفر : لا جدال في أن كلمة אדם (أدوم) هي الكلمة الصحيحة التي ينبغي أن تقرأ قبل عبارة גיא המלח (وادى الملح) ، ويدعم هذا الرأى ما جاء في أخبار الأيام الأول وعنوان المزمور (٦٠) ، وكذلك في الترجمة السبعينية والبشيطا[١٠١] ، خاصة وأن وادى الملح كان قريبا من ادوم وبعيدا عن المكان الذى هزم فيه الآراميون . كما أن الفقرة ١٤ من الإصحاح الثامن الذى نحن بصدده ، تتضمن تأكيدا لانتصار داود على الادوميين فقد جاء فيها : « وجعل في ادوم محافظين . وضع محافظين في ادوم كلها ، وكان جميع الادوميين عبيدا لداود .. » .

ويرى كيل Keil أن نص الفقرة ١٣ يجب أن يعدل ليقرأ هكذا :

... בְּשׁוּבוֹ מֵהַכּוֹתוֹ אֶת־אֲרָם וַיַּךְ אֶת־אֱדוֹם בְּגֵיא־מֶלַח

بمعنى : « ... عند رجوعه من ضربه آرام ، ضرب أدوم في وادى الملح » .

هذا التحريف في التسمية جاء نتيجة لتشابه الكلمتين في اللغة العبرية (אדם ، ארם) مما أوقع محرر السفر في هذا الخطأ .

وقد شهد وادى الملح انتصاراً آخر على الادوميين كما يظهر من (الملوك الثاني ١٤ : ٧) .

أما النصر الذي تم احرازه والذي أشارت اليه الفقرة ١٣ التي أوردنا نصها فيرجع الى داود - كما يقول درايفر - لأن الإصحاح الثامن كله عبارة عن تلخيص للأعمال المنسوبة لداود . وما جاء في أخبار الأيام الأول ١٨ : ١٢ من أن النصر حققه (أبشاي ابن صروية) ، وما جاء في عنوان المزمور (٦٠) من أن يوآب هو الذي حقق ذلك النصر ، فكلاهما غير صحيح لأن الاسمين حشرا في هذين المكانين نتيجة التحريف[١٠٢] . ومن دلائل هذا التحريف أن عدد القتلى في معركة وادي الملح كان ، بموجب رواية صموئيل الثاني وأخبار الأيام الأول ، ثمانية عشر ألفاً ، بينما كان العدد حسب نص المزمور (٦٠) ، اثنى عشر ألفاً .

- الاصحاح التاسع : الفقرة ١١ :

بعد أن تغلب داود على جميع أعدائه ، أراد أن يصنع معروفاً مع من تبقى من بيت شاؤل على قيد الحياة ،

---

(١٠١) البشيطا : هي الترجمة السريانية للتوراة .

(١٠٢) Driver, PP. 282-283; Kennedy, P. 231.

وكان لبيت شاؤل عبد اسمه صيبا فاستدعاه داود وسأله عن هذا الأمر ، فقال له يوجد ليوناثان بن شاؤل ولد اسمه مفيبوشت أعرج الرجلين ، فاستدعاه داود ورد له كل حقول شاؤل وطلب منه أن يأكل على مائدته دائماً ، وأمر صيبا أن يكون في خدمة مفيبوشت[١٠٣] .

« فقال صيبا للملك : حسب كل ما يأمر به سيدي الملكُ عَبْدَه كذلك يصنع عبدُك ، فيأكل مفيبوشت على مائدتي كواحد من بني الملك » . « الفقرة ١١ » .

الجزء الأخير من الفقرة ونصه العبرى هو :

וּמְפִיבֹשֶׁת אֹכֵל עַל־שֻׁלְחָנִי כְּאַחַד מִבְּנֵי הַמֶּלֶךְ׃

بمعنى : « ... فيأكل مفيبوشت على مائدتي كواحد من بني الملك » .

يعلق نقاد التوراة على هذا الجزء ويرون أن نصه لا يناسب أن يكون من كلام صيبا ، لذلك فان هؤلاء النقاد ، ومعهم الترجمة السبعينية ، يعدّلون النص العبري ليصبح :

וּמְפִיבֹשֶׁת אֹכֵל (עַל־שֻׁלְחַן דָּוִד)
כְּאַחַד מִבְּנֵי הַמֶּלֶךְ׃

بمعنى : « ... وأكل مفيبوشت (على مائدة داود) كواحد من بني الملك » . وقد تبنى هذا التعديل كل من : كيل ، ويجال ، بود ، سميث ، نواك ، بالاضافة الى الترجمة السبعينية . ويعلق درايفر على هذا التعديل بقوله : وعلى ذلك تكون العبارة من كلام الراوي وليست من كلام داود أوصيبا[١٠٤] .

ـ الاصحاح ١١ : الفقرة ٢٢ ونصها :

וַיֵּלֶךְ הַמַּלְאָךְ וַיָּבֹא וַיַּגֵּד לְדָוִד אֵת
כָּל־אֲשֶׁר שְׁלָחוֹ יוֹאָב׃

بمعنى : « ... فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب » . الى هنا ينتهي نص الفقرة في النص العبري . ولكن الترجمة السبعينية تضيف بضعة أسطر ليست موجودة في النص العبري ، وهي كما يلي :

---

(١٠٣) الاصحاح التاسع : ١ ـ ١٠ .
(١٠٤) Driver, P. 287; Kennedy, P. 235.

את־כל־דברי המלחמה ויחר לדוד על יואב
ויאמר אל־המלאך למה נגשתם אל־העיר
להלחם הלוא ידעתם את אשר יכו מעל
החומה: מי הכה את־אבימלך בן־ירבעל
הלוא־אשה השליכה עליו פלח רכב מעל החומה
וימת בתבץ למה נגשתם אל־החומה:

بمعنى : « ... بجميع أمور الحرب . فغضب داود على يوآب ، وقال للرسول : لماذا دنوتم من المدينة للقتال . أما علمتم أنهم يرمون من على السور . مَنْ قَتَل أبيمالك بن يربعال . ألم ترمه امرأة بقطعة رحىً من على السور فمات في تاباص . لماذا دنوتم من السور » .

أي إن الترجمة السبعينية تذكر بالتفصيل ما أوصى به يوآب الرسول في الفقرتين السابقتين ٢٠ ، ٢١ ، وأن ما توقعه من رد فعل داود عندما أخبره الرسول بمجريات المعركة ، قد حدث فعلاً .

ويعلق درايفر على هذه الإضافة في الترجمة السبعينية بقوله : إنها ضرورية ، لأن الفقرة حيث تنتهي في النص العبري ، لا تفسر معنى الإجابة التي ردّ بها الرسول في الفقرة ٢٣ وما بعدها ؛ أما الإضافة في الترجمة السبعينية التي تضمنت تساؤلات داود ، فانها تفسر معنى إجابة الرسول في الفقرة ٢٣ وما بعدها(١٠٥) .

- الاصحاح ١٢ : الفقرة ٦ ، جاء فيها :

ואת־הכבשה ישלם ארבעתים

بمعنى : « ويردُّ النعجةَ أربعةَ أضعاف » .

جاء النص في الترجمة السبعينية שבעתים « سبعة أضعاف » . ويعلق كنيدي على ذلك بقوله : إن رواية الترجمة السبعينية أقرب الى أن تكون هي الأصل ، وعلى ما يظهر فإن أحد الناسخين المتأخرين صحح عبارة « سبعة أضعاف » وجعلها « أربعة أضعاف » لتتفق مع ما ورد في سفر الخروج ٢١ : ٣٧(١٠٦) .

ويقول درايفر : إن نص الترجمة السبعينية هو الأساس ، لأن داود ، كما يبدو من الرواية ، كان يتكلم

---

(١٠٥) Driver, P. 290; Kennedy PP. 243-244.

(١٠٦) في النص العربي : الخروج ٢٢ : ١ .

باندفاع ، لذلك فإن الأمر الأكثر احتمالاً أنه استعمل العبارة الدارجة في الأمثال « سبعة أضعاف »[١٠٧] وأن تلك العبارة خطرت في ذهنه أكثر من العبارة القانونية الواردة في سفر الخروج ٢١ : ٣٧ ، وهي « أربعة أضعاف » التي جاءت عن طريق أحد المصححين الذين لاحظوا التناقض في العبارتين[١٠٨] .

ـ الإصحاح ١٤ : الفقرات ٢٥ ـ ٢٧ :

يقول كنيدي إن هذه الفقرات أضيفت الى نصوص الاصحاح في وقت متأخر وليست منه ، وهي عبارة عن مدح لأبشالوم بن داود وإطراء لجماله ، وتتضمن معلومات عن أسرته لا تتفق والبيانات الواردة في الرواية الأقدم (الفقرة ١٨ من الاصحاح ١٨) . فقد جاء في نص الفقرة ٢٧ من الاصحاح ١٤ : « وولد لأبشالوم ثلاثة بنين وبنت واحدة اسمها ثامار ، وكانت امرأة جميلة المنظر » .

أما رواية الاصحاح ١٨ : ١٨ ـ وهي الأقدم ـ فهي « وكان أبشالوم قد أخذ وأقام لنفسه وهو حي النُّصْبَ الذي في وادي الملك ، لأنه قال ليس لي ابن لأجل تذكير اسمي .. » .

كما يمكن مقارنة ذلك مع الرواية الواردة في سفر الملوك الأول ١٥ : ٢ والتي تقول إن أمّ (أبيام) الذي ملك على يهوذا بعد وفاة أبيه رحبعام بن سليمان ، هي معكة ابنة أبشالوم .

وهكذا نجد أمامنا ثلاث روايات تتعلق بأسرة أبشالوم ، وكل رواية منها تختلف عن الأخرى . ولعمري إن ذلك من الدلائل الدامغة على تحريف التوراة وتعرض نصوصها للإضافة والتبديل والتغيير على أيدي الكتبة والربانيين .

غير أن كنيدي يميل إلى الاعتقاد بأن رواية الاصحاح ١٨ : ١٨ هي الأصل ، وأن ما جاء في ص ١٤ : ٢٧ ، إضافة متأخرة ترجع الى عصر ما بعد السبي البابلي[١٠٩] .

ـ الإصحاح ١٥ : الفقرة ٧ :

וַיְהִי מִקֵּץ אַרְבָּעִים שָׁנָה וַיֹּאמֶר
אַבְשָׁלוֹם אֶל-הַמֶּלֶךְ אֵלְכָה נָּא וַאֲשַׁלֵּם
אֶת-נִדְרִי אֲשֶׁר-נָדַרְתִּי לַיהוָה בְּחֶבְרוֹן׃

بمعنى : « وفي نهاية أربعين سنة ، قال أبشالوم للملك دَعْني فأذهبَ وأوفيَ نَذْري الذي نذرته للرب في حبرون » .

---

(١٠٧) أنظر سفر الأمثال ٦ : ٣١ .

(١٠٨) Kennedy, P. 245; Driver, P. 291.

(١٠٩) Kennedy, P. 261.

يعلق درايفر على هذا النص ويقول إن الرقم « أربعين سنة » لا يمكن أن يكون صحيحاً ، وأما الرقم الصحيح فهو « أربع سنوات » אַרְבַּע שָׁנִים . ويقول كنيدي إن هذا التحريف نتيجة خطأ في الكتابة . وجاء هذا التعديل أيضاً في ترجمة لوسيان وفي الترجمة السريانية (البشيطا)(١١٠) .

- الاصحاح ١٥ : الفقرة ٢٠ :

תְּמוֹל בּוֹאֶךָ וְהַיּוֹם אֲנוֹעֲךָ עִמָּנוּ לָלֶכֶת וַאֲנִי הוֹלֵךְ עַל אֲשֶׁר־הוֹלֵךְ שׁוּב וְהָשֵׁב אֶת־אַחֶיךָ עִמָּךְ חֶסֶד וֶאֱמֶת׃

بمعنى : « أمساً جئتَ واليوم أُتيهُكَ بالذهاب معنا ، وأنا أنطلقُ الى حيث أنطلق . ارجعْ ورجِّعْ إخوتك . الرحمة والحقُّ معك . » يرى النقاد أن نص هذه الفقرة مضطرب ، ولا بد أن يكون هناك كلام ناقص في النص . وقد ذهبوا مع الترجمة السبعينية التي أضافت ثلاث كلمات قبل عبارة חסד ואמת في نهاية الفقرة ، وبذلك يصبح النص بعد التعديل هكذا :

... שׁוּב וְהָשֵׁב אֶת־אַחֶיךָ עִמָּךְ (וַיהוָה יַעֲשֶׂה עִמְּךָ) חֶסֶד וֶאֱמֶת׃

بمعنى : « ارجع ورجِّع إخوتك معك ، (والرب يعمل معك) رحمة وحقاً » .

بإضافة الكلمات الثلاث بين القوسين(١١١) .

- الإصحاح ١٥ : الفقرة ٣٤ ، جاء فيها :

עַבְדְּךָ אֲנִי הַמֶּלֶךְ אֶהְיֶה بمعنى : « أنا أكون عبدك أيها الملك » .

يعلق درايفر على صياغة هذه الفقرة بقوله : إن الفصل بين كلمة אני وفعلها אהיה يجعل صياغة الجملة غير سليمة وغير متناسقة . لذلك فهو يؤيد التعديل الذي أدخله (إهرلتش Ehrlich) بأن استبدل بكلمة אני كلمة أخرى هي אדני (سيدي)(١١٢) .

---

(١١٠) Driver, P. 311; Kennedy, P. 263.

(١١١) Kennedy, P. 266; Driver, P. 314.

(١١٢) Driver, P. 317.

ـ الإصحاح ١٦ : الفقرة ١٥ ، جاء فيها :

וְכָל-הָעָם אִישׁ יִשְׂרָאֵל بمعنى : « وجميعُ الشعبِ رجالُ إسرائيل » .

يعلق درايفر على هذه العبارة ويقول : إن كلمة הָעָם (الشعب) زائدة وغير ضرورية ، علاوة على أنها غير موجودة في الترجمة السبعينية . كما يلاحظ من خلال الرواية أن عبارة כָּל-הָעָם (كل الشعب) جاءت مقترنة باسم داود . أما عبارة כָּל-אִישׁ יִשְׂרָאֵל (كل رجال اسرائيل) ، فجاءت مقترنة باسم أبشالوم . لذلك يرى درايفر أن كلمة הָעָם (الشعب) ، لا شك أنها جاءت خطأ من الفقرة ١٤ السابقة[١١٣] .

ـ الاصحاح ١٧ : الفقرة ٢٥ ، جاء فيها :

וַעֲמָשָׂא בֶן-אִישׁ וּשְׁמוֹ יִתְרָא הַיִּשְׂרְאֵלִי

بمعنى : « وكان عماسا ابن رجلٍ اسمُه يترا الإسرائيلي » .

يستغرب درايفر من تحريف النص هنا وتسمية (يترا) بالإسرائيلي ، إذ يجب أن يقرأ יִתְרָא הַיִּשְׁמְעֵאלִי (يترا الاسماعيلي) ، بدليل ما ورد في الفقرة ١٧ من الإصحاح الثاني في سفر أخبار الأيام الأول ، ونصها : « وأبيجايل ولدت عماسا ، وأبو عماسا يثرُ الإسماعيلي » ، وكذلك في الترجمة السبعينية (Cod. A.) . وهناك أدلة أخرى على أن بعض الاسماعيليين كانوا يعملون في خدمة داود ، ويمكن ملاحظة ذلك في (أخبار الأيام الأول ٢٧ : ٣٠) « وعلى الجِمَال أوبيل الاسماعيلي »[١١٤] .

وتستطرد الفقرة ٢٥ : .. אֲשֶׁר-בָּא אֶל-אֲבִיגַל
בַּת-נָחָשׁ אֲחוֹת צְרוּיָה אֵם יוֹאָב :

بمعنى : « .. الذي دخلَ الى أبيجايلَ بنتِ ناحاشَ أختِ صَرَوية أمِّ يوآب » . ويضيف درايفر في تعليقه على تحريف هذه الفقرة قائلاً : لقد جاء في أخبار الأيام الأول ٢ : ١٦ أن أبيجايل هي ابنة يسّى وأخت صروية (أم يوآب) وداود ؛ فكيف يمكن التوفيق بين الروايتين ؟

أما ويجال وبود فيريان أن عبارة בַּת-נָחָשׁ جاءت هنا بطريق الخطأ من בֶּן-נָחָשׁ في الفقرة ٢٧ .

---

(١١٣) Driver, P. 319.
(١١٤) ص ٣٢٦ .

إلا أن ويجال يقول : إذا كانت الكلمة صحيحة ، فربما يكون ناحاش هو الزوج الأول لوالدة داود ، أو ـ إذا كنا واثقين من أن ناحاش נחש هو اسم امرأة ـ تكون ناحاش في هذه الحالة زوجة ثانية ليسّى[115] .

ـ الاصحاح ١٨ : الفقرة ٢١ ، جاء فيها :

וַיִּשְׁתַּחוּ כוּשִׁי לְיוֹאָב וַיָּרֹץ׃

بمعنى : « .. فسجدَ كوشي ليوآبَ وركَضَ » .

جاء هذا النص بعد مقتل أبشالوم بن داود وفشل ثورته على أبيه فأمر يوآب قائد الجيش أحد جنوده الكوشيين أن يذهب إلى الملك داود ويخبره بمقتل أبشالوم .

يرى درايفر أن كلمة כושי (كوشي) هنا ، وفي أماكن ورودها في الفقرات : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٢ من هذا الاصحاح ، يجب أن تعدل لتصبح הכושי (الكوشي) ، لأن الإشارة هي لعبد كوشي (أو نوبي) معين من بين عبيد داود ، لا لشخص اسمه (كوشي) كما يفهم من النص الحالي[116] .

ـ الاصحاح ٢٣ : الفقرة ٢ :

هذا الاصحاح تضمن كلمات داود الأخيرة ، جاء في الفقرة ٢ :

רוּחַ יְהוָה דִּבֶּר־בִּי וּמִלָּתוֹ עַל־לְשׁוֹנִי׃

بمعنى : « روح الربّ كلمتني ، وكلمته على لساني » .

يقول درايفر في تعليقه على ورود كلمة ומלתו (وكلمته) : إن كلمة מלה ربما تكون آرامية ، وقد اقتصر استعمالها في اللغة العبرية على الشعر ، فهي ترد في المزامير (مز ١٩ : ٥ ، مز ١٣٩ : ٤) ، والأمثال (٢٣ : ٩) ، كما وردت ٣٤ مرة في سفر أيوب[117] .

ـ الاصحاح ٢٣ : الفقرة ٣ ، جاء فيها :

אָמַר אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל

---

(١١٥) Driver, P. 326.

(١١٦) ص ٣٣١ .

(١١٧) درايفر ص ٣٥٨ .

بمعنى : « قال إله إسرائيل » يقترح كثير من النقاد تعديل العبارة لتصبح : אָמַר אֱלֹהֵי יַעֲקֹב أي : « قال إله يعقوب » ، وذلك بالمقارنة مع الفقرة الأولى ، والجزء الأخير من الفقرة ٣ . من هؤلاء النقاد : سميث ، بود ، نواك ، دوم ، بالإضافة الى ترجمة لوسيان اليونانية(١١٨) .

ـ الاصحاح ٢٣ : الفقرة ٨ ، جاء في أسماء أبطال داود :

יֹשֵׁב בַּשֶּׁבֶת תַּחְכְּמֹנִי يُوشيب بَشَّبُتُ التَّحْكَمُوني . يقول كنيدي إن هذه الأسماء محرفة ، أما الاسم الأول فهو تحريف لاسم אִישׁ-בֹּשֶׁת (إيشبوشيث) ـ كما تقول الترجمة السبعينية ـ واسم إيشبوشيث في الأساس هو אֶשְׁבַּעַל (إشبعل) .

أما الاسم الآخر תַּחְכְּמֹנִי (التحكموني) فهو تحريف لاسم הַחַכְמֹנִי (الحكموني) ، الوارد في (أخبار الأيام الأول ١١ : ١١ ؛ ٢٧ : ٣٢)(١١٩) .

ـ الاصحاح ٢٣ : الفقرة ٩ ، جاء فيها :

עִם-דָּוִד בְּחָרְפָם בַּפְּלִשְׁתִּים נֶאֶסְפוּ-שָׁם לַמִּלְחָמָה بمعنى : « .. مع داود حينما عيّروا الفلسطينيين الذين اجتمعوا هناك للحرب » .

يرى كنيدي وكذلك درايفر أن رواية سفر أخبار الأيام الأول ١١ : ١٣ بهذا الخصوص هي الأفضل ، لأنه ورد فيها اسم المكان الذي وقعت فيه المعركة ، وهو المكان الذي لم يذكر في الفقرة التي نحن بصددها .

أما رواية أخبار الأيام ١١ : ١٣ فهي : הוּא-הָיָה עִם-דָּוִיד בַּפַּס דַּמִּים וְהַפְּלִשְׁתִּים נֶאֶסְפוּ-שָׁם לַמִּלְחָמָה

بمعنى : « هو كان مع داود في فَسَّ دَمِّيم وقد اجتمع هناك الفلسطينيون للحرب »(١٢٠) .

يقول درايفر إن ذكر اسم المكان ضروري ، خاصة بعد ذكر كلمة שָׁם (هناك) في الفقرة(١٢١) .

ويقول كنيدي إن العبارة الأخيرة في الفقرة (٩) وهي וַיַּעֲלוּ אִישׁ יִשְׂרָאֵל بمعنى « وصَعِدَ رجالُ إسرائيل » ليست من هذه الفقرة ، وإنما تخص الفقرة (١٠) بعدها(١٢٢) .

---

(١١٨) درايفر ص ٣٥٨ .

(١١٩) كنيدي ، ص ٣٠٩ ؛ انظر : درايفر ، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

(١٢٠) جاء اسم هذا المكان في صموئيل الأول : (١٧ : ١) אֶפֶס דַּמִּים (أفس دميم) .

(١٢١) Driver, P. 365.

(١٢٢) Kennedy, P. 309.

ـ الاصحاح ٢٤ : الفقرة ١٠ ، جاء فيها :

וַיַּךְ לֵב־דָּוִד אֹתוֹ אַחֲרֵי־כֵן סָפַר אֶת־הָעָם

بمعنى : « وضرب داودَ قلبُه بعدما عدَّ الشعب » .

يـرى درايفـر وجـوب تعـديـل هـذا النص ـ كـما اقتـرح نـواك ، ودوم ـ ليصبـح ... ... אַחֲרֵי סָפַר אֶת־הָעָם « بعدما عـدَّ الشعب » ، بدون כֵן ، وهـو التركيب الصحيـح للكلمة كما يظهر في (اصم ٥ : ٩) . وعلى ما يظهر ، فإن אחרי־כן كتبت خطأ من قبل أحد الكتاب الذي لم يلاحظ الجملة التالية[١٢٣] .

ـ الاصحاح ٢٤ : الفقرة ١٣ ، جاء فيها :

וַיֹּאמֶר לוֹ הֲתָבוֹא לְךָ שֶׁבַע־שָׁנִים רָעָב בְּאַרְצֶךָ

بمعنى : « .. وقال له أتأتي عليك سبعُ سنيِّ جوعٍ في أرضك » .

جاء الرقم في الترجمة السبعينية وفي سفر أخبار الأيام الأول ٢١ : ١٢ שָׁלֹשׁ שָׁנִים « ثلاث سنين » ، بدلاً من שֶׁבַע שָׁנִים « سبع سنين » . يرى درايفر أن الرقم (ثلاثة) ربما يكون الرقم الأصلي الصحيح ، بدليل ذكره في نفس الفقرة : « ثلاثة أشهر » ، و « ثلاثة أيام »[١٢٤] .

ـ الاصحاح ٢٤ : الفقرة ٢٣ :

הַכֹּל נָתַן אֲרַוְנָה הַמֶּלֶךְ לַמֶּלֶךְ׃

بمعنى : « الكلُّ دفعه أرونةُ الملك [١٢٥] إلى الملك » .

يعلق درايفر على هذا النص بقوله : يبدو أنه استمرار لكلام أرونة في الفقرة ٢٢ السابقة ، ولكن لم تجر العادة عند اليهود أن يقدم الشخص نفسه ، في المحادثة العادية ، بصيغة ضمير الغائب . لذلك هناك بعض النقاد يرى أن عبارة עבד אדני (عبد سيدي) قد سقطت بعد كلمة ארונה (أرونة) . غير

(١٢٣) Driver, P. 375.

(١٢٤) درايفر ، ص ٣٧٦ .

(١٢٥) يبدو أن المقصود هنا هو « المالك » ، أي صاحب الشيء .

أن ويجال له رأي معقول في هذه المسألة وجدير بالتصديق ، فهو يرى أن كلمة לא בד قد سقطت من النص ، إلا أن كلمة אדנים هي تحريف لكلمة אדני ، وعلى ذلك يكون النص هكذا :

הַכֹּל נָתַן עֶבֶד אֲדֹנִי הַמֶּלֶךְ לַמֶּלֶךְ׃

بمعنى : « الكل دفعه عبد سيدي الملك الى الملك » .

ويؤيد هذا الرأي كل من بود ، نواك ، سميث ودوم ، الذين يقولون إن العبارة بهذا الشكل تبدو طبيعية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الظروف التي قيلت فيها[١٢٦] .

●●●

ثانياً : سفرا الملوك الأول والثاني :

١ ـ أصـل التسمية :

كـان السفـران في الأصـل العبـري سفـرا واحـدا كسفـر صمـوئيـل ، يـطلق عليـه اسم מלכים « الملوك » ، وقد سمي بذلك لاهتمامه بالملوك والحديث عنهم . ويشكل هذا السفر في العهد القديم السفر الرابع من أسفار الأنبياء المتقدمين נביאים ראשונים Former Prophets، بعد أسفار يشوع ، القضاة وصموئيل . كما أنه يعتبر ـ منطقياً ـ استمراراً لسفر صموئيل .

أما الترجمة السبعينية فقد قسمت سفر الملوك الى قسمين ، وأطلقت على القسم الأول منها سفر الممالك الثالث ، وعلى الثاني سفر الممالك الرابع ، باعتبار أن سفر صموئيل الأول في هذه الترجمة اسمه الممالـك الأول ، وسفر صموئيل الثاني اسمه الممالك الثاني .

أما الترجمة اللاتينية (الفولجاتا Vulgate) فقد اتبع فيها مترجمها (جيروم) نفس التقسيم المتبع في الترجمة السبعينية ، الا أنه سمىّ الأسفار (أسفار الملوك) بدلاً من (أسفار الممالك) .

ولم تعرف العبرية هذا النوع من التقسيم إلا في وقت متأخر ـ عام ١٤٤٨ ـ الا أن التقسيم المتبع حالياً في العهد القديم بالنسبة لهذه الأسفار ، جاء في النسخة العبرية التي نشرها لأول مرة دانيال بومبيرج في البندقية عام ١٥١٧ ـ ١٥١٨ ، ومن ثم اتبع هذا التقسيم في جميع الطبعات المتعاقبة[١٢٧] .

---

(١٢٦) درايفر ، ص ٣٧٩ .

(١٢٧) Hastings, Dictionary of the Bible,PP.554-555; Oesterley & Robinson,P.85; Bentzen, P.96; Eissfeldt,P.268.

٢ ـ محتويات السفرين :

يحتوي السفران تأريخ المدة التي تقع بين سنيّ ملك داود الأخيرة وسقوط أورشليم ـ من ٩٧٠ ـ ٥٨٦ ق.م تقريباً ـ وينتهيان بإطلاق يهوياكين من سجنه في بابل عام ٥٦١ ق.م على يد أويل مردوخ .

هذا التاريخ يقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية :

أ ـ تاريخ حكم سليمان من ٩٧٠ ـ ٩٣٣ ق.م (الملوك الأول ص ٢ : ١٢ ـ ص ١١)[١٢٨]

ب) تاريخ مملكتي إسرائيل ويهوذا بعد انقسام المملكة الموحدة ، حتى سقوط المملكة الشمالية ، من ٩٣٣ ـ ٧٢١ ق.م (الملوك الأول ص ١٢ ـ الملوك الثاني ص ١٧) .

جـ) تاريخ مملكة يهوذا إعتباراً من حكم حزقيا وحتى سقوط المملكة ، من ٧٢١ ـ ٥٨٦ ق.م (وعلى وجه الدقة حتى إطلاق سراح يهوياكين من السجن في عام ٥٦١ ق.م)[١٢٩] .

الملـــوك الأول :

واذا ما عدنا الى السفرين ، فإن سفر الملوك الأول يحتوي على اثنين وعشرين اصحاحاً تندرج في فصلين كبيرين .

الأول : يتضمن سيرة سليمان الذي تولى الملك بعد أبيه داود بينما لا يزال داود حيا (الإصحاحات ١ ـ ١١) .

الثاني : يتضمن نبأ انقسام شعب إسرائيل إلى مملكتين ، بسبب سوء تصرف رحبعام بن سليمان . وتاريخ هاتين المملكتين يمتد حتى وفاة يهو شافاط ملك يهوذا ، (الاصحاحات ١٢ ـ ٢٢) .

ومن أهم أحداث هذا السفر أن سليمان دشّن حكمه بقتل كل من أخيه أدونيا ويوآب قائد جيش أبيه ، وعزل أبياثار الكاهن الأكبر (الاصحاح الثاني) ؛ وكذلك مصاهرة فرعون ملك مصر (الاصحاح الثالث) ، ثم نبأ مساعدة حيرام ملك صور لسليمان في بناء الهيكل بتزويده بخشب الأرز وخشب السرو والبنائين المهرة لإتمام البناء (ص ٥) . وتضمن الاصحاح التاسع خبر الحملة البحرية التي أرسلها سليمان إلى أوفير ، وقد جاء خبر زيارة ملكة سبأ لسليمان في الإصحاح العاشر ، وتضمن هذا الاصحاح أيضاً شيئاً عن حكمة سليمان وثروته . وجاء في الاصحاح الحادي عشر خبر أعدائه في الداخل والخارج ، كما ورد في هذا الاصحاح أن سليمان

---

(١٢٨) لان كثيرا من النقاد يعتبرون الاصحاح الأول والاصحاح الثاني حتى الفقرة ١١ من الملوك الأول ، تابعا لما جاء في سفر صموئيل الثاني ـ الاصحاحات من ٩ ـ ٢٠ .

(١٢٩) Oesterley & Robinson, P. 93; Pfeiffer, P.374.

لم يحتفظ باستقامته ، وأحب نساء كثيرات وغريبات مع ابنة فرعون ، من المؤابيين والعمونيين والأدوميين والصيدونيين والحثيين ، فكان له سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرّية ... فأزاغت نساؤه قلبه وأملنه الى اتباع آلهة غريبة في شيخوخته ، فلم يكن قلبه مخلصاً للرب ، وتبع عشتروت ، وملكوم ، وكموش ، ومولك ، فغضب الرب عليه(١٣٠) . ومع أننا ننقل هنا ما جاء في السفر لبيان محتوياته ، إلا أننا لا نتفق مع ما ذهب اليه كاتب السفر من أن سليمان عليه السلام سعى وراء عبادة الأوثان إرضاء لزوجاته الأجنبيات ، بل إننا لا نقبل أن يكون سليمان قد تزوج من هذه الزوجات وهن على كفرهن وعبادتهن للأوثان . إن إلصاق مثل هذه الافتراءات بحق نبي كريم ، يدل على أن الأيدي التي عملت على تحريف التوراة وتشويه صورة الأنبياء ـ وهم المعصومون ـ لم تكن تؤمن بنبوتهم ولا بعصمتهم .. فكيف يقولون إن الرب غضب على سليمان وهو الذي اختاره من بين عباده لحمل رسالته ... وهو المقصود بقوله تعالى : « نعم العبد إنه أوّاب » ، وقوله : « وإن له عندنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مآب »(١٣١) . وسنعود لمناقشة هذه الأقوال ، والرد عليها وبيان بطلانها فيما بعد .

ثم تنقسم المملكة (الاصحاحات ١٢ ـ ٢٢) الى مملكتين : جنوبية وعاصمتها أورشليم واسمها يهوذا وقوامها سبطا يهوذا وبنيامين ، وشمالية وعاصمتها شكيم ، واسمها اسرائيل وقوامها الأسباط الباقية(١٣٢) .

الملـــوك الثاني :

أما سفر الملوك الثاني فيحتوي على خمسة وعشرين إصحاحاً تندرج في فصلين كبيرين :

الأول : يتضمن تاريخاً متتابعاً لمملكتي إسرائيل ويهوذا حتى خراب مملكة إسرائيل وأسر الشعب على يد الأشوريين سنة ٧٢١ ق.م (الاصحاحات ١ ـ ١٧) .

الثاني : ويتضمن بقية تاريخ مملكة يهوذا حتى دمار أورشليم وأسر الشعب الى بابل على يد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م (الاصحاحات ١٨ ـ ٢٥) .

وأهم ما ورد في هذا السفر تمرد (ميشع) الذي ذكره الإصحاحان الأول والثالث ، إلا أنه اكتشف نصب تذكاري أقامه ميشع نفسه في (ديبان) وهي قرية في البلقاء بالأردن ، نقش عليه قصة تمرده وتحريره مملكته من سيادة دولة اسرائيل ، وانتصاراته واستيلائه على مواقع عديدة مما في أيدي بني اسرائيل في شرق الأردن .

ويعلق محمد عزة دروزة على رواية السفر وما جاء في النقش بقوله : إن النقش ـ الذي عرف (بنقش

---

(١٣٠) الملوك الأول ١١ : ٤ ـ ٩ .

(١٣١) سورة (ص) : ٣٠ ، ٤٠ .

(١٣٢) محمد عزة دروزة ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦

Pfeiffer, P. 374.

ميشع)[١٣٣] ـ يغاير ما ذكره الاصحاح الثالث من حيث السير والنتيجة .. كما يفيد أن الحرب بين ميشع ودولة اسرائيل كانت في عهد خليفة عمرى وابنه وهو آحاب ، وليس في عهد يورام بن آحاب ..

ثم يضيف : إن النقش أوثق لأنه دوّن في ظروف الحوادث ليكون تذكاراً للانتصار ، في حين أن السفر دوّن بعد السبي أي بعد الحوادث ببضع مئات من السنين ، بحيث يسوغ القول إن في روايته خلطاً أو غلطاً أو تحريفاً[١٣٤] .

ثم يأتي ذكر خراب مملكة اسرائيل على يد سرجون سنة ٧٢١ ق.م الذي سبى أهلها وأرسل مكانهم خلقاً من مملكته ، وأقام على البلاد والياً أشورياً . ثم يأتي بعد ذلك خراب أورشليم وهيكلها على يد نبوخذ نصر (بختنصر) الذي زحف عليها وقتل الملك وأبناءه ، ودمر المدينة وأسوارها وهيكلها ، وأحرقها بالنار ونهب خزائنها وأجلى عدداً من أهلها ... فكان ذلك نهاية دولة يهوذا أيضاً[١٣٥] .

٣ ـ مصادر السفرين :

من قراءتنا لمحتويات السفرين نجد أن الكاتب ـ أو الكتّاب ـ أشاروا في كلامهم الى العديد من المصادر التي استقوا منها مادة السفرين . وبامكاننا أن نلخص هذه المصادر فيما يلي : ـ

أ) أقدم مصدر من هذه المصادر كان سجلاً يحتوي على أحداث الفترة التي سبقت تأسيس الملكية مباشرة . وقد تضمن هذا السجل تاريخ جزء كبير من فترة حكم سليمان ، ومن المحتمل أنه كتب عند نهاية حكمه .

ب) المصدر الثاني هو « سفر أمور سليمان » ، وقد ذكر هذا المصدر بالاسم ، إذ جاء في (الملوك الأول ١١ : ٤١) ما يلي :

« وبقية أمور سليمان ، وكلُّ ما صنع ، وحكمتُه ، أما هي مكتوبة في سفر أمور سليمان » .

ويعلق أوسترلي وروبنسون على هذا المصدر بقولهما : إنه عبارة عن سرد لسيرة سليمان وترجمة لحياته الشخصية ، لذلك لم يكن هذا المصدر تاريخيا بالمعنى الدقيق . أما عن تاريخه ، فيمكن القول ، استنادا لطبيعة الروايات التي تنتمي اليه ، إنه لا يمكن أن يكون قد كتب بعد نهاية حكم سليمان بوقت طويل ، لذلك يمكن إرجاعه الى بداية القرن التاسع قبل الميلاد .[١٣٦] أما المواد التي تندرج تحت هذا المصدر فهي من سفر الملوك الأول مثل :ـ

---

(١٣٣) عثر على هذا النقش عام ١٨٦٨م ، وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس .

(١٣٤) تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(١٣٥) نفس المصدر ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩ .

(١٣٦) Oesterley & Robinson, PP. 94-95.

- زواج سليمان من ابنة فرعون مصر (ص ٣ : ١) .

- رؤيا سليمان في جبعون (ص ٣ : ٤ ـ ١٥) .

- حكم سليمان في شأن المرأتين والطفل الذي بقي حيا (٣ : ١٦ ـ ٢٨) . ويرى أوسترلي وروبنسون أن كاتب سيرة سليمان اختار هذه الرواية من مصدر أجنبي غريب ونسبها الى بطله ، لأن روايات مشابهة لهذه الرواية موجودة في الآداب الشرقية الأخرى .

- قوائم الرؤساء والمسئولين العاملين في خدمة سليمان (ص ٤ : ١ ـ ١٩) .

- الروايات بشأن معاهدة سليمان مع حيرام ملك صور ، والتحضير لبناء الهيكل ، ثم إتمام عملية بناء الهيكل والقصر الملكي . وافتتاح الهيكل والدعاء الذي رفعه سليمان بهذه المناسبة (اصحاحات ٥ ـ ٨) .

يقول أوسترلي وروبنسون في تعليقهما على هذه الروايات : إنها من صنع كتاب متأخرين ، ولكن يمكن الجزم بغير تردد أن نواتها كانت موجودة في (سفر أمور سليمان) .

- الرواية المتعلقة ببناء (القلعة Millo) (ص ٩ : ٢٣ ـ ٢٥) .

- حكمة سليمان وزيارة ملكة سبأ (ص ٩ : ٢٦ ـ ص ١٠ : ٢٩) .

- وأخيرا الرواية المتعلقة بملاحقة سليمان ليربعام لقتله ، حيث التجأ الأخير الى مصر وطلب حماية ملكها شيشق ، حتى موت سليمان (الاصحاح ١١ : ٤٠) .

جـ ، د) هذان المصدران يعتبران من أهم المصادر التي اعتمد عليها كتّاب سفري الملوك ، وقد جاء ذكرهما بالاسم وهما (سفر أخبار الأيام لملوك اسرائيل) « الملوك الأول ١٤ : ١٩ » ، و (سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا) « الملوك الأول ١٤ : ٢٩ » . ويجب أن لا نخلط بينهما وبين سفري أخبار الأيام القانونيين في العهد القديم ، اللذين كتبا فيما بعد .

وقد أشار المصدر الأول من المصدرين المذكورين الى يربعام ملك اسرائيل ، بينما أشار المصدر الثاني الى رحبعام ملك يهوذا ، مما يدل بوضوح على أن المصدرين يبدأ تاريخهما بعد انقسام المملكة الموحدة .

ويعلق أوسترلي وروبنسون على محتويات هذين المصدرين والصفات التي تميزهما بقولهما إنه ينبغي ملاحظة أن ما لدينا من المصدرين عبارة عن مقتطفات ، لذلك فإن الحكم على مكوناتها هو في الحقيقة من قبيل الحدس والتخمين .. إلا أن هناك شيئا واحدا يمكن الإشارة اليه بوضوح من خلال معرفتنا لصفات العديد من هذه المقتطفات ، وهو أن المصدرين لا يمكن أن يكونا سجلات أو وثائق رسمية ، حيث لا يحتويان على الحوليات المتعلقة بالمملكتين .

ولعل أفضل مثال على محتويات المصدرين المذكورين ما جاء في سفر الملوك الأول (١٢ : ٢ ـ ٢٠) من تعامل رحبعام مع يربعام وأتباعه ، الذين جاءوا يطلبون من رحبعام أن يخفف عنهم الضرائب التي كان قد فرضها أبوه سليمان . هنا نجد رواية حية وممتعة ، بعيدة عن كل ما تحتويه السجلات الرسمية ، وقد كتبت بأسلوب لا يمكن أن يخطر على بال كتبة هذه السجلات . إذن لا بد أن يكون المصدران قد كتبا من قبل أفراد معينين أدخلوا فيهما بعض ما حوته السجلات العامة من أحداث سياسية وأعمال قام بها الملك .

ويمكن ادراج النصوص التالية ضمن هذين المصدرين :

في سفر الملوك الأول :

(ص ١٢ : ٢ ـ ٢٠) ؛ (١٤ : ٢٥ ـ ٢٨ ، ٣٠) ؛ (١٥ : ١٦ ـ ٢٨) ؛ (١٦ : ٩ ، ١٠ ، ١٥ ـ ٢٢ ، ٣٤) ؛ (٢٢ : ٤٤ ، ٤٧ ـ ٥٠) .

في سفر الملوك الثاني

(ص ١ : ١) ؛ (٨ : ٢٠ ـ ٢٢) ؛ (١٠ : ٣٢ ـ ٣٣) ؛ (١١ : ١ ـ ٢٠) ؛ (١٢ : ١ ـ ١٩) ؛ (١٣ : ٧ ، ٢٢ ـ ٢٤) ؛ (١٤ : ٥ ، ٧ ، ٨ ـ ١٤ ، ٢٢) ؛ (١٥ : ٥ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٧) ؛ (١٦ : ٥ ـ ١٨) ؛ (١٧ : ٣ ـ ٦ ، ٢٤ ـ ٢٨) ؛ (١٨ : ٣ ـ ٤ ، ٨ ، ١٤ ـ ١٦) ؛ (٢١ : ٢٣ ـ ٢٤) ؛ (٢٣ : ٢٩ ـ ٣٠ ، ٣٣ ـ ٣٥) ؛ (٢٤ : ١ ، ٢ ، ٧) .

أما تاريخ تأليف هذين المصدرين في شكلهما المتكامل فيرجع الى أزمان مختلفة .. فبالنسبة لمصدر (سفر أخبار الأيام لملوك اسرائيل) ، فإن كاتب سفري الملوك لا يشير الى العمل الأساسي الذي استقى منه مادته عندما تكلم عن حكم هوشع ـ وهو الحكم الوحيد الذي لم يذكر في المصدر السابق ـ إذن فإنه يبدو واضحا أن هذا المصدر كان قد انتهى واكتمل قبل حكم هوشع ، وأن هناك إضافات ضئيلة فقط ضمت اليه من قبل كاتب آخر .

يتبين من ذلك أن تاريخ هذا المصدر يرجع الى نهاية القرن الثامن ق . م . تقريبا .

أما مصدر (سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا) ، فانه يغطي الفترة حتى ما قبل السبي البابلي بقليل ، إذن لا بد أن يكون قد اكتمل عند نهاية القرن السابع ق . م . وهنا أيضا من المحتمل أن يكون قد أضيف اليه بعض المواد في وقت متأخر[١٣٧] .

هـ) المصدر الخامس هو مصدر « أمور أحآب » ، وقد اعتبره أوسترلي وروبنسون مصدرا مستقلا

---

(١٣٧) Oesterley & Robinson, PP. 95-97.

بالرغم من أن معظم النقاد لم يذهبوا الى ذلك ، وهذا المصدر يختص بالملك أحآب ، ولكنه لا يتحدث عن الملك شخصيا ـ كما هو الحال في « سفر أمور سليمان » الذي يتحدث عن سليمان وسيرته الشخصية ـ وإنما يروى الأحداث التي حصلت في أيامه وخاصة معاركه ضد الآراميين .. لذلك يمكننا أن نعتبر هذا المصدر تاريخيا .

أما ما يندرج تحت هذا المصدر في سفر الملوك الأول فنجده في (الاصحاح ٢٠) ، و (الاصحاح ٢٢ : ١ ـ ٤٠) .

وقد توفي أحآب حوالي عام ٨٥٣ ق . م ، ولما كانت تفاصيل الروايات المتعلقة بحروبه مع الآراميين قد كتبت بعد وفاته بوقت قصير ، إذن يمكننا أن نعتبر أن هذا المصدر يرجع تاريخه الى الجزء الأخير من القرن التاسع ق . م[١٣٨] .

و) المصدر السادس هو « روايات إيليا » التي نجد مقتطفات منها في سفر الملوك الأول (ص ١٧) ، (ص ١٨) ، (ص ١٩ : ١ ـ ١٨) ، (ص ٢١) . وفي سفر الملوك الثاني (الاصحاح الأول) . وعلى غرار جميع المصادر ، فقد تعرض هذا المصدر أيضا لإعادة صياغته على أيدي كتّاب لاحقين ليوافق أغراضهم ووجهات نظرهم . وتعد الرواية التي تضمنها الاصحاح ١٨ أطول هذه الرويات ، وهي تتحدث عن تحدي إيليا « لأنبياء البعل » عندما جمعهم على جبل الكرمل وتغلب عليهم ثم دبحهم . وعلى الرغم مما في هذه القصة من خيال ومبالغة ، شأنها شأن القصص الروائي ، إلا أنها تضمنت حقائق تاريخية . كذلك فان قصة إيليا مع أحآب الذي دبرت زوجته إيزابل مقتل نابوت اليزرعيلي للاستيلاء على كرمه ، تحمل في طياتها حقائق تاريخية . وقد جاءت هذه القصة مبسوطة في الاصحاح ٢١ .

ويغلب على مصدر « روايات إيليا » ، بصورة عامة ، الطابع الشخصي .[١٣٩]

ز) المصدر السابع هو « روايات أليشع »[١٤٠] ، وهو يشبه المصدر السابق في مكوناته ، ويحتل جزءا لا بأس به في سفر الملوك الثاني وهذه الروايات عبارة عن قصص شعبية ليس لها قيمة تاريخية كروايات إيليا .

من المحتمل أن روايات إيليا وأليشع جاءت من مصدر واحد كما يرى الكثير من النقاد ، غير أن هناك حقيقتين تعترضان هذا الرأي :

١ ـ إن روايات إيليا تمتاز عن روايات أليشع بمستواها الرفيع سواء في الشكل أو المضمون .

٢ ـ إن روايات أليشع جاءت غير مرتبة أو منظمة ، بعكس الروايات الأخرى التي تختص بإيليا .

---

(١٣٨) نفس المرجع ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(١٣٩) المرجع السابق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ . ويسمى « إيليا » في القرآن الكريم « الياس » .

(١٤٠) يسمى « أليشع » في القرآن الكريم « اليسع » .

أما المواد التي يمكن إدراجها تحت هذا المصدر فهي كما يلي :ـ

الملوك الأول : (١٩ : ١٩ ـ ٢١) ؛ الملوك الثاني (ص ٢) ؛ (ص ٣) ؛ (الاصحاحات ٤ ـ ٧) ؛ (ص ٨ : ٧ ـ ١٥) ؛ (ص ٩ ، ١٠) ؛ (ص ١٣ : ١٤ ـ ٢١)[١٤١] .

ح) المصدر الثامن والأخير هو « روايات إشعيا » التي جاءت مبسوطة في الملوك الثاني (من ص ١٨ : ١٣) وحتى (ص ٢٠ : ١٩) ، باستثناء الفقرات ١٤ ـ ١٦ من الاصحاح ١٨ ـ . وقد جاءت هذه الروايات بنصها الكامل في سفر إشعيا ـ (الاصحاحات ٣٦ ـ ٣٩) . غير أنه عند الحديث عن إشعيا في هذه الروايات ، فإنه يشار اليه بصيغة ضمير الغائب .. هذه الحقيقة تدل بوضوح على أن تلك الروايات لم يكتبها إشعيا بنفسه . إلا أنه كانت هناك بالتأكيد مجموعة من الروايات تشرح الأحداث التي حصلت أيام إشعيا .. يتضح ذلك مما ذكر في الاصحاحين (٧ ، ١٠) من سفر إشعيا . ومهما يكن من أمر فإن هذا المصدر كان أمام كاتب سفر الملوك عند كتابته .

أما تاريخ المصدر المذكور فيرجع الى نهاية القرن التاسع على وجة التقريب .

هذه هي المصادر الثمانية التي صيغ منها سفرا الملوك الأول والثاني . ومع ذلك ، هناك أجزاء كبيرة في السفرين ، لم تأت عن طريق المصادر المذكورة[١٤٢] .

٤ ـ تأليف السفرين :

بموجب رواية التلمود[١٤٣] فان الذي كتب سفري الملوك هو إرميا . ولعل سبب هذا الرأي الشبه القوى بين هذين السفرين وسفر إرميا في الإنشاء وأسلوب الكتابة ، ولأنه ورد في ارميا (ص ٣٩ ـ ٤٢ و ص ٥٢) تكرار أجزاء من سفر الملوك الثاني (ص ٢٤ ـ ٢٥) .

ويعلق (بنتزن) على رواية التلمود بقوله : إن هذه الرواية لا يعتدّ بها ولا يمكن قبولها لأنها لا تنطبق على السفرين في نصها الحاضر . وقد يكون إرميا قد عاش بما فيه الكفاية واستفاد من المصادر والسجلات المختلفة ، غير أنه يبعد عن الاحتمال أن يكون قد عاش حتى انتهى من تأليف السفرين . وعلى الرغم من أننا لا نعلم تاريخ وفاته ، إلا أنه كان من نفس جيل الملك يوشيا تقريبا الذي ولد حوالي عام ٦٤٨ ق . م .

ولما كان سفر الملوك يتحدث عن إطلاق سراح يهوياكين من السجن عام ٥٦١ ق . م ، إذن من المفترض أن يكون إرميا قد بلغ التسعين عاما حتى يمكن القول إنه أرخ أحداث تلك الفترة . ولكن يمكننا أن نجزم بأن

---

(١٤١) Oesterley & Robinson, PP. 99-101.
(١٤٢) Oesterley & Robinson, PP. 101-102.
(١٤٣) Baba bathra 15 a

روايات التلمود فيما يتعلق بتأليف السفرين غير موثوقة في معظم الحالات الأخرى(١٤٤) .

كما يعلق القس سيكل سيل على رواية التلمود بقوله : إن هذا الرأي غير راجح ، ولا ينطبق على السفرين في نصهما الحاضر ، فإن إرميا الذي ابتدأت خدمته النبوية في السنة الثالثة عشرة من ملك يوشيا(١٤٥) ، أي حوالي سنة ٦٢٧ ق . م يبعد عن الاحتمال أن يكون قد عاش الى ما بعد سنة ٥٦١ ق . م .(١٤٦)

ويقول معظم النقاد إن مؤلف سفري الملوك ينتمي الى مدرسة التثنية ، لأن الروايات التاريخية في السفرين كتبت تحت تأثير النظرية الدينية التي تقول إن من يتمسك بأوامر الله ينجو وتحسن حاله (الملوك الثاني ص ١٨ : ٥ ـ ٧) ، بينما الخروج على أوامره ، أي الخروج على التثنية (أو الشريعة) تكون عاقبته وخيمة (الملوك الثاني ص ١٧ و ص ١٨) .

ومن هذا المفهوم فإن سقوط المملكة الشمالية كان بسبب الاستمرار في تحدى الديانة الحقيقية ، كما أن تدمير أورشليم ونهاية المملكة الجنوبية كان مصيرا محتوما بسبب الخطيئة التي ارتكبها منسّى والشر الذي عمله في عيني الرب وبنائه المرتفعات والمعابد للآلهة الوثنية وعبادته لها (الملوك الثاني ص ٢١)(١٤٧) .

ولكن تبين أخيرا أن هناك اثنين من علماء التثنية قاما بهذا العمل ، أحدهما قبل السبي البابلي ، والآخر أثناء السبي ، حيث قام الكاتب الأخير بتكملة ما بدأه الأول ، واستمر في تأريخ الأحداث حتى تاريخ إطلاق سراح يهوياكين من السجن عام ٥٦١ ق . م ثم وفاته(١٤٨) .

٥ ـ تاريخ كتابة السفرين :

إنه من الواضح أن سفري الملوك في شكلهما الحالي ، لا يمكن أن يكونا قد كتبا قبل تحرير يهوياكين من السجن عام ٥٦١ ق . م ، تلك الحادثة التي جاءت مروية في آخر سفر الملوك الثاني (ص ٢٥ : ٢٧ ـ ٣٠) . ولكن (كونين A. Kuenen) و (وايلد بور G. Wilde boer) ، ومعظم النقاد المتأخرين يرون أن السفرين كتبا في الأصل حوالي عام ٦٠٠ ق . م ، ثم أعيد تحريرهما مع بعض الإضافات بعد نصف قرن من هذا التاريخ .

أما الاختلاف الرئيسي بين النسخة الأصلية وتلك التي أعيد تحريرها ، فهو أن النسخة الأولى لا تذكر شيئا عن تدمير أورشليم في عام ٥٨٦ ق . م ، أو عن السبي البابلي ، بينما نجد إشارات وتلميحات واضحة لهذه

---

(١٤٤) Bentzen, P. 97.

(١٤٥) ارميا ص ١ : ١ .

(١٤٦) سيكل سيل ، المرشد الى الكتاب المقدس ، مكتبة المشعل الانجيلية ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ٩٥ .

(١٤٧) Hastings, Book of Kings, P.556, Pfeiffer, PP. 379-381.

(١٤٨) Pfeiffer, PP. 410-411, Hastings, P.557.

الأحداث في النسخة الثانية . كما أن المؤلف الأصلي يعترف بأن عبادة (يهوه) في الأماكن المرتفعة خارج أورشليم كانت شرعية قبل بناء هيكل سليمان (الملوك الأول ٣ : ٢) . وعلى العكس من ذلك فإن محرر النسخة الثانية يدين سليمان لأنه كان يذبح القرابين في المرتفعات في جبعون (الملوك الأول ص ٣ : ٣ ـ ٤).

أما تاريخ كتابة النسخة الأصلية فيقع في الفترة بين إصلاح يوشيا الذي تم عام ٦٢١ ق . م عندما اكتشف سفر التثنية ، وتدمير أورشليم عام ٥٨٦ ق . م . لأن الهيكل كان ما يزال قائما زمن الكاتب (الملوك الأول ٨ : ٨) ، ولأن أسرة داود لم تكن قد انتهت بالكلية في عام ٥٨٦ (الملوك الأول ٩ : ٢١ ؛ ١٢ : ١٩ ؛ الملوك الثاني ٨ : ١٩ ، ٢٢ ؛ ١٦ : ٦ ؛ ١٧ : ٤١) .

وقد أعيد تحرير هذه النسخة من قبل أحد رجال مدرسة التثنية خلال الفترة الممتدة بين ٥٦١ ق . م وانتصار قورش على بابل عام ٥٣٨ ق . م (وهذا التاريخ الأخير لم يكن معروفا من قبل المحرر) وهي السنة التي انتهى فيها السبي . وبالإمكان تحديد التاريخ الذي قام فيه ذلك المحرر بالعمل بعام ٥٥٠ ق . م[١٤٩]

ومع ذلك فقد أضيفت الى السفرين بعض الإضافات في وقت لاحق ،[١٥٠] واكتسبا وضعهما القانوني عام ٢٠٠ ق . م ليشكلا مع أسفار (يشوع ، والقضاة ، وصموئيل) الأسفار القانونية للأنبياء المتقدمين . وقد شملت الفترة التي أرخ لها سفرا الملوك حوالي أربعة قرون ونصف[١٥١] .

٦ ـ أسلوب السفرين ولغتهما :

لما كانت الروايات التي تشكل مادة سفري الملوك الأول والثاني ، قد انحدرت من مصادر متعددة ـ كما بينا فيما سبق ـ وحيث إن تلك المادة كتبت في أزمنة مختلفة ، وبالتالي جاءت صياغتها مختلفة تبعا لليد التي كتبتها ، لذلك فان الأساليب وطرق الكتابة جاءت مختلفة أيضا ومتفاوتة الجودة عند تدوين تلك الروايات . وفي بعض الحالات ذكرت الرواية مطولة مسهبة ، وفي حالات أخرى وردت موجزة . فمثلا الروايات المتعلقة بحكم سليمان غطت حوالي أحد عشر اصحاحا ـ حوالي ربع حجم سفري الملوك ـ بينما رواية حكم منسّى ـ وكان حكمه أطول من حكم سليمان ـ لم تستغرق أكثر من ست عشرة فقرة .

ولما كان السفران يحتويان على روايات تاريخية ، وأخرى تتناول قصص الأنبياء ، وأكثرها إسهابا قصص إيليا وأليشع وإشعياء ، فان أسلوب الرواية في كل منها يختلف عن الأسلوب في الرواية الأخرى . كما أن واحدا من كتبة مدرسة التثنية ، طبع السفرين بطابع ومميزات تلك المدرسة ، عندما أعاد تحريرهما ، فكان أسلوبه الديني واضحا في المواضع التي نقحها أو أضافها على مادة السفرين .

---

(١٤٩) Peiffer, PP. 377-378, 410.

(١٥٠) Hastings, P. 556.

(١٥١) Pfeiffer, P. 412.

وسنذكر فيما يلي بعض الأمثلة لتوضيح أسلوب السفرين :

ـ الاصحاحان الأول والثاني من سفر الملوك الأول يشكلان مقدمة مناسبة للروايات المتعلقة بحكم سليمان التي ضمتها الإصحاحات ٣ ـ ١١ . غير أن الرواية في هذين الاصحاحين تعتبر تكملة وتابعة لتاريخ داود أكثر من أن تكون تابعة لتاريخ سليمان ، على الرغم من أنها تتحدث عن تنصيب سليمان .

إن الرواية هنا استمرار لما جاء في الاصحاحات ٩ ـ ٢٠ من سفر صموئيل الثاني ، وهي تتحدث عن أسرة داود والشئون المتعلقة ببلاطه الملكي . إن هذين الاصحاحين ـ كالاصحاحات السابقة ـ يعتبران من أفضل الكتابات التاريخية التي وصلت الينا في اللغة العبرية . إن الرواية فيهما مفعمة بالحيوية والحركة . أما الأسلوب فهو شفاف نابض بالحياة ينم عن كاتب يتميز بصفاء التفكير ووضوحه .. إنه يدع الحقائق تتحدث عن نفسها .. لقد كان أسلوب الكاتب بارعا ، لدرجة أن النقاد المحدثين بالكاد يستطيعون اكتشاف أدلة على نزعة الكاتب واتجاهه ، عن طريق القراءة المتعمقة بين السطور(١٥٢) .

ويقول (سكنر) هناك بعض الشبه بين أسلوب هذين الاصحاحين ، وأسلوب الاصحاح الثاني عشر من سفر الملوك الأول المتضمن انشقاق القبائل الشمالية بقيادة يربعام وتمردهم على رحبعام بن سليمان ، حيث يظهر أن كاتب هذا الاصحاح كان عارفا بأسلوب الاصحاحين المذكورين فاقتبسه في عمله(١٥٣) . إن مؤلف قصة الاصحاحين كان متعصبا لداود ، لذلك فهما عبارة عن مديح له ، ولا بد أن يكون مؤلفهما أحد أعضاء البلاط الملكي . وعلى الرغم من أن هذا المؤلف غير معروف ، الا أن البعض يظن أنه كان أبياثار الكاهن الذي كتب الاصحاحين بأسلوب رفيع(١٥٤) .

ـ الروايات التي جاءت من مصدر « سفر أمور سليمان » كانت عبارة عن تسجيل سيرة سليمان وأعماله وحكمته . هذا العمل اعتمد بصورة جزئية على الحوليات الرسمية وسجلات الهيكل ، بالاضافة الى القصص الشعبي وما أضافه الكاتب من مخيلته .

إن الأسلوب الذي كتبت به تلك الروايات يختلف عن أسلوب ولغة كتاب مدرسة التثنية . إذ إن الروايات المذكورة ، عند اقتباسها من هذا المصدر ، جاءت بأسلوب غير مترابط ، خاصة عند وصف عظمة سليمان وحكمته ، وعند وصف بناء الهيكل وغيره من المباني .

واذا ما تعرضنا لجزء من هذه الروايات ، ونعني به المتعلق بالمباني الفخمة التي أقامها سليمان في أورشليم

---

(١٥٢) Skinner, Kings, Introduction, Revised Version with Notes, Index and Map, The Century Bible, Thomas Nelson & Sons Ltd., London P. 57.

(١٥٣) Skinner P. 27.

(١٥٤) Hastings P. 555.

وغيرها ، والذي يغطي الاصحاحات (٥ : ١ ـ ص ٩ : ٢٥) (في النص العبري الاصحاحات ٥ : ١٥ ـ ص ٩ : ٢٥) ، نجد أن نص هذا الجزء يعتبر من أكثر النصوص تعقيدا في العهد القديم . أولا لأن كتبة هذا الجزء فشلوا في فهم المصطلحات الهندسية والأوصاف المبهمة الغامضة التي أطلقها المؤلف الأصلي على هذه المباني ، ذلك المؤلف الذي لم يكن مهندسا ، حتى يستعمل المصطلحات المناسبة في هذا المجال ، كما أنه لم يكن أيضا كاتبا ماهرا ، حتى يستطيع التعبير بأسلوب واضح عما يريد . لذلك جاء النص مشوها ومحرفا بدرجة كبيرة .

وثانيا لأن النص تعرض لإضافات وتعديلات كثيرة . فقد كان الهيكل وما به من أثاث وزخارف ، موضع اهتمام غير عادي في فترة ما بعد السبي . فبعد تدمير الهيكل عام ٥٨٦ ق . م ، كان الكتاب والمحررون ميالين لإضفاء أوصاف على الهيكل الأول في كتاباتهم ، وجعله مطابقا ومماثلا ـ بقدر الامكان ـ للهيكل الثاني الذي انتهى بناؤه عام ٥١٦ ق . م . والذي كان معروفا لديهم أكثر من الهيكل الأول . إلا أن الأوصاف التي تخيلها حزقيال لهيكل المستقبل المثالي ـ تلك الأوصاف التي وردت في سفر حزقيال (اصحاحات ٤٠ ـ ٤٣) ـ جاءت معبرة عن أسلوب رفيع شفاف ، وفكر صاف ، ومهارة لغوية ، تفوق فيها على أسلوب الكاتب الذي وصف هيكل سليمان في سفر الملوك الأول ، كما أنه أعطى فكرة عن هذا الهيكل أفضل مما أعطى كاتب سفر أخبار الأيام الثاني (ص ١ : ١٣ ـ ص ٧ : ٢٢) الذي اقتبس رواية سفر الملوك[١٥٥] .

ـ عند إعادة تحرير سفري الملوك ، كانت لغة مدرسة التثنية وأسلوبها هما السائدين . إن التعصب الديني لإصلاح الملك يوشيا ، الذي قام على اكتشاف سفر الشريعة (أو التثنية) سنة ٦٢١ ق . م ، وحماسته في الدفاع عن التعاليم الواردة فيه ، كان مهيمنا ومسيطرا على فكر المؤلف ، لذلك جاءت لغته وأسلوبه مطبوعين بهذا الطابع الديني بشكل واسع وشامل . وكان هدفه أن يقدم بيانا لا عن التاريخ السياسي للشعب ، بل عن الطرق والأساليب التي تغلب فيها الدين على التاريخ .

لذلك نلاحظ أنه أغفل بعض الحوادث الهامة مثل حرب أحآب مع شلمناصر ، لأنها لم تكن في نظره ذات قيمة ، إذ لم يكن لها علاقة مباشرة بمسلك الملك والشعب حيال الله . كذلك أوجز في تعليقه على حروب يربعام الثاني وخلاصه السياسي ، بحيث لم يخصص لها أكثر من ثلاثة سطور ، بينما أسهب كثيرا في وصف سيرة ملوك آخرين مثل أحآب وحزقيا ، وذلك لأن أعمالهم ـ صالحة كانت أم سيئة ـ كان لها قدرها من الناحية الدينية ، وعلى العموم كان المؤلف يقصد بشكل واضح أن يبرهن على أن طاعة شريعة التثنية تجلب النجاح والعكس بالعكس[١٥٦] .

ويعلق سكنر على الروايات التي جاءت مسهبة مطولة بقوله : إن أسلوب هذه الروايات وملامحها الأدبية

---

(١٥٥) Pfeiffer PP. 383, 385.

(١٥٦) Pfeiffer PP. 377—381.

جاءت مختلفة بين رواية وأخرى ، بحيث يمكننا القول إن هذا التفاوت والاختلاف يبرهن على أنها كتبت في الأصل من قبل مؤلفين مختلفين ، وتحت ظروف متنوعة . كما أن ذلك يدل على أن تلك الروايات مرت بين يدي الكاتب الأخير وأدمجت من قبله في السفرين . ومن المهم أيضا ملاحظة أدوات الربط والوصل بين هذه الروايات وبين النصوص التي مصدرها الحوليات والسجلات الرسمية .. إن تلك الأدوات جاءت بطريقة تجعل من المؤكد أنها من عمل هذا الكاتب ـ أو المحرر ـ بغرض دمج العناصر المختلفة لتشكل عملا موحدا[١٥٧] .

إن لغة وأسلوب ومميزات مدرسة التثنية طبعت الكثير من النصوص في سفري الملوك بطابعها ، إننا نجد عبارات واصطلاحات معينة ، وأشكالا من الكلام اختصت بها تلك المدرسة ، مبثوتة في أنحاء متفرقة من السفرين . وعلى الرغم من أن هذه الأساليب والأشكال اللغوية غير موجودة في سفر التثنية نفسه ، الا أنها تحمل صفات ومميزات الأساليب المعروفة عن تلك المدرسة ، حتى مفرداتها اللغوية .

وقد أورد (درايفر)[١٥٨] وكذلك (بورني)[١٥٩] قائمة بالعبارات التي تضمنت اصطلاحات معينة ورد ذكرها في سفر الملوك واقتصر استعمالها على كتبة مدرسة التثنية ، وسنذكر فيما يلي بعض هذه العبارات والاصطلاحات ، لتوضيح الأسلوب الذي تميزت به هذه المدرسة .

ـ וְשָׁמַרְתָּ אֶת־מִשְׁמֶרֶת יְהוָה אֱלֹהֶיךָ

بمعنى : « احفظ شعائر الرب الهك » . (الملوك الأول ٢ : ٣) .

ـ לָלֶכֶת בִּדְרָכָיו بمعنى « إذ تسير في طرقه » (امل ٢ : ٣) .

ـ לִשְׁמֹר חֻקֹּתָיו מִצְוֹתָיו וּמִשְׁפָּטָיו וְעֵדְוֹתָיו

بمعنى « وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته » (امل ٢ : ٣) .

ـ לְמַעַן תַּשְׂכִּיל אֵת כָּל־אֲשֶׁר תַּעֲשֶׂה

بمعنى : « لكي تفلح في كل ما تفعل » . (امل ٢ : ٣) .

ـ לְמַעַן יָקִים יְהוָה אֶת־דְּבָרוֹ

بمعنى : « لكي يقيم الربُّ كلامه » (امل ٢ : ٤) ؛ (امل ١٢ : ١٥) .

ـ בְּכָל־לְבָבָם (לב ,לבבו) וּבְכָל־נַפְשָׁם (נפש ,נפשו)

---

(١٥٧) Skinner PP. 26—27.

(١٥٨) S.R. Driver, Introduction To The O.T. PP. 200—202.

(١٥٩) C.F. Burney, Notes On The Books of Kings, Oxford, 1903, Introduction.

بمعنى : « من كل قلوبهم وكل أنفسهم » . (امل ٢ : ٤) ؛ (امل ٨ : ٤٨) .

— שֹׁמֵר הַבְּרִית וְהַחֶסֶד بمعنى « حافظ العهد والرحمة » (امل ٨ : ٢٣) .

— כַּיּוֹם הַזֶּה بمعنى : « كهذا اليوم » . (امل ٣ : ٦) .

— עַמְּךָ אֲשֶׁר בָּחָרְתָּ بمعنى : « شعبك الذي اخترته » . (امل ٣ : ٨) .

— הֵנִיחַ יְהוָה אֱלֹהַי לִי מִסָּבִיב

بمعنى : « أراحني الرب الهي من كل الجهات » (امل ٥ : ٤) [في النص العبري ص ٥ : ١٨]

— אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל אֵין־כָּמוֹךָ אֱלֹהִים בַּשָּׁמַיִם
מִמַּעַל וְעַל־הָאָרֶץ מִתָּחַת

بمعنى : « إله إسرائيل ليس إله مثلك في السماء من فوق ، ولا على الأرض من أسفل » . (امل ٨ : ٢٣) .

— אֲשֶׁר נָתַתָּ לַאֲבוֹתָם بمعنى : « التي أعطيتها لآبائهم » . (امل ٨ : ٣٤) .

— כָּל־הַיָּמִים אֲשֶׁר־הֵם חַיִּים עַל־פְּנֵי הָאֲדָמָה

بمعنى : « كل الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض » . (امل ٨ : ٤٠) .

— יָדְךָ הַחֲזָקָה וּזְרֹעֲךָ הַנְּטוּיָה

بمعنى : « يدُكَ القوية وذراعُكَ الممدودة » . (امل ٨ : ٤٢) .

— כָּל־עַמֵּי הָאָרֶץ بمعنى : « كل شعوب الأرض » (امل ٨ : ٤٣) .

— וְשָׁבוּ אֵלֶיךָ בְּכָל־לְבָבָם וּבְכָל־נַפְשָׁם

بمعنى : « ورجعوا إليك من كل قلوبهم ومن كل أنفسهم » . (امل ٨ : ٤٨) .

— כִּי־עַמְּךָ וְנַחֲלָתְךָ הֵם אֲשֶׁר הוֹצֵאתָ מִמִּצְרַיִם

بمعنى : « لأنهم شعبكَ وميراثكَ الذين أخرجْتَ من مصر » . (امل ٨ : ٥١) .

— כִּי יְהוָה הוּא הָאֱלֹהִים אֵין עוֹד

بمعنى : « .. أن الربَّ (يهوه) هو الله وليس آخَرُ » . (امل ٨ : ٦٠) .

— לָשׂוּם־שְׁמִי שָׁם بمعنى : « لأجل وضْع إسمي فيه » (امل ٩ : ٣) .

— לְמָשָׁל וְלִשְׁנִינָה בְּכָל־הָעַמִּים

بمعنى : « .. مثلاً وهزأة في جميع الشعوب » . (امل ٩ : ٧) .

- לַעֲשָׂה הָרַע בְּעֵינֵי יְהוָה بمعنى « وعمل الشر في عيني الرب » (امل ١١ : ٦) .

- וְלֹא מִלֵּא אַחֲרֵי יְהוָה بمعنى « ولم يَتْبع الربَّ تماما » (امل ١١ : ٦) .

- וַיִּתְאַנַּף יְהוָה بمعنى : « فغضب الرب » . (امل ١١ : ٩) .

نكتفي بهذا القدر من المصطلحات والعبارات الواردة في سفري الملوك ، لنتعرف على الأسلوب الذي اتبعه كتّاب مدرسة التثنية عند إعادة تحرير السفرين .. وهناك اصطلاحات أخرى كثيرة ، إلا أن ما ذكرناه كاف لبيان الغرض المطلوب .

أما اللغة التي كتب بها السفران فهي اللغة العبرية ، وإن تراوحت مهارة الكتابة وحسن استعمال الأساليب اللغوية في هذه اللغة من شخص لآخر - فهناك نصوص في السفرين كتبت بأيـد برعت في فن الكتابة ، بينما توجد نصوص أخرى لم يكن لها من فنون اللغة حظ سابقتها ، كما أوضحنا فيما سبق .

٧ - الملاحظات اللغوية على إصحاحات سفر الملوك الأول :

يوجد في النص العبري لسفر الملوك الأول كثير من المشكلات اللغوية التي تتطلب الإشارة إليها والتعليق عليها .. وسوف لن أتعرض للمشكلات اللغوية الموجودة في سفر الملوك الثاني ، لخلوه من الروايات المتعلقة بسيرة كل من داود وسليمان .. كما أنني سأتخيّر الملاحظات التي تختص بالسفر الأول لاحتوائه على سيرتهما ، ومن ثم بيان التحريف الذي تعرض له السفر ، وكذلك توضيح ما اكتنف النص العبري للسفر من غموض أو اضطراب ، من خلال هذه الملاحظات .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة النقدية اللغوية على كتاب (بورني C.F.Burney) الذي قدم دراسة نقدية مفصلة للنص العبري لسفري الملوك في كتابه الذي أصدره عام ١٩٠٣ بعنوان : (Notes On The Hebrew Text of The Books of Kings) ، وكذلك كتاب البروفسور (سكنر Professor Skinner) ، الذي ضمنه أيضا ملاحظاته النقدية لسفري الملوك .

- الاصحاح الأول : الفقرة ٨ ، جاء فيها :

וְשִׁמְעִי וְרֵעִי ... أي : وشمعي وريعي .. ورد ذكر هذين الاسمين ضمن أسماء الأشخاص الذين لم يكونوا مع أدونيا بن داود عندما نصب نفسه ملكا في أواخر أيام داود ، بمؤازرة ومساعدة يوآب قائد جيش داود ، وأبياثار الكاهن .

يعلق بورني على ذكر هذين الاسمين هنا بقوله : لم يذكر اسما هذين الشخصين في أي مكان آخر على أن لهما مكانة أو مناصب ذات أهمية في بلاط أي من داود أو سليمان .. فلا שמעי (شمعي) ـ الذي كان أحد وكلاء سليمان الاثنى عشر الذين يمتارون للملك سليمان طوال أشهر السنة[١٦٠] ـ ولا شمعي بن جيرا البنياميني ، كانت لهما هذه الأهمية حتى يرد ذكرهما في هذا المقام . وما يقال عن شمعي يقال أيضا عن רעי (ريعي) . لذلك ربما كان النص محرفا .

وقد ذهب النقاد ، ومنهم (كلوستر من) و (لوسيان) ، إلى تعديل النص ليصبح וְשִׁמְעִי וְרֵעָיו ثم عدلوا الكلمة الأولى إلى שלמה ، وبذلك يكون الاقتراح النهائي للنص هو וּשְׁלֹמֹה וְרֵעָיו ، يؤيد ذلك سرد الأسماء الوارد في الفقرة (١٠) من نفس الاصحاح[١٦١] ، وهذا يدل على أن إخوة سليمان الآخرين أخذوا جانب أدونيا كما يظهر من الفقرة (١٩) التي جاء فيها : וַיִּקְרָא לְכָל־בְּנֵי הַמֶּלֶךְ : أي : « ودعا جميع بني الملك » .

أما ثيود وثيون فيرى تعديل النص كما يلي : וְחוּשַׁי רֵעֶה דָוִד (وحوشاي صديق داود) .[١٦٢]

ـ الاصحاح الاول : الفقرة ١٨ ، جاء فيها :

וְעַתָּה אֲדֹנִי הַמֶּלֶךְ לֹא יָדָעְתָּ

بمعنى : « والآن أنت يا سيدي الملك لا تعلم ذلك » .

يرى النقاد ، كما جاء في الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان اليونانية والفولجاتا اللاتينية والبشيطا والترجوم وغيرها ، تعديل كلمة ועתה (والآن) إلى וְאַתָּה (وأنت) ، لأن وجود الضمير (أنت) ضروري لتأكيد تغيير الموضوع في العبارة الثانية من الفقرة ، بمقابلته بما جاء في العبارة الاولى من نفس الفقرة ونصها : « والآن هوذا أدونيا قد مَلَكَ » .[١٦٣]

ـ الاصحاح الأول : الفقرة ٢٨ جاء فيها :

וַתָּבֹא לִפְנֵי הַמֶּלֶךְ וַתַּעֲמֹד לִפְנֵי הַמֶּלֶךְ :

---

(١٦٠) جاء في الملوك الأول ص ٤ : ٧ « وكان لسليمان اثنا عشر وكيلا على جميع اسرائيل يمتارون للملك وبيته . كان على الواحد أن يمتار شهرا في السنة » . وجاء في (امل ٤ : ١٨) ان شمعي بن أيلا كان يمتار للملك في بنيامين .

(١٦١) نص الفقرة هو : « وأما ناثان النبي وبناياهو والجبابرة وسليمان أخوه فلم يَدْعُهم » .

(١٦٢) Burney, PP. 4—5.

(١٦٣) Burney, PP. 6—7.

بمعنى : « فدخَلَتْ إلى أمام الملك ، ووقفَتْ بين يدي الملك » .

يتفق مع هذا النص ما جاء في الترجوم ، إلا أن الترجمة السبعينية والفولجاتا تعدلان النص هكذا :

וַתָּבֹא לְפָנָיו וַתַּעֲמֹד לִפְנֵי הַמֶּלֶךְ׃

بمعنى : « فدخلت إلى أمام الملك ، ووقفت بين يديه » .

أما البشيطا فتعدل النص هكذا :

וַתָּבֹא לִפְנֵי הַמֶּלֶךְ וַתַּעֲמֹד לְפָנָיו

بمعنى : « فدخلت إلى أمامه ، ووقفت بين يدي الملك » .

وكذلك ترجمة لوسيان تعدل النص هكذا :

וַתָּבֹא וַתַּעֲמֹד לִפְנֵי הַמֶּלֶךְ׃

بمعنى : « فدخلت ووقفت بين يدي الملك » .

ويعلق (بور ني) على هذه الآراء بقوله : إن التعديل غير المألوف الذي اقترحته (البشيطا) بأن أوردت كلمة לפניו قبل عبارة לפני המלך بدلا من أن يكون الوضع بعكس ذلك ، بالإضافة إلى عدم موافقة هذا التعديل مع ما جاء في الترجمة السبعينية والفولجاتا ، يدل على أن التعديلات الثلاثة المبينة فيما سبق هي مجرد محاولات لتعديل النص العبري الماسوري وما به من حشو لا لزوم له .

ويضيف قائلا إن التكرار الوارد في عبارة النص العبري ، هو بدون شك نتيجة خطأ من الكاتب ، حيث إن كلمة ותעמד لا بد أن تكون قد حذفت في الأصل ، ثم أضيفت في النهاية مع تكرار الكلمات الواردة بعدها . وهكذا فإن بورني يؤيد القراءة التي اقترحها لوسيان في تعديل هذا النص[١٦٤] .

ـ الاصحاح الاول : الفقرة ٣٦ جاء فيها :

כֵּן יֹאמַר יְהוָה אֱלֹהֵי אֲדֹנִי הַמֶּלֶךְ׃

بمعنى : « هكذا يقول الرب ، إله سيدي الملك . »

---

(١٦٤) ص ٨ .

يعلق سكنر على النص العبري لهذه الفقرة فيقول : إن هذا النص يؤدي معنى ضعيفا ـ ولابد أن يكون محرفا ـ أما النص الحقيقي فربما جاءنا عن طريق الترجمة السبعينية ومعناه فيها : « ليثبت الرب كلمات سيدي الملك » . وذلـك بتغيير عبـارة כֵּן יֹאמַר في النص العبرى إلى יַאֲמֵן وتغيـير كلمة אֱלֹהֵי إلى אֶת־דִּבְרֵי . فيكون النص العبري بعد هذا التعديل كما يلي :

יַאֲמֵן יְהוָה אֶת־דִּבְרֵי אֲדֹנִי הַמֶּלֶךְ .(١٦٥)

ـ الاصحاح الاول : الفقرة ٤٧ جاء فيها :

אֱלֹהֶיךָ « إلهكَ » . وردت هذه الكلمة عندما جاء عبيد الملك داود اليه مؤيدين بعد أن عين سليمان ملكا قبل وفاته ، فقالوا : « يجعل إلهك اسم سليمـان أحسن من اسمك وكـرسيه أعـظم من كرسيك » . إلا أن الترجمة السبعينية والفولجاتا وترجمة لوسيان والترجوم كلها ترى تعديل هذه الكلمة الى אֱלֹהִים « الله » .

ويرى بورني أن هذا التعديل هو الأفضل .(١٦٦)

ـ الاصحاح الأول : الفقرة ٤٨ جاء فيها :

אֲשֶׁר נָתַן הַיּוֹם יֹשֵׁב עַל־כִּסְאִי וְעֵינַי רֹאוֹת :

بمعنى : « .. الذي أعطاني اليومَ مَن يجلس على كرسيّ وعَيناي تُبصران . »

الترجمة السبعينيـة وترجمـة لوسيـان تضيفان كلمـة מִזַּרְעִי (من نسلي) بعـد كلمة הַיּוֹם (اليوم) ، وكذلك ترجمة ثيودوثيون وكلوستر من .

ويعلق بورني على هذا التعديل بقوله : إن الشعور بالسعادة في هذا الحدث لم يقتصر على حقيقة وجود خليفة لداود ، وهو أمر عادي ، ولكن في كون هذا الخليفة واحدا من أفراد عائلته ـ هو ابنه .

أما البشيطا والترجوم فتضيفان كلمة בֵּן (ابن) بعد كلمة הַיּוֹם . وعلى ما يبدو فإن ترجمتي البشيطـا والترجـوم جاءتـا من نص سقطت منـه كلمة מִזַּרְעִי كما حصل مـع النص الماسوري ، وهكذا شعرتا بأن الحاجة تتطلب مثل هذه الاضافة .(١٦٧)

---

(١٦٥) Skinner , Kings , P. 66 .
(١٦٦) Burney , P. 12 .
(١٦٧) Burney , P. 12 .

ـ الاصحاح الأول : الفقرة ٥٢ جاء فيها :

לֹא־יִפֹּל מִשַּׂעֲרָתוֹ אָרְצָה

بمعنى : « لايسقط من شَعره الى الأرض . »

يعلق بورني على هذه العبارة بقوله : إن كلمة מִשַּׂעֲרָתוֹ (من شعره) ربما تعني : « ابتداء من شعرة من شعره » . إن هذا الاستعمال لكلمة מִן (من) يطلق عليه « من » الزائدة وهو كثير الورود في اللغة العربية عندما تكون مسبوقة بإنكار شيء أو تحريم شيء أو إذا سبقت باستفهام بأداة (هل) مثل :

« مافرطنا في الكتاب من شيء » (الأنعام : ٣٨) .

« ما تَرى في خلق الرحمن من تفاوت » (الملك : ٣) .

« هل ترى من فطور » (الملك : ٣) .

وقد ورد هذا الاستعمال أيضا لكلمة « من » في سفر صموئيل الثاني ١٤ : ١١ ، وسفر صموئيل الاول ١٤ : ٤٥ .(١٦٨)

ـ الاصحاح الثاني : الفقرة ١٩ جاء فيها :

וַיִּשְׁתַּחוּ לָהּ بمعنى : « وسجَدَ لها » .

وردت هذه الفقرة عندما جاءت بت شيفع أم سليمان لتكلمه في طلب أدونيا إعطاءه أبيشج الشونمية امرأة « فقام الملك للقائها وسجد لها .. »

يقترح سكنر تعديل النص وفق ما جاء في الترجمة السبعينية ليصبح : « وقبلها » بدلا من « وسجد لها »(١٦٩) .

ـ الاصحاح الثاني : الفقرة ٢٥ جاء فيها :

וַיִּפְגַּע־בּוֹ וַיָּמֹת بمعنى : « فبطش به فمات » .

الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان تضيفان ما يلي الى هذا النص :

---

(١٦٨) Burney , PP. 12 — 13 .
(١٦٩) Skinner , P. 75.

אֲדֹנִיָּהוּ בַּיּוֹם הַהוּא بمعنى : « (فمات) أدونيا في نفس ذلك اليوم » .

وتضيف ترجمة ثيود وثيون وكلوستر من الجملة الأخيرة مع حذف اسم أدونيا . (١٧٠)

ـ الاصحاح الثاني : الفقرة ٢٦ جاء فيها :

כִּי־נָשָׂאתָ אֶת־אֲרוֹן אֲדֹנָי יְהוִה

بمعنى : « لأنك حَملت تابوتَ سيدي الربّ » .

كلمة אֲדֹנָי (سيدي) غير موجودة في الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان والبشيطا ، وربما جاءت هذه الكلمة خطأ من تكرار كلمة אֲרוֹן قبلها . (١٧١)

ـ الاصحاح الثالث : الفقرة ٢٧ جاء فيها :

תְּנוּ־לָהּ אֶת־הַיָּלוּד הַחַי

بمعنى : « .... أعطوها الولد الحي »

وردت هذه الفقرة في قصة المرأتين اللتين تخاصمتا الى سليمان في شأن الولد الحي ، وكل منهما تدعي أنه ابنها ، وقد تمكن سليمان بذكائه من معرفة أم الولد فقال « أعطوها الولد الحي » ، غير أن المتكلم الأخير في رواية السفر كان المرأة الأخرى ، إذ جاء في الفقرة ٢٦ : « فتكلمت المرأة التي ابنها الحي الى الملك ، لأن أحشاءها اضطرمت على ابنها ، وقالت استمع يا سيدي ، أعطوها الولد الحي ولا تميتوه . وأما تلك فقالت لا يكون لي ولا لك ، اشطروه » . فأجاب الملك بالجملة السابقة ، ولما كان الضمير في كلمة « أعطوها » لايعود الى المتكلم الأخير بل إلى الأم الحقيقة ، لذلك فان سكنر يقترح تعديل النص ـ وفق ما جاء في الترجمة السبعينية ـ ليصبح : « أعطوه للتي قالت (أعطوها الولد الحي ولا تميتوه) ، فإنها أمه » . (١٧٢)

ـ الاصحاح الرابع : الفقرة ٥ جاء فيها :

וַעֲזַרְיָהוּ בֶן־נָתָן « وعزريا هو بن ناثان »

ترى الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان أن الاسم الأول עזריהו (عزرياهو) محرف ،

---

(١٧٠) Burney , P. 22.

(١٧١) نفس المرجع ، ص ٢٣ .

(١٧٢) Skinner , P. 89.

والصحيح هو אֲדֹנִיָּהוּ (ادونياهو) . إذ لم يذكر اسم (عزرياهو) في أي مكان آخر .(١٧٣)

ـ الاصحاح الرابع : الفقرة ٧ جاء فيها :

יִהְיֶה עַל-אֶחָד بمعنى : « كان على واحد »

ترى الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان وغيرهما تعديل العبارة هكذا : יִהְיֶה עַל-הָאֶחָד (كان على الواحد) . ويرى بورني أن ادخال (الهاء ה) ضروري لتوضيح فكرة التوزيع المشار اليها في الفقرة .(١٧٤)

ـ الاصحاح الرابع : الفقرة ٢٤ (في النص العبري ص٥ : ٤) جاء فيها :

מִתִּפְסַח וְעַד-עַזָּה בְּכָל-מַלְכֵי עֵבֶר הַנָּהָר

بمعنى : « من تفسح الى غزة على كل ملوك عبر النهر » .

هذه الفقرة غير موجودة في الترجمة السبعينية ، ويقول سكنر إنها أضيفت إلى نص الفقرة في زمن متأخر .(١٧٥)

ـ الاصحاح الرابع : الفقرة ٣٠ (في النص العبري ـ ص ٥ : ١٠) جاء فيها :

כָּל-בְּנֵי-קֶדֶם بمعنى : « جميع بني المشرق » . هذا الاصطلاح يستعمل عامة للدلالة على القبائل العربية التي كانت تقطن الى الشرق من إسرائيل وتنتشر في الصحراء الشرقية حتى نهر الفرات . وقد ذكر الاصطلاح في (سفر التكوين ٢٩ : ١) للدلالة على أرض ما بين النهرين . وذكر أيضا في (سفر التكوين ١٠ : ٣٠) הַר הַקֶּדֶם (جبل المشرق) الذي يقول عنه بورني ربما كان اشارة الى المنطقة الجبلية التي تدعى (نجد) .

ومن هذا يستدل بورني على أن حكمة سليمان لم تقارن في الفقرة (١٧٦) بحكمة الكلدانيين ، الذين عرفوا بشكل رئيسي كفلكيين ، ولكن قورنت بحكمة العرب ، الذين كانت بلادهم ـ كما يقول كيتل ـ هي منبع الحكمة .

---

(١٧٣) Burney , P. 39.

(١٧٤) ص ٤١ .

(١٧٥) Skinner , P. 96.

(١٧٦) نص الفقرة ٣٠ بكاملها : « وفاقت حكمةُ سليمان حكمةَ جميع بني المشرق وكلَّ حكمةِ مصر » .

يؤيد ذلك ما جاء في الاصحاح العاشر من سفر الملوك الأول بشأن زيارة ملكة سبأ (التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية) التي جاءت لتمتحن حكمة سليمان بمسائل صعبة .(١٧٧)

ـ الاصحاح الرابع : الفقرة ٣٢ (في النص العبري ص٥ : ١٢) جاء فيها :

أن نشائد سليمان كانت חֲמִשָּׁה וָאָלֶף بمعنى : « ألفا وخمسا » .

الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان والفولجاتا تقترح تعديل النص هكذا : חֲמִשָּׁה אֲלָפִים ويؤيد بورني هذا التعديل ويرى أنه أفضل من الصياغة الأولى(١٧٨) .

ـ الاصحاح الخامس : الفقرة ٥ (في النص العبري ص٥ : ١٩) جاء فيها :

בִּנְךָ אֲשֶׁר אֶתֵּן תַּחְתֶּיךָ עַל־כִּסְאֶךָ הוּא־
יִבְנֶה הַבַּיִת לִשְׁמִי׃

بمعنى : « إن ابنَك الذي أجعله مكانك على كرسيك ، هو يبني البيتَ لاسمي »

يعلق سكنر على هذه الجملة بقوله إنها اقتباس من الفقرة ١٣ من الإصحاح السابع في سفر صموئيل الثاني ، وهي عبارة عن حاشية أضافها أحد كتبة مدرسة التثنية الى الرواية الأصلية .(١٧٩)

ـ الاصحاح الخامس : الفقرة ٧ (في النص العبري ص٥ : ٢١) جاء فيها :

« فلما سمع حيرام كلام سليمان فرح جدا وقال مبارك اليوم الرب الذي أعطى داود ابنا حكيما .. »
בָּרוּךְ יְהוָה « مبارك الرب » .

يعلق سكنر على هذه العبارة بقوله إن نص الترجمة السبعينية الذي يقرأ « مبارك اليوم الرب إله إسرائيل » ، أكثر ملاءمة إذا جاء على لسان شخص غير إسرائيلي ـ مثل حيرام ـ إن المودة التي ظهرت من إجابة حيرام لا يمكن إغفالها ، ولكنها بطبيعة الحال لا تعني أنه شخصيا كان يعبد إله إسرائيل .(١٨٠)

---

(١٧٧) Burney, PP. 50—51; Skinner, P. 97.
(١٧٨) Burney, P. 52.
(١٧٩) Skinner, P. 100.
(١٨٠) ص (١٠٠) .

ـ الاصحاح الخامس : الفقرة ١٦ (في النص العبري ص٥ : ٣٠)

جـاء في هذه الفقـرة « رؤساء الـوكلاء لسليمـان الذين عـلى العمل ثـلاثة آلاف وثـلاثمائـة ... » שְׁלֹשֶׁת אֲלָפִים וּשְׁלֹשׁ מֵאוֹת . وقد جاء هذا الرقم مختلفا في سفر أخبار الأيام الثاني (٢ : ٢) ونصه :

שְׁלֹשֶׁת אֲלָפִים וְשֵׁשׁ מֵאוֹת

أي « ثلاثة آلاف وستمائة » . وجاء مثله في الترجمة السبعينية . أما في الاصحاح التاسع من سفر الملوك الأول (الفقرة ٢٣) فقد جاء مختلفا للمرة الثالثة : חֲמִשִּׁים וַחֲמֵשׁ מֵאוֹת

أي « خمسمائـة وخمسون » .

هذا التضارب في الأرقام يدل على الاضطراب والتحريف الذي تعرضت له نصوص الأسفار على أيدي الكتبة المتعددين في العصور المتعاقبة . (١٨١)

ـ الاصحاح السادس : الفقرة ٧ ، نص هذه الفقرة هو :

« والبيت في بنائه بُني بحجارة صحيحة مقتلعة ، ولم يُسمع في البيتِ عند بنائه مِنحت ولا مِعول ولا أداة من حديد » .

يعلق سكنر على وجود هذه الفقرة في هذا المكان ويقول إنها تعترض السياق الذي يتحدث عن وصف حوائط الهيكل ، لذلك فهي إما في غير مكانها الصحيح ، أو إضافة متأخرة الى النص . (١٨٢)

أما بورني فيعلق على الفقرة بقوله إن مكانها هنا غير ملائم ، وإذا ما كانت تشكل جزءا من الوصف الوارد في سياق الفقرات الأخرى ، فإن مكانها ليس هنا . وهو يرى أنها أضيفت الى النص في فترة ما بعد السبي من قبل أحد المنقحين من خارج مدرسة التثنية ، لأن كتبة هذه المدرسة كان يغلب عليهم الطابع الديني . (١٨٣)

ـ الاصحاح السادس : الفقرة ١٦ ، جاء فيها :

לִדְבִיר أي « لأجل المحراب » .

---

(١٨١) انظر : سكنر ، ص ١٠٣ .
(١٨٢) Skinner , P. 108.
(١٨٣) Burney , PP. 64—65.

يقول بورني إن كلمة דְּבִיר (محراب) ، التي ترد فقط في الاصحاحات ٦ ـ ٨ من سفر الملوك الاول ، وفي مقابلها الاصحاحات ٣ ـ ٥ من سفر أخبار الأيام الثاني ، وفي المزمور ٢٨ : ٢ ، هذه الكلمة ترتبط بالكلمة العربية (دَبَرَ) « أي : يكون في الخلف » ، ومنها (دُبُرٌ) و (دَبْرٌ) « أي : الجزء الخلفي » . الا أنه من المشكوك فيه أن تكون الكلمة العبرية تدل على الغرفة الخلفية أو التي تقع في أقصى الداخل من الهيكل .

أما الترجمة الانكليزية المعتمدة (A.V.) والمنقحة (R.V.) فتعتبران كلمة דְּבִיר مرتبطة بالكلمة العبرية דִּבֵּר (يتكلم) ، الا أن بورني يرى أن هذا الرأي غير صحيح .[١٨٤]

ـ الاصحاح السادس : الفقرة ٢١ ونصها :

וַיְצַף שְׁלֹמֹה אֶת־הַבַּיִת מִפְּנִימָה זָהָב סָגוּר
וַיְעַבֵּר בְּרַתּיקוֹת זָהָב לִפְנֵי הַדְּבִיר וַיְצַפֵּהוּ זָהָב׃

بمعنى : « وغشّى سليمان البيت من داخل بذهب خالص ، وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب ، وغشاه بذهب » .

هذه الفقرة لا يوجد منها في الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان غير الكلمات الأربع الأخيرة المتعلقة بالمذبح في الفقرة (٢٠) السابقة ، والباقي محذوف من الترجمتين .

ويعلق بورني على ذلك بقوله يبدو أن الترجمتين على حق ، وبذلك تكون بقية الفقرة إضافة متأخرة تعترض ترابط السياق . أما الجملة الصحيحة بكاملها فهي كما يلي :

וַיַּעַשׂ מִזְבַּח אֶרֶז לִפְנֵי הַדְּבִיר וַיְצַפֵּהוּ זָהָב

بمعنى : « وعمل مذبح الأرز قدام المحراب وغشاه بذهب » .[١٨٥]

ـ الاصحاح السابع : الفقرتان ١٣ ، ١٤ .

ورد في هاتين الفقرتين اسم حيرام חִירָם وهو رجل صوري نحاس عمل أعمال النحاس في الهيكل بناء على طلب سليمان . هذا الرجل ورد اسمه في سفر أخبار الأيام الثاني (٢ : ١٢ ، ١٣) : חוּרָם אָבִי (حورام أبي) ، وهو בֶּן־אִשָּׁה מִן־בְּנוֹת דָּן (ابن امرأة من بنات دان) .

---

(١٨٤) ص (٧٠ ـ ٧١) .
(١٨٥) ص (٧٤) .

وكما يقول (جيزبرخت Giesebrecht) فان عبارة سفر أخبار الأيام هي الأصل ، حيث ورد في الفقرة ١٤ من سفر الملوك أنه בֶּן־אִשָּׁה אַלְמָנָה (ابن امرأة أرملة) . وقد أضيف كلمة אַלְמָנָה (أرملة) الى النص الأصلي حتى يظهر الشخص الذي بنى هيكل سليمان على أنه من أصل إسرائيلي خالص وليس مختلط النسب ، لأن أباه كان فينيقيا من صور .[١٨٦]

ـ الاصحاح السابع : الفقرة ١٧ ، جاء فيها :

שְׂבָכִים מַעֲשֵׂה שְׂבָכָה بمعنى : « وشُبَّاكاً عَمَلاً مُشَبَّكاً » . كلمة שְׂבָכִים جاءت بصيغة جمع المذكر (ـ ים) هنا فقط ، غير أن الكلمة تأتي في غيره من الأماكن بصيغة جمع المؤنث שְׂבָכוֹת من صيغة المفرد שְׂבָכָה (شبكة) .

يقول بورني إن الكلمة مشتقة من الكلمة العربية (شَبَكَ) ومنها (شَبَكَةٌ) . وجاءت في العهد لقديم في مكانين فقط ، غير هذا المكان ،

الأول : في سفر الملوك الثاني ١ : ٢ וַיִּפֹּל אֲחַזְיָה בְּעַד הַשְּׂבָכָה (وسقط أخزيا من الكوة) ،

الثاني : في سفر أيوب ١٨ : ٨ . וְעַל־שְׂבָכָה יִתְהַלָּךְ (ويمشي الى شبكة) . بينما الكلمة العبرية التي تعطي معنى (الشبكة) هي הָרֶשֶׁת .[١٨٧]

ـ الاصحاح السابع : الفقرة ٢٤ ، جاء فيها :

מַקִּפִים אֶת־הַיָּם סָבִיב بمعنى : « .. محيطةً بالبحر بمستديره » ، يستمر الكاتب في وصف ملحقات الهيكل ، وها هو يصف « البحر المسبوك » وما يحيط به من إضافات . العبارة المذكورة أعلاه محذوفة من الترجمة السبعينية ، على الرغم من أنها موجودة في ترجمة لوسيان ، وفي الفولجاتا ، والبشيطا والترجوم . أما (ستيد Stade) فيعتبرها إضافة هامشية ، لأن المؤلف الأصلي لم يستعمل أبدا كلمة הִקִּיף (أحاط) ، وقد ذكر لتوه في بداية الفقرة סָבִיב סֹבְבִים אֹתוֹ (.. مستديرا يحيط به) .[١٨٨]

---

(١٨٦) بورني ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(١٨٧) بورني ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(١٨٨) نفس المرجع : ص ٩٠ .

ويـرى سكنر أنـه من الأفضل حـذف هذه العبـارة لأنها تختلف مع العبـارة التي تسبقهـا في نص الفقرة[١٨٩] .

ـ الاصحاح السابع : الفقرتان ٢٥ ، ٢٦ :

جاءت الفقرة ٢٦ قبل الفقرة ٢٥ في الترجمة السبعينية . وبالفعل فان سياق الفقرات وترتيبها كما جاء في هذه الترجمة يبدو طبيعيا .[١٩٠]

ـ الاصحاح السابع : الفقرة ٣١ ، جاء فيها :

ומעלה באמה بمعنى : « وأكثر من ذراع »

يقول بورني لابد أن يكون هناك عدد سقط قبل كلمة באמה (ذراع) ، وربما كان هذا العدد אחד (واحدا) . ولكن المكان الطبيعي لكلمة ומעלה (وأكثر من) التي تدل على الارتفاع ، يجب أن يكون بعد كلمة באמה . لذلك فان ترتيب العبارة الصحيح هو : אחד באמה ומעלה (كان ذراعا واحدا فأكثر) . كما أن العبارة التالية في نفس الفقرة אמה ואחצי האמה (ذراع ونصف ذراع) ، ما هي إلا تكـرار لنفس المعنى السابق ولكن بألفاظ محددة ، لذلك ربما كان من الواجب اعتبارها حاشية هامشية .[١٩١]

عبارة ופיהו מבית לכתרת « وفمها داخل الإكليل » ، هذه العبارة تأتي في أول الفقرة وقبل العبارة الاولى مباشرة . يقول سكنر إن كلمة לכתרת (إلى الإكليل) محرفة ، إذ لا وجود لهذه الكلمة في كل النص المتعلق بوصف ملحقات الهيكل ، لذلك فإن (ستيد) ومن قبله (إيوالد Ewald) يقترحان مكانها كلمة أخرى هي (اكتاف Shoulders) التي تتناسب مع فكرة المؤلف وسياقه في الوصف . كما أن سكنر يؤيد بورني في إضافة العدد (واحد) قبل كلمة (ذراع) الواردة أعلاه ، وهكذا تصبح بداية الفقرة بمعنى : « وفمها داخل الأكتاف فما فوق كان ذراعا واحدا » .[١٩٢]

---

(١٨٩) Skinner , P. 126.

(١٩٠) Skinner , P. 127.

(١٩١) Burney , P. 95.

(١٩٢) Skinner , P. 131.

ـ الاصحاح السابع : الفقرة ٤٢ ، جاء فيها :

על־פני העמודים بمعنى : « على العمودين » .

يقول بورني : من المؤكد أن هذه العبارة خطأ ، وربما كانت الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان على حق في تعديل العبارة لتصبح : על־שני העמודים. أما الفولجاتا والبشيطا فتقترحان أن يكون النص על־ראש העמודים (على رأس العمودين) كما هو النص في الفقرة (٤١) السابقة .[١٩٣]

ـ الاصحاح السابع : الفقرة ٤٥ :

بعد جملة : אשר עשה חירם למלך שלמה בית יהוה

بمعنى : « التي عملها حيرام للملك سليمان لبيت الرب » تضيف الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان ما يلي :

והעמודים ארבעים ושמנה לבית המלך ולבית יהוה את־כל־מלאכת המלך עשה חירם מן־נחשת

بمعنى : « والأعمدة الثمانية والاربعون لبيت الملك ولبيت الرب ، كل أعمال الملك عملها حيرام من نحاس . »

ويعلق سكنر على هذه الاضافة بقوله : على الرغم من أنه لا يوجد أي ذكر لأعمدة النحاس سواء في قصر سليمان أو في الهيكل ، فان الكلمات التي أضيفت تبدو أساسية ، لأن اضطراب النص في العهد القديم يدل على أن هناك شيئا محذوفا منه .

أما بورني فيعتبر إضافة الترجمة السبعينية حاشية هامشية ـ وليست أصلية ـ مصدرها غير مؤكد .[١٩٤]

ـ الاصحاح الثامن : الفقرة ٨ ، جاء فيها :

ויהיו שם עד היום הזה بمعنى : « وهي هناك إلى هذا اليوم » .

---

(١٩٣) Burney, P. 98.

(١٩٤) Skinner, P. 136 ; Burney, P. 98.

هذه الجملة محذوفة من الترجمة السبعينية ، كما أن كونها أصلية في النص العبري أمر مشكوك فيه ، بدليل محاولة حذفها في العصور الأخيرة [١٩٥] . أما بورني فيقول إن الجملة المذكورة أصلية في النص ، وهي غالبا من كتابة مدرسة التثنية وترجع الى عصر ما قبل السبي البابلي . [١٩٦]

ـ الاصحاح الثامن : الفقرة ٦٥ ، جاء فيها :

שִׁבְעַת יָמִים וְשִׁבְעַת יָמִים אַרְבָּעָה עָשָׂר יוֹם׃

بمعنى : « سبعة أيام وسبعة أيام أربعة عشر يوما » .

جاءت هذه العبارة إشارة إلى الأيام التي احتفل فيها سليمان وبنو اسرائيل وعيدوا بعد الانتهاء من بناء الهيكل . إلا أن الترجمة السبعينية ترى أن العبارة محرفة ، لذلك فهي تكتفي بذكر الكلمتين الاولين فقط من النص المذكور שִׁבְעַת יָמִים (سبعة أيام) وتحذف الباقي . إن استطراد الكلام في الفقرة ٦٦ التالية التي جاء فيها בַּיּוֹם הַשְּׁמִינִי ....

« في اليوم الثامن .... » ، يجعل من نص الترجمة السبعينية المختصر الأساس الصحيح للرواية ، ويشير إلى أن بقية العبارة الزائدة هي إضافة متأخرة الى النص جاءت لتتفق مع نص الفقرة ٩ من الاصحاح السابع في سفر أخبار الأيام الثاني [١٩٧] ويؤيد هذا الرأي ثيود وثيون ، وكلوسترمن ، وبنزنجر وكيتل وغيرهم . [١٩٨]

ـ الاصحاح الثامن : الفقرة ٦٦ ، جاء فيها :

בַּיּוֹם הַשְּׁמִינִי بمعنى : « في اليوم الثامن » .

تقترح الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان والبشيطا والفولجاتا إضافة (ו) الواو قبل كلمة בַּיּוֹם لتصبح וּבַיּוֹם ... (وفي اليوم ....) . ويؤيد بورني هذه الاضافة ويقول إن حذف الواو حدث عندما أضيفت العبارة الزائدة في نهاية الفقرة ٦٥ السابقة ، والتي أشرنا اليها قبل قليل [١٩٩] .

---

(١٩٥) Skinner , P. 142.

(١٩٦) Burney, P. 107.

(١٩٧) « وعملوا في اليوم الثامن اعتكافاً لأنهم عملوا تدشين المذبح سبعة أيام والعيدَ سبعة أيام » .

(١٩٨) بورني ، ص ١٢٩ .

(١٩٩) نفس المرجع والصفحة .

ـ الاصحاح التاسع : الفقرة ٣ ، جاء فيها :

אֶת־תְּפִלָּתְךָ וְאֶת־תְּחִנָּתְךָ אֲשֶׁר הִתְחַנַּנְתָּה לְפָנַי

بمعنى : « صلاتك وتضرعك الذي تضرعت به أمامي . »

تضيف الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان بعد هذه العبارة ما يلي :

הִנֵּה עָשִׂיתִי כְּכָל־תְּפִלָּתְךָ

بمعنى : « هوذا قد فعلت حسب كل صلاتك » .

ويرى كل من سكنر وبورني أن هذه الإضافة ربما تكون أصلية في النص .(٢٠٠)

ـ الاصحاح التاسع : الفقرات ١٠ ـ ١٤ : يقول شاين :

إن قصة المدن العشرين التي أعطيت لحيرام والواردة في (الملوك الأول ٩ : ١٠ ـ ١٣) ، يجب أن نضم اليها نص الفقرة التالية لها (أي ٩ : ١٤) مع تعديل هذه الفقرة ـ كما يرى (ونكلر Winckler) ـ بحيث تصبح : « وأرسل الملك الى حيرام مائة وعشرين وزنة ذهب » .. من ذلك يتبين لنا بالتأكيد أن هذه لم تكن منحة صديق لصديقه ، بل كانت جزية دفعها سليمان لسيده .(٢٠١)

يمكننا أن نعلق على ما يقوله شاين بإيراد النصوص التي استشهد بها في توصله الى هذه النتيجة . فهذا هو نص الفقرات (١٢ ـ ١٤) من سفر الملوك الأول ـ الاصحاح التاسع : « فخرج حيرام من صور ليرى المدن التي أعطاه إياها سليمان فلم تحسن في عينيه . فقال ما هذه المدن التي أعطيتني يا أخي ، ودعاها أرض كابول الى هذا اليوم . وأرسل حيرام للملك مئة وعشرين وزنة ذهب » .

نلاحظ من هذا النص :

١ ـ أن حيرام لم يكن في حالة ضعف في علاقته بسليمان ، بل كان في مركز القوى ، بدليل قول الرواية : « .. فلم تحسن في عينيه . فقال ما هذه المدن التي أعطيتني .. » فلو كان مركزه ضعيفا تجاه سليمان لما جرؤ على إبداء عدم رضاه عن هذا العطاء .

٢ ـ أن حيرام لم يقبل بهذه المدن فقط ، إذ اعتبرها غير كافية ، مما يستوجب قيام سليمان بإرضائه بتقديم شيء آخر ، أو تبرير أن تقديم هذه المدن كان كافيا من وجهة نظر سليمان . ولكن النص سكت عن ذلك .

(٢٠٠) سكنر ، ص ١٥٧ ، بورني ، ص ١٣٠ .
(٢٠١) شاين ، ص ٨٩ .

٣ ـ ورود نص الفقرة (١٤) بهذا الشكل وهو : « وأرسل حيرام للملك مائة وعشرين وزنة ذهب » غير منطقي ولا يتناسب مع سياق الفقرات قبله . فكيف أن حيرام يتذمر ويبدي استياءه من عطية سليمان في الفقرة (١٣) ، ثم يقوم بإرسال مائة وعشرين وزنة ذهب لسليمان ، كما تنص الفقرة (١٤) ؟ . من هو الذي يتوجب عليه الغطاء اذن ؟

٤ ـ ان التعديل الذي أورده (شاين) على نص الفقرة (١٤) يتناسب وسياق الفقرات قبله ، فالذي يجب عليه الدفع هو سليمان وليس حيرام .. لذلك فإنني أميل إلى أن النص هنا قد يكون محرفا فتغير معه المعنى المقصود .

ـ الاصحاح التاسع : الفقرة ١٨ ، جاء فيها :

וְאֶת־תַּדְמֹר בַּמִּדְבָּר בָּאָרֶץ (٢٠٢)

بمعنى : « وتدمر في البرية في الأرض . »

كلمة « تدمر » جاءت في النص العبري هنا תמר (ثامار) ، إلا أنها جاءت في سفر أخبار الأيام الثاني תַּדְמֹר (تدمر) . (٢٠٣)

ومن هنا جاءت في التراث اليهودي بهذه التسمية (تدمر) .

ويعلق سكنر على ذلك بقوله : هناك شك في الروايات اليهودية وما نقل عنها حول هذه التسمية תדמר التي أخذت عن رواية سفر أخبار الأيام الثاني الخاطئة ، وأما الاسم الصحيح فهو תמר (ثامار) .

« والبرية » المذكورة في الفقرة هي « برية يهوذا » . كما أن كلمة בָּאָרֶץ (في الأرض) لابد أنها خضعت للتحريف (٢٠٤)

ويرى كثير من العلماء والنقاد أن الاسم الصحيح هو תמר (ثامار) وليس תדמר (تدمر) ، على الرغم من أن رواية سفر أخبار الأيام الثاني تنسب الى سليمان بناء مدينة (تدمر) .

---

(٢٠٢) إن شكل كلمة תַּדְמֹר (تدمر) هنا جاء في إطار قاعدة المكتوب والمقروء ، وبموجب هذه القاعدة نحافظ على رسم وشكل الكلمة ، وننطقها النطق الصحيح لها (حسب ماورد عن الحفظة) . لذلك وجدنا إشارة لحذف حرف الدال ، وهذه الاشارة هي الدائرة العليا ، ثم ترك السكون وهو تشكيل الدال .

(٢٠٣) أخبار الأيام الثانى ٨ : ٤

(٢٠٤) سكنر ، ص ١٦٢

ويقول بورني إن جميع المدن المذكورة مع (تدمر) في الفقرتين ١٧ ، ١٨ من الاصحاح التاسع من سفر الملوك الأول تقع في جنوب فلسطين ، وقد جاء في سفر حزقيال أن תָּמָר (ثامار) تقع في أقصى جنوب البلاد ، علما بأن تدمر الحالية ـ وشهرتها بالميرا ـ تقع على بعد ١٥٠ ميلا إلى الشمال الشرقي من دمشق .[٢٠٥]

ـ الاصحاح التاسع : الفقرة ٢٥ ، جاء فيها :

וְהַקְטֵיר אִתּוֹ אֲשֶׁר לִפְנֵי יְהוָה

بمعنى : « وكان يوقد على الذي أمام الرب » .

يعلق بورني على هذا النص ويشكك في أصالته ويقول إن لفظ אִתּוֹ لايمكن استعماله في مكان اللفظ עָלָיו (عليه) وإعادة الضمير فيه الى المذبح ، كما لايمكن الاعتقاد بأنه يرجع الى سليمان .

وأما الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان فتحذفان الكلمتين אִתּוֹ אֲשֶׁר (على الذي) وتعدلان النص ليصبح هكذا : וְהַקְטֵיר לִפְנֵי יְהוָה (وكان يوقد أمام الرب).[٢٠٦]

ـ الاصحاح العاشر : الفقرة ٨ ، جاء فيها :

אַשְׁרֵי אֲנָשֶׁיךָ بمعنى : « طوبى لرجالك » .

جاءت هذه العبارة في الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان والبشيطا معدلة الى אַשְׁרֵי נָשֶׁיךָ (طوبى لنسائك) . ويقول بورني إن ذكر كلمة אֲנָשֶׁיךָ (لرجالك) الى جانب עֲבָדֶיךָ (لعبيدك) (حيث ورد بعد العبارة السابقة مباشرة عبارة אַשְׁרֵי עֲבָדֶיךָ وطوبى لعبيدك) غير مناسب ، وتعتبر الكلمة في هذه الحالة زائدة . لذلك فهو يؤيد تعديل الكلمة الى נָשֶׁיךָ (لنسائك) . وقد جاءت العبارة على لسان ملكة سبأ عندما زارت سليمان ورأت ما اتصف به من حكمة وقوة .

ولعل تغيير الكلمة الأصلية נָשֶׁיךָ (لنسائك) الى אֲנָשֶׁיךָ (لرجالك) قد حدث فيما بعد على ضوء ما جاء في (الاصحاح ١١ : ١ ـ ٣) من سفر الملوك الاول ، حيث ذكر أن سليمان

---

(٢٠٥) بورني ، ص ١٣٨ .

(٢٠٦) بورني ، ص ١٤١ . ومعنى מַקְטִיר الحرفي : يُبَخِّر .

أحب نساء غريبة كثيرة من الأمم الأخرى ، فأملن قلبه وراء آلهتهن ..... بالتالي يصبح من غير المقبول أن تقول ملكة سبأ (طوبى لنسائك) ، فحدث التغيير لهذا السبب وأصبحت العبارة (طوبى لرجالك) .[٢٠٧]

ـ الاصحاح العاشر : الفقرة ٢٢ ، جاء فيها :

שֶׁנְהַבִּים וְקֹפִים וְתֻכִּיִּים بمعنى : « وعاجا وقرودا وطواويس » .

هذه العبارة وردت ضمن ما كانت تأتي به سفن سليمان من مواد بالاضافة الى الذهب والفضة .

جاءت كلمة שנהבים (عاج) في الفولجاتا والترجوم والترجمة السبعينيـة وترجمـة لوسيان (أنياب الفيلة) . وجاءت في البشيطا (فيلة) . إلا أن المعنى العام لكلمة (عاج) في اللغة العبرية هو שֶׁן أو הַשֶּׁן . وبناء على ذلك فإنه يعتقد بأن ما تبقي من حروف الكلمة ، أي הבים هو اسم أجنبي بمعنى (فِيَلَة) . ويرى بعض العلماء أن هذه الكلمة ترخيم لكلمة הָאִבִּים ويقارنونها بالكلمـة السنسكريتيـة(ibha) التي تعني (فيل) . أو أن הבים هي تحريف لكلمة לִהַבִּים (الفيل) ، وهـو الاسم الفارسي للفيل ، ومن الفارسية تسربت الكلمة الى العربية والآرامية .

أما الكلمتان الأخريان وهما קֹפִים (قرود) ، תֻּכִּיִּים (طواويس) ، فيقول سكنر إنهما من أصل هندي ، وفي كل الأحوال فإن مصدر الطواويس هو الهند . ويقترح (ونكلر) تعديل كلمـة תֻּכִּיִּים إلى סֻכִּיִּים (سُكيِّـين أو زنـوج) ، وهي الكلمـة الواردة في (أخبار الايام الثاني ١٢ : ٣) ، وفي هذه الحالة يكون (العاج والقرود والزنوج) من منتجات أفريقيا التي كانت سفن سليمان تلتقطها وهي تنتظر هبوب الريح المواتية للاقلاع على ساحل الصومال .[٢٠٨]

ويقول بورني إن كلمة קפים ربما تكون غريبة على اللغة العبرية ، وقد اتفق على أدائها معنى (قرود) بناء على مقارنتها بالكلمة السنسكريتية kapi التي اشتقت منها الكلمة اليونانية التي تعني نوعا من القرود طويلة الذيل ...

أما الكلمة الأخرى תכיים (طواويس) فيقول بورني إنها أيضا غريبة عن العبرية ، ولعل كلمة תכי جاءت من الكلمة التاميلية أو الملبارية وهي togai أو thogai ومعناها طاووس ، وذلك باجراء التبادل بين حرفي (g , K) وهذا هو رأي معظم العلماء والنقاد المحدثين .[٢٠٩]

---

(٢٠٧) بورني ، ص ١٤٥ . إننا كمسلمين نرفض أن يكون سليمان عليه السلام قد عبد الآلهة الوثنية أو سمح لنسائه بعبادتها ، وسنرد على هذه الافتراءات في المكان المخصص لذلك فيما بعد .

(٢٠٨) سكنر ، ص ١٧١ .

(٢٠٩) Burney , PP. 149—150 .

هذا القسم من الاصحاح يتحدث عن نساء سليمان الأجنبيات ، وعن « الوثنية » التي ينسبها العهد القديم لسليمان ، وكيف أن نساءه الأجنبيات أملن قلبه وراء آلهتهن الوثنية فعبدها وبنى لها المعابد « والمرتفعات » . [٢١٠]

يقول بورني إن هذا القسم بشكله الحالي مطبوع بطابع مدرسة التثنية ، وتتخلله عبارات وأصطلاحات معينة اختصت بها تلك المدرسة ، مثل ما جاء في الفقرة الثانية :

אֲשֶׁר אָמַר־יְהוָה אֶל־בְּנֵי יִשְׂרָאֵל

« الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل » وما جاء في الفقرة السادسة :

וַיַּעַשׂ שְׁלֹמֹה הָרַע בְּעֵינֵי יְהוָה « وعمل سليمان الشر في عيني الرب » ،

وما جاء في الفقرة ١١ :

וְלֹא שָׁמַרְתָּ בְּרִיתִי וְחֻקֹּתַי « ولم تحفظ عهدي وفرائضي » ، وما جاء في الفقرة ١٢ :

לְמַעַן דָּוִד אָבִיךָ « من أجل داود أبيك » ، وما جاء في الفقرة ١٣ :

וּלְמַעַן יְרוּשָׁלַםִ אֲשֶׁר בָּחָרְתִּי « ولأجل أورشليم التي اخترتها » .

وجاء نص الفقرات (١ ـ ٨) في الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان مختلفا في ترتيبه عما جاء في التوراة العبرية ، فبعد الكلمات الأربع الأولى من الفقرة الأولى : וְהַמֶּלֶךְ שְׁלֹמֹה אָהַב נָשִׁים « وأحب الملك سليمان نساء » ، تأتي الترجمتان المذكورتان بالجزء الاول من الفقرة الثالثة ونصه :

וַיְהִי־לוֹ נָשִׁים שָׂרוֹת
שֶׁבַע מֵאוֹת וּפִלַגְשִׁים שְׁלֹשׁ מֵאוֹת

بمعنى « وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري » ، ثم تأتيان ببقية الفقرة الأولى مع تغيير طفيف بالشكل التالي : וַיִּקַּח נָשִׁים

נָכְרִיּוֹת רַבּוֹת וְאֶת־בַּת־פַּרְעֹה מוֹאֲבִיּוֹת
עַמֹּנִיּוֹת אֲרָמִיּוֹת אֲדֹמִיּוֹת חִתִּיּוֹת וַאֱמֹרִיּוֹת

بمعنى : « وأخذ نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، مؤابيات وعمونيات (وآراميات) وأدوميات وحثيات (وعموريات) » بإضافة (وآراميات وعموريات) . كما أنهما حذفتا كلمة

---

(٢١٠) إننا نؤكد مرة اخرى أن هذا القول يرفضه المسلمون لأنه يذهب بعصمة نبي كريم من أنبياء الله ورسله المعصومين .

צִדֹנִית (وصيدونيات) من النص العبري .

هذا بالاضافة الى تغييرات أخرى أجرتها الترجمتان على النص العبري لهذا القسم . ويرى معظم النقاد أن ترتيب النص الذي اتبعته الترجمة السبعينية ومن بعدها ترجمة لوسيان أفضل وأصح من الترتيب الموجود في النص العبري الماسوري . كما يرى النقاد أن ما تضمنته الفقرة الثالثة من هذا القسم بشأن ذكر عدد زوجات سليمان وسراريه ، ليس جزءا من النص الأصلي ، وإنما هو إضافة هامشية زحفت لتحتل مكانها في كل من النص العبري والترجمة السبعينية .[٢١١]

- أما عبارة וְאֶת־בַּת־פַּרְעֹה « مع بنت فرعون » ، فيقول بورني إنها ليست من النص الاصلي ، وإنما اقحمت على النص فيما بعد ، إذ جاء ذكر بنت فرعون هنا ليس كملكة متوجه ، وانما لنفي كونها « من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم »[٢١٢] أي تلك الأمم المجاورة لبني اسرائيل والتي كانت خاضعة لسيطرة سليمان . وقد جاء إقحام العبارة عند ذكر زوجات سليمان الأجنبيات ، وبالرجوع الى ما جاء في (امل ٣ : ١) « وصاهر سليمان فرعون ملك مصر ، وأخذ بنت فرعون »[٢١٣] .

- בָּהָר אֲשֶׁר עַל־פְּנֵי יְרוּשָׁלִָם

بمعنى : « على الجبل الذي تجاه أورشليم » (الفقرة ٧) ...

يقول بورني إن هذه الفقرة التي جاءت لتفصيل المعنى ، هي إضافة متأخرة الى النص .[٢١٤]

ويقول سكنر إن الجبل المشار اليه هو جبل الزيتون ، وكلمة עַל־פְּנֵי (تجاه) تعني (إلى الجانب الشرقي من) ، وهذه الجملة غير موجودة في الترجمة السبعينية ، وهي إضافة متأخرة الى النص .[٢١٥]

- שִׁקֻּץ בְּנֵי עַמּוֹן « رجس بني عمون » (الفقرة ٧) :

تعدل الترجمة السبعينية كلمة שִׁקֻּץ (رجس) إلى אֱלֹהֵי (إله) ، ويعلق بورني على هذا التعديل بقوله إنه أكثر أصالة .[٢١٦]

---

(٢١١) Skinner , P. 174; Burney , PP. 153—154 .

(٢١٢) امل ١١ : ٢ .

(٢١٣) Burney, P. 154 .

(٢١٤) ص ١٥٤ .

(٢١٥) سكنر ، ص ١٧٦ .

(٢١٦) بورني ، ص ١٥٤ .

ـ الاصحاح الحادي عشر : الفقرات ١٤ ـ ٢٢ .

تبدو الرواية في هذه الفقرات مضطربة ، وهي تتعلق (بهدد) הֲדַד الادومي الذي أقامه الرب خصما لسليمان .[٢١٧]

وقد تعرض (ونكلر) لنقد نص الفقرات المذكورة فبين أنها تحتوي على روايتين قديمتين مستقلة إحداهما عن الأخرى ، غير أنهما امتزجتا في بعضهما فيما بعد . أما الروايتان فهما :

١ ـ الرواية الاولى ، يظهر فيها (هدد) كأحد أعضاء البيت الملكي في أدوم ، وقد نجا عندما كان غلاما صغيرا من مذبحة كبيرة قام بها داود ضد الأدوميين ، وأحضر من قبل عبيد أبيه الى مصر . وهناك تبنتـه (تحفنيس) زوجة فرعون مصر وربته مع أطفالها . وعندما كبر سمع بوفاة داود ، فاستأذن من الفرعون للعودة إلى وطنه حيث أصبح ملكا ..

٢ ـ أما الرواية الثانية فيظهر فيها (أدد) אֲדַד رجلا ناضجـاً من أهل مدين ، وقد تمكن مع جماعة من الأدوميين من الهرب من وجه جيش يوآب الغازي ، إلى مدين أولا ، ثم الى « فاران » وبعدها الى مصر . وهناك رحب به الفرعون وزوجه من أخت امرأته الملكة تحفنيس ، فولدت له ابنا سمي (جنوبث) نشأ وتربى في القصر الملكي مع أبناء الملك .

إن وجهة نظر (ونكلر) أن (أدد) الوارد اسمه في الرواية الثانية ، هو مدياني يختلف عن (هدد) الأدومي . وأن ابنه جنوبث حكم فيما بعد في مدين ، كما حكم هدد في أدوم .

ويعلق سكنر على وجهة نظر ونكلر بقوله إن هذا التحليل لرواية الفقرات المشار اليها له قيمته الى حد كبير ، غير أنه ليس من المستبعد أن تكون الرواية في الحالتين متعلقة بنفس الحدث وهو هرب الأمير الأدومي ثم عودته .[٢١٨]

يرى سكنر أنها عبارة عن مقدمة للرواية المذكورة في الفقرات بعدها ، وربما كانت من وضع محرر سفر الملوك .[٢١٩]

ـ جاء في الفقرة ١٥ :

בִּהְיוֹת דָּוִד אֶת־אֱדוֹם بمعنى : « لما كان داود في أدوم » .

---

(٢١٧) ١مل ١١ : ١٤ .

(٢١٨) Skinner , P. 177; Burney , PP. 157—160 .

(٢١٩) Skinner , P. 177 .

الترجمة السبعينية تعدل كلمة בהיות (لما كان) الى בְּהַכְרִית (لما أفنى) ، وتعدها البشيطا الى בְּהַכּוֹת (لما ضرب).[٢٢٠]

- وجاء في نفس الفقرة :

לִקְבֹּר אֶת־הַחֲלָלִים بمعنى « لدفن القتلى » .

يعلق سكنر على هذا الاصطلاح ويقول إن ذلك يعني أن الاسرائيليين تعرضوا لهزيمة منكرة ـ في أدوم ـ إلا أن سجل هذه الهزيمة قد فقد تماما ، لذلك لم يرد ذكرها في رواية الاصحاح ، والذي يدل على ذلك أن الاسرائيلين ، انتقاما لهزيمتهم ، جردوا جيشا بقيادة يوآب احتل أدوم لمدة ستة أشهر ، أفنوا خلالها كل الذكور من البلاد[٢٢١] .

ـ الفقرة ١٨ : جاء فيها :

וְלֶחֶם אָמַר לוֹ بمعنى « وعين له طعاما » (أو أمر له بطعام) .

يقول بورني إن نفس هذا الاصطلاح شائع الاستعمال في اللغة العربية ، حيث يكون المفعول به متصلا بالحرف (ب) ، والغرض من ذلك هو تقوية حكم الفعل ، ويؤدي الحرف هنا معنى توكيديا للمفعول به ، نحو (أمر له بدرهم)[٢٢٢] .

ـ الفقرة ٢٢ :

يقول سكنر إن النهاية المبتورة في النص العبري لهذه الفقرة تفقد القصة مغزاها ومعناها بالكامل . ولحسن الحظ فإن النهاية الأصلية للقصة حفظتها لنا الترجمة السبعينية سليمة لم تتغير . فبعد نهاية الفقرة ٢٢ في النص العبري والتي هي بمعنى : « فقال له فرعون ماذا أعوزك عندي حتى إنك تطلب الذهاب إلى أرضك ، فقال لاشيء وإنما أطلقني » بعدها يأتي ما اختتمت به الترجمة السبعينية قصة هدد الأدومي هكذا : « وعاد هدد الى بلاده . هذا هو الشر الذي عمله هدد ، فقد اضطهد إسرائيل ، وحكم أدوم .»

وقد جاءت الجملة الأخيرة في العهد القديم في نهاية قصة رزون الذي ملك على دمشق (أي في نهاية

(٢٢٠) Burney, P. 160; Skinner, P. 177 .
(٢٢١) Skinner, P. 177 .
(٢٢٢) Burney, P. 161 .

الفقرة ٢٥) . ومن الواضح أن هذه الجملة ليست في مكانها الصحيح . ولكي تتلاءم الجملة مع قصة رزون فقد تم تغيير كلمة אֱדוֹם (أدوم) الى אֲרָם (أرام) [٢٢٣] .

ـ الفقرة ٢٤ من الاصحاح ١١ ، جاء فيها :

בַּהֲרֹג דָּוִד אֹתָם بمعنى : « عند قتل داود إياهم » . هذه العبارة محذوفة من الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان . ويقول بورني وسكنر إنها حاشية جاءت من هامش النص وترجع الى الفقرة ٢٣ . أما كلوسترمن وبنزنجر فيعدلان كلمة אֹתָם (إياهم) الى אֲרָם (آرام) .[٢٢٤]

مع نهاية هذا الاصحاح تنتهي سيرة داود وسليمان في سفرى الملوك . وهكذا نكون قد وصلنا الى نهاية هذه الدراسة التحليلية الناقدة للأسفار التي جاءت سيرتها مبسوطة فيها [٢٢٥] ، بعد أن بينا ما اعتور النص العبري لهذا الأسفار من اضطراب وتحريف .. وألقينا الضوء على ما تعرضت له الاسفار من إضافة وحذف على أيدي الكتبة الكثيرين عبر العصور المتعاقبة ، وفق أهوائهم وميولهم ، خاصة بعد انتهاء دولة بني اسرائيل وتعرضهم للتنكيل والتشريد والسبي .

وحتى تأتي دراستنا لمادة الأسفار دقيقة ومتكاملة ، كان لابد من أن نتعرض لما جاء في الترجمات القديمة للعهد القديم ، مثل الترجمة السبعينية وغيرها ، التي ألقت الضوء ساطعا على التحريف الذي تعرضت له الأسفار المذكورة في نصها العبري ، وقد أشرنا الى ذلك في الملاحظات اللغوية الناقدة لمادة الأسفار .

●●●

(٢٢٣) Skinner , P. 179 .

(٢٢٤) Burney , P. 163; Skinner , P. 180 .

(٢٢٥) تستأنف سيرة داود وسليمان في سفرى أخبار الأيام الأول والثانى ، غير أنها عبارة عن إعادة للرواية الواردة في سفرى صموئيل الأول والثانى ، مع بعض التعديل . وقد ذكرنا ـ عند إبداء الملاحظات على إصحاحات تلك الأسفار ـ ماجاء في سفرى أخبار الأيام على سبيل المقارنة عند الضرورة لبيان صحة النص الأصلى .

الباب الثاني

داود وسليمان
في القرآن الكريم والتفاسير

الفصل الأول

داود
في القرآن الكريم والتفاسير

لقد تعرضنا في الباب الأول للحديث عن داود وسليمان عليهما السلام من وجهة نظر الاسفار التي ورد ذكرهما فيها في العهد القديم.

وفي هذا الباب سنتعرض للحديث عنهما من وجهة النظر الاسلامية من خلال الروايات التي وردت بشأنهما في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والتراث الاسلامي.

وسنبدأ أولا بالحديث عن داود عليه السلام لمعرفة الصورة التي ورد عليها في القرآن الكريم...

لقد ورد اسم داود في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا:ـ

١ ـ «فهزموهم بإذنِ الله وقَتَلَ داودُ جالوتَ وآتاه اللهُ المُلْكَ والحِكْمةَ وعَلَّمَه مما يشاء»[١].

٢ ـ «إنا أوحَيْنَا اليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيّين من بعده .... وآتينا داودَ زَبُورا»[٢].

٣ ـ «لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيلَ على لسانِ داودَ وعيسى ابنِ مريَمَ، ذلك بما عَصَوْا وكانوا يَعْتدون»[٣].

٤ ـ «وَوَهَبْنَا له اسحقَ ويعقوبَ كُلًّا هَدَيْنا ونوحاً هَدَيْنا من قبلُ، ومن ذريته داودَ وسليمانَ وأيوبَ ويوسف وموسى وهارون، وكذلك نَجْزي المحسنين»[٤].

٥ ـ «ولقد فَضَّلْنا بعضَ النبيينَ على بعضٍ، وآتَيْنا داودَ زَبُورا»[٥].

٦، ٧ ـ «وداودَ وسليمانَ إذْ يَحْكُمانِ في الحَرْثِ إذ نَفَشَتْ فيه غَنَمُ القومِ وكنّا لحكمهِمْ شاهدين. ففهَّمناها سليمانَ وكلًّا آتينا حُكْماً وعِلْما، وسخَّرنا مع داودَ الجبالَ يسبِّحْنَ والطيرَ وكنَّا فاعلين»[٦].

٨، ٩ ـ «ولقد آتينا داودَ وسليمانَ عِلْماً وقالا الحمدُ لله الذي فَضَّلَنا على كثيرٍ من عبادِه المؤمنين، وورِثَ سليمانُ داودَ وقالَ يأيها الناسُ عُلِّمْنَا منطقَ الطيرِ وأوتينا من كلِ شيءٍ إنَّ هذا لهو الفضلُ المبين.»[٧]

١٠، ١١ ـ «ولقد آتينا داودَ منّا فَضْلاً ياجبالُ أَوِّبِي معه والطيرَ وأَلَنَّا لَهُ الحديد».

«يعملون له مايشاءُ من محاريبَ وتماثيلَ وجِفَانٍ كالجواب، وقُدورٍ راسياتٍ، اعملوا آلَ داودَ شُكْراً، وقليلٌ من عباديَ الشَّكُور»[٨].

---

(١) البقرة: ٢٥١.
(٢) النساء: ١٦٣.
(٣) المائدة: ٧٨.
(٤) الأنعام: ٨٤.
(٥) الاسراء: ٥٥.
(٦) الأنبياء: ٧٨، ٧٩.
(٧) النمل: ١٥، ١٦.
(٨) سبأ: ١٠، ١٣.

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ـ «اصبر على مايقولون وأذكُرْ عبدَنا داودَ ذا الأيدِ إنّه أوّاب .»[٩]

«وهل أتاكَ نبأُ الخَصْم إذْ تَسوَّرُوا المحراب ، إذْ دَخلوا على داودَ فَفَزِعَ منهم .»[١٠]

«وظنَّ داودُ أنَّما فتنّاه ، فاستغفر ربَّه وخرَّ راكعًا وأناب .»[١١]

«ياداودُ إنّا جعلناكَ خليفةً في الأرض .»[١٢] .

«ووهَبْنا لداودَ سليمانَ نعْمَ العَبْدُ إنَّه أوّاب .»[١٣] .

● ● ●

داود عند المفسرين

نسبه :

أورد ابن كثير نسب داود كما يلي : هو داود بن إيشا[١٤] بن عويد بن عابر بن سلْمون بن نحشون بن عويناذب بن أرم بن حصرون بن فرص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عبدالله ونبيّه وخليفته في أرض بيت المقدس[١٥] .

وذكر الثعلبي أنه داود بن إيشا بن عوفيذ بن يوعز بن سلمون بن يخشون بن عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن[١٦] .

صفاته :

قال الثعلبي : أخبرني الحسن بن محمد الدينوري بإسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «زرقة العينين يُمْن» وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه ، دقيق الساقين ، سبط الشعر[١٧] ، أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة ، حسن الصوت والخلق ، طاهر القلب نقيّه .[١٨] ، وكان قصيرا قليل شعر الرأس[١٩] ، سقيما مصفر[٢٠] .

---

(٩) ص : ١٧ .
(١٠) ص : ٢١ ، ٢٢ .
(١١) ص : ٢٤ .
(١٢) ص : ٢٦ .
(١٣) ص : ٣٠
(١٤) جاء في القرطبي : إيشى ، وفي العهد القديم : يَسَّى .
(١٥) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، دار التراث العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٤٨٤ .
(١٦) الثعلبي ، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .. القاهرة ، ص ٢٤٤ .
(١٧) أي مسترسل غير جَعْد (اللسان) .
(١٨) الثعلبي ، ص ٢٤٤ .
(١٩) تفسير الطبري (الجزء الثاني ، ص ٦٢٦) عن رواية ابن اسحق ؛ القرطبي ، ص ٢٥٧ ؛ ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٤٨٤ .
(٢٠) الثعلبي ، ص ٢٤٠ ، الطبري ، الجزء الثاني ، ص ٦٢٩ .

يقول نعمة الله الجزائري : جاء في (معاني الأخبار) عن معنى داود أنه داوى جرحه بودّ . وقيل : داوى ودّه بالطاعة حتى قيل عبد[٢١] .

وجاء في حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : «إن داودَ عليهِ السلام كانَ لايأكلُ إلاّ من عَمَلِ يَدَيْهِ»[٢٢] .

أما عن الموهبة التي خصه الله تعالى بها وهي حسن الصوت وحلاوته ، فيقولون إن الله لم يعط ـ فيما يذكرون ـ أحدا من خلقه مثل صوته .. كان إذا قرأ الزبور ترنو له الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها .. وإنها لمصيخة تسمع لصوته ... وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله ، فيعكف الجن والأنس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعا[٢٣] .

كان داود شديد الاجتهاد ، دائب العباده ، كثير البكاء[٢٤] ، يقوم الليل ويصوم نصف الدهر .[٢٥]

تقول دائرة المعارف الاسلامية : لداود مقام خاص عند الصوفية ، وقد ذكره جلال الدين الرومي مرارا ، ويبالغ كتاب (كشف المحجوب) وهو من أقدم كتب التصوف ، مبالغة تكاد تخرج عن الصواب في القصص الخاصة بحلاوة صوت داود . فهو يقول (ص٤٠٢ ـ ٤٠٣) : إن الوحوش كانت تترك مرابضها للاستماع اليه ، وكذلك كان الماء يقف عن الجريان ، وينزل الطير من السماء ... وكان الناس يتبعونه إلى الفلوات ذاهلين عن مأكلهم ومشربهم أياما ...

ومازالت في كردستان فرقة قليلة العدد من أتباع داود (الداودية) وهم يعيشون في ناحية كِرِنْد الجبلية بالقرب من خانقين وفي مندلة شمالي بغداد ، ويعد داود في رأيهم أعظم الأنبياء شأنا[٢٦] .

وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا يكوِّن [٢٧] فيها ، وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه ويبكي ببكائه كل شيء ويصرف بصوته المهموم والمحموم[٢٨] .

وقد أورد الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام قوله : كن لليتيم كالأب الرحيم ، واعلم أنك

---

(٢١) السيد نعمة الله الجزائرى ، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، الطبعة الثامنة مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٣٧٨ .

(٢٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول للامام أبي السعادات مبارك بن محمد : ابن الأثير الجزرى (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) حققه محمد حامد الفقي ، ج ٩ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٣٨٨ .

(٢٣) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٤٨٦ ، تاريخ الطبرى ، ص ٤٧٨ .

(٢٤) تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر بن جرير الطبرى) الجزء الأول ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ ، ص ٤٧٨ .

(٢٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المجلد الأول ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٢٢٣ .

(٢٦) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد التاسع ، ص ١٢٣ .

(٢٧) بكسر الواو مع التشديد ، وكَوَّنَ الشيء : أحْدَثَه (اللسان) .

(٢٨) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٤٩٤ .

كما تزرع كذلك تحصد. وعن داود عليه السلام أنه قال: مثل الخطيب الأحمق في نادي القوم، كمثل المغني عند رأس الميت. وقال أيضا: ماأقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى. وقال: أنظر ماتكره أن يذكر عنك في نادي القوم فلا تفعله اذا خلوت. وقال: لاتعدنَّ أخاك بمالا تنجزه له فان ذلك عداوة ما بينك وبينه[٢٩].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كان مِنْ دُعَاء داود، يقول: اللهمَّ إني أسألُكَ حُبَّكَ وحُبَّ مِنْ يُحبُّكَ، والعَمَلَ الذي يُبَلِّغُني حُبَّكَ، اللهم اجعلْ حُبَّكَ أحَبَّ اليّ من نفْسي ومالي وأهلي ومن الماءِ البارد. قال: وكان رسولُ الله ﷺ إذا ذُكِرَ داودُ يحدِّثُ عنه يقول: كان أعْبَدَ البَشَر.» أخرجه الترمذي.[٣٠]

عظة داود لابنه سليمان:

قال وهب بن منبه: لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام، وعظه فقال: يابني إياك والهزل، فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان. واياك والغضب فإن الغضب يستخف بصاحبه، وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شيء. واياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء، فان ذلك يورث سوء الظن بالناس، وان كانوا برآء. اقطع طمعك عن الناس فان ذلك هو الغنى، واياك والطمع فانه الفقر الحاضر، واياك ومايعتذر منه من القول والفعل، وعوّد نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان، فان استطعت ان يكون يومك خيرا من أمسك فافعل، وصلّ صلاة مودّع، ولاتجالس السفهاء، ولا تردّ على عالم، ولا تماره في الدين، واذا غضبت فالصق نفسك بالأرض وتحول من مكانك، وارج رحمة الله فانها وسعت كل شيء.[٣١]

عمر داود:

جاء في الأحاديث القدسيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خَلَقَ اللهُ آدمَ مسحَ ظهرَه، فسقطَ من ظهره كلُّ نَسَمَةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، وجَعَلَ بين عيني كلِ إنسانٍ منهم وميضاً من نور، ثم عرضَهم على آدم، فقال: أى ربّ، مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذرّيتُك. فرأى رجلا منهم فأعجَبه وَبيصُ[٣٢] مابين عَيْنَيْه، فقال: أيْ ربّ، مَنْ هذا؟. قال: هذا رجلٌ من آخِرِ الأمم من ذرّيتك، يقالُ له داود، فقال ربّ، كم جعلتَ عمرَه؟ قال: ستين سنة، قال أيْ ربّ، زِدْه من عُمْري أربعين سنه،

(٢٩) نفس المرجع، ص ٤٩٣.
(٣٠) جامع الاصول لابن الأثير، ج ٥، الحديث رقم ٢٣٤٤، ص ١١٠، انظر أيضا: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للحافظ ابى زكريا محى الدين يحيى النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ، حققه رضوان محمد رضوان، دار الارشاد، بيروت، ١٩٦٨، ص ٣٦١.
(٣١) الثعلبي، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
(٣٢) الوبيص: البريق. يقال: وبص البرق ونحوه، يبص وبصاً ووبيصاً ووبصة: لمع وبرق.

فلما قضى عُمُرُ آدمَ ، جاءه مَلَكُ الموت ، فقال : أَوَلَمْ يَبْقَ من عمُري أربعون سنة ؟ قال : أَوَلَمْ تعطِها أبنَك داود ؟ . قال : فَجَحَدَ آدمُ ، فجحدت ذرّيته ، ونَسيَ فنسيتْ ذرّيته ، وخَطِىءَ آدمُ فخطئتْ ذريتهُ .»

قال أبو عيسى الترمذي : حديث حسن صحيح . وفي رواية أخرى له : «ثم أكمل الله تعالى لآدم ألف سنة ، وأكمل لداود مائة .»[٣٣] .

وفاة داود :

جاء في رواية الثعلبي أن الشيخ أبا يزيد قال : سمعت الشيخ أبا عمرو الفارابي يروى أن داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة ، فأغلقت ذات ليلة الأبواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام ، فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له : ماأدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور فخذ حذرك ، فقال لها : أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذْنهم . قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفا يصلي فزع واضطرب وقال لها : عليّ به فأتاه ، فقال له داود : ماأدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير إذن ؟ فقال له : أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذن ، فقال له : إذاً فأنت مَلَك الموت ، قال : نعم ، قال : أفجئت داعيا أم ناعيا ؟ فقال : بل ناعيا ، فقال داود عليه السلام : فهلاّ أرسلت الىّ قبل ذلك وآذنتني لأستعد للموت ، فقال : كم أرسلت اليك فلم تنتبه . قال : ومن كانت رسلك التي أرسلت إلى ؟ فقال : ياداود ، أين أبوك إيشا وأين أمك ؟ أين أخوك وأين جارك ؟ أين قهارمتك ؟ أين فلان وفلان ؟ فقال : ماتوا كلهم ، فقال : أما علمت أنهم رسلي إليك وأن النوبة تبلغك . ثم قبضه .[٣٤]

ويقول الامام أحمد في مسنده عن وفاة داود : حدثنا قبيصة ، حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن بن محمد ابن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة ، فكان اذا خرج أغلق الأبواب ، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع ، قال : فخرج ذات يوم وغلقت الدار ، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فاذا رجل قائم وسط الدار ، فقالت لمن في البيت : من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة ، والله لنفضحن بداود . فجاء داود فاذا الرجل قائم في وسط الدار ، فقال له داود : من أنت ؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا أمنع من الحجاب ، فقال داود : أنت والله إذن مَلَك الموت مرحبا بأمر الله ، ثم مكث حتى قبضت روحه ، فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس ، فقال سليمان للطير : أظلى على داود ، فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض ، فقال سليمان للطير : اقبضي

---

(٣٣) الأحاديث القدسية ، الجزء الأول ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٠ ، انظر : قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٤٩٥ .
(٣٤) الثعلبي ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

جناحا . قال أبو هريرة فطفق رسول الله ﷺ يرينا كيف فعلت الطير ، وقبض رسول الله ﷺ بيده ، وغلبت عليه يومئذ المضرحيه .

ومعنى قوله : «وغلبت عليه يومئذ المضرحية» أي وغلبت على التظليل عليه المضرحية وهي الصقور الطوال الأجنحة واحدها «مضرحي» . قال الجوهري : هو الصقر الطويل الجناح .

وعن ابن عباس قال : مات داود عليه السلام فجأة وكان بسبت ، وكانت الطير تظله ، وقال السدّى أيضا عن أبي مالك وعن سعيد بن جبير قال : مات داود عليه السلام يوم السبت فجأة .

وقال اسحق بن بشر .. عن قتادة ، عن الحسن ، قال : مات داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ومات يوم الأربعاء فجأة . وقال أبو السكن الهجري : مات ابراهيم الخليل فجأة وداود فجأة وابنه سليمان فجأة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .(٣٥)

وروي عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهونازل من محرابه فقال له : دعني أنزل أو أصعد ، فقال : يانبي الله ... قد نفدت السنون والشهور والآثار والأرزاق . قال : فخرّ ساجدا على مرقاة من تلك المراقى ، فقبضه وهو ساجد .(٣٦)

وقال اسحق بن بشر : أنبأنا وافر بن سليمان ، عن أبي سليمان الفلسطيني عن وهب بن منبه قال : إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا في الشمس في يوم صائف ، قال : وكان قد شيع جنازته يومئذ اربعون ألف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ، ولم يمت في بني اسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بنو اسرائيل أشد جزعا عليه منهم على داود ، وقال : فآذاهم الحر ، فنادوا سليمان عليه السلام أن يعمل لهم وقاية لما أصابهم من الحر ... فخرج سليمان فنادى الطير فأجابت فأمرها أن تظل الناس فتراصّ بعضها إلى بعض من كل جهة ، حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غمّا ، فصاحوا إلى سليمان عليه السلام من الغم ، فخرج سليمان فنادى الطير أن أظلي الناس من ناحية الشمس وتنحّى من ناحية الريح ، ففعلت فكان الناس في ظل تهب عليهم الريح ، فكان ذلك أول مارأوه من ملك سليمان .(٣٧)

● ● ●

---

(٣٥) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ؛ مجمع الزوائد للهيثمي ، ج ٨ ، ص ٢٠٧ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ، ج ٢ ، ص ١٧ .
(٣٦) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٤٩٦ .
(٣٧) نفس المرجع ، ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧ .

صورة داود في القرآن الكريم

ننتقل الآن إلى نصوص القرآن الكريم وماورد فيه بشأن داود عليه السلام، لمعرفة وبيان صورته في آى الذكر الحكيم.

أولا : داود وجالوت :

يقول تعالى : «وقَتَلَ داودُ جالوتَ، وآتاه اللَّهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ وعَلَّمَهَ مِمَّا يَشَاءُ» .[٣٨]

لقد أورد المفسرون سبب قتل داود لجالوت، واسترسلوا في ذكر الطريقة التي قتله بواسطتها. وسنقتصر هنا على ذكر رواية واحدة هي رواية وهب بن منبّه التي أوردها ابن جرير الطبري[٣٩] في تفسيره، قال : «سار جالوت في قومه إلى بني اسرائيل فعسكر، وسار طالوت ببني اسرائيل وعسكر، وتهيأوا للقتال. فأرسل جالوت إلى طالوت : لم تقتل قومي وأقتل قومك ؟ ابرز لي أو أبرز لي من شئت، فان قتلتك كان الملك لي، وان قتلتني كان الملك لك. فأرسل طالوت في عسكره صائحا من يبرز لجالوت، فان قتله فان الملك ينكحه ابنته ويشركه في ملكه. فأرسل إيشا داود إلى إخوته وكانوا في العسكر، فقال : اذهب فردّ أخوتك وأخبرني خبر الناس ماذا صنعوا. فجاء إلى اخوته وسمع صوتا : إن الملك يقول : من يبرز لجالوت، فان قتله أنكحه الملك ابنته. فقال داود لإخوته : ما منكم رجل يبرز لجالوت فيقتله، وينكح ابنة الملك ؟ فقالوا : إنك غلام أحمق، ومن يطيق جالوت وهو من بقية الجبارين. فلما لم يرهم رغبوا في ذلك، قال : فأنا أذهب فأقتله. فانتهروه وغضبوا عليه ؛ فلما غفلوا عنه ذهب حتى جاء الصائح، فقال : أنا أبرز لجالوت. فذهب به إلى الملك فقال له : لم يجبني أحد إلا غلام من بني اسرائيل هوذا. قال : يابني انت تبرز لجالوت فتقاتله ؟ قال : نعم. قال : وهل آنست من نفسك شيئا ؟ قال : نعم، كنت راعيا في الغنم، فأغار علي الأسد، فأخذت بلحييه ففككتهما. فدعا له بقوس وأداة كاملة فلبسها وركب الفرس، ثم سار منهم قريبا، ثم صرف فرسه فرجع إلى الملك. فقال الملك ومن حوله : جبن الغلام. فجاء فوقف على الملك فقال : ما شأنك ؟ قال داود : إن لم يقتله الله لي لم يقتله هذا الفرس وهذا السلاح فدعني فأقاتل كما أريد. فقال : نعم يابني. فأخذ داود مخلاته فتقلدها وألقى فيها أحجارا، وأخذ مقلاعه الذي كان يرعى به، ثم مضى نحو جالوت. فلما دنا من عسكره قال : أين جالوت يبرز لي ؟ فبرز له على فرس عليه السلاح كله. فلما رآه جالوت قال : إليك أبرز ؟ قال : نعم.

---

(٣٨) البقرة : ٢٥١.

(٣٩) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ.

قال فأتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى إلى الكلب ؟ قال : هو ذاك . قال : لا جَرَم أني سوف أقسم لحمك بين طير السماء وسباع الأرض . قال داود : أويقسم الله لحمك . فوضع داود حجراً في مقلاعه ثم دوّره فأرسله نحو جالوت ، فأصاب أنف البيضة التي على جالوت ، حتى خالط دماغه ، فوقع من فرسه فمضى داود اليه فقطع رأسه بسيفه ، فأقبل به في مخلاته وبسلبه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ، ففرحوا فرحا شديدا وانصرف طالوت .

فلما كان داخل المدينة ، سمع الناس يذكرون داود فوجد في نفسه ، فجاءه داود فقال : أعطني امرأتي . فقال : أتريد ابنة الملك بغير صداق ؟ فقال داود : ما اشترطت علي صداقا ، ومالي من شيء ، قال : لا أكلفك إلا ماتطيق ، أنت رجل جرىء وفي جبالنا هذه جراجمة يحتربون الناس وهم غلف ، فاذا قتلت منهم مائتي رجل فأتني بغلفهم . فجعل كلما قتل منهم رجلا نظم غلفته في خيط حتى نظم مائتي غلفة ، ثم جاء بها الى طالوت ، فقال : ادفع لي امرأتي قد جئت بما اشترطت ، فزوجه ابنته . وأكثر الناس ذكر داود ، وزاده عند الناس عجبا ، فقال طالوت لابنه : لتقتلنّ داود . قال : سبحان الله ليس بأهل ذلك منك . قال : إنك غلام أحمق ، ما أراه الا سوف يخرجك وأهل بيتك من الملك .. فلما سمع ذلك من أبيه انطلق الى أخته وطلب إليها ان تعلم زوجها داود أن يأخذ حذره لأن أباه يريد قتله ، ففعلت ، فهرب داود ، وكان فارا في الجبل حتى قتل طالوت ، وملك داود بعده .»

وذكر الطبري روايات أخرى منسوبة إلى ابن اسحق ، ومجاهد ، والسّدّى والربيع ، وابن زيد ، وابن جريج ـ وجميع هذه الروايات لاتخرج عما ذكرناه في رواية وهب ، الا في بعض التفاصيل غير المهمة .[٤٠]

أما المسعودي[٤١] فيقول في شأن المعركة التي قتل فيها داود جالوت ، والاستعداد لها : اشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده ، وبلغه انقياد بني اسرائيل الى طالوت ، فسار جالوت من فلسطين بأجناس من البربر ـ وهو جالوت بن بايول بن ريال بن حطان بن فارس ـ فنزل بساحة بني اسرائيل ، فأمر شمويل طالوت بالسير ببني اسرائيل إلى حرب جالوت فابتلاهم الله عز وجل بنهر بين الأردن وفلسطين وسلط عليهم العطش ، وقد قص الله ذلك في كتابه ، وأمروا كيف يشربون من النهر ، فولغه أهل الريبة ولوغ الكلاب ، فقتلهم طالوت عن آخرهم ، ثم فضل من خيارهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم أخوة داود عليه السلام ، ولحق داود بإخوته ، فتوافق الجيشان جميعا ، وكانت الحرب بينهما سجالا ، وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج إلى جالوت ثلث ملكه ويتزوج ابنته .

---

(٤٠) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، تأليف ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ج ٢ ، الطبعة الثالثة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ص ٦٢٥ ـ ٦٣٢ .

(٤١) توفى سنة ٣٤٦ هـ .

فبرز داود فقتله بحجر كان في مخلاته ، رماه بمقلاع فخر جالوت ميتا . وقد ذكر أن الحجر الذي كان في مخلاة داود كان ثلاثة أحجار ، فاجتمعت وصارت حجرا واحدا .. وهي التي قتل بها جالوت ... وكانت هناك درع أخبرهم نبيهم أنه لايقتل جالوت الا من صلحت عليه تلك الدرع اذا لبسها ، وأنها صلحت على داود .

ثم رفع الله ذكر داود وأخمل ذكر طالوت ، وأبى طالوت أن يفى لداود بما تقدم من شرطه ، فلما رأى ميل الناس اليه زوجه ابنته وسلم اليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس . ثم حسده بعد ذلك وأراد اغتياله ، فمنعه الله عز وجل من ذلك ، فأبى داود أن ينافسه في ملكه . ونما أمر داود ، فبات طالوت على سرير ملكه فمات من ليلته كمدا ، وانقادت بنو اسرائيل إلى داود .... وذكر ان الموضع الذي قتل فيه جالوت كان ببيسان من أرض الغور من بلاد الأردن .[٤٢]

ويذكر الثعلبي رواية بدون سند شبيهة بالروايات التي ذكرها الطبري ، الا أنه يقول إن طالوت اشترط على داود أن يقتل مائتين من المشركين كصداق لابنته ، وأن يأتي برؤوسهم بدلا من غلفهم .[٤٣]

ويذكر الزمخشري[٤٤] والطبرسي[٤٥] والقرطبي[٤٦] والبيضاوي[٤٧] روايات مشابهة للروايات التي ذكرها الطبري والتي لاتختلف في جوهرها عن رواية وهب بن منبه التي أوردناها ، فلا حاجه لذكرها .

غير أن ابن كثير يقول : ذكروا في الاسرائيليات أن داود قتل جالوت بمقلاع كان في يده رماه به فأصابه فقتله . وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته ويشركه في أمره ، فوفى له ، ثم آل الملك إلى داود عليه السلام .[٤٨]

ونختتم أقوال المفسرين بشأن مقتل جالوت على يدي داود عليه السلام ، بما يقوله سيد قطب والحكمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى من قتل جبار قوي على يد فتى صغير مؤمن . يقول : كان داود فتى

---

(٤٢) مروج الذهب ، للمؤرخ ابى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ، الطبعة الأولى ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٦٧ ـ ٦٩ . وقول المسعودى إن طالوت بات على سرير ملكه فمات من ليلته كمدا ، يخالف رواية العهد القديم المشهورة والتي تقول إن شاؤل (وهو طالوت) قتل في معركة جبل جلبوع التي وقعت بين بنى اسرائيل والفلسطينيين .

(٤٣) قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ، تأليف ابى اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى ـ المعروف بالثعلبى ـ المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٤ .

(٤٤) الكشاف للامام جاد الله محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، الجزء الأول ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ٢٩٦ .

(٤٥) مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، ج ٢ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ٢٩١ .

(٤٦) الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ ، ج ٣ الطبعة الثالثة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨ .

(٤٧) تفسير القرآن الكريم ، للقاضى ناصر الدين ابى سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى المتوفى سنة ٧٩١ هـ ، مكتبة الجمهورية المصرية ، القاهرة ص ٧٦ .

(٤٨) تفسير القرآن العظيم ، للامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، ج ١ ، دار الفكر ، ص ٣٠٣ .

صغيرا من بني اسرائيل، وكان جالوت ملكا قويا وقائدا مخوفا، ولكن الله شاء أن يرى القوم وقتذاك ان الأمور لاتجرى بظواهرها إنما تجرى بحقائقها. وحقائقها يعلمها هو، ومقاديرها في يده وحده. فليس عليهم إلا أن ينهضوا هم بواجبهم ويفوا لله بعهدهم ثم يكون مايريده الله بالشكل الذي يريده. وقد أراد أن يجعل مصرع هذا الجبار الغشوم على يد هذا الفتى الصغير، ليرى الناس أن الجبابره الذين يرهبونهم ضعاف يغلبهم الفتية الصغار حين يشاء الله أن يقتلهم..

وكانت هنالك حكمة أخرى مغيبة يريدها الله. فلقد قدر أن يكون داود هو الذي يتسلم الملك بعد طالوت ويرثه ابنه سليمان فيكون عهده هو العهد الذهبي لبني اسرائيل في تاريخهم الطويل، جزاء انتفاضة العقيدة في نفوسهم بعد الضلال والانتكاس والشرود[٤٩] ...

إتيانُهُ المُلْك والحكمة..:

يقول تعالى: «... وآتاهُ اللهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ وعلَّمَه مما يشاء»[٥٠] يقول الطبري في تفسير ذلك: الهاء في قوله «وآتاه الله» عائدة على داود. والمُلْك: السلطان. والحكمة: النبوة.. وقوله: «وعلّمه مما يشاء» ... يعني علّمه صنعة الدروع، والتقدير في السرد، كما قال الله تعالى ذكره: «وعلَّمناه صَنْعَةَ لَبُوسٍ لكم لتُحْصِنَكُم من بأسِكم.»[٥١] وقد قيل: إن معنى قوله «وآتاه اللهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ».. أن الله آتى داود ملك طالوت ونبوة أشمويل[٥٢].

ويقول الزمخشري في معنى «وآتاه الله الملك» ... أي في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها، وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود.. «والحكمة»: النبوة.. «وعلمه مما يشاء» ... من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك[٥٣] ...

ويقول الطبرسي: «وآتاه الله الملك» ... أي وأعطاه الملك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ... «والحكمة» قيل: النبوة، ولم يكن نبيا قبل قتل جالوت، فجمع الله له الملك والنبوة عند موت طالوت في حالة واحدة، لأنه لايجوز أن يترأس من ليس بنبي لأنه قلب ماتوجبه الحكمة، لأن النبي يوثق بظاهره وباطنه ولايخبر إلا بحق ولايدعو الا حقاً، فليس كذلك من ليس بنبي .... وقيل يجوز ذلك اذا كان يفعل مايفعل بأمره ومشورته ... «وعلمه مما يشاء» ... معناه وعلمه أمور الدين ومايشاء من أمور الدنيا، منها صنعة

---

(٤٩) في ظلال القرآن، سيد قطب، الجزء الثانى، الطبعة الرابعة، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ص ٢٢١.
(٥٠) البقرة، آية ٢٥١.
(٥١) الأنبياء، آية ٨٠.
(٥٢) تفسير الطبرى، الجزء الثانى، ص ٦٣٢.
(٥٣) تفسير الزمخشرى (الكشاف) الجزء الأول، ص ٢٩٦.

الدروع ، فإنه كان يلين له الحديد كالشمع . وقيل : الزبور والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل ، وقيل : الصوت الطيب والألحان[٥٤] .

ويرى القرطبي في تفسير قوله تعالى : «وآتاه الله الملك والحكمة» عن ابن عباس قال : هو أن الله أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند صومعة داود ، فكان لايحدث في الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة فيعلم داود ماحدث ، ولا يمسّها ذو عاهة الا برىء .

وكانت علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون أكفهم على صدورهم ، وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود عليه السلام إلى أن رفعت .

ويقول في قوله تعالى : «مما يشاء» .. أي مما شاء ، وقد يوضع المستقبل موضع الماضي[٥٥] .

ثانيا ـ الحكم في مسألة الحرث :

يقول تعالى : «وداودَ وسليمانَ إذْ يَحْكُمانِ في الحَرْثِ إذْ نَفَشَتْ فيه غَنَمُ القَوْمِ وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهدين . ففهَّمْناها سليمانَ ، وكلًّا آتينا حُكْماً وعِلْماً ، وسَخَّرْنَا مع داودَ الجبالَ يُسَبِّحْنَ والطيرَ ، وكنّا فاعلين . وعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لكم لتُحْصِنَكُم من بأسِكُم ، فهل أنتم شاكرون»[٥٦] .

لقد أورد المفسرون في تفسير هذه الآيات الكريمة التي تبيّن فضل الله تعالى على النبيين الكريمين داود وسليمان ونعمه عليهما ، رواياتٍ عديدة نجملها فيما يلي :

ـ رواية الطبري :

يقول الطبري في تفسير مسألة الحرث إن أهل التأويل اختلفوا في ذلك الحرث ماكان ؟ فقال بعضهم ومنهم ابن اسحق وقتاده إنه كان زرعا . وقال آخرون ومنهم ابن مسعود وشُرَيْح إنه كان كَرْماً . قال ابن مسعود إنه كَرْمٌ أَنْبَت عناقيده .

قال ابو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ماقاله الله تبارك وتعالى «إذ يَحكمان في الحَرْث» والحرث إنما هو حرث الأرض . وجائز أن يكون ذلك زرعا ، وجائز أن يكون غرسا ، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان . وقوله «إذ نَفَشَتْ[٥٧] فيه غَنَمُ القومِ» يقول : حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا ، فرعته أو أفسدته ....

(٥٤) مجمع البيان للطبرسى ، الجزء الثانى ، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ .
(٥٥) الجامع لأحكام القرآن ، الجزء الثالث ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .
(٥٦) سورة الأنبياء ، الآيات ٧٨ ـ ٨٠ .
(٥٧) نفشت الماشية في الزرع : تفرقت فيه ليلا ترعاه وليس معها راع . والفعل من باب نصر وضرب وفرح ....

«وكنا لحكمهم شاهدين» يقول : وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث ، شاهدين لايخفى علينا منه شيء ، ولايغيب عنا علمه . وقوله : «ففهمناها» يقول : ففهمنا القضية في ذلك (سليمان) دون داود ...

«وكلاً آتَيْنا حُكْماً وعِلْماً» يقول : وكلُّهم ، من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أول هذه السورة ، آتينا حكما هو النبوة ، وعلما : يعنى وعلماً بأحكام الله .

ويروى الطبري بسنده عن ابن عباس قوله .. «وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث» .. إلى قوله «وكنّا لحكمهم شاهدين» .. يقول : كنا لما حكما شاهدين . وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث : إن هذا أرسل غنمه في حرثي فلم يبق من حرثي شيئا . فقال له داود : اذهب فان الغنم كلها لك ، فقضى بذلك داود . ومر صاحب الغنم بسليمان فأخبره بالذي قضى به داود ، فدخل سليمان على داود فقال : يانبي الله إن القضاء سوى الذي قضيت . فقال كيف .... ؟ قال سليمان : إن الحرث لايخفى على صاحبه مايخرج منه في كل عام ، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفى ثمن الحرث ، فان الغنم لها نسل في كل عام . فقال داود : قد أصبت ، القضاء كما قضيت ، ففهَّمها الله سليمان ...[٥٨]

ـ ويقول الزمخشري كان سليمان عندما قضى في مسألة الحرث ابن إحدى عشرة سنة .. ثم يقول : إن حكم كل من داود وسليمان كان بالوحي ، الا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان . وقيل : اجتهدا جميعا ، فجاء اجتهاد سليمان أشبه بالصواب ... وفي قوله «ففهمناها سليمان» دليل على أن الأصوب كان مع سليمان ... وفي قوله «وكلا أتينا حكما وعلما» دليل على أنهما جميعا كانا على الصواب .[٥٩] .

ـ كذلك فان الطبرسي يرى أن حكمهما كان بالوحي ، وهو يؤيد رواية الجبائي الذي يقول : إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سليمان بما نسخ به حكم داود الذي كان يحكم به من قبل ، ولم يكن ذلك عن اجتهاد لأنه لا يجوز للأنبياء أن يحكموا بالاجتهاد[٦٠] .

ـ وجاء في زاد المسير لابن الجوزى أن أبا سليمان الدمشقي قال : كان قضاء داود وسليمان جميعا عن طريق الاجتهاد ولم يكن نصا ، اذ لو كان نصا ما اختلفا . وقال الحسن : لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة قد هلكوا ولكنه أثنى على سليمان لصوابه ، وعذر داود باجتهاده[٦١] .

---

(٥٨) تفسير الطبرى ، ج ١٧ ، ص ٥٠ ـ ٥٣ .
(٥٩) الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٢٩ .
(٦٠) مجمع البيان للطبرسى ، ج ١٧ ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .
(٦١) زاد المسير في علم التفسير ، تأليف أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) ، ج ٥ ، الطبعة الأولى ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق وبيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ .

ـ وجاء في تفسير القرطبي أن قوما تأولوا أن داود عليه السلام لم يخطىء في هذه النازلة ، بل فيها أوتى الحكم والعلم . وحملوا قوله تعالى : «ففهمناها سليمان» على أنه فضيلة له على داود ، وفضيلته راجعة إلى داود ، والوالد تسره زيادة ولده عليه . وقالت فرقة : بل إنه لم يصب العين المطلوبة في هذه النازله ، وإنما مدحه الله بأن له حكما وعلما يرجع إليه في غير هذه النازلة ، وأما هذه فأصاب سليمان وأخطأ داود عليهما السلام ، ولا يمتنع وجود الخطأ والغلط من الأنبياء كوجوده من غيرهم ، لكن لايقرون عليه ، وإن أقر عليه غيرهم . وقال قوم : كان داود وسليمان نبيين يقضيان بما يوحى اليهما ، فحكم داود بوحي ، وحكم سليمان بوحي نسخ الله به حكم داود ، وقال الجمهور : إن حكمهما كان باجتهاد .. واختلف العلماء في جواز الاجتهاد على الأنبياء فمنعه قوم ، وجوزه المحققون ، لأنه ليس فيه استحالة عقلية . يقول القرطبي : فإن قيل : إنما يكون دليلا اذا عدم النص وهم لايعدمونه ، قلنا ـ والكلام للقرطبي ـ اذا لم ينزل المَلَك فقد عدم النص عندهم ، وصاروا في البحث كغيرهم من المجتهدين عن معاني النصوص التي عندهم . والفرق بينهم وبين غيرهم من المجتهدين أنهم معصومون عن الخطأ ، وعن الغلط وعن التقصير في اجتهادهم ، وغيرهم ليس كذلك .[٦٢] .

ـ ويقول ابن كثير في معرض حديثه عن تفسير تلك الآية : أما الأنبياء عليهم السلام فكلهم معصومون مؤيدون من الله عز وجل ، وهذا مما لاخلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف . وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخارى عن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، واذا اجتهد فأخطأ فله أجر» . وفي السنن : القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار ، رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار .[٦٣]

ـ كذلك فان البيضاوي يقول إن حكمهما كان اجتهادا .[٦٤] ومثل ذلك قال المراغي[٦٥] ، وسيد قطب الذي يقول : كان حكم داود وحكم سليمان في القضية اجتهادا منهما ، وكان الله حاضرا حكمهما ، فألهم سليمان حكما أحكم وفهمه ذلك الوجه وهو أصوب . لقد اتجه داود في حكمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحرث ، وهذا عدل فحسب . ولكن حكم سليمان تضمن مع العدل البناء والتعمير ، وجعل العدل دافعا إلى البناء والتعمير . وهذا هو العدل الحي الإيجابي في صورته البانية الدافعة وهو فتح من الله والهام يهبه من

---

(٦٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبى ، ج ١١ ، ص ٣٠٧ ـ ٣١٦ .
(٦٣) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٨٦ .
(٦٤) تفسير البيضاوى ، ص ٣٥٧ .
(٦٥) تفسير المراغى ، تأليف أحمد مصطفى المراغى ، ج ١٧ ، الطبعة الرابعة ، مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٩٦٩ ، ص ٥٦ ـ ٥٨ .

يشاء . ولقد أوتى داود وسليمان كلاهما الحكمة والعلم : «وكلا آتينا حكما وعلما ..» وليس في قضاء داود من خطأ ، ولكن قضاء سليمان كان أصوب ، لأنه من نبع الإلهام .[٦٦]

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى : «وسخّرنا مع داودَ الجبالَ يُسَبِّحْنَ والطيرَ» أى : وسخّرنا مع داود الجبال والطير يسبحن معه إذا سبّح . وعن قتادة قال في تفسيره : أي يصلين مع داود اذا صلى . وقوله «وكنا فاعلين» يقول : وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك ، ومسخرو الجبال والطير في أم الكتاب مع داود عليه السلام .

يقول تعالى : «وعلَّمناه صنعةَ لَبُوسٍ لكم لتُحْصِنَكُم من بأسكم ، فهل أنتم شاكرون» . يقول الطبري : اللبوس عند العرب : السلاح كله ، درعا كان أو جوشناً أو سيفا أو رمحاً ، يدل على ذلك قول الهذلي :

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلَّبِيسِ كأنَّهُ * رَوْقٌ بجَبْهَةِ ذِى نِعَاجٍ مُجْفِلِ[٦٧]

وهو يصف بذلك رمحا . وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا : عَنَى الدروع . وعن قتاده قال : كانت قبل داود صفائح ، فكان أولَ من سَرَدَها وحَلَّقها هو داود عليه السلام .

واختلف القراء في قراءة قوله تعالى «لِتُحْصِنَكُم» ، فقرأ أكثر قراء الأمصار «لِيُحْصِنَكم» بالياء ، بمعنى : ليحصنكم اللَّبوس من بأسكم ، ذكّروه لتذكير اللَّبوس . وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع «لِتُحْصِنَكُم» بالتاء ، بمعنى : لتحصنكم الصنعة ، فأنَّث لتأنيث الصنعة .

وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم بن أبي النَّجود «لِنُحْصِنَكُم» بالنون ، بمعنى : لنحصنكم نحن من بأسكم .

قال أبو جعفر : وأولى القراءات في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بالياء لأنها القراءة التي عليها الحجة من قراء الأمصار ، وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني ، وذلك أن الصنعة هي اللبوس ، واللبوس هي الصنعة ، والله هو المحصن به من البأس ، وهو المحصن بتصيير الله إياه كذلك .

ومعنى قوله «ليحصنكم» ليحرزكم ، وهو من قوله :قد أحصن فلان جاريته . والبأس : القتال ، وعلّمنا داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم اذا لبستموه ولقيتم فيه أعداءكم من القتل .

وفي تأويل قوله تعالى «فهل أنتم شاكرون» يقول : فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم ، يقول : فاشكروني على ذلك[٦٨] .

---

(٦٦) في ظلال القرآن ، ج ١٧ ، ص ٤٥ .

(٦٧) البيت في (اللسان) واللبوس : ما يلبس ، وهو الثياب والسلاح . واللبوس في الآية : الدرع تلبس في الحروب . والشاعر هنا يشبه رمحا بروق الثور المجفل يدافع عن نعاجه وهي بقر الوحش .

(٦٨) تفسير الطبرى ، الجزء السابع عشر ، ص ٥٤ - ٥٥ .

- ويقول ابن كثير :

وقوله تعالى .. «وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير» وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان اذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه وترد عليه الجبال تأويبا، ولهذا لما مر النبي ﷺ على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من الليل، وكان له صوت طيب جدا فوقف واستمع لقراءته وقال: «لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود» ..... قال: يارسول الله لو علمت أنك تستمع لحبّرته لك تحبيرا. وقال أبو عثمان النهدي: ماسمعت صوت صنج ولا بربط ولا مزمار مثل صوت أبي موسى رضى الله عنه، ومع هذا قال عليه الصلاة والسلام ... «لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود» ... وقوله تعالى: « وعلّمناه صَنْعَةَ لَبُوسٍ لكم لتحصنكم من بأسكم» إنما كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من سردها حلقا. كما قال تعالى .. «وأَلَنَّا له الحديد أنِ اعملْ سَابغاتٍ وقَدِّرْ في السَّرْدِ» أي لاتوسع الحلقة فتقلق المسهارة ولا تغلظ المسهار فتقد الحلقة، ولهذا قال «لتحصنكم من بأسكم» يعنى في القتال. «فهل أنتم شاكرون» أى نعم الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعلمه ذلك من أجلكم.[٦٩].

- ويقول سيد قطب في تفسير الآيات :

لقد عرف داود عليه السلام بمزاميره، وهي تسابيح لله كان يرتلها بصوته الحنون، فتتجاوب أصداؤها حوله وترجع معه الجبال والطير. ويعطى سيد قطب صورة لحالة الاتصال التي كان عليها داود حين يسبح ويرتل مزاميره فيقول: وحينما يتصل قلب عبد بربه فانه يحس الاتصال بالوجود كله، وينبض قلب الوجود معه، وتنزاح العوائق والحواجز الناشئة عن الشعور بالفوارق والفواصل التي تميز الأنواع والأجناس، وتقيم بينها الحدود والحواجز .. وعندئذ تتلاقى ضمائرها وحقائقها في ضمير الكون وحقيقته ....

وفي لحظات الإشراق تحس الروح باندماجها في الكل واحتوائها على الكل .... عندئذ لاتحس بأن هناك ماهو خارج عن ذاتها، ولا بأنها هي متميزة عمّا حولها. فكل ماحولها مندمج فيها وهي مندمجة فيه ...

ومن النص القرآني نتصور داود وهو يرتل مزاميره، فيسهو عن نفسه المنفصلة المتميزة المتحيزة، وتهيم روحه في ظلال الله في هذا الكون ومجاليه ومخلوقاته، الجوامد منها والأحياء .... فيحسّ ترجيعها ويتجاوب معها كما تتجاوب معه ... واذا الكون كله فرقة مرتلة عازفة مسبحة بجلال الله وحمده. «وإنْ مِنْ شيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بحمده ولكنْ لاتَفْقَهونَ تَسبيحَهُم.»[٧٠] إنما يفقهه من يتجرد من الحواجز والفواصل وينطلق مع أرواح الكائنات المتجهة كلها الى الله ...[٧١].

---

(٦٩) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٨٧.

(٧٠) سورة الاسراء، الآية ٤٤.

(٧١) في ظلال القرآن، الجزء السابع عشر، ص ٤٥ - ٤٦.

ثالثا : فضل الله ونعمه على داود :

لقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تبين فضل الله على داود ، وما آتاه من النعم العظيمة التي خصه - وابنه سليمان عليهما السلام - بها ، دون سائر خلقه سبحانه وتعالى . وقد أوردنا جانبا من نعم الله على داود المذكورة في سورة البقرة وسورة الأنبياء ، وسنذكر فيما يلي جانبا آخر مما جاء في آي القرآن الكريم بهذا الشأن .

١ - في سورة النمل :

يقول تعالى : «ولقد آتَيْنَا داودَ وسليمانَ عِلْماً وقالا الحمدُ للهِ الذي فَضَّلَنا على كثيرٍ من عبادِه المؤمنين»[٧٢] .

يقول الطبرى في تأويل (العِلْم) الذي آتاه الله داود وسليمان : ذلك هو علم كلام الطير والدواب ، وغير ذلك مما خصهما الله بعلمه . وقوله تعالى «وقالا الحمد لله الذي فضَّلَنا على كثير من عباده المؤمنين» يقول جل ثناؤه : وقال داود وسليمان : الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم ، الذي آتاناه دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا ، على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا[٧٣] .

ويقول الزمخشري : «علما» : أي طائفة من العلم ، أو علما سنيا غزيرا ... ويقول الزمخشري في تعليل ورود (الواو) لا (الفاء) في قوله تعالى «وقالا» : فان قلت : أليس هذا موضع الفاء دون الواو ، كقولك : أعطيته فشكر ، ومنعته فصبر ؟ . قلت : بلى ، ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ماقالاه بعض ماأحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه ، فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد ، كأنه قال : ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه[٧٤] والفضيلة .

«وقالا الحمد لله الذي فَضَّلَنا» ، والكثير المفضل عليه : من لم يؤت علما ، أو من لم يؤت مثل علمهما . وفيه : أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير . وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله ، وتقدم حملته وأهله ، وأن نعمة العلم من أجلّ النعم ، وأجزل القسم ، وأن من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباد الله ، كما قال : «والذين أوتوا العلم درجات» ، وماساهم رسول الله ﷺ «ورثة الأنبياء»[٧٥] إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة ، لأنهم القوام بما بُعثوا من أجله . وفي الآية أيضا التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم - وإن

---

(٧٢) سورة النمل ، آية ١٥ .

(٧٣) تفسير الطبرى ، الجزء التاسع عشر ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٧٤) جاء في هامش الكشاف : (بجّلا - داود وسليمان - نعمة الله عليهما من حيث قولهما (فَضَّلَنا) وتواضعا بقولهما (على كثير) ولم يقولا : على عبادِه ، اعترافا بأن غيرهما يفضلهما ، حذراً من الترفع) . (هامش الكشاف ، ص ٣٥٢) .

(٧٥) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي الدرداء ، قوله (ص) : (من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، وفيه : أن العلماء ورثة الأنبياء) « هامش الكشاف ، ص ٣٥٣ » .

فُضِّل على كثير ـ فقد فُضِّل عليه مثلهم . وما أحسن قول عمر (رضى الله عنه) : كل الناس أفقه من عمر[٧٦] .

ويقول ابن كثير : يخبر تعالى عما أنعم على عبديه ونبّييه داود وابنه سليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجميلة وماجمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة ، والملك والتمكين التام في الدنيا ، والنبوة والرسالة في الدين . ولهذا قال تعالى : «ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضَّلنا على كثير من عباده المؤمنين» .[٧٧]

٢ ـ في سورة سبأ :

يقول الله تعالى : «ولقد آتَيْنا داودَ منّا فَضْلاً ، ياجبالُ أَوِّبي معه والطيرَ وأَلَنّا له الحديد . أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وقَدِّرْ في السَّرْدِ ، واعْمَلوا صالحاً إنّي بما تَعملون بَصير»[٧٨] .

يذكر الطبري في تأويل ذلك : يقول تعالى ذكره : «ولقد أعطينا داود منا فضلا» ، وقلنا للجبال «أوّبي معه» : أي سبحي معه اذا سبح والتأويب عند العرب : الرجوع ، ومبيت الرجل في منزله وأهله ؛ ومنه قول الشاعر :

يَوْمَانِ يَوْمُ مَقَاماتٍ وأَنْدِيَةٍ * وَيَوْمُ سَيْرٍ الى الأعداءِ تأويبِ[٧٩]

أى رجوع . وقد كان بعضهم يقرؤه «أُوْبِي مَعَهُ» من آبَ يئوبُ ، بمعنى : تصرفي معه ، وتلك قراءة ـ يقول الطبري ـ لا أستجيز القراءةَ بها لخلافها قراءة الحجة .

وقوله «والطَّيْرَ» وفي نصب (الطير) وجهان : أحدهما : على ماقاله ابن زيد من أن الطير نوديت كما نوديت الجبال ، فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع ، بما لايحسن إعادة رافِعِهِ عليه ، فيكون كالمصروف عن جهته . والآخر : فعل ضمير متروك استغنى عنه بدلالة الكلام عليه ، فيكون معنى الكلام : فقلنا : ياجبال أوِّبي معه ، وسخرنا له الطير .

وقد يجوز رفع (الطير) وهو معطوف على (الجبال) ، وان لم يحسن نداؤها بالذى نوديت به الجبال ، فيكون ذلك كما قال الشاعر :

---

(٧٦) الكشاف ، الجزء الثالث ، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .
(٧٧) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٥٨ .
(٧٨) سورة سبأ ، الآيتان ١٠ ، ١١ .
(٧٩) البيت لسلامه بن جندل ، واستشهد به في (اللسان : أوب) وقال : التأويب أن يسير النهارَ أجمع وينزل الليل ، وقيل : هو تباري الركاب في السير . ثم قال : التأويب في كلام العرب : سير النهار كله الى الليل ، يقال : أوب القوم تأويباً : أي ساروا بالنهار . والتأويب : الرجوع .

ألا يا عَمْرُو والضحَّاكَ سِيَرا * فقد جَاوَزْتُمَا خَمَرَ الطريقِ[٨٠]

ويستطرد الطبري قائلا : وقوله تعالى : «وأَلَنَّا له الحديد» ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرّفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ، ولا ضرب بحديد . وقوله تعالى «أنِ أعمَلْ سابِغَاتٍ» يقول : وعهدنا إليه أن اعمل سابغات ، وهي التَّوامُّ الكوامل من الدروع . وعن قتاده قال : كان أول من صنعها داود ، وكانت قبل ذلك صفائح .

وقوله تعالى «وقَدِّرْ في السَّرْدِ» اختلف أهل التأويل في (السَّرد) فقال بعضهم : السرد : هو مسمار حلق الدرع . وممن قال ذلك قتادة قال : كان يجعلها بغير نار ، ولا يقرعها بحديد ، ثم يسردها ، والسرد : المسامير التي في الحَلَق .

وقال آخرون : هو الحَلَق بعينها . وممن قال ذلك ابن زيد قال : السرد : حَلَقة ، أي : قَدِّرْ تلك الحلق . قال الشاعر :

على ابنِ أبي العاصِ دلاصٌ حصينةٌ * أَجادَ المُسَدَّى سَرْدَها وأَذَالَها .[٨١]

يقول : وسعها ، وأجاد حلقها .

وعن ابن عباس قال في تأويل قوله تعالى «وقَدِّرْ في السرد» : يعنى بالسرد : ثقب الدروع فيسد قتيرها . وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : يقال درع مسرودة : اذا كانت مسمورة الحلق ، واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر :

وعليهما مَسْرودتَان قَضَاهما * داودُ أوصَنَعُ السَّوابغِ تُبَّعُ[٨٢] .

ويحدث الطبرى بسنده عن قتاده «وقَدِّرْ في السرد» قال : كانت صفائح فأمر ان يسردها حلقا . وعنى بقوله «وقدر في السرد» وقدِّر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار ، لاتغلظ المسمار وتضيق الحلقة فتفصم الحلقه ، ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس في الحلقة .

---

(٨٠) البيت من شواهد الفراء في معانى القرآن . قال في قوله تعالى : « يا جبال أوبى معه والطير » : منصوبة على جهتين : إحداهما أن تنصبها بالفعل ، بقوله : « ولقد آتينا داود منا فضلا » وسخرنا له الطير ، فيكون مثل قولك : أطعمته طعاما وما تريد ، وسقيته ماء ، فيجوز ذلك . والوجه الآخر بالنداء ، لأنك اذا قلت : يا عمرو والصلتَ أقبلا ، نصبت (الصلت) بدعائهما فاذا فقدت كان كالعدول عن جهته ، فنصب . وقد يجوز رفعه على أن يتبع ما قبله ، ويجوز رفعه على (أوبى أنت والطيرُ) . والخَمَر بالتحريك : ما سترك من الشجر وغيرها . (هامش الطبرى ، ص ٦٦) .

(٨١) البيت لكثير عزة . ويقال : أذال فلان ثوبه اذا أطال ذيله . وسردها : سمّرها بالمسامير . والمُسَدَّى : من التسديد وهي أن يجعل الدرع مضاعفة ، لها سدى ولحمة ، على التشبيه بالثوب الذي له سدى ولحمه . أو السدى : أسفل الثوب والدرع ، والتسديد منه توسيع أسفلها حتى لا يعوق لابسه في السير اذا كان ضيقا . (اللسان) .

(٨٢) قضاهما : أى فرغ من عملهما . ومعنى البيت أنهما جاءا وعليهما درعان سابغتان أى طويلتان محكمتا الصنع ، كأنهما من صنع داود عليه السلام ، أو من صنع تبّع ملك اليمن العظيم (حاشية الطبرى ، ص ٦٧)

وقوله تعالى: «وأعملوا صالحا»: أي واعمل ياداود أنت وآلك بطاعة الله. «إني بما تعملون بصير» يقول جل ثناؤه: إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لايخفى على منه شيء، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك.(٨٣)

وفي سبب إلانةِ الحديد له في قوله تعالى «وأَلَنَّا له الحديد» يقول الثعلبي: كان سبب ذلك ماروى في الأخبار أن داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج إلى الناس متنكرا، فاذا رأى رجلا لايعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيثنى عليه ويقول خير، فبينما هو كذلك يوما من الأيام إذ قَيَّضَ الله له مَلَكاً في صورة الآدميين، فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله. فقال له المَلَك: نعم الرجل هو لولا خصلة فيه. فراع داود ذلك فقال: ماهي ياعبدالله؟ قال: إن داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال. فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله. فألانَ له الحديد، فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول.

وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد. ويقال إنه كان يبيع كل درع من الدروع التي يعملها بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين.(٨٤)

ويقول القرطبي في تأويل قوله تعالى «ولقد آتينا داود منا فضلا»، أي أمرا فضلناه به على غيره. واختلف في هذا الفضل على تسعة أقوال:

١ ـ النبوّة   ٢ ـ الزبور   ٣ ـ العلم

٤ ـ القوة   ٥ ـ تسخير الجبال والناس   ٦ ـ التوبه «فغفرنا له ذلك»

٧ ـ الحكم بالعدل، «ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض» الاية.

٨ ـ إلانة الحديد   ٩ ـ حسن الصوت(٨٥)

٣ـ في سورة ص:

يقول الله سبحانه وتعالى: «اصبرْ على مايقولون واذُكْر عبدَنا داودَ ذا الأيدِ إنه أوّاب. إنا سخَّرنا الجبالَ معه يسبحنَ بالعشيِّ والإشراق. والطيرَ محشورةً كلّ له أواب. وشَدَدْنا مُلْكه وآتيناهُ الحكْمَةَ وفَصْلَ الخِطَاب.»(٨٦)

---

(٨٣) تفسير الطبرى، الجزء الثاني والعشرون، ص ٦٥ ـ ٦٨.
(٨٤) الثعلبى، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧.
(٨٥) تفسير القرطبى، ج ١٤، ص ٢٦٤.
(٨٦) سورة (ص)، الآيات ١٧ ـ ٢٠.

يقول الطبري في تأويل هذه الآيات : يعنى بقوله تعالى : «ذا الأيد» : ذا القوة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته .

ويقول في تأويل قوله تعالى : «إنه أواب» : إن داود رَجَّاع لما يكرهه الله إلى مايرضيه أواب ، وهو من قولهم : آبَ الرجل إلى أهله : اذا رجع .

وروى بسنده عن مجاهد قال : رجّاع عن الذنوب . وعن قتاده قال : أى كان مطيعا لله كثير الصلاة . وعن السدى قال : المسبِّح .

ويقول الطبري : في تأويل قوله تعالى «إنا سخَّرنا الجبالَ معه يُسَبِّحْنَ بالعشيِّ والإشراق» : إنا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشي ، وذلك من وقت العصر إلى الليل ، والإشراق وذلك بالغداة وقت الضحى . ذُكِرَ أن داود كان إذا سبّح سبّحت معه الجبال .

ويروي الطبري بسنده عن عبدالله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس كان لايصلي الضحى ، قال : فأدخلته على أم هانىء ، فقلت : أخبري هذا بما أخبرتني به ، فقالت أم هانىء : دخل عليّ رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ، فأمر بماء فصبّ في قصعة ، ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه ، فاغتسل ، ثم رشّ ناحية البيت فصلى ثماني ركعات ، وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء ، قريب بعضهن من بعض ، فخرج ابن عباس وهو يقول : لقد قرأت مابين اللوحين ، ماعرفت صلاة الضحى إلا الآن «يسبحن بالعشي والإشراق» وكنت أقول : أين صلاة الاشراق ، ثم قال : بعدهن صلاة الاشراق .(٨٧)

ويقول الزمخشري في معنى «الاشراق» هو وقت الاشراق ، أي حين تشرق الشمس ، أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى ، وأما شروقها فطلوعها . يقال : شرقت الشمس ، ولمّا تشرق .

وروى عن طاووس عن ابن عباس قال : هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن ؟ قالوا : لا ، فقرأ : «إنا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشي والإشراق» وقال : كانت صلاة يصليها داود عليه السلام ، وعنه : ماعرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية : وعنه (ابن عباس) : لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها بهذه الآية : «يسبحن بالعشي والاشراق» ، وكان لايصلى صلاة الضحى ، ثم صلاها بعد .

وعن كعب أنه قال لابن عباس : إني لا أجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس ، فقال : أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى ، يعنى هذه الآية .....

---

(٨٧) تفسير الطبرى ، ج ٢٣ ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ . انظر : ابن كثير ، الجزء الرابع ، ص ٣٠ ، القرطبى ، ج ١٥ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

ويحتمل أن يكون من أشرق القوم اذا دخلوا في الشروق . ومنه قوله تعالى : «فأخَذَتْهم الصيحةُ مُشْرِقين» ، وقول الجاهلية : أشرق ثبير ، ويراد : وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق .[88]

ويقول القرطبي : صلاة الضحى نافلة مستحبة ، وهي في الغداة بازاء العصر في العشي ، لاينبغي أن تصلى حتى تبيض الشمس طالعة ، ويرتفع كدرها ، وتشرق بنورها ؛ كما لاتصلى العصر اذا اصفرت الشمس ..... وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال : «صلاة الأوابين حين تَرْمَضُ الفصال» ، وذلك يكون في الضحى أو بعده بقليل ، وهو الوقت المتوسط بين طلوع الشمس وزوالها ، قاله القاضي أبو بكر ابن العربي .[89]

ويقول الطبري في تأويل قوله تعالى : «والطيرَ محشورة» أي: وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى: مجموعة له، ذكر أنه عليه السلام كان اذا سبح أجابته الجبال، واجتمعت اليه الطير، فسبحت معه، واجتماعها اليه كان حشرها.

وكان قتادة يقول في تأويل: «والطير محشورة» أي: مسخرة. وفي تأويل «كل له أواب» يقول الطبري: كل ذلك له مطيع رجّاع الى طاعته وامره. ويعني بالكل: كل الطير.

وروى بسنده عن قتاده وابن زيد «كل له اواب» : اي مطيع. وعن السدى قال: مسبح لله.

وقوله تعالى: «وشَدَدْنا مُلْكَه» اختلف اهل التأويل في المعنى الذى به شدد ملكه، فقال السدى: كان يحرسه كل يوم وليلة اربعة آلاف.

وقال آخرون: كان الذي شدد به ملكه، أن أُعْطِيَ هيبة من الناس له لقضية كان قضاها.

يقول الطبري: وأَوْلَى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود، ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له، ولا على هيبة الناس له دون الجنود. وجائز ان يكون تشديده ذلك كان ببعض ماذكرنا، وجائز ان يكون كان بجميعها... ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله، اذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له.

واختلف اهل التأويل في معنى الحكمة في قوله تعالى: «وآتيناه الحكمة» قال السدي: النبوة.

وقال قتادة: أي السنة.

كذلك اختلفوا في معنى قوله تعالى «وفَصْلَ الخِطَابِ» .

---

(٨٨) الكشاف ، ج ٤ ، ص ٧٧ ـ ٧٨ ، انظر : البيضاوى ، ص ٤٧٦ .
(٨٩) تفسير القرطبى ، ج ١٥ ، ص ١٥٨ ـ ١٦٠ .

روى الطبري بسنده عن ابن عباس قال: أعطى الفهم.

وعن مجاهد قال: إصابة القضاء وفهمه.

وعن السدى قال: علم القضاء.

ويروي الطبري بسنده عن شريح أنه قال: «فصل الخطاب» : بينّة المدعي او يمين المدَّعَى عليه. وقال آخرون: بل هو قول: «أما بعد».

يقول الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود عليه السلام فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو المخاطبة. ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في احتكام احدهما الى صاحبه قطع المحتكم اليه الحكم بين المحتكم اليه وخصمه بصواب من الحكم. ومن قطع مخاطبته ايضا صاحبه الزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعيا، فإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه.

ومن قطع الخطاب ايضا الذى هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى، الفصل بينهما «بأما بعد». فاذا كان ذلك كله محتملا ظاهر الخبر، ولم تكن في هذه الآية دلالة على اي ذلك المراد، ولا ورد به خبر عن الرسول ﷺ ثابت، فالصواب أن يعم الخبر، كما عمَّه الله، فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب[٩٠].

ويقول الزمخشري في معنى قوله تعالى «وفصل الخطاب»: «الفصل»: التمييز بين الشيئين. وقيل للكلام البيّن: فصل، بمعنى المفصول لأنهم قالوا: كلام ملتبس، وفي كلامه لبس. والملتبس: المختلط، فقيل في نقيضه: فصل، اي مفصول بعضه من بعض، فمعنى فصل الخطاب: البيّن من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به، لا يلتبس عليه، ومن فصل الخطاب وملخصه: أن لا يخطىء صاحبه مظانَّ الفصل والوصل، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه، ولا يتلو قوله تعالى: «فويل للمصلين» الا موصولا بما بعده، ولا «والله يعلم وانتم» حتى يصله بقوله: «لا تعلمون» ونحو ذلك. وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار، والاظهار والحذف والتكرار..

«وفصل الخطاب»: الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والصواب والخطأ، وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هو قوله: البيّنة على المدعي واليمين على المدعىَ عليه، وهو من الفصل بين الحق والباطل، ويدخل

---

(٩٠) تفسير الطبرى، ج ٢٣، ص ١٣٨ ـ ١٤١.

فيه قول بعضهم: هو قوله: «أما بعد» لأنه يفتتح اذا تكلم في الأمر الذي له شأن بذكر الله وتحميده، فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه: فصل بينه وبين ذكر الله بقوله: أما بعد.

ويجوز أن يراد الخطاب: القصد الذي ليس فيه اختصار مخل، ولا اشباع ممل، ومنه ماجاء في صفة كلام رسول الله ﷺ : فصل لانذر ولا هذر[٩١].

إذن فان النعم التى ذكرها سبحانه وتعالى في سورة (ص) وخص بها نبيه داود عليه السلام هي:

١ ـ أنه سخر الجبال تسبح معه.
٢ ـ وسخر له الطير أيضا تسبح بتسبيحه.
٣ ـ شدد ملكه وقواه.
٤ ـ آتاه الحكمة.
٥ ـ آتاه فصل الخطاب.

وكل ذلك يدل على المنزلة الرفيعة لنبي الله داود عند رب العالمين سبحانه وتعالى.

٤ ـ الزبور:

يقول الله تعالى في سورة النساء: «إنا أَوْحَيْنَا اليك كما أَوْحَيْنا الى نوحٍ والنبيّين من بعده.. وآتَيْنَا داودَ زَبُورا »[٩٢]، ويقول تعالى في سورة الاسراء: «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض، وآتينا داود زبورا»[٩٣].

وهذا فضل آخر آتاه الله داود عليه السلام، وقد اختلف القراء في قراءته، فقراءة عامة قراء الامصار: «وآتينا داود زَبُورا» بفتح الزاي على التوحيد، بمعنى: وآتينا داود الكتاب المسمى زبورا. وقرأ بعض قراء الكوفيين : «وآتينا داود زُبُورا» ، بضم الزاي جمع زُبُر ، كأنهم وجهوا تأويله : وآتينا داود كتبا وصحفا مزبورة ، من قولهم : زَبَرْتُ الكتابَ أَزْبُرُه زَبْراً ، وزَبَرْتُه أَزْبِرُه زَبْراً : اذا كتبته .

قال الطبري: وأَوْلَى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا، قراءة من قرأ «وآتينا داود زَبورا» بفتح الزاي على أنه اسم الكتاب الذي أوتيه داود، كما سمي الكتاب الذي أوتيه موسى التوراة، والذي أوتيه عيسى الإنجيل، والذي أوتيه محمد الفرقان، لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتي داود، وإنما تقول العرب (زَبور داود)، وبذلك يعرف كتابه سائر الأمم[٩٤].

---

(٩١) هو حديث أم معبد . ومن حديث عائشة : « كان كلام رسول الله ﷺ فصلا يفهمه من سمعه » . الكشاف ، الجزء الرابع ، ص ٧٨ ـ ٨٠ . انظر : تفسير البيضاوى ، ص ٤٧٧ .
(٩٢) سورة النساء ، آية ١٦٣ .
(٩٣) سورة الاسراء ، آية ٥٥ .
(٩٤) تفسير الطبرى ، الجزء السادس ، ص ٢٨ .

ويقول المسعودي: أنزل الله عز وجل على داود الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة، وجعله ثلاثة أثلاث: فثلث من يلقون من بخت نصَّر وما يكون من أمره في المستقبل، وثلث ما يلقون من أهل أثور، وثلث موعظة وترغيب وتمجيد وترهيب، وليس فيه أمر ولا نهى، ولا تحليل ولا تحريم[٩٥].

ويقول النسفي في تأويل قوله تعالى «ولقد فضَّلْنا بعضَ النبيين على بعض» فيه اشارة الى تفضيل رسول الله ﷺ ، وقوله: «وآتينا داودَ زَبورا» دلالة على وجه تفضيله وأنه خاتم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود..

قال الله تعالى: «ولقد كتبنا في الزَّبور من بعد الذكر أن الأرض يرثُها عباديَ الصَّالحون»[٩٦]. وهم محمد وأمته .

ولم يُعَرِّفِ الزبور في «وآتينا داود زبورا» وعَرَّفه في قوله «ولقد كتبنا في الزبور» لأنه كالعباس وعباس والفضل وفضل[٩٧].

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية أن الزبور سفر من الأسفار الأربعة التي عرفها محمد ﷺ من التوراة[٩٨].

ونستطيع الآن أن نلخص النعم التي أنعم الله بها على داود عليه السلام فيما يلي:-

١ ـ الزبور، في مائة وخمسين سورة، وهو المزامير عند اهل الكتاب.

٢ ـ الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والألحان. ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوته، وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا[٩٩].

٣ ـ تسخير الجبال يسبحن معه اذا سبح.

٤ ـ تسبيح الطير معه كما تفعل الجبال ايضا.

٥ ـ علم منطق الطير: فقد جاء في سورة النمل «وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس عُلِّمْنَا منطق الطير وأوتينا من كل شيء.»

قال البيضاوي: الضمير في (أوتينا وعُلِّمْنا) يعود له ولأبيه أو له وحده ـ على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة[١٠٠].

---

(٩٥) مروج الذهب، الجزء الأول، ص ٦٩.
(٩٦) سورة الأنبياء، آية ١٠٥.
(٩٧) تفسير النسفى، الجزء الثانى، ص ٣١٧.
(٩٨) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد التاسع، مادة داود، ص ١٢١، انظر الحديث عن المزامير ص ٨٣ ـ ٨٥.
(٩٩) الثعلبى، ص ٢٤٤.
(١٠٠) تفسير البيضاوى، ص ٤٠٨.

ويرى عبدالوهاب النجار أنه يتكلم عنه وعن أبيه لثلاثة أسباب:

أولا: قوله تعالى: «ياجبال أوِّبي معه والطير» (والمقصود هنا داود عليه السلام).

ثانيا: قوله تعالى: «والطير محشورة كل له أواب» (والمقصود هنا أيضا داود عليه السلام).

ثالثا: قوله تعالى: «وورث سليمان داود» اذ الظاهر أنه ورثه في العلم والحكمة[١٠١].

٦ - إلانة الحديد له.

٧ - علّمه صنعة الدروع المركّبة من حَلَق الحديد.

٨ - القوة في العبادة وشدة الاجتهاد، كما قال تعالى: «واذكر عبدنا داود ذا الأيد» يعني القوة في العبادة.

٩ - قوة المملكة وتشديد الملك، لقوله تعالى: «وشددنا ملكه»، أي قوّيناه.

١٠ - السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف الحق من الباطل في المحاكمة اليه كما ورد عند بعض المفسرين، وقد مرّ.

١١ - شدة البطش، فيروى أنه مافر ولا انحاز من عدوٍّ قط[١٠٢].

١٢ - آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب.

رابعا: قصة ابتلاء داود عليه السلام:

لقد وردت قصة ابتلاء داود عليه السلام في الآيات التالية من سورة (ص)، يقول الله تعالى:

« وهَلْ أتاكَ نبأُ الخَصْم إذ تَسوَّروا المحراب. إذْ دخلوا على داودَ فَفَزِعَ منهم، قالوا لاتَخَفْ خَصمان بغى بعضُنا على بعضٍ فاحكُم بيننا بالحقّ ولا تُشْطِطْ واهْدِنَا الى سَوَاءِ الصِّراط. إنَّ هذا أخِي له تِسْعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة، فقال أكْفِلْنيها وعَزَّني في الخطاب. قالَ لقد ظَلَمَكَ بسؤالِ نعجتك الى نِعَاجِه،وإنَّ كثيرا من الخُلَطاءِ لَيَبْغِي بعضُهم على بعضٍ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليلٌ ما هُمْ، وظَنَّ داود أنما فَتَنَّاهُ فاستغفَرَ ربَّه وخَرَّ راكعاً وأناب. فغفَرْنا له ذلك، وإنَّ له عندنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مآب. ياداودُ إنَّا جَعَلْنَاكَ خليفةً في الأرضِ فاحكُمْ بين الناس بالحقّ ولا تَتَّبعِ الهوى فَيُضِلَّكَ عن سبيلِ الله، إنَّ الذين يَضِلُّونَ عن سبيلِ الله لهم عذابٌ شديد بما نَسُوا يومَ الحِساب»[١٠٣].

---

(١٠١) النجار، قصص الأنبياء، ص ٣١٠.
(١٠٢) الثعلبي، ص ٢٤٧.
(١٠٣) سورة ص: ٢١ - ٢٦.

اختلف المفسرون في سبب البلاء الذي ابتلى به نبي الله داود عليه السلام، فذكر بعضهم روايات من الاسرائيليات في سبب ذلك أنه تذكَّر ما أعطى الله آباءه ابراهيم واسحق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس، فتمنى مثله، فامتحن[١٠٤]. وقال آخرون: إن سبب بلائه كان لعارض عرض في نفسه أنه يطيق أن يتم يوما لا يصيب فيه إثما، فابتلى بالفتنة[١٠٥]، وقالوا أيضا إنه أعجبه كثرة عمله فابتلى. وقال بعضهم إن سبب ذلك أنه قال لبني اسرائيل حين ملك: والله لأعدلن فيكم، ولم يَسْتَثْنِ ، فابتلى[١٠٦]،

وكان ابتلاؤه بأن وقعت أمامه وهو يقرأ زبوره ويصلي حمامة من ذهب، فأهوى اليها ليأخذها، فطارت، فتابعها حتى رأى امرأة أوريا، وكان من أمره ماكان حسب ماجاء في الاسرائيليات التي نستنكف عن ذكرها، لأنها تذهب بعصمة النبوة والأنبياء، وتحط من قدره كنبي معصوم من أكابر الأنبياء.

أما المحققون من المؤرخين والمفسرين فقد رفضوا هذه الروايات. وقد أشار المسعودي الى هذا الأمر فقال: وكان من أمر داود مع الخصمين ما نصَّ الله عز وجل في كتابه من خبره، وقوله لأحدهم قبل استماعه من الآخر: «لقد ظَلَمك» الآية... وينفي المسعودي عن الأنبياء المعاصي والفسق، ويقول إنهم معصومون[١٠٧].

أما الإمام ابن حزم[١٠٨] فيقول في امر فتنة داود: وذكروا ايضا قول الله تعالى حاكيا عن داود عليه السلام: «وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوّروا المحراب، اذ دخلوا على داود ففزع منهم، قالوا: لا تخف، خصمان..» الى قوله: «فغَفَرْنا له ذلك».

قال ابن حزم: وهذا قول صادق لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود، وانما كان الخصم قوما من بني آدم بلاشك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نص الآية. ومن قال انهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء، فقد كذب على الله عز وجل، وقوله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذَّب الله عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذّب الملائكة، لأن الله تعالى يقول: «هل أتاك نبأ الخصم» فقال هو: لم يكونوا قط خصمين ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له أَكْفِلْنيها، فاعجبوا لما يقحم أهل الباطل أنفسهم فيه، ونعوذ بالله من الخذلان،ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردة. وتالله إن كل امرىء منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يعشق امرأة جاره، ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها، وعن ان يترك صلاته لطائر يراه، هذه أفعال السفهاء الفساق المتمردين لا أفعال أهل البر

---

(١٠٤) تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ١٤٦ ـ ١٤٨ ؛ الثعلبي ص ٢٤٨ ؛ زاد المسير، ج ٧ ص ١١٣ ، القرطبى ج ١٥ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(١٠٥) الطبرى ، ج ٢٣ ، ص ١٤٨ ، الثعلبى ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، زاد المسير ، ج ٧ ، ص ١١٤ ، القرطبى ، ج ١٥ ، ص ١٦٨ .

(١٠٦) الثعلبى ، ص ٢٤٩ ، ابن الجوزى ، ج ٧ ، ص ١١٤ ، القرطبى ، ج ١٥ ، ص ١٦٩ .

(١٠٧) مروج الذهب ج ١، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(١٠٨) توفى سنة ٤٥٦ هـ.

والتقوى، فكيف برسول الله داود ﷺ الذي أوحى اليه كتابه، وأجرى على لسانه كلامه؟. لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله، فكيف أن يستضيف الى أفعاله.

ويستطرد ابن حزم قائلا: وأما استغفاره وخروره ساجدا ومغفرة الله تعالى له، فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة، والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي، ولا من مذنب ولا من غير مذنب. فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض والملائكة، كما قال الله تعالى: «ويَسْتغفرون للذين آمنوا رَبَّنا وسِعت كلَّ شيء رحمةً وعلما فاغفر للذين تابوا واتَّبعوا سبيلَكَ وقِهِمْ عذابَ الجحيم»[١٠٩]. وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام: «وظنَّ داود أنما فتناه» وقوله تعالى: «فغفرنا له ذلك» فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه، فاستغفر الله تعالى من هذا الظن، فغفر الله تعالى له هذا الظن، إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة.[١١٠]

وينفي الزمخشري رواية تعريض داود لأوريا للقتل ليتزوج امرأته، فيقول: كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته، فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها، وأن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك. فاتفق ان عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له اوريا، فأحبها، فسأله النزول له عنها، فاستحيا ان يرده، ففعل، فتزوجها وهي أم سليمان. فقيل له: إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك، لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك، وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به. وقيل: خطبها اوريا ثم خطبها داود، فآثره أهلها، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن، مع كثرة نسائه.

وأما ما يذكر أن داود عليه السلام تمنّى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب.. فسأل ربه الابتلاء كما ابتلوا، فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب... الى أن أبصر المرأة فعرض زوجها للقتل حتى قتل، فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء، وتزوج امرأته.. يقول الزمخشري: فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتّسمين بالصلاح من أفناء المسلمين[١١١]، فضلا عن بعض أعلام الأنبياء. وعن سعيد بن المسيب والحرث الأعور: أن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «من حدّثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين، وهو حد الفرية على الأنبياء». وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبدالعزيز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث به وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله، فما ينبغي أن

---

(١٠٩) سورة غافر: ٧.

(١١٠) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، للامام أبي محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى، الجزء الرابع، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٣، ص ١٨ ـ ١٩.

(١١١) يقال: هو من افناء الناس اذا لم يعلم ممن هو.

يلتمس خلافها، وأعظم بأن يقال غير ذلك، وان كانت على ماذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه، فما ينبغي إظهارها عليه. فقال عمر: لسماعي هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس. والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام، ليس إلا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب. فان قلت: لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح؟ قلت: لكونها أبلغ في التوبيخ، من قبل أن التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به، كان أوقع في نفسه، وأشد تمكنا من قلبه، وأعظم أثرا فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، فأدعى الى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادر به صريحا، مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة[112].

وينفي الطبرسي رواية ابتلاء داود بوقوع الحمامة في محرابه، وحكاية امرأة أوريا، ثم يقول إن ذلك مما لا شبهة في فساده لأنه يقدح في العدالة.. فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله، الذين هم أمناؤه على وحيه وسفراؤه بينه وبين خلقه، بصفة من لا تقبل شهادته، وعلى حالة تنفر من الاستماع اليه والقبول منه.. جل أنبياء الله عن ذلك[113].

وقال القاضي عياض في (الشفا): وأما قصة داود عليه السلام، فلا يجب أن يلتفت الى ما سطره الاخباريون على أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيّروا، ونقله بعض المفسرين. قال: ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح. قال: والذي نص الله عليه قوله: «وظن داود أنما فتنّاه فاستغفر ربه وخرّ راكعا وأناب» وقوله فيه: «أوّاب». فمعنى «فتنّاه» أي: اختبرناه، و«أواب» قال قتادة: مطيع، قال: وهذا التفسير أولى. قال: قال ابن عباس وابن مسعود: ما زاد على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك وأكفلنيها، فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا[114].

أما الامام فخر الدين الرازي فينفي صدور الكبيرة من داود عليه السلام، ويبرهن بالدليل القاطع على براءة نبي الله مما نسبه اليه بعض المفسرين نقلا عن الاسرائيليات. يقول الرازي:

فاعلم أن الذي أقطع به عدم دلالة الآيات: «وهل أتاك نبأ الخصم»[115].. على صدور الكبيرة من داود عليه السلام، وبيانه من وجوه:

الأول: أن الذي حكاه المفسرون عن داود، وهو أنه عشق امرأة اوريا فاحتال حتى قتل زوجها فتزوجها، لا يليق بالأنبياء، بل لو وصف به أفسق الملوك لكان منكرا.

---

(١١٢) الكشاف، ج ٤، ص ٨٠ ـ ٨٢، تفسير النسفى، ج ٤، ص ٣٧ ـ ٣٨.
(١١٣) مجمع البيان للطبرسى، ج ٢٣، ص ١٠٨.
(١١٤) زاد المسير، ج ٧، ص ١١٧.
(١١٥) سورة ص: ٢١ ـ ٢٦.

الثاني: أن الدخول في دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته، فكيف ترك الله الذنب الأعظم، واقتصر على ذكر الأخف؟

الثالث: أن السورة من أولها الى آخرها في محاجّة منكري النبوة، فكيف يلائمها القدح في بعض كبار الأنبياء بهذا الفسق القبيح؟

الرابع: أن الله تعالى وصف داود عليه السلام في ابتداء القصة بأوصاف حميدة، وذلك ينافي ماذكروه في الحكاية، وهذه هي الأوصاف التي وصفه سبحانه وتعالى بها:

١ ـ قوله تعالى: «ذا الأيد»، و«الأيد»: القوة، ولاشك أن المراد منه: القوة في الدين، لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في الملوك الكفار، وما استحقوا بها مدحا، إنما المستحق للمدح هو القوة في الدين.

٢ ـ أنه لما ثبت كونه موصوفا بالقوة في الدين ولا معنى للقوة في الدين الا العزم الشديد على أداء الواجبات واجتناب المحظورات، فكان داود عليه السلام من اولى العزم، وقد قال الله تعالى: «فاصْبِرْ كما صبر أولو العزم من الرُّسل»[116] وأمر محمدا ﷺ بالاقتداء بأولي العزم، فاذا لم يكن داود عليه السلام من أولي العزم ماكان قد أمر محمدا بالاقتداء بداود عليه السلام وهذه درجة لا توازيها درجة.

٣ ـ أنه لما وصف بالقوة فأي قوة لمن لم يملك نفسه عن الفجور والقتل.

٤ ـ أنه وصفه بكونه أوابا، والأواب هو الرجَّاع، والرجاع الى ذكر الله يستحيل ان يكون مواظبا على اعظم الكبائر.

٥ ـ قال تعالى: «سَخَّرنا الجبال معه..» الآيتان[117] أفترى أنه سخر له ذلك ليتخذه وسيلة الى القتل والزنا؟ وقيل: انه كان محرما عليه صيد كل شيء، فكانت الطيور تأمنه، فكيف يجوز أن تأمنه الطير، ولا يأمنه المسلم على زوجته؟

٦ ـ قوله تعالى: «وشَدَدْنا ملكه» ومحال أن يكون المراد منه شدة ملكه بالمال والعسكر مع كونه مسلما من طريق الدنيا لا من طريق الدين لأن ذلك سبيل الملوك الكفرة لأن قوله «وشددنا ملكه» عام في الدين والدنيا.

٧ ـ قوله تعالى: «وآتيناه الحكمة» والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا، فكيف يجوز ان يقول الله «وآتيناه الحكمة» مع اصراره على ما يستنكفه أخبث الشياطين من مزاحمة أفضل أصحابه وأحبائه في الزوج والمنكوح..

---

(١١٦) الأحقاف، ٣٥.

(١١٧) سورة ص، ١٨، ١٩.

فبان أن الله تعالى لما وصفه بهذه الصفة كان القول بما ذكروه من الفاحشة باطلا، اذ ما قبل تلك الصفة هي هذه المدائح وما بعدها قوله تعالى: «ياداود إنا جعلناك خليفة» وهذا أيضا من أجل المدائح فلو توسطها مايدل على أفحش المقابح لجرى ذلك مجرى قول من يقول: فلان عظيم الدرجة في الدين، عليّ الرتبة في طاعة الله، يقتل ويزني ويلوط، وقد جعله الله تعالى خليفة لنفسه وصوبه في أحكامه وأمر أكابر الأنبياء بالاقتداء به. فكما أن هذا الكلام لا يليق بعاقل فكذا هاهنا.

الخامس : أنه تعالى قال بعد تمام القصة « جعلناك خليفة في الأرض» وترتيب الحكم على الوصف مشعر بكون الوصف علة لذلك الحكم، فعلى ماذكروه يلزم أن يكون تفويض خلافة الأرض اليه بسبب إقدامه على القتل والفسق وذلك ما لا يقول به عاقل.

السادس : أنه تعالى قال في حق الرسل: «إنا أخلَصْناهُم بخالصةٍ ذكرَى الدار وإنهم عندنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأخيار»[118] وكل ذلك ينافي وصفهم بالاقدام على الكبيرة والفاحشة.

السابع : إنهم ذكروا في روايتهم أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب، قال: «رب إن آبائي قد ذهبوا بالخير كله فأوحى اليه: انهم إنما وجدوا ذلك لأنهم لما ابتلوا صبروا، فسأل الابتلاء، فأوحى الله اليه إنك لمبتلى في يوم كذا فاحترس». ثم وقع فيما وقع فيه الى آخر القصة، فدل أول حكايتهم على ان الله تعالى ابتلاه بالبلاء الذي يزيد في منقبته، فكيف يليق العشق والقتل بذلك؟

الثامن : قول داود عليه السلام «وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضُهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم» استثنى الذين آمنوا من هذا البغي فان كان هو الفاعل لذلك وجب ان يكون حاكما على نفسه بعدم الايمان.

التاسع : ان قوله تعالى : «وإنَّ له عندنا لزُلْفَى وحُسْنَ مآب ».. لا يلائم العشق والقتل.

فثبت بهذه الوجوه براءة نبي الله داود عما نسبه اليه الجهال. ويستطرد الامام الرازي فيقول: فاذا ثبت هذا فنبحث أنه هل في الآية مايدل على صدور الصغيرة عنه أم لا ؟ فنقول: قال كثير من أهل الحق: قول الله: «هل أتاك نبأ الخصم» أخبر عن جماعة أنهم تسوروا قصره قاصدين قتله والاساءة الى أهله، فدخلوا قصره في وقت ظنوا أنه غافل، فلما رآهم داود خافهم لما تقرر في العرف أنه لا يتسور أحد دار غيره بغير أمره إلا لسوء يريده من قتله أو لمكاره على أهله أو سرقة ماله خصوصا اذا كان صاحب الدار شخصا معظما، فلما رأوه مستيقظا انتقض عليهم التدبير فاقترح بعضهم عند فزعه خصومة لا أصل لها زاعما أنهم قصدوه لأجلها دون ماتوهمه فقالا: «خصمان بغى بعضنا على بعض» ثم ادعى احدهما على الآخر مالا، فقال «إنَّ هذا اخي له

---

(١١٨) سورة ص، ٤٦، ٤٧.

تسع وتسعون نعجة». الآية. فقال داود عليه السلام: «لقد ظَلَمَك». الآية. ثم قال الله تعالى: «فظن داود أنما فتناه» أي امتحناه، لكنه لم يعمل على ظاهر الحال ولم ينتقم منهم مع كونه ذا يد وقوة وسلطان وقدرة بل صار مستغفرا للقوم الذين قصدوه وطالبا من الله تعالى العفو عنهم. وذلك أن الله تعالى لم يقل انه أذنب ولا أنه استغفر لنفسه، فان المستغفر قد يستغفر لنفسه تارة ولغيره أخرى.. قال الله تعالى في وصف الملائكة: «ويستغفرون للذين آمنوا»[119]، وقال أولاد يعقوب لوالدهم: «يا أبانا استغفر لنا»[120]. ثم قال الله تعالى: «فغفرنا له ذلك» معنى «غفرنا» لأجل حرمة داود لأولئك وقبلنا شفاعته في التجاوز عنهم. فهذا الذي قلناه مما ينطبق عليه لفظ الكتاب العزيز، فلا يحتاج فيه الى المجاز من حمل الخصمين على الملكين وادعائهما الخصومة على التمثل لا على التحقيق، وحمل النعجة على المرأة. ويناسبه أمر رسولنا عليه الصلاة والسلام بالاقتداء به في قوله تعالى: «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل» وتأدب به عليه الصلاة والسلام يوم أحد لما هشمت ثناياه فقال: «اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون» ويناسبه ما حصل عقبه من المنصب العظيم وهو خلافة الله في أرضه.

ويقول الإمام الرازي: هناك وجه آخر: لعل الاستغفار انما كان لأن القوم لما تسوروا ظن داود عليه السلام بهم أنهم يقصدون قتله، فلما لم يظهر كما ظن ندم على ذلك الظن، فكان الاستغفار عليه. أو لأنه لما هضم نفسه ولم يؤدبهم ولم ينتقم منهم مع القدرة التامة دخله شيء من العجب على كمال حلمه فكان الاستغفار منه لأن العجب من المهلكات. فهذا قول لا دلالة في الآية على شيء من الزلات وهو الحسن عندي[121].

وقد سلك المراغي مسلك الرازي وذهب مذهبه في مسألة ابتلاء داود[122]. أما سيد قطب فقد اعتبر الروايات التي جاءت في بعض التفاسير حول فتنة داود من الاسرائيليات.. إذ يقول: خاضت بعض التفاسير مع الاسرائيليات حول فتنة داود خوضا كبيرا تتنزه عنه طبيعة النبوة ولا يتفق اطلاقا مع حقيقتها.. حتى الروايات التي حاولت تخفيف تلك الاساطير سارت معها شوطا، وهي لا تصلح للنظر من الأساس ولا تتفق مع قول الله تعالى: «وان له عندنا لزلفى وحسن مآب»[123].

هذا ماقاله المفسرون في مسألة فتنة داود عليه السلام، واننا نعتقد ان ما ذكره بعض المفسرين مجاراة لما جاء عند اهل الكتاب في شأن تعلق داود عليه السلام بامرأة أوريا، ومن ثم تعريض زوجها للقتل، أمر لا يليق بمقام النبوة والانبياء، فهم الصفوة المختارة من البشر، اصطفاهم الله سبحانه وتعالى لحمل رسالته

---

(١١٩) غافر، ٧.

(١٢٠) يوسف، ٩٧.

(١٢١) الرازي، عصمة الأنبياء، ص ٩٧ - ١٠٣.

(١٢٢) تفسير المراغي، ج ٢٣، ص ١١٠ - ١١١.

(١٢٣) في ظلال القرآن ج ٢٣، ص ٩٦.

ونشرها بين الناس، ولا يعقل ان يقوم هؤلاء المصطفون بعمل من أعمال الكبائر، نهت عنه رسالة السماء التي كان لهم شرف حملها.. وإلا بطلت الشرائع، وأصبحت العقائد الدينية وما تضمنته من تعاليم سامية ومثل رفيعة محل شك.. اذن فالصحيح والمعقول ان يكون رسل الله في خلقه صلوات الله وسلامه عليهم هم المعصومين وهم القدوة للبشر، ولا يمكن ان يكون اهل القدوة الذين اختارهم رب العزة لحمل الأمانة الا منزهين عن الخطايا حتى تكون دعوتهم منطقية ومقبولة عند الناس.

وعلى هذا فاننا نحمل أمر الخصمين في قوله تعالى: «وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب..» الآيات، على الحقيقة كما قال ابن حزم، ان كانا من الإنس. وأما اذا كانا من الملائكة، فقد يكون تمثلهما الخصومة لتنبيه داود عليه السلام لأمر لا يرقى الى مرتبة الخطيئة أو الذنب.. ولو كان ارتكب مثل ذلك لما جعله الله تعالى «خليفة»، اذ يقول بعد قصة الخصمين: «يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض»، لأننا نعلم أن الله سبحانه وتعالى عادل، لا يقرّب أحدا الا بمقدار إيمانه وطاعته لله، فالدين لله وليس بين الله وبين أحد من عباده نسب ولا مصاهرة، ومن استقام على العقيدة فهو وريثها ومن رغب عنها وفسق فقد فسق عن عهد الله وفقد وراثته لهذا العهد، وكان داود مثال العبد المؤمن الذي يضرب المثل في حسن عبادته وطاعته، لذلك يقول الله تعالى فيه: «وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب». روى ابن كثير عن مالك بن دينار قال: يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول: ياداود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجّدني به في الدنيا، فيقول: وكيف وقد سلبته؟ فيقول الله عز وجل: إني أرده عليك اليوم . قال: فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان[١٢٤].

ولعل أفضل ما نختتم به هذا الموضوع ماجاء في الحديث الشريف عن داود عليه السلام وحسن عبادته:

روى الامام البخاري فقال: حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن اوس الثقفي:

سمع عَبدالله بنَ عمرو قال: قال ليْ رسول الله ﷺ : «أحبُّ الصيامِ الى الله صيامُ داود، كان يصومُ يوماً ويفطر يوماً. وأحبُّ الصلاةِ الى الله صلاةُ داودَ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثُلُثَهُ وينام سُدُسَهُ»[١٢٥].

وعن أبي الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود عليه السلام قال: «كان أعبد البشر» رواه البزار في حديث طويل وإسناده حَسَن[١٢٦].

---

(١٢٤) تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ٣٢.
(١٢٥) صحيح البخارى، ج ٢، ص ١٧٠.
(١٢٦) مجمع الزوائد للهيثمى، ج ٨، ص ٢٠٦.

وعن مكانة داود عليه السلام، بحيث إن نبينا ﷺ أمر بالاقتداء به، روى البخاري فقال: حدثنا محمد: حدثنا سهل بن يوسف قال: سمعت العَّوام، عن مجاهد قال: قلت لابن عباس: أَسْجُد في صَ ؟ فقرأ: «ومن ذريته داود وسليمان» حتى أتى «فبهداهم اقتده» فقال: نبيُّكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم(١٢٧).

وجاء في كتاب: (الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية): «قال داود فيما يخاطب ربه: يارب، أي عبادك أحب اليك أحبه بحبك؟ قال: ياداود، أحب عبادي اليَّ تقيُّ القلب، نقيُّ الكفين، لا يأتي الى أحد سوءاً، ولا يمشي بالنميمة، تزول الجبال ولا يزول، أحبّني وأحبَّ من يُحبني وحببني الى عبادي. قال: ياربِّ، إنك لتعلم أني أحبُّك وأحبُّ من يحبُّك فكيف أحببك الى عبادك؟ فقال: ذكِّرهم بآلائي وبلائي ونعمائي. ياداود، إنه ليس من عبد يُعين مظلوما او يمشي معه في مَظْلَمتِه إلا أثبتُّ قدميه يوم تزولُ الأقدام» رواه البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس(١٢٨).

بعد شهادة خير الأنام بحق داود لا ينبغي التماس شهادة أخرى.. فمن كان أعبد البشر، كانت له الزلفى والقربى عند رب العالمين في الدنيا والآخرة.

● ● ●

(١٢٧) البخاري، ج ٢، ص ١٧٠ . وجاء في فتح الباري : (أنسجد) ، بدلا من (أسجد) . أما قوله : حدثنا محمد ، فهو محمد بن سلام ، والعوام هو ابن حوشب . (فتح الباري، ج ٧، ص ٢٦٨) .

(١٢٨) الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية للمناوي، ص ٣٥٧ .

« الفصل الثاني »

سليمان في القرآن الكريم والتفاسير

بعد أن بينا صورة داود عليه السلام في القرآن الكريم ، واستعرضنا آراء المفسرين في ذلك .. نأتي الآن لنتعرف على صورة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم ونستعرض آراء المفسرين في هذا الشأن :

لقد ورد اسم سليمان في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعا :

١ ، ٢ ـ : « واتبعوا ما تَتْلوا الشياطينُ على مُلْكِ سليمانَ ، وما كَفَرَ سليمانُ ولكنَّ الشياطينَ كَفروا .. »[١]

٣ ـ : « وأوْحينا الى ابراهيمَ واسماعيلَ واسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وعيسى وأيوبَ وهارون وسُلَيْمانَ ... »[٢]

٤ ـ : « ومن ذريّته داود وسليمان ... »[٣]

٥ ، ٦ ، ٧ ـ : « وداودَ وسليمانَ إذ يَحْكُمان في الحَرْثِ ... »[٤]

: « فَفَهَّمْناهَا سُليمانَ وكُلًّا آتَيْنَا حُكْما وعِلْمًا ... »[٥]

: « ولسليمانَ الريحَ عاصِفةً تجري بأمْرِهِ ... »[٦]

٨ ـ ١٤ : « ولقد آتينا داودَ وسليمانَ عِلْمًا وقالا الحمدُ لله الذي فَضَّلَنا على كَثيرٍ منْ عبادِهِ المُؤمنين . وَوَرِثَ سليمانُ داودَ . وقال : يا أيُّها الناسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطير .. وحُشِرَ لِسُليمانَ جُنودُهُ من الجِنِّ والإنْسِ والطَّيْرِ فهم يُوزَعُون . حتى إذا أتَوْا على وادِ النَّمْلِ قالت نَمْلَةٌ يا أيُّها النملُ ادخلوا مساكِنَكم لا يَحْطِمَنَّكُم سُليمانُ وجُنُودُهُ وهم لا يَشْعُرون ... »[٧]

: « إنه من سليمانَ وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم ... »[٨]

: « فلمَّا جاءَ سليمانَ قال أتُمِدُّونَنِ بمالٍ فما آتانيَ الله خَيْرٌ مما آتاكُم .. »[٩]

: « قالت ربِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي وأسلمتُ مع سُلَيمانَ لله ربِّ العالَمين ... »[١٠]

---

(١) البقرة ، ١٠٢ .
(٢) النساء ، ١٦٣ .
(٣) الأنعام ، ٨٤ .
(٤) الأنبياء ، ٧٨ .
(٥) الأنبياء ، ٧٩ .
(٦) الأنبياء ، ٨١ .
(٧) النمل ، ١٥ ـ ١٨ .
(٨) النمل ، ٣٠ .
(٩) النمل ٣٦ .
(١٠) النمل ، ٤٤ .

١٥ ــ « ولسليمانَ الريحَ غُدُوُّها شَهْرٌ ورواحُها شَهْرٌ ... »[١١]

١٦ ــ ١٧ : « ووهَبْنا لداودَ سليمانَ نِعْمَ العبدُ إنَّهُ أوّابٌ ... »[١٢]

: « ولقد فَتَنَّا سُليمانَ وألقَيْنا على كُرسيِّهِ جَسَدا ثم أناب ... »[١٣]

صفة سليمان عند المفسرين

ذكر الثعلبي والجزائري أن داود عليه السلام أراد أن يستخلف ابنه عليه السلام ، لأن الله تعالى أمره بذلك ، فقال بنو اسرائيل : يستخلف علينا حَدَثا ؟ فدعا أسباط بني اسرائيل فقال لهم : قد بلغني مقالتكم ، فأروني عصيَّكم ، فأي عصا أثمرت ، فصاحبها وليّ الأمر بعدي . فرضوا بذلك ، وأدخلوا عصيَّهم بيتا ، فأصبحوا وقد أورقت عصا سليمان وأثمرت ، فسلموا بذلك لداود[١٤] .

ويقول المسعودي : لما قبض داود عليه السلام قام بعده ولده سليمان بالنبوة والحكم وغمر عدله رعيته واستقامت له الأمور ، وانقادت له الجيوش ، وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الأقصى الذي بارك الله عز وجل حوله .. وأعطى الله لسليمان من الملك ما لم يعطه لأحد من خلقه ، وسخَّر له الجن والإنس والطير ، والريح على حسب ما ذكر الله عز وجل في كتابه . وكان ملك سليمان بن داود على بني اسرائيل أربعين سنة ، وقبض وهو ابن اثنتين وخمسين سنة .[١٥]

ويقول الثعلبي : قال مقاتل : كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من أبيه داود وأقضى منه ، وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان ، وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة .[١٦]

وقال وهب بن منبه وكعب الأحبار : كان سليمان أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البيض ، وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم .. وكان اذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف ، حتى يجيء الى المساكين ويقعد معهم ، ويقول : مسكين جالس مسكينا .. وكان مع مافيه من الملك يلبس الشعر ، واذا جنَّه الليل شدَّ يديه الى عنقه ، فلا يزال قائما حتى يصبح باكيا .. وكان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده .. وإنما سأل الملك لكي يقهر ملوك الكفر .

---

(١١) سبأ ، ١٢ .
(١٢) ص ، ٣٠ .
(١٣) ص ، ٣٤ .
(١٤) نعمة الله الجزائري ، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، ص ٤٠٥ ، الثعلبي ، ص ٢٥٨ .
(١٥) مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٧٠ ــ ٧١ .
(١٦) الثعلبي ، ص ٢٦٠ .

وكان أبوه في أيام ملكه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنّه ووفور عقله وعلمه . وروى أن سليمان عليه السلام مرّ في موكبه بعابد من عبّاد بني اسرائيل ، فقال : والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما ، فسمعه سليمان فقال : لتسبيحة في صحيفة المؤمن خير مما أعطى ابن داود ، ابن داود يذهب وان التسبيحة تبقى .

وقال محمد بن اسحق وغيره من أصحاب الأخبار : كان سليمان عليه السلام رجلا غزّاء ، لا يكاد يقعد عن الغزو ، وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يذلّه ويقهره .. وكان اذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها ، حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها ، حتى اذا أقلّتها أمر الرّخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روحته إلى حيث أراد .[١٧]

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية أن سليمان بن داود شخصية فذة في القصص الاسلامية ، فقد كان ثمة أربعة من حكام العالم العظام كما تقول كتب التاريخ العربية ، اثنان منهم كافران هما النمروذ ، وبختنصر ، واثنان مؤمنان هما الاسكندر ذو القرنين وسليمان ، وكان سليمان أكثر هؤلاء تألقا ، وقد نوهت هذه التواريخ تنويها خاصا بقدرته العجيبة في السحر والتنبؤ بالمستقبل ، ذلك أن أشد الأحاجي إلغازا وأكثر المسائل تعقيدا كانت في متناول بصيرته ، وكانت الفطانة والحصافة تشعّان من عينيه ، والحكمة والعدالة منقوشتين على جبينه ، وكان علمه أعمق من وادي الأردن . وكانت لسليمان مواهب عجيبة ، فقد آتاه الله علم الغيب .

وكان ينفق جزءا من أوقات فراغه في تعلم غزل السلال حتى تكون لديه وسيلة لكسب معاشه ، إذا أعوزته الحاجة . وكان العالم الطبيعي بأسره خاضعا كل الخضوع لسلطانه ، حتى إن الشمس توقفت مرة عن الدوران لتمكينه من أداء صلاة المساء ، وقيل إن سليمان اخترع الحروف العربية والسريانية وأنه ألف كثيرا من الرسائل العربية في السحر ، ولا شك أن ثمة سمات ايرانية في القصص العجيبة التي تدور حول سليمان .

وتختلف الروايات في وصف خلقته ، فيقال مثلا إنه كان رجلا كبير الرأس يمتطي جوادا ، وأنه كان أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر ، يلبس من الثياب البياض .[١٨]

وفيما يتعلق بفطنته وحصافته وحكمته ، جاء في الحديث الشريف ما يلي :

روى البخاري ومسلم والنسائي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه

---

(١٧) التعلبى ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٦٤ ، الجزائرى ، ص ٤١٢ .
(١٨) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثانى عشر ، مادة سليمان ، ص ١٦٦ ـ ١٧٠ .

وسلم يقول : « كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئبُ فذهبَ بابن إحداهما ، فقالت : إنما ذهب بابنِك ، وقالت الأخرى : إنما ذهبَ بابنِك ، فتحاكمتَا الى داود فقضى به للكبرى ، فخَرَجَتا على سليمانَ بنِ داودَ عليهما السلام فأخبرتاه فقال : ائتوني بالسّكين أشقُّه بينهما . فقالت الصغرى : لا تفعلْ يَرْحَمُكَ الله ، هو ابنُها ، فقضَى به للصغرى » . قال أبو هريرة : والله إنْ سمعتُ بالسكين إلا يومئذ ، وما كنا نقول الا المُدْيَة .[19]

● ● ●

أما صورة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم ، فنتعرف عليها كما وردت في التنزيل الحكيم فيما يلي :

أولا ـ حكاية السّحر ، وما كانت تتلوه الشياطين على ملك سليمان :

يقول تعالى في سورة البقرة : « واتَّبَعوا ما تَتْلُوا الشياطينُ على مُلْكِ سليمانَ وَمَا كَفَر سليمانُ ولكنَّ الشياطينَ كَفروا يُعَلِّمون الناسَ السِّحْرَ وما أُنْزِلَ على المَلَكَيْن ببابلَ هاروتَ وماروتَ ، وما يُعَلّمانِ مِنْ أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فِتنةٌ فلا تَكْفُرْ ، فيتعلَّمون منهما ما يُفَرِّقُون به بينَ المرءِ وزوجِه ، وما هُمْ بِضَارِّين به مِنْ أحَدٍ إلا بإذنِ الله ، ويتعلَّمون ما يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهم ، ولقد عَلِمُوا لَمَن اشتراهُ مالَهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلاَق ، ولَبِئْسَ ما شَرَوْا به أنفُسَهم لو كانوا يعلمون »[20] .

سبب نزول الآية :

في سبب نزول هذه الآية قولان :

أحدهما : أن اليهود كانوا لا يسألون النبي عن شيء من التوراة إلا أجابهم ، فسألوه عن السحر وخاصموه به ، فنزلت هذه الآية . قاله أبو العالية .

والثاني : أنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة : ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبيا ! والله ما كان الا ساحرا ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن اسحق .[21]

تفسير الآية :

يقول الله تعالى : « واتَّبعوا ما تتلوا الشياطينُ على مُلْكِ سليمانَ » يعني بذلك الفريق من أحبار اليهود وعلمائها الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى وراء ظهورهم تجاهلا منهم ،

---

(١٩) صحيح البخارى ، ج ٢ ، ص ١٧١ ، جامع الأصول لابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٣٨٨ .

(٢٠) البقرة ، ١٠٢ .

(٢١) زاد المسير ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، القرطبى ، ج ٢ ، ص ٤١ ـ ٤٢ .

وكفروا بما هم به عالمون ، كأنهم لا يعلمون . فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه عليه السلام ، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه ، وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه ، وذلك هو الخسار والضلال المبين.[٢٢]

واختلف المفسرون في الذين عُنُوا بقوله تعالى : « واتَّبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان » على عدة أقوال :

١) قال بعضهم : عَنَى الله تعالى بذلك اليهودَ الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .. وسبب ذلك أنهم خاصموا رسول الله (ص) بالتوراة فوجدوا التوراة للقرآن موافقة تأمر من اتباع محمد وتصديقه بمثل الذي يأمر به القرآن ، فخاصموا بالكتب التي كان الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان .

روى الطبري عن موسى بن هارون بإسناده عن السدّي قال : « ... كانت الشياطين تصعد الى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع فيستمعون من كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت أو غيث أو أمر ، فيأتون الكهنة فيخبرونهم ، فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا ، حتى اذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم فادخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة . فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب ، وفشا في بني اسرائيل أن الجن تعلم الغيب . فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق ، وقال : لا أسمع أحدا يذكر أن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه ، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون أمر سليمان ، وخلف بعد ذلك خلف ، تمثل الشيطان في صورة إنسان ثم أتى نفرًا من بني اسرائيل فقال : هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا ؟ قالوا : نعم ، قال : فاحفروا تحت الكرسي ، وذهب معهم فأراهم المكان ، فقام ناحية ، فقالوا له : فادن ، قال : لا ولكنني ها هنا في أيديكم ، فان لم تجدوه فاقتلوني . فحفروا فوجدوا تلك الكتب ، فلما أخرجوها قال الشيطان : إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر ثم طار فذهب .. وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرا ، واتخذت بنو اسرائيل تلك الكتب ، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها ، فذلك حين يقول تعالى : « وما كَفَر سليمانُ ولكنَّ الشياطينَ كَفروا يُعَلِّمون الناسَ السحر » .

٢) وقال آخرون : بل عَنَى الله بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان . روى الطبري عن القاسم بإسناده عن ابن جريج قال : تلت الشياطين السحر على اليهود على ملك سليمان ، فاتبعته اليهود على ملكه ، يعني اتبعوا السحر على ملك سليمان.[٢٣]

---

(٢٢) تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص ٤٤٤ .

(٢٣) تفسير الطبرى ج ١ ، ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥ ، القرطبى ، ج ٢ ، ص ٤١ .

٣) وقال آخرون المراد به الجمع ، لأن متّبعي السحر لم يزالوا منذ عهد سليمان إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم.[٢٤]

ويعلق الطبري على هذه الأقوال بقوله : والصواب من القول في تأويل قوله تعالى : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان » أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجحدوا نبوّته وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل ، وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله ، وهجرهم العمل به وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله ، واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين في عهد سليمان.[٢٥]

تأويل قوله تعالى : « وما كَفَر سُلَيْمانُ ولكنَّ الشياطينَ كَفروا يُعَلِّمون الناسَ السِّحْرَ » .

تتضمن الآية الكريمة هنا نَفْيَ الكُفْرِ عن سليمان .. ولم يتقدم في الآية أن أحداً نسبه الى الكفر ، ولكن اليهود نسبوه الى السحر .. إذن ما السبب الذي جعل القرآن الكريم ينفي هذه الصفة عن النبي الكريم بعد إخباره مباشرة عن اتباع اليهود الشهوات التي كانت تتلوها الشياطين وهي المعازف واللعب وكل شيء يصد عن ذكر الله.[٢٦]

يقول الطبري : قيل : وجْه ذلك أن الذين أضاف الله جلَّ ثناؤه إليهم اتّباع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود ، نسبوا ما أضافه الله تعالى الى الشياطين من ذلك الى سليمان بن داود ، وزعموا أن ذلك كان من علمه وروايته ، وأنه إنما كان يستعبد من يستعبد من الانس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر ، فحسنوا بذلك من ركوبهم ما حرّم الله عليهم من السحر لأنفسهم عند من كان جاهلاً بأمر الله ونهيه ، وعند من كان لا علم له بما أنزل الله في ذلك من التوراة ، وتبرأ بإضافة ذلك الى سليمان من سليمان وهو نبي الله عليه السلام ، وأنكروا أن يكون لله رسولا ، وقالوا : بل كان ساحرا . فبرأ الله سليمان بن داود من السحر والكفر عند من كان منهم ينسبه الى السحر والكفر لأسباب ادعوها عليه ، قد ذكرنا بعضها ، وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر .. فنفى الله عن سليمان عليه السلام أن يكون ساحرا أو كافرا ، وأعلمهم أنهم إنما اتبعوا في عملهم السحر ما تلته الشياطين في عهد سليمان ، دون ما كان سليمان يأمرهم من طاعة الله ، واتباع ما أمرهم به في كتابه الذي أنزله على موسى عليه السلام.[٢٧]

« وما كَفَر سليمانُ » تبرئة من الله لسليمان وتكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به[٢٨] سليمان من اعتقاد

---

(٢٤) مجمع البيان للطبرسي ، ج ١ ، ص ٣٩١ .
(٢٥) تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٤٤٦ .
(٢٦) ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٣٤ .
(٢٧) تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .
(٢٨) قوله (لما بهتت) أي قالت عليه ما لم يفعله .

السحر والعمل به ، وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر ، وأن من كان نبياً كان معصوما منه . « ولكنَّ الشياطين » هم الذين « كفروا » باستعماله . « يعلِّمون الناس السحر » يقصدون إغواءهم وإضلالهم.[٢٩]

ورب قائل يقول : أو ماكان السحر الا أيام سليمان ؟ والجواب على ذلك : بلى ، كان السحر موجودا قبل ذلك .. فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن سحرة فرعون ما أخبر عنهم ، وكانوا قبل سليمان ، وأخبر عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح إنه ساحر . واذا قيل : كيف أخبر عن اليهود أنهم اتبعوا ما تلته الشياطين على عهد سليمان ؟

الجواب : لأنهم أضافوا ذلك الى سليمان - كما تقدم - فأراد الله تعالى تبرئة سليمان مما نحلوه وأضافوا اليه مما كانوا وجدوه إما في خزائنه ، وإما تحت كرسيّه فحصر الخبر عما كانت اليهود اتبعته فيما تلته الشياطين أيام سليمان دون غيره لذلك السبب ، وإن كانت الشياطين قد كانت تالية للسحر والكفر قبل ذلك.[٣٠]

● ● ●

تأويل قوله تعالى : « وما أُنْزِلَ على المَلَكيْنِ ببابلَ هاروتَ وماروتَ » .

لقد اختلف المفسرون في تأويل « ما » في قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين » على أربعة أقوال :

١) قال بعضهم معناه الجَحْد ، وتكون (ما) بمعنى النفي أو (لم) . قال ابن عباس : قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين » أي لم ينزل الله السحر ، وعن الربيع بن أنس قال : ما أنزل الله عليهما السحر .

يقول الطبري : فتأويل الآية على هذا المعنى : واتبعوا الذي تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر ، وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » ببابل هاروت وماروت ، فيكون حينئذ قوله : « ببابل هاروت وماروت » من المؤخر الذي معناه التقديم .

أما كيف وجه تقديم ذلك ؟ يقول الطبري : قيل : وجه تقديمه أن يقال : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت » ، فيكون معنيا بالملكين : جبريل وميكائيل ، لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمان بن داود ، فأكذبها الله بذلك وأخبر نبيه محمد (ص) أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط ، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر ، فأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين ، وأنها تعلم الناس ببابل ، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت ، فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة على الناس وردا عليهم.[٣١]

---

(٢٩) الكشاف ، ج ١ ص ١٧٢ ، القرطبي ، ج ٢ ص ٤٣ ، النسفي ، ج ١ ص ٦٥ ، البيضاوي ، ص ٤٠ .
(٣٠) تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٤٥١ ، تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٣٦ .
(٣١) تفسير الطبري ، ج ١ ص ٤٥٢ ، الكشاف ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

٢) أن تكون (ما) بمعنى (الذي) ، وأنها معطوفة على (ما) الأولى في قوله : « واتبعوا ما تتلو .. » وتأويل ذلك : (واتبعوا ما تتلوه الشياطين وما أنزل على الملكين » .

٣) أن تكون (ما) بمعنى (الذي) أيضا ، ولكنها معطوفة على « السحر » ، وتأويل ذلك : « يعلمون الناس السحر ويعلمونهم ما أنزل على الملكين » .

٤) أن تكون (ما) بمعنى (الذي) أيضا ، غير أنها معطوفة بالواو على « ملك سليمان » وموضعها الجر بعلى ، والتأويل : (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين .)

وهناك مفسرون يجوزون أن تكون (ما) بمعنى (الذي) ، وأن تكون بمعنى (لم) في آن واحد . فقد روى عن القاسم بن محمد أنه سئل : هل الملكان يعلمان الناس ما أنزل عليهما ، أم يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما ؟ فقال : ما أبالي أيتهما كانت .

وفي قول آخر سئل عن قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين » فقيل له : أنزل ، أو لم ينزل ؟ فقال : لا أبالي أي ذلك كان ، الا أني آمنت به .[٣٢]

أما الطبري فيبدي رأيه في هذه المسألة فيقول : الصواب من القول في ذلك عندي قول من وجه (ما) التي في قوله « وما أنزل على الملكين » الى معنى (الذي) ، دون معنى (ما) التي هي بمعنى (الجحد) .. وانما اخترت ذلك من أجل أن (ما) إن وجهت الى معنى (الجحد) فتنفي عن الملكين أن يكونا منزلا إليهما ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما أعني هاروت وماروت ، من أن يكونا بدلا منهما وترجمة عنهما ، أو بدلا من « الناس » .

ويورد الطبري أدلته في فساد الرأي الذي يوجه (ما) هنا بمعنى النفي أو الجحد ، ويقول : إن معنى (ما) في قوله « وما أنزل على الملكين » بمعنى (الذي) ، وأن هاروت وماروت مترجم بهما عن الملكين ، ولذلك فتحت أواخر أسمائهما ، لأنهما في موضع خفض (جر) على الرد على الملكين ، ولكنهما لما كانا لا يجران فتحت أواخر أسمائهما . فان التبس الأمر على أحد فقال : وكيف يجوز لملائكة الله أن تعلم الناس التفريق بين المرء وزوجه ؟

أم كيف يجوز أن يضاف الى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة ؟

قيل له : إن الله جل ثناؤه عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم ، بما يؤمرون به وينهون عنه ، ولو كان الأمر على غير ذلك ، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم ،

---

(٣٢) الطبرسي ، ج ١ ص ٣٨٧ ، ابن الجوزي ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه ، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله ، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم ، كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما : « إنما نحن فِتْنَةٌ فلا تكفر » ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه وعن السحر ، فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما ، ويخزى الكافر بتعلمه السحر ، والكفر منهما ، ويكون الملكان في تعليمهما من علما ذلك مطيعين ، اذ كانا عن اذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه يعلمان ، وقد عُبِدَ من دون الله جماعة من أولياء الله ، فلم يكن ذلك لهم ضائرا ، اذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به ، بل عُبِدَ بعضُهم والمعبود عنه ناه .. فكذلك الملكان غير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه وعظتهما له بقولهما « إنما نحن فتنة فلا تكفر » اذ كانا قد أديا ما أمرا به بقيلهما ذلك.[٣٣]

ويقول ابن حزم : إن هاروت وماروت قبيلان من الجن . ويرد ابن كثير هذا الكلام ، ويقول إن ادعاء ابن جرير الطبري أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله الى الأرض وأَذِنَ لهما في تعليم السحر اختبارا لعباده وامتحانا ، بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على ألسنة الرسل ، وأن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك لأنهما امتثلا ما أمرا به .. يقول ابن كثير : وهذا الذي سلكه ابن جرير غريب جدا . وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن ، كما زعمه ابن حزم.[٣٤]

وأما القرطبي فيقول إن (ما) في قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين » للنفي والواو للعطف على قوله : « وما كفر سليمان » وذلك أن اليهود قالوا : إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر ، فنفى الله ذلك ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : (وما كفَر سليمان ، وما أُنْزِلَ على المَلَكين ، ولكنَّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر ببابلَ هاروتَ وماروتَ) فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله : « ولكن الشياطين كفروا » . ويستطرد القرطبي قائلا : هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل ، وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت الى سواه ، فالسحر من استخراج الشياطين لِلَطَافَةِ جوهرهم ودقة أفهامهم ، وأكثر ما يتعاطاه من الانس النساء وخاصة في حال طمثهن . فإن قال قائل : كيف يكون اثنان بدلا من جمع ، والبدل إنما يكون على حد المبدل منه ، فالجواب من وجوه ثلاثة :

١) أن الاثنين قد يطلق عليهما اسم الجمع ، كما في قوله تعالى : « فإنْ كانَ له إخْوَةٌ فلأمِّهِ السُّدُسُ »[٣٥] ولا يحجبها عن الثلث الى السدس الا اثنان من الإخوة فصاعدا .

---

(٣٣) تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥ .
(٣٤) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٣٧ .
(٣٥) النساء ، ١١ .

٢) أنهما - أي هاروت وماروت - لما كانا الرأس في التعليم نص عليهما ، دون أتباعهما ، كما قال تعالى : « عليها تِسْعَةَ عَشَر »[٣٦]

٣) إنما خصا بالذكر من بينهم لتمردهما ، كما قال تعالى : « فيها فاكهةٌ ونَخْلٌ ورُمَّان » وقوله : « وجبريلَ وميكالَ » . وهذا كثير في القرآن وفي كلام العرب ، فقد ينص بالذكر على بعض أشخاص العموم إما لشرفه وإما لفضله كقوله تعالى : « إنَّ أوْلَى الناسِ بإبراهيم لَلَّذين اتَّبعوه وهذا النبي »[٣٧] وقوله : « وجبريلَ وميكالَ » ، وإما لطيبه كقوله تعالى : « فيها فاكهةٌ ونَخْلٌ ورمّان »[٣٨] ، وإما لأكثريته ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَت ليَ الأرضُ مسجداً وتربتُها طهوراً » ، وإما لتمرده وعتوّه ، كما في هذه الآية .[٣٩]

ويرى القاسمي أن هاروت وماروت كانا رجلين من الناس يعلمانهم السحر . فهو يقول : اعلم أن للعلماء في هذه الآية وجوها كثيرة ، وأقوالا عديدة ، فمنهم من ذهب فيها مذهب الاخباريين نقلة الغثّ والسمين ، ومنهم من وقف مع ظاهرها البحت ، وتمحَّل لما اعترضه بما المعنى الصحيح في غنى عنه ، ومنهم من ادعى فيها التقديم والتأخير ، وردّ آخرها على أولها بما جعلها أشبه بالألغاز والمعميات التي يتنزه عنها بيان أبلغ الكلام .. الى غير ذلك مما يراه المتتبع لما كتب فيها . ويستطرد القاسمي قائلا : والذي ذهب اليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل - وهي مدينة بالعراق على نهر الفرات - وكانا يعلّمان الناس السحر ، وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء وما يعلمانه للناس هو بوحي من الله . وبلغ مكر هذين الرجلين ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أي إنما نحن أولو فتنة ، نبلوك ونختبرك ، أتشكر أم تكفر ، وننصح لك أن لا تكفر ، ويقولان ذلك ليوهما الناس أن علومهما إلهية ، وصناعتهما روحانية ، وأنهما لا يقصدان إلا الخير ، و (ما) هنا نافية على أصح الأقوال ، ولفظ « المَلَكين » هنا وارد حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت .[٤٠]

● ● ●

تأويل قوله تعالى : « وما يُعَلِّمان من أحدٍ حتى يقولا : إنّما نحن فِتْنَةٌ فلا تكفر » .

يقول الطبري : وتأويل ذلك : وما يعلّم الملكان أحدا من الناس الذي أنزل عليهما من التفريق بين المرء وزوجه حتى يقولا له : إنما نحن بلاء وفتنة لبني آدم ، فلا تكفر بربك .

---

(٣٦) المدثر ، ٣٠ .
(٣٧) آل عمران ، ٦٨ .
(٣٨) الرحمن ، ٦٨ .
(٣٩) تفسير القرطبي ، ج ٢ ، ص ٥٠ - ٥١ .
(٤٠) زاد المسير ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

وروى عن موسى باسناده عن السدى ، قال : إذا أتاهما ـ يعني هاروت وماروت ـ إنسان يريد السحر وعظاه ، وقالا له : لا تكفر إنما نحن فتنة ، فان أبى قالا له : ائْتِ هذا الرماد فَبُلْ عليه ، فإذا بالَ عليه خرج منه نور يسطع حتى يدخل السماء وذلك الايمان ، وقيل شيء أسود كهيئة الدخان ، حتى يدخل في مسامعه وكل شيء منه ، فذلك غضب الله ، فإذا أخبرهما بذلك علّماه السحر ، فذلك قول الله « وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر » .

ويضيف الطبري في تفسيره : فمعنى الكلام إذن : وما يعلمان من أحد حتى يقولا : إنما نحن فتنة ، فيأبون قبول ذلك منهما فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه .[41]

تأويل قوله تعالى : « فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه » .

الخبر عن اليهود ، أي فيتعلم اليهود من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون من الأفاعيل المذمومة ما إنهم ليفرقون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف ، وهذا من صنيع الشياطين كما رواه مسلم في صحيحه . وقيل : أراد بدلا مما علماهم ، ويكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم الملكان من النهي عن السحر الى فعله واستعماله .

وقوله تعالى : « ما يُفَرِّقُون به بين المرء وزَوْجِهِ » فيه وجوه :

١ ـ أنهم يودون أحدهما على صاحبه ويبغّضونه إليه ، ويؤدي ذلك الى الفرقة .. عن قتادة .

٢ ـ أنهم يغوون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى ، فيكون بذلك قد فارق زوجه المؤمن المقيم على دينه ، فيفرق بينهما اختلاف النحلة وتباين الملّة .

٣ ـ أنهم يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية حتى يؤول أمرهما الى الفرقة والمباينة .[42]

ويعلق سيد قطب على قوله تعالى : « ما يفرقون به بين المرء وزوجه » بقوله : إنه من المكابرة في الواقع أن يقف إنسان لينفي ببساطة مثل هذه القوى المجهولة في الكائن البشري ، لمجرد أن العلم لم يهتد بعد الى وسيلة يجرب بها هذه القوى .

وليس معنى هذا هو التسليم بكل خرافة ، والجري وراء كل أسطورة .. إنما الأسلم والأحوط للعقل الانساني أن يقف أمام هذه المجاهيل موقفا مرنا .. لا ينفي على الاطلاق ولا يثبت على الاطلاق ، حتى يتمكن بوسائله المتاحة له بعد ارتقاء هذه الوسائل ، من إدراك ما يعجز الآن عن ادراكه ، أو يسلم بأن في الأمر شيئا فوق طاقته ، ويعرف حدوده ، ويحسب للمجهول في هذا الكون حسابه .

---

(٤١) تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص ٤٦١ ـ ٤٦٢ .

(٤٢) تفسير الطبرى ، ج ١ ص ٤٦٢ ، الطبرسى ، ج ١ ، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ ، تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

ويضيف قائلا : السحر من قبيل هذه الأمور ، وتعليم الشياطين للناس من قبيل هذه الأمور ، وقد تكون صورة من صوره : القدرة على الايحاء والتأثير ، إما في الحواس والأفكار ، وإما في الأشياء والأجسام .. ولا مانع أن يكون مثل هذا التأثير وسيلة للتفريق بين المرء وزوجه ، وبين الصديق وصديقه . فالانفعالات تنشأ من التأثيرات ، وان كانت الوسائل والآثار ، والأسباب والمسببات ، لا تقع كلها إلا باذن الله .(٤٣)

تأويل قوله تعالى : « وما هم بضارِّين به مِنْ أحَدٍ إلا بإذن الله » .

يقول الطبري في تأويل ذلك : وما المتعلمون من المَلَكين هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه بضارين بالذي تعلموه منهما من المعنى الذي يفرقون به بين المرء وزوجه ، من أحد من الناس ، الا من قضى الله عليه أن ذلك يضره ، فأما من دفع الله عنه ضرّه وحفظه من مكروه السحر والنفث والرقى ، فإن ذلك غير ضاره ولا نائله أذاه .(٤٤)

تأويل قوله تعالى : « ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم » .

أي : إن الناس الذين يتعلمون من الملكين ، ما أنزل عليهما من المعنى الذي يفرقون به بين المرء وزوجه ، يتعلمون منهما السحر الذي يضرهم في دينهم ، ولا ينفعهم في معادهم ، فأما في العاجل في الدنيا ، فانهم قد كانوا يكسبون به ويصيبون به معاشا . وفي الآية دليل على أن اجتنابه أصلح كتعلّم الفلسفة التي لا يؤمَنُ أن تجرَّ الى الغواية .(٤٥)

تأويل قوله تعالى : «وَلَقد عَلِموا لَمَنِ اشتَراه مالَهُ في الآخرةِ من خَلاق» .

أي : لقد علم النابذون من يهود بني اسرائيل كتابي وراء ظهورهم تجاهلا منهم ، التاركون العمل بما فيه من اتباعك يا محمد ، واتباع ماجئت به ، بعد إنزالي اليك كتابي ، مصدقا لما معهم ، وبعد إرسالك اليهم بالاقرار بما معهم ومافي أيديهم ، المؤثرون عليه اتباع السحر الذي تلته الشياطين على عهد سليمان والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، لمن اشترى السحر بكتابي الذي أنزلته على رسولي ، فآثره عليه ، ماله في الآخرة من نصيب أو حظ من الجنة ، من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دين ولا عمل صالح يجازى به في الجنة ويثاب عليه ، وهو يعني : لا نصيب له من جزاء وثواب وجنة دون نصيبه في النار . ويدل ذمه جل ثناؤه أفعالهم التي نفى من أجلها أن يكون لهم في الآخرة نصيب ، على مرادة من الخير ، وأنه إنما يعني بذلك أنه لانصيب لهم فيها من الخيرات ، وأما من الشرور فان لهم فيها نصيبا .(٤٦)

---

(٤٣) في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .
(٤٤) تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص ٤٦٣ ، تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٤٣ .
(٤٥) الطبرى ، ج ١ ص ٤٦٤ ، الكشاف ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، الطبرسى ج ١ ، ص ٣٩٨ ، القرطبى ، ج ٢ ص ٥٥ ، النسفى ، ج ١ ، ص ٦٦ ، ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٤٣ .
(٤٦) تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٦ .

تأويل قوله تعالى : «ولبئس ماشَرَوْا به أنفسهم لو كانوا يعملون» .

أي بئس ماباعوا به أنفسهم برضاهم بالسحر عوضا عن دينهم الذي به نجاة أنفسهم من الهلاك ، جهلا منهم بسوء عاقبة فعلهم . والمقصود بالذم هنا هم اليهود لأن الآيات قبله وبعده جاءت من الله بذم اليهود وتوبيخهم على ضلالهم ، وذما لهم على نبذهم وحىَ الله وآياتِ كتابه وراء ظهورهم ، مع علمهم بخطأ فعلهم .[٤٧]

ويقول الزمخشري : فإن قلت : كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله : «ولقد علموا لمن اشتراه ...» على سبيل التوكيد القسمي ، ثم نفاه عنهم في قوله : «لو كانوا يعلمون» ؟ قلت : معناه : لو كانوا يعملون بعلمهم ، جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه .[٤٨]

يتبين لنا من الآيات السابقة كيف أن الفريق من اليهود نبذوا كتاب الله المصدق لما جاء في التوراة التي بين أيديهم وفيها أصول التوحيد وقواعد التشريع وروائع الحكم والمواعظ ، وأخبار الأمم الغابرة .. لقد تركوا ما أنزل الله مصدقا لما معهم ، وراحوا يتتبعون ما تقصه الشياطين عن عهد سليمان ، وما يضللون به الناس من دعاوى مكذوبة عن سليمان ، إذ يقولون إنه كان ساحرا ، وان ما أوتى به من سعة في الملك ونعم خصه بها الله سبحانه وتعالى ، من تسخير الرياح والجن وتعليمه منطق الطير الى غير ذلك من النعم التي لم يؤتها أحد من بعده ـ إنما كان عن طريق هذا السحر الذي حذق فيه وفي استخدامه لتحقيق أغراضه تلك . ولكن الله سبحانه وتعالى لم يسكت على كذبهم وتشويههم صورة النبي الكريم ، فأنزل قرآنا يبرىء فيه سليمان عليه السلام من هذه الفرية التي افتروها عليه والتي هي بمنزلة الكفر ، ويثبتها لفاعليها الحقيقيين وهم الشياطين . لذلك قال سبحانه وتعالى : «وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر» . وقد استخدم اليهود السحر الذي تعلموه في التفريق بين الناس ونشر الفتنة والبغضاء بينهم .. وقد وصل بهم الأمر الى استخدام سحرهم للتفريق بين المرء وزوجه .. الا أنهم ، مع شدة مكرهم ، لا يستطيعون أن يضروا أحدا إلّا باذن الله . وقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى أن صنعتهم تلك لا فائدة ترجى منها ، بل إن ضررها مؤكد لأنها بمنزلة الكفر الذي يقود صاحبه الى النار ، حيث تخلَّوا عن توراتهم ، وفي اتباعها خير لهم ، واستعاضوا عنها بهذا السحر الذي لا نصيب لصاحبه في الجنة .

● ● ●

(٤٧) تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧ .

(٤٨) الكشاف ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، النسفى ، ج ١ ، ص ٦٦ .

ثانيا: حكم سليمان في مسألة الحرث:

يقول تعالى: «وداودَ وسليمانَ إذْ يَحْكُمانِ في الحَرْثِ إذْ نَفَشَتْ فيه غَنَمُ القومِ، وكُنَّا لِحُكْمِهم شاهدين. فَفَهَّمْنَاهَا سليمان، وكُلًّا آتينا حُكْمًا وعِلْمًا ..»[٤٩]

لقد سبق لنا معالجة هذا الموضوع عند الحديث عن داود وبيان صورته في القرآن الكريم، وفي تلك المعالجة تبين لنا فضل الله على سليمان عندما قال سبحانه وتعالى: «ففهّمناها سليمانَ» خاصة وأن حكم سليمان في تلك القضية كان وهو ما يزال فتى صغيرا.

من ذلك يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى كان يعد الفتى سليمان لحمل الأمانة من بعد والده داود عليهما السلام، ألا وهي رسالة السماء السمحة بما تضمنته من قيم ومثل عليا وأحكام عادلة، وتبليغ هذه الرسالة إلى الناس ومنهم قومه بنو اسرائيل ودعوتهم للسير بموجب الأحكام السماوية وما فيها من أوامر ونواه .. ولكن هل امتثل بنو اسرائيل لرسالة السماء التي تضمنتها توراتهم وكتبهم المقدسة؟ وهل صدعوا لما جاءهم به أنبياؤهم على مرّ العصور؟ بل هل أبقوا على صورة هؤلاء الأنبياء كما أرادها الله؟ لقد رأينا في كثير من المواضع كيف شوّه بنو اسرائيل صورة الأنبياء والمرسلين وأخرجوهم عن صفة العصمة التي ميزهم الله بها عن بقية عباده، لأنهم رسله في خلقه، فهم المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم.

يقول تعالى «ولسليمانَ الريحَ عاصفةً تَجْرِي بأمرِه الى الأرض التي باركنا فيها، وكُنَّا بكلِّ شيءٍ عالِمين. ومن الشياطين من يَغُوصون له ويَعْمَلُون عَمَلًا دون ذلك، وكُنَّا لهم حافِظين»[٥٠].

وتأويل ذلك أن الله سبحانه وتعالى سخر لسليمان الريح الشديدة تجري بأمره «الى الأرض التي باركنا فيها» يعني: الى الشام، يقول النسفي: جعلها مباركة بكثرة الأنهار والأشجار والثمار، والمراد الشام وكان منزله بها، وتحمله الريح من نواحي الأرض اليها[٥١].

ويقول المفسرون: كان سليمان إذا خرج من مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس الى سريره، وكان امرأً غَزَّاءً، قلما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذلّه. وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها، حتى اذا حمل معه ما يريد، أمر العاصف من الريح، فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته، حتى اذا استقلت أمر الرخاء، فمدته شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث أراد.[٥٢]

---

(٤٩) الأنبياء: ٧٨، ٧٩.
(٥٠) الأنبياء، ٨١، ٨٢.
(٥١) النسفي، ج ٣، ص ٨٦.
(٥٢) الطبري، ج ١٧، ص ٥٥ ـ ٥٦، القرطبي، ج ١١ ص ٣٢٢، ابن كثير، ج ٣، ص ١٨٧.

قوله تعالى : «وكُنَّا بكلِّ شَيءٍ عالمين» :

أي : وكنا عالمين بأنَّ فِعْلنا ما فَعَلْنا لسليمان من تسخيرنا له واعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق ، فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا ، ونحن عالمون بكل شيء لا يخفى علينا منه شيء .[٥٣]

تأويل قوله تعالى : « ومِنَ الشياطينِ من يَغُوصون له ويَعملون عَمَلاً دون ذلك وكُنَّا لهم حافظين» :

أي : يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع اللآلىء والدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية ، وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وأنواع الجواهر الثمينة من المعادن ، وهم أول من فعل ذلك .[٥٤] وكانوا يعملون عملا دون ذلك ، ويراد به المحاريب والتماثيل وبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة .[٥٥]

«وكنا لهم حافظين» : أي لأعمالهم . وقال الفراء : حافظين لهم من أن يفسدوا أعمالهم ، أو يهيجوا أحدا من بني آدم في زمان سليمان . وقيل : «حافظين» من أن يهربوا أو يمتنعوا ، أو حفظناهم من أن يخرجوا عن أمره . وقد قيل : إن الحمام والنورة والطواحين والقوارير والصابون من استخراج الشياطين .[٥٦]

يبين الله تعالى في الآيات السابقة بعض النعم التي أنعم بها على عبده سليمان عليه السلام ، وهي الريح العاصفة الشديدة التي تنقله الى أي مكان يريد لنشر دين الله ومحاربة المشركين . وسخر له من نعمه كذلك الشياطين يأتمرون بأمره لتنفيذ المهام التي يوكلها اليهم من غوص في أعماق البحار لاستخراج اللآليء والجواهر ، الى بناء الحصون والقلاع وغير ذلك من الأعمال التي يعجز الانسان عن القيام بها . وهي نعم ما كان الله سبحانه وتعالى لينعم بها الا على نبي كريم معصوم من أنبياء الله المرسلين .

● ● ●

ثالثا : قصة سليمان مع الهدهد وملكة سبأ :

في الآيات التالية من سورة النمل يذكر الله سبحانه وتعالى جانبا من الفضل الذي آتاه نبيّه سليمان عليه السلام ، من تسخير الانس والجن له وتعليمه منطق الطير ... كما تذكر الآيات بشيء من التفصيل قصته مع بلقيس ملكة سبأ ، والدور الذي أداه الهدهد في هذه القصة .

يقول تعالى : «ولَقَد آتَيْنَا داودَ وسليمانَ عِلْماً ، وقالا الحمدُ لله الذي فَضَّلَنَا على كثيرٍ من عِبادِه المؤمنين . وَوَرِثَ سليمانُ داودَ ، وقالَ يا أَيُّها الناسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطيرِ وأوتينا من كلِّ شيءٍ ، إنَّ هذا لهوَ

---

(٥٣) الطبرى ، ج ١٧ ، ص ٥٦ .
(٥٤) الثعلبى ، ص ٢٧٠ .
(٥٥) القرطبى ، ج ١١ ، ص ٣٢٢ ، البيضاوى ، ص ٣٥٨ ، الكشاف ج ٣ ، ص ١٣٠ .
(٥٦) القرطبى ، ج ١١ ، ص ٣٢٢ .

الفضلُ المُبين . وحُشِرَ لسليمانَ جنودُه من الجنّ والإنسِ والطيرِ فهم يوزعون ، حتى إذا أتَوْا على وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أيُّها النملُ ادخلوا مساكِنَكُم لا يَحْطِمَنَّكُم سليمانُ وجنودُه وهم لا يَشْعرون . فتبسَّمَ ضاحكا من قولها وقالَ : ربِّ أَوْزِعْني أن أشكرَ نعمتَكَ التي أنعمْتَ عليَّ وعلى والِديَّ وأَنْ أعملَ صالحاً ترضاه وأَدْخِلْني برحمَتِكَ في عبادِكَ الصالحين . وتَفَقَّدَ الطيرَ فقالَ مالِيَ لا أرَى الهُدْهُدَ أم كانَ من الغائبين ..» الآيات .[٥٧]

تفسير الآيات :

يقول تعالى : «ولقد آتينا داودَ وسليمانَ عِلْما وقالاَ الحمدُ لله الذي فَضَّلَنا على كثيرٍ من عبادِهِ المؤمنين» .

يقول المفسرون في تفسير الآية : يخبر الله تعالى عما أنعم به على عبديه داود وابنه سليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجميلة ، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة ، والملك والتمكين التام في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين .

وقوله «عِلْماً» ، أي علماً بالقضاء وبكلام الطير والدواب وتسبيح الجبال .. وقد آتاهما الله النبوة والخلافة في الأرض والزبور ، وإلانة الحديد ، وتسخير الشياطين والجن والانس .. وإنما نُكِّرَ قولُه «عِلْماً» ، ليدل على أنه أراد علما احتاجا اليه ، مما ينبىء عن صدقهما في دعوى الرسالة . وقد فضلهما الله «على كثير من عباده المؤمنين» ، قال مقاتل : «كان داود أشد تعبدا من سليمان ، وكان سليمان أعظم ملكا منه وأفطن » .

وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله ، وأن نعمة العلم من أجلّ النعم ، وأن من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباد الله المؤمنين ، وما سماهم رسول الله ﷺ « ورثة الأنبياء » الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة ، لأنهم القُوَّام بما بُعثوا من أجله ، وفيه تحريض للعالم على أن يحمد الله تعالى ما آتاه من فضله ، وأن يتواضع ويعتقد أنه وإنْ فُضِّلَ على كثير ، فقد فُضِّلَ عليه كثير .[٥٨]

«ووَرِثَ سليمانُ داودَ ، وقال يا أيها الناس عُلِّمْنا منطق الطير ، وأوتينا من كل شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين» . «وورث سليمان داود» أي ورث نبوّته وعلمه ، وملكه . وكان لداود تسعة عشر ذكرا ، فخص سليمان بذلك ، ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولادِه فيها سواء .[٥٩] قال ابن العربي : خص الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة ، وزاده من فضله ملكا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة ، بمعنى صار اليه ذلك بعد موت أبيه فسمى ميراثا تجوزا ، وهذا نحو قوله : «العلماء ورثة الأنبياء»[٦٠] .

---

(٥٧) النمل : ١٥ ـ ٤٤ .

(٥٨) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، الطبرسى ، ج ١٩ ، ص ٢٠٥ ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٥٨ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٥٩ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ، النسفى ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ ، البيضاوى ، ص ٤٠٨ .

(٥٩) ابن الجوزى ، ج ٦ ، ص ١٥٩ ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٥٨ .

(٦٠) القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٦٤ .

«وقال : يا أيها الناس» : قال الزمخشري : تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ، واعترافا بمكانها ، ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي (علم منطق الطير) وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور .[٦١]

«علمنا منطق الطير» : يقول الطبري : قال سليمان لقومه : يا أيها الناس علمنا منطق الطير ، يعني فهمنا كلامها ، وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها . ويقول الزمخشري : الذي علمه سليمان من منطق الطير : هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ، وهو قول النسفي أيضا . ويقول القرطبي : أي فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها . ويقول البيضاوي : لعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته الحسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به .[٦٢]

«وأوتينا من كل شيء» : أي : وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات .

«إنَّ هذا لهوَ الفَضْلُ المبين» :

أي : إن هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا . «المبين» : أي الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس .[٦٣]

يقول الطبرسي في قوله تعالى : «إن هذا لهو الفضل المبين» : هذا قول سليمان هلى وجه الاعتراف بنعم الله عليه ، ويحتمل أن يكون من قول الله سبحانه على وجه الاخبار بأن ما ذكره هو الفضل المبين .[٦٤]

يقول ابن كثير : كان سليمان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا ، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله ، ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس ، فهو قول بلا علم ، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة ، إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ويعرف ما تقول ، وليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ، بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت الى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال . ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها .[٦٥]

« وحُشِرَ لسليمانَ جنودُه من الجنّ والإنسِ والطيرِ ، فهم يوزعون» :

---

(٦١) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ ، النسفى ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ ، البيضاوى ، ص ٤٠٨ .
(٦٢) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤١ ، الكشاف ج ٣ ، ص ٣٥٣ ، القرطبى ج ١٣ ، ص ١٦٥ ، النسفى ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ ، البيضاوى ، ص ٤٠٨ .
(٦٣) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤١ .
(٦٤) مجمع البيان ، ج ١٩ ، ص ٢٠٦ .
(٦٥) ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٥٨ .

أي : جمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير في مسير لهم ، كل صنف من جنده على حده . «فهم يوزَعون» أي : يُرَدُّ أوَّلُهم الى آخرهم ويكفّون .

قال قتادة : كان لكل صنف وَزَعَة في رتبتهم ومواضعهم من كرسي سليمان ومن الأرض ، إذا مشوا فيها . يقول الزمخشري : كانت توقف سلاف العسكر (أي : متقدموهم) حتى تلحقهم التوالي ، فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد ، وذلك للكثرة العظيمة .[٦٦]

«حتى إذا أتوْا على وادِ النملِ ، قالت نملَةٌ : يا أيُّها النملُ ادخلوا مساكِنَكُم لا يحطمنَّكم سليمانُ وجنودُه ، وهم لا يَشْعُرون» .

في تعدية الفعل «أَتَوْا» بحرف الجر «على» وجهان . الأول : أن يكون المعنى : أن إتْيانهم كان من فوق ، فأتى بحرف الاستعلاء .

والثاني : أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره ، من قولهم : أتى على الشيء ، إذا أنفذه وبلغ آخره ، كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي .[٦٧]

«وادي النمل» : قيل في موضعه ثلاثة أقوال :

١) قال قتادة : ذكر لنا أنه واد بأرض الشام .

٢) قال كعب : هو بالطائف .

٣) جاء في القرطبي أنه قيل إن هذا الوادي كان ببلاد اليمن .[٦٨]

وقد ألهم الله النمل كثيرا من مصالحها تزيد به على الحيوانات ، فمن ذلك أنها تكسر كل حبة تدخرها قطعتين لئلا تَنْبُت ، إلاّ الكُزْبَرة فإنها تكسرها أربع قطع لأنها تنبت اذا كسرت قطعتين .

قالت النملة : لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده «وهم لا يشعرون» أي : وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم .

يقول النسفي : أي لا يعلمون بمكانكم ، أي : لو شعروا لم يفعلوا ، قالت النملة ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل .

وقال ابن عباس : «وهم لا يشعرون» أي : أصحاب سليمان لم يشعروا بكلام النملة .

---

(٦٦) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤٢ ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٦٠ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٦٧ .

(٦٧) الزمخشرى ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ .

(٦٨) ابن الجوزى ، ج ٦ ، ص ١٦١ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٦٩ ـ ١٧١ .

وروى الثعلبي أنه جاء في بعض الأخبار أن سليمان لما سمع قول النملة ، نزل عليها وقال ائتوني بها فأتوه بها . فقال لها : لِمَ حذرت النمل ، هل سمعتم أني ظالم ؟ أما علمتم أني نبيّ عدل ؟ فَلِمَ قلت : لا يحطمنّكم سليمان وجنوده ؟ قالت النملة : يا نبي الله ، أما سمعت قولي : «وهو لا يشعرون» مع أني ما أردت حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب .. خشيت أن يتمنَّيْنَ ما أُعطيتَ فيفتتنَّ ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح .

قال بعض العلماء : هذه الآية من عجائب القرآن ، لأنها بلفظة «يـــا» نادت ، «أيّها» نبَّهت ، «النمل» عيّنت ، «ادخلوا» أمرت ، «مساكنكم» نصَّت ، «لا يحطمنَّكم» حذَّرت ، «سليمان» خصّت ، «وجنوده» عمَّت ، «وهم لا يشعرون» عذرت .[٦٩]

«فتبسَّمَ ضاحكاً من قولها وقال ربِّ أَوْزِعْني أنْ أشكُرَ نِعْمَتَكَ التي أنعمْتَ عليَّ وعلى والديَّ ، وأن أعمل صالحا ترضاه وأدْخِلْني برحْمَتِك في عبادِكَ الصَّالحين» .

يقول الله تعالى : فتبسم سليمان ضاحكا من قول النملة التي قالت ما قالت ، وقال «ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على» أي : ألهمني وحرّضني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ .

وقوله : «وأن أعمل صالحا ترضاه» أي : وأوزعني أن أعمل بطاعتك وما ترضاه ، «وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين» أي : وادخلني برحمتك مع عبادك الصالحين الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك . يقول: أدخلني من الجنة مداخلهم .[٧٠]

يقول الزمخشري في قوله تعالى : «فتبسم ضاحكا» : إن الذي أضحكه شيئان :

١ـ إعجابه بما دلّ قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم ، وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى ، وذلك قولها : «وهم لا يشعرون» تعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا .

٢ـ سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا : وذلك من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل[٧١] الذي هو في الصغر والقلة ، ومن إحاطته بمعناه[٧٢] .

وجاء في زاد المسير لابن الجوزي أن المفسرين قالوا : إنما شكر سليمان الله عز وجل لأن الريح أبلغت اليه صوت النملة ففهم ذلك .[٧٣]

---

(٦٩) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤٢ ، التعلبى ، ص ٢٦٤ ، الزمخشرى ج ٣ ، ص ٣٥٥ ، الطبرسى ، ج ١٩ ، ص ٢٠٧ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٧٠ ، النسفى ج ٣ ، ص ٢٠٦ ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ ، البيضاوى ، ص ٤٠٨ .

(٧٠) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤٣ .

(٧١) قوله : (ما همس به بعض الحكل) في الصحاح « الحكل » ما لا يسمع صوته .

(٧٢) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ .

(٧٣) زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

ويذكر النسفي عن الزجاج أن قوله «ضاحكا» حال مؤكدة ، لأن «تبسم» بمعنى (ضحك) ، وأكثر ضحك الأنبياء التبسّم .[74]

«وتَفَقَّدَ الطير فقال مالِيَ لا أرى الهُدْهُدَ أم كان من الغائبين ؟ لأعذبنّه عذاباً شديدا أو لأَذْبَحَنَّه أو ليأتينيٍّ بسلطانٍ مُبين» .

«وتفقد الطير» : التفقد : طلب ما غاب عنك ، والمعنى أنه طلب ما فقد من الطير ، والطير اسم جامع للجنس ، وكانت الطير تصحب سليمان في سفره تظله بأجنحتها .

«فقال : مالي لا أرى الهدهد» : المعنى : ما للهدهد لا أراه ؟ تقول العرب : مالي أراك كئيبا ، أي : مالك ؟ فهذا من المقلوب الذي معناه المعلوم . أو معناه : أخطأه بصرى ، فلا أراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر .

أما سبب تفقده الطير ، وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير ، فعلى ثلاثة أقوال :

١ـ التفقد كان بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الملك ، والتهمم بكل جزء منها .

٢ـ كان تفقد الهدهد وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها ، لأن الطير كانت تظلهم من الشمس ، فأخل الهدهد بمكانه حين غاب ، فطلعت الشمس عليهم من الخلل .

٣ـ لما فصل سليمان عن وادي النمل ـ المذكور في الآية ـ وقع في قفر من الأرض ، فعطش الجيش فسألوه الماء ، وكان الهدهد يدله على الماء فاذا قال له : ها هنا الماء ، شققت الشياطين الصخر ، وفجرت العيون ، قبل أن يضربوا أبنيتهم فطلبه يومئذ فلم يجده .

قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس وغيره : كان الهدهد مهندسا يدل سليمان على الماء .

وذكر الزمخشري أن الهدهد كان بالنسبة لسليمان (قُنَّاقِنَهُ) [75] وكان يرى الماء من تحت الأرض ، كما يرى الماء في الزجاجة ، فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء .

يقول الطبري معلقا على آراء المفسرين في سبب تفقد سليمان للطير : الله أعلم لأي سبب كان ذلك ، إذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل ، ولا خبر عن رسول الله (ص) صحيح . والصواب من القول في ذلك أن

---

(٧٤) تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ .

(٧٥) القُنَّاقِن ـ بالضم ـ : الدليل الهادى والبصر بالماء في حفر القنى . والقنى : جمع قناة .

يقال : إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير ، إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها ، وإما لحاجة كانت اليها عن بُعْدِ الماء .[٧٦]

«لأُعذبنَّه عذاباً شديداً أو لأذبَحَنَّه أو ليأتينيٍّ بسلطانٍ مُبين» . قيل في تعذيب الهدهد : نتف ريشه وغير ذلك . «أو لأذبحنه» :أو لأقتلنه . «أو ليأتينيّ بسلطانٍ مبين» : أو ليأتيني بحجة أو عذر أو بيّنه تبين لسامعها صحتها وحقيقتها .[٧٧]

روى ابن كثير قال : قال سفيان بن عيينة وعبدالله بن شداد : لما قدم الهدهد قالت له الطير : ما خلفك ، فقد نذر سليمان دمك ، فقال : هل استثنى ؟ قالوا : نعم ، قال : «لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين» . قال الهدهد : نجوت إذا ... قال مجاهد : إنما دفع الله عنه ببرّه بأمه ، وقيل بأبويه .[٧٨]

«فمكَثَ غيرَ بعيدٍ فقالَ أَحَطْتُ بما لم تُحِطْ بِهِ وجئتك من سبأٍ بنبأٍ يَقين . إنّي وجدتُ امرأةً تملِكُهم وأوتِيَتْ من كلِّ شيءٍ ولها عَرْشٌ عَظيم . وجَدْتُها وقومَها يسجدون للشمسِ من دون الله ، وزَيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهم فصدَّهُم عن السبيلِ فهم لا يَهتدون . ألاّ يَسْجُدوا لله الذي يُخْرِجُ الخَبْءَ في السمواتِ والأرض ويعلم ما تُخفون وما تُعلنون . الله لا إله إلاّ هوَ ربُّ العرشِ العظيم» .

يقول الطبري : «فمكث» سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد حتى جاء الهدهد .[٧٩] أما معظم المفسرين الآخرين كالزمخشري وابن الجوزي والقرطبي والنسفي وابن كثير والبيضاوي وغيرهم ، فيرون أن الضمير في «فمكث» يرجع الى الهدهد ، أي غاب زمانا يسيرا ثم جاء .

يقول الزمخشري : «فمكث غير بعيد» وصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان ، وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ، وبيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى . «فقال أحطْتُ بما لم تحط به » : بعد أن جاء الهدهد قال له سليمان : ما الذي أبطأ بك ؟ فقال أحطت بما لم تحط به أي : اطلعت على مالم تطَّلِعْ عليه أنت ولا جنودك .

يقول الزمخشري : أَلْهَمَ الله الهدهدَ فكافحَ سليمانَ بهذا الكلام على ما أوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ، ابتلاء له في علمه ، وتنبيها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من

---

(٧٦) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤٤ ، الزمخشرى ، ج ٣ ، ص ٣٥٨ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٧٧ ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ .

(٧٧) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤٦ ، الزمخشرى ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ ، زاد المسير ، ج ٦ ص ١٦٤ .

(٧٨) ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ ، الثعلبى ، ص ٢٧٨ .

(٧٩) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤٧ ، وانظر أيضا : الطبرسى ، ج ١٩ ، ص ٢١٣ .

أحاط علما بما لم يحط به ، لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ، ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة .[٨٠]

«وجئتُكَ من سبأٍ بنبأٍ يقين» : أي جئتك من سبأ بخبر صادق . وسبأ ـ يقول ابن كثير ـ هم حمير وهم ملوك اليمن .[٨١]

يقول الزمخشري : «النبأ اليقين» الخبر الذي له شأن . وقوله «من سبأ بنبأ» من جنس الكلام الذي سماه المحدثون : البديع ، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ .[٨٢]

وقيل عن السدى : إن الله تعالى بعث الى سبأ اثنى عشر نبيا .[٨٣]

«إني وجدت امرأة تملكهم » : يعني تملك سبأ . يقول الطبري : وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمان ، درأ به عنه ما كان أُوعِدَ به ، لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدا له مملكة معه ، وكان مع ذلك رجلا حُبِّبَ إليه الجهاد والغزو ، فلما دلَّهُ الهدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره وقوم كَفَرَة يعبدون غير الله ، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل والثواب العظيم في الآجل ، وضم مملكة لغيره الى ملكه ، حقّت للهدهد المعذرة ، وصحت له الحجة في مغيبه عن سليمان .[٨٤]

والمرأة هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ . قال قتادة : كانت أمها جنيّة ، وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة من بيت مملكة ، وقيل غير ذلك ،[٨٥] وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس .

«وأوتيت من كل شيء» يقول : أوتيت من كل شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة .. يقول القرطبي : إن في صيغة الكلام مبالغة ، والمعنى : أي مما تحتاجه المملكة . وقيل : المعنى أوتيت من كل شيء في زمانها شيئا ، فحذف المفعول لأن الكلام دل عليه .[٨٦]

ويعلق الزمخشري على عبارة « وأوتيت من كل شيء » التي قالها الهدهد مقارنة بقول سليمان « وأوتينا من كل شيء» . فيقول : ربما قال قائل كأنه سوى بينهما ، قلت بينهما فرق بيّن لأن سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله ، وهو تعليم منطق الطير ، فرجع أولا الى ما أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين ،

---

(٨٠) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .
(٨١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .
(٨٢) الزمخشرى ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .
(٨٣) الطبرسى ، ج ١٩ ، ص ٢١٤ .
(٨٤) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤٨ .
(٨٥) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .
(٨٦) تفسير القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٨٤ .

ثم الى الملك وأسباب الدنيا ، أما الهدهد فعطف قوله على الملك ، فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها ، فبين الكلامين بون بعيد .

ويستطرد الزمخشري قائلا : فان قلت : كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة ؟ قلت : لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك ، لمصلحة أرادها ، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب .[87]

«ولها عَرْشٌ عظيم» : يقول الطبري : ولها كرسي عظيم ، وعَنَى بالعظيم في هذا الموضع العظيم في قدره وعظم خطره ، لا عظمه في الكبر والسعة . وعن ابن عباس قال : هو سرير كريم حسن الصنعة من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ .[88]

ويقول ابن كثير : قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم وكان فيه ٣٦٠ طاقة من مشرقه ، ومثلها من مغربه ، وقد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صباحا ومساء .[89]

«وجَدْتُها وقومَها يسجدون للشمس من دونِ الله وزيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهم فصدَّهم عن السبيل فهم لايهتدون» .

أي : وجدت هذه المرأة ملكة سبأ ، وقومها من سبأ ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله . «وزين لهم الشيطان أعمالهم» يقول : وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس وسجودهم لها من دون الله ، وحبب ذلك اليهم . «فصدهم عن السبيل» يقول : فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه ، ومعناه : فصدهم عن سبيل الحق .

«فهم لايهتدون» يقول : فهم لما قد زين لهم الشيطان مازين من السجود للشمس من دون الله والكفر به ، لا يهتدون إلى سبيل الحق ولا يسلكونه ، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون .[90]

ويعلق الزمخشري على هذه الآية فيقول : فإن قلت : من أين للهدهد التهدّي إلى معرفة الله ووجوب السجود له ، وانكار سجودهم للشمس واضافته إلى الشيطان وتزيينه ؟ قلت : لايبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها .. خصوصا في زمن نبيّ سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له .[91]

---

(٨٧) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٦١ .
(٨٨) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤٨ .
(٨٩) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ .
(٩٠) تفسير الطبرى ، ج ١٩، ص ١٤٩ .
(٩١) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٦١ .

«ألا يسجدوا لله الذي يُخرج الخَبْءَ في السمواتِ والأرض ويَعْلَم ماتُخفون وما تُعلنون . الله لا اله إلاّ هو ربُّ العرش العظيم .»

«ألا يَسْجُدوا لله» : قرأ أكثر القراء بتشديد «ألَّا» ، وقرأ آخرون بتخفيف «ألَا» . فعلى التشديد يكون المعنى : وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله ، أو فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا .وعلى التخفيف يكون : ألا ياهؤلاء أسجدوا ، فأضمروا (هؤلاء) اكتفاء بدلالة «يا» عليها .[92]

واعتبر الفراء وجوب السجود على قراءة التخفيف ، وعلى قراءة من شدَّد لا ينبغي لها أن تكون سجدة . أما الزمخشري فيقول : فإن قلت : أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا أم في إحداهما ؟ قلت : هي واجبة فيهما جميعا ، لأن مواضع السجدة : إما أمْرٌ بها ، أو مَدْحٌ لمن أتَى بها ، أم ذَمٌّ لمن تركها ، واحدى القراءتين أمر بالسجود ، والأخرى ذمٌّ للتارك .[93]

«الذي يُخْرِجُ الخَبْءَ في السموات والأرض» أى : يخرج المخبوء والمستتر في السموات والأرض من غيث في السماء ، ونبات في الأرض ونحو ذلك[94] .

«ويَعْلَمُ ماتُخفون وما تُعْلِنون» : يقول : يعلم السرّ في أمور خلقه ، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها ، وذلك على قراءة من قرأ «ألَّا» ، بالتشديد . وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فان معناه : ويعلم مايسره خلقه الذين أمرهم بالسجود لقوله : ألا ياهؤلاء اسجدوا . وقد ذكر أن ذلك جاء في قراءة (أُبَيّ) : «أَلَا تَسْجُدُوا لِلّه الذي يَعْلَمُ سِرَّكم وما تُعْلِنُونَ» .[95]

«اللّه لا إله إلاّ هُوَ ربُّ العرشِ العظيم» يقول تعالى ذكره : الله الذي لاتصلح العبادة إلا له ، لا إله إلا هو لامعبود سواه تصلح له العبادة ، فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالطاعة ولا تشركوا به شيئا .

«ربُّ العرشِ العظيم» : يعني بذلك : مالك العرش العظيم الذي كل عرش وإن عظم فدونه ، لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولاغيره .[96]

روى عن ابن زيد وابن اسحق أن الكلام من : «أحطت بما لم تحط به» .. إلى قوله : «لا اله الا هو رب العرش العظيم» هو كلام الهدهد .

ويحتمل أن يكون من قول سليمان لما أخبره الهدهد عن القوم ، ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى ،

---

(٩٢) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٤٩ ، الزمخشرى ، ج ٣ ، ص ٣٦١ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٨٦ .
(٩٣) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٦٦ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٨٧ .
(٩٤) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٥٠ .
(٩٥) نفس المرجع والصفحة .
(٩٦) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٥١ .

فهو اعتراض بين الكلامين ، وهو الثابت مع التأمل ـ كما جاء في القرطبي ، وقراءة التشديد «ألَّا يسجدوا» تعطى أن الكلام للهدهد وقراءة التخفيف تمنعه .

يقول الزمخشري : فإن قلت : كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعِظَم ؟ قلت : بين الوصفين بونٌ عظيم ، لأن وصف عرشها بالعِظَم : تعظيم له بالاضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك .. ووصف عرش الله بالعظم : تعظيم له بالنسبة إلى سائر ماخلق من السموات والأرض .(٩٧)

يقول ابن كثير : لما كان الهدهد داعيا إلى الخير ، وعبادة الله وحده والسجود له ، نهى عن قتله كما رواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : نهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب : النملة والنحلة والهدهد والصرد . ويستطرد ابن كثير قائلا : واسناده صحيح .(٩٨)

ويعلق سيد قطب على خبر الهدهد بقوله : نجد أنفسنا أمام هدهد عجيب صاحب إدراك وذكاء وإيمان ، وبراعة في عرض النبأ ، ويقظة إلى طبيعة موقفه ، وتلميح وإيماء أريب ... فهو يدرك أن هذه ملكة وأن هؤلاء رعية ، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله ، ويدرك أن السجود لايكون الا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ، وأنه هو رب العرش العظيم .

ويستطرد قائلا : وما هكذا تدرك الهداهد .. إنما هو هدهد خاص أوتى هذا الإدراك الخاص على سبيل الخارقة التى تخالف المألوف .(٩٩)

«قال سننظُرُ أصدَقْتَ أم كنتَ من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألْقِهْ إليهم ثم تَوَلَّ عنهم فانظُرْ ماذا يَرْجِعُون» .

يقول تعالى ذكره : «قال» سليمان للهدهد «سننظر» فيما اعتذرت به من العذر ، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنَّا ، وفيما جئتنا به من الخبر . «أصدقت» في ذلك كله «أم كنت من الكاذبين» فيه . وإنما شك في خبره ، لأنه أنكر أن يكون لغيره في الأرض سلطان . يقول الزمخشري : أراد : أصدقت أم كذبت ، إلا أنّ «كنت من الكاذبين» .. أبلغ ، لأنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لامحالة ، واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به .(١٠٠)

ثم كتب سليمان كتابا وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد وقال : «اذهب بكتابي هذا فألْقِهْ إليهم ثم تَوَلَّ عنهم فانظر ماذا يَرْجِعون» قال : «ألْقِهْ إليهم» على لفظ الجمع ، ولم يقل (اليها) ، لأنه قال : «وجدتها وقومَها

(٩٧) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٥١ ، الزمخشرى ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٨٧ .
(٩٨) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦١ .
(٩٩) في ظلال القرآن ، ج ١٩ ، ص ١٤٥ .
(١٠٠) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ ، النسفى ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .

يسجدون للشمس» ، فكأنه قال : فألْقِهْ الى الذين هذا دينهم ، اهتماما منه بأمر الدين ، واشتغالا به عن غيره .

«ثم تَوَلَّ عنهم» : أمره بالتوليّ حسن أدب ، ليتنحّى حسب ما يتأدب به مع الملوك . بمعنى : كن قريبا حتى ترى مراجعتهم ، هذا قول وهب بن منبه . وقال ابن زيد : أمره بالتولي بمعنى الرجوع اليه ، أي : ألقه وارجع . قال : وقوله : «فانظر ماذا يرجعون» في معنى التقديم على قوله : «ثم تول» ، أي ألقه ثم تول ، وفي خلال ذلك فانظر أي انتظر ، وقيل : فاعلم : أي اعلم ماذا يرجعون أي يجيبون ، وماذا يردون من القول . وقيل : «فانظر ماذا يرجعون» : يتراجعون بينهم من الكلام .[١٠١]

«قالت يا أيُّها المَلَأُ إني أُلْقِيَ إليّ كتابٌ كريم . إنه من سليمانَ وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. ألاّ تَعْلُوا عليَّ وأتوني مسلمين» .

قال المفسرون : فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام ، فوافاها في قصرها وقد غلّقت الأبواب وكانت اذا رقدت غلقت الأبواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها .. فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على ظهرها ، فألقى الكتاب على نحرها .. هذا قول قتادة ، وقال مقاتل : حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون ، حتى رفعت المرأة رأسها ، فألقى الكتاب في حجرها .

وقال وهب بن منبه : كانت لها كوة ، يعنى طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع ، فاذا نظرت إليها سجدت لها ، فجاء الهدهد إلى تلك الكوة فسدها بجناحيه ، فارتفعت الشمس ولم تعلم ، فاستبطأت الشمس ، فقامت تنظرها ، فرمى الصحيفة في وجهها . قالوا : فأخذت بلقيس الكتاب ، وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم تبّع بن شراحيل الحميري ، فلما رأت الخاتم ارتعدت ، وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه ، وعرفت أن الذي أرسل لها هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها . وقالت : إن ملكا تكون رسله الطير لملك عظيم ، فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ، ثم إنها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة مقاتل[١٠٢] وكانت تكلمهم من وراء حجاب ، فاذا حَزَبَهَا أمر أسفرت عن وجهها ، فلما جاءوا وأخذوا مجالسهم ، قالت لهم بلقيس :

«إنّي أُلْقِيَ إليَّ كِتَابٌ كَرِيم» : أي شريف لشرف صاحبه ، وقال الضحاك : سمته كريما لأنه كان مختوما

---

(١٠١) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٥١ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٩١ .

(١٠٢) يذكر ابن كثير في رواية ابن أبي حاتم بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان مع صاحبة سليمان مائة ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل ، وقال الأعمش عن مجاهد : كان تحت يدى ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل . وعن قتادة قال : كان أولو مشورتها ثلاثمائة واثنى عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل . يقول ابن كثير : والقول الأخير هو أقرب ، على أنه كثير على مملكة اليمن والله أعلم . (ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٠) .

يدل عليه ما أخبرني به أبو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : «كرم الكتاب ختمه» . وقيل سمته كريما لأنه مصدَّر ببسم الله الرحمن الرحيم.[١٠٣] قال ابن كثير : قال العلماء : لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام[١٠٤] .

«ألَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وأْتُوني مُسلِمين» : «ألا تعلوا على» : أي : لاتتكبروا ، ولاتتعاظموا ولاتتمنعوا من الذى دعوتكم اليه ، إن امتنعتم جاهدتكم .

«وأتوني مسلمين» : أي منقادين طائعين مذعنين لله بالوحدانية والطاعة . وقد أورد الطبري نص كتاب سليمان إلى بلقيس ، يقول : (بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود إلى بلقيس بنت ذي سرح وقومها ، أما بعد : فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين) .

أما الثعلبي فأورد نص الكتاب كما يلي : (من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ ... بسم الله الرحمن الرحيم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، أن لاتعلوا على وأتوني مسلمين .) وبنحوه أورده الزمخشري في الكشاف .

قال ابن جُرَيْج وغيره : ولم يزد سليمان على ماقصّ الله تعالى في كتابه شيئا ، وكان أبلغ الناس في كتابه وأقله املاء ، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولايطيلون كتابا ولايكثرون . قالوا : فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه .[١٠٥]

ويعلق سيد قطب على ماجاء في كتاب سليمان وقول ملكة سبأ : «ياأيها الملأ إني أُلْقِيَ الىّ كتابٌ كريم ، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتوني مسلمين» . فيقول : إنها تخبرهم أنه ألقى اليها كتاب ، ومن هذانرجح أنهالم تعلم من ألقى اليها الكتاب ولا كيف ألقاه . ولو كانت تعرف أن الهدهد هو الذي جاء به ، كما تقول التفاسير ، لأعلنت هذه العجيبة التي لاتقع كل يوم . ولكنها قالت بصيغة المجهول ، مما يجعلنا نرجح أنها لم تعلم كيف ألقى اليها ولا من ألقاه .[١٠٦]

«قالتْ يا أيُّها الملأ أَفْتُوني في أمرى ما كنتُ قاطعةً أمرا حتى تشهدون ، قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين» .

قالت بلقيس لأشراف قومها : أشيروا على في أمرى الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقى إلى ، فجعلت المشورة فتيا . والمراد بالفتوى ههنا : الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لهامن

---

(١٠٣) الثعلبى ، ص ٢٨٠ .
(١٠٤) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦١ .
(١٠٥) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، الثعلبى ، ص ٢٨٠ ، الزمخشرى ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ .
(١٠٦) في ظلال القرآن ، ج ١٩ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

الرأي والتدبير ، يقول الزمخشري : قصدت بالانقطاع اليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم : استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها .(١٠٧)

«ماكنتُ قاطعةً أمراً حتى تَشْهَدون» : أي : ماكنت قاضية أو فاصلة في ذلك إلا بحضوركم .

«قالوا نحن أولو قوةٍ وأولو بأسٍ شديد» : أي : نحن ذوو القوة على القتال ، والبأس الشديد في الحرب ، والأمر أيتها الملكة اليك في القتال وفي تركه ، فانظري من الرأى ماترين ، فمرينا نأْتمر بأمرك . يقول الزمخشري : كأنهم أشاروا عليها بالقتال ، أو أرادوا : نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة ، وأنت ذات الرأي والتدبير ، فانظري ماذا ترين نتبع رأيك .

جاء في تفسير ابن كثير أن الحسن البصري رحمه الله قال : فوّضوا أمرهم إلى علجة تضطرب ثدياها ، فلما قالوا لها ماقالوا كانت هي أحزم رأيا منهم وأعلم بأمر سليمان ، وأنه لاقبل لهم بجنوده وجيوشه وماسخر له من الجن والانس والطير ، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمراً عجيبا بديعا ، فقالت لهم : إنّي أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه ويخلص إلى واليكم الهلاك والدمار دون غيرنا .(١٠٨) ولهذا قالت :

«قالت : إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزةَ أهلها أذلة وكذلك يفعلون» .

يقول الطبري في تأويل الآية : قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان إنْ أمرتهم بذلك : «إن الملوك اذا دخلوا قرية» عنوة وغلبة «أفسدوها» يقول : خربوها «وجعلوا أعزة أهلها أذلة» وذلك باستعبادهم الأحرار واسترقاقهم إياهم ، وتناهي الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع . فقال الله «وكذلك يفعلون» يقول تعالى ذكره : وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك إذا دخلوا قرية عنوة .(١٠٩)

ويقول الثعلبي : أي أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الأمر ، فصدق الله قولها . فقال : «وكذلك يفعلون» .(١١٠) . ويقول الزمخشري : أي خربوها وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا ، فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت : «وكذلك يفعلون» أرادت : وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لاتتغير ، لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت .(١١١) ومثل هذا حكى الماوردى . أما الزجاج فقال : «وكذلك يفعلون» هو من تصديق الله تعالى لقولها .(١١٢)

---

(١٠٧) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٥٣ ، الزمخشرى ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ .
(١٠٨) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٥٤ ، الزمخشرى ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ، ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٦٢ .
(١٠٩) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٥٤ .
(١١٠) الثعلبى ، ص ٢٨١ .
(١١١) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ .
(١١٢) زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٦٩ .

قال ابن عباس : قالت بلقيس : «إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة» قال الرب عز وجل : «وكذلك يفعلون» .(١١٣)

«وإني مُرْسِلَة اليهم بهدية فناظرةٌ بِمَ يَرْجِعُ الرُسَلُون.فلَّما جَاء سليمانَ قال أَتُـمِدُّونَنِ بمال ؟ فما آتانيَ اللهُ خيرٌ مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفَرحون . ارجعْ إليهم فلنأتينَّهم بجنودٍ لاقِبَلَ لهم بها ، ولنُخْرِجَنَّهم منها أذلّةً وهم صاغرون» .

«وإني مرسلةٌ اليهم بهدية» : قال وهب بن منبه : كانت بلقيس امرأة لبيبة في بيت ملك ، لم تملك الا لبقايا مَنْ مضى من أهلها ، إنها قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك ، وكان دينها ودين قومها فيما ذكر الزنديقية .. فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التي كانت قبلها ، فبعثت الى المقاولة من أهل اليمن ، وأخبرتهم بأمر الكتاب ثم قالت : إنه قد جاءني كتاب لم يأتني مثله من ملك من الملوك قبله ، فإن يكن الرجل نبيا مرسلا فلا طاقة لنا به ، ولا قوة ، وإن يكن الرجل ملكا يكاثر ، فليس بأعزَّ منا ، ولا أعدّ . فهيأت هدايا مما يُهْدَى للملوك ، مما يُفْتَنُون به قالت : إن يكن ملكا فيسقبل الهدية ويرغب في المال ، وإن يكن نبيا فليس له في الدنيا حاجة ، وليس إياها يريد ، إنما يريد أن ندخل معه في دينه ، ونتبعه على أمره . وقال قتادة : ماكان أعقلها في إسلامها وشركها ، علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس .(١١٤)

وقد بالغ المفسرون في مقدار الذهب الذي تضمنته هدية ملكة سبأ حتى وصل عند بعضهم إلى خمسمائة لبنة ومثلها من الفضة ، غير الجوارى والغلمان الذين يعدون بالمئات .(١١٥)

ويعلق الحافظ ابن كثير على روايات أولئك المفسرين بقوله : ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت اليهم بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلىء وغير ذلك . وقال بعضهم : أرسلت بلبن من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب .(١١٦)

وقال المفسرون إن بلقيس أرسلت تلك الهدية مع وفد يرأسه المنذر بن عمرو الذي حملته كتابا إلى سليمان مع حقة فيها درة ثمينة وخرزة بقصد اختبار حكمة سليمان .. وتضيف تلك الروايات أن سليمان عندما علم بقرب وصول الوفد ، أمر بفرش طريقهم اليه بلبن من ذهب .. إلى آخر ما تضمنته روايات أولئك المفسرين .(١١٧)

---

(١١٣) ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٩٥ .
(١١٤) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٥٦ ، تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ .
(١١٥) الثعلبى ، ص ٢٨١ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٧٠ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ١٩٦ .
(١١٦) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ .
(١١٧) الثعلبى ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٧١ ، القرطبى ج ١٣ ، ص ١٩٧ .

ويعلق ابن كثير على هذه الروايات أيضا بقوله : الله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الاسرائيليات .. والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر الى ماجاءوا به بالكلية ولا اعتنىَ به ، بل أعرض عنه .(١١٨)

قوله تعالى : «فناظرة بِمَ يرجعُ المُرْسَلُون»

تقول : فأنظر بأى شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلها اليه ترجع رسلي ، أبقبول وانصراف عنا ، أم بردّ الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه ؟

«فلمَّا جاءَ سليمانَ قالأتُـمِدُّونَنِ بمالٍ» : أي فلما جاء الرسول سليمان بالهدية قال : «أَتمِدُّونَنِ بمال» .. أي : أتزيدونني مالا إلى ماتشاهدونه من أموالي .

«فما آتانيَ اللهُ خيرٌ مما آتاكم» أي فما أعطاني من الإسلام والملك والنبوة خير مما أعطاكم فلا أفرح بالمال .

«بل أنتم بهديتكم تَفْرَحُون» يقول : ما أفرح بهديتكم التي أهديتم إلى ، بل أنتم تفرحون بالهدية التي تهدى إليكم ، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها ، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي ، لأن الله تعالى قد مكنني منها وملكني فيها مالم يملك أحدا .

«ارْجِعْ اليهم» : أى قال سليمان للمنذر بن عمرو أمير الوفد ، ارجع اليهم بهديتهم .

«فلنأتينّهم بجنودٍ لاقِبَلَ لهم بها» : أى لا طاقة لهم عليها ، ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم .

«ولَنُخْرِجَنَّهم منها أذلّةً وهم صاغرون» : يقول : ولنخرجنَّ من أرسلكم من أرضهم أى من قرية سبأ ، أذلة قد سلبوا ملكهم وعزهم «وهم صاغرون» أى مهانون أذلاء ، إن لم يأتوني مسلمين .(١١٩)

«قال : يا أَيُّها الملأ أَيُّكم يأتيني بعرشِها قبل أن يأْتُوني مُسْلِمين . قال عفريتٌ من الجنّ أنا آتيكَ به قبل أن تقومَ من مقامك وإني عليه لقويٌّ أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيكَ به قبل أن يرتدَّ اليك طَرْفُك . فلما رآه مستقرا عندَه ، قال : هذا من فضل ربي ، ليبلُوَني أأشكُر أم أكفر ، ومن شَكَر فإنما يشكُرُ لنفسه ، ومن كَفَر فإنَّ ربي غنيٌّ كريم» .

لما رجعت رسل بلقيس اليها بالخبر ، قالت : قد علمت أنه ليس بملك ، ومالنا به طاقة ، فبعثت اليه : إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ماتدعو اليه . ثم أمرت بعرشها فجعل وراء سبعة أبواب ووكلت به حرسا

---

(١١٨) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٣ .
(١١٩) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

يحفظونه ، وشخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قَيْل من أقْيَال اليمن ، تحت يدي كل قيل منهم ألوف . وكان سليمان مَهيبا لايُبْتَدأُ بشيء حتى يَسْأَلَ عنه ، فجلس يوما على سرير ملكه فرأى رهجا[120] قريبا منه فقال : ماهذا ؟ قالوا : بلقيس قد نزلت بهذا المكان ، وكان قدر فرسخ ، وقد كان بلغه أنها احتاطت على عرشها قبل خروجها . فقال سليمان لجنوده ، وقال وهب بن منبه وغيره : قال سليمان للجن : «أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين» قال ابن عباس : كان أمره بالإتيان بالعرش قبل أن يكتب الكتاب اليها ، ولم يكتب اليها حتى جاءه العرش ، وقال ابن عطية : وظاهر الآيات أن هذه المقالة من سليمان بعد مجيء هديتها ورده إياها وبعثه الهدهد بالكتاب ، وعلى هذا جمهور المتأولين .[121]

وذكر في سبب طلبه العرش خمسة أقوال :

١ ـ ليعلم صدق الهدهد ، قاله ابن عباس .

٢ ـ ليجعل ذلك دليلا على صدق نبوته ، لأنهاخلفته في دارها واحتاطت عليه ، فوجدته قد تقدمها ، قاله وهب بن منبه .

٣ ـ ليختبر عقلها وفطنتها ، أتعرفه أم تنكره ، قاله سعيد بن جبير .

٤ ـ لأن صفته أعجبته ، فخشى أن تسلم فيحرم عليه مالها ، فأراد أخذه قبل ذلك ، قاله قتادة .

٥ ـ ليريها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه في معجزة يأتى بها في عرشها ، وهو ماحكاه الثعلبي .[122]

قال الطبري : وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا : ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه ، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات ، بعضها في جوف بعض ، مغلق مقفل عليها ، فأخرجه الله من ذلك كله ، بغير فتح أغلاق وأقفال ، حتى أوصله إلى وليّه من خلقه ، وسلمه اليه . فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة مادعاها اليه سليمان ، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته .[123]

«قبلَ أن يأتوني مُسْلِمين» قيل في تأويله :

١ ـ قبل أن يأتوني مستسلمين طائعين ، وهو قول ابن عباس .

٢ ـ قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله ، قاله ابن جريج .

---

(١٢٠) الرهج : الغبار .

(١٢١) زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٧٣ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ٢٠٢ .

(١٢٢) الثعلبى ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٧٣ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(١٢٣) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٦١ .

يقول الطبري : فأما الذي هو أولى التأويلين في ذلك ، فهو قول ابن عباس من أن معناه : (طائعين) لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة ، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومُسَاءلة .(١٢٤)

«قال عِفْريتٌ من الجنِّ أنا آتيكَ به قبلَ أن تقومَ من مَقَامِكَ» .

يقول : أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مجلسك ، وكان سليمان يجلس للقضاء بين الناس من وقت الفجر إلى طلوع الشمس وقيل إلى نصف النهار .

«وإني عليه لقويٌّ أمين» : أى قوىّ على حمله . وفي قوله «أمين» قولان:

١ ـ أى أمين على مافيه من الجوهر والدر ، وغير ذلك ، قاله ابن عباس وابن السائب .

٢ ـ أمين أن لا آتيك بغيره بدلا منه ، قاله ابن زيد .(١٢٥)

فقال سليمان : أريد أسرع من ذلك ، «قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ اليك طَرْفُك» . وقيل فيه عدة أقوال :

١) هو أصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا ، وكان صدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى .

قال ابن عباس : دعا آصف ـ وكان يقوم على رأس سليمان بالسيف ـ فبعث الله الملائكة فحملوا السرير تحت الأرض يَخُدُّون الأرض خَدّاً ، حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان .

٢) هو سليمان نفسه ، وإنما قال له رجل : أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ، فقال : هات قال : أنت النبي ابن النبي ، فان دعوت الله جاءك ، فدعا الله فجاءه . قاله محمد بن المكندر ، والمخاطبة في هذا التأويل للعفريت لما قال : «أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك» كأنّ سليمان استبطأ ذلك ، فقال له على جهة تحقيره : «أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك» واستدل قائلو هذه المقالة بقول سليمان : « هذا من فضل ربي» قال القرطبي وهو قول حسن .(١٢٦)

٣) هو الخَضِر عليه السلام ، قاله ابن لهيعة ، وعلّق ابن كثير على قوله هذا فقال : وهو غريب جدا .(١٢٧)

---

(١٢٤) نفس المرجع والصفحة .

(١٢٥) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٦٢ ، الثعلبى ، ص ٢٨٤ ، ابن الجوزى ، ج ٦ ، ص ١٧٤ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ٢٠٤ .

(١٢٦) القرطبى ، ج ١٣ ، ص ٢٠٥ .

(١٢٧) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ .

٤) هو رجل عابد خرج يومئذ من جزيرة في البحر، فلما سمع قول العفريت قال: «أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك» ثم دعا باسم من أسماء الله فاذا هو يحمل بين عينيه، قاله ابن زيد.

٥) هو جبريل عليه السلام، قاله الثعلبي.

٦) هو مَلَك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان عليه السلام، حكاه الثعلبي.

٧) قال السهيلي: وذكر محمد بن الحسن المقرىء أنه: ضَبَّة بن أُدّ. يقول القرطبي: وهذا لايصح البتة لأن ضبّة هو ابن أدّ بن طابخة، واسمه عمرو بن الياس بن مضر بن نزار بن مَعدّ: ومعد كان في مدة بختنصر وذلك بعد عهد سليمان بدهر طويل، فاذا لم يكن معدّ في عهد سليمان، فكيف ضبّة بن أدّ وهو بعده بخمسة آباء؟! وهذا بيّن لمن تأمله.[128]

٨) هو رجل من بني اسرائيل اسمه (يمليخا) وقيل اسمه (مليحا) كان يعلم اسم الله الأعظم قاله قتادة وذكره القشيري، وقال ابن أبي بزة: الرجل الذي كان عنده علم من الكتاب اسمه أسطوم وكان عابدا في بني اسرائيل وذكره الغزنوي.[129]

ويعلق سيد قطب على هذه المسألة بقوله: «إنما نفهم أنه رجل مؤمن على اتصال بالله، موهوب سرا من الله يستمد به من القوة الكبرى التي لاتقف لها الحواجز والأبعاد. وهو أمر يشاهد أحيانا على أيدي بعض المتصلين، ولم يكشف سره ولا تعليله، لأنه خارج عن مألوف البشر في حياتهم العادية، وهذا أقصى مايقال في الدائرة المأمونه التي لاتخرج إلى عالم الأساطير والخرافات. ويستطرد سيد قطب فيقول: وقد ذكر بعض المفسرين أنه هو سليمان نفسه عليه السلام، ونحن نرجح غيره، فلو كان هو لأظهره السياق باسمه، ولما أخفاه، والقصة عنه ولا داعي لإخفاء اسمه فيها عند هذا الموقف الباهر. وبعضهم قال: إن اسمه آصف بن برخيا، ولا دليل عليه.[130]

قوله: «قبل أن يرتدَّ اليك طرفك»

قال الطبري: قبل أن يرجع اليك طرفك من أقصى أثره.[131]

أما الدعاء الذي دعا به فعلى أقوال:

١ ـ «ياحيّ ياقيوم»، روى عن عائشة رضى الله عنها.

---

(١٢٨) القرطبى، ج ١٣، ص ٢٠٥.
(١٢٩) الثعلبى، ص ٢٨٤، زاد المسير، ج ٦، ص ١٧٤ ـ ١٧٥، القرطبى، ج ١٣، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(١٣٠) في ظلال القرآن، ج ١٩، ص ١٤٨ ـ ١٤٩.
(١٣١) الطبرى، ج ١٩، ص ١٦٤.

٢ ـ «ياإلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلاَّ أنت ائتني بعرشها»، رواه الزهري.

٣ ـ «ياذا الجلال والإكرام». عن مجاهد.

٤ ـ «الله والرحمن» عن الحسن، حكاه الزمخشري.[١٣٢]

قوله: «فلما رآه مستقراً عنده»: في الكلام محذوف، لأن التقدير: قال سليمان له: افعل. فسأل الله تعالى في ذلك، فحضر العرش، فلما رآه سليمان «مستقرا عنده» أى ثابتا بين يديه.

«قال هذا من فضل ربي» أى هذا النصر والتمكين من فضل ربي.

«ليبلُوَني» ليختبرني ويمتحنني. «أأشكر أم أكفر» فيه قولان:

١) أأشكر على السرير إذ أُتيتُ به، أم أكفر إذ رأيت مَنْ هو دوني في الدنيا أعلم مني. قاله ابن عباس.

٢) أأشكر ذلك من فضل الله علي، أم أكفر نعمته عليّ بترك الشكر له.[١٣٣]

«ومن شكر فانما يشكر لنفسه»: أى لايرجع نفع ذلك إلا إلى نفسه، حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها. لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خلقه، وانما دعاهم إلى شكره تعريضا منه لهم للنفع، لا لاجتلاب منه بشكرهم أياه نفعا إلى نفسه، ولا دفع ضر عنها.

«ومن كفر فان ربي غنيّ كريم» يقول: ومن كفر نعمه وإحسانه إليه وفضله عليه، لنفسه ظلم وحظَّها بَخس، والله غنى عن شكره، لا حاجة به اليه، لايضره كفر من كفر من خلقه. «كريم»: ومن كرمه افضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه.[١٣٤]

«قالَ نكِّروا لها عرشَها نَنْظُرْ أتهتدى أم تكونُ من الذين لايَهْتَدون»

قال المفسرون: خافت الشياطين أن يتزوج سليمان بلقيس، فتفشى إليه أسرار الجن، لأن أمها كانت جنية، فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده، فأساءوا الثناء عليها وقالوا: إن في عقلها شيئا وإن رجلها كحافر الحمار، فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح. قال ابن قتيبة: ومعنى «نكّروا» غيّروا، يقال: نكرت الشيء فتنكر أي غيرته فتغير.[١٣٥]

---

(١٣٢) الطبرى، ج ١٩، ص ١٦٣، الثعلبى، ص ٢٨٤، الزمخشرى، ج ٣، ص ٣٦٧، زاد المسير، ج ٦، ص ١٧٥.
(١٣٣) الطبرى، ج ١٩، ص ١٦٥.
(١٣٤) الطبرى، ج ١٩، ص ١٦٥، القرطبى، ج ١٣، ص ٢٠٦.
(١٣٥) زاد المسير، ج ٦، ص ١٧٧.

قوله تعالى : «ننظر أتهتدي» يقول الطبري في تأويله : ننظر أتعقل فتثبت عرشها أنه هو الذي لها .

«أم تكون من الذين لايهتدون» يقول : من الذين لايعقلون فلاتثبت عرشها[١٣٦] . ويقول الزمخشري : «أتهتدي» لمعرفته أو للجواب الصواب اذا سئلت عنه ، أو للدين والايمان بنبوة سليمان اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقديم عرشها وقد خلفته وغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحراس[١٣٧] .

«فلما جاءت قِيلَ أهكذا عرشُك ؟ قالت : كأنه هو وأوتينا العِلْمَ من قَبْلِها وكنا مسلمين» . أي لما جاءت صاحبة سبأ سليمان ، أخرج لها عرشها فقال لها : أمثل هذا عرشك ..؟ لئلا يكون تلقينا . «قالت كأنه هو» ، ولم تقل : هو هو ، ولا ليس به ، وذلك من رجاحة عقلها .[١٣٨]

يقول المفسرون : في قوله «كأنه هو» قولان :

١) أنها لما رأته جعلت تعرف وتنكر ، ثم قالت في نفسها : من أين يخلص إلى ذلك وهو في سبعة أبيات والحرس حوله ؟ ثم قالت : «كأنه هو» ، قاله أبو صالح عن ابن عباس . وقال قتادة : شبهته بعرشها . وقال السدى : وحدت فيه ماتعرفه فلم تنكر ووجدت فيه ماتنكره فلم تثبت ، فلذلك قالت : «كأنه هو» .

٢) أنها عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها ، فلو أنهم قالوا : هذا عرشك ، لقالت : نعم ، قاله مقاتل . قال المفسرون : فقيل لها : فإنه عرشك ، فما أغنى إغلاق الابواب .[١٣٩]

«وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين» . فيه ثلاثة أقوال :

١) أنه قول سليمان .. قاله مجاهد ، وفيه معنيان :

أ ـ أي : وأوتينا العلم بالله وقدرته على مايشاء من قبل هذه المرأة .

ب ـ وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها ، وكنا مسلمين لله .

٢) أنه قول بلقيس ، فانها لما رأت عرشها ، قالت : قد عرفت هذه الآية ، وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة ، تعني أمر الهدهد والرسل التي بعثت من قبل هذه الآية ، وكنا مسلمين منقادين لأمرك قبل أن تجيء .

٣) أنه من قول قوم سليمان .. حكاه الماوردي .[١٤٠]

---

(١٣٦) تفسير الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٦٦ .
(١٣٧) الكشاف ج ٣ ص ٣٦٩ .
(١٣٨) نفس المرجع والصفحة .
(١٣٩) زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٧٧ .
(١٤٠) زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٧٨ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

«وَصَدَّها ما كانت تَعْبُدُ من دون الله إنها كانت من قوم كافرين» .

«وصدها ماكانت تعبد من دون الله» فيه ثلاثة أقوال :

١) قال الفراء : معنى الكلام : هي عاقلة ، إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر ، وكانت عادة من دين آبائها . والمعنى : وصدَّها أن تعبدَ الله ما كانت تَعْبُدُ .

قال الزجاج : المعنى : صدّها عن الايمان العادةُ التي كانت عليها ، لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوما يعبدون الشمس ، وَبيَّن عبادتها بقوله : «إنها كانت من قوم كافرين .»

٢) وقيل صدَّها سليمانُ ، أي : منعها ما كانت تعبد من دون الله ، بمعنى : منعها وحال بينها وبينه .

٣) ويجوز أن يكون المعنى : وصدَّها الله ، أي منعها الله عن عبادتها غيره ، فحذفت (عن) .[١٤١]

قوله تعالى : « إنها كانت من قوم كافرين » يقول : إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين[١٤٢] .

« قيلَ لها ادخلي الصَّرْح ، فلمَّا رأته حَسِبَتْهُ لُجَّةً وكَشَفَتْ عن ساقَيْها ، قال : إنه صَرْحٌ مُمَرَّدٌ من قوارير ، قالت : ربِّ إني ظلمتُ نفْسي وأسلمتُ مع سليمانَ لله ربِّ العالَمين » .

قوله تعالى : « قيل لها ادخلي الصرح » . قال المفسرون : أَمَرَ سليمان الشياطين قبل قدومها فبنوا لها صرحا كهيئة السطح من زجاج أبيض ، وأجرى من تحته الماء ، وألقى فيه من دواب البحر والسمك وغيره ، ووضع سريره في صدره ، فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس ، وفي سبب أمره بذلك ثلاثة أقوال :

١) أنه أراد أن يريها ملكا هو أعزّ من ملكها ، وسلطانا هو أعظم من سلطانها ، قاله وهب بن منبه .

٢) أنه أراد أن ينظر الى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفها ، لأنه قيل له : إن رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين ، فأمر أن يهيأ لها بيت من قوارير فوق الماء ، ووضع سرير سليمان في صدر البيت ، هذا قول محمد بن كعب القرظي .

٣) أنه فعل ذلك ليختبرها كما اختبرته بالوصائف والوصفاء ، ذكره الطبري[١٤٣] .

« وكشفت عن ساقيها » لدخول الماء ، فنظر سليمان فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدما ، إلا أنها كانت شعراء الساقين ، فقال : ألا شيء يذهب هذا ؟ قالوا : الموسى ، قال : لا ، الموسى له أثر ، فقال للشياطين : انظروا ما يُذْهِبُ الشعر ؟

---

(١٤١) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٧٨ ، الكشاف ج ٣ ، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ، القرطبى ، ج ١٣ ، ص ٢٠٨ ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ .

(١٤٢) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٦٨ .

(١٤٣) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ، الثعلبى ، ص ٢٨٥ ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٧٠ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

قالوا : النورة ، فكان أول من صنع النورة .

« قال إنه صرح ممرَّدٌ من قوارير » : يقول جل ثناؤه : قال سليمان لها : إن هذا ليس ببحر ، إنه بناء مشيد من زجاج .

« قالت ربِّ إني ظلمتُ نفسي » يقول : قالت المرأة صاحبة سبأ : ربِّ إني ظلمت نفسي في عبادتي الشمس وسجودي لها دونك . وقيل : ظنت في سليمان أنه يريد تغريقها في الماء ، فلما علمت أنه صرح ممرد ، قالت : رب إني ظلمت نفسي بهذا الظن . « وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » تقول : وانقدت مع سليمان مذعنة لله بالتوحيد مفردة له بالألوهية والربوبية دون كل من سواه .[١٤٤]

يقول ابن كثير : الغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصرا عظيما منيفا من زجاج لهذه الملكة ليريها عظمة سلطانه وتمكنه ، فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصرت في أمره ، انقادت لأمر الله تعالى ، وعرفت أنه نبي كريم وملك عظيم وأسلمت لله عز وجل ، وقالت : « رب اني ظلمت نفسي » أي بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله « وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » أي متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا .[١٤٥]

واختلف العلماء في أمرها بعد الاسلام ، فقال أكثرهم إن سليمان تزوجها فأحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها ، وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون هي سلحين وغمدان وبنيون ، ثم إن سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام .

وروى محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه : قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها : اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك إياه . قالت : ومثلي ينكح الرجال يا نبي الله ، وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان . قال نعم : إنه لا يكون في الاسلام إلا ذاك ، ولا ينبغي لك أن تحرّمي ما أحلّ الله لك . قالت : زوّجني إن كان ولا بد من (تبع الأكبر) ملك همدان ، فزوجه إياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ، ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له : اعمل لذي تبع المصانع باليمن ، ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان .[١٤٦]

● ● ●

---

(١٤٤) الطبرى ، ج ١٩ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٧٠ ، زاد المسير ج ٦ ، ص ١٧٩ .
(١٤٥) ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ .
(١٤٦) الثعلبى ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

النعم التي خص الله بها سليمان :

في سورة سبأ يذكر الله سبحانه وتعالى جانبا من النعم والأفضال التي خص بها نبيه سليمان عليه السلام .

يقول تعالى : « ولسليمانَ الريحَ غُدُوُّها شَهْرٌ ورَواحُها شَهر وأَسَلْنا له عَيْنَ القِطْرِ،ومنَ الجنِّ مَنْ يَعْمَلُ بين يديه بإذن ربّه ، ومَنْ يَزِغْ منهم عن أمرنا نُذِقْهُ مِنْ عذابِ السَّعيرِ . يعملون له ما يشاءُ من محاريبَ وتماثيلَ وجِفَانٍ كالجواب وقُدور راسيات ، اعملوا آل داودَ شُكْرا وقليلٌ من عباديَ الشَّكُور . فلما قَضَيْنا عليه الموتَ ما دَلَّهم على موته إلا دابَّةُ الأرضِ تأكُلُ مِنْسَأتَه ، فلما خَرَّ تَبيَّنَتِ الجنُّ أنْ لو كانوا يعلمونَ الغَيْبَ ما لَبِثُوا في العذاب المُهين » .[١٤٧]

التفسـير :

« ولسليمانَ الريحَ غدوُّها شهر ورواحُها شهر وأَسَلْنا له عينَ القِطْر ، ومن الجنِّ من يعملُ بين يديه بإذن ربه ومن يَزِغْ منهم عن أمرِنا نذقْهُ من عذاب السَّعير » .

قال قتادة في تأويل قوله تعالى : « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر » : تغدو مسيرة شهر الى نصف النهار ، وتروح مسيرة شهر الى آخر النهار ، فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين .[١٤٨]

قال ابن كثير : لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود ، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما السلام من تسخير الريح له تحمل بساطه ، غدوها شهر ورواحها شهر .[١٤٩]

« وأَسَلْنَا له عينَ القِطْر » يقول المفسرون : أجرى الله لسليمان معدن النحاس (وهو الصُّفْر) ، حتى صنع منه ما أراد من غير نار ، كما ألانَ الحديد لداود بغير نار ، فبقي النحاس يجري ثلاثة أيام ولياليهن كجري الماء . ولم يذب النحاس فيما روى لأحد قبله ، وكان لا يذوب ، ومن وقتها ذاب . قال قتادة : وكانت باليمن ، فكل ما يصنع الناس اليوم مما أخرج الله تعالى لسليمان .

قيل لعكرمة : الى أين سالت . ؟

قال : لا أدري . وقال ابن عباس ومجاهد والسدي : أجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن . قال القشيري : وتخصيص الإسالة بثلاثة أيام لا يدري ما حدّه ، ولعله وهم من الناقل ، إذ في رواية عن مجاهد

---

(١٤٧) سبأ : ١٢ ـ ١٤ .
(١٤٨) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٦٩ ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٥٧٢ .
(١٤٩) ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨ .

انها سالت من صنعاء ثلاث ليال مما يليها ، وهذا يشير الى بيان الموضع لا الى بيان المدة . والظاهر أنه جعل النحاس لسليمان في معدنه عينا تسيل كعيون الماء دلالة على نبوته.[150]

يقول سيد قطب : وسياق الآيات يشير الى أن هذا كان معجزة خارقة كإلانة الحديد لداود. وقد يكون ذلك بأن فجَّر الله عينا بركانية من النحاس المذاب من الأرض ، أو بأن ألهمه الله إذابة النحاس حتى يسيح ويصبح قابلا للصب والطرق وهو فضل من الله كبير.[151]

«ومن الجِنّ من يعملُ بين يديه بإذنِ ربِّه» : أي وسخرنا له من الجن من يطيعه ويأتمر بأمره ، وينتهي لنهيه ، فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له . « باذن ربه » : أي بأمر الله بذلك ، وتسخيره إياه له .. والكلام يدل على أن منهم من لم يسخر له.[152]

« ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا » أي : ومن يَزُلْ ويَعْدِلْ من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان .

« نُذِقْهُ من عذابِ السعير » : وهل هذا في الدنيا أم في الآخرة فيه قولان :

١) في الآخرة ، قاله الضحاك وأكثر المفسرين .

٢) في الدنيا ، قاله مقاتل . وذلك أن الله تعالى وكَّلَ بهم ـ فيما روى السُّدى ـ مَلَكا بيده سوط من نار ، فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة من حيث لا يراه فأحرقته.[153]

ويعلق سيد قطب على هذه الآية بقوله : ولعل هذا التعقيب ـ قبل الانتهاء من قصة التسخير ـ يذكر على هذا النحو لبيان خضوع الجن لله ، وكان بعض المشركين يعبدهم من دون الله . وهم مثلهم معرضون للعقاب عندما يزيغون عن أمر الله.[154]

«يَعْملونَ له مايشاءُ من محاريبَ» ... فيه أربعة أقوال :

١) أنها المساجد ، قاله الضحاك وابن قتيبة .

٢) أنها القصور ، قاله عطية . وقال مجاهد : بنيان دون القصور .

٣) أنها المساجد والقصور ، قاله قتادة .

٤) أنها المساكن ، قاله ابن زيد .

---

(١٥٠) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٦٩ ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٥٧٢ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ٤٣٨ ، القرطبى ، ج ١٤ ، ص ٢٧٠ ، النسفى ، ج ٣ ، ص ٣٢٠ ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ ، البيضاوى ، ص ٤٥٢ .

(١٥١) في ظلال القرآن ، ج ٢٢ ، ص ٦٨ .

(١٥٢) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٦٩ ، الطبرسى ، ج ٢٢ ، ص ١٩٠ ، ابن الجوزى ، ج ٦ ، ص ٤٣٩ .

(١٥٣) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٦٩ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ٤٣٩ ، القرطبى ، ج ١٤ ، ص ٢٧١ .

(١٥٤) في ظلال القرآن ، ج ٢٢ ، ص ٦٩ .

« وَتماثيلَ » : قال عطية العوفي والضحاك والسدى : هي الصور . وقال مجاهد : وكانت من نحاس . وقال قتادة : من طين وزجاج . ثم فيها قولان :

١) أنها كانت كالطواويس والعقبان والنسور على كرسيه ودرجات سريره لكي يهابها من أراد الدنو منه ، قاله الضحاك .

٢) أنها كانت صور النبيين والملائكة لكي يراهم الناس مصوَّرين ، فيعبدوا مثل عبادتهم ويتشبهوا بهم ، قاله ابن السائب . يقول القرطبي : وهذا يدل على أن التصوير كان مباحا في ذلك الزمان ، ونسخ ذلك بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ..

وعن أبي العالية : قال : لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرما .. ويقول الزمخشري : فان قلت : كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير ؟ قلت : هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع ، لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب . ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها ، لأن التمثال : كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان ، أو تصوّر محذوفة الرؤوس . وروى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه ، فاذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما ، واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما .[١٥٥]

« وجِفَانٍ كالجَوابِ » : أي كانوا يصنعون له القصاع الكبيرة كحياض الابل يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها .

« وقُدُورٍ راسِياتٍ » : أي ثوابت في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها ، قاله مجاهد والضحاك وغيرهما . وقال عكرمة أثافيها[١٥٦] منها ، أي منحوتة هكذا من الجبال .[١٥٧]

« اعملوا آلَ داود شُكْراً » يقول الطبري في تأويل ذلك ... يقول تعالى ذكره : وقُلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصكم بها عن سائر خلقه . مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه . وترك ذكر : وقلنا لهم ، اكتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه ، وأخرج قوله : « شكرا » مصدرا من قوله « اعملوا آل داود » لأن معنى قوله : « اعملوا » اشكروا ربكم بطاعتكم إياه ، وان العمل بالذي رضي الله ، شُكْرٌ .[١٥٨]

---

(١٥٥) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٧٠ ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٥٧٢ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ٤٣٩ ، القرطبى ، ج ١٤ ، ص ٢٧٣ ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ .

(١٥٦) الأثافى : الحجارة التي تُنْصَبُ وتُجْعَلُ القِدْرُ عليها .

(١٥٧) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٧١ ـ ٧٢ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ٤٤٠ ، القرطبى ، ج ١٤ ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ .

(١٥٨) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٧٢ .

قال أبو عبدالرحمن السلمي : الصلاة شكر ، والصيام شكر ، وكل خير تعمله لله عز وجل شكر ، وأفضل الشكر : الحمد .

وروى عن محمد بن كعب القرظي قال : الشكر : تقوى الله تعالى والعمل الصالح . قال ابن كثير : وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل ، وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولا وعملا .(١٥٩)

جاء في الكشاف أن قوله تعالى : « شكراً » انتصب على أربعة أقوال :

١) على أنه مفعول له أي : اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه ، وفيه دليل على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر .

٢) أو على أنه حال : أي : شاكرين .

٣) أو على تقدير : اشكروا شكرا ، لأن « اعملوا » فيه معنى (اشكروا) ، من حيث إن العمل للمنعم شكر له .

٤) ويجوز أن ينتصب باعملوا ، مفعولا به ، ومعناه : إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم ، فاعملوا أنتم شكرا ، على طريق المشاكلة .(١٦٠)

ويقول سيد قطب في تأويل الآية : أي سخرنا لكم هذا وذلك في شخص داود وشخص سليمان عليهما السلام ، فاعملوا يا آل داود شكرا لله ، لا للتباهي والتعالي بما سخره الله لكم . والعمل الصالح شكر لله كبير .(١٦١) . « وقليلٌ مِن عبادِيَ الشَّكُور » : يقول الطبري في تأويل ذلك : وقليل من عبادي المخلصو توحيدي ، والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم .(١٦٢)

ويقول الزمخشري في تأويل قوله تعالى : « الشَّكُور » : أي المتوفر على أداء الشكر ، الباذل وسعه فيه : فقد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه ، اعتقادا واعترافا وكدحا ، وأكثر أوقاته .. وعن ابن عباس : من يشكر على أحواله كلها . وعن السدي : من يشكر على الشكر .. وقيل : من يرى عجزه عن الشكر .(١٦٣)

وروى أن سليمان عليه السلام كان يأكل الشعير ويطعم أهله الخشكار(١٦٤) ويطعم المساكين

---

(١٥٩) نفس المرجع والصفحة ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ .
(١٦٠) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٥٧٣ .
(١٦١) في ظلال القرآن ، ج ٢٢ ، ص ٦٩ .
(١٦٢) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٧٢ .
(١٦٣) الكشاف ، ج ٣ ، ص ٥٧٣ .
(١٦٤) الخشكار : ما خشن من الطحين (فارسية) .

الدَّرْمَك[165] . وروى أنه ما شبع قط ، فقيل له في ذلك : فقال : أخاف إن شبعت أن أنسى الجياع . ويعلق القرطبي على ذلك بقوله : وهذا من الشكر ، ومن القليل فتأمله .[166]

« فَلَمَّا قَضَيْنا عليه الموتَ ما دَلَّهم على موتِه إلاّ دابَّةُ الأرضِ تأكلُ مِنْسَأَتَهُ » : أي : فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت ، حتى صار كالأمر المفروغ منه ووقع به الموت ، لم يدل الجن على موته الا (الأَرَضَة) وقعت في عصاه التي كان متكئا عليها فأكلتها . وكان قد خفى موته الى أن سقط ميتا لانكسار العصا ، لأكل الأرضة إياها ، فعُلِمَ موتُه بذلك ، فكانت الأرضة دالة على موته ، أي : سببا لظهور موته .

وقيل إن سليمان سأل الله تعالى أن يعمّى على الجن موته ، فأخفاه الله عنهم حولا ، وقيل في سبب سؤاله أمران :

١) لأن الجن كانوا يقولون للانس : إنا نعلم الغيب ، فأراد تكذيبهم .

٢) لأنه كان قد بقي من عمارة بيت المقدس بقية .[167]

قال ابن كثير في ذلك : يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمّى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة ، فانه مكث متوكئا على عصاه وهي منسأته ، مدة طويلة نحواً من سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض ضعفت وسقط الى الأرض ، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وتبينت الجن والإنس أيضا أن الجنّ لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس بذلك .[168]

« فلما خَرَّ تبيَّنتِ الجنُّ أن لو كانوا يَعلمونَ الغَيْبَ ما لبثوا في العذاب المُهين » : يقول عز وجل : فلما خَرَّ سليمان ساقطا بانكسار مِنْسأته « تبينت الجن » : يقول الزجاج : تبينت الجن موته . وقال غيره : المعنى تبيَّن أمر الجن ، وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب الذي يدّعون علمه ، ولو علموا « ما لبثوا في العذاب المُهين » : المذلّ حولا كاملا بعد موت سليمان وهم يحسبون أن سليمان حيّ .[169]

كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس للعبادة .. وعندما علم بدنوّ أجله قال : اللّهم عمِّ على الجنّ موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب . وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ، وأنهم يعلمون ما يكون في غد ، ثم إن سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ، ثم بقي على تلك الحالة ، ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد ، وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم .

---

(١٦٥) الدرمك : دقيق الحوّارى وهو الدقيق الأبيض .
(١٦٦) القرطبى ، ج ١٤ ، ص ٢٧٧ .
(١٦٧) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٧٣ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ٤٤١ ، القرطبى ، ج ١٤ ، ص ٢٧٨ .
(١٦٨) ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٢٩ .
(١٦٩) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٧٣ ـ ٧٤ ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ٤٤١ ـ ٤٤٢ ، القرطبى ، ج ١٤ ، ص ٢٨١ .

وتستطرد هذه الرواية كما جاءت في تفسير الطبري بالقول : وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كوىً بين يديه وخلفه ، وكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : ألست جَلدًا إن دخلت فخرجت من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك فمرَّ ، ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب الا احترق ، فمر ولم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق ، ونظر الى سليمان قد سقط ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة . فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له .

ثم إن الشياطين قالوا للأَرَضَة : لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ، ولكن سننقل اليك الماء والطين ، فالذي يكون في جوف الخشب ، فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها .

ويروي الطبري أيضا باسناده عن ابن زيد قال : قال سليمان لملك الموت : يا مَلَكَ الموت ، اذا أُمِرْتَ بي فأعْلِمني . قال : فأتاه فقال : يا سليمان قد أُمِرْتُ بك ، قد بقيت لك سويعة ، فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي ، واتكأ على عصاه . فقال : فدخل عليه مَلَكُ الموت وهو متكىء على عصاه ، ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت . قال : والجن تعمل بين يديه ، وينظرون اليه ويحسبون أنه حي . قال : فبعث الله دابة الأرض فدخلت فيها فأكلتها ، حتى اذا أكلت جوف العصا ، ضعفت وثقل عليها فخر ميتا . قال : فلما رأت الجن ذلك ، انفضوا وذهبوا .(١٧٠)

يقول المفسرون : وكان عمر سليمان حين وفاته ثلاثا وخمسين سنة ، ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فبقي في ملكه أربعين سنة ، وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه .(١٧١)

وروى القرطبي عن السدي وغيره قال : كان عمر سليمان سبعا وستين سنة ، وملك وهو ابن سبع عشرة سنة ، وابتدأ في بنيان بيت المقدس وهو ابن عشرين سنة ، وكان ملكه خمسين سنة .(١٧٢)

وحكي أنه اتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بناء بيت المقدس عيدا ، وقام على الصخرة رافعا يديه الى الله تعالى بالدعاء فقال :

---

(١٧٠) الطبرى ، ج ٢٢ ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(١٧١) الثعلبى ، ص ٢٥٣ ، الزمخشرى ، ج ٣ ، ص ٥٧٤ ، الطبرسى ، ج ٢٢ ، ص ١٩٤ ، النسفى ، ج ٣ ، ص ٣٢١ .

(١٧٢) القرطبى ، ج ١٤ ، ص ٢٨١ . ويقول المسعودى : كان ملك سليمان أربعين سنة ، وقبض وهو ابن اثنتين وخمسين سنة (مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٧١) .

« اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقوّيتني على بناء هذا المسجد ، اللهم فأوزعني شكرك على ما أنعمت علي وتوفّني على ملّتك ، ولا تُزِغْ قلبي بعد اذ هديتني ، اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال : لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه ، ولا خائف إلا أمَّنْتَه . ولا سقيم إلاّ شفيته . وألا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه ، الا من أراد إلحادا أو ظلما ، يا رب العالمين » .. ذكره الماوردي .

ويعلق القرطبي على ذلك بقوله : وهذا أصحّ مما تقدم أنه لم يفرغ بناؤه إلا بعد موت سليمان بسنة .[173] والمعنى أن القرطبي يرفض الرأي الذي يقول إن سليمان عليه السلام سأل ربه أن يعمّى موته على الجن سنة كاملة حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس ، ويرى أن بناءه قد تم في حياته بدليل هذا الدعاء الذي دعا به سليمان بعد انتهاء البناء .

في الآيات الكريمة السابقة يبين الله سبحانه وتعالى جانبا من الفضل الذي آتاه نبيه سليمان عليه السلام ، وهذا الفضل يتمثل فيما يلي :

١) تسخير الريح ، فتجري بأمره الى أية بقعة يريدها سليمان وفق ما يراه من مصلحة تخدم رسالة النبوة التي يحملها ، فتجري طائعة ملبية بإذن الله تعالى .

٢) إذابة النحاس وهو « عين القِطْر » ، معجزة له خارقة على نحو ما كان من إلانة الحديد لداود معجزة له أيضا .

٣) تسخير الجنّ تعمل بين يديه بإذن ربه ، فكانوا يعملون له ما يشاء من بناء القصور الشامخة والمباني والتماثيل وغير ذلك مما كان يأمرهم سليمان بعمله ..

وكانوا ينفذون ما يأمرهم به ولا يعصون أمره ، ومن تجرأ منهم على العصيان فمصيره العذاب والموت .

هذه الأفضال والنعم ما كان الله سبحانه وتعالى ليخص بها سليمان لولا أنه كان من عباده المخلصين الطائعين الشاكرين ، فحمل رسالة النبوة وأدى الأمانة خير أداء .. فاستحق بذلك ما كرمه الله تعالى وخصه به من فضل .

● ● ●

---

(١٧٣) تفسير القرطبي ، ج ١٤ ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

رابعا: حكاية الخيل وسليمان، ثم الجسد الذي ألقى على كرسيّه:

يقول تعالى في سورة (ص):

« ووهَبْنَا لداودَ سليمانَ نعم العبدُ إنه أوَّاب. إذ عُرِضَ عليه بالعَشيِّ الصافناتُ الجياد. فقال إني أحببتُ حُبَّ الخير عن ذكر ربي حتى توارتْ بالحجاب. ردُّوها عليَّ فطفق مسحًا بالسُّوقِ والأعناق. ولقد فتنَّا سليمانَ وألْقَيْنَا على كرسيِّه جسدًا ثم أناب. قال ربِّ اغفرْ لي وهَبْ لي مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنك أنت الوهَّاب، فسخَّرنا له الريحَ تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب. والشياطينَ كلَّ بنَّاءٍ وغواص. وآخَرينَ مُقَرَّنين في الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنُنْ أو أمْسِكْ بغيرِ حِساب. وإنَّ له عندنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مآب. »[١٧٤]

تفسير الآيات:

« ووهَبْنَا لداودَ سليمانَ نعم العبدُ إنه أواب. إذ عُرِضَ عليه بالعشيِّ الصافناتُ الجياد. فقال إني أحببتُ حُبَّ الخير عن ذكر ربي حتى تَوارَتْ بالحِجاب ردُّوها عليَّ فطفقَ مَسْحاً بالسوقِ والأعناق ».

يقول الطبري في تأويل قوله تعالى: « ووهبنا لداودَ سليمان نعم العبد إنه أواب ». يقول تعالى ذكره: « ووهبنا لداود سليمان » ابنه ولدا « نعم العبد » يقول: نعم العبد سليمان « إنه أواب » يقول: إنه رجاع الى طاعة الله تواب اليه مما يكرهه منه، وقيل: إنه عنى به أنه كثير الذكر لله والطاعة.[١٧٥]

ويقول ابن كثير: يقول تعالى إنه وهب لداود سليمان، أي نبيا كما قال عز وجل: « وورث سليمان داود » أي في النبوة، والا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر. وقوله تعالى: « نعم العبد إنه أواب » ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة الى الله عز وجل.[١٧٦]

« إذ عُرِضَ عليه بالعَشيِّ الصافناتُ الجياد ». يقول الطبري في تأويل ذلك: يقول تعالى ذكره: إنه تواب الى الله من خطيئته التي أخطأها، إذ عرض عليه بالعشي (وهو وقت ما بعد الزوال) الصافنات، (فإذْ) من صلة (أواب). والصافنات جمع الصافن من الخيل، وهو الذي يجمع بين يديه ويثني طرف سُنْبك إحدى رجليه. والجياد: السراع، واحدها جواد. ويستطرد الطبري قائلا: وذكر أنها كانت عشرين فرسا ذوات أجنحة.[١٧٧]

---

(١٧٤) ص، ٣٠ـ ٤٠.
(١٧٥) تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ١٥٣.
(١٧٦) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٣٣.
(١٧٧) تفسير الطبري، ج ٣، ص ١٥٤.

يقول الزمخشري : فإن قلت : ما معنى وصفها بالصفون ؟ قلت : الصفون لا يكاد يكون في الهجن ، وانما هو في العراب الخلّص . وقيل : وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين : واقفة وجارية ، يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها ، واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها[178] . وقيل إنها الجياد الطوال الأعناق ، مأخوذ من الجيد ، وهو العنق ، لأن طول الأعناق في الخيل من صفات فراهتها.[179] قال ابن قتيبة : الصافن في كلام العرب : الواقف من الخيل وغيرها . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّه أن يقومَ له الرجالُ صُفُوناً فلْيَتبوأْ مَقْعَدَهُ من النّار ».[180]

وفي سبب عرضها عليه أربعة أقوال :

١ ـ أنه عرضها لأنه أراد جهاد عدوّ له ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٢ ـ أنها كانت من دواب البحر . قال الحسن : بلغني أنها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة . وقال ابراهيم التيمي : كانت عشرين فرسا ذات أجنحة . وقال ابن زيد : أخرجتها له الشياطين من البحر .

٣ ـ أنه ورثها من أبيه داود عليهما السلام ، فعرضت عليه ، قاله وهب بن منبه ومقاتل .

٤ ـ أنه غزا جيشا فظفر به وغنمها ، فدعا بها فعرضت عليه ، قاله ابن السائب.[181]

واختلف في عددها على أقوال :

١ ـ قال وهب بن منبه : هي ثلاثة عشر ألفا .
٢ ـ وعن ابراهيم التيمي : كانت عشرين فرسا . كذلك قاله علي رضي الله عنه ، وذكره الطبري .
٣ ـ قال سعيد بن مسروق : كانت عشرين ألفا .
٤ ـ قال ابن السائب ومقاتل : كانت ألف فرس .
٥ ـ قال القرطبي : قيل : كانت مائة فرس.[182]

« فقال إني أحببتُ حُبَّ الخير عن ذكر ربي حتى تَوارَتْ بالحِجاب » : يعني بالخير الخيل ، يقول القرطبي : والعرب تسميها كذلك ، وتعاقب بين الراء واللام فتقول : انهملت العين وانهمرت . قال الفراء : الخير في كلام العرب والخيل واحد . وجاء في الحديث : « الخيل معقودٌ بنواصيها الخير الى يوم القيامة » فكأنها

---

(١٧٨) الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩١ .
(١٧٩) القرطبى ، ج ١٥ ، ص ١٩٣ ، النسفى ، ج ٤ ، ص ٤١ .
(١٨٠) الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩١ ، زاد المسير ، ج ٧ ، ص ١٢٧ .
(١٨١) زاد المسير ، ج ٧ ، ص ١٢٨ .
(١٨٢) الطبرى ، ج ٢٣ ، ص ١٥٤ ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩١ ، زاد المسير ، ج ٧ ، ص ١٢٨ ، القرطبى ، ج ١٥ ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

سميت خيرا لهذا . وفي الحديث : لما وفد (زيد الخيل) على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : « أنت زيد الخير » وهو زيد بن مهلهل الشاعر . وقيل : إنما سميت، خيرا لما فيها من المنافع .[183]

وقيل : إن المعنى في « حُبَّ الخير » هو المال ، قاله سعيد بن جبير والضحاك[184] .

وفي معنى « أَحْبَبْتُ » . قال الزجاج : آثرت حبَّ الخير على ذكر ربي ، حيث تأتي (عن) بمعنى (على) . وقيل : أحببت بمعنى : جلست ، من إحباب البعير ، وهو بروكه .[185]

وفي تأويل ذلك يقول الطبري: إني أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء فريضته، وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر[186]. وقال الزجاج: لا أدري هل كانت صلاة العصر مفروضة أم لا، إلا أن اعتراضه الخيل شغله عن وقت كان يذكر الله فيه.. وقيل إن عبارة «عن ذكر ربي» كناية عن كتاب الله وهو التوراة، وعلى هذا المعنى يكون التأويل: إني أحببت الخيل عن كتاب الله[187].

قال الرازي: إن الانسان قد يقول: إني أحب كذا، ولكني أحب أن لا أحبه، كالمريض الذي يشتهي ما يؤذيه، فأما من أحب شيئا واحب محبته له كان ذلك غاية المحبة. فقوله: «أحببت حب الخير» بمعنى احببت حبي لهذه الخيل[188].

«حتى توارت بالحجاب»: ذهب كثير من المفسرين الى ان الضمير في: (توارت) يعود الى الشمس، وعلى هذا يكون المعنى: حتى توارت الشمس بالحجاب، أي غربت الشمس، والذي دل على أن الضمير للشمس هو ذكر «العشي»، والعشي ما بعد الزوال، والتواري: الاستتار عن الأبصار.

وقيل ان الضمير في (توارت) يعود الى الخيل، وذلك انه امر باجراء الخيل حتى غابت عن بصره، بسبب الغبار المتطاير من سنابكها من جهة، ولبعد المسافة من جهة اخرى.. وذكر النحاس ان سليمان عليه السلام كان في صلاة، فجيء اليه بخيل لتعرض عليه قد غنمت فأشار بيده، لأنه كان يصلي، حتى توارت الخيل، وسترتها جدر الاصطبلات، فلما فرغ من صلاته طلب ردها عليه[189].

---

(١٨٣) تفسير القرطبي ، ج ١٥ ، ص ١٩٤ .
(١٨٤) الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩٢ ، زاد المسير ، ج ٧ ، ص ١٢٩ .
(١٨٥) زاد المسير ، ج ٧ ، ص ١٢٩ ، النسفي ، ج ٤ ، ص ٤١ .
(١٨٦) الطبري ، ج ٢٣ ، ص ١٥٥ .
(١٨٧) مجمع البيان ، ج ٢٣ ، ص ١١٣ ، زاد المسير ، ج ٧ ، ص ١٢٩ .
(١٨٨) عصمة الأنبياء ، ص ١٠٧ .
(١٨٩) الطبري ، ج ٢٣ ، ص ١٥٥ ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩٣ ، الطبرسي ، ج ٢٣ ، ص ١١٣ ، زاد المسير ، ج ٧ ، ص ١٣٠ ، القرطبي ، ج ١٥ ، ص ١٩٥ ، النسفي ، ج ٤ ، ص ٤١ ، المراغي ، ج ٢٣ ، ص ١١٩ .

«رُدُّوها على»: المفسرون على أن الهاء في «ردوها» يعود على الخيل، وقيل: إن الهاء ترجع للشمس لا للخيل، وهو قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه، قال: اشتغل سليمان بعرض الأفراس للجهاد حتى توارت الشمس بالحجاب، فقال بأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس: « ردّوها» يعني الشمس، فردوها حتى صلى العصر في وقتها، وأن أنبياء الله لا يظلمون، لأنهم معصومون.. عن ابن عباس. يقول القرطبي: من قال ان الهاء في «ردوها» ترجع للشمس فذلك من معجزاته.[190] وقال الرازي: الضمير في «حتى توارت» وفي «ردوها» يحتمل ان يكون عائدا الى الشمس، لأنه جرى ذكر ماله تعلق بها وهو العشي، وان يكون عائدا الى الصافنات، وهذا أولى الوجهين، لأنها مذكورة صحيحا دون الشمس، ولأنه أقرب في الذكر من لفظ العشي، وعند ذلك يفرض هاهنا احتمالات أربعة:

الأول: أن يعود الضمير الى الصافنات، كأنه قيل: حتى توارت الصافنات بالحجاب، ردوا الصافنات الى.

الثاني: ان يعود الى الشمس، كأنه قيل: حتى توارت الشمس بالحجاب ردوا الشمس. قيل: إنه عليه الصلاة والسلام لما فاتته الصلاة سأل الله ان يرد الشمس، وهذا بعيد، لأن قوله: «ردوها» خطاب للجمع، والأنبياء لا يخاطبون الله تعالى بمثل هذا.

الثالث: أن يعود الأول (أي الضمير في توارت) الى الشمس والثاني (أي الضمير في ردوها) الى الصافنات. وهو الذي ذهب اليه الأكثرون، كأنه قيل: (حتى توارت الشمس بالحجاب) (ردوا الصافنات الى). وهذا أبعد لأنها ضميران وردا في موضع واحد فتفريقهما لا بالدليل غير جائز.

الرابع: أن يعود الأول على الصافنات والثاني الى الشمس، وهذا مما لم يذهب اليه أحد[191].

«فطفق مسحا بالسوق والأعناق»: للمفسرين في تأويل هذه الآية عدة أقوال:

١ ـ أنه جعل يضرب سوق الخيل وأعناقها بالسيف، من قولهم: مَسَحَ عُلاوته: اذا ضرب عنقه. وهذا هو رأي الحسن وقتادة، وابن السائب، واختاره السُّدى، ومقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة، وابو سليمان الدمشقي،والجمهور[192].

روى الثعلبي فقال: قال مقاتل: ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس، وكان أبوه ورثها من العمالقة، قالوا: فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه، فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والإعجاب بها، حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر، ولم يعلمه احد بذلك هيبة له، فاغتمَّ لذلك وقال:

---

(١٩٠) تفسير القرطبي، ج ١٥، ص ١٩٦.
(١٩١) عصمة الأنبياء، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.
(١٩٢) زاد المسير، ج ٧، ص ١٣١.

«ردوها علي»، فردوها فعرقبها وعقرها بالسيف وقربها الى الله سبحانه وتعالى، وبقي منها مائة فرس، فما في ايدي الناس من الخيل العراب، فهي من نسل تلك المائة[193].

قال البغوي في تفسيره: فجعل يضرب سوقها واعناقها بالسيف، قال: وكان ذلك مباحا له، لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرم، ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر[194].

وقال ابن كثير مؤيدا هذا الرأي: قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا، لا سيما اذا كان غضبا لله تعالى بسبب انه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة، ولهذا لما خرج عنها لله تعالى، عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب، غدوها شهر ورواحها شهر، فهذا أسرع وخير من الخيل[195].

وقال الامام الشوكاني في «فتح القدير» مؤيدا هذا الرأي ايضا: وهذا اولى بسياق الكلام، فانه ذكر انه آثرها على ذكر ربه حتى فاتته صلاة العصر ثم امرهم بردها عليه ليعاقب نفسه بافساد ما الهاه عن ذلك، وما صده عن عبادة ربه، وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه[196].

٢ ـ ان سليمان جعل يمسح اعراف الخيل وعراقيبها بيده حبا لها واعجابا بها... عن ابن عباس، والزهري وابن كيسان. وقال مجاهد: مسحها بيده[197].

ومن الذين اختاروا هذا الرأي: الطبري، يقول: حدثني علي باسناده عن ابن عباس، قوله «فطفق مسحا بالسوق والأعناق» يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حبا لها. ويستطرد الطبري قائلا: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس اشبه بتأويل الاية لأن نبي الله ﷺ لم يكن ان شاء الله ليعذب حيوانا بالعرقبة، ويهلك مالا من ماله بغير سبب، سوى انه اشتغل عن صلاته بالنظر اليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر اليها[198].

ومنهم ايضا ابن حزم الذي يرفض رأي من قال: إن سليمان عليه السلام قتل الخيل في تأويل قوله تعالى: «فطفق مسحا بالسوق والأعناق»، يقول: وتأولوا ذلك على ماقد نزه الله عنه من له ادنى مسكة من عقل من اهل زماننا وغيره، فكيف بنبي معصوم مفضل، في انه قتل الخيل اذ اشتغل بها عن الصلاة؟!

---

(١٩٣) الثعلبي، ص ٢٦٨.
(١٩٤) زاد المسير، ج ٧، هامش ص ١٣١.
(١٩٥) ابن كثير، ج ٤، ص ٣٤.
(١٩٦) زاد المسير، ج ٧، هامش ص ١٣١.
(١٩٧) الكشاف، ج ٤، ص ٩٣، الطبرسي، ج ٢٣، ص ١١٣، ابن الجوزي، ج ٧ ص ١٣١، القرطبي، ج ١٥، ص ١٩٦.
(١٩٨) تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ١٥٦.

ثم يقول: وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة، قد جمعت افانين من القول، والظاهر انها من اختراع زنديق بلاشك، لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها، والتمثيل بها، واتلاف مال منتفع به بلا معنى، ونسبة تضييع الصلاة الى نبي مرسل، ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها، وهذا امر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين، فكيف بنبيّ مرسل. ومعنى هذه الآية ظاهر بين، وهو انه عليه السلام اخبر انه احب حب الخير من اجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب، او حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها، ثم امر بردها فطفق مسحا بسوقها واعناقها بيده برا بها واكراما لها.

ويستطرد قائلا: هذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره، وليس فيها اشارة اصلا الى ما ذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة، وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين[١٩٩].

ومن الذين قالوا بهذا الرأي ايضا، الامام فخر الدين الرازي، في تأويل قوله تعالى: «فطفق مسحا بالسوق والأعناق»: اي : فجعل يمسح مسحا. ثم يقول: الأكثرون يقولون: يمسح بالسيف بسوقها واعناقها، يعني يقطعها، وهذا بعيد لأنه لو كان المسح بالسوق والأعناق هو القطع، لكان القائل اذا قال: مسحت رأس فلان ويده، فهم منه انه قطعها، ولكان معنى قوله تعالى: «فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم»[٢٠٠] القطع. بل لو قيل: مسح رأسه بالسيف، فربما فهم منه ضرب العنق، فاما اذا لم يذكر السيف فانه لا يفهم منه الضرب والقطع البتة، على ان قوله: مسح عنقه بالسيف لا يفيد القطع الا على سبيل المجاز فكيف اذا ترك ذكر السيف؟

ويستطرد الرازي قائلا: فاذا عرفت التفسير، زعمت الحشوية انه عليه السلام غزا اهل دمشق، فأصاب الف فرس، فقعد يوما، بعدما صلى الأولى (اي الظهر)، على كرسيه واستعرضها، فلم تزل تعرض عليه حتى غفل عن صلاة العصر، او عن ورد كان له من الذكر وقت العشي، حتى غربت الشمس، وهو المراد من قوله تعالى: «توارت بالحجاب» ثم استرد الخيل، وهو المراد بقوله تعالى: «ردوها علي»ثم عقرها تقربا الى الله تعالى: «فطفق مسحا بالسوق والأعناق».

يقول الرازي: واعلم ان هذه الحكاية، مع انه لا دلالة عليها البتة، ففي الاية ماينافيها من وجوه خمسة:

الأول: أنه تعالى وصف سليمان في مقدمة الآية بأن الله تعالى وهبه لداود عليه السلام في معرض الاكرام[٢٠١].

---

(١٩٩) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل ، للامام أبي محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى ، الجزء الرابع ، دار المعرفة ـ بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٢٠ .

(٢٠٠) المائدة ، ٦ .

(٢٠١) بل وقوله تعالى في نفس الآية « نِعْمَ العَبْدُ » من أدل الدلائل على أن من أبعد الأمور أن يشغل بالدنيا وحبها عن ذكر الله وطاعته .

وذلك ينافي ان يعقب ذلك بذكر ان سليمان كان تاركا للصلاة وبانه اواب حال ما عرضت عليه الصافنات، فان لفظة (اذ) دالة على ذلك، وكونه اوابا وتاركا للصلاة في زمان واحد محال.

الثاني: أن قوله: «احببت حب الخير عن ذكر ربي» لو فسرناه (بانني لزمت الخير عن ذكر ربي)، لكان ذلك منافيا لما ارادوه، اما اذا فسرناه (بأني أتيت حب الخير عن ذكر ربي) فربما استقام لهم ماذكروه، لكنا بينا ان الأول اولى.

الثالث: ان رجوع الضمير في «توارت» الى الشمس يقتضي ترجيح غير المذكور، وترجيح البعيد على القريب، وهو غير جائز. وعلى تسليم ذلك، فالحكم برجوع الضمير في «ردوها» الى الصافنات، تفريق للضمائر المشاكلة على اشياء متباينة.

الرابع: ان قوله تعالى «فطفق مسحا» لا دلالة فيه البتة على قولهم.

الخامس: ان هذه السورة انما وردت في مناظرة الكفار، والمقصود من هذه القصص امر النبي ﷺ بالصبر على مشاق التكاليف، ومتاعب الطاعات وذلك المعنى لا يليق به ذكر ان الانبياء كانوا تاركين للصلاة، ومتهالكين في حب الدنيا.

ويستطرد الرازي قائلا: بل التفسير الحق الذي ينطبق اللفظ القرآني عليه، ان رباط الخيل مندوب اليه في دينهم، كما انه كذلك في ديننا. ثم ان سليمان عليه السلام جلس لتعرض عليه الخيل، ثم تبين ان ذلك لم يكن لحب الدنيا لأن الله تعالى اقره على ماقال«إني أحببت حبالخير عن ذكر ربي» ثم امر بركضها حتى توارت بالحجاب، اي حتى غابت عن بصره، ثم امر بردها «فطفق مسحا» فطفق يمسح سوقها واعناقها تشريفا لها، وابانة لعزتها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو، او لانه اراد ان يبين عن نفسه انه في السياسة وحفظ الدين والدنيا بحيث لا يخفى عليه شيء من مصالحه. او لأنه كان اعلم باحوال الخيل من غيره، يفحصها ويمسحها ويعلم حالها في الصحة والسقم، فهذا الذي ذكرناه كلام ينطبق عليه اللفظ ويلائمه ماقبل الآية ومابعدها، وفيه تعظيم الأنبياء، فكان أولى بما يكون بالضد منه.

ويختتم تعليقه بهذا الشأن بقوله: إن الدلائل الباهرة عن المعقول والمنقول دلت على وجوب عصمة الانبياء، فاتباعها اولى من اتباع حكايات لاندري انها في اول الامر من رئيس الملاحدة، او موضوعات اليهود[٢٠٢].

وقد تبع المراغي فخر الدين الرازي في رأيه في تأويل تلك الاية فقال: ان سليمان، احتياطا للغزو، اراد ان يعرف قوة خيوله التي تتكون منها قوة الفرسان، فجلس وامر باحضارها واجرائها امامه، وقال اني ما

---

(٢٠٢) عصمة الأنبياء، ص ١٠٨ ـ ١١٠.

احببتها للدنيا ولذاتها، وإنما أحببتها لأمر الله وتقوية دينه، حتى اذا ما أجريت وغابت عن بصره، أمر راكضيها بأن يردوها اليه، فلما عادت طفق يمسح سوقها واعناقها، سرورا بها وامتحانا لأجزاء أجسامها، ليعرف ما ربما يكون فيها من عيوب قد تخفى، فتكون سببا في عدم أداء مهمتها على الوجه المرضى[٢٠٣].

كما تبع الرازي ايضا عبدالوهاب النجار في رد قول من قال ان سليمان قطع الخيل واعناقها، واورد كلام الرازي بنصه في كتابه قصص الأنبياء[٢٠٤].

٣ ـ ان سليمان كوى سوقها وأعناقها بميسم الصدقة، وحبسها في سبيل الله[٢٠٥]. ويعلق القرطبي على هذا الرأي بقوله: وقد ضعف هذا القول من حيث ان السوق ليست بمحل للوسم بحال. وقد يقال: الكيّ على الساق عِلاطٌ وعلى العنق وِثاق. والذي في الصحاح للجوهري: عَلَطَ البعيرَ عَلْطاً: كواه في عنقه بسمة العِلاط[٢٠٦].

«ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب. قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهّاب».

قوله تعالى: «ولقد فتنا سليمان» أي: ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه. قال الزمخشري: فتن سليمان بعدما ملك عشرين سنة، وملك بعد الفتنة عشرين سنة[٢٠٧].

وفي سبب ابتلائه عدة أقوال:

١ ـ ماروواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: اختصم الى سليمان فريقان، أحدهما: من أهل جرادة امرأة سليمان ـ وكان يحبها ـ فهَوِىَ أن يقع القضاء لهم، ثم قضى بينهما بالحق، فأصابه الذي أصابه عقوبة لذلك الهوى.

٢ ـ ماقاله السدى من أنِ زوجته جرادة قالت له يوما: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، واني أحب أن تقضي له، فقال: نعم، ولم يفعل، فابتلى لاجل ماقال.

٣ ـ ماروواه شَهْر بنُ حَوْشَب ووهب بن منبه أن سليمان أصاب ابنة ملك صيدون واسمها جرادة بعد أن قتل أباها، وكانت من أحسن الناس وجها، فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها[٢٠٨] وكانت لا يرقأ دمعها

---

(٢٠٣) تفسير المراغى، ج ٢٣، ص ١١٩.
(٢٠٤) قصص الأنبياء لعبدالوهاب النجار، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.
(٢٠٥) الثعلبى، ص ٢٦٩.
(٢٠٦) القرطبى، ج ١٥، ص ١٩٧.
(٢٠٧) الكشاف، ج ٤، ص ٩٣.
(٢٠٨) روى الثعلبى أن سليمان تزوج بها مشركة.

حزنا على أبيها، فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها، فكستها مثل كسوته، وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها كعادتهن في ملكه، اربعين يوما في خفية من سليمان. فلما علم كسر تلك الصورة وعاقب المرأة. ثم تضرع الى الله تعالى مستغفرا مما كان في داره.

٤ ـ ماقاله سعيد بن المسيب: انه احتجب عن الناس ثلاثة ايام لا يقضي بين احد، ولا ينصف مظلوما من ظالم، فأوحى الله تعالى اليه: «اني لم استخلفك لتحتجب عن عبادي، ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم».

٥ ـ قال كعب الأحبار: انه لما ظلم الخيل بالقتل ابتلى بسلب ملكه.

٦ ـ وقيل: إنه امر الا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل، فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك[٢٠٩].

«وألقينا على كرسيّه جسدا» : أي على سريره. واختلف في الجسد الذي ألقى على سريره على أقوال:

١ ـ أنه شيطان متمثل بانسان، وذكروا ان اسمه صخر، وقيل آصف، وقيل آصر وقيل: حبقيق[٢١٠].

٢ ـ أن المراد بالجسد الذي القى على كرسيه: وَلَدٌ وُلِدَ لسليمان، وانه لما وُلِدَ اجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض: ان عاش له ابن لم ينفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة، فتعالوا نقتل ولده، او نخبله، فعلم سليمان بذلك، فأمر الريح حتى حملته الى السحاب، وغدا ابنه في السحاب خوفاً من مضرة الشياطين، فعاقبه الله على تخوفه من الشياطين، فلم يشعر الا وقد وقع على كرسيه ميتا.. قاله الشعبي.

٣ ـ حكى النقاش وغيره: ان أكثر ما وطىء سليمان جواريه طلبا للولد، فولد له نصف انسان، فهو كان الجسد الملقى على كرسيه جاءت به القابلة فألقته هناك[٢١١].

٤ ـ جاء في تفسير الخازن أن الذي ذهب اليه المحققون أن سبب فتنة سليمان والجسد الذي القي على كرسيه، ما أخرج في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «قال سليمان لأطوفنَّ الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى، فقال صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعا، فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون». وفي رواية «لأطوفنَّ بمائة امرأة، فقال له الملَك: قل إن شاء الله، فلم يقل، ونسي». قال العلماء: والشق هو الجسد الذي أُلْقِيَ على كرسيه، وهي عقوبته

---

(٢٠٩) الثعلبي، ص ٢٨٧ ـ ٢٩٠، زاد المسير، ج ٧، ص ١٣٣ ـ ١٣٤، تفسير الخازن، ج ٤، ص ٤٠ ـ ٤١، القرطبي، ج ١٥، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٢١٠) الطبرى، ج ٣، ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢١١) زاد المسير، ج ٧، ص ١٣٤ ـ ١٣٥، القرطبي، ج ١٥، ص ٢٠١.

ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني، وقيل نسي أن يستثني كما صح في الحديث لينفذ امر الله ومراده فيه[٢١٢].

٥ ـ ذكر القرطبي أنه قيل إن الجسد هو (آصف بن برخيا) الصدّيق كاتب سليمان. وذلك أن سليمان لما فتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه، فأعاده الى يده فسقط فأيقن بالفتنة، فقال له آصف: إنك مفتون ولذلك لايتماسك الخاتم في يدك فَفِرَّ الى الله تعالى تائبا عن ذلك، وأنا أقوم مقامك في عالمك الى أن يتوب الله عليك، ولك من حين فتنت أربعة عشر يوما... ففر سليمان هاربا الى ربه، وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده، فثبت، وكان عنده علم من الكتاب. وقام آصف في ملك سليمان وعياله، يسير بسيره ويعمل بعمله، الى أن رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى.... ورد الله عليه ملكه، وجلس على كرسيه وأخذ الخاتم[٢١٣].

٦ ـ أنه امتحن بمرض شديد، فصار جسدا لا حراك به مشرفا على الموت ، كما يقال : (لحم على وَضَم ، وجسد بلا روح) على معنى شدة الضعف ، والتقدير : وألقينا جسده على كرسيه، فحذف الهاء للاختصار... ذكره الرازي، واختاره المراغي[٢١٤].

٧ ـ أما الشيخ عبدالوهاب النجار فله رأى فريد في هذا الأمر لم يأت على ذكره أحد من المفسرين، يقول: إن كرسي داود إنما هو كرسي سليمان، لأن داود كان يرشح سليمان للملك ، والجلوس على كرسيه . وقد قام أبشالوم بن داود وثار على والده وانتزع الملك من داود وجلس على الكرسي الذي هو في الواقع كرسي سليمان، وهرب منه داود الى شرقي الأردن .. ثم دارت المعركة بين الطرفين وقتل فيها أبشالوم وعاد سليمان الى كرسيه بعد أن تزعزع بفعل أخيه أبشالوم . ويضيف النجار قائلا: وكل ما يدعى خلاف ذلك فلا يخلو من أن يكون هاجس نفس أو جموح خيال . ومع ذلك فإنه يستحسن الرأي الذي ذكره الرازي[٢١٥].

قوله تعالى : «ثم أناب» : يقول الطبري : أي فرجع سليمان الى ملكه من بعد مازال عنه مُلكه فذهب[٢١٦].. وقال قتادة : أي تاب من ذنبه[٢١٧] .

وذكر الطبرسي عن أبي مسلم : أي رجع الى حالة الصحة[٢١٨]، وقال المراغي : أي رجع الى حاله الأولى واستقامت له الأمور[٢١٩].

---

(٢١٢) تفسير الخازن ، ج ٤ ، ص ٤١ ـ ٤٢ .
(٢١٣) القرطبي ، ج ١٥ ، ص ٢٠٢ .
(٢١٤) الرازي ، ص ١١١ ، المراغي ، ج ٢٣ ، ص ١٢٠ .
(٢١٥) قصص الأنبياء ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ .
(٢١٦) الطبرى ، ج ٢٣ ، ص ١٥٩ ، الخازن ، ج ٤ ، ص ٤٢ .
(٢١٧) ابن الجوزى ، ج ٧ ، ص ١٣٣ ، القرطبى ، ج ١٥ ، ص ٢٠٤ ، النسفى ، ج ٤ ص ٤١ .
(٢١٨) الطبرسى ، ج ٢٣ ، ص ١١٤ .
(٢١٩) تفسير المراغى ، ج ٢٣ ، ص ١٢٠ .

وقد رفض كثير من المفسرين ما روي بشأن فتنة سليمان والجسد الذي ألقى على كرسيه، وأن يكون هذا الجسد شيطانا... وسنناقش هذا الموضوع من مختلف جوانبه في فصل الاسرائيليات حول سليمان.

« قال ربِّ اغفرْ لي وهَبْ لي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأحدٍ من بَعْدِي »:

قال ابن جرير الطبري في تأويل ذلك : يقول تعالى ذكره : قال سليمان راغبا إلى ربه : ربِّ استر على ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك، فلا تعاقبني به « وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي » لا يسلبنيه أحد كما سلبنيه قبل هذه الشيطان[٢٢٠].

ويقول الزمخشري : قدّم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم[٢٢١].

« لا ينبغي » لا يتسهل ولا يكون . ومعنى «من بعدي » دوني . يقول الزمخشري : فإن قلت : أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله مالا يعطيه غيره ؟

قلت : كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثاً لهما ، فأراد أن يطلب من ربه معجزة ، فطلب على حسب إلفِه مُلْكاً زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز ، ليكون ذلك دليلا على نبوته ، قاهرا للمبعوث إليهم ، وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات ، فذلك معنى قوله «لا ينبغي لأحد من بعدي» اهـ[٢٢٢].

وقيل في تأويل الآية آراء أخرى :

١ ـ قيل : كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه، كما قالت الملائكة : «أتجعل فيها من يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدماء ونحن نسبِّحُ بحمدك ونُقَدِّسُ لكَ »[٢٢٣].

٢ ـ وقيل : مُلْكاً لا أُسْلَبُهُ ولا يقوم غيري فيه مقامي، كما سُلِبْتُه مرةً وأقيم مقامي غيري ... قاله الطبري وقد تقدم ذكره.

٣ ـ ويجوز أن يقال : علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين، وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره ، وأوجبت الحكمة استيهابه ، فأمره ان يستوهبه إياه ، فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده .

---

(٢٢٠) تفسير الطبرى ، ج ٢٣ ، ص ١٥٩ .
(٢٢١) الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩٥ .
(٢٢٢) الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩٥ .
(٢٢٣) البقرة : ٣٠ .

٤ ـ أو أراد ان يقول مُلْكا عظيما فقال: «لا ينبغي لأحد من بعدي»، ولم يقصد بذلك إلا عِظَم الملك، وسعته، كما تقول: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال، وربما كان للناس أمثال ذلك، ولكنك تريد تعظيم ماعنده..

ويروي الزمخشري عن الحجاج أنه قيل له: إنك حسود، فقال: أحسد مني من قال «هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي». ويعلق الزمخشري على ذلك بقوله: وهذا من جرأته (اي الحجاج) على الله وشيطنته، كما حكي عنه انه قال: (طاعتنا أوجب من طاعة الله، لأنه شَرَطَ في طاعته فقال: «فاتقوا الله ما استطعتم»[٢٢٤] وأطلق طاعتنا فقال: «وأولي الأمر منكم»)[٢٢٥].

قال الخازن في تأويل الآية: «قال ربِّ اغفرْ لي» أي سألَ ربه المغفرة. «وهب لي مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعدي»: أي لا يكون لأحد من بعدي. وقيل: لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري، كما سلبته مني فيما مضى من عمري. فإن قلت: قول سليمان «لا ينبغي لأحد من بعدي» مشعر بالحسد والحرص على الدنيا، قلت: لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا، ولا نفاسة بها، ولكن كان قصده في ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى، وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه. وقيل: سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودالة على قبول توبته، حيث اجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه. وقيل: كان سليمان ملكا، ولكنه أحب ان يخص بخاصية كما خص داود بإلانة الحديد، وعيسى بإحياء الموتى، وابراء الأكمه، والأبرص، فسأل شيئاً يختص به[٢٢٦].

ويقول الرازي في تأويل قوله تعالى: «رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي» قالوا: هذا حسد فكيف يليق بالنبي ﷺ؟

يقول الرازي: جوابه من وجوه سبعة:

الأول: أن معجزة كل نبي تجب ان تليق بأحوال اهل زمانه، ولما كانت منافسة أهل زمانه بالمال والجاه طلب مملكة فائقة على كل الممالك لتكون معجزة له.

الثاني: أنه لما مرض ثم رجع الى الصحة عرف ان خيرات الدنيا وما فيها صائرة الى الغير بارث أو غيره، فسأل ربه ملكا لا يمكن ان ينتقل منه، وذلك ملك الآخرة.

الثالث: أن في مراتب الرياضيات والمجاهدات كثرة، ولكل واحد من السالكين اختصاص بواحد منها، فكأنه كان اختصاص سليمان عليه السلام بمقام رياضة النفس ومراقبتها ومحاسبتها اشد، ومعلوم ان الدنيا

---

(٢٢٤) التغابن: ١٦.

(٢٢٥) النساء: ٥٩. وانظر: الكشاف، ج ٤، ص ٩٥.

(٢٢٦) تفسير الخازن، ج ٤، ص ٤٢.

حلوة خضرة، والامتناع عن الانتفاع بها حال القدرة أشق من الامتناع حال العجز، فكأنه عليه السلام قال: أعطني من الدنيا أكمل المراتب حتى أتحمل في الاحتراز عنها أعظم المشاق.

الرابع: أن من الناس من يقول: الاحتراز عن لذات الدنيا أصعب لأنها نقد، ولذات الآخرة نسيئة، وترجيح النسيئة على النقد شاق، فهو عليه السلام ردّ على هؤلاء الباطلين وقال: «رب هب لي ملكا» الآية، حتى تروا كيف أستحقره في جنب الالتذاذ بطاعة المولى.

الخامس: هو أن الوصول الى الله تعالى على نوعين:

١ - (وهو الأكمل) أن يرفعه الله اليه ابتداء، فضلا منه ورحمة من غير تكليف شيء من المتاعب، وهو طريقة رسولنا عليه الصلاة والسلام على ماقاله تعالى: « سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بعَبْدِه ليلاً »[٢٢٧].

٢ - أن يتكلف العبد الذهاب اليه، وهو الطريقة التي حصل أعلاها لموسى عليه السلام في قوله تعالى: « ولما جاء موسى لميقاتنا »[٢٢٨] وأن سليمان عليه السلام على شرع موسى وطريقته، فكان أبدا في الرياضة، والانسان لا يفرغ قلبه عن شيء مالم يجربه، فكأن نفس سليمان عليه السلام كانت ملتفتة الى مملكة الدنيا فقال: « رب اغفر لي وهب لي ملكا » الآية، حتى أذوقه فيفرغ قلبي عنه فيزول شغل الالتفات اليه، فيخلص السر الى طاعتك والاشتغال بعبادتك.

السادس: أن للسيارين الى الله تعالى تارات، فتارة يختارون مقام التواضع، وذلك اذا ما نظروا الى انفسهم من حيث هم هم، وتارة مقام الاستعلاء، وذلك اذا ما رأوا انفسهم من انهم بالحق، فلا يبعد ان يكون هذا الخاطر انما ورد على سليمان في المقام الثاني.

السابع: وهو جواب المتكلمين، أنه عليه السلام كان مأذونا من الله فيه، وعلى هذا التقدير لا يكون فيه عتب[٢٢٩].

وقال ابن كثير في تأويل الآية: قال بعضهم معناه «لا ينبغي لأحد من بعدي»: أي لا يصلح لأحد ان يسلبنيه بعدي، كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسيه، لا انه يحجر على من بعده من الناس.. والصحيح انه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، وهذا هو ظاهر السياق من الآية، وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ. اهـ[٢٣٠].

---

(٢٢٧) الاسراء، ١.
(٢٢٨) الاعراف، ١٤٣.
(٢٢٩) الرازى: عصمة الأنبياء، ص ١١١ - ١١٣.
(٢٣٠) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٣٧.

أما سيد قطب فيقول : أقرب تأويل لهذا الطلب من سليمان عليه السلام أنه لم يرد به إثرة ، إنما أراد الاختصاص الذي يتجلى في صورة معجزة ، فقد أراد به النوع ، أراد به ملكا ذا خصوصية تميزه من كل ملك آخر يأتي بعده ، وذا طبيعة معينة ليست مكررة ولا معهودة في الملك الذي يعرفه الناس، وقد استجاب له ربه فأعطاه فوق الملك المعهود ملكا خاصا لا يتكرر[٢٣١].

«إنك أنت الوهّاب» أي : إنك وهاب لمن تشاء، بيدك خزائن كل شيء ، تمنح من ذلك ما أردت لمن أردت[٢٣٢].

« فسخَّرنا له الريح تجري بأمره رُخَاءً حيث أصاب »: أخبر سبحانه وتعالى بأنه أجاب دعاءه ووفقه لتحصيل ما اراد ... قال الحسن البصري : لما عقر سليمان الخيل غضبا لله عز وجل، عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع، الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر، والرخاء : هي الريح اللينة الطيبة المطيعة لسليمان. قال الحسن : ليست بعاصفة ولا الهينة، بين ذلك رخاء، « حيث أصاب » أي الى حيث اراد.

وروى الطبري عن الحسين باسناده عن الضحاك ان سليمان لم يكن في ملكه حين دعا فقال: «ربِّ هبْ لي ملكا» الآية، الريح ولا الشياطين، فدعا ربه عند توبته واستغفاره، فوهبه الله ما سأل، فتم ملكه[٢٣٣].

«والشياطين كلَّ بنَّاء وغواص »: يقول الطبري : وسخرنا له الشياطين فسلطناه عليها مكان من ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها، يستعملها فيما شاء من أعماله، من بناء وغواص، فالبُناة منهم يصنعون محاريب وتماثيل، والغاصة يستخرجون له الحُليَّ من البحار، وآخرون ينحتون له جفانا وقدورا، والمردة في الأغلال مُقرَّنون[٢٣٤].

«وآخرين مُقرَّنين في الأصْفاد» : أي مردة الشياطين موثوقون في الأغلال والأكبال، ممن قد تمرد وعصى وامتنع عن العمل وأبى ، أو قد اساء في صنيعه واعتدى[٢٣٥].

وعن المُلْك الذي وهبه الله لسليمان من الجن، جاء في الحديث الشريف مايلي :

روى البخاري فقال: حدثني محمد بن بشار: حدثنا محمد بن جعفر : حدثنا شُعبة، عن محمد بن زياد، عن ابي هريرة عن النبي ﷺ : «إن عِفْريتا من الجنّ تَفَلَّتَ البارحة ليقطع عليَّ صلاتي فأمكنني الله منه

---

(٢٣١) في ظلال القرآن ، ج ٢٣ ، ص ١٠٠ .
(٢٣٢) الطبرى ، ج ٢٣ ، ص ١٦٠ .
(٢٣٣) الطبرى ، ج ٢٣ ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ ، ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣٨ .
(٢٣٤) تفسير الطبرى ، ج ٢٣ ، ص ١٦٢ .
(٢٣٥) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

فأخذته فأردت ان أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كُلُّكُمْ، فذكرت دعوة اخي سليمان ـ ربِّ هَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعْدي ـ فرددْتُه خاسئاً »[٢٣٦].

ويعلق ابن حجر العسقلاني على قول النبي ـ ﷺ : « فذكرت دعوة أخي سليمان » بقوله : وفي هذا اشارة الى انهّ ﷺ كان يقدر على ذلك، إلا أنه تركه رعايةلسليمان عليه السلام الذي قال : «رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي»[٢٣٧].

«هذا عطاؤنا فامنن او أمسك بغير حساب»: اختلف اهل التأويل في المشار اليه بقوله «هذا عطاؤنا» وأي عطاء أريد بذلك، فقيل:

١ ـ العطاء الذي اراده هو الملك، أي: هذا ملكنا الذي أعطيناك، فأعط ماشئت وامنع ماشئت.. قاله الحسن، والضحاك.

٢ ـ وقال آخرون : بل عنى بذلك تسخيره له الشياطين، وقالوا : ومعنى الكلام: هذا الذي أعطيناك من كل بناء وغواص من الشياطين وغيرهم عطاؤنا.. قاله قتادة.

ويعلق الطبري على هذه الآراء بقوله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، القول الذي ذكر عن الحسن والضحاك من أنه عنى بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره، وذلك أنه جل ثناؤه ذكر ذلك عقيب خبره عن مسألة نبيه سليمان إياه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فأخبر انه سخر له مالم يسخر لأحد من بني آدم، وذلك تسخيره له الريح والشياطين[٢٣٨]

واختلف أهل التأويل في قوله تعالى: «فامنُنْ أو أمْسِك بغير حساب» على ثلاثة أقوال:

١ ـ قال بعضهم : عنى بذلك : فأعط من شئت ماشئت من الملك الذي آتيناك ، وامنع من شئت منه ماشئت، لا حساب عليك في ذلك ، قاله الحسن والضحاك وعكرمة ومجاهد .

٢ ـ وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعتق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة او من الوثاق ممن كان منهم مُقرَّنا في الأصفاد من شئت واحبس من شئت، فلا حرج عليه في ذلك، قاله قتادة وابن عباس والسدى.

٣ ـ وقال آخرون : بل ذلك من المقدم والمؤخر. ومعنى الكلام : هذا عطاؤنا بغير حساب، فامنُنْ أو أمْسِك. وذكر أنه جاء في قراءة عبدالله : « هذا فامنن أو أمسك، عطاؤنا بغير حساب».

---

(٢٣٦) صحيح البخارى ، ج ٢ ، ص ١٧١

(٢٣٧) فتح البارى ، ج ٧ ، ص ٢٦٩ .

(٢٣٨) تفسير الطبرى ، ج ٢٣ ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

يقول الطبري معلقا على هذه الاقوال: والصواب من القول في ذلك ماذكرته عن أهل التأويل من ان معناه : لا يحاسب على ما اعطى من ذلك الملك والسلطان، وانما قلنا ذلك هو الصواب، لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه[٢٣٩].

وقال ابن كثير في تأويل الآية : اي هذا الذي اعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا، فأعط من شئت واحرم من شئت لا حساب عليك، اي مهما فعلت فهو جائز لك، احكم بما شئت فهو صواب[٢٤٠].

ذكر الخازن ان الحسن قال: ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان، فانه ان اعطى أجر، وإن لم يعط لم تكن عليه تبعة[٢٤١].

«وإن له عندنا لزُلْفى وحُسْنَ مآب» قال الطبري في تأويل ذلك: وإن لسليمان عندنا لقربةً بإنابته إلينا وتوبته وطاعته لنا ، «وحسن مآب» يقول : وحسن مرجع ومصير في الآخرة[٢٤٢] .

يقول المراغي: بعد أن ذكر ما أوتيه من نعم الدنيا التي يحار العقل في إدراكها، أبان ماله في الآخرة عند ربه من مقام كريم وجنات وعيون فقال:

« وان له عندنا لَزُلْفى وحُسْنَ مآب»، اي: وإن له في الآخرة لقربى وكرامة لدينا، فنبوِّئه جنات النعيم ونؤتيه الاجلال والتعظيم، فهو كما كان سعيدا في الدنيا يكون سعيدا في الآخرة ويفوز برضا ربه وعظيم كرامته[٢٤٣].

النعم التي أنعم الله بها على سليمان :

بعد أن بينا الصورة التي رسمها القرآن الكريم لسليمان عليه السلام، وأوردنا آراء المفسرين فيما تضمنه التنزيل الحكيم بشأنه، نستطيع أن نلخص فيمايلي الأفضال والنعم التي خص الله سبحانه وتعالى عبده ونبيه سليمان بها.

١ ـ منحه الله الذكاء واصابة الحكم منذ صباه، ودليل ذلك ما مر معنا مما جاء في سورة الانبياء في مسألة الحرث التي قضى فيها كل من داود وسليمان عليهما السلام، وقد فضل حكم سليمان في هذه المسألة على حكم داود، على الرغم من أنهما كليهما أعطيا حكما وعلما. يقول تعالى: «وداود وسليمان إذ يحكمان في

(٢٣٩) الطبرى ، ج ٢٣ ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .
(٢٤٠) ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣٩ .
(٢٤١) تفسير الخازن ، ج ٤ ، ص ٤٢ .
(٢٤٢) الطبرى ، ج ٢٣ ص ١٦٤ .
(٢٤٣) تفسير المراغى ، ج ٢٣ ، ص ١٢٣ .

الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم، وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما». قال المفسرون: كان عمر سليمان عندما قضى في مسألة الحرث احدى عشرة سنة.

٢ ـ علمه الله سبحانه وتعالى منطق الطير، كما في قوله تعالى: «وورث سليمان داود وقال يا يها الناس علمنا منطق الطير». فكان يفهم لغة الطير ويخاطبها بلغتها، وهو فضل لم يؤته احد من العالمين.

٣ ـ تسخير الريح لسليمان يصرفها كيف يشاء ويتحكم في سرعتها، فكانت تأتيه عاصفة احيانا، كما تأتيه رخاء لينة احيانا اخرى حسب حاجته لكل منها. يقول تعالى : «ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره..»

ويقول : «ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر..».

ويقول: «فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب..».

٤ ـ إسالة النحاس لسليمان، وقد عبر عنه القرآن الكريم بكلمة «القِطْر»، يقول تعالى : «وأَسَلْنَا له عَيْنَ القِطْر»... وقد استخدم سليمان عليه السلام النحاس في المشاريع العمرانية الكثيرة التي اشتهر بها. ويقول بعض المفسرين إن النحاس أسيل له عينا جارية لمدة ثلاثة ايام.

٥ ـ تسخير الجن والشياطين له، يقول تعالى في سورة الأنبياء: «ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك» ، ويقول في سورة النمل: « وحُشِرَ لسليمان جنودُه من الجن والانسِ والطير فهم يُوزَعون»..

ويقول في سورة سبأ : «ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه، ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير، يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات».

ويقول في سورة (ص) : «والشياطين كل بنّاء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد.»

هذه الآيات الكريمة تبين كيف ان الله سبحانه وتعالى سخر لسليمان الجن والشياطين يغوصون في أعماق البحار يستخرجون له اللؤلؤ والجواهر، ويقومون بتشييد المباني والقصور، ونحت التماثيل والقدور الكبيرة، الى غير ذلك من الأعمال التي يأمرهم سليمان القيام بها، وما كان لأحد من هؤلاء الشياطين أن يعصي له امرا، ومن تجرأ وعصى فانه يعذب ويجعل موثقا في الأغلال.

٦ ـ كان عنده علم من الكتاب قال تعالى في سورة النمل : «قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ..».

قال بعض المفسرين إن الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان عليه السلام، وبذلك العلم الذي خصه الله تعالى به احضر عرش ملكة سبأ في طرفة عين.

٧ ـ منحه الله ملكا لم يتأت لغيره من البشر، بعد أن استجاب لدعوته حيث قال: «رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي إنك أنت الوهاب».

وقد أفاض المفسرون في الملك الذي منحه إياه سبحانه وتعالى، يتصرف فيه كيف يشاء، ودون حساب.

٨ ـ يقول تعالى: «وان له عندنا لزلفى وحسن مآب». وهي نعمة مابعدها نعمة.. فقد جعل الله له كرامة وقربى في الآخرة ووعده أن سيبوئه جنات النعيم، وأنه سيكون سعيدا في الآخرة ويفوز برضا ربه، كما كان سعيدا في الدنيا، وتلك درجة عظيمة من الرعاية والانعام والتكريم لم يحظ بها غيره..

❊ ❊ ❊

« الفصـــل الثالث »

الاسرائيليات حول داود وسليمان

في التفاسير

« تمهيـــد »

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على رسوله الأمين النبي الأمي محمد ﷺ معجزة له أيده بها لينفذ مشيئته سبحانه وتعالى في نشر هذا الدين بين الناس كافة ، فكان دستوراً للعباد ، هادياً لهم من الضلال ، مرشداً لهم في دينهم ودنياهم . فتلقته أمة محمد عليه الصلاة والسلام بالعناية والتقدير . وكان لا بد أن تقع في الكتاب الكريم آيات ومعان لم يتأتّ لعامة المسلمين فهمها أو كشف مضمونها . وقد وقع في علم الله هذا الأمر ، فوكل لنبيه بيان ذلك لأمته ، حتى تكون على بينة من أمرها ودراية بكتاب ربها وما فيه من أحكام وتشريعات .

ومن هنا جاءت السنة المطهرة تكملة لما في كتاب الله من هذه الأحكام وتلك التشريعات وتبياناً لما استعصى فهمه واستغلق على المسلمين من آي القرآن الكريم ، وفي ذلك يقول رب العزة في رسوله الكريم : « وما يَنطِقُ عن الهوى . إنْ هو إلّا وحْيٌ يوحَى[1] » ويقول أيضاً : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهُوا[2] » .

من أجل ذلك عُنِيَ المسلمون بكتاب الله وسنة نبيه . وبعد وفاة الرسول ﷺ ، كان المسلمون يأخذون عن صحابة رسول الله ما أشكل عليهم في فهم القرآن ، وبعدهم كانوا يأخذون عن التابعين ثم عن تابعي التابعين . ثم حدثت أمور كثيرة في الدولة الاسلامية ، دخل بسببها في تفسير القرآن الكثير من الشروح الدخيلة ، كان الدافع من ورائها أغراضاً ومآرب سيئة على الرغم من أن هذه الشروح وهي التي سميت بالاسرائيليات ، كانت بدايتها منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم . فعندما لم يستطع أهل الكتاب وغيرهم من الذين رفضوا الاعتراف بالدين الجديد الذي جاءهم به محمد ﷺ ـ عندما لم يستطيعوا النيل من القرآن بالتحريف أو التبديل لأن الله حفظه من ذلك في الصدور والسطور « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[3] » ، فإنهم حاولوا النفاذ لإفساد العقيدة عن طريق الدسّ والكذب والمكر والخداع ، وذلك بإدخال الروايات والتفاسير التي تتفق وأغراضهم ، فراجت سوق الاسرائيليات ودخل الكثير منها في كتب التفسير .

إلا أن العناية الإلهية قيضت أناساً كان لهم باع طويل في كشف هذه الاسرائيليات عبر القرون المتوالية ، والإبانة عنها ، وتمييز صحيحها من باطلها وغثّها من سمينها ، كما كان لبعض المفسرين فضل التنبيه على بطلان بعض ما روى من الاسرائيليات في كتب التفسير ، ومع ذلك بقي الكثير من الاسرائيليات في ثنايا كتب التفسير وقد انتشرت على ألسنة الناس ، حتى كادت أن تصبح حقائق مسلماً بها .

---

(١) النجم : ٣ ، ٤ .
(٢) الحشر : ٧ .
(٣) الحجر : ٩ .

وسنتكلم فيما يلي عن معنى الاسرائيليات وكيف تسربت الى كتب التفسير ، ومدى خطورتها على العقيدة الاسلامية ، ثم نتحدث عن الاسرائيليات المتعلقة بداود وسليمان عليهما السلام في التفاسير .

●●●

أولاً : معنى الاسرائيليات

لفظ (الاسرائيليات) جمع ، مفرده (اسرائيلية) ، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر اسرائيلي ، والنسبة فيها الى اسرائيل ، وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، أبو الأسباط الاثنى عشر ، واليه ينسب اليهود[٤] .

أما المعنى الاصطلاحي للاسرائيليات ، فلم يتحدث عنه المتقدمون ، وإنما جاءنا عن طريق عدد من الباحثين المحدثين . يقول الذهبي : « لفظ الاسرائيليات ، وان كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير ، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه ، الا أنا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل ، فنريد به ما يعم اللون اليهودي والنصراني للتفسير ، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية . وانما أطلقنا على جميع ذلك لفظ الاسرائيليات ، من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني ، فان الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه ، وذلك لكثرة أهله ، وظهور أمرهم ، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الاسلام الى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ، ودخل الناس في دين الله أفواجا[٥] » .

ويقول الدكتور السيد أحمد خليل : « هذه الكلمة يهودية الأصل ، وقد غلبت على كل ما نقل من اليهودية الى الاسلام ، وما نقل من الأديان الأخرى اليه أيضاً ... ولكنها خصت بهذا الاسم لأن أغلب ما نقل عن اليهودية والأديان الأخرى كان طريقه اولئك الاسرائيليون[٦] » .

ويقول فان فلوتن : « يطلق علماء المسلمين كلمة اسرائيليات على جميع العقائد غير الاسلامية ولا سيما تلك العقائد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الاسلامي منذ القرن الأول الهجري[٧] » .

ويقول محسن عبد الحميد : « الاسرائيليات اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الاسلام على القصص والأخبار اليهودية ، والنصرانية التي تسربت الى المجتمع الاسلامي ، بعد دخول جمع من اليهود والنصارى الى الاسلام ، أو تظاهرهم بالدخول فيه[٨] » .

---

(٤) الأسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبه ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٣ .

(٥) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ، ج ١ ، دار الكتب الحديثة الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٦٥ .

(٦) نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن للدكتور السيد أحمد خليل ، الطبعة الأولى ١٩٥٤ ، ص ٣٧ .

(٧) السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، لفان فلوتن ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، مطبعة السنة المحمدية ، الطبعة الثانية ، ص ١٠٩ .

(٨) الآلوسي مفسراً : رسالة مخطوطة بجامعة القاهرة لمحسن عبد الحميد ، ص ٣١٩ .

ويقول الأستاذ أمين الخولي : « كان اليهود في ماضيهم الطويل قد شرقوا راحلين من مصر ومعهم آثار حياتهم فيها معهم ، ثم أبعدوا مشرقين الى بابل في أسرهم ... وقد حملوا من أقصى المشرق في بابل وأقصى المغرب في مصر ما حملوا ، وجاء البيئة العربية الاسلامية من كل هذا المزيج ما جاء ، الى جانب ما بعثت اليها الديانات الأخرى التي دخلت تلك الجزيرة ، وألقت الى أهلها ما ألقت من خبر أو قصص ديني ، وكل أولئك قد تردد على آذان قارئي القرآن ، ومتفهميه ، قبلما خرجوا الى ما حول جزيرتهم شرقاً وغرباً فاتحين ، ثم ملأ آذانهم حين خالطوا أصحاب تلك البلاد التي نزلوا وعاشوا بها ، وإن كان الذي اشتهر من ذلك هو اليهودي ، لكثرة أهله ، وظهور أمرهم ، فدعيت تلك التزيدات التي اتصلت بروايات التفسير النقلي باسم الاسرائيليات[٩] » .

وكما نرى فان هذه الآراء متقاربة في بيان المقصود بالاسرائيليات . الا أن الدكتور الذهبي يبين المعنى الشمولي للفظ الاسرائيليات ـ في كتابه الاسرائيليات في التفسير والحديث ـ وما يدل عليه هذا الاصطلاح بصورة أعم وأشمل ، يقول :

ولفظ الاسرائيليات ـ وان كان يدل بظاهره على القصص الذي يروى أصلاً عن مصادر يهودية ـ يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي ، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق الى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها الى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما . بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الاسرائيليات ما دسه أعداء الاسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم ، وانما هي أخبار من صنع أعداء الاسلام ، صنعوها بخبث نية ، وسوء طويّة ، ثم دسوها على التفسير والحديث ، ليفسدوا بها عقائد المسلمين ... واليهود قوم بهت ، وهم أشد الناس عداوة وبغضاً للاسلام والمسلمين كما قال سبحانه : « لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوةً لِلَّذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا ..[١٠] » .

واليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين ، وثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم ، وحيلهم التي يصلون بها الى تشويه جمال الاسلام ماكرة خادعة ، وعبد الله بن سبأ ، رأس الفتنة والضلال ، ومن ورائه سبئيون كثير ، تظاهروا بالاسلام ، وتلفّعوا بالتشيع لآل البيت إمعاناً في المكر والخداع ، ليعيثوا بين المسلمين فسادا ، وفي عقائدهم ومقدساتهم إفسادا ، كان لهم نصيب كبير من هذا الهشيم المركوم من الاسرائيليات الدخيلة على تفسير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .. ومن أجل هذا كله غلب اللون اليهودي على غيره من ألوان الدخيل على التفسير والحديث ، فأطلق عليه كله لفظ الاسرائيليات[١١] .

●●●

(٩) أمين الخولي : دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الخامس ، ص ٣٥١ ، مادة (تفسير) .

(١٠) المائدة : ٨٢ .

(١١) الاسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور الذهبي ، ص ١٣ ـ ١٥ .

ثانياً : كيف تسربت الاسرائيليات الى كتب التفسير

لعل من أهم الأسباب التي أدت الى تسرب الاسرائيليات في التفسير ، ما عرف عن المسلمين من تساهل تجاه أهل الديانات الأخرى ، هذا التساهل الذي يشهد عليه ما حظي به اليهود خاصة من رعاية في حضن الدولة الاسلامية في جميع عصورها ، إلا من خان الأمانة منهم واستغل هذا التسامح لينفث سمومه ويشعل الفتن ضد المسلمين ... فكان لا بدّ من الوقوف بحزم في وجه ذلك النفر منهم واجتثاثهم .

أما في غير ذلك ، فقد رحّب الاسلام بمن دخل من أهل الكتاب في رحابه ، ووضع نفراً منهم في مركز الصدارة كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم .. ومع ما حمل هؤلاء من ثقافة سابقة ، كان لا مفر من تسرب شيء من الاسرائيليات الى التفاسير التي كان لأولئك النفر باع طويل فيها .

إلا أن تسرب الاسرائيليات الى التفسير كان مسبوقاً بتسرب الثقافة الاسرائيلية الى الثقافة العربية في الجاهلية ، كما يقول الدكتور الذهبي ،فالعرب في جاهليتهم كان يقيم بينهم جماعة من أهل الكتاب ، جلّهم من اليهود الذين نزحوا الى جزيرة العرب من قديم ، والذين هاجروا اليها هجرتهم الكبرى سنة سبعين ميلادية ، فرارا من العذاب والنكال الذي لحقهم على يد تيطس الروماني . وقد حمل اليهود معهم الى جزيرة العرب ما حملوا من ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية ، وما يتصل بها من شروح ، وما توارثوه جيلاً بعد جيل عن أنبيائهم وأحبارهم .

كما كان للعرب في جاهليتهم رحلات يرحلونها مشرقين ومغربين ، وكانت لقريش ـ كما يحدثنا القرآن ـ رحلتان : رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام ، وفي اليمن والشام كثير من أهل الكتاب معظمهم من اليهود . وبديهي أنه كانت تتم بين العرب واليهود الذين كانوا يستوطنون هذه البلاد لقاءات ، ولا شك أن هذه اللقاءات ـ سواء ما كان منها في جزيرة العرب ، وما كان خارجاً عنها ـ كانت عاملاً قوياً من عوامل تسرب الثقافة اليهودية الى العرب ، الذين كانت ثقافتهم حينئذ ـ بحكم بداوتهم وجاهليتهم ـ محدودة ضيقة . ولا شك ـ أيضاً ـ أن استمداد العرب من الثقافة اليهودية حينئذ كان محدوداً وضيقا كذلك ، لأن ضيق الأفق الثقافي للعرب قبل الاسلام ، لا يمهد لتلاحم ثقافي واسع ولا يشجع عليه[١٢] .

ثم جاء الاسلام ، وجاء معه كتابه الخالد ، القرآن الكريم ، وكانت دعوة الاسلام أول ما ظهرت وانتشرت بين سكان الجزيرة العربية ، وكانت عاصمة الاسلام دار الهجرة (المدينة) ، حيث كانت تعقد في مسجدها مجالس رسول الله ﷺ لتعليم أصحابه أصول دينهم .

أما اليهود فكانت لهم بيئاتهم الخالصة في الجزيرة العربية ، فكان بعضهم يسكن في المدينة وضواحيها

---

(١٢) الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ١٥ ـ ١٦

كبني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة ، ويسكن البعض الآخر بعيداً عن المدينة كيهود خيبر وتيماء وفدا. ووادي القرى . وكان هؤلاء يحملون معهم تراث أسلافهم ، كما كانت لهم مواضع يقيمون فيها عبادتهم وشعائر دينهم ، ويتدارسون فيها أحكام شريعتهم وأيامهم الماضية وأخبارهم الخاصة برسلهم وأنبيائهم وكتبهم وغير ذلك ، عرفت بين الجاهليين « بالمدراس » و« بيت المدراس » .

وبحكم هذا الجوار بين المسلمين في المدينة واليهود في المدينة وما جاورها ، كانت تتم لقاءات بينهم ، لا تخلو ـ عادة ـ من تبادل العلوم والمعارف . وكان النبي ﷺ يلقى اليهود وغيرهم من أهل الكتاب ليعرض عليهم دينه . وكان اليهود يلقون رسول الله ﷺ ليحكموه فيما شجر بينهم ، أو ليسألوه عن بعض ما يعنّ لهم السؤال عنه ، إما تحدياً وتعجيزاً ، وإما امتحاناً واختباراً لصدق نبوته ، وقد حكى القرآن الكريم كثيراً من ذلك .

كما جاء في الأخبار الصحيحة أن بعض الصحابة أيضاً كأبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، كانوا يذهبون الى « مدراس » اليهود ويستمعون الى علمائهم ويأمرونهم باتباع محمد ﷺ ، بالاضافة الى ما كان يحدث بينهم من مناقشات ومجادلات .

ثم كان هناك ما هو أهم من هذا كله ، وهو دخول جماعات من علماء اليهود وأحبارهم في الاسلام ، كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا[13] الذي قيل عنه : إنه لم يكن بالحجاز في زمانه من هو أعلم بالتوراة منه ، وكعب الأحبار وغيرهم ممن كانت لهم ثقافات يهودية واسعة ، وكانت لهم بين المسلمين مكانة مرموقة ومركز ملحوظ ، وبهذا كله التحمت الثقافة الاسرائيلية بالثقافة الاسلامية بصورة أوسع ، وعلى نطاق أرحب .

وقد تأثرت مختلف المناحي الثقافية للدولة الاسلامية ، بالثقافة اليهودية ، ولم يقتصر ذلك على التفسير والحديث ، بل تعداه الى التاريخ ، كما فعل ابن جرير الطبري في تاريخه ، وابن كثير في تاريخه المسمى « البداية والنهاية » ، إذ نجد فيهما عناية واضحة بذكر تاريخ بني اسرائيل وأنبيائهم وما جرى بينهم ولهم من حوادث ووقائع ، وبعض ما يذكر من ذلك لا أصل له .

كذلك فان علوم الجدل والكلام تأثرت بالاسرائيليات أيضاً ، ومثال على ذلك ما نجده في تاريخ ابن الأثير (الكامل) ، من معتقدات لبعض الفرق تسربت اليها عن طريق اليهود[14] .

أما ما يعنيّنا هنا ، فهو ما دخل من هذه الاسرائيليات في التفسير بصورة خاصة .

إن دخول الاسرائيليات في التفسير ، أمر يرجع الى عهد الصحابة رضي الله عنهم ، وذلك لاتفاق القرآن مع التوراة والانجيل في ذكر بعض المسائل ، مع فارق واحد : هو الايجاز في القرآن ، والبسط والإطناب في

---

(١٣) يقال له أيضاً ابن صورى ، ويرى بعض المؤرخين أنه أسلم ، ثم ارتد الى يهوديته .
(١٤) الاسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي ، ص ١٦ ـ ١٨ .

التوراة والانجيل . وكان الرجوع الى أهل الكتاب ، مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة ، فكان الصحابي ، اذا مر على قصة من قصص القرآن يجد في نفسه ميلاً الى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له ، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الاسلام ، وحملوا الى أهله ما معهم من ثقافة دينية ، فألقوا اليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني .

غير أن الصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء ، ولم يقبلوا منهم كل شيء بل كانوا يسألونهم عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن منها ، مع توقفهم فيما يلقى اليهم ، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين ، امتثالاً لقول الرسول ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل الينا ... » الآية[١٥] .

كما أنهم لم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام ، اللهم الا اذا كان على جهة الاستشهاد والتقوية لما جاء في القرآن . كذلك كانوا لا يعدلون عما ثبت عن الرسول ﷺ من ذلك الى سؤال أهل الكتاب ، لأنه اذا ثبت الشيء عن الرسول فليس لهم ان يعدلوا عنه الى غيره . كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التي يشتبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث ، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف ، والبعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، ومقدار سفينة نوح ، ونوع خشبها ، واسم الغلام الذي قتله الخضر .. وغير ذلك .

كذلك كان الصحابة لا يصدقون اليهود فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة ، بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا اذا سألوا أهل الكتاب عن شيء ، فأجابوا عن خطأ ، ردوا عليهم خطأهم ، وبينوا لهم وجه الصواب فيه[١٦] .

يقول ابن كثير في « البداية والنهاية » : ولسنا نذكر من الاسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا ، فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتجاج اليه والاعتماد عليه ، وانما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

ويضيف قائلاً : فأما الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « بلّغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، وحدثوا عني ولا تكذبوا عليّ ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[١٧]. فهو محمول على الاسرائيليات المسكوت

(١٥) البخاري في كتاب التفسير ، فتح الباري لابن حجر ، ج ٨ ، ص ١٢٠ .
(١٦) التفسير والمفسرون للذهبي ، ج ١ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .
(١٧) جاء هذا الحديث في مسند الأمام أحمد مرفوعاً من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص ، كما جاء بلفظ قريب منه من طريق أبي سعيد الخدري مرفوعاً . انظر : البداية والنهاية ، الجزء الثاني ، ص ١٣٢ .

عنها عندنا ، فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها ، فيجوز روايتها للاعتبار . فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا اليه استغناء بما عندنا ، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته ، الا على سبيل الانكار والابطال . فاذا كان الله سبحانه وله الحمد ، قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع ، وبكتابه عن سائر الكتب ، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخلط ، وكذب ووضع ، وتحريف وتبديل ، وبعد ذلك كله نسخ وتغيير ، فالمحتاج اليه قد بينه لنا رسولنا وشرحه واوضحه . عرفه من عرفه وجهله من جهله . كما قال علي بن أبي طالب : « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله » . وقال ابو ذر رضي الله عنه : « لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يطير بجناحيه الا أذكرنا منه علماً[18] » .

لقد علمنا مبلغ رجوع الصحابة الى أهل الكتاب ، وأخذهم عنهم . وبعد عهد الصحابة جاء التابعون ، فتوسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب ، فكثرت على عهدهم الروايات الاسرائيلية في التفسير ، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الاسلام ، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير اليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية ، فظهرت في هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا هذه الثغرات القائمة في التفسير بما هو موجود عند اليهود والنصارى ، فحشوا التفسير بكثير من القصص المتناقض ، ومن هؤلاء : مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠هـ ووهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠هـ .

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالاسرائيليات ، وأفرط في الأخذ منها الى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم وان كان لا يتصوره العقل .. واستمر هذا الشغف بالاسرائيليات ، والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة ، الى أن جاء دور التدوين للتفسير ، فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الاسرائيلي الذي كان يصدّ الناس عن النظر فيها والركون اليها[19] .

وقد عرض العلامة ابن خلدون في مقدمته لمبدأ دخول الاسرائيليات في التفسير وبين الأسباب التي دعت الى الإكثار من روايتها ، يقول ابن خلدون : « ... وقد جمع المتقدمون في ذلك ـ يعني التفسير النقلي ـ وأوعوا ، الا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين ، والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، فانما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة الذين بين العرب

---

(١٨) البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، الجزء الأول ، الطبعة الخامسة مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٦ ـ ٧ .
(١٩) التفسير والمفسرون ، ص ١٧٥ ـ ١٧٧ .

يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها ، مثل أخبار بدء الخلق وما يرجع الى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك . وهؤلاء مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وأمثالهم ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم ، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات ، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ، إلا أنهم بعد صيتهم ، وعظمت أقدارهم ، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ[٢٠] » .

نرى في مقالة ابن خلدون أنه يرجع النقل عن أهل الكتاب لاعتبارات اجتماعية ودينية . أما الاجتماعية فلأن العرب كانت آنذاك أهل بداوة وغلبت عليهم الأمية ، واذا ما تشوقوا لمعرفة شيء ـ كما تتشوق النفس البشرية ـ سألوا أهل الكتاب ، لأن في كتابهم ذكراً لذلك . أما الاعتبارات الدينية التي جعلتهم يأخذون عن أكل الكتاب ويتساهلون في ذلك مع عدم تحري الدقة والصحة ، فكانت لأن هذه المنقولات لا تتعلق بالأحكام الشرعية التي يجب تحري الصحة فيها .

وسواء أكانت هذه هي كل الأسباب ، أم كانت هناك أسباب أخرى ، فان كثيراً من كتب التفسير قد اتسع لما قيل من ذلك وأكثر ، حتى أصبح ما فيها مزيجاً من مخلفات الأديان المختلفة والمذاهب المتباينة[٢١] .

●●●

ثالثاً : خطورة الاسرائيليات على عقائد المسلمين :

تنقسم الاسرائيليات الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما يعلم صحته بأنه نقل عن النبي ﷺ نقلاً صحيحاً ، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخَضِر ، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله ﷺ كما ذكره البخاري[٢٢] ، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده . وهذا القسم صحيح مقبول .

القسم الثاني : ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا ، أو كان لا يتفق مع العقل . وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته .

---

(٢٠) مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٣٤٨ .
(٢١) التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ١٧٨ .
(٢٢) البخاري ، باب التفسير ، ج ٨ ، ص ٢٩٧ من فتح الباري .

القسم الثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا هو من قبيل الأول ، ولا هو من قبيل الثاني . وهذا القسم نتوقف فيه ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته ، لما تقدم من حديث النبي ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ... الآية » .

وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود الى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافاً كثيراً ، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك . كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى من أي الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحياها الله لابراهيم ، وتعيين بعض البقرة الذي ضرب به قتيل بني اسرائيل ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى .. الى غير ذلك مما أبهمه القرآن ، ولا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم أو دينهم[٢٣] .

أما عن خطورة الاسرائيليات ، فلا شك أنها بما حوته من أباطيل وخرافات نسب الكثير منها الى رسول الله ﷺ ، والى صحابته رضوان الله عليهم ، واتخذها بعض المشتغلين بالتفسير مادة يشرحون بها بعض نصوص القرآن الكريم ، تشكل - في صورتها هذه - خطراً بالغاً وشراً مستطيراً ، وذلك لإفضائها الى النتائج التالية :

١ - انها تفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوي عليه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه وتعالى ، ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله ، وربما فيها من نفي العصمة عن الأنبياء والمرسلين ، وتصويرهم في صورة من استبدت بهم شهواتهم ، ودفعتهم ملذاتهم ونزواتهم الى قبائح وفضائح لا تليق بإنسان عادى ، فضلاً عن أن يكون نبياً .

٢ - أنها تصور الإسلام في صورة دين خرافي يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها ، وكلها نسيج عقول ضالة ، وخيالات شاطحة . ومن أمثلة ذلك ما يروى في صفة آدم عليه السلام من أن رأسه كان يبلغ السحاب أو السماء ويحاكيها ، فاعتراه لذلك صلع ، ولما هبط على الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن . وما يروى في شأن داود عليه السلام من أنه سجد لله تعالى أربعين ليلة وبكى حتى نَبَتَ العشب من دموع عينيه ، ثم زفر زفرة هاج لها ذلك النبات .

٣ - أنها كادت تذهب بالثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين ، فقد أسند من هذه الاسرائيليات المنكرة شيء ليس بالقليل الى نفر من سلفنا الصالح الذين عرفوا بالثقة والعدالة ، واشتهروا بين المسلمين بالمتفسير والحديث ، واعتبروا من المصادر الدينية الهامة عند المسلمين ، فاتهموا من أجل نسبة هذه الاسرائيليات اليهم بأبشع الاتهامات ، وعدّهم بعض المستشرقين ومن مشى في ركابهم من المسلمين ، مدسوسين على الاسلام وأهله ، ومن أكثر هؤلاء السلف نيلاً منه : أبو هريرة ، وعبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار ، ووهب ابن منبه ، ممن لهم في الاسلام قدم راسخة .

---

(٢٣) التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

٤ ـ أنها كادت تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله ، وتلهيهم عن التدبّر في آياته ، والانتفاع بعبره وعظاته ، والبحث عن أحكامه وحكمه ، الى توافه لا خير فيها ، وصغائر لا وزن لها ، وتفاصيل لا يعدو أن يكون الاشتغال بها والبحث عنها عبثاً محضاً ، ومضيعة للوقت فيما لا فائدة من معرفته . ومن أمثلة ذلك ما مر الكلام بشأنه عن لون كلب أهل الكهف ، واسمه ، وعن عصا موسى من أي الشجر كانت ، وعن اسم الغلام الذي قتله الخضر ، وعن طول سفينة نوع وعرضها وارتفاعها ، واسماء الحيوانات التي حملت فيها .. وغير ذلك مما طواه القرآن الكريم وسكت عنه لعدم فائدة تعود على المسلمين من ذكره لهم ومعرفتهم به .

هذه هي جوانب الخطورة على عقائد المسلمين وقدسية الاسلام من رواية الاسرائيليات . ولا زالت اليهود تبذل من جهدها لإفساد عقائد المسلمين وإضعاف ثقتهم بمقدساتهم من القرآن والسنة وما يتصل بهما ، وزعزعة ثقتهم في سلفهم الصالح ، الذين حملوا رسالة الاسلام ، ونشروها في ربوع المشرق والمغرب[٢٤] .



الاسرائيليات المتعلقة بداود وسليمان في التفاسير

بعد أن أوضحنا ما المقصود بالاسرائيليات ، وكيفية تسربها الى تفسير القرآن الكريم ، وبينّا مدى الخطورة من وراء ذلك على عقائد المسلمين وأحكام شريعتهم ، نأتي الى الحديث عما ورد من هذه الاسرائيليات في تفسير ما جاء في الكتاب الكريم بشأن كل من داود وسليمان عليهما السلام ، وسنبدأ بما جاء فيها متعلقا بداود .

أولا : الاسرائيليات حول داود عليه السلام

لقد أوردنا فيما سبق ما جاء في القرآن الكريم فيما يختص بداود عليه السلام ، وسنبين فيما يلي ما أخرجه العلماء الأجلاء من روايات المفسرين ، وما اعتبروه روايات اسرائيلية تضمنتها كتب اولئك المفسرين .

١ ـ جاء في سورة البقرة : « فهزموهم بإذنِ الله وقتلَ داودُ جالوتَ .. »[٢٥] .

روى المفسرون حكايات مطولة عن الطريقة التي قتل بها داود جالوت ، أوردناها سابقا في تفسير الآية . فقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن جريج عن مجاهد قال : لما رمى داود جالوت بالحجر ، خرق ثلاثاً وثلاثين بيضة عن رأسه ، وقتلت من ورائه ثلاثين ألفا[٢٦] .

---

(٢٤) الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ٣٠ ـ ٣٥ .
(٢٥) البقرة : ٢٥١ .
(٢٦) تفسير الطبري ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ .

ويظهر من المبالغة في ذكر من قتلهم حجر واحد بالاضافة الى جالوت مدى ما اعترى تفسير الآية من الروايات الاسرائيلية .. اذ إن هذه المبالغة في العدد لا يقرها عقل أو منطق . واذا قيل إن ذلك من قبيل المعجزة لدواد ، نقول : يكفيه معجزة أن قتل ـ وهو الفتى الصغير الذي لا دراية له بأمور الحرب ـ البطل المجرب في الحروب والذي لم يستطع أن يتقدم لمبارزته رجال الحرب المدربون على فنون القتال ؛ ومما يعطي المعجزة أبعادها أن جعل مصرع هذا الجبار الغشوم على يد هذا الفتى الصغير ، وهو أعزل من كل سلاح إلا من مقلاعه ، ليرى الناس أن الجبابرة الذين يرهبونهم ضعاف ، يغلبهم الفتية الصغار حين يشاء الله أن يقتلهم ، كما يقول سيد قطب[٢٧] .

ثم إن هناك أمرا يأتي في غاية الأهمية بالنسبة لهذه الرواية ، فقد أوردها ابن جرير من طريق ابن جريج ، وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أصله رومي نصراني ، وهو أحد أقطاب الروايات الاسرائيلية ، وقطبها في عهد التابعين ، فقد توفي سنة ١٥٠ هـ (وقيل سنة ١٥٩ هـ) . وقد حكم عليه كثير من العلماء بالتدليس وعدم الثقة ببعض مروياته . قال عنه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : « بعض الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة ، وكان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذها » .

وكان الامام مالك رضي الله عنه يرى فيه أنه لا يبالي من أين يأخذ ، فقد روى عنه أنه قال : « كان ابن جريج حاطب ليل »[٢٨] .

لذلك لا نستطيع إلا أن نقف إزاء هذه المرويات وأمثالها موقفا حذرا ، لأنها تتعارض مع العقل والمنطق ، خاصة اذا كان راويها هذه صفته .

ويعلق الحافظ ابن كثير على أمثال هذه الرواية في قوله تعالى : « وقتل داود جالوت » بقوله : ذكروا في الاسرائيليات أنه قتله بمقلاع كان في يده رماه به فأصابه فقتله[٢٩] .

وهكذا فقد اعتبر ابن كثير مثل هذه الروايات من الاسرائيليات غير الموثوق بها .

٢ ـ يقول تعالى في سورة (ص) : « وهل أتاك نبأُ الخَصْمِ إذْتَسَوَّروا المِحْرابَ . إذ دَخلوا على داودَ فَفَزِعَ منهم ، قالوا لا تخفْ ، خصمان بَغَى بعضُنَا على بعض فاحكُم بيننا بالحق ولا تُشْطِطْ واهدِنا الى سَواءِ الصراط ، إنَّ هذا أخي له تِسْعٌ وتسعون نعجةً وليَ نعجةٌ واحدة فقال أَكْفِلْنيها وعَزَّني في الخطاب . قالَ لقد ظَلَمك بسؤالِ نعجَتِك الى نِعاجه ، وإن كثيرا من الخُلَطاءِ لَيَبْغي بعضُهم على بعض إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ،

(٢٧) في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .
(٢٨) التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ .
(٢٩) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

وقليل ما هم ، وظنَّ داودُ أنما فتنَّاه فاستغفر ربَّه وخَّر راكعا وأناب . فغفَرْنَا له ذلك ، وإنَّ له عندنا لزُلْفَى وحُسْنَ مآب .. »[٣٠]

لقد خاض المفسرون في تأويل معنى هذه الآيات ، وذهبوا مذاهب شتى في تفسيرها ، وأوردوا من الروايات الاسرائيلية بحق النبي والملك داود عليه السلام ، ما يتنافى وعصمة النبوة . ذكروا قصة داود وربطوها بعلاقته بزوجة أوريا وما في هذه القصة من إفك بحق نبي كريم من أكابر الأنبياء . وقد اعتبر أولئك المفسرون هذه الحكاية المختلقة على أنها حقيقة مسلّم بها . وهناك مفسرون آخرون أوردوا القصة بروايات مختلفة ، دون أن يعلقوا عليها ويبينوا ما فيها من اسرائيليات ، مكتفين بذكر أسانيد هذه الروايات ، كما فعل ابن جرير الطبري في تفسيره ، اعتقادا منه أنه متى أورد الرواية بإسنادها فقد بريء من عهدتها وأسند أمرها الى النظر في اسنادها ، على قاعدة : « من أسند لك فقد حمّلك » ، لذلك مما يؤخذ على الطبري أنه يسوق الأخبار بالأسانيد غير الصحيحة ولا ينبه على عدم صحتها .

واذا كنا نجد العذر للطبري على الطريقة التي اتبعها في تفسيره بالاكتفاء بذكر السند ، لأنه كان في زمن توافر الناس فيه على معرفة حال السند من غير توقف على تنبيه منه ، فاننا لا نجد عذرا لبعض المفسرين الذين أكثروا من رواية الاسرائيليات دون ذكر إسنادها ، كما فعل أبو اسحق الثعلبي ، فقد فاق جميع المفسرين في رواية الاسرائيليات ، بدون أن يتعقب شيئا منها أو ينبّه على ما فيه ، رغم استبعاده وغرابته . ومن الاسرائيليات التي ذكرها الثعلبي قصة داود وامرأة أوريا . غير أن هناك مفسرين أوردوا شيئا من هذه الاسرائيليات بقصد التنبيه على بطلانها وكذبها ، وهناك آخرون أشاروا الى هذه الروايات ورفضوها لأنها من الاسرائيليات ، وعلى رأس هؤلاء الحافظ ابن كثير . وسنأتي على ذكر آراء مختلف المفسرين فيما نحن بصدده من قصة داود عليه السلام .

القصة في التفسير الكبير المنسوب لمقاتل بن سليمان

يقول مقاتل في تفسير قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب .. » الآيات : « وذلك أن داود قال : رب اتخذت ابراهيم خليلا ، وكلمت موسى تكليما ، فوددت أنك أعطيتني من الذكر مثل ما أعطيتهما ، فقال له : إني ابتليتهما بما لم أبتلك به ، فإن شئت ابتليتك وأعطيتك مثل ما أعطيتهما من الذكر ، قال : نعم ، قال : اعمل عملك . فمكث داود عليه السلام ما شاء الله عز وجل يصوم نصف الدهر ويقوم نصف الليل ، إذ صلى في المحراب ، فجاء طير حسن ملون فوقع اليه فتناوله ، فطار الى الكوة ، فقام ليأخذه ، فوقع الطير في بستان ، فأشرف داود فرأى امرأة تغتسل ، فتعجب من حسنها ، وأبصرت المرأة ظله فنقضت شعرها فغطت جسمها ،

(٣٠) سورة (ص) : ٢١ ـ ٢٥ .

فزاده ذلك بها عجبا ، ودخلت المرأة منزلها وبعث داود غلاما في أثرها ، فاذا هي « بتسامع امرأة أوريا بن حنان » وزوجها في الغزو في بعث البلقاء الذي بالشام مع ثواب بن صوريا ابن أخت داود عليه السلام[٣١] . فكتب داود الى ابن أخته بعزيمة أن يقدم أوريا ، فيقاتل أهل البلقاء ولا يرجع حتى يفتحها أو يقتل ، فقدمه فقتل رحمة الله عليه ، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود ، فولدت له سليمان بن داود ، فبعث الله عز وجل الى داود عليه السلام ملكين ليستنقذه بالتوبة ، فأتوه يوم رأس المائة في المحراب وكان يوم عبادته والحرس حوله ، فلما رآهما داود قد تسورا المحراب ، فزع داود وقال في نفسه : لقد ضاع ملكي حين يُدْخَلُ عليَّ بغير إذن . فقال أحدهما : « إنَّ هذا أخي » يعني المَلَك الذي معه ، « له تِسْعٌ وتسعون نَعجةً » يعني (تسع وتسعون امرأة) ـ وهكذا كان لداود ـ فطلب مني أن أضم امرأتي اليه . فقال داود : « لقد ظَلَمك » بهذا الطلب . ثم صعد المَلَكان ، فعلم داود أن الله ابتلاه بذلك » .[٣٢]

وتفسير مقاتل هو أقدم تفسير للقرآن الكريم وصل الينا ، حققه الدكتور عبد الله شحاته ونال به درجة الدكتوراه ، وما يزال مخطوطا ، ومنه نسخ مودعة بمكتبة كلية دار العلوم ، وتوجد نسخة أخرى منه بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية .

وقبل أن نتعرض بالنقد لرواية مقاتل في شأن قصة داود ، لا بد أن نذكر لمحة عن مكانته عند علماء التفسير والحديث . فقد جرّح رجال الحديث مقاتلا واتهموه بالكذب والوضع .

جاء في ميزان الاعتدال بشأن مقاتل بن سليمان ما يلي :

قال ابو حنيفة : أفرط جَهْم في نفي التشبيه ، حتى قال : إنه تعالى ليس بشيء .
وأفرط مقاتل ـ يعني في الإثبات ـ حتى جعله مثل خَلْقِه .

وقال البخاري : قال سفيان بن عُيَيْنه : سمعت مقاتلا يقول : إنْ لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أني كذاب .

وقال البخاري أيضا : مقاتل بن سليمان سكتوا عنه . وقال أيضا : لا شيء البتة .
وروى عباس عن يحيى بن معين ، قال : ليس حديثه بشيء .
وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني : كان دجالا جسورا ، سمعت أبا اليمان يقول :
قدم ههنا فأسند ظهره الى القبلة ، وقال : سلوني عمّا دون العرش ، وحُدِّثْتُ أنه قال مثلها بمكة ، فقام اليه رجل ، فقال : أخبرني عن النملة أين أمعاؤها ؟ فسكت .

---

(٣١) لقد مر معنا أن امرأة أوريا اسمها (بت شيفع) ، وثواب بن صوريا اسمه (يواب بن صروية) .
(٣٢) تفسير مقاتل ، المجلد الثالث ، ص ١٢٦٦ ـ ١٢٦٨ .

وقال محمد بن حبان : كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان يشبّه الرب بالمخلوقات ، وكان يكذب في الحديث .

وقال وكيع : كان كذابا .

وقال أبو معاذ الفضل بن خالد المروزي : سمعتُ خارجةَ بن مصعب يقول : لم أستحلَّ دمَ يهودي ، ولو وجدت مقاتل بن سليمان خلوة لشقَقْتُ بطنه[٣٣] .

وروى الحسن بن رشيق ، عن النسائي ، قال : الكذابون المعروفون بوضع الحديث : ابن أبي يحيى بالمدينة ، والواقدي ببغداد ، ومقاتل بن سليمان بخراسان ، ومحمد بن سعيد ـ المعروف بالمصلوب ـ بالشام[٣٤] .

وقال أحمد بن سيار عنه : هو متروك الحديث ، ومهجور القول ، وكان يتكلم في الصفات بما لا تحلّ الرواية عنه .

وقال أحمد بن حنبل : مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ، ما يعجبني أن أروي عنه شيئا .

وقال عمرو بن على الفلاس : مقاتل كذاب متروك الحديث .

وكان مقاتل على صلة بخلفاء بني العباس ، وحاول أن يتزلف اليهم ، فعرض عليهم أن يضع لهم أحاديث ، فقد ذكروا أنه قال للمهدي : إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس ، فقال المهدي : لا حاجة لي فيها[٣٥] .

ويعلق الدكتور الذهبي على آراء هؤلاء العلماء بقوله : لست أرى مقاتل بن سليمان إلا راوية خرافات ، ومروّج إسرائيليات ، يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن ، فإذا انضم الى ذلك كونه مبتدعا ، وكاذبا ، ووضاعا ، طرحنا كل ما ينسب اليه من روايات في التفسير والحديث ، اللهم إلا اذا صحت من طريق غير طريقه[٣٦] .

هذا عن الرجل ، أما عن تفسيره ، فهو مليء بالاسرائيليات بسبب نقله عن أهل الكتاب . كما أنه يغفل الإسناد ـ غالبا ـ في مروياته مما يضعف الثقة بها .

---

(٣٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تأليف ابي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨هـ ، تحقيق على محمد البجاوي ، المجلد الرابع ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ١٧٣ ـ ١٧٥ .

(٣٤) ميزان الاعتدال ، المجلد الثالث ، ص ٥٦٢ .

(٣٥) الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .

(٣٦) نفس المرجع ، ص ٩٤ .

وإذا علمنا أنه توفي سنة ١٥٠ هـ ، عرفنا أن العصر الذي عاش فيه مقاتل كان عصر إسناد ، ولم يُتْرَك ذكر الاسناد ، ويقلّ وروده عند المفسرين والمحدثين الا بعد هذا العصر ، فكأن مقاتلا قد سن سنـة سيئة للمفسرين ممن جاءوا بعده ، ولم يولوا أمر الاسناد اهتمامهم ، وبذلك التبس الصحيح بالعليل في الروايات .

لذلك فان الشك يدور حول تفسير مقاتل ، وما اذا كان هذا التفسير من عمله أم لا . وفي ذلك يقول الدكتور الذهبي : أغلب الظن أن هذا التفسير من عمل بعض المتأخرين عن عصر مقاتل ، جمع فيه ماروى عنه في التفسير ، وضم اليه من رأيه ومن أقوال غيره ما رآه مكملا له أو موضحا لبعض ما فيه[٣٧] .

أما عن القصة التي أوردها مقاتل بشأن داود عليه السلام ، فهي مروية من عدة طرق ، فبالاضافة الى طريق مقاتل بن سليمان رويت من طريق السدّي ، والكلبي ، وكلهم مردودو الرواية لا ثقة فيهم . ويمكن تلخيص الأباطيل التي اشتملت عليها القصة فيما يلي :

١ ـ انهم نسبوا الى داود عليه السلام التهجم بالاطلاع على عورة امرأة أجنبية عنه .

٢ ـ انتهاك حرمة الجوار .

٣ ـ الغدر بزوج المرأة وتدبير المكيدة لقتله ليستولي على امرأته .

٤ ـ الخضوع لشهوته الطبيعية ، حيث لم يكتف بتسع وتسعين امرأة من نسائه ، واتخذ الإجرام وسيلة الى ضم زوجة جاره الى نسائه . وكل هذه الأمور يستحيل صدورها من نبي معصوم ، لأنها منافية للعصمة التي قامت الأدلة القطعية على ثبوتها للأنبياء والرسل عليهم السلام ، وصارت من معتقدات الاسلام المعلومة من الدين بالضرورة ، واذا جاز صدور هذه الجرائم من نبي على زعم المخرفين من عشاق الأساطير ، فماذا بقي للمجرمين والفساق وعبدة الأهواء والشهوات !

روى مقاتل هذه القصة وبسطها من غير تحرج ولا تأثم في تفسيره .. ومن العجب أنه ربط بها قصة أخرى لها علاقة بنبينا الكريم ﷺ . فعند تفسيره لقوله تعالى : « وإذْ تقولُ للذي أنعمَ اللهُ عليه وأنعمتَ عليه أَمْسِكْ عليكَ زوجَكَ واتَّقِ اللهَ وتُخْفِي في نفسِكَ ما اللهُ مُبْدِيه وتَخْشَى الناسَ واللهُ أحقُّ أَنْ تَخشاه »[٣٨] ، نجده بعد ما ذكر من أمر خطبة زينب بنت جحش لزيد بن حارثة مولى الرسول (ص) ، وتمنعها أول الأمر ، ثم قبولها الزواج منه نزولا على أمر الله ورسوله ، يقول ما نصه :

« ودخل بها ـ يعني بزينب ـ زيد ، فلم يلبث الا يسيرا حتى شكا الى النبي (ص) ما يلقى منها ، فدخل النبي (ص) فوعظها ، فلما كلمها أعجبه حسنها وظرفها ، وكان أمرا قضاه الله عز وجل ، ثم رجع النبي

---

(٣٧) المرجع السابق ، هامش ص ١١٦ .
(٣٨) الأحزاب : ٣٧ ـ ٣٨ .

(ص) وفي نفسه ما شاء عز وجل ، فكان النبي (ص) يسأل زيدا بعد ذلك : كيف هي معك ؟ . فيشكوها اليه ، فقال له النبي ﷺ : اتق الله ، وامسك عليك زوجك ، وفي قلبه غير ذلك .. »

ثم يمضي في تفسير الآيات الى أن يصل الى قوله تعالى : « سُنَّة الله في الذين خَلَوْا من قَبْلُ » فيقول : « هكذا كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد ، يعني داود النبي ﷺ حين هَوِىَ المرأة التي فتن بها ، وهي امرأة أوريا بن حنان ، فجمع الله بين داود وبين المرأة التي هويها . وكذلك جمع الله عز وجل بين محمد ﷺ وبين زينب إذ هويها ، كما فعل بداود عليه السلام ، فذلك قوله عز وجل : « وكان أمْرُ الله قَدَرا مَقْدُوراً » فقدر الله عز وجل لداود ومحمد تزويجها »أ هـ[39] .

هكذا يذهب مقاتل بن سليمان في تفسير الآيات دون إسناد ، ويدخل في تفسيره كثيرا مما دس على الاسلام من أباطيل دون أن يفندها أو يردها ، وكأنها عنده صحيحة لا غبار عليها .

ويعلق الدكتور الذهبي على هذه الرواية لمقاتل بقوله : يا عجبا كل العجب لمقاتل !! كيف طوعت له نفسه أن يقول كل هذا في رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ كان يعرف زينب قبل أن يزوجها مولاه زيدا ، فهي ابنة عمته ، ولو كان له فيها رغبة لخطبها لنفسه قبل أن يخطبها لزيد ، وقبل أن يدخل بها . أما أن تقع في نفسه بعد ما قضى زيد منها وطرا ، وأما أن يقول لزيد : أمسك عليك زوجك وكل أمنيته أن يطلقها زيد ليتزوجها هو من بعده ، فذلك ما أعيذ منه رسول الله ﷺ ، لأنه يحطم جانب العصمة فيه ، والعصمة في الأنبياء شرط لازم .

ويضيف الدكتور الذهبي قائلا : ومما لا يكاد ينقضي منه العجب ، أن مقاتلا برَّر فريته على رسول الله ﷺ بفرية مثلها ، نسبها الى داود عليه السلام اختصرها هنا ، وبسطها من غير تحرج ولا تأثم عند تفسيره لقوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب .. » إلى قوله : « وظن داود انما فتناه فاستغفر ربّه وخر راكعا وأناب » الآيات[40] .

● ● ●

القصة في تفسير ابن جرير الطبري ، المسمى « جامع البيان في تفسير القرآن »

لقد أورد الطبري في تفسيره لقوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا ، لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض .. » الآيات ، أورد قصة شبيهة بالقصة التي أوردها مقاتل بن سليمان ، ولكن بروايات متعددة وبأسانيد مختلفة .

غير أن ابن جرير لم ينبه على ما في هذه الروايات من كذب وافتراء على مقام النبوة . فداود نبي مرسل

(٣٩) تفسير مقاتل ، المجلد الثاني ، ص ١١٧٩ ـ ١١٨١ .
(٤٠) الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ١٢١ .

من أكابر الأنبياء لا يليق به مثل هذا الافتراء وهو النبي المعصوم، صاحب المنزلة الرفيعة عند رب العزة سبحانه وتعالى.

ويجدر بنا أن نورد الحديث الذي ذكره الطبري في تفسيره عن رواية يزيد الرقاشي، ومن ثم نعقب عليه. قال الطبري:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة عن ابي صخر، عن يزيد الرقاشي، عن انس بن مالك سمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن داود النبي ﷺ حين نظر الى المرأة فأَهَمَّ، قطع على بني اسرائيل، فأوصى صاحب البعث فقال: اذا حضر العدوُّ، فقرِّب فلانا بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يُسْتَنْصَرُ به، من قُدِّمَ بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش، فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته، ففطن داود فسجد، فمكث اربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده، فلم أُحْصِ من الرقاشي الا هؤلاء الكلمات: رَبِّ زلَّ داود زَلَّةً أبعد ما بين المشرق والمغرب، إن لم ترحم ضَعْفَ داود وتغفر ذنبه، جَعَلْتَ ذنبه حديثا في الخلوف من بعده، فجاءه جبرائيل ﷺ من بعد الأربعين ليلة، فقال: يا داود إن الله قد غفر لك الهمَّ الذي هممتَ به، فقال داود: علمت أن الربّ قادر على أن يغفر لي الهمّ الذي هممتُ به، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال: يا رب دمي الذي عند داود، فقال جبرائيل ﷺ: ما سألت ربك عن ذلك، ولئن شئت لأفعلنّ، فقال: نعم، فعرج جبريل وسجد داود، فمكث ما شاء الله، ثم نزل فقال: قد سألت ربك عز وجل يا داود عن الذي ارسلتني فيه، فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول: هب لي دمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا »[٤١].

هذا الحديث الذي اورده الطبري في تفسيره، لم يعلق عليه بكلمة واحدة، مكتفيا بأن ذكر رجال الاسناد في رواية الحديث، ومنهم يزيد الرقاشي، والرقاشي ضعيف الحديث مردود الرواية عند علماء التفسير.

ويقول الحافظ ابن كثير: وقد ذكر بعض المفسرين أن داود عليه السلام مكث ساجدا أربعين يوما.. وورد في ذلك حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشي، وهو ضعيف متروك الرواية[٤٢].

وقال النسائي والحاكم في (يزيد الرقاشي): إنه متروك. وقال فيه ابن حبان: كان من خيار عباد الله، غفل عن حفظ الحديث، وشغل بالعبادة حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبي ﷺ، فلا تحل الرواية عنه[٤٣].

---

(٤١) تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ١٥٠ ـ ١٥١.
(٤٢) البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٤.
(٤٣) تهذيب التهذيب ١١ : ٣٠٩.

وقد اعتذر عدد من الباحثين عن الطبري في موقفه من الاسرائيليات وروايته الكثير منها . قال محب الدين الخطيب : إن مثل الطبري ومن في طبقته من العلماء الثقات المتثبتين في ايرادهم الأخبار الضعيفة ، كمثل رجال النيابة الآن ، اذا ارادوا أن يبحثوا في قضية فانهم يجمعون كل ما تصل اليه ايديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها ، مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه اعتمادا منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره ، وهكذا الطبري وكبار حملة الأخبار من سلفنا كانوا لا يفرطون في خبر مهما علموا من ضعف ناقله ، خشية أن يفوتهم بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحي ، الا انهم يروون كل خبر معزواً الى راويه ليعرف القارىء قوة الخبر من كون رواته ثقات ، أو ضعفه من كون رواته لا يوثق بهم ، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة ووضعوا بين أيدي القراء كل ما وصلت اليه أيديهم .

وكان اعتذار الباحثين ، لكون الطبري يذكر الاسناد كاملا ، فكأنه يبرىء نفسه من تبعة ما جاء في النص المروي ويترك العهدة على الراوي .

يقول الدكتور الذهبي : إن ابن جرير ، وان التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها الا انه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف ، لأنه كان يرى أن من أسند لك فقد حمّلك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح ، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة[٤٤] .

غير أن هذا العمل قد يكون مقبولاً في زمن كان مجرد ذكر راوي النص كافياً لمعرفة المتن ، قوته من ضعفه ، إلا أن الأمر اختلف فيما بعد ، فكان لا بد من تمحيص الرواية لبيان صدقها من كذبها ، وهو ما لم يفعله ابن جرير في الروايات المختلفة التي أوردها بشأن قصة داود عليه السلام ، وما شاب هذه الروايات من افتراء بحق النبي الكريم .

●●●

قصة داود عند الثعلبي

ذكر الثعلبي قصة مماثلة للقصة التي أوردها كل من مقاتل بن سليمان ، والطبري ، وجاءت عنده مروية عن السدى والكلبي ومقاتل عن أشياخهم ، وهؤلاء كلهم مردودو الرواية لا ثقة فيهم . واذا كنا نجد العذر للطبري في روايته للاسرائيليات لأنه يذكر إسنادها فان الثعلبي يتوسع الى حد كبير في ذكر الاسرائيليات بدون أن يتعقب شيئاً منها أو ينبه على ما فيه رغم استبعاده وغرابته ، كما أنه لم يتحرّ الصحة في كل ما ينقل من تفاسير السلف ، بل نجده ، كما قال السيوطي ، يكثر من الرواية عن السدّى الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[٤٥] ، وهذه هي سلسلة الكذب ، كما هو معروف عند المفسرين .

---

(٤٤) التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٢١٢ .
(٤٥) التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

ولعل من المفيد أن نذكر بعض آراء العلماء في الثعلبي حتى نقف على مبلغ ما في رواياته من بعد عن الصحة . فقد جرّ الثعلبي على نفسه وعلى تفسيره بسبب كثرة مروياته من الاسرائيليات ، وعدم الدقة في اختيار الأحاديث ، اللوم المرير والنقد اللاذع من بعض العلماء الذين لاحظوا هذا العيب على تفسيره ، فقال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير : والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل ، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع . وقال أيضاً في فتاواه ـ وقد سئل عن بعض كتب التفسير ـ : وأما الواحدي فانه تلميذ الثعلبي ، وهو أخبر منه بالعربية ، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع ، وإن ذكرها تقليداً لغيره ، وتفسيره وتفسير الواحدي (البسيط والوسيط والوجيز) فيها فوائد جليلة ، وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها[٤٦] .

وقال الكتاني في الرسالة المستطرفة عند الكلام عن الواحدي المفسر : ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث ، بل في تفسيرهما ـ وخصوصاً الثعلبي ـ أحاديث موضوعة وقصص باطلة[٤٧] .

ويقول عنه الدكتور الذهبي : والحق أن الثعلبي رجل قليل البضاعة في الحديث ، بل ولا أكون قاسياً عليه إذا قلت إنه لا يستطيع أن يميز الحديث الموضوع من غير الموضوع ، وإلا لما روى في تفسيره أحاديث الشيعة الموضوعة على عليّ وأهل البيت ، وغيرها من الأحاديث التي اشتهر وضعها ، وحذر العلماء من روايتها .. وليت الثعلبي أخرج لنا كتابه خالياً مما عاب عليه المفسرون ، اذاً لكان قد أراحنا وأراح الناس من هذا الخلط والخبط الذي لا يخلو منه موضع من كتابه[٤٨] .

إذن هذا هو الثعلبي ، حاطب ليل ـ كما يقول ابن تيمية ـ لا يتحرى الصحة والدقة في ما ينقل ، فجاءت مروياته من الاسرائيليات ـ ومنها قصة داود وامرأة أوريا ـ على النحو الذي ذكرها فيه في كتابيه التفسير ، وقصص الأنبياء المسمى العرائس .. فكيف بنا أن نصدق مثل هذه الروايات ، خاصة إذا كان رواتها فريقاً عرف عنهم الكذب والوضع مثل الكلبي والسدى الصغير ومقاتل .. بل لا يسعنا إلا أن نرفض مثل هذه الروايات ، لأنها تطعن في مقام الأنبياء صلوات الله عليهم ، وتجردهم من الفضل الذي خصهم به رب العزة سبحانه وتعالى ، فعصمهم من الانزلاق الى ما ذهب اليه ناقلو هذه الروايات الاسرائيلية .

واذا كانت قصة داود قد وردت عند بعض المفسرين على النحو الذي رأيناه فيما سبق ، فان معظم العلماء والمفسرين الآخرين ردوا ما ذهب اليه اولئك المفسرون ، ولم يقفوا عند مجرد سرد الرواية ، بل فنّدوا ما جاء فيها ورفضوه ، بل واستنكف كثير منهم عن ذكر القصة ، واكتفى بالاشارة اليها ورفض ما حوته من إفك بحق

---

(٤٦) نفس المرجع ، ص ٢٣٣ .

(٤٧) نفس المرجع والصفحة .

(٤٨) نفس المرجع ، ص ٢٣٤ .

داود عليه السلام . وقد ذكرنا عند تفسير الآيات طائفة من آراء هؤلاء العلماء برفض رواية الإفك ،وسنأتي الآن على آراء علماء آخرين استكمالاً لهذا الأمر وبيان ما في تلك الرواية من ضلال .

رأي البيضاوي :

يرفض البيضاوي أيضاً الروايات الاسرائيلية التي ذهب اليها بعض المفسرين في قصة داود ، ويعلق قائلًا : وأقصى ما في هذه القضية الاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام ودّ أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب عنه .

وما روى أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ، إن صحَّ فلعله خطب مخطوبته ، أو استنزله زوجته ، وكان ذلك معتاداً فيها بينهم ، وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى .

ويضيف قائلًا : وما قيل إنه أرسل أوريا الى الجهاد مراراً وأمر أن يقدم حتى قتل فتزوجها ، هزؤ وافتراء ، ولذلك قال علي رضي الله عنه : « من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين » . أ هـ(٤٩) .

رأي النسفي :

يرد النسفي الروايات الاسرائيلية التي تمس عصمة الأنبياء ، وينبه على عدم صحتها ... ففيما يتعلق بقصة داود ، نراه ـ بعد أن يذكر من الروايات ما لا يتنافى وعصمة داود عليه السلام ـ يقول : وما يحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا الى غزوة البلقاء ، وأحب أن يقتل ليتزوجها ، فلا يليق من المتّسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلًا عن بعض أعلام الأنبياء(٥٠) .. ثم يورد حديث علي بن أبي طالب وحديث عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما في هذا المقام ، وقد ذكرناهما فيما سبق ، فلا داعي للتكرار .

رأي الخـــازن :

أما الخازن فمعروف عنه أنه يكثر من ذكر القصص الاسرائيلي ويتوسع فيه ، وكثيراً ما ينقل ما جاء من ذلك عن بعض التفاسير التي تعنى بهذه الناحية كتفسير الثعلبي وغيره ، وهو في الغالب لا يعقب على ما يذكر من القصص الاسرائيلي ، إلا نادراً . وفي قصة داود فانه يورد الروايات الاسرائيلية الغريبة ، غير أنه يعقبها بفصل في تنزيه داود عليه السلام ، يفند فيه كل ما ذكره مما يتنافى مع عصمة النبي الكريم .

ويبدأ كلامه في هذه القصة بقوله : واختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب ذلك ـ أي قصة امتحان داود ـ

---

(٤٩) تفسير البيضاوي ، ص ٤٧٧ .

(٥٠) تفسير النسفي ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

وسأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه ﷺ ، لأن منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها ، فلا ينسب اليها الا ما يليق بها .

ثم يسوق قصصاً أشبه ما يكون بالخرافة ، كقصة الشيطان الذي تمثل لداود في صورة حمامة من ذهب ، فيها من كل لون حسن ، وجناحاها من الدر والزبرجد ، فطارت ثم وقعت بين رجليه وألهته عن صلاته ... وقصة المرأة التي وقع بصره عليها فأعجبه جمالها ، فاحتال على زوجها حتى قتل رجاء أن تسلم له هذه المرأة التي فتن بها وشغف بحبها ... وغير ذلك من الروايات العجيبة الغريبة .

إلا أنه يورد في نهاية القصة فصلاً يرد فيه تلك الروايات . يقول الخازن : « فصل في تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب اليه » . يقول : اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته ، وأكرمه برسالته ، وشرفه على كثير من خلقه ، وائتمنه على وحيه ، وجعله واسطة بينه وبين خلقه ، لا يليق أن ينسب اليه ما لو نسب الى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه ، فكيف يجوز أن ينسب الى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ذلك[٥١] .

رأي أبي حيـــان[٥٢] :

يرفض أبو حيان في تفسيره المسمى « البحر المحيط » الروايات التي تقدح في عصمة الأنبياء . ولقد أحسن أبو حيان وأجاد في الرد على الاسرائيليات المتعلقة بداود عليه السلام ، حيث يقول :

ويعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا ، لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة ، إنا لو جوّزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به اليهم ، فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما أراده الله تعالى ، وما حكى القصاص مما فيه غضّ من منصب النبوة طرحناه ؛ ونحن كما قال الشاعر :

ونـؤثـر حكـم العـقـل في كـل شـبـهـة ... إذا آثـر الأخـبـار جـلّاس قـصـاص[٥٣]

رأى ابن كثير :

يمتاز الحافظ ابن كثير في تفسيره المسمى (تفسير القرآن العظيم) وتاريخه المسمى (البداية والنهاية) بأنه ينبه على بُطلان كثير من منكرات الاسرائيليات وغرائبها وكيف تسربت الى الاسلام . وهو يتجنب الجانب القصصي الخرافي ، وما يذكره من ذلك ينبه الى أنه من الاسرائيليات التي لا أصل لها ... وكذلك فانه حين يفسر

---

(٥١) لباب التأويل في معاني التزيل للخازن ، ج ٤ ، ص ٣٣ ـ ٣٥ .

(٥٢) هو أثير الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي ، الغرناطي ، الشهير بأبي حيان . ولد سنة ٦٥٤هـ وتوفي بمصر سنة ٧٤٥هـ .

(٥٣) تفسير القرطبي ، ج ١٥ ، هامش ـ ص ١٦٦ .

يتوخى في تفسيره الصحيح ، وما يذكره من العليل ينقده ويكشف عن مواطن الضعف فيه ، وما يرويه من اسرائيليات يكشف عن زيفه وفساده ، ويحذر منه أبلغ التحذير[٥٤] .

لذلك فان ابن كثير عندما جاء على تفسير الآيات المتعلقة بابتلاء داود في سورة (ص) ، واطلع على الروايات التي خاض فيها المفسرون ونالوا من عصمة النبوة عند داود ، رفض تلك الروايات وعدّها من الاسرائيليات ونقد رواتها وضعّفهم ، وبذلك أبطل روايتهم .

يقول ابن كثير في التعليق على ذلك القصص :

قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ، ويزيد ـ وان كان من الصالحين ـ لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وان يرد علمها الى الله عز وجل . فان القرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضاً . أ هـ[٥٥] .

رأي أبي السعود[٥٦] :

يعتبر أبو السعود من المقلّين في سرد الاسرائيليات ، فهو غير مولع بذكرها ، وان ذكرها أحياناً فانه لا يذكرها على سبيل الجزم بها ، والقطع بصحتها ، بل يصدر ذكر الرواية بقوله : روى ، أو قيل ، مما يشعر بضعفها ، وان كان لا يعقب عليها بعد ذلك ، ولعله يكتفي بهذه الاشارة[٥٧] .

وفيما يتعلق بقصة داود ، فان أبا السعود يرفض الروايات التي تنسب اليه الكبيرة ، غير أنه يقول : وأصل القصة أن داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أوريا فمال قلبه اليها فسأله أن يطلقها فاستحيى أن يرده ، ففعل ، فتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام . وكان ذلك جائزاً في شريعته معتاداً فيما بين أمته غير مخل بالمروءة ، حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته . وقد كان الأنصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير ، خلا أنه عليه الصلاة والسلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلوّ شأنه نبّه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلاً ليس له الا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه ، بل كان يجب عليه أن يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به .

---

(٥٤) الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٥٥) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣١ .

(٥٦) هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي المولود سنة ٨٩٣هـ بقرية قريبة من القسطنطينية ، وتوفي سنة ٩٨٢هـ ، كما جاء في (التفسير والمفسرون ج ١ ، ص ٣٤٦) وذكر على غلاف تفسيره أنه توفي سنة ٩٥١هـ .

(٥٧) التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

ثم يورد رواية أخرى بصيغة التضعيف فيقول :

وقيل لم يكن أوريا تزوجها بل كان خطبها ، ثم خطبها داود عليه السلام فآثره عليه السلام أهلها ، فكان ذنبه عليه الصلاة والسلام أن خطب على خطبة أخيه المسلم .

أما الذين ينسبون الكبيرة لداود فقد رد روايتهم قائلاً :

« إنها إفك مبتدع مكروه ، ومكر مخترع بئسما مكروه تمجّه الأسماع وتنفر منه الطباع ، وَيْلٌ لمن ابتدعه وأشاعه ، وتباً لمن اخترعه وأذاعه[٥٨] » .

●●●

رأي الآلوسي[٥٩] :

تفسير الآلوسي المسمى (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) من أشد الكتب نقدا للاسرائيليات ، وعيبا على من توسعوا في أخذها وحشوا بها تفاسيرهم . وهو حين ينقد الاسرائيليات ، تارة ينقدها بنفسه مع سخرية منه أحيانا بهذه المرويات ورواتها بإشارات لطيفة ، وتلميحات طريفة لا تخرج به عن دائرة الأدب الذي يجب أن يتحلى به العلماء ، وتارة أخرى نجد الآلوسي ينقل في تفسيره ما روى غيره من الاسرائيليات ، ثم ينقل ما قاله غيره من المفسرين في نقدها ، كابن كثير ، وأبي حيان .

ويسمّى الآلوسي أصحاب الاسرائيليات بـ (أرباب الأخبار) ولا يثق بهؤلاء الاخباريين ، ويرفض قبول رواياتهم ، ويتمنى لو لم ترد في كتب الاسلاميين ، حيث يقول في معرض تفنيده لقصة من هذه القصص التي أوردها : (وياليت كتب الاسلام لم تشتمل على هذه الخرافات التي لا يصدقها العاقل ، لأنها أضغاث أحلام)[٦٠] .

وينكر الآلوسي كل الانكار على من يروى من أباطيل الاسرائيليات ما يخل بمقام النبوة أو يذهب بعصمة الأنبياء عليهم السلام .

لذلك نراه يورد ما قيل في تفسير الآيات المتعلقة بقصة داود ، ويعقب على ذلك بقوله : (والمقبول من هذه الأقوال ما بعد عن الإخلال بمنصب النبوة ، وللقصاص كلام مشهور لا يكاد يصح ، لما فيه من مزيد الإخلال بمنصبه عليه السلام ، ولذا قال علي كرم الله وجهه : من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص ، جلدته مائة وستين جلدة ، وذلك حدّ الفرية على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين) .

---

(٥٨) تفسير أبي السعود ، المسمى إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، الجزء السابع ، بيروت ، ص ٢٢٢ .
(٥٩) هو أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ، ولد في بغداد سنة ١٢١٧ هـ ، وتوفي بها سنة ١٢٧٠هـ .
(٦٠) الاسرائيليات للذهبي ، ص ١٣٧ ، ١٣٩ .

ثم يذكر ما ذهب إليه أبو حيان في تفسيره فقال : « وقال أبو حيان : الذي أذهب إليه مادل عليه ظاهر الآية ، من أن المتسوّرين المحراب كانوا من الإنس ، دخلوا عليه من غير المدخل ، وفي غير وقت جلوسه للحكم ، وأنه فزع منهم ظانا أنهم يغتالونه إذ كان منفردا في محرابه لعبادة ربه عز وجل ، فلما اتضح له أنهم جاءوا في حكومة ، وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قصّ الله تعالى ، وأن داود عليه السلام ظنّ دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة ـ ابتلاء من الله تعالى له ـ ان يغتالوه ، فلم يقع ما كان ظنه ، فاستغفر من ذلك الظن حيث أخلف ولم يكن ليقع مظنونه ، وخرّ ساجدا ، ورجع الى الله تعالى ، وأنه تعالى غفر له ذلك الظن ، فانه عز وجل قال : « فغفرنا له ذلك » ولم يتقدم سوى قوله : « وظن داود أنما فتناه » ونعلم قطعا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا ، لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة ، إنا لو جوّزنا عليهم شيئا من ذلك بطلت الشرائع ، ولم يوثق بشيء مما يذكرون أنه وحي من الله تعالى . فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما أراده الله تعالى ، وما حكى القصاص مما فيه نقص لمنصب الرسالة طرحناه » .[61]

وبعد ... فهذه هي الصورة التي ارتضاها مروّجو الروايات الاسرائيلية ومن شايعهم من المفسرين ، لنبي الله داود ، أولئك المفسرين الذين قبلوا أن تتضمن تفاسيرهم ذلك القدح في نبي من أنبياء الله المرسلين ، نافين عنه عصمة النبوة ، دون أن يردوا هذه الروايات الباطلة ، أمثال مقاتل بن سليمان ، والثعلبي وغيرهما .. وقد مر معنا في الفصل الأول من الباب الأول من هذه الدراسة ، الصورة التي رسمتها أيدى كتبة العهد القديم الحالى لداود عليه السلام ، وبإلقاء نظرة بسيطة على ما جاء في العهد القديم بحقه وعلى ما جاء في إسرائيليات التفاسير أيضا ، فإننا لا نجد اختلافا كبيرا بين الروايتين ، اللهم أن رواية العهد القديم جلعت داود زانيا ، بينما الرواية الاسرائيلية في التفاسير لطفت هذه الصفة وجعلته يسعى في قتل أوريا ليظفر بامرأته زوجة له ، بعد أن عشقها وهام في حبها .

إلا أن هذه الفرية بحق نبي كريم لم يغفل عنها المحققون من المفسرين ، فتصدوا للرد عليها وعلى رواتها ، مفندين مزاعمهم الباطلة ، ومنكراتهم الخبيثة .. وقد أوردنا رد ود هؤلاء العلماء الأجلاء ، مبطلين ما تأوله بعض المفسرين من تأويل بارد يوافق الأساطير ، وينجرف مع رواة الأخبار والقصص التي تفيض بالغرائب والعجائب والاسرائيليات المنكرة التي كانوا ينقلونها تلبية لرغبات العامة واشباعا لفضولهم .

وقد تبين لنا أن العلماء المحققين الموثوقين ، رفضوا تلك الاسرائيليات للأسباب التالية :ـ

١) أن ما جاء في شأن داود عليه السلام في هذه السورة ، إنما جاء في قالب المدح ، فقبل ذكر القصة أثنى الله سبحانه وتعالى على داود بأن أمر الله نبيه محمداً (ص) بأن يقتدى به في الصبر على الشدائد ، إذ يقول : « اصبر

---

(٦١) تفسير الآلوسي ، ج ٢٣ ، ص ١٦٧ ؛ انظر الاسرائيليات للذهبي ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ .

على ما يقولون واذكر عبدنا داود » . كما وصفه بأوصاف تدخل كلها في باب المدح ، كقوله : « ذا الأيد » و « أواب » .

٢) أن الله سبحانه وتعالى سخر له الجبال والطير تسبح بتسبيحه ، يقول تعالى : « إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ، والطير محشورة كل له أواب » .

٣) أن الله عز وجل شدد ملكه ومنحه أفضالا كثيرة منها إتيانه الحكمة وفصل الخطاب . يقول : « وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » . وما كان الله سبحانه وتعالى يسخر له الجبال والطير ، ويمنحه هذه النعم التي لم يمنحها أحدا غيره ، لو كان سادرا في أهوائه ، عبدا لشهواته ، متصفا بالغدر من أجل الفوز بامرأة واحد من رعاياه ، وهي صفات المارقين الفاسقين ، لا صفات الأنبياء المرسلين المعصومين عن مثل هذه الخطايا .

٤) وبعد القصة ، يقول الله تعالى عنه : « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » ومن كانت له الزلفى والقربى الى الله ، فإن عين الله الساهرة ترعاه وتقود خطاه ، ومحال ان ينصرف الى ما يغضب الله .

٥) وبعد القصة أيضا ، ماذا كانت مكانة داود عند ربه ، يقول رب العزة : « ياداود إنـا جعلناك خليفـة في الأرض » . سبحان الله العظيم .. هل يجعل خليفته في الأرض فاسقا قاتلا ، وهو الذي كانت يد الله معه تشد من أزره وتقيه الوقوع في المخاطر والأخطاء ، فكان يسوس ملكه بالحكمة . إن ذلك لا يجوز ولا يعقل أن يستخلفه الله ويجعله قدوة لعباده ، بينما هو غير قادر على ضبط نفسه وشهواته ، فلو اتصف به ، واحد من أفناء الناس لكان منكرا ، فكيف الحال اذا كان نبيا مرسلا من أكابر الأنبياء ؟ !

٦) إننا نؤمن بأن الأنبياء عليهم السلام معصومون ، وقد نص المحدثون على أن كل خبر ينقض أصلا قطعيا من أصول الدين فهو موضوع قطعا ولا تجوز روايته ، ولما كانت هذه الأسطورة مناقضة لعصمة الأنبياء التي هي من أصول الدين القطعية فهي باطلة بلا مراء . ويحسن بنا أن ننهي هذا الموضوع بما قاله رب العزة في حق الرسل : « إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ، وإنهم عندنا لمن المُصْطَفَيْنَ الأخيار » .[٦٢]

وهذا القول الكريم بحق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ينـافي وصفهم بالإقـدام على الكبـائر والفواحش والمنكرات .

٣ ـ ومن الاسرائيليات التي ذكرها المفسرون في شأن داود عليه السلام ، ما يروى انه سجد لله تعالى ـ بعد ابتلائه بامرأة أوريا ـ أربعين ليلة وبكى حتى نبت العشب من دموع عينيه ، ثم زفر زفرة هاج لها ذلك النبات ، وقد وردت هذه الروايات في تفسير الطبرى وغيره من المفسرين الذين أكثروا من ذكر الروايات الاسرائيلية كالثعلبي ، وأوردناها في مكانها عند تفسير الآيات .

---

(٦٢) ص : ٤٦ ـ ٤٧ .

يقول الدكتور الذهبي معلقا على هذه الرواية إنها من الاسرائيليات التي تصور الاسلام في صورة دين خرافي يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها ، وكلها نسيج عقول ضالة ، وخيالات جماعات مضللة .(٦٣)

٤ ـ ومن الاسرائيليات أيضا ما جاء في تفسير القرطبي بشأن داود ، فبعد ابتلائه وسجوده قيل له : ياداود ارفع رأسك ، فذهب ليرفع رأسه فإذا به قد نشب في الأرض ، فأتاه جبريل فاقتلعه عن وجه الأرض كما يقتلع من الشجرة صمغها . قال القرطبي : رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن عطاء ، قال الوليد : وأخبرني منير بن الزبير ، قال :

فلزق مواضع مساجده على الأرض من فروة وجهه ماشاء الله .(٦٤)

واضح من هذه الرواية التكلف الظاهر فيها ، والمبالغة الممجوجة التي لا يرتضيها عقل ولا منطق .. ونستطيع أن نقول فيها أيضا إنها من الاسرائيليات التي تسيء الى نقاء الاسلام وصفائه ، وتصوره كدين خرافي يعنى بالأساطير ، والاسلام بريء من كل ذلك .

٥ ـ ومن الاسرائيليات أيضا ما جاء في بعض الروايات عن حسن صوت داود ، والتأثير الذى كان يتركه فيمن حوله اذا ترنم بقراءة كتابه (الزبور) ، فقد بالغت تلك الروايات وأوردت بهذا الشأن ما يرفضه العقل .

جاء في البداية والنهاية لابن كثير مايلي : قال الأوزاعي : حدثني عبد الله بن عامر قال : أعطى داود من حسن الصوت مالم يعط أحد قط ، حتى كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعا وحتى إن الأنهار لتقف . وقال وهب بن منبه : كان لا يسمعه أحد إلا حجل كهيئة الرقص ، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله ، فيعكف الجن والانس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعا . وقال أبو عوانة الاسفراييني : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن منصور الطوسي : سمعت صبيحا : أنبأنا برادح ، قال ابو عوانة : وحدثني ابو العباس المدني : حدثنا محمد بن صالح العدوى : حدثنا سيار هو ابن حاتم عن جعفر عن مالك قال : كان داود عليه السلام اذا أخذ في قراءة الزبور تفتقت العذارى .(٦٥)

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية أن الوحوش كانت تترك مرابضها للاستماع اليه ، وكذلك كان الماء يقف عن الجريان وينزل الطير من السماء . وكان الناس يتبعونه الى الفلوات ذاهلين عن مأكلهم ومشربهم أياما . كما كان كثير من المستمعين اليه يموتون وهم على هذه الحالة من الوجد . وقد مات في مناسبة من هذه المناسبات ٧٠٠ عذراء و ١٢٠٠٠ رجل .(٦٦)

---

(٦٣) الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ٣٣ .

(٦٤) تفسير القرطبي ، ج ١٥ ، ص ١٨٥ .

(٦٥) البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ١١ .

(٦٦) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد التاسع ، ص ١٢٣ .

ولا يخفى على كل ذى عقل ما في هذه الروايات من مبالغة وتكلف اشتهر بها القصاصون الذين كانوا يسارعون الى تلبية نهم العامة في سرد الأخبار والقصص المبالغ فيها ، فدخل كل ذلك في التفاسير وهو من الاسرائيليات المنكرة . ومع أننا لا ننكر ما كان يتمتع به داود عليه السلام من صوت حسن ، اذ ورد فيه أحاديث مرفوعة ، الا أننا لا نقبل الروايات التي تقول إن ممن كان يستمع اليه من كان يموت عطشا وجوعا ، وأن الأنهار كانت تقف عن الجريان ، أوما روى عن وهب بن منبه أنه لم يسمعه أحد إلا أخذ يحجل ويرقص ، فهذه الروايات يرفضها العقل ، كما لم يأت فيها حديث صحت روايته عن الرسول (ص) . ويأتي في قمة الاسرائيليات المنكرة ما روى عن تفتق العذارى عند سماعهن صوته ! ما هذا الهراء .. وكيف لنا أن نصدق هذه الرواية .. إذ كيف عرف راويها بحصول ذلك ؟ . إنه افتراء مرفوض لا يقبله عقل أو منطق .

لذلك فإن الحافظ ابن كثير يرفض هذه الرواية ويعلق عليها بقوله : (وهذا غريب) .(٦٧)

●●●

ثانيا : الاسرائيليات حول سليمان عليه السلام :

أما سليمان عليه السلام فقد خاضت الاسرائيليات في شأنه ، وتقولت عليه ونسبت في قصصه من المنكرات مالم تفعله في شأن أى نبي آخر من أنبياء الله المرسلين . وسنأتي على ذكر هذه الروايات الاسرائيلية وتفنيدها فيما يلي :

١ ـ يقول الله تعالى في سورة البقرة : « واتَّبعوا ماتَتْلوا الشياطينُ على مُلْكِ سليمانَ وما كفرَ سليمانُ ولكنَّ الشياطِينَ كفروا ، يُعَلِّمون الناسَ السحرَ وما أُنزِلَ على المَلَكيْنِ ببابلَ هاروتَ وماروتَ ، وما يُعَلِّمانِ من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تَكفرْ ، فيتعلّمون منهما ما يُفَرِّقون به بين المرءِ وزوجِه ، وما هم بضارّينَ به من أحدٍ إلّا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم ، ولقد عَلِموا لَمَنِ اشتراه مالَهُ في الآخرةِ من خَلَاق ، ولَبِئْسَ ما شَرَوْا به أنفُسَهم لو كانوا يَعْلَمون » .(٦٨)

اتفق المفسرون على أن هذه الآية الكريمة نزلت في تقريع اليهود الذين نبذوا كتاب الله المنزل اليهم وهو التوراة ، نبذوه وراء ظهورهم وجحدوه وتركوا العمل به ... لماذا ؟ لأنهم قوم مكابرون ، فقد وجدوا فيه ما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، كما وجدوا فيه نعته وصفته وما يتبع ذلك من الايمان به وبالكتاب المنزل عليه وهو القرآن الكريم . ولكنهم ، لمكابرتهم وبرغم علمهم بصحة نبوة محمد (ص) ، جحدوا ما يعلمون أنه الحق

---

(٦٧) البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ١١ .
(٦٨) البقرة : ١٠٢ .

من ربهم ، ولجأوا الى الأساطير الغامضة والسحر الذى كانت تقصه الشياطين عن عهد سليمان ، وما كانوا يضللون الناس به من دعاوى مكذوبة عن سليمان عليه السلام ، من أنه كان ساحرا ، وأنه كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر الذى كان يعلمه ويستخدمه .

وقد أوردنا تفسير ما تضمنته الآية فيما سبق ، إلا أن المفسرين ذكروا في تفاسيرهم من التأويلات ما يذهب بعصمة الملائكة عليهم السلام كما ذكروا روايات يرفضها العقل والمنطق أيضا ، مما نعتبره من الاسرائيليات التى دخلت كتب التفسير عن طريق أولئك الذين كانوا مولعين بمثل هذه الروايات .

ومن ذلك ما جاء في التفاسير بشأن الملكين هاروت وماروت ، فقد ذكر الطبرى والثعلبى بأسانيدهما رواية مفادها أن الله أفرج السماء لملائكته ينظرون الى أعمال بنى آدم ، فلما أبصروهم يعملون الخطايا ، قالوا : يارب هؤلاء بنو آدم الذى خلقته بيدك ، وأسجدت له ملائكتك ، وعلمته أسماء كل شىء ، يعملون الخطايا . قال : أما إنكم لو كنتم مكانهم لعملتهم مثل أعمالهم ، قالوا : سبحانك ما كان ينبغى لنا ، قال : فأمروا أن يختاروا من يهبط الى الأرض ، قال : فاختاروا هاروت وماروت ، فأهبطا الى الأرض ، وأحل لهما مافيها من شىء غير أن لا يشركا بالله شيئا ، ولا يسرقا ، ولا يزنيا ، ولا يشربا الخمر ، ولا يقتلا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، قال : فما استمرا حتى عرض لهما امرأة قد قسم لها نصف الحسن ، يقال لها (بيذخت) فلما أبصراها أرادا بها زنا ، فقالت : لا إلّا أن تشركا بالله وتشربا الخمر وتقتلا النفس وتسجدا لهذا الصنم ، فقالا : ما كنا لنشرك بالله شيئاً ، فقال أحدهما للآخر : ارجع اليها ، فقالت : لا إلّا أن تشربا الخمر ، فشربا حتى ثملا ، ودخل عليهما سائل فقتلاه ، فلما وقعا فيما وقعا فيه من الشر ، أفرج الله السماء لملائكته ، فقالوا : سبحانك كنت أعلم » قال : فأوحى الله الى سليمان بن داود أن يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ، فكُبِّلا من أكعبهما الى أعناقهما وجُعِلا ببابل .

وجاء في رواية أخرى أن المرأة كانت من أجمل النساء من أهل فارس واسمها الزهرة ، فراودها المَلَكان فأبت إلا أن يخبراها بالآية التى يصعدان بها الى السماء ، فعلّماها ، فتكلمت بها فصعدت الى السماء ، فمسخها الله كوكبا .

وتذكر هذه الرواية أن عليا كرم الله وجهه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا رأى سهيلا قال : « لَعَن الله سهيلا كان عَشّارا باليمن ، ولَعَن الله الزهرة فإنها فَتَنَتْ مَلَكين » .(٦٩)

وعلى الرغم من أن الطبرى لم يعلق ولو بكلمة واحدة على هذه الروايات مكتفيا بذكر سلسلة الإسناد في رواية المتن ، ومع أن ذلك غير مقبول عند المحققين الموثوق بهم ، لما يتركه ذلك من ضرر على عقول العامة ، إلا

---

(٦٩) تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٤٥٦ ـ ٤٥٨ ؛ تفسير الثعلبي ، ج ١ ، ورقة ٩٠ ؛ القرطبي ، ج ٢ ، ص ٥١ ـ ٥٢ .

أنه أقل ضررا من الأثر الذى تتركه روايات مفسرين آخرين أسقطوا من حساباتهم أمر الإسناد ، واسترسلوا في رواية الاسرائيليات في تفاسيرهم .

مثلا فإن هذه الحكاية الاسرائيلية الكاذبة لم يقف بها الثعلبى عند قائليها فقط ، بل تعداهم بأن رفعها الى النبى (ص) بقصد تأييد هذه الفرية وتثبيتها عند سامعيها . والقصة كلها مكذوبة مختلقة سواء الموقوف منها أو المرفوع .

على أن هذا القصص الذى أُغرم به الإخباريون والمولعون بنقل الاسرائيليات ورواياتها ، تسرب الى كثير من التفاسير غير تفسير الثعلبى . وقد ردّ هذه القصة وحكم بانها موضوعة ، وانها من الاسرائيليات المنكرة ، كثير من المفسرين والمحققين لأنها تمسّ عصمة الملائكة عليهم السلام .

وسنورد فيما يلى ماقاله بعض هؤلاء العلماء في هذا الشأن .

القاضى عياض :

يعلق القاضى عياض في الشفاء على حكاية هاروت وماروت فيقول : إن ماذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت ، وماروى عن على وابن عباس رضى الله عنهما في خبرهما وابتلائهما ، فاعلم أن هذه الاخبار لم يرد فيها سقيم ولا صحيح عن رسول الله(ص) ، وليس هو شيئا يؤخذ بقياس ، والذى منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه ، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف ، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم ، كما نص الله تعالى أول الآيات .[٧٠]

وقال الشهاب العراقى : إن من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما ، فهو كافر بالله العظيم .[٧١]

الفخر الرازى :

يرفض الامام فخر الدين الرازى ما نسب الى الملكين هاروت وماروت من ارتكاب المعاصي بالفحش مع الزهرة وشرب الخمر وقتل النفس ، فبعد أن يورد القصة يقول : اعلم أن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة ، لأنه ليس في كتاب الله ما يدل على ذلك ، بل فيه ما يبطلها من وجوه :

الأول :

ما تقدم من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة عن كل المعاصى .

---

(٧٠) الشفاء للقاضي عياض ، ج ٢ ، ص ١٧٠ ، عن زاد المسير ، ج ١ ، هامش ص ١٢٥ .
(٧١) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٣٤١ .

الثانى :

أن قولهم إنهما خيّرا بين عذاب الدنيا وبين عذاب الآخرة فاسد ، بل كان الأولى أن يخيّرا بين التوبة والعذاب ، لأن الله تعالى خيّر بينهما من أشرك به طول عمره ، فكيف يبخل عليهما بذلك ... ؟

الثالث :

أن من أعجب الأمور قولهم إنهما يعلمان السحر في حال كونهما معذبين ويدعوان إليه وهما يعاقبان ! فظهر بذلك فساد هذا القول .[72]

القرطبى :

كذلك فإن القرطبى ينقض هذه الرواية الاسرائيلية التى تنال من منزلة الملائكة لأنهم سفراء الله الى رسله وأمناء على وحيه ، فلا يليق بهم مثل هذه الروايات المنكرة .. ثم يذكر حكاية الزهرة مع الملكين فيقول : هذا كله ضعيف لا يصح من شيء ، فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه « لا يَعْصُون اللهَ ما أمَرَهُم ويَفْعَلون ما يؤمَرون » .. « بل عباد مُكْرَمُون لا يَسبقونه بالقولِ وهم بأمْرِه يعملون » .. « يُسَبِّحونَ الليلَ والنهارَ لا يَفْتَرُون » .

ويضيف القرطبى : ومما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء ، ففى الخبر : « أن السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دَوَّارة : زُحَل ، والمُشْتَرِى ، وبَهْـرام ، وعُطَارد ، والزُّهَرة ، والشمس ، والقمر » . وهذا معنى قول الله تعالى « وكلٌ في فَلَكٍ يَسْبَحون .. » فثبت بهذا أن الزهرة وسُهَيْلا قد كانا قبل خلق آدم ، ثم إن قول الملائكة : « ما كان ينبغى لنا » تقديره : لا تقدر على فتنتنا ، وهذا كفر نعوذ بالله منه ومن نسبته الى الملائكة الكرام صلوات الله عليهم أجمعين ، وقد نزّهناهم وهم المنزهون عن كل ماذكره ونقله المفسرون ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون .[73]

البيضاوى :

ويعتبر الامام البيضاوى ماقيل في المَلَكين ، من الاسرائيليات التى ولَّدها وحكاها اليهود .. لذلك فهو يقول : ماروى عن الملكين أنهما مثّلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة .. الى آخر القصة .. فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الأوائل ، وحلّه لا يخفى على ذوى البصائر .[74]

---

(٧٢) تفسير الرازي ، ج ٣ ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٧٣) تفسير القرطبي ، ج ٢ ، ص ٥١ ـ ٥٢ .

(٧٤) البيضاوي ، ص ٤٠ .

الخازن :

ويعلق الخازن على الروايات المتعلقة بهاروت وماروت ، وبعد أن يذكر تلك الروايات ، ينفي عنهما ارتكاب المعاصي ، ويخصص فصلا في عصمة الملائكة يقول فيه : « أجمع المسلمون على أن الملائكة معصومون فضلاء ، واتفق أئمة المسلمين على أن حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل ، وفي كل شيء ثبتت فيه عصمة الأنبياء فكذلك الملائكة ، وإنهم مع الأنبياء في التبليغ اليهم كالأنبياء مع أممهم .. »

ثم يشير الى قصة المَلَكين بقوله : وهذه الأخبار إنما أخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على الملائكة والأنبياء ، وقد ذكر الله عز وجل في هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان أولا ، ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا .

ويختتم الخازن تعليقه بقوله : الأولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم .[٧٥]

ابن كثير :

يذكر الحافظ ابن كثير معظم الروايات بشأن هاروت وماروت والزهرة ، تلك الروايات التى جاءت في تفسير الطبرى وغيره .. ولا يترك هذه الروايات تمر دون تمحيص وتدقيق في متنها وإسنادها .. فمثلا عندما يذكر ماروى عن الملكين يعلق على ذلك بقوله : وهذا الإسناد رجاله ثقات ، وهو غريب جدا . ثم يذكر الحديث المرفوع الى النبى (ص) عن علي بن أبي طالب ، ويعلق عليه بقوله : وهذا لا يصح ، وهو منكر جدا .[٧٦]

ويعلق على الرواية التي تقول إن الزهرة نزلت في صورة امرأة حسناء فيقول : فيه غرابة جدا .[٧٧]

ثم بيّن الحافظ ابن كثير أن أصل هذه الحكاية في مجملها خرافة إسرائيلية منشأها كعب الأحبار وغيره من علماء أهل الكتاب . قال ابن كثير في تاريخه « البداية والنهاية » : وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراوداها عن نفسها فأبت .. فهذا أظنه من وضع الاسرائيليين ، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار ، وتلقاه عنه طائفة من السلف ، فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني اسرائيل .

وبذلك ينفي ابن كثير أن يكون في القصة شيء من ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ذكره مرفوعا فمما لا شك فيه أنه توهم الرفع فأخطأ القصد .

---

(٧٥) تفسير الخازن ، ج ١ ، ص ٧١ .
(٧٦) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٣٩ .
(٧٧) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

كما أن ابن كثير يبطل هذه الروايات ويرفضها ، ويقول معلقا على ذلك في التفسير : وقد روى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدى والحسن البصرى وقتادة وأبى العالية والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حبان وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع في تفصيلها الى أخبار بني اسرائيل ، اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال .(٧٨)

الامام أبو السعود :

يرفض أبو السعود ماجاء في الرواية المتعلقة بالملكين هاروت وماروت والزهرة ، ويعتبرها من الاسرائيليات التي رواها اليهود . يقول أبو السعود : وأما ما يحكى من أن الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيّروهم ... ثم يورد القصة بتمامها ويعلق قائلا : فمما لا تعويل عليه ، لما أن مداره رواية اليهود مع مافيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل ، ولعله من مقولة الأمثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الأريب بالترغيب والترهيب .(٧٩)

الآلوسي :

أما الآلوسى فانه يتشدد في موضوع الاسرائيليات ، ويشدد النكير على رواتها ، وفي قصة هاروت وماروت فانه يبطل هذه الحكاية الاسرائيلية ، إلا أنه يجعلها من باب الرمز والإشارة . فبعد أن يذكر القصة بحذافيرها ، فإنه ينكرها ويذكر من أنكرها من العلماء ثم يقول : ولعل ذلك من باب الرموز والإشارات . ومن قال بصحة هذه القصة في نفس الأمر وحملها على ظاهرها فقد ركب شططا ، وقال غلطا ، وفتح بابا من السحر يضحك الموتى ويبكى الأحياء ، وينكس راية الاسلام ، ويرفع رؤوس الكفرة الطغام ، كما لا يخفى ذلك على المنصفين من العلماء المحققين .(٨٠)

وعلى الرغم من أن الآلوسى ردّ رواية بعض المفسرين بشأن الملكين وأبطلها ، إلا أنه ذهب بعيدا ـ على ما نعتقد ـ في تأويله الرمزى لهذه القصة . لذلك نرى الدكتور الذهبى يعلق على رأى الآلوسى بقوله : « ولعله

---

(٧٨) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٧٩) تفسير ابي المسعود ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

(٨٠) تفسير الآلوسي ، ج ٦ ، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ . عن الاسرائيليات للذهبي ، ص ١٤٣ .

أدخل في باب الشطط وقول الغلط ، أن تكون القصة لا أصل لها ، ثم تكلف تخريجها على ضرب من الرمز والإشارة » .[81]

وبعد ، فقد تبين لنا مما سبق ومما جاء في هذه الآية الكريمة أن اليهود منذ القديم أرادوا أن يشوهوا صورة النبى الكريم سليمان عليه السلام ، فلم يكتفوا بأن أنكروا نبوته وعدّوه ملكا من جملة الملوك في الدنيا لا أكثر ، بل وصموه بالسحر وبأنه كان ساحرا ، وزعموا أن ملكه وما تأتّى له من تسخير الإنس والجن والطير والريح ، إنما كان قائما على السحر الذى كان يعلمه ويستخدمه .. لقد نبذ فريق من اليهود كتاب الله الذى بين أيديهم وبه يفخرون ، عندما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب مصدق لما بين أيديهم ، وذلك جحوداً ومكابرة وعنادا ومعاداة للرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن مافي كتابهم من البشارة بنبى يجيء من ولد إسماعيل لا ينطبق إلا على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .. نبذوا كتابهم وراحوا يتتبعون ما يقصه الشياطين عن عهد سليمان ، وما يضللون به الناس من دعاوى مكذوبة عن سليمان كانوا يلفقونها ويقولون إنه كان ساحرا ويحكم بالسحر ، وقد زعموا أنه هو الذى جمع كتب السحر من الناس ودفنها تحت كرسيه ثم استخرجها الناس بعد موته وتناقلوها .. وهذا من مفتريات اليهود نسبوه اليه كذبا وبهتانا ، وجاءت براءة سليمان عليه السلام من كل هذه الأكاذيب التى يمكن أن نعدها من الاسرائيليات بنص قرآنى ...

يقول تعالى : « وما كفر سليمان » فكأنه يعد السحر واستخدامه كفرا ينفيه عن سليمان عليه السلام ويثبته للشياطين بقوله : « ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر » .

وتمضى الروايات الاسرائيلية المكذوبة لتأخذ مداها وتمتد الى الملائكة المعصومين ، فتنسب اليهم من الكبائر مالا يليق بأراذل الناس ، وترفع حديثا لم يصح عند الثقات من المحدثين ، الى النبى (ص) في شأن رواية الإفك هذه ... وتذهب بالزهرة وترفعها الى السماء لتصير كوكبا مضيئا هو كوكب الزهرة المعروف ، وهذا الكوكب في مكانه قبل زمن الرواية المذكورة ... إنه هناك منذ أن خلق الله السموات والأرض وما بينهما ..

لكل ذلك ، فإنه يظهر بلا مراء ، ماللروايات الاسرائيلية المكذوبة من أثر في توجيه تفسير الآية الكريمة هذه الوجهة الخرافية التى تذهب بالاسلام بعيدا عن معانيه السامية ، وتنال من عصمة الأنبياء والملائكة عليهم أفضل السلام .

●●●

٢ ـ نأتى الآن الى قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبأ ، وهى القصة المبسوطة بتوسع في سورة (النمل) أكثر منها في أية سورة أخرى . وقد جاء في تفسير هذه القصة الكثير من الاسرائيليات التى لابد من التنبيه عليها ....

---

(٨١) الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ١٤٣ .

أ) يقول تعالى « وورثَ سليمانُ داودَ ، وقال يا أيها الناسُ عُلِّمْنا منطقَ الطير وأوتينا من كل شيء ، إنَّ هذالهو الفضلُ المبين »[٨٢].

جاء في بعض التفاسير في معنى « وأوتينا من كل شيء » تأويلات لا يقبلها العقل في ملك سليمان ، إذ يقولون في هذه التفاسير إن سليمان ملك مشارق الأرض ومغاربها ، وانه ملك سبعمائة سنة وستة أشهر ، وكان ملكه شاملا جامعا للإنس والجن والشياطين والدواب والطير . ويلمح ما في هذه الرواية من إسرائيليات مكذوبة ومبالغات عرفت عن القصاصين والإخباريين الذين كانوا ينقلون الروايات الاسرائيلية بما حملته في طياتها من منكرات ، ثم تسربت الى التفاسير .

فقد جاء في (مجمع البيان) للطبرسي مايلي : روى الواحدى بالإسناد عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه قال : أُعطى سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها ، فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ، ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع ، وأعطى علم كل شيء ومنطق كل شيء ، وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التى سمع بها الناس ، وذلك قوله : « علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء » أ هـ[٨٣] .

وذكر هذه الرواية الخازن في تفسيره إلا أنه جعل مدة حكم سليمان أربعين سنة بدلا من سبعمائة سنة . يقول الخازن : وروي أن سليمان أعطي مشارق الأرض ومغاربها ، فملك ذلك أربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والإنس والشياطين والطير والدواب والسباع ، وأعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شيء ، وفي زمنه صنعت الصنائع العجيبة أ هـ[٨٤] .

أما في مدة حكم سليمان فقد ذكر كثير من المفسرين أنه حكم أربعين سنة ، وهى رواية التوراة أيضا[٨٥] وتوفى عن ثلاث وخمسين سنة ، إذ حكم وهو ابن ثلاث عشرة سنة كما هو مشهور .

أما دولة سليمان فلم تتعدّ ما يعرف حاليا بفلسطين وبعض المناطق من حولها في الأردن ولبنان ، ولم تكن سلطته شاملة لجميع بقاع الدنيا بأى حال من الأحوال . هذا ما قاله المؤرخون وكشف عنه رجال الآثار ، ولم يأت نص قرآنى أو حديث صحّت روايته عن النبى (ص) في أن ملك سليمان شمل بقاع الدنيا مدة سبعة قرون !

---

(٨٢) النمل : ١٦ .
(٨٣) مجمع البيان ، ج ١٩ ، ص ٢٠٦ .
(٨٤) تفسير الخازن ، ج ٣ ، ص ٣٧٨ .
(٨٥) الملوك الأول ١١ : ٤٢ .

لذلك فإن الحافظ الذهبي رفض هذه الرواية وأبطلها . وذكرها السيوطي في « الدر المنثور » (٥ : ١٠٣) ونسبها للحاكم ثم قال : قال الذهبي : هذا باطل[٨٦] .

أما عن تحكم سليمان في الجن والشياطين والطير والدواب والسباع في جميع الدنيا ، فهو أيضا من الإسرائيليات المرفوضة ، لأن سلطته كانت على طائفة منها فقط في حدود مملكته آنذاك . ويعلق سيد قطب على هذا الموضوع بقوله : إن الله سخر لسليمان طائفة من الجن وطائفة من الطير ، كما سخر له طائفة من الإنس . وكما أنه لم يكن كل أهل الأرض من الإنس جنداً لسليمان ـ إذا ان ملكه لم يتجاوز ما يعرف الآن بفلسطين ولبنان وسوريا والعراق الى ضفة الفرات ـ فكذلك لم يكن جميع الجن ولا جميع الطير مسخرين له ، إنما كانت طائفة من كل أمة على السواء .

ويستطرد سيد قطب قائلا : ونستند في مسألة الجن الى أن إبليس وذريته من الجن كما قال القرآن .. « إلاَّ إبليسَ كان من الجِنّ »[٨٧]... وقال في سورة الناس .. « الذي يُوَسْوِسُ في صدورِ الناس من الجِنَّةِ والناس »[٨٨] وهؤلاء كانوا يزاولون الإغواء والشر والوسوسة للبشر في عهد سليمان .. وما كانوا ليزاولوا هذا وهم مسخرون له مقيدون بأمره ، وهو نبيّ يدعو الى الهدى . فالمفهوم إذن أن طائفة من الجن هي التي كانت مسخرة له .

ويضيف قائلا : ونستند في مسألة الطير الى أن سليمان حين تفقد الطير علم بغيبة الهدهد ، ولو كانت جميع الطيور مسخرة له ، محشورة في موكبه ، ومنها جميع الهداهد ، ما استطاع أن يتبين غيبة هدهد واحد من ملايين الهداهد فضلا عن بلايين الطير . ولما قال : « ماليَ لا أرى الهُدْهُدَ ؟ » فهو إذن هدهد خاص بشخصه وذاته ، وقد يكون هو الذي سخر لسليمان من أمة الهداهد ، أو يكون صاحب النوبة في ذلك الموكب من المجموعة المحدودة العدد من جنسه . ويعين على هذا ما ظهر من أن ذلك الهدهد موهوب إدراكاً خاصاً ليس من نوع إدراك الهداهد ولا الطير بصفة عامة . ولابد أن هذه الهبة كانت للطائفة الخاصة التي سخرت لسليمان لا لجميع الهداهد وجميع الطيور ، فان نوع الإدراك الذي ظهر من ذلك الهدهد الخاص في مستوى يعادل مستوى العقلاء الأذكياء الأنقياء من الناس ! ا.هـ[٨٩].

ويظهر القصص الاسرائيلي والروايات الاسرائيلية في تفسير قوله تعالى : « ياأيها الناسُ عُلِّمْنا منطقَ الطير » فقد ذكر كثير من المفسرين قصصاً اسرائيلياً غريباً في ذلك وأسندوه الى كعب الأحبار المنسوب إليه الكثير من الاسرائيليات .

---

(٨٦) زاد المسير ج ٦ هامش ص ١٦٠ .

(٨٧) الكهف : ٥٠ .

(٨٨) الناس : ٥ ـ ٦ .

(٨٩) في ظلال القرآن ، ج ١٩ ، ص ١٤٠ .

يقول الثعلبي : قال ابن فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار قال : صاح وَرَشَان[٩٠] عند سليمان فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، فقال : إنه يقول لِدُوا للموت وابنوا للخراب . وصاحت فاختة[٩١] عند سليمان فقال : أتدرون ما تقول ..؟ قالوا : لا ، قال : إنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح طاووس فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول كما تدين تدان .

وصاح هدهد فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول من لا يرحم لا يرحم . وصاح صُرَد فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول استغفروا الله يامذنبون ، فمن ثم نهى رسول الله (ﷺ) عند قتله . قال : وصاح الطيطوي فقال ..: أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول كل حيّ ميت وكل جديد بال . قال ..: وصاح خطاف فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول قدموا خيراً تجدوه ، فمن ثم نهى رسول الله (ﷺ) عن قتله . وهدرت حمامة فقال : أتدرون ما تقول ..؟ قالوا : لا ، قال : إنها تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وملء أرضه . وصاح قمريّ فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول سبحان الحيّ الذي لا يموت أبدا . وصاح غراب فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : فإنه يلعن العشارين . والحدأة تقول كل شيء هالك إلا وجهه . والقطا تقول من سكت سلم . والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همّه . والبازي يقول سبحان ربي الأعلى وبحمده . والضفدع يقول سبحان ربي القدوس . والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان[٩٢].

ويستمر الثعلبي في ذكر هذه الروايات الاسرائيلية فيقول : أخبرنا ابن ميمون بإسناده عن مكحول قال : صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال : أتدرون ما يقول قالوا : لا ، قال : فإنه يقول الرحمن على العرش استوى . وبإسناده عن صالح المروي عن الحسن قال : قال رسول الله (ﷺ) « الديك إذا صاح يقول اذكروا الله ياغافلون » .

ثم يقول : وأخبرنا أبو عبدالله بن حامد بإسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال : كنا مع رسول الله (ﷺ) في سفرة فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي (ﷺ) فقال النبي (ﷺ) : من فجع هذه الحمامة بفرخيها ؟ فقلنا : نحن ، فقال : ردوهما الى موضعهما أ.هـ[٩٣].

هذا القصص الغريب تفوح منه رائحة الروايات الاسرائيلية التي لم يتوقف رواتها عند حد روايتها بل رفعوا شيئا منها الى النبي (ﷺ) وجعلوا الحمامة تشتكي اليه (ﷺ) ويفهم ما قالت ... وفي علمنا أن معرفة كلام الطير كانت معجزة سليمان عليه السلام ، وقد خصه الله بها دون غيره .

---

(٩٠) نوع من الطيور يشبه الحمام .
(٩١) طائر يشبه الحمام أيضاً .
(٩٢) الثعلبي ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .
(٩٣) نفس المرجع ، ص ٢٦٢ .

ويعلق الدكتور محمد حسين الذهبي على هذا القصص بقوله : إنه في نهاية الغرابة والبعد[٩٤].

ب ـ يقول تعالى : « وحُشِرَ لسليمانَ جنودُه من الجنّ والإنسِ والطيرِ فهم يوزعون »[٩٥]. روى كثير من المفسرين عند تفسير هذه الآية رواية اسرائيلية فيها الكثير من المبالغة والخيال ... وجاءت هذه الرواية عند الطبري والثعلبي والزمخشري والطبرسي والنسفي والخازن ، ولكن بألفاظ مختلفة ، من رواية مقاتل ومحمد بن كعب القرظي ... وسنختار الرواية التي ذكرها النسفي في هذا الشأن دون أن يعلق عليها أو يتعقبها .

يقول النسفي : روى أن معسكره ـ أي سليمان ـ كان مائة فرسخ في مائة فرسخ ، خمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للانس ، وخمسة وعشرون للطير ، وخمسة وعشرون للوحش . وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية ، وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً في فرسخ ، وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة ، فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة ، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة ، وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين ، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه حرّ الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ا.هـ[٩٦].

واضح من هذه الرواية أن الخيال الاسرائيلي في مثل هذا القصص ، لعب دوره في صياغتها بما لا يقبله العقل ولا المنطق .

جـ ـ يقول تعالى : « حتى إذا أَتَوا على وادي النمل ، قالت نملةٌ : ياأيها النمـلُ ادخلوا مساكنكم لا يحطمنَّكم سليمانُ وجنودُه ، وهم لا يشعرون »[٩٧].

ذكر المفسرون عند تفسير هذه الآية الكثير من الروايات في شأن نملة سليمـان من حيث ضخامـة حجمها ، وأنها كانت عرجاء . كما ذكروا لها الكثير من الأسماء .. ولا يخفى على العاقل أن كل ما جاء في النملة من هذا القبيل ، إنما هو من القصص الاسرائيلي الذي دخل في التفاسير عن طريق مسلمة أهل الكتاب . لذلك نرى العلماء المحققين يرفضون هذا القصص ويطرحونه جانباً .

ولنقرأ ما قاله أولئك المفسرون . يقول مقاتل بن سليمان في تفسيره إن النملة التي خاطبت جماعة النمل اسمها (الجرمي) .

وروى الطبري بإسناده عن عوف ، قال : كان نمل سليمان بن داود مثل الذباب[٩٨].

---

(٩٤) التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .
(٩٥) النمل : ١٧ .
(٩٦) تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ .
(٩٧) النمل : ١٨ .
(٩٨) تفسير الطبري ، ج ١٩ ، ص ١٤٢ .

وروى الثعلبي عن الشعبي وكعب الأحبار وغيرهما من أهل الكتاب ، قال : ثم إن سليمان مضى حتى أتى على وادي السدير ، وادٍ من الطائف ، فأتى على وادي النمل ، فقامت نملة تمشي وكانت عرجاء تتكاوس ، وكانت مثل الذئب العظيم . وقال الشعبي : كانت ذات جناحين .

ويضيف الثعلبي : واختلفوا في اسمها ، فأخبرني ابن ميمونه بإسناده عن الضحاك ، قال : كان اسم نملة سليمان (طاخية) ، وقيل (خرمى) ا.هـ[٩٩].

وجاء في مجمع البيان للطبرسي : روى أن نمل سليمان كان كأمثال الذئاب والكلاب[١٠٠].

وجاء في زاد المسير لابن الجوزي أنه قيل إنها كانت كهيئة النعجة ، وقال نوف الشامي (البكالي) : كان النمل في زمن سليمان بن داود كأمثال الذئاب[١٠١].

وذكر النسفي أنها كانت عرجاء وتسمى طاخية أو منذرة[١٠٢]. أما الخازن فذكر الرواية بتفصيل أكثر قال : ثم مضى سليمان حتى مرّ بوادي السدير ، وادٍ من الطائف ، فأتى على وادي النمل ، كذا قال كعب الأحبار وقيل إنه بالشام ، وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم ، وقيل إن ذلك النمل أمثال الذباب ، وقيل كالبخاتي ، والمشهور أنه النمل الصغير . وقيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمى[١٠٣].

هذا ما جاء في التفاسير عن نملة سليمان . وقد رفض المحققون من المفسرين تلك الروايات واعتبروها من الاسرائيليات .

قال السهيلي : ذكروا اسم النملة المكلمة لسليمان عليه السلام ، وقالوا اسمها (حرميا) ، ولا أدري كيف يتصور للنملة اسم علم ، والنمل لا يسمي بعضهم بعضا ، ولا الآدميون يمكنهم تسمية واحدة منهم باسم عَلَم ، لأنه لا يتميز للآدميين بعضهم من بعض ، ولا هم أيضاً واقعون تحت ملكة بني آدم كالخيل والكلاب ونحوها[١٠٤].

وقال الكلبي : إنها كانت نملة صغيرة مثل النمل المعتاد .

ويرد محمد بن علي الترمذي مقالة من قال إنها كانت كهيئة الذئاب أو النعاج فيقول : فإن كان على هذه

---

(٩٩) الثعلبي ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .
(١٠٠) مجمع البيان ، ج ١٩ ، ص ٢٠٨ .
(١٠١) زاد المسير ، ج ٦ ، ص ١٦١ .
(١٠٢) تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ .
(١٠٣) تفسير الخازن ، ج ٣ ، ص ٣٧٩ .
(١٠٤) تفسير القرطبي ، ج ١٣ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

الخلقة فلها صوت ، وإنما افتقد صوت النمل لصغر خلقها ، وإلا فالأصوات في الطيور والبهائم كائنة ، وذلك منطقهم .

ويؤيد القرطبي من قال إن نملة سليمان كانت صغيرة عادية بقوله :

وقوله : « لا يحطمنّكم » يدل على صحة قول الكلبي ، إذ لو كانت كهيئة الذئاب والنعاج لما حطمت بالوطء ، والله أعلم[١٠٥].

كذلك يرفض الحافظ ابن كثير الروايات التي خاضت في مسألة نمل سليمان فيقول في « التاريخ » : وقد ذكر وهب أنه مرّ وهو على البساط بواد بالطائف ، وأن هذه النملة كان اسمها (جرسا) وكانت من قبيلة يقال لهم (بنو الشيصبان) وكانت عرجاء وكانت بقدر الذئب ، وفي هذا كله نظر[١٠٦].

ويقول في « التفسير » : أورد ابن عساكر من طريق اسحق بن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن أن اسم هذه النملة (حرس) وأنها من قبيلة يقال لهم (بنو الشيصان) وأنها كانت عرجاء وكانت بقدر الذئب . ويعلق ابن كثير على هذه الروايات بقوله : ومن قال من المفسرين إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره ، وأن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها ا.هـ[١٠٧].

أما الآلوسي فنراه يذكر ما قاله القصاص في شأن هذه النملة من ضخامة حجمها ، وأنها كانت عرجاء ، وأن اسمها (طاخية) ، أو (جرمى) ، ثم يعقب على هذا كله بما عقب به أبو حيان في تفسيره « البحر المحيط » فيقول : « وفي البحر : اختلف في اسمها العلم ما لفظه ؟ وليت شعري من الذي وضع لها لفظاً يخصها ؟ أبنو آدم أم النمل » !![١٠٨].

ويرفض الدكتور الذهبي ما جاء في الروايات عن النملة ، ويعلق علىَ رواية مقاتل في شأن اسمها فيقول : « فيذكر ـ مقاتل ـ أن النملة التي خاطبت جماعة النمل اسمها (الجرمى) ، ولا أدري ، لم لم يعين لنا مقاتل ، أذكرا كانت النملة أم أنثى » ؟![١٠٩].

د ـ يقول تعالى : « وتفقَّدَ الطيرَ فقال ماليَ لا أرى الهدهدَ أم كان من الغائبين »[١١٠].

ذكر بعض المفسرين عند تفسير هذه الآية روايات إسرائيلية فيها الكثير من المبالغة وعدم الصحة . فقد جاء في تفسير الخازن أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم ، فتجهز

---

(١٠٥) نفس المرجع ، ج ١٣ ، ص ١٧١ .
(١٠٦) البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ١٩ .
(١٠٧) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ .
(١٠٨) تفسير الآلوسي ، ج ١٩ ، ص ١٥٩ . انظر : الاسرائيليات للذهبي ، ص ١٤٠ .
(١٠٩) الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ١٢٣ .
(١١٠) النمل : ٢٠ .

للمسير واستصحب جنوده من الجن والإنس والطير والوحش ، فحملتهم الريح ، فلما وافى الحرم أقام ما شاء الله أن يقيم ، وكان في كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة[١١١].

إن ذكر هذا العدد الهائل من الذبائح التي كان يذبحها سليمان في كل يوم ، وما فيه من مبالغة ظاهرة يدل بلا مراء على أنه من الاسرائيليات غير المقبولة . لذلك نجد عالما مثل الثعالبي[١١٢] يقول بعد أن يذكر بعض الأخبار الاسرائيلية عند تفسير هذه الآية : « والله أعلم بما صح من ذلك »[١١٣]. إن الثعالبي يشكك في قبول هذه الأخبار ، ويفيد بعدم صحتها ، أو على الأقل عدم القطع بصحتها .

هـ ـ يقول تعالى : « فمكَثَ غير بعيد ، فقالَ أحطتُ بما لم تُحِطْ بهِ ، وجئتكَ من سبأ بنبأ يقين . إني وجدتُ امرأة تَملِكُهم وأوتيَتْ من كلِ شيء ، ولها عرشٌ عظيم »[١١٤].

ذكر الثعلبي والخازن وغيرهما رواية اسرائيلية عند تفسير هذه الآية ، يظهر منها الوضع والتكلف في إجراء الحوار المذكور في الرواية . فعندما لم يجد سليمان عليه السلام الهدهد ، تقول الرواية إنه دعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه ، فقال : أصلح الله الملك ، ما أدري أين هو ، وما أرسلته الى مكان . فغضب سليمان وقال : « لأعذبنّه » .. ثم دعا العقاب وهو أشد الطير ، فقال له : عليّ بالهدهد هذه الساعة ، فرفع العقاب نفسه في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ، ثم التفت يميناً وشمالاً فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن ، فانقض العقاب نحوه يريده ، فلما رأى الهدهد أن العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال : بحق الله الذي قواك وأقدرك عليّ إلا رحمتني ولا تتعرض لي بسوء . فتركه العقاب وقال له : ويحك ، ثكلتك أمك ، إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ، ثم طارا متوجهين نحو سليمان . فلما انتهيا الى المعسكر تلقاه النسر والطير كله ، فقالوا له : ويلك ، أين غبت في يومك هذا ، فلقد توعدك نبي الله ، وأخبروه بما قال سليمان . فقال الهدهد : أو ما استثنى نبي الله ؟. قالوا : بلى ، إنه قال : « أو ليأتيني بسلطان مبين » . قال : نجوت إذاً . فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان ، وكان قاعدا على كرسيه ، فقال العقاب : قد أتيتك به يانبي الله ، فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان ، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له : أين كنت ، لأعذبنّك عذاباً شديدا ، فقال له الهدهد : يانبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله ، فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه .

---

(١١١) تفسير الخازن ، ج ٣ ، ص ٣٨٠ .

(١١٢) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، الجزائري ، المغربي ، توفي بالجزائر سنة ٨٧٦هـ .

(١١٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ، ج ٣ ، ص ١٥٩ ؛ انظر : التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

(١١٤) النمل : ٢٢ ـ ٢٣ .

قال الثعلبي : أخبرني الحسين بن محمد الثقفي باسناده عن عكرمة فقال : إنما صرف سليمان عن ذبح الهدهد برّه بوالديه[115].

وروى الآلوسي عن عكرمة : أنه عفا عنه لأنه كان باراً بأبويه ، يأتيهما بالطعام فيزقهما لكبرهما[116].

هذا الحوار الذي أجراه بعض المفسرين على ألسنة الطير ، مَنْ أعلمهم به ونقل تفاصيله اليهم ، ولم يأت فيه حديث مرفوع الى النبي (ﷺ) .؟ إننا نعتقد أنه من الاسرائيليات الموضوعة والتي لا أساس لها .

ويعلق الدكتور الذهبي على هذه الرواية بقوله : والقصة ـ كما ترى ـ ظاهر عليها إمارات الوضع : فمن الذي نقل لنا حوار الطير وترجم لنا منطقه ؟. ومن الذي عرّف عكرمة أن الهدهد كان باراً بأبويه ومن أجل ذلك عفا عنه سليمان ؟. ويختتم تعليقه بقوله : القصة موضوعة ولا شك[117].

أما عند تفسيرهم للآية الكريمة : « إني وجدْتُ امرأة تملكهم وأوتيَتْ من كلّ شيء » فقد روى الثعلبي خبراً عن ابن ميمونة باسناده عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) أنه قال : « كان أحد أبوي بلقيس جنّياً »[118].

وجاء في تاريخ ابن كثير أن الثعلبي رواه من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) . ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله : وهذا حديث غريب وفي سنده ضعف[119].

وقد بالغ بعض المفسرين في عدد من تملكهم ملكة سبأ ، وأوردوا في ذلك أرقاماً خيالية لا يستسيغها العقل ، مما يعد من الاسرائيليات المرفوضة .

فقد روى الثعلبي أن هدهد سليمان عندما غاب عنه ذهب الى اليمن فالتقى بهدهد اليمن ، وكان اسم هدهد سليمان (يعفور) واسم هدهد اليمن (عفير)[120] ـ وهذه الأسماء أيضاً من الروايات الاسرائيلية ، إذ من هو الذي أعطى اليعفورين هذين الاسمين !.

ويذكر الثعلبي في روايته حواراً جرى بين الهدهدين ، وهو حوار غريب . وإذا كان القرآن قد أشار الى كلام هدهد سليمان وهو ما نسلم به لأنه كان معجزة لسليمان ، فكيف لنا أن نقبل ما نقل عن هدهد اليمن ، خاصة ـ وكما بيناه سابقاً ـ أن الذي سخر لسليمان من أمة الهداهد هو هدهد خاص بشخصه وذاته ، أو مجموعة

---

(١١٥) الثعلبي ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ؛ الخازن ، ج ٣ ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .
(١١٦) تفسير الآلوسي ، ج ٩ ، ص ١٦٨ .
(١١٧) الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ١٤٧ .
(١١٨) الثعلبي ، ص ٢٧٨ .
(١١٩) البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٢١ .
(١٢٠) جاء في تفسير الخازن أن اسم هدهد اليمن (يعفير) .

محدودة العدد من جنس الهداهد في مملكته وليس جميع الهداهد في العالم . واذا كان ذلك كذلك فان الرواية المنقولة عن الحوار بين الهدهدين لا أصل لها ، خاصة اذا كان لم يصلنا في شأنها خبر مرفوع يوثق به .

تقول الرواية إن هدهد اليمن قال لهدهد سليمان إن بلقيس ملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل[١٢١].

وجاء في تفسير الخازن أنه كان تحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل . ولها ثلاثمائة وزير يدبرون ملكها . ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل[١٢٢].

ويتطرق ابن كثير الى هذه الروايات ، غير أنه يرفض قبولها . فقد ذكر في تفسيره فقال : قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن ، حدثنا مسدد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان مع صاحبة سليمان مائة ألف قيل ، تحت كل قيل مائة ألف مقاتل . وقال الأعمش عن مجاهد : كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل ، تحت كل قيل مائة ألف مقاتل . وقال عبدالرزاق : أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى : « إني وجدت امرأة تملكهم » كانت من بيت مملكة ، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثنى عشر رجلا ، كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل .

ويعلق ابن كثير على هذه الأرقام بقوله : وهذا القول ـ أي الأخير ـ هو أقرب ، على أنه كثير على مملكة اليمن[١٢٣]. يتضح من قول ابن كثير انه يرفض الروايات المبالغ فيها في هذا الشأن ، وحتى الرواية التي يرى أنها أقرب للقبول ، فانه يشكك في صحتها لأنها كثيرة على بلد مثل اليمن في ذلك الوقت .

ونحن بدورنا نرفض أيضاً تلك الروايات لأنها بدون شك من القصص الاسرائيلي الذي لا يقبله العقل .. فكيف بنا نقبل ما جاء في واحدة من هذه الروايات وهي المروية عن ابن عباس من أن صاحبة سليمان ـ وهي بلقيس ـ كان تحت يدها مائة ألف قيل ، تحت كل قيل مائة ألف مقاتل . أي أن عدد أفراد جيش بلقيس كان عشرة مليارات .

فلو افترضنا أن الجيش يتكون من عشر عدد السكان ، فان عدد سكان اليمن زمن بلقيس كان مائة مليار نسمة . ونظن أن هذا الرقم بعيد كل البعد عن الحقيقة والواقع ، ولا يمكن أن يتخيله عقل .

واذا ما رجعنا الى عالم الاحصائيات ، فإن إحصائيات الأمم المتحدة ذكرت أن عدد سكان العالم قد بلغ في شهر يوليو **١٩٨٧** خمسة مليارات نسمة . وكان عدد سكان العالم زمن السيد المسيح عليه السلام لا يتعدى الثلاثمائة وخمسين مليوناً .

---

(١٢١) الثعلبي ، ص ٢٧٧ .
(١٢٢) تفسير الخازن ، ج ٣ ، ص ٣٨٠ .
(١٢٣) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .

من ذلك يتضح لنا أن الروايات التي دخلت التفاسير بهذا الشأن هي روايات اسرائيلية لا تستند الى أساس ، الغرض منها إشباع نهم العامة .. وما يقال عن ذلك يقال عن الكثير من القصص بشأن بلقيس وما فيه من مبالغة وخيال . لهذا ، فان الثعالبي عندما تكلم عن بلقيس نجده يقول : « وأكثر بعض الناس في قصصها بما رأيت اختصاره لعدم صحته ، وإنما اللازم من الآية أنها امرأة ملكة على مدائن اليمن ، ذات ملك عظيم ، وكانت كافرة من قوم كفار »[١٢٤].

و ـ يقول تعالى : « وإني مرسلةٌ اليهم بهديةٍ ، فناظرةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلون »[١٢٥].

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق كلام ملكة سبأ وخبر الهدية التي أرسلتها الى سليمان عليه السلام . وقد استرسل المفسرون في ذكر أوصاف تلك الهدية وممّ تتكون ، وذكروا من الروايات المبالغ فيها قصصا من نسج الخيال مما نعتبره من الاسرائيليات .

أما أوصاف الهدية وتفاصيلها فقد ذكرها الثعلبي والزمخشري والطبرسي والقرطبي والنسفي والخازن ، وحتى غيرهم ممن تشددوا في ذكر الروايات الاسرائيلية مثل أبي السعود .

وسنورد فيما يلي تفصيل ما حوته الهدية كما جاء في « جامع البيان » للطبرسي لأنه ضم كل التفاصيل .

قال الطبرسي : قيل أهدت اليه وصفاء ووصائف ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى .. عن ابن عباس . وقيل أهدت مائتي غلام ومائتي جارية ، ألبست الغلمان لباس الجواري وألبست الجواري ألبسة الغلمان .. عن مجاهد . وقيل أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج ، فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الأجر بالذهب ، ثم أمر به فألقي في الطريق ، فلما جاؤوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان ، فلما رأوا ذلك صغر في أعينهم ما جاؤوا به .. عن ثابت اليماني . وقيل إنها عمدت الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجواري الأقبية والمناطق ، وألبست الغلمان في سواعدهم أساور من ذهب ، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب ، وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً مرصعات بأنواع الجواهر ، وحملت الجواري على خمسمائة رمكة[١٢٦] والغلمان على خمسمائة برذون ، على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر .

وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة ، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت ، وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة ، وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ، ودعت رجلا من أشراف قومها اسمه (المنذر بن عمرو) ، وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأي وعقل ، وكتبت اليه كتاباً بنسخة الهدية قالت فيه : إن كنت نبياً فميز بين الوصفاء والوصائف ، وأخبر بما في الحقة قبل أن تفتحها ، واثقب الدرة ثقباً

---

(١٢٤) تفسير الثعالبي ، ج ٣ ، ص ١٥٩ . انظر التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

(١٢٥) النمل : ٣٥ .

(١٢٦) رمكة جمعها رماك : وهي إناث الخيل .

مستوياً ، وأدخل الخرزة خيطاً من غير علاج إنس ولا جن ... فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعاً الى سليمان فأخبره الخبر ، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ، ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه الى بضعة فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة ، وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة ففعلوا . ثم قال للجن عليّ بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره ، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ ، وأمر الانس فاصطفوا فراسخ ، وأمر الوحش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره ، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا ، فلما وقفوا بين يدي سليمان قال ما وراءكم ؟. فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له وأعطاه كتاب الملكة ، فنظر فيه وقال أين الحقة ؟. فأتى بها وحركها ، وجاءه جبرائيل (ع) فأخبره بما في الحقة ، فقال إن فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب ، فقال الرسول : صدقت ، فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة ، فأرسل سليمان الى الأرضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر ، ثم قال : من لهذه الخرزة يسلكها الخيط ؟ فقالت دودة بيضاء : أنا لها يارسول الله ... فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر . ثم ميز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم ، فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه ، والغلام كان يأخذ من الآنية يضرب به وجهه ، وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد ، وكانت الجارية تصب الماء صبا ، والغلام يحدر الماء على يده حدرا ، فميز بينهما بذلك .. هذا كله مروي عن وهب وغيره ..

وقيل إنها أنفذت مع هداياها عصا كان يتوارثها ملوك حمير ، وقالت أريد أن تعرفني رأسها من أسفلها ، وبقدح ماء وقالت تملأها ماء رواء ليس من الأرض ولا من السماء ، فأرسل سليمان العصا الى الهواء وقال أي الرأسين سبق الى الأرض فهو اسفلها[١٢٧]، وأمر الخيل فأجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها ، وقال ليس هذا من ماء الأرض ولا من ماء السماء[١٢٨].

هذه القصة الغريبة وما فيها من بيان لماهية الهدية التي أرسلتها بلقيس الى سليمان ، وما كان من اختبارها له وإجابته على ما اختبرته به .. كل ذلك يبعث على الدهشة والاستغراب ويدل على أن اولئك الذين مهروا في رواية الغرائب والأساطير كانت لهم اليد الطولى في هذا القصص الخيالي ..

---

(١٢٧) جاء في القرطبي : أيّ الرأسين سبق الى الأرض فهو أصلها (ج ١٣ ، ص ١٩٨) .
(١٢٨) مجمع البيان ، ج ١٩ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢ .

لذلك فإننا نجد عالماً جليلاً مثل ابن عطيه[١٢٩] حين يشير الى هذه القصة يعلق عليها بقوله : « أكثر بعض الناس في تفصيلها ـ أي الهدية التي ارسلتها بلقيس الى سليمان ـ فرأيت اختصار ذلك لعدم صحته »[١٣٠].

يرفض ابن عطية قبول الروايات الاسرائيلية التي استرسلت وأفاضت في وصف هدية بلقيس ويقرر عدم صحة هذه الروايات .

كذلك فان الحافظ ابن كثير يشير الى ما ذكره بعض المفسرين بشأن هدية بلقيس فيصحح بعض ما ذكروه ويرفض قبول بعضه الآخر ويعده من الاسرائيليات التي لا يمكن قبولها .

قال ابن كثير في تفسيره : « ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت اليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلىء وغير ذلك ، وقال بعضهم أرسلت بلبن من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت اليه بآنية من ذهب »[١٣١]. ثم يتطرق الى الروايات الأخرى عن الجواري والغلمان وغير ذلك ، ويعلق على تلك الروايات بقوله : « والله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الاسرائيليات »[١٣٢].

نفس الموقف اتخذه الآلوسي فيما يتعلق بالأخبار التي تروى عن هدية بلقيس والجواري والغلمان الذين تقول تلك الروايات إنها أرسلتهم ضمن الهدية ، والقدح الذي أرسلته الى سليمان وسألته أن يملأه ماء ليس من ماء السماء ولا من ماء الأرض فأجرى الخيل وملأه من عرقها ..

ويعلق الآلوسي على هذه الروايات بقوله : وكل ذلك أخبار لا يدرى صحتها ولا كذبها ، ولعل في بعضها ما يميل القلب الى القول بكذبه ، والله أعلم[١٣٣].

ز ـ قال تعالى « قيلَ لها ادخلي الصَّرح فلما رأتْه حسبته لُجَّةً وكشَفَتْ عن ساقيها ، قال إنه صَرْحٌ ممرَّدٌ من قوارير ، قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمتُ مع سليمانَ لله ربِّ العالمين »[١٣٤].

ذكر المفسرون أن سليمان عليه السلام إنما أمر ببناء الصرح لأن الجن خافت من سليمان أن يتزوج بلقيس ، فأرادوا أن يزهدوه فيها .

---

(١٢٩) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي ، توفي سنة ٥٤٦هـ . (التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٢٣٨) .
(١٣٠) تفسير ابن عطية المعروف « بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » ، ورقة ٨٥ .
(١٣١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ .
(١٣٢) نفس المرجع ، ص ٣٦٣ .
(١٣٣) زاد المسير ، ج ٦ ، هامش ص ١٧١ .
(١٣٤) النمل : ٤٤ .

وقد روى الطبري هذه الرواية بإسناده عن محمد بن كعب القرظي[١٣٥]، قال : قالت الجن لسليمان تزهّده في بلقيس : إن رجلها رجل حمار ، وإن أمها كانت من الجن ..

فأمر سليمان بالصرح فعمل ، فسجن فيه دواب البحر : الحيتان والضفادع ، فلما بصرت بالصرح قالت : ما وجد ابن داود عذاباً يقتلني به إلا الغرق ...؟ (فحسبته لجة وكشفت عن ساقيها) قال : فاذا أحسن الناس ساقاً وقدماً ، قال فضنَّ سليمان بساقها عن الموسى ، قال : فاتخذت النورة بذلك السبب ا.هـ[١٣٦].

وروى الثعلبي هذه القصة على النحو التالي ...: إنما أمر ببناء الصرح لأن الشياطين قال بعضهم لبعض : قد سخّر الله لسليمان ما سخر ، وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاماً فلا ننفكّ من العبودية والسخرة أبدا ، فأرادوا أن يزهدوه فيها ، فقالوا : إن رجلها رجل حمار وإنها شعراء الساقين لأن أمها كانت جنّية ، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك وينظر قدميها وساقيها فأمر ببناء الصرح[١٣٧].

ويستطرد الثعلبي قائلا : واختلف العلماء في أمرها بعد الإسلام وقال أكثرهم : لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها ، فلما همّ بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها ، وقال : ما أقبح هذا . فسأل الإنس عما يذهب ذلك فقالوا : الموسى ، فقالت المرأة : ما لمسني حديد قط ، فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقها ، فسأل الجن فقالوا : لا ندري ، ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا : لا ندري ، فلما ألحّ عليهم ، قالوا : نحن نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء ، فاتخذوا لها النورة والحمام ا.هـ[١٣٨].

ثم وردت هذه القصة عند كثير من المفسرين منهم الزمخشري وابن عطية والطبرسي والقرطبي والخازن وغيرهم . وعلى الرغم من أن معظم هؤلاء المفسرين يُعْتَبرون من المقلّين في ذكر الروايات الإسرائيلية ومن الذين يتعقبونها لبيان بطلانها وخاصة الزمخشري وابن عطية ، غير أننا نجدهم يذكرون هذه الرواية ـ وإن كانت بألفاظ مختلفة ـ دون أن يعقبوا عليها بكلمة واحدة . ومع ذلك فإن بعضهم ـ الزمخشري وابن عطية ـ صدّر الرواية بقوله : رُوِيَ أو قيلَ . إشعاراً منه بضعفها . وهي بلا شك رواية إسرائيلية تدل على خبث واضعها ، فما كان لنبي أن يحتال على امرأة حتى يرى عورتها ... إذن ماذا بقي للسّفلة من الناس !!

حاشى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن تلصق بهم مثل هذه الافتراءات الباطلة . وجزى الله الحافظ ابن كثير كل خير ، فهو يرد هذه الرواية الاسرائيلية ويعتبرها من المنكرات التي تلقاها المفسرون عن مسلمة أهل الكتاب وأدخلوها في تفاسيرهم .

---

(١٣٥) القرظي من مسلمة اليهود ، توفي سنة ١٠٨ هـ ، وقيل سنة ١١٧هـ .
(١٣٦) تفسير الطبري ، ج ١٩ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .
(١٣٧) الثعلبي ، ص ٢٨٥ .
(١٣٨) نفس المرجع ، ص ٢٨٦ .

يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية : « وقد روى الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا أثراً غريباً عن ابن عباس فقال : حدثنا الحسين بن علي عن زائدة : حدثني عطاء بن السائب : حدثنا مجاهد ونحن في الأزد قال : حدثنا ابن عباس قال : قالت الشياطين إن سليمان يريد أن يتخذها ـ أي بلقيس ـ لنفسه ، فإن اتخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد لم ننفك من عبوديته ، قال : فجعلوا صرحاً ممرداً من قوارير فيه السمك ، قال : فقيل لها ادخلي الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فإذا هي شعراء . فقال سليمان : هذا قبيح فما يذهبه ؟ قالوا : يذهبه الموسى ، فقال : أثر الموسى قبيح ، قال : فجعلت الشياطين النورة . قال : فهو أول من جعلت له النورة ، ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة : ما أحسنه من حديث » .

ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله : « قلت : بل هو منكر غريب جداً ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم . والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم ، كروايات كعب ووهب ـ سامحهما الله تعالى ـ فيما نقلاه الى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب ، مما كان ومما لم يكن ، ومما حرّف وبدلّ ونسخ . وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ، ولله الحمد والمنّة » ا.هـ(١٣٩).

٣ ـ يقول تعالى في سورة سبأ « ولسليمانَ الريحَ غدوُّها شهرٌ ورَوَاحُها شهرٌ »(١٤٠) .

ذكر المفسرون هنا روايات إسرائيلية بعيدة عن الواقع وأقرب ما تكون من نسج الخيال .. فقد جاء في تفسير الطبري رواية عن ابي زيد قال : كان لسليمان مركب من خشب وكان فيه ألف ركن ، وفي كل ركن ألف بيت ، تركب فيه الجن والإنس ، تحت كل ركن ألف شيطان ، يرفعون ذلك المركب هم والعصار ، فاذا ارتفع أتت الريح رخاء فسارت به وساروا معه ، يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ، ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر ، ولا يدري القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش والجنود ..

ثم قال : حدثنا ابن بشار بإسناده عن الحسن قال : كان يغدو فيقيل في اصطخر ، ثم يروح منها فيكون رواحه بكابل . ا هـ (١٤١) ..

وقال القرطبي : قال الحسن : كان يغدو من دمشق فيقيل بإصطخر ، وبينهما مسيرة شهر للمسرع ، ثم يروح من إصطخر ويبيت بكابل ، وبينهما شهر للمسرع . قال السدى : كانت تسير به في اليوم مسيرة شهرين . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان سليمان إذا جلس نصبت حواليه أربعمائة ألف كرسي ، ثم جلس رؤساء الإنس مما يليه وجلس سِفْلَةُ الإنس مما يليهم ، وجلس رؤساء الجن مما يلي بسفلة الإنس

---

(١٣٩) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .
(١٤٠) سبأ : ١٢ .
(١٤١) تفسير الطبري ، ج ٢٢ ، ص ٦٩ .

وجلس سفلة الجن مما يليهم ، وموكل بكل كرسي طائر لعمل قد عرفه ، ثم تقلهم الريح ، والطير تظلهم من الشمس ، فيغدو من بيت المقدس الى إصطخر فيبيت ببيت المقدس ا هـ (١٤٢) ..

وجاء في تفسير الخازن أنه كان يغدو من إيلياء فيقيل بإصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل . وروى أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ، ثم جاوزهم الى أرض الصين ، يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ، ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند ، وجاوزها وخرج منها إلى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر ا هـ (١٤٣) .

هذه الروايات تفوح منها رائحة الاسرائيليات ، فهي قصص خرافي أشبه ما يكون بقصص ألف ليلة وليلة ... ومع أننا نسلم أن سليمان عليه السلام قادر على الذهاب الى أي مكان بفضل الريح المسخرة له ، إلا أن ما جاء في وصف بساطه والأعداد غير المعقولة من الجنود الذين يحملهم البساط ، يحمل الرواية محمل الأسطورة ، حيث لم يرد بما تضمنته من تفاصيل نص قرآني أو حديث مرفوع . وسنترك الشيخ عبدالوهاب النجار يعلق على هذا القصص بقوله :

ولا أدري لم ذهب سليمان الى اصطخر ثم الى خراسان وليستا من ملكه .. ؟! وإذا ذهب زائرا للملوك تلك البلاد فأي داع الى أخذ الجند الذين لا يقل عددهم عن مليونين ؟ وكيف يسمح الملوك لملك زائر بإدخال الآلاف المؤلفة من الجند الى ممالكهم ؟ واذا كان سليمان لم يعلم بمملكة سبأ وملكتها حتى هداه الهدهد الى ذلك ، فكيف يترك اليمن التي في متناول يده ، ويذهب الى اصطخر ثم الى خراسان ؟ ولم لم يكن ذلك الى مصر ، ومصر أقرب البلاد إليه ؟

ثم يضيف النجار قائلا : لو أن القائلين ببساط سليمان ـ الذي تحمله الريح ـ اقتصروا به على عشرة أذرع في مثلها أو عشرين ذراعا في مثلها أو مائة ذراع في مثلها ، لكان الامر معقولا مقبولا . أما وهم يقولون : إن فيه ألف ركن ، في كل ركن ألف بيت ، فانهم يجعلون له من السعة وترامي الأطراف ما لا يقبله تصور . بل لم يكن في ملك سليمان كله ما يكفي لشغله من الجند ـ إذ جعلوا به مليونا من البيوت للجند ـ فإذا كان بالبيت الواحد جنديان فقط ، كان به مليونان من الجند . ولا يصح أن يكون قد خلف من الجند أقل منهم لحماية البلاد ، فتلك أربعة ملايين . فاذا كانوا عشر السكان وجب أن يكون السكان اربعين مليونا وهو عدد لا يمكن أن تسكن فلسطين ولبنان وسوريا بنصفه أو بربعه . ويكون البساط في مساحة أكبر من مائة كيلو متر مربع ، ومحال أن تجد في فلسطين مكانا مستويا يستقر عليه هذا البساط ، فضلا عن البلاد التي ينتقل اليها على غير استعداد .! وهذه

---

(١٤٢) تفسير القرطبي ، ج ١٤ ، ص ٢٦٩ .

(١٤٣) تفسير الخازن ، ج ٣ ، ص ٢٦٨ .

مدينة بيت المقدس ليس فيها مكان مقداره عشرة أمتار في خمسين يوجد مستويا أصلا ، فأين كان سليمان يبسط بساطه ؟

ثم يقول : على أن سليمان كانت أسفاره مع جنوده على الأرض لا على متن الريح ـ كما يقولون ـ وهذا القرآن الكريم يقص عينا قول النملة حين مر بجنده على وادي النمل إذ قالت « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » وما كان سليمان وجنوده ليحطموا النمل وهم على بساط الريح الذي يزعمون .... !

ويضيف قائلا : إن مملكة سليمان وداود لم تمتد الى أكثر من خليج أيلة وفلسطين وشرق الاردن ولبنان وسوريا الى شط الفرات فقط ... وهذا المقدار لا يحتاج في السفر الى الشهور ، بل يحتاج الى أيام ، فما كان في حاجة الى بساط تحمله الريح ، ولم يكن له من الجند ما يتلاءم مع مقدار البساط . فهذا ابن خلدون يقول : إن مبلغ خيله لم يزد على اثني عشر ألف فرس . ومثل ذلك في كتب الأنبياء .

وينهي الشيخ النجار كلامه برفض هذه الرواية لانها من الاسرائيليات والأساطير غير المقبولة . يقول:

وعلى كل ، فهذا البساط بهذا المقدار إنما هو أسطورة تكفل برواجها تبرع الناس بحمل كل ما للأنبياء صلوات الله عليهم على الغرابة وعدم السير على السنن الطبيعي ، وحبهم للتزيد على ما منحهم الله اياه من غرائب المعجزات .. ونحن نقر بالمعجزات والعجائب التي منحها الله لأنبيائه مما جاء به نص قطعي الثبوت والدلالة ، ولكنا لا نبذر فيها ولا نسرف . واعلموا أن إثبات معجزة ـ لم تكن ـ لنبي ، كذب عليه يساوي إثمه إنكار معجزة ثابتة . اهـ[١٤٤]

كذلك فان سيد قطب لا يقبل ذلك القصص بل يعتبره من الاسرائيليات ، يقول :

وتسخير الريح لسليمان تتكاثر حوله الروايات وتبدو ظلال الاسرائيليات واضحة في تلك الروايات ـ وإن تكن كتب اليهود الأصلية لم تذكر شيئا عنها ـ والتحرج من الخوض في تلك الروايات أولى ، والاكتفاء بالنص القرآني أسلم ، مع الوقوف به عند ظاهر اللفظ لا نتعداه اهـ[١٤٥] .

٤ ـ يقول الله تعالى عن سليمان في سورة سبأ : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين . »[١٤٦]

---

(١٤٤) قصص الأنبياء ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٢ .
(١٤٥) في ظلال القرآن ، ج ٢٢ ، ص ٦٨ .
(١٤٦) سبأ : ١٤ .

ذكر بعض المفسرين روايات اسرائيلية عند تفسير هذه الآية ، تتعلق بكيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف أن الله سبحانه وتعالى عمى موته على الجن المسخرين له في الأعمال الشاقة .

فقد روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس وابن مسعود ، وكذلك روى الثعلبي والطبرسي والقرطبي والخازن وغيرهم ، ولكن بألفاظ مختلفة متقاربة . قال ابن جرير : حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله (ص) قال : كان سليمان يتجرد [147] في بيت المقدس السنة والسنتين ، والشهر والشهرين ، وأقل من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه وشرابه ، فدخله في المرة التي مات فيها ، وذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه ، إلا تنبت فيه شجرة ، فيسألها ما اسمك ، فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا ، فيقول لها : لأي شيء نبت ، فتقول : نبت لكذا وكذا ، فيأمر بها فتقطع ، فان كانت نبتت لغرس غرسها ، وان كانت نبتت لدواء قالت : نبت دواء لكذا وكذا ، فيجعلها كذلك . حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة ، فسألها : ما اسمك ؟ فقالت له : أنا الخروبة ، فقال : لأي شيء نبت ؟ قالت : لخراب هذا المسجد ، قال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حي ، أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ، فنزعها وغرسها في حائط له ، ثم دخل المحراب ، فقام يصلي متكئا على عصاه ، فمات ولا تعلم به الشياطين في ذلك ، وهم يعملون له ويخافون أن يخرج فيعاقبهم . وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه ، وكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : ألست جلدا إن دخلت فخرجت من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك فمر ، ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب إلا احترق ، فمر ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام ، ثم رجع فلم يسمع ، ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق ، ونظر الى سليمان قد سقط فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته ، وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوماً وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحو ، فوجدوه قد مات منذ سنة ... وهي في قراءة ابن مسعود : فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا ، فأيقن الناس عند ذلك ان الجن كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ... ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ، ولكنا سننقل اليك الماء والطين ، فالذي يكون في جوف الخشب ، فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها . ا هـ [148]

---

(١٤٧) جاء هذا اللفظ في العرائس للثعلبي : يحتجب ؛ وفي تفسير الخازن : يتجرد للعبادة .

(١٤٨) تفسير الطبري ، ج ٢٢ ، ص ٧٥ ، انظر : الثعلبي ، ص ٢٩١ ؛ الطبرسي ، ج ٢٢ ، ص ١٩٣ ؛ القرطبي ، ج ١٤ ، ص ٢٧٨ ، الخازن ، ج ٣ ، ص ٤٨٥ .

هذه الرواية لم يعلق عليها أحد من المفسرين الذين ذكروها في تفاسيرهم ، بما يفيد أنها من الاسرائيليات ، غير أن الحافظ ابن كثير رحمه الله نبه على أنها من الاسرائيليات التي دخلت التفاسير عن طريق أهل الكتاب ... فبعد أن أورد الرواية كاملة في « التاريخ » وفي « التفسير » لم يتركها تمر دون التعليق عليها والتنبيه على حقيقتها ، فقال في تاريخه : « وهذا فيه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب » . (١٤٩)

وقال في تفسيره : « وهذا الأثر - والله أعلم - إنما هو مما تُلُقِّيَ من علماء أهل الكتاب ، وهو وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ، ولا يكذب منه إلا ما خالف الحق ، والباقي لا يصدق ولا يكذب » . ا هـ (١٥٠)

وقد ذكر بعض المفسرين حديثا مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر ، سنورده فيما يلي نقلا عن الطبري قال :

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، قال : ثنا ابراهيم بن طهمان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي (ص) قال : « كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها ما اسمك ؟ فتقول : كذا ، فيقول لأي شيء أنت ؟ فان كانت تغرس غرست ، وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلي ذات يوم ، إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها ما اسمك ؟ قالت : الخروب قال : لأي شيء أنت ؟ قالت لخراب هذا البيت ، فقال سليمان : اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا ، والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة ، فسقط ، فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين » .

قال : وكان ابن عباس يقرؤها كذلك ،قال : فشكرت الجن للأرضة ، فكانت تأتيها بالماء . اهـ (١٥١)

وقد ذكر ابن كثير هذا الحديث نقلا عن ابن جرير الطبري وبلفظه ، إلا أنه تعقب إسناده وبين ما فيه من ضعف في الاسناد وبالتالي شكك في صحة الحديث وفى كونه مرفوعاً عن النبى (ص) . يقول ابن كثير معلقاً عليه : وفى رفع هذا الحديث غرابة ونكارة ، والأقرب أن يكون موقوفا ، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني - يقصد عطاء بن السائب - له غرابات وفي بعض حديثه نكارة . اهـ (١٥٢)

٥ - يقول تعالى في سورة (ص) : « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب . إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد . فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . ردوها عليَّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق . » (١٥٣)

---

(١٤٩) البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٣١ .
(١٥٠) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ .
(١٥١) تفسير الطبري ، ج ٢٢ ، ص ٧٤ ، انظر : القرطبي ، ج ١٤ ، ص ٢٧٩ .
(١٥٢) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٢٩ .
(١٥٣) سورة (ص) : ٣٠ - ٣٣ .

لقد أوردنا آراء المفسرين عند تفسير هذه الآيات الكريمة واختلافهم في تأويل معناها . غير أن بعضهم ذكر في هذا الصدد روايات اسرائيلية أشبه بالأساطير الخرافية . فقد جاء في تفسير مقاتل بن سليمان أن قوله تعالى : « حتى توارت بالحجاب » يعني بجبل يقال له : الحجاب ، وهو الجبل الذي تغيب الشمس من ورائه . وهو دون جبل (قاف) بمسيرة سنة وما بينهما ظلمة ، والشمس تغرب من وراء « الحجاب » في أصل الجبل .(١٥٤)

وذكر الخازن في تفسيره أنه يقال إن « الحجاب » جبل دون « قاف » بمسيرة سنة ، تغرب الشمس من ورائه .(١٥٥)

وقد رفض الزمخشري هذا التأويل واعتبره من الاسرائيليات والبدع التي دخلت التفاسير .

يقول الزمخشري في الكشاف : ومن بدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه .(١٥٦)

ويعتبر الدكتور الذهبي ما جاء في تفسير مقاتل بهذا الشأن من الاسرائيليات غير المقبولة ، ويعلق على ذلك بقوله : إنه من القصص الاسرائيلي الذي لايعدو أن يكون من قبيل الخرافات .. وهو غير مقبول .(١٥٧)

وقد ذكرنا أيضا عند تفسير الآيات السابقة أن كثيرا من المفسرين يرون أن معنى الآية « فطفق مسحا بالسوق والأعناق » أنه مسح السيف بسوقها وأعناقها ، أي قطعها . قالوا إنه عليه السلام لما فاتته صلاة العصر بسبب اشتغاله بالنظر الى تلك الخيل استردها وعقر سوقها وأعناقها تقربا الى الله . كما ذكرنا رواية منسوبة الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه أنه حمل قوله تعالى : « ردوها عليَّ » على أن المراد بذلك طلب سليمان عليه السلام أن يرد الله الشمس بعد غروبها حتى يصلي العصر في وقته .

وقد اعتبر الامام فخر الدين الرازي هذه الروايات من المنكرات والمحذورات ويقول إنها بعيدة عن معنى الآية ، ويدلل على وجهة نظره بما يلي :

أولا : أنه لوكان معنى مسح السوق والأعناق قطعها ، لكان معنى قوله « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم »(١٥٨) قطعها ، وهذا مما لا يقوله عاقل ، بل لوقيل (مسح رأسه بالسيف) فربما فهم منه ضرب العنق ، أما إذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم البتة من المسح العقر والذبح .

---

(١٥٤) تفسير مقاتل : المجلد الثاني ، ص ١٤٤٤ .
(١٥٥) تفسير الخازن : ج ٤ ، ص ٣٩ .
(١٥٦) الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩٣ .
(١٥٧) الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ١١٧ .
(١٥٨) المائدة : ٦ .

ثانيا : القائلون بهذا القول جمعوا على سليمان عليه السلام أنواعا من الأفعال المذمومة هي :

١ ـ ترك الصلاة .

٢ ـ أنه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا الى حيث نسي الصلاة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

٣ ـ أنه بعد الإتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والإنابة البتة .

٤ ـ أنه خاطب رب العالمين بقوله : « ردوها علي » وهذه كلمة لا يذكرها الرجل الحصيف الا مع الخادم الخسيس .

٥ ـ انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها وأعناقها ، وروى عن النبي (ص) أنه : « نهى عن ذبح الحيوان إلا لمأكله » . فهذه أنواع من الكبائر نسبوها الى سليمان عليه السلام ، مع أن لفظ القرآن لم يدل على شيء منها .

٦ ـ أن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقيب قوله : « وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب »[١٥٩] وأن الكفار لما بلغوا في السفاهة الى هذا الحد ، قال الله تعالى لمحمد (ص) اصبر يا محمد على سفاهتهم « واذكر عبدنا داود » وذكر قصة داود ، ثم ذكر عقيبها قصة سليمان ، وكان التقدير أنه تعالى قال لمحمد عليه السلام اصبر يامحمد على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان ، وهذا الكلام إنما يكون لائقا لوقلنا إن سليمان عليه السلام أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة ، وصبر على طاعة الله ، وأعرض عن الشهوات واللذات . فأما لو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضوع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة ، لم يكن ذكر هذه القصة لائقا بهذا الموضع ، فثبت أن كتاب الله تعالى ينادي على هذه الأقوال الفاسدة بالرد والإفساد والإبطال .

ويستطرد الفخر الرازي في تعليقه فيقول : بل التفسير المطابق للحق لألفاظ القرآن ، والصواب أن نقول إن رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم ، كما أنه كذلك في دين محمد (ص) ، ثم إن سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس ، إنما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه ، وهو المراد من قوله : « عن ذكر ربي » ، ثم إنه عليه السلام أمر بإعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب ، أي غابت عن بصره ، ثم أمر الرائضين بأن يردوا تلك الخيل إليه ، فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها . والغرض من ذلك المسح أمور :

---

(١٥٩) سورة (ص) : ١٦ .

الأول : تشريفا لها وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو .

الثاني : أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه .

الثالث : أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها ، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض .

ويختتم الرازي تعليقه بقوله : فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباقا مطابقا موافقا ، ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات والمحذورات ، وإني شديد التعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة ، مع أن العقل والنقل يردها ، وليس لهم في إثباتها شبهة فضلا عن حجة . فإن قيل : فالجمهور فسروا الآية بذلك الوجه ، فما قولك فيه ؟ فنقول : لنا ههنا مقامان :

المقام الأول : أن ندعي أن لفظ الآية الكريمة لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها ، وقدظهر والحمدلله أن الأمر كما ذكرناه ، وظهوره لا يرتاب العاقل فيه .

المقام الثاني : أن يقال : هب أن لفظ الآية لا يدل عليه ، إلا أنه كلام ذكره الناس ، فما قولك فيه ؟ وجوابنا : أن الدلالة الكثيرة قامت على عصمة الأنبياء عليهم السلام ، ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ، ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية ، فكيف الحكايات عن أقوام لا يبالى بهم ولا يلتفت الى أقوالهم.[١٦٠]

إننا نعتقد أن هذا التأويل الذي ذهب اليه الإمام الرازي هو الأكثر قبولا لما تدل عليه الآيات السابقة ، والأكثر نأيا عن الخوض في الاسرائيليات التي تمس مقام نبي كريم وتنال من عصمته . أما الرواية التي تقول إن الخطاب كان للملائكة الموكلين بالشمس فردوها فصلى العصر في وقته ، فمستبعد لأنه لم تكن لسليمان عليه السلام سلطة على الملائكة يأمرهم برد الشمس فيردوها ، واذا كان الخطاب لله عز وجل ، فكان يجب أن يقول « ردها عليَّ » بدلا من « ردوها عليَّ » ، لأن هذا اللفظ ـ كما يقول الرازي ـ مشعر بأعظم أنواع الإهانة ولا يليق به رعاية التعظيم الواجبة لله عز وجل . ثم إن الشمس لو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهدا لكل أهل الدنيا ـ كما يقول الرازي ايضا ـ ولو كان الأمر كذلك لتوفرت الدواعي على نقله واظهاره ، وحيث لم يقل أحد ذلك علمنا فساده .[١٦١] ثم لو صح هذا التأويل لوجب أن يكون نظم الآية : ردوها علي فصلى ، ولكن نظمها الحالي يؤكد أن المردود عليه الخيل التي طفق يمسح سوقها وأعناقها .

---

(١٦٠) تفسير الرازي ، ج ٢٦ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .
(١٦١) نفس المرجع ، ص ٢٠٥ .

وقد أيد صاحب المنار الشيخ رشيد رضا الامام الرازي فيما ذهب اليه ، ورفض الروايات الأخرى واعتبرها من القصص الاسرائيلي الذي شوه كتب التفسير . يقول صاحب المنار :

حاسب الله القصاص ، فلقد شوهوا كتب التفسير بقصصهم .. استعرض سليمان نبي الله وملك بني إسرائيل الخيل ، فقال : « إني أحببت حب الخير » المعقود بنواصي الخيل لا عن هوى نفسي ولكن « عن ذكر ربي » ووحيه الذي أمر بزباط الخيل للدفاع عن الحق ، فما زالت تعرض « حتى توارت بالحجاب » فقال : « ردوها على » لأراها مقبلة ومدبرة لأختبر حالها ، فقد قيل إنه كان عالما بها وبأمراضها ، أو لأتمتع بمسح سوقها وأعناقها ، فردوها عليه « فطفق مسحا بالسوق والأعناق » ، كما هو شأن محبي الخيل في كل جيل وزمان . فأي دليل أم أية شبهة في هذه الآيات على أن سليمان عليه السلام ترك صلاة العصر شغلا بالخيل حتى غربت الشمس ، وانه انتقم منها بقطع سوقها وأعناقها ، ولو كان المسح هو القطع لكان قوله تعالى « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم » بمعنى اقطعوها ، وأن قوله : « ردوها عليَّ » خطاب للملائكة الموكلين بالشمس يأمرهم بردها بعد غروبها ليصلي العصر ؟!

وأي حاجة لتطويل الفقهاء البحث في هذه : هل هي أداء أم قضاء ؟! (١٦٢) ومعنى كلام الشيخ أن سليمان عليه السلام أمر اتباعه برد الخيل عليه ليمسح سوقها وأعناقها ويختبر عيوبها ، واستبعد ان يكون المقصود هو رد الشمس .

٦ ـ قال تعالى « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ».(١٦٣)

خاض المفسرون كثيرا في موضوع فتنة سليمان عليه السلام والجسد الذي ألقى على كرسيه ، وذكروا من الروايات الإسرائيلية ما لا يليق بمنصب النبوة ، ويذهب بعصمة الأنبياء . وسنذكر فيما يلي الروايات التي أوردها المفسرون عند تفسير هذه الآية ثم نتعرض لها بالتعليق والتفنيد ..

جاء في رواية الطبري أن الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان هو صخر المارد . يقول الطبري :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » قال حدثنا قتاده أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس فقيل له : ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال : فطلب ذلك فلم يقدر عليه ، فقيل له : إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد ، قال : فطلبه ، وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة ، فنزح ماؤها وجعل فيها خمر ، فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر ، فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصبين الحليم ، وتزيدين الجاهل جهلا ، قال : ثم شربها حتى غلبت على

---

(١٦٢) مجلة المنار ، ج ٣ ، م ٥ صفر ، سنة ١٣٢٠هـ .
(١٦٣) سورة (ص) : ٣٤ .

عقله ، قال : فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه ، فذل قال : فكان ملكه في خاتمه ، فأتى به سليمان ، فقال : إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت ، وقيل لنا : لا يسمعن فيه صوت حديد ، قال : فأتى ببيض الهدهد ، فجعل عليه زجاجة ، فجاء الهدهد فدار حولها ، فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه ، فذهب فجاء بالماس ، فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى الى بيضه ، فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة ، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه ، فانطلق يوما الى الحمام ، وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه ، قال : فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر ، فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه ، وألقى على الشيطان شبه سليمان ، قال : فجاء فقعد على كرسيه وسريره ، وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه ، قال : فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا ، لقد فتن نبي الله ، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة ، فقال : والله لأجربنه ، قال : فقال له يا نبي الله ، وهو لا يرى إلا أنه نبيّ الله ، أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة ، فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس ، أترى عليه بأسا ؟ قال : لا ، قال فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة ، فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له ، حتى انتهى اليهم « وألقينا على كرسيه جسدا » قال : هو الشيطان صخر اهـ .(١٦٤)

وقد روى الثعلبي والخازن رواية أخرى عن وهب بن منبه جاء فيها أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون ملكا عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر ، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر ، فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس ، فقتل ملكها وسبى ما فيها ، فاصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها (جرادة) لم ير مثلها حسنا وجمالا ، فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه ، وأحبها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه ، وكانت على منزلتها عنده لايذهب حزنها ولم يرقأ دمعها ، فشق ذلك على سليمان ، فقال لها : ويحك ما هذا الحزن الذي لايذهب والدمع الذي لا يرقأ ؟ فقالت : إني أذكر أبي وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزنني ذلك . فقال لها سليمان : قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطاناً هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله . قالت : إن ذلك كذلك ، ولكني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين يصورون لي صورته في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسليني عن بعض ما أجد في نفسي . فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا ، فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه ، إلا أنه لا روح فيه ، فعمدت اليه حين صنعوه فألبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو إليـه في ولائدهافتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح في كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم

---

(١٦٤) تفسير الطبري ، ج ٢٣ ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

بشيء من ذلك أربعين صباحا . فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا ، وكان لا يرد عن باب سليمان أي ساعة أراد دخول بيته دخل ، حاضرا سليمان أم غائبا ، فاتاه فقال : يا نبي الله كبر سني ودق عظمي ، ونفذ عمري وقد حان الذهاب مني ، وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم . فقال : افعل ، فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه ، وذكر ما فضلهم الله به ، حتى انتهى الى سليمان فقال له : ما كان أحكمك في صغرك ، وأورعك في صغرك ، وأفضلك في صغرك ، وأحكم أمرك في صغرك ، وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ، ثم انصرف . فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا ،فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له : يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عيهم خيرا في كل أزمانهم ، وعلى كل حالٍ من أمورهم ، فلما ذكرتني أثنيت على بخير في صغري ، وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري ، فما الذي أحدثت في اخر عمري ؟ فقال له : إن غير الله يعبد في دارك أربعين صباحا في هوى امرأة . فقال سليمان : في داري ؟ قال : نعم في دارك . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد علمت أنك ما قلت ما قلت إلا عن شيء بلغك ، ثم إن سليمان رجع الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ، ثم إنه أمر بثياب الطهر ، فأتى بها وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار ولا تمسها امرأة ذات دم ، فلبسها ثم خرج الى فلاة من الأرض وحده ، وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله تعالى ، حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ، فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ، ثم رجع الى داره وكانت له أم ولد يقال لها أمينة كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر ، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو متطهر لأن خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام ، وكان ملكه في خاتمه ، فوضعه يوما من الأيام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه ، فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرا ، فظنته سليمان لأنها لم تنكر منه شيئا ، فقال :

يا أمينة خاتمي ، فناولته إياه فجعله في يده ، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان ، فعكفت عليه الطير والجن والإنس والشياطين ، فخرج سليمان ثم أتى الى أمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه ، فقال : يا أمينة خاتمي . فقالت : ومن أنت ؟ قال : سليمان بن داود فقالت : كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه ، فعرف سليمان أن الخطيئة قد أدركته ، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول : أنا سليمان بن داود ، فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون : انظروا الى هذا المجنون وأي شيء يزعم ، يقول إنه سليمان ، فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر ، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر من البحر الى السوق ، فيعطونه كل يوم سمكتين ، فإذا أمسى باع إحدى السمكتين بأرغفة وشوى الأخرى فيأكلها ، فمكث كذلك أربعين صباحا عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره . ثم إن آصف وعظماء بني اسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة ، فقال آصف : يا معشر بني إسرائيل ،

هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت ؟ قالوا : نعم ، فقال : أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلانيتهم ، فدخل على نسائه فقال لهن : ويحكن هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه ؟ فقلن : أشد ، ما يدع امرأة منا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة . فقال آصف : إنا لله وإنا اليه راجعون ، إن هذا لهو البلاء المبين . قال الحسن : ما كان الله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه (ص) . قال وهب ثم إن آصف خرج الى بني اسرائيل فقال : ما في الخاصة أعظم مما في العامة . فلما مضت أربعون صباحا زال الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشاء أعطاه السمكتين ، وكان من جملتها السمكة التي ابتعلت الخاتم ، فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة ثم عمد الى السمكة الأخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها ، فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والإنس والشياطين ، وأقبل على الناس ، وعلم أن الذي كان دخل عليه لما كان أحدث في داره من عبادة الوثن ، فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ، ثم أمر الشياطين وقال : ائتوني بصخر المارد ، فطلبته الشياطين حتى أتت به فنحت له صخرة فأدخله فيها ثم سدّ عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر اهـ . (١٦٥)

هذه الروايات أوردناها على طولها وبما تضمنته من تفاصيل لبيان ما فيها من منكرات غلب عليها الخيال القصصي . لذلك فإن العلماء المحققين الراسخين رفضوا قبولها واعتبروها من الإسرائيليات التي دسها اليهود على المسلمين .

أما سبب فتنة سليمان والجسد الذي ألقى على كرسيه ، فلا يتعدى ما ذهب اليه المحققون فيما أخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ص) قال : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه ، إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحمل شيئا إلا واحدا ساقطا إحدى شقيه . فقال النبي (ص) : لو قالها لجاهدوا في سبيل الله » (١٦٦) وفي رواية شعيب « تسعين امرأة » وزاد في آخره « فرسانا أجمعون » . (١٦٧)

وقد رأى أكثر العلماء أن الشق هو الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان . وسنأتي الآن على بيان آراء هؤلاء العلماء في تفنيد وإبطال تلك المفتريات .

رأي ابن حزم :

يرفض ابن حزم ما جاء في الروايات التي أشرنا اليها ويعتبرها من الاسرائيليات التي أدخلها اليهود الى

---

(١٦٥) الثعلبي ، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩ ، الخازن ، ج ٤ ، ص ٤٠ ـ ٤١ .
(١٦٦) صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ١٧١ .
(١٦٧) فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٢٧٢ .

كتب التفسير ويقول : إن معنى « فتنا سليمان » ....: أي آتيناه من الملك ما اختبرنا به طاعته ، فهذه فتنة الله تعالى لسليمان إنما هي اختباره حتى ظهر فضله فقط ... ويستطرد ابن حزم قائلا : وما عدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود وأشباههم . أما الجسد الملقى على كرسيه فقد أصاب الله تعالى به ما أراد ، نؤمن بهذا كما هو ونقول : صدق الله عز وجل ، كل من عند الله ربنا . ولو جاء نص صحيح في القرآن أو عن رسول الله (ص) بتفسير هذا الجسد ، ماهو ، لقلنا به ، فإذا لم يأت بتفسيره ماهو نص ولاخبر صحيح ، فلا يحل لأحد القول بالظن الذي هو أكذب الحديث في ذلك ، فيكون كاذبا على الله عز وجل .. إلا أننا لا نشك البتة في بطلان قول من قال إنه كان جنيا تصور بصورته ، بل نقطع على أنه كذب ، والله تعالى لا يهتك ستر رسوله (ص) هذا الهتك . وكذلك نبعد قول من قال إنه كان ولدا له أرسله الى السحاب ليربيه ، فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربي ابنه بغير ما طبع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبن والطعام ، وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح إسنادها قط اهـ .(١٦٨)

رأي الزمخشري :

كذلك فإن الزمخشري يرفض قبـول تـلك الروايات ويشكك في صحتها ... ولا يستسيغ أن يكـون الشيطان قد ألقى على كرسي سليمان ، ويستنكر أن يكون قد سلط على نسائه ، ويقول : ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان ، فالله أعلم بصحته . وبعد أن يذكر الزمخشري رواية جزيرة صيدون وخروج سليمان إليها وقتله ملكها وزواجه من ابنته جرادة وما كان من أمر عبادتها لصورة أبيها وفتنة سليمان ، يقول : وقيل : لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها ، فقال له آصف : إنك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك ، فتب إلى الله عز وجل . ويعلق الزمخشري على ذلك بقوله : ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا : هذا من أباطيل اليهود ، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل . وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام ، وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن : قبيح . وقوله « وألقينا على كرسيه جسداً » نابٍ عن إفادة معنى إنابةِ الشيطان مَنَابَهُ نُبوا ظاهراً اهـ .(١٦٩)

رأي الطبرسي :

ويستنكر الطبرسي ما ذكر من روايات بهذا الشأن منسوبة الى ابن عباس والسدي وغيرهما ، ويعلق على ذلك بقوله : إن جميع ذلك مما لا يعول عليه ، لأن النبوة لا تكون في خاتم ولا يجوز أن يسلبها الله لنبي ولا أن يمكن الشيطان من التمثل بصورة النبي والقعود على سريره والحكم بين عباده ا.هـ(١٧٠).

---

(١٦٨) الملل والنحل لابن حزم ، ج ٤ ، ص ١٩ ـ ٢٠ .
(١٦٩) الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .
(١٧٠) مجمع البيان ، ج ٢٣ ، ص ١١٥ .

رأي الرازي :

أما الرازي فانه يقسم الأقوال في شأن فتنة سليمان الى قسمين . قسم قاله أهل الحشو والرواية ، وقسم قاله أهل العلم والتحقيق .

وبعد أن يورد أقوال أهل الحشو والرواية وما فيها من خبر مدينة البحر وقتله ملكها وزواجه من ابنته جرادة ، ثم عبادتها صورة أبيها وافتتان سليمان وجلوس الشيطان على كرسي سليمان .. الى غير ذلك من الروايات التي تنتهي بجلوس الشيطان على سرير سليمان .. بعد أن يذكر هذه الروايات يعلق عليها قائلا :

واعلم أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه :

الأول : أن الشيطان لو قدر على أن يتشبه بالصورة والخلقة بالأنبياء ، فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع . فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ، ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الإغواء والإضلال ، ومعلوم أن ذلك يبطل الدين بالكلية .

الثاني : أن الشيطان لو قدر على أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد ، وحينئذ وجب أن يقتلهم وأن يمزق تصانيفهم وأن يخرب ديارهم ، ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء ، فلأن يبطل مثله في حق أكابر الأنبياء أولى .

الثالث : كيف يليق بحكمة الله وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان ؟ ولا شك أنه قبيح .

الرابع : لو قلنا إن سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه ، وإن لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة ، فكيف يؤاخذ الله سليمان بفعل لم يصدر عنه ؟

بعد أن كذب الرازي الروايات التي تنال من عصمة سليمان ، ذكر الوجوه التي يراها المحققون في تأويل معنى الآية . وهذه الوجوه ـ كما يراها الرازي ـ هي :

أولا : أن فتنة سليمان أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش صار مسلطاً علينا مثل أبيه ، فسبيلنا أن نقتله ، فعلم سليمان ذلك ، فكان يربيه في السحاب ، فبينما هو مشتغل بمهماته إذ ألقى ذلك الولد ميتاً على كرسيه ، فتنبه على خطيئته في أنه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه وأناب .

الثاني : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله ، فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع في حجره ، فوالذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا كلهم في سبيل الله فرساناً أجمعون » فذلك قوله : « ولقد فتنا سليمان » .

الثالث : قوله : « ولقد فتنا سليمان » بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه ، « وألقينا على كرسيه » منه « جسدا » وذلك لشدة المرض . والعرب تقول في الضعيف إنه لحم على وضم وجسم بلا روح . « ثم أناب » أي رجع الى حال الصحة .

فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة البتة الى حمله على تلك الوجوه الركيكة .

الرابع : أقول : لا يبعد أيضاً أن يقال إنه ابتلاء الله تعالى بتسليط خوف أو توقع بلاء من بعض الجهات عليه ، وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي ، ثم إنه أزال الله عنه ذلك الخوف ، وأعاده الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب أ.هـ[١٧١].

وهكذا فإن الإمام الرازي يرفض روايات القصاص فيما يتعلق بفتنة سليمان عليه السلام ، ويبطلها ويحذر من قبولها . يقول في كتابه (عصمة الأنبياء) فأما الذي يذكره الأكثرون من القصاص من حديث الخاتم وآصف ، فتلك الحكاية باطلة لم يدل على صحتها شيء ، فلا يجوز الالتفات اليها[١٧٢].

رأي القرطبي :

يشكك القرطبي في رواية صخر المارد وأنه جلس على كرسي سليمان وتصور بصورته ، ويعلق على هذه الرواية بقوله : وقد ضعف هذا القول من حيث إن الشيطان لا يتصور بصورة الأنبياء ، ثم من المحال أن يلتبس على أهل مملكة سليمان الشيطان بسليمان حتى يظنوا أنهم مع نبيهم في حق ، وهم مع الشيطان في باطل أ.هـ[١٧٣].

رأي النسفي :

ويرفض الإمام النسفي الروايات التي تمس عصمة سليمان عليه السلام ، ويعلق على تلك الروايات بقوله : وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام ، فمن أباطيل اليهود[١٧٤].

رأي القاضي عياض :

كذلك فان القاضي عياض يرفض الروايات التي جعلت الشيطان متسلطاً على ملك سليمان ويعلق على ذلك بقوله : لا يصح ما نقله الإخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في

---

(١٧١) تفسير الرازي ، ج ٢٦ ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩ .
(١٧٢) عصمة الأنبياء ، ص ١١١ .
(١٧٣) تفسير القرطبي ، ج ١٥ ، ص ٢٠١ .
(١٧٤) تفسير النسفي ، ج ٤ ، ص ٤٢ .

حكمه ، وإن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا ، وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا . ويقول إن الذي ذهب اليه المحققون أن سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ... وأن الشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه ، وهي عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنّي ا.هـ[١٧٥].

رأي أبي حيان :

أما أبو حيان فإنه يعتبر الروايات التي نقلها المفسرون في شأن فتنة سليمان ، من الإسرائيليات المنكرة التي لا يقبلها العقل ، وهي لا تصح قطعاً لمنافاتها للعصمة . يقول أبـو حيان في (البحـر المحيط) : نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها ، يوقف عليها في كتبهم ، وهي مما لا يحل نقلها ، وهي إما من أوضاع اليهود أو الزنادقة ، ولم يبيّن الله الفتنة ما هي ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان ... الى أن قال : لم يكن ليذكر من يتأسى به ممن نسب المفسرون إليه ما يعظم أن يتفوه به ، ويستحيل عقلا وجود بعض ما ذكروه ، كتمثل الشيطان بصورة نبي ، حتى يلتبس أمره عند الناس ، ويعتقدوا أن ذلك المتصوّر هو النبي . ولـو أمكن وجود هـذا لم يوثق بـإرسال نبي ، وإنمـا هذه مقـالة مستـرقة من زنـادقة السوفسطائية ، نسأل الله سلامة أذهاننا وعقولنا منها ا.هـ[١٧٦].

رأي ابن كثير :

يرفض ابن كثير كعادته الروايات التي تنال من سمعة الأنبياء وتمس عصمة النبوة . وفي أمر فتنة سليمان عليه السلام ، قال بعد أن ذكر بعض الروايات بهذا الشأن :

وهذه كلها من الاسرائيليات . ثم ذكر أن مِنْ أنكَرِها ما رواه ابن أبي حاتم بإسناده عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وسرد رواية طويلة شبيهة بما أوردناه سابقاً ، ثم علق عليها بقوله : إسناده الى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس إن صحّ عنه من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوّة سليمان عليه الصلاة والسلام ، فالظاهر أنهم يكذبون عليه . ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء ، فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنّي لم يسلّط على نساء سليمان ، بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفاً وتكريماً لنبيه عليه السلام . ثم قال : وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيـد بن أسلم وجماعـة آخرين ، وكلهـا متلقاة من قصص أهـل الكتـاب ، والله سبحـانـه وتعـالى أعلم بالصواب ا.هـ[١٧٧].

---

(١٧٥) تفسير الخازن ، ج ٤ ، ص ٤١ ـ ٤٢ .

(١٧٦) تفسير القرطبي ، ج ١٥ ، هامش ، ص ٢٠٠ .

(١٧٧) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

يتبين لنا مما ذكره الحافظ ابن كثير أن الروايات التي ذكرها المفسرون في شأن سليمان والجسد الذي ألقي على كرسيه ، إنما هي من الإسرائيليات المنكرة ، حيث إنها تتنافى مع عصمة النبوة ، فضلاً عن أن العقل يرفض مثل هذا القصص بحق نبي كريم .

رأي السيوطي[١٧٨]:

ذكر الحافظ السيوطي في تفسيره « الدر المنثور » الروايات التي أوردناها فيما يتعلق بسليمان عليه السلام وخاتمه والجسد الذي ألقي على كرسيه ، وقد ذكرها بإسنادها عن ابن عباس رضي الله عنهما[١٧٩]. وقد نبّه السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء الى أن تلك الروايات ، إنما هي روايات إسرائيلية تلقاها ابن عباس عن أهل الكتاب[١٨٠].

رأي الآلوسي :

أما الآلوسي فيستنكر أشد الاستنكار ما جاء في ذلك القصص من روايات إسرائيلية منكرة بحق سليمان عليه السلام ، وهو يرفض تلك الروايات ويعلق عليها قائلا :

ومن أقبح ما فيها زعم تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطئهن وهن حيض ... الله أكبر !! هذا بهتان عظيم ، وخطب جسيم ا.هـ[١٨١].

رأي المراغي :

كذلك فإن المراغي يرفض قبول الروايات والقصص التي حيكت حول سليمان وخاتمه والجسد الملقى على كرسيه ، وعدّها من الإسرائيليات المنكرة الباطلة . وهو يعلق على تلك الروايات بقوله :

وما روى من قصص الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان ، فذلك من أباطيل اليهود دسوها على المسلمين ، وأبى قبولها العلماء الراسخون ا.هـ[١٨٢].

رأي سيد قطب :

أما سيد قطب فيعلق على الإشارتين الواردتين في الآيات عن الصافنات الجياد وعن الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان فيقول : كلتاهما إشارتان لم تسترح نفسي لأي تفسير أو رواية مما احتوته التفاسير والروايات عنها ، فهي إما إسرائيليات منكرة ، وإما تأويلات لا سند لها .

---

(١٧٨) هو الحافظ جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي ، ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفي سنة ٩١١هـ .
(١٧٩) الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي ، ج ٥ ، ص ٣١٠ .
(١٨٠) زاد المسير ، ج ٧ هامش ، ص ١٣٤ .
(١٨١) تفسير القرطبي ، ج ١٥ ، هامش ، ص ٢٠٠ .
(١٨٢) تفسير المراغي ، ج ٢٣ ، ص ١٢١ .

ويستطرد قائلا : وكل ما نخرج به هو أنه كان هناك ابتلاء من الله وفتنة لنبي الله سليمان عليه السلام ، في شأن يتعلق بتصرفاته في الملك والسلطان كما يبتلى الله أنبياءه ليوجههم ويرشدهم ويبعد خطاهم عن الزلل ، وأن سليمان أناب الى ربه ورجع ، وطلب المغفرة واتجه الى الله بالدعاء والرجاء ا.هـ[183].

كانت تلك آراء العلماء المحققين في قصة فتنة سليمان عليه السلام وقصة خاتمه والجسد الذي ألقي على كرسيه . وكما تبين لنا فهم يرفضون قبول ذلك القصص الذي ذكره بعض المفسرين في كتب التفسير بهذا الصدد ، واعتبروه من الإسرائيليات المنكرة والأباطيل المرفوضة التي يردها الشرع ولا يقبلها العقل .

ومن ذلك القصص يتبين لنا ما فيه من صنعة واختلاق ، فلو قدر للشيطان أن يتشبه في الصورة والخلقة بالأنبياء ، فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع . ثم كيف يعقل أن يسلط الله سبحانه وتعالى الشيطان على نساء سليمان عليه السلام وهو نبي من أنبيائه الكرام ؟ إنه افتراء وإفك يرفضه الشرع ، وهو يدل على نفس خبيثة تجرأت على إلصاق مثل هذه المفتريات بالأنبياء المعصومين وبسيرهم ، وهم رموز النقاء والطهر في كل أمة ، وإذا ما تفحصنا تلك الروايات وأمعنا النظر فيها ، فإننا لن نجد الأصابع اليهودية بعيدة عن حياكة مثل هذا القصص المنكر . ثم أي مُلْك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه ويزولان بزواله ؟! وإذا كان خاتم سليمان بهذه المنزلة فكيف يغفل الله شأنه ولم يذكره بكلمة ؟ ثم هل غيّر الله خلقة سليمان في لحظة حتى أنكرته جرادة ...؟

الحق أن أثر الكذب والوضع باد على كل كلمة وردت في هذه القصة التي لفقتها أيدي أولئك القصاصين الذين تفننوا في حبك الروايات الإسرائيلية وأدخلوها في كتب التفسير .

أما ما نعتقده في أمر فتنة سليمان فهو أحد قولين :

الأول : إما أن يكون ما جاء في الصحيحين من حديث النبي (ﷺ) ، وقد ذكرناه فيما سبق ، وأن الشق هو الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان . وأن الفتنة هي نسيان سليمان قول (إن شاء الله)

فامتحن بهذا وتاب . وقد حصل نظير هذا للنبي (ﷺ) ، فقد سأله أهل مكة عن قصة أهل الكهف ، فقال : « أجيبكم غدا » ، ولم يقل إن شاء الله ، فأبطأ عنه الوحي خمسة عشر يوما ، ثم نزل قوله تعالى : « ولا تقولَنَّ لشيءٍ إني فاعِلٌ ذلك غداً . إلا أنْ يَشَاءَ الله »[184].

والحكمة في هذا أن الله تعالى يحبّ من عباده أن يردوا المشيئة إليه في كل أمورهم ، وأن ترك المشيئة غفلة عن الله تستحق البلاء والمؤاخذة .

---

(١٨٣) في ظلال القرآن ، ج ٢٣ ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .
(١٨٤) الكهف : ٢٣ ، ٢٤ .

الثاني : وإما أن تكون الفتنة أن سليمان ابتلى بمرض شديد ضنى منه حتى صار ـ لشدة المرض ـ كأنه جسد أو جسم بلا روح ملقى على الكرسي . « ثم أناب » أي رجع الى حالة الصحة . وهذا الرأي ذهب إليه الإمام الرازي .

أما غير ذلك فلا يبعد أن يكون من الاسرائيليات والقصص الذي لا يدل على صحته شيء .

٧ ـ كرسي سليمان :

ذكر بعض المفسرين أن سليمان عليه السلام عندما ملك بعد أبيه ، أمر الشياطين باتخاذ كرسي ليجلس عليه للقضاء . وقد وصفوا هذا الكرسي بأوصاف غريبة يظهر عليها الصنعة والخيال القصصي البعيد الذي لا يقبله عقل . وسننقل ما ذكره أولئك المفسرون كما جاء في رواية الثعلبي والقرطبي ..

قال وهب بن منبه وكعب الأحبار وغيرهما : إن سليمان عليه السلام ، أمر باتخاذ كرسي ليجلس عليه للقضاء ، وأمر أن يعمل بديعاً مهولا بحيث إذا رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب . فأمر أن يعمل من أنياب الفيلة مفصّصة بالدر والياقوت والزبرجد ، وأن يحفَّ بنخيل الذهب ، فحفوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر ، على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب ، وعلى رأس نخلتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض ، وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر . وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الأحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر ، بحيث أظل عريش الكرم النخل والكرسي .

وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى ، فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرحى المسرعة ، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ، ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما . وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان ، فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على رأسه ، ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسران والطاووسان والأسدان مائلين برؤوسهما الى سليمان ، وينضحن من أجوافهن المسك والعنبر ، ثم تناوله حمامة من ذهب قائمة على عمود من أعمدة الجواهر فوق الكرسي التوراة ، فيفتحها سليمان عليه السلام ويقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء . قالوا : ويجلس عظماء بني إسرائيل على كراسي الذهب المفصصة بالجواهر ، وهي ألف كرسي عن يمينه ، ويجلس عظماء الجن على كراسي الفضة عن يساره وهي ألف كرسي ، ثم تحف بهم الطير تظلهم ويتقدم الناس لفصل القضاء . فإذا دعا بالبيّنات وتقدمت الشهود للشهادات ، دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دوران الرحى المسرعة . قال معاوية لوهب بن منبه :

ما الذي كان يدير ذلك الكرسي ؟ قال : بلبلان من ذهب[١٨٥]. وذلك الكرسي مما عمله صخر الجنى ، قالوا : فإذا دار الكرسي بسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما ، وينشر النسران والطاووسان أجنحتهما فتفزع الشهود فلا يشهدون إلا بالحق . قال القرطبي : وقيل إن الذي كان يدور بذلك الكرسي تنّين من ذهب ذلك الكرسي عليه ، وهو عظيم مما عمله له صخر الجنى ، فإذا أحست بدورانه تلك النسور والأسد والطواويس التي في أسفل الكرسي الى أعلاه درن معه ، فإذا وقفن وقفن كلهن على رأس سليمان وهو جالس ، ثم ينضحن جميعاً على رأسه ما في أجوافهن من المسك والعنبر .

وتضيف الرواية : فلما توفى سليمان بعث بختنصر فأخذ الكرسي فحمله الى أنطاكية ، فأراد أن يصعد اليه ولم يكن له علم كيف يصعد اليه ، فلما وضع رجله ضرب الأسد رجله فكسرها .

وكان سليمان إذا صعد وضع قدميه جميعاً . ومات بختنصر وحمل الكرسي الى بيت المقدس ، فلم يستطع قط ملك أن يجلس عليه ، ولكن لم يدر أحد عاقبة أمره ولعله رفع ا.هـ[١٨٦].

تظهر في هذه الرواية الصنعة القصصية والخيال الواسع ، والمبالغة التي أضفاها واضع القصة على كرسي سليمان ... هذه الرواية وما فيها من مبالغات لا حدّ لها ، تفوح منها رائحة الاسرائيليات التي دخلت الى التفاسير عن طريق مسلمة أهل الكتاب ... خاصة وأنها مروية عن وهب بن منبه وكعب الأحبار اللذين ينسب إليهما الكثير من الروايات الاسرائيلية غير المقبولة .

ويبقى الدليل على كذب هذه الرواية وأنها موضوعة ، ما جاء في آخرها من خبر بختنصر ، إذ تقول الرواية إنه لما توفى سليمان بعث بختنصر فأخذ الكرسي فحمله الى أنطاكية ... فإذا علمنا أن حكم بختنصر كان في القرن السادس قبل الميلاد ، وحكم سليمان كان في القرن العاشر قبل الميلاد - إذ توفي سليمان سنة ٩٢٢ ق.م كما يرى معظم المؤرخين - وإذا علمنا أيضاً أن بختنصر - أو نبوخذ نصر كما يسميه المؤرخون الغربيون - هاجم بيت المقدس ودمرها وسبى اليهود الى بابل فيما عرف بالسبى البابلي سنة ٥٨٦ ق.م ، فيكون ما بين وفاة سليمان ودخول بختنصر بيت المقدس قرابة أربعة قرون ، إذا علمنا كل ذلك ، فإن الرواية كلها تصبح محل شك وتحمل الدليل على بطلانها .

لذلك فإن الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر في تفسيره رواية مشابهة للرواية التي أوردناها مروية من طريق ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار ، رفض قبولها وشكّكَ في صحتها ثم علّق عليها بقوله : إنه خبر عجيب .. ثم قال : وهو غريب جداً[١٨٧].

●●●

(١٨٥) ذكر ابن كثير هذه الرواية أيضاً ، وجاء عنده (تنّين من ذهب) بدلاً من (بلبلان من ذهب) .
(١٨٦) الثعلبي ، ص ٢٧٢ ، القرطبي ، ج ١٥ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .
(١٨٧) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣٦ - ٣٧ .

« البـاب الثـالث »

أوجه الشـبه والخلاف بين روايات المصـادر التاريخية ، والعهـد القديم والقــرآن الكريــم

أوجه الشبه والخلاف حول ما جاء
في الخلفية التاريخية
(بنو اسرائيل قبل داود وسليمان)

سنتعرض في هذا الباب لأوجه الشبه والخلاف بين روايات المصادر التاريخية والعهد القديم ، والقرآن الكريم . وسنبدأ بما ذكر في هذا الشأن في الخلفية التاريخية قبل بداية حقبة داود وسليمان ..

يقول المؤرخون إن بني اسرائيل لم تكن لهم أهمية تذكر في أيامهم مثلما أصبح تأثيرهم على تاريخ العالم فيما بعد ، ولم يكونوا جديرين بالاشارة إليهم لو لم يؤثر عنهم ذلك التراث الديني والأدبي ، لأنهم كانوا منذ بداية تاريخهم المدوّن ، وقبل دخولهم أرض كنعان ، بدواً يرعون قطعان الماشية ويسكنون الخيام ، على هامش المجتمعات المتحضرة[1].

ولما كان بنو إسرائيل يعتبرون إبراهيم عليه السلام أباهم الأول ، فقد أوردت التوراة قصة نزوحه الى أرض كنعان في شيء من التناقض والغموض .

يقول الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين : « وأخذَ تارحُ أبرامَ ابنَه ولوطاً بنَ هارانَ ابنَ ابنِه وسارايَ كَنَّتَه امرأةَ أبرامَ ابنِهِ ، فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان ، فأتوا الى حاران وأقاموا هناك .. ومات تارح في حاران »[2].

يتضح من النص السابق أن فكرة النزوح الى أرض كنعان كانت فكرة تارح أبي ابراهيم . إلا أن الاصحاح الثاني عشر من نفس السفر يفيد بأن نزوح إبراهيم كان بأمر الرب ولا علاقة لأبيه تارح به .

يقول الاصحاح المذكور : « وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض . فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط ، وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران . فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران .. فأتوا الى أرض كنعان »[3].

كما ورد في الاصحاح ١٥ : ٧ من سفر التكوين ، وكذلك في الاصحاح ٢٤ : ٣ من سفر يشوع ، ما يفيد بأن النزوح كان بأمر الرب .

---

(١) أنظر ص ١٧ ، ١٨ من الكتاب
(٢) التكوين ١١ : ٣١ ـ ٣٢ .
(٣) التكوين ١٢ : ١ ـ ٥ .

أما القرآن الكريم فلم يشر الى هذا الأمر من قريب أو من بعيد ، غير أن اسم والد إبراهيم عليه السلام الذي جاء ذكره في التوراة باسم تارح ، سماه القرآن الكريم (آزر) ، فقد جاء في سورة الأنعام : « وإذ قالَ إبراهيمُ لأبيه آزرَ أتتخذُ أصناماً آلهةً ، إني أراك وقومَكَ في ضلالٍ مبين »[٤].

ابراهيم وأصله العربي :

يتضح من نص الاصحاح ١١ من سفر التكوين سالف الذكر أن ابراهيم كان من مدينة أور الكلدانيين ... بينما يذكر الاصحاح ١٢ أن مقام ابراهيم وأرضه وعشيرته وبيت أبيه في حاران .

وورد في سفر التكوين أيضاً أن إبراهيم استحلف كبير عبيده بأن لا يأخذ لابنه إسحق زوجة من بنات كنعان ، بل يذهب الى أرضه وعشيرته ويأخذ منها زوجة لابنه ، وأن العبد ذهب الى آرام النهرين الى مدينة ناحور أخي ابراهيم وخطب ابنته لاسحق وأتى بها الى أرض كنعان[٥].

وجاء في السفر أيضاً أن اسحق وصّى ابنه يعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل يذهب الى فدان آرام ويتزوج من بنات خاله (لابان)[٦]. وكل ذلك يفيد أن أرض ابراهيم وعشيرته كانت في آرام النهرين .

إذن هناك احتمالان أوردهما العهد القديم لمنشأ إبراهيم ، وهما أور الكلدانيين وآرام النهرين .

وهناك احتمال ثالث هو أن يكون إبراهيم من الموجة الأمورية ، ومن المعروف أن هذه الموجة أخذت تطرأ على بلاد الشام قبل الآراميين وانتشرت في أنحائها .. وتدفقت جماعات منها الى العراق الجنوبي وسيطرت عليه وأنشأت فيه مملكة بابل الاولى . كما جاءت جماعات أخرى الى شرق الأردن وغربه واستقرت فيهما وأنشأت ممالك عديدة فيهما ظلت قائمة الى وقت طروء بني اسرائيل عليهما بعد خروجهم من مصر ، وجاء في العهد القديم أن ابراهيم كان ساكناً عند بلوطات ممرا الأموري[٧]، فيتبادر الى الذهن أن ابراهيم إنما ذهب الى هذه المنطقة لأنها كانت من مساكن الاموريين الذين كان منهم[٨].

وجاء في التراث اليهودي أيضاً أن العبرانيين يرجعون في غالبيتهم الى الأصل الآرامي ، وهم يعتمدون في هذه المقولة على ما جاء في العهد القديم على لسان موسى : « آرامياً تائهاً كان أبي »[٩].

ويرفض المؤرخون هذا الادعاء ، يقول لودز : « يجب علينا أن نكون حذرين من قبول هذا الادعاء على

---

(٤) الانعام : ٧٤ .
(٥) التكوين ، ص ٢٤ .
(٦) التكوين ٢٨ : ١ ـ ٢ .
(٧) التكوين ١٤ : ١٣ .
(٨) دروزة ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .
(٩) التثنية ٢٦ : ٥ .

أنه تقليد تاريخي صحيح ، وعلينا أن نتذكر أن اصطلاح (آراميين) لم يكن ـ في الوقت الذي ظهر فيه هذا التقليد ـ يدل على ولايات منظمة بسكانها المستقرين ومدنها الكبيرة وحضارتها المتقدمة في شمالي سورية ، وهو ما أصبح يدل عليه بعد القرن العاشر ق.م ، وإنما كان يعني قبائل بدوية تعيش في صحراء بادية الشام الى الشرق والجنوب الشرقي من فلسطين »(١٠).

ويقول مصطفى الدباغ : الأرجح أن إبراهيم أموري من العرب السوريين الذين حكموا العراق مدة ٢٧٠ سنة وأسسوا فيه الدولة البابلية الاولى . وأما القول إنه آرامي فوهم ، لأن الآراميين أخذوا ينزلـون مشارف الجزيرة العربية بعد أيام ابراهيم بنحو ثلاثة قرون(١١).

ومهما كان الأصل الذي يرجع اليه ابراهيم بموجب ما ورد في روايات العهد القديم ، ومصنفات المؤرخين على مختلف ميولهم وأهوائهم ، وسواء أكان كلدانياً أم أمورياً أم آرامياً ، فانه من الجنس العربي ، لأن هذه الشعوب الثلاثة هي من هذا الجنس على ما يقره الباحثون بدون خلاف(١٢).

ويؤكد هذه الحقيقة العقاد في كتابه (ابراهيم أبو الأنبياء) ويورد الأدلة على ذلك وينتهي الى القول : فاذا فتشنا عن نسبة لابراهيم ، لم نجد أصدق من النسبة العربية ، وأصح التقديرات أنه نشأ في أسرة حديثة عهد بالهجرة من شمال اليمن الى جنوب العراق(١٣).

أما القرآن الكريم فلا يذكر شيئاً عن أصل إبراهيم لأن ذلك لا فائدة منه ، وإنما يكتفي بالقول : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكنْ كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين . إنَّ أَوْلَى الناسِ بإبراهيم لَلَّذين اتّبعوه وهذا النبيُّ والذين آمنوا ، واللهُ وليُّ المؤمنين(١٤) » .

●●●

ـ الغرض من هجرة ابراهيم الى فلسطين :

إن رواية الأصحاح الثاني عشر من سفر التكوين تبين أن ابراهيم عليه السلام هاجر من أرضه الى بلاد كنعان بأمر الرب ، وإننا نفهم من هذا الأمر أنه كان لغرض ديني لا دنيوي .. كان من أجل نشر الرسالة التي أمره الله بحملها والمتمثلة بعبادة الله عز وجل ونبذ عبادة الأوثان .

---

(١٠) لودز ، ص ١٦٤ .
(١١) بلادنا فلسطين ، ص ٤١٤ .
(١٢) دروزة ، ص ٣٠ .
(١٣) العقاد ، ابراهيم ابو الأنبياء ، ص ٢٩٠ .
(١٤) آل عمران : ٦٧ ـ ٦٨ .

ويبسط القرآن الكريم هذا الأمر بتفصيل أوفى لأنه يتعلق بالعقيدة والدين .. إذ أخذ ابراهيم يدعو قومه لعبادة الله ونبذ عبادة الأوثان ، إلا أن دعوته لم تلق آذاناً صاغية ، بل وصل الأمر بأبيه أن « قالَ أراغبٌ أنتَ عن آلهتي يا إبراهيمُ ، لئنْ لم تَنْتَهِ لأرجُمَنَّكَ واهْجُرْني مَلِيّاً . » وما كان من إبراهيم إلا أن « قال سلامٌ عليكَ ، سأستغفرُ لَكَ ربّي ، إنه كانَ بي حَفِيّاً ، وأَعْتَزِلُكُم وما تَدْعونَ من دونِ الله وأدعو ربّي عَسَى ألَّا أكونَ بدُعاءِ ربّي شَقِيّاً[15] » .

ويشير القرآن الكريم الى أن إبراهيم عليه السلام تعرض للأذى بين عشيرته وقومه بسبب دعوته « قالوا حَرِّقوه وانصُروا آلهَتَكُمْ إنْ كُنتم فاعلين[16] » . إلا أن الله سبحانه وتعالى أنقذه من نارهم ، وردّ كيدهم الى نحورهم « قُلْنا يا نار كوني بَرداً وسلاماً على ابراهيم . وأرادوا به كَيْداً فجعلناهُمُ الأخْسَرين »[17] . ثم تكون مشيئة الله أن يهاجر الى الأرض المقدسة ، أرض فلسطين ، فراراً بدينه ، وفي سبيل نشر دعوته ومبادئه « ونَجَّيْناه ولوطاً إلى الأرضِ التي بارَكْنا فيها لِلْعالَمِين[18] » .

يتضح لنا مما سبق أن هجرة ابراهيم عليه السلام الى فلسطين ورد ذكرها في العهد القديم على أنها تمت بأمر الرب ، ويفهم من ذلك أن هذا الأمر كان من أجل الدين والدعوة اليه .

وجاء ذكرها في القرآن الكريم مؤكداً هذا المعنى بشكل أوضح وأوفى . إلا أننا نجد بين المؤرخين من يقول غير ذلك ، يقولون إن هجرته كانت بدوافع مادية اقتصادية . فغوستاف لوبون على سبيل المثال يقول : « كان ابراهيم أول من هَجَر كَلدة من عِرْقِهِ طلباً للرزق[19] » .

ومع ذلك نجد مؤرخين آخرين يردون هذا القول ويؤيدون ما ذكره القرآن الكريم بهذا الشأن . يقول الدباغ إن هجرة ابراهيم عليه السلام من العراق الى بلاد كنعان ، كانت في سبيل مبادئه الدينية والأخلاقية ، وليست اقتصادية مادية ، فالعراق كان في ذلك الوقت أكثر خصباً ورقياً من فلسطين . وما أن استقر به المقام في فلسطين حتى أخذ يبني المساجد ودور العبادة ، فبنى مسجداً في مدينة بئر السبع[20] وغيره في (بيت إيل) وفي الخليل وغيرها[21] .

وبطبيعة الحال إننا نستبعد أن تكون هجرة ابراهيم عليه السلام لأسباب اقتصادية دنيوية ، وإنما كانت بغرض نشر الدين وتعاليمه ومثله العليا ، ونبذ ما كان عليه القوم آنذاك من انحطاط في مفاهيمهم الدينية

---

(١٥) مريم : ٤٦ ـ ٤٨ .
(١٦) الأنبياء : ٦٨ .
(١٧) الأنبياء : ٦٩ ـ ٧٠ .
(١٨) الأنبياء : ٧١ .
(١٩) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ص ٣٢ .
(٢٠) تاريخ الطبري ، ٣١١/١ .
(٢١) بلادنا فلسطين ، ص ٤١٤ ـ ٤١٥ .

وارتكاس في أخلاقهم . ويؤكد هذا المعنى ويعززه ما أسبغه عليه القرآن الكريم من صفات لم يوصف بها غيره من الأنبياء والمرسلين فهو خليل الله ، يقول تعالى : « واتخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلا[٢٢] » . ومن كان خليلا لله لا يؤرقه أمر دنيوي زائل ، وإنما يكون تعلقه بحب الله وطاعته ونشر دينه بين الناس في الأرض .

●●●

ـ دخول بني اسرائيل الى مصر :

جاء في العهد القديم أن يعقوب عليه السلام (أو إسرائيل) وأبناءه ارتحلوا الى مصر بعد القحط الذي أصاب أرض كنعان ، وكان عددهم سبعين شخصاً ، وأقاموا في أرض جاسان[٢٣] .

ويفهم مما جاء في القرآن الكريم أيضاً أن القحط أصاب أرض كنعان ، مما حدا بأبناء يعقوب أن يذهبوا الى مصر للحصول على القمح ، ثم يذكر القرآن أن يوسف عليه السلام استدعى أباه وإخوته من البدو وجاء بهم الى مصر[٢٤] .

أما المؤرخون فعلى الرغم من أنهم يذكرون أن دخول بني اسرائيل الى مصر كان بسبب القحط ، إلا أنهم يضيفون أسباباً أخرى لذلك .

يقول لودز في تفسير سبب دخولهم الى مصر إن مجموعة من بدو بني اسرائيل الذين شكلوا فيما بعد ما عرف (ببيت يوسف) وهم قبائل أفرايم ومنسَّى وبنيامين حصلت على إذن مع قبائل أخرى بالإقامة على حدود مصر في منطقة تكثر فيها المراعي ، تقع بين الدلتا والصحراء الغربية ، بعد أن هجروا مأواهم ، إما بسبب المجاعة التي خلفها القحط والجفاف ، وإما بسبب طرد إخوتهم لهم ، استناداً لما جاء في العهد القديم عن قصة يوسف ، وإما بسبب طردهم من قبل بدو آخرين هم الأدوميون[٢٥] كما يقول (اسيدورليفي) . وهناك دلالة على عمليات الطرد هذه تتمثل في النقش الموجود على قبر الفرعون (حورمحب) مؤسس الأسرة التاسعة عشرة (١٣٤٥ ـ ١٣٢١ ق.م) ، وهذا النقش يمثل مجموعة من الآسيويين طردوا من أماكنهم في الصحراء بواسطة أعدائهم ، ويطلبون إذناً « بالدخول الى أرض فرعون حسب ما جرت عليه العادة منذ آباء آبائه[٢٦] » ..

ويقول ڤيلز إن قصة إقامة بني إسرائيل وعبوديتهم في مصر قصة صعبة ومعقدة ، إذ يوجد هناك مدّونة مصرية تنسب الى الفرعون رمسيس الثاني تتحدث عن إقامة أناس ساميين في أرض جاسان وتذكر أنهم قدموا

---

(٢٢) النساء : ١٢٥ .

(٢٣) التكوين ٤٦ : ٥ ـ ٧ ؛ ٤٦ : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢٤) يوسف : ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢٥) الأدوميون هم قوم عيسو أخي يعقوب حسب رواية العهد القديم (التكوين ٣٦ : ١) .

(٢٦) لودز ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

الى مصر طلباً للطعام . وهناك احتمال ـ أورده ويلز ـ بأن البلاد التي دخلها بنو إسرائيل وتعرضوا فيها ـ فيما بعد ـ للاضطهاد ، لم تكن مصر (وهي بالعبرية مصرايم) ، وإنما (متسريم) وتقع في شمال الجزيرة العربية على الضفة الأخرى للبحر الأحمر(٢٧) .

ويؤكد هذا القول (شاين) الذي يقول ـ كما مر معنا ـ إن بني إسرائيل وأسباطهم كانوا في شمال الجزيرة العربية ، وان النصوص الواردة في العهد القديم والمذكور فيها كلمة (متسريم) بالعبرية على أنها تشير إلى مصر ، تلك النصوص حصل بها تحريف ، إذ إن المقصود بها (متسريم) الواقعة شمالي جزيرة العرب(٢٨) .

ويقول صابر طعيمة : جاء بنو اسرائيل الى مصر سائلين أصحاب حاجة ورجاء ، ولم تكن في حركة القوم هذه أدنى علاقة من معاني الدين أو تخطيط الدعوى .. لقد كانوا في حالة من البداوة والتخلف وسوء الحال والاستعداد المفرط للعبودية والذل من أجل قضاء حوائجهم(٢٩) .

ـ مدة إقامة بني إسرائيل في مصر :

جاء في العهد القديم ما يلي : « وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربعمائة وثلاثين سنة(٣٠) » . أما القرآن الكريم فلا يشير الى المدة التي مكث خلالها بنو إسرائيل في مصر ، إلا أن الترجمة السبعينية تذكر أن إقامة بني إسرائيل هناك كانت لمدة مائتين وخمس عشرة سنة فقط .

أما المؤرخون فتختلف آراؤهم بهذا الشأن ، إذ يرى (بورنى) أن بعض القبائل العبرية فقط دخلت الى مصر مع الهكسوس وخرجت بخروجهم ، وهذا يتفق مع دخول وخروج إبراهيم منها بعد إقامته لبعض الوقت ... ثم ارتحل جزء من بني إسرائيل من فلسطين الى مصر ، وهم يوسف وربما شمعون ولاوي ، وأقاموا هناك ٢١٥ سنة حسب رواية الترجمة السبعينية ، غير أن غالبية بني إسرائيل بقيت في فلسطين . ويقول جرسمان إن بني إسرائيل جاءوا الى أطراف فلسطين حوالي عام ١٣٠٠ ق.م وذهب قسم منهم مباشرة الى مصر حيث بقوا مدة جيلين فقط أي حوالي (٥٠) عاماً ، وخرجوا من مصر أثناء حكم رمسيس الثاني وأقاموا في كنعان حوالي عام ١٢٣٠ ق.م ، ويرى لودز أن دخول بني إسرائيل الى أرض كنعان كان أثناء حكم مرنبتاح خليفة رمسيس الثاني(٣١) .

ويقول الشيخ رحمه الله الهندي إن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت مائتين وخمس عشرة سنة لا أكثر(٣٢) .

---

(٢٧) Wells, The Outline of History, pp. 255-256.

(٢٨) Cheyne, p. 74.

(٢٩) صابر طعيمة ، التاريخ اليهودي العام ، ج ١ ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٣٠) الخروج ١٢ : ٤٠ .

(٣١) لودز ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ، ١٨٨ .

(٣٢) إظهار الحق ، ص ٦٤ .

وإننا نميل الى تصديق رواية الترجمة السبعينية بشأن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر ، لأن دخولهم الى مصر كان حوالي عام ١٤٣٥ ق.م ـ كما يقول بورني ـ فاذا كانت إقامتهم ٢١٥ سنة ، يكون خروجهم حوالي عام ١٢٢٠ ق.م وهو تاريخ قريب من التواريخ التي يقترحها معظم المؤرخين . ولا يظن أن خروجهم من مصر ودخولهم بالتالي أرض كنعان قد حدث قبل هذا التاريخ ، لأنه خلال المدة من عام ١٥٠٠ ق.م وحتى عام ١٢٠٠ ق.م كانت صناعة الخزف على أيدي الحرفيين والفنانين الفلسطينيين مزدهرة في فلسطين ، بحيث يمكن اعتبار هذه المدة بالذات العصر الذهبي لصناعة الخزف الكنعانية كما يقول لودز[٣٣] . لذلك فان الأمر الطبيعي أن يتطابق وصول الاسرائيليين ، الذين كانوا أقل حضارة من السكان الأصليين في كنعان ، مع أفول تلك الصناعة بعد عام ١٢٠٠ ق.م .

ـ عدد الاسرائيليين الخارجين من مصر :

جاء في العهد القديم أن عدد بني إسرائيل الذين خرجوا مع موسى من مصر كان نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد[٣٤] ، وجاء في سفر العدد أن عدد بني إسرائيل الذين أحصاهم موسى وهارون عند خروجهم من الذين أعمارهم فوق عشرين سنة كان ستمائة وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين (٦٠٣٥٥٠)[٣٥] .

القرآن الكريم لا يتعرض لذكر عدد بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر . أما المؤرخون فإنهم لا يقبلون روايات العهد القديم في هذا الشأن ويرون أنها محرفة ومبالغ فيها بدرجة كبيرة ـ فقد رفض (جون برايت) العدد المذكور في العهد القديم وبين بالحساب أننا لو قبلنا ذلك العدد من ذوي الأعمار العسكرية لبلغ عدد الخارجين (٢ ـ ٣) مليون نسمة مما لا يمكن أن تعتني بنساء هذا العدد قابلتان فقط .... الخروج (١ : ١٥ ـ ٢٢)[٣٦] .

ويقول المؤرخ المصري الدكتور سليم حسن إن عدد الذين خرج بهم موسى من مصر كان حوالي (٥٥٠٠) نسمة[٣٧] .

ويدحض الشيخ رحمة الله الهندي رواية العهد القديم ويثبت بالأدلة بطلانها ، يقول : يفهم من تلك الرواية أن عدد الصالحين لمباشرة الحروب كان أكثر من ستمائة ألف ، وأن اللاويين ذكوراً كانوا أو إناثاً ، كذلك إناث جميع الأسباط الباقية ، وكذا ذكورهم الذين لم يبلغوا عشرين سنة خارجون عن هذا العدد . فلو ضممنا

---

(٣٣) لودز ، ص ١٨٣ .
(٣٤) الخروج ١٢ : ٣٧ .
(٣٥) العدد ١ : ٤٦ .
(٣٦) عروبة فلسطين ، ص ١١٧ .
(٣٧) مصر القديمة ٧/١٢٠ ، ١٣٣ ؛ انظر : الدباغ ، ص ٥٤٤ .

جميع المتروكين والمتروكات مع الذين شملهم التعداد ، فإن عدد الجميع لا يكون أقل من مليونين ونصف المليون (٢,٥٠٠,٠٠٠) ، وهذا غير معقول من عدة وجوه :

١ ـ إن عدد بني إسرائيل من الذكور والإناث حين دخلوا مصر كان سبعين شخصاً ، كما هو مصرح به في سفر التكوين ٤٦ : ٢٧ ؛ وسفر الخروج ١ : ٥ ؛ وسفر التثنية ١٠ : ٢٢ ، وإن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت مائتين وخمس عشرة سنة لا أكثر . وجاء في الإصحاح الأول من سفر الخروج أنه قبل خروج بني إسرائيل من مصر بحوالي ثمانين سنة كان أبناؤهم يقتلون وبناتهم تستحيا .

ويعلق على ذلك بقوله : « إذا عرفت الأمور الثلاثة ، أعني عددهم حينما دخلوا مصر ، ومدة إقامتهم فيها ، وقتل أبنائهم ، فلو قطع النظر عن القتل ، وفرض أنهم كانوا يضاعفون في كل خمس وعشرين سنة ، فلا يبلغ عددهم ستة وثلاثين ألفاً في المدة المذكورة ، فكيف وصل العدد الى مليونين وخمسمائة ألف ، ولو لوحظ القتل فالامتناع عقلاً أظهر[٣٨] » .

٢ ـ يبعد كل البعد أنهم يكثرون من سبعين شخصاً بهذه الكثرة ولا تكثر طائفة الأقباط ـ مع راحتهم وغناهم ـ مثل كثرتهم . ويستغرب أن فرعون مصر كان يظلمهم بأشنع ظلم ـ ومع كونهم مجتمعين في موضع واحد ـ ولا يصدر عنهم ما يردون به ظلم السلطان ولا المهاجرة من دياره .

٣ ـ يعلم من الاصحاح الثاني عشر من سفر الخروج أن بني اسرائيل كان معهم المواشي العظيمة من الغنم والبقر ، ومع ذلك صرح في هذا السفر أنهم عبروا البحر في ليلة واحدة ، وأنهم كانوا يرتحلون كل يوم ، وكان يكفي لارتحالهم الأمر اللساني الذي يصدر عن موسى ، فكيف يتم تنفيذ ذلك وعددهم مليونان ونصف المليون ... ؟ !

٤ ـ إنه لا بد أن يكون موضع نزولهم واسعاً جداً ، بحيث يسع كثرتهم وكثرة مواشيهم ، وحول طور سيناء ، وكذلك حول اثنتي عشرة عينا في إيليم ، ليسا كذلك ، فكيف وسع هذان الموضعان كثرتهم وكثرة مواشيهم ... ؟

٥ ـ جاء في سفر التثنية ٧ : ٢٢ « ولكنَّ الربَّ إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً . لا تستطيع أن تُفْنِيَهم سريعاً لئلّا تكثر عليك وحوش البرّية » .

وقد ثبت أن طول فلسطين كان بقدر مائتي ميل ، وعرضها بقدر تسعين ميلاً . فلو كان عدد بني إسرائيل قريباً من مليونين ونصف المليون ، وكانوا متسلطين على فلسطين مرة واحدة بعد إهلاك أهلها ، لما تكاثرت عليهم وحوش البرّية . لأن الأقل من هذا القدر يكفي لعمارة المملكة التي تكون بالقدر المذكور[٣٩] .

---

(٣٨) إظهار الحق ، ص ٦٤.

(٣٩) إظهار الحق ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

وقد أنكر ابن خلدون أيضاً هذا العدد فى مقدمة تاريخه وقال : « الذي بين موسى وإسرائيل إنما هو ثلاثة آباء على ما ذكره المحققون ، ويبعد أن يتشعّب النسل في أربعة أجيال الى مثل ذلك العدد » .

أما الحقيقة فهي أن كثرة بني إسرائيل كانت بالقدر الذي يمكن أن يوجد في مدة مائتين وخمس عشرة سنة ، وكان فرعون مصر قادراً عليهم وأن يظلم بأي وجه شاء ، وكان الأمر اللساني الصادر عن موسى عليه السلام كافياً لارتحالهم كل يوم ، وكان يكفي حول طور سيناء وحول إيليم لنزولهم مع دوابهم ، وكان لا يكفي عددهم لعمارة فلسطين لوثبت التسلط مرة واحدة[٤٠]

يتضح لنا من الأدلة السابقة أن روايات العهد القديم بشأن عدد بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر ، هي روايات محرفة مرفوضة لا تثبت أمام التحقيق الدقيق .

●●●

ـ معجزة انفلاق البحر أمام بني إسرائيل :

عندما رفض الفرعون دعوة موسى عليه السلام ورفض أن يطلق بني إسرائيل معه ، أنزل الله به وبقومه الضربات المتعددة ، فوافق على خروج بني إسرائيل . تقول التوراة : « فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة . فقام فرعون ليلاً ... فدعا موسى وهارون ... وقال قوموا اخرجو من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً ... خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم واذهبوا ..[٤١] » .

فتجهز بنو إسرائيل للخروج وبدأوا مسيرهم ، فعلم فرعون بذلك ، فتراجع عن رأيه وشدّ رحاله للحاق بهم فأدركهم عند البحر « ففزعوا جداً .. وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية .. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ... فقال موسى للشعب لا تخافوا ، قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم[٤٢] » .

وهكذا أخذ بنو إسرائيل يتذمرون عند أول مواجهة ، إلا أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يتم معجزته : « فقال الرب لموسى مالك تصرخ اليّ ، قل لبني إسرائيل أن يرحلوا . وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقّه ، فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة[٤٣] » .

---

(٤٠) نفس المرجع ، ص ٦٦ .
(٤١) الخروج ١٢ : ٢٩ ـ ٣٢ .
(٤٢) الخروج ١٤ : ١٠ ـ ١٣ .
(٤٣) الخروج ١٤ : ١٥ ـ ١٦ .

« ومدّ موسى يده على البحر ، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل ، وجعل البحر يابسة وانشق الماء . فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم . وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم ، جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه الى وسط البحر(٤٤) » .

وتستمر رواية التوراة : « فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح الى حاله الدائمة والمصريون هاربون الى لقائه ، فدفع الرب المصريين في وسط البحر . فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر ، لم يبق منهم أحد . وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم(٤٥) » .

ويتفق القرآن الكريم في أمر معجزة شق البحر مع التوراة ، يقول تعالى : « وأوحَيْنا الى موسى أن أسْرِ بعبادي إنكم مُتَّبَعُون . فأرسل فرعون في المدائن حاشرين » ... « فلما تراءى الجَمْعَان قال أصحابُ موسى إنّا لَمُدْرَكُون . قال كلّا إن معي ربّي سيهدين . فأوحَيْنَا الى موسى أن اضربْ بعصاك البحرَ فانفلَقَ فكان كل فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم . وأزلَفْنَا ثَمَّ الآخرين . وأنْجَيْنَا موسى ومَنْ معه أجمعين . ثم أغرقْنَا الآخرين(٤٦) » .

إلا أن بعض المؤرخين يختلفون مع ما جاء في رواية التوراة بهذا الشأن ، وبالتالي مع ما جاء في القرآن الكريم .

ها هو فرويد ينكر معجزة شق البحر ويقول إن موسى نفذ عملية الخروج من مصر بسلام وبدون مطاردة أو ملاحقة من أحد ، وقد ساعده على ذلك نفوذه الكبير ، إذ كان أحد رجال البلاط الملكي ، وربما كان في ذلك الوقت حاكماً لمقاطعة جاسان التي تقع على الحدود ، بالاضافة الى كون السلطة المركزية التي يمكنها التدخل في الأمر معدومة وقتها ولم يكن لها أي وجود(٤٧) .

●●●

ـ تنصيب شاؤل ملكاً على بني إسرائيل :

يتفق القرآن الكريم مع رواية العهد القديم في أمر تنصيب شاؤل ـ أو طالوت كما يسميه القرآن ـ ملكاً على بني إسرائيل . جاء في العهد القديم أن الرب أوحى الى صموئيل النبي بأنه سيجيء اليه الذي اختاره ليكون قائداً لشعبه يخلصهم من أيدي الفلسطينيين .. ثم صب على رأسه الدهن وقبله وقال له : إن الرب قد

---

(٤٤) الخروج ١٤ : ٢١ ـ ٢٣ .
(٤٥) الخروج ٢٤ : ٢٧ ـ ٢٩ .
(٤٦) الشعراء : ٥٢ ـ ٥٣ ، ٦١ ـ ٦٦ .
(٤٧) Freud, Moses and Monotheism, pp. 28-29.

مسحك قائداً على ميراثه . ثم استدعى الشعب في المصفاة وقال لهم : إن الله اختار لكم قائداً لا نظير له في جميع الشعب وكان أطول رجال بني إسرائيل ، ولم يكن فيهم من هو أحسن منه[٤٨] « فهتف كل الشعب وقالوا ليحيى الملك ... وأما بنو بليّعال فقالوا كيف يخلصنا هذا ، فاحتقروه[٤٩] » .

ويشير القرآن الكريم الى هذه الواقعة ، قال تعالى : « وقال لهم نبيُّهم إن الله قد بعثَ لكم طالوتَ ملكاً ، قالوا أنَّى يكونُ له المُلْكُ علينا ونحن أحقُّ بالمُلْكِ منه ولم يُؤْتَ سَعَةً من المال ، قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بَسْطَةً في العلم والجسم ، والله يُؤتي مُلْكَهُ من يشاء ، والله واسِعٌ عليمٌ[٥٠] » .

ـ حادثة شاؤل مع العماليق :

جاء في العهد القديم قصة غريبة عن رفض شاؤل من قبل الرب ، وأن الرب « ندم » أن جعله ملكاً ، وذلك لأنه أبقى على حياة ملك العماليق مع بعض المواشي ، مخالفاً بذلك أمر صموئيل بإبادتهم جميعاً حسب أمر الرب .

وهذه القصة عبارة عن تمهيد لاختيار داود وتبرير لمسحه ملكاً مكان شاؤل .

إن الصورة التي رسمها العهد القديم لشاؤل وجعل الرب يرفضه ويغضب عليه ، تقابلها صورة أخرى مغايرة في القرآن الكريم ، إنها صورة المؤمن المجاهد في سبيل الله ، وهو الملك الذي اصطفاه الله على بني إسرائيل وأعطاه من فضله ، فكيف يغضب عليه ، وما السبب في ذلك ؟ !

جاء في سفر صموئيل الأول أن صموئيل أوعز الى شاؤل ، أن يذهب ليضرب العماليق الذين وقفوا في طريق بني إسرائيل عند خروجهم من مصر ، وذلك بناء على أمر الرب الذي يقول : « فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ما له ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً ورضيعاً ، بقراً وغنماً ، جملاً وحماراً[٥١] » .

فحشد شاؤل مائتي ألف رجل بالاضافة الى عشرة آلاف آخرين من قبيلة يهوذا . وزحف على العماليق فأبادهم ، إلا أنه استبقى ملكهم « أجاج » « وأمسك أجاج ملك عماليق حيا وحرّم جميع الشعب بحد السيف . وعفا شاؤل والشعب عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر والثنيان والخراف وعن كل الجيد ولم يرضوا أن يحرّموها ، وكل الأملاك المحتقرة والمهزولة حرّموها[٥٢] » .

---

(٤٨) صموئيل الأول : الاصحاحان التاسع والعاشر .

(٤٩) اصم ١٠ : ٢٤ ، ٢٧ .

(٥٠) البقرة : ٢٤٧ .

(٥١) اصم ١٥ : ٣ .

(٥٢) اصم ١٥ : ٨ ـ ٩ .

إلا أن هذا التصرف أغضب الرب كما جاء في السفر المذكور ، فوجه كلامه الى صموئيل قائلاً : « ندمت على أني قد جعلت شاؤل ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي[٥٣] » . فذهب صموئيل الى شاؤل وأنبّه ، فقال له شاؤل إنه استبقى خيار الغنم والبقر ليذبحها قرباناً للرب ، ومع ذلك اعترف بخطأه وطلب الصفح والغفران ، إلا أن الرب رفضه ولم يصفح عنه . فاستدعى صموئيل « أجاج » ملك العماليق فقطعه إرباً ، ولم يعد صموئيل لرؤية شاؤل حتى موته.[٥٤]

هذه صورة شاؤل كما جاءت في العهد القديم ، فبعد تنصيبه ملكاً على بني إسرائيل بأمر الرب ، ينسب كتبة الأسفار صفة (الندم) لله جلت قدرته ، وهي صفة من صفات البشر لا تليق بمقام رب العزة ، ولكنها أيدي الكتبة الذين حرفوا كلام الله وأضافوا اليه ما ليس فيه . وبعد أن « ندم » الرب رفض شاؤل وغضب عليه ، وأمر صموئيل أن يذهب ليمسح داود مكانه . وكما مر معنا سابقاً فان كاتب سفر صموئيل كان متحيزاً لداود وأسرته ، ومن هنا جاءت سيرة شاؤل مشوهة بهذا الشكل .

أما القرآن الكريم فقد رسم صورة مغايرة لشاؤل ـ أو طالوت ـ وقد ذكرنا قبل قليل أن الله اصطفاه على بني إسرائيل ، أي اختاره عليهم وخصه بالملك « وزاده بسطة في العلم والجسم » ، وهي فضائل ميزه الله بها . ومن فضل الله عليه أيضاً أن جعل استرداد « التابوت » من أيدي الفلسطينيين على يديه ، وكان الفلسطينيون قد انتصروا على الإسرائيليين واستولوا على التابوت .

يقول تعالى : « وقال لهم نبيُّهم إنّ آيةَ مُلْكِه أن يأتيَكُمُ التابوت فيه سكينةٌ من ربكم وبقيةٌ مما ترك آلُ موسى وآلُ هارون تحملهُ الملائكة ، إن في ذلك لآيةً لكم إنْ كنتم مؤمنين[٥٥] » .

ثم يأتي شاهد آخر من القرآن الكريم على إيمان طالوت وقبوله عند الله وجهاده في سبيل الله . يقول تعالى : « فلما فَصَلَ طالوتُ بالجنودِ قال إن الله مُبْتَليكم بِنَهَرٍ فمَنْ شَرِبَ منه فليس منّي ومَنْ لم يَطْعَمْهُ فإنه مني إلاّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بيده ، فشربوا منه إلا قليلاً منهم ، فلما جاوزَه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طَاقَةَ لنا اليوم بجالوت وجنوده ، قال الذين يَظُنّونَ أنهم مُلَاقُو الله كم مِنْ فئةٍ قليلةٍ غلبتْ فِئةً كثيرةً باذن الله ، واللهُ مع الصابرين .ولمّا بَرَزوا لجالوتَ وجنودِه قالوا ربَّنا أَفْرِغْ علينا صَبْراً وثَبِّتْ أقدامَنا وانصُرْنا على القومِ الكافرين . فهزموهم بإذنِ الله[٥٦] » .

---

(٥٣) اصم ١٥ : ١١ .
(٥٤) اصم ١٥ : ٣٢ ـ ٣٥ .
(٥٥) البقرة : ٢٤٨ .
(٥٦) البقرة : ٢٤٩ ـ ٢٥١ .

يقول المفسرون لما خرج طالوت بالجنود الى الجهاد ، وكان الوقت قيظاً شكوا الى طالوت قلة الماء ، فقال طالوت « إن الله مبتليكم بنهر » أي مختبركم به لتبين طاعتكم ، « فمن شرب منه فليس مني » أي فليس من أهل ديني وطاعتي ، ومن لم يذقه فإنه من أهل طاعتي « إلا من اغترف غرفة بيده » أي أخذ ملء كفه من الماء . فشربوا من الماء إلا قليلاً منهم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً . وكان من اغترف منه غرفة كما أمر الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالماً ، والذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه ، وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال ، وإنما قاتل أولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى « فلما جاوزه هو » أي جاوز النهر طالوت « والذين آمنوا معه » يعني أولئك القليل ، « قالوا » : أي الذين شربوا من النهر « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » ، فأجابهم المؤمنون بقولهم « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ، « ولما برزوا » أي طالوت وجنوده المؤمنون « لجالوت وجنوده » الكافرين « قالوا » أي المؤمنين أصحاب طالوت « ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » سأل المؤمنون الله أن ينصرهم على القوم الكافرين « فهزموهم باذن الله » أي أن الله تعالى استجاب لدعاء المؤمنين فأفرغ عليهم الصبر وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا ، « فهزموهم باذن الله » أي بقضائه وارادته[٥٧] .

هذه الصورة الكريمة لطالوت تتعارض تماماً مع ما جاء في أسفار العهد القديم ، وهي صورة منطقية لمن اختاره الله ليقود الشعب وفضله على الآخرين ، فقادهم الى الجهاد في سبيل الله ، على الرغم من نكوصهم وتراجعهم إلا نفراً قليلاً آمنوا بالله ، فحق لهم النصر على يديه لأنه كان من المؤمنين .

أما المؤرخون فانهم يعارضون أيضاً رواية العهد القديم . يقول أندرسون في تعليقه على رواية سفر صموئيل والأمر بإفناء العماليق وإبادتهم : « يعتبر هذا الأمر بالإبادة الجماعية عملاً بربرياً إذا ما نظرنا اليه على أساس أخلاقي . وبالنسبة إلينا فان الإبقاء على حياة (أجاج) يبدو أنه عمل إنساني ، كما أن الاحتفاظ بأفضل المواشي والدواب وعدم إفنائها ، يدل من الناحية العملية على الحكمة »[٥٨] .

ويعلق محمد عزة دروزة على حادثة شاؤل مع العماليق وتسجيلها في العهد القديم بقوله : « إن العملية على النحو المسجل فظيعة جداً في بواعثها وقسوتها وصورتها ، وتبرز فيها إن صحت الرواية روح عدوانية شديدة حاقدة في بني إسرائيل ضد غيرهم حينما يمكنهم ذلك . وحتى لو لم تكن الرواية صحيحة فان تسجيلها على النحو الوارد يدل على تأصل تلك الروح في أجيالهم التي دونت الأسفار في عهدهم ، واستساغة الجريمة التي يقترفونها بقوة هذه الروح .

---

(٥٧) تفسير الخازن ، ج ١ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .
(٥٨) Anderson, pp. 134-135.

والمتبادر أن هذا التسجيل يظل ذا أثر شديد في بقاء هذه الروح واستساغة الجريمة المقترفة بقوتها في مختلف أجيال بني إسرائيل ومن دان باليهودية من غيرهم وظل متأثراً بتعاليم أسفارهم وأحداثها المسجلة . وقد شهدت مختلف الحقب والأقطار والأجناس ، وما تزال تشهد آثارها منهم[٥٩] » .

●●●

(٥٩) تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ، ص ١٤١ .

«الفصل الأول»

أوجه الشبه والخلاف في الروايات المتعلقة بداود وحكمه

- مقتل جالوت (أو جليات)

جاءت رواية العهد القديم متناقضة حول من قتل جليات، فقد ورد في سفر صموئيل الأول (١٧ : ٣٨ وما بعدها) أن داود قتل جليات بطل الفلسطينيين.

غير أن رواية سفر صموئيل الثاني تختلف عن الرواية الأولى وتقرر أن الذي قتل جليات هو شخص آخر غير داود، إنه ألحانان البيتلحمي.

تقول رواية صموئيل الثاني: «ثم كانت أيضا حرب في جوب مع الفلسطينيين، فألحانانُ بنُ يَعْرِى أُرَجِيمَ البيتلحمي قتل جليات الجَتِّي وكانت قناة رمحه كَنَوْلِ النسَّاجين.»[1]

هذه الرواية المتناقضة في سفري صموئيل الأول والثاني بشأن مقتل جليات، تقابلها رواية ثابتة عن هذه الحادثة قررها القرآن الكريم، وهي أن داود هو الذي قتل جليات - أو جالوت - يقول تعالى: «فهزموهم بإذن الله وقَتَلَ داودُ جالوتَ ..».[2]

أما تعليق اندرسون على نص سفر صموئيل الثاني الذي يقول إن ألحانان هو الذي قتل جليات وليس داود، يقول اندرسون: «إن هذا يلقي بظلال الشك على قصة داود قاتل جليات العملاق الفلسطيني»،[3] نقول أما تعليقه هذا فيصبح غير ذي بال ولا مبرر له، بعد أن قطعت رواية القرآن الكريم الشك باليقين وبينت أن القاتل هو داود ولا أحد غيره.

● ● ●

- عمر ايشبوشت عندما ملك على إسرائيل

بعد مقتل شاؤل في معركة جبل جلبوع، وهروب الاسرائيليين أمام الفلسطينيين المنتصرين، أخذ أبنير قائد جيش شاؤل ايشبوشت بن شاؤل وعبر به إلى محنايم التي تقع شرقي نهر الأردن ونصبه ملكاً على الاسرائيليين، وكان عمر إيشبوشت آنذاك أربعين سنة.

تقول رواية العهد القديم: «وكان إيشبوشت بن شاؤل ابن اربعين سنة حين ملك على اسرائيل وملك سنتين، وأما بيت يهوذا فانما اتّبعوا داود.»[4]

---

(١) ٢ صم ٢١: ١٩.
(٢) البقرة: ٢٥١.
(٣) Anderson, p. 139
(٤) ٢ صم ٢: ١٠.

هذه الرواية يعارضها واحد من كبار المؤرخين هو لودز الذي يقول ربما كان إيشبوشت قاصرا لم يبلغ سن الرشد عند مبايعته بالملك في محنايم.[٥]

ولعل لودز توصل إلى هذه النتيجة بناء على رواية الاصحاح الثاني من سفر صموئيل الثاني التي تقول إن أبنير أخذ إيشبوشت إلى محنايم وجعله ملكا[٦]، وفي ذلك دلالة على قصور إيشبوشت عن تولي أموره بنفسه، فلو كان بالغا راشداً لما لزم أن يأخذه أبنير ويقطع به نهر الأردن ثم يجعله ملكا في محنايم.

● ● ●

- تنصيب داود ملكا على يهوذا

بعد موت شاؤل اختار سبط يهوذا داود ملكا عليهم لأنه من هذا السبط، يقول العهد القديم: «فصعد داود إلى هناك .. وأصعد رجاله الذين معه كل واحد وبيته وسكنوا في مدن حبرون. وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا.»[٧]

قبل أن يصعد داود إلى حبرون كان يقيم عند الفلسطينيين وفي حمايتهم لأنه كان مطاردا من قبل شاؤل، إلا أن العهد القديم سكت عن ذكر هذه العلاقة بعد صعود داود إلى حبرون.

غير أن بعض المؤرخين لم يغفلوا عن ذلك حيث يقول أندرسون «إن داود، خلال حكمه في حبرون الذي استمر لمدة سبع سنوات، كان تابعا للفلسطينيين بصورة جلية وواضحة.»[٨]

ويقول روبنسون: «بعد موت شاؤل أصبح داود ملكا في حبرون، ومن المحتمل أنه كان آنذاك تحت حماية ملك (جت)».[٩]

أما عن الدولة التي أقامها داود في الجنوب فهي تتكون من بيت يهوذا كما جاء في رواية صموئيل الثاني السابقة، إلا أن لودز يقول إن الدولة التي أقامها في الجنوب كانت مكونة من قبيلة يهوذا، ومقرها في بيت لحم، وهي قبيلة نصفها من بني إسرائيل ونصفها الآخر من الكنعانيين، بالاضافة إلى الجماعات غير الاسرائيلية من قبيلة (كالب) التي تنتمي إلى العناقيين وكانت تحتل مدينة حبرون، مع جماعات من القينيين واليرحمئيليين.[١٠]

---

(٥) لودز، ص ٣٥٩.
(٦) ٢ صم ٢ : ٨ - ٩.
(٧) ٢ صم ٢ : ٢ - ٤.
(٨) Anderson, p. 140
(٩) Robinson, A History of Israel, Vol. I, p. 200
(١٠) Lods, p. 359

- استيلاء داود على أورشليم

جاء في سفر صموئيل الثاني أن داود بمجرد أن نودي به ملكا على جميع أسباط بني اسرائيل ، بادر إلى مهاجمة أورشليم التى كانت ماتزال بأيدي اليبوسيين العرب ، بقصد الاستيلاء عليها .(١١)

غير أن بعض المؤرخين يرون أن ذلك مخالف لحقيقة الأمر ولايتفق مع واقع الأحداث . يقول لودز : لم يكن باستطاعة داود أن يأخذ زمام المبادرة ويهاجم أورشليم مباشرة بعد أن نودي به ملكا على جميع الأسباط ، كما تدعى رواية العهد القديم ، وإنما كان عليه ان يتصدى لهجمات الفلسطينيين التى قاموا بشنها عليه في هذه المرحلة .(١٢)

أما شاين فيقول : إن النص الوارد في العهد القديم المتعلق باستيلاء داود على أورشليم (٢ صم ٥ : ٦ - ١٠) محرف؛ ثم يقول إن المدينة التي يقال إنه تم إخضاعها ، لم تكن المدينة المشهورة في العالم وهي أورشليم والتي تسمى الآن (القدس) ، ولكنها كانت مدينة تقع في شمالي الجزيرة العربية اسمها (أوروشالم) . وعن سكانها الذين جاءت تسميتهم في النص المذكور باليبوسيين ، يقول شاين إنهم الاسماعيليون العرب .(١٣)

ويقول روبنسون إن داود عندما هاجم أورشليم دمّر جزءا كبيرا من سورها الخارجي الشمالي بالاضافة إلى أجزاء أخرى من السور الداخلي ، مما يدل على أن هدفه الأول كان تدمير تحصينات المدينة بكاملها . وان عمله هذا يبرهن على أن تبني داود لأورشليم كعاصمة له ، لم يكن جزءا من خطته الرئيسية في مهاجمة المدينة ، وانماكان هدفه الرئيسي عسكريا وليس سياسيا . وقد اكتشف فيما بعد مدى الفائدة في جعل اورشليم عاصمة له ، وهو الأمر الذى وظفه في الأغراض التي كان بصدد تنفيذها .(١٤)

● ● ●

- احضار التابوت إلى أورشليم

بعد أن أتم داود تأسيس المملكة وجّه عنايته إلى الشئون الدينية ، فأحضر تابوت العهد باحتفال ديني ، ووضعه في خيمة الاجتماع التي نصبها له في أورشليم التي سماها «مدينة داود» .

---

(١١) ٢ صم ٥ : ٤ - ٢٥ .

(١٢) لودز ، ص ٣٦٠ .

(١٣) Cheyne, p. 39

(١٤) Robinson, History of Israel, p. 216

جاء في سفر صموئيل الثاني: «فذهب داود وأصعد تابوت الله من بيت عوبيد أدوم إلى مدينة داود بفرح .. وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب، وكان داود متنطقا بأفود من كتّان. فأصعد داود وجميع بيت اسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق .. فأدخلوا تابوت الرب وأوقفوه في مكانه في وسط الخيمة التي نصبها له داود ..»[١٥]

يتفق المؤرخون في شأن إحضار التابوت إلى أورشليم مع رواية العهد القديم التي تبين أن سبب إحضاره كان دينيا.

وفي ذلك يقول روبنسون: بالاضافة إلى الاهتمام بالشئون العسكرية والسياسية، فقد اهتم داود بالشئون الدينية، ولا يوجد اى شك لدينا أن إحضار التابوت إلى أورشليم كان بدوافع دينية محضه.[١٦]

ويقول جاكسون: لما كان داود قد نجح في الاستيلاء على مدينة قوية، فقد عقد العزم على جعلها مركزا لديانة بني اسرائيل التي أحياها من جديد. وحتى يصل إلى هدفه هذا، كان عليه أن يحضر التابوت إلى أورشليم التي لم تكن حتى ذلك الوقت مدينة مقدسة عند يهوه – إله بني اسرائيل – وانما كانت في الحقيقة ولمدة طويلة معبدا كنعانيا. ولكن من المحتمل أن الاسرائيليين اعتبروها بقعة وثنية من الممكن ألا تكون مقبولة عند الههم. لقد كانت هذه المشاعر كافية لتفسير التردد في إحضار التابوت إلى أورشليم، وكذلك تفسير الفرح الذي ظهر عندما لاقت محاولة إحضاره قبولا إلهيا.[١٧]

أما لودز فيشكك في كون الصندوق الذي أحضر إلى اورشليم هو نفسه «تابوت العهد»، فيقول: بعد أن استقر الوضع لصالح داود، وبعد استيلائه على أورشليم أخذ يبحث عن «تابوت العهد» وهو الرمز الأصيل «ليهوه» والذي استولى عليه الفلسطينيون. هناك رواية قديمة تقول إن الملك أقسم ألا ينام حتى يستعيد التابوت، وتظهر هذه الرواية في سفر المزامير.[١٨] ثم وجد أخيرا في (قرية يعاريم) صندوق مقدس اعتقدوا جازمين أنه التابوت الذي كان موجودا في (شيلوه)، وقد تم إحضار هذا الصندوق من أرض الفلسطينيين، ثم تعرض للنسيان، بشكل من المتعذر تفسيره وتعليله، فترة من الزمن، إلى أن أحضره داود إلى حصن صهيون في احتفال كبير حيث وضع في الخيمة التي أعدت له.[١٩]

● ● ●

---

(١٥) ٢ صم ٦: ١٢، ١٤ – ١٥، ١٧.

(١٦) History of Israel, p. 218

(١٧) Jackson, p. 173 - 174

(١٨) المزمور ١٣٢: ١ – ٨.

(١٩) لودز، ص ٣٦٢.

ـ حرب داود مع الفلسطينيين

عندما كان داود ملكا على سبط يهوذا في حبرون ، لم يتدخل الفلسطينيون في شئونه ، لأنهم اعتبروه مايزال تابعا لهم كما يقول المؤرخون ، ولكن عندما ازدادت قوته باتحاد جميع القبائل وخضوعها لحكمه ، اعتبر ذلك تهديداً لأسياده الفلسطينيين وخطرا على طموحهم في تكوين إمبراطورية فلسطينية كما يقول روبنسون .[٢٠]

لذلك فان رواية العهد القديم تقول إن الفلسطينيين بادروا داود بالحرب «فصعد جميع الفلسطينيين ليفتشوا على داود ، ولما سمع داود نزل إلى الحصن . وجاء الفلسطينيون وانتشروا في وادي الرفائيين . وسأل داود من الرب قائلا أأصعد إلى الفلسطينيين ، أتدفعهم ليدي ..»[٢١]

من هذا النص وغيره يتضح أن داود كان في حالة عداء مع الفلسطينيين . الا أن المؤرخين يرون أن حالة العداء لم تكن دائمة لأن حرس داود الخاص كان من الفلسطينيين فيما بعد .

يقول روبنسون : لقد تمتع داود بالتأكيد بصداقة الفلسطينيين حتى نهاية أيامه ، فقد اتخذ منهم حرسه الخاص .[٢٢]

ويقول جاكسون : لقد تمكن داود من استرضاء الفلسطينيين واستمالتهم إلى جانبه . اذ يجب ألا ننسى أنه كان فيما مضى حليفا لهم ، وقاتل ضمن صفوفهم ، وعاش ردحا من الزمن في تحالف وثيق وحميم معهم . كما أن الفلسطينيين تقلدوا فيما بعد المناصب الرفيعة ، سواء في بلاط داود أو في جيشه .[٢٣]

● ● ●

ـ حرب داود مع الأدوميين

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن داود ـ لكي يضمن أمن مملكته ويحرص على ألا تأتيها العدوى الوثنية من الأمم المجاورة ، وحتى ينتقم للهجمات التي وقعت على ملكه ـ قام بحرب ضد الأمم المحيطة به .[٢٤]

---

(٢٠) History of Israel, p. 212

(٢١) ٢ صم ٥ : ١٧ ـ ١٩ .

(٢٢) The Abingdon Bible Commentary, p. 64

(٢٣) Jackson, p. 173

(٢٤) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

ويقول روبنسون : إنه من الملاحظ أن المؤرخين اليهود يحرصون في تاريخ حروب داود ، على جعله دائما معتدى عليه وليس البادىء بالعدوان .(٢٥)

غير أن لودز يقول : بعد أن حقق داود إنجازات مهمة تمثلت في الاستيلاء على أورشليم ذات الموقع الحصين والمتوسط بين القبائل ، واحضار تابوت العهد إليها ، كان لابد له ، وهو الرجل العبقري الطموح من أن يتلفت حواليه ليجد أن الفرصة سانحة لمد رقعة الأرض التي يسيطر عليها ، منتهزا أولا فرصة تركيز القيادة في يديه دون منازع ، ثم انشغال القوى الكبرى المحيطة به والتي تشكل خطرا عليه ، في مشاكل ومنازعات داخلية ، اذن فلينتهز الفرصة السانحة وليبدأ بضربته .(٢٦)

هذا الرأى يناقض ماجاء في العهد القديم بشأن حروب داود من أن البادىء دائما بالحرب هم أعداء داود .

أما عن الحرب مع الأدوميين فقد جاء في سفر الملوك الأول : «وحدث لما كان داود في أدوم عند صعود يوآب رئيس الجيش لدفن القتلى وضرب كل ذكر في أدوم . لأن يوآب وكل اسرائيل أقاموا هناك ستة أشهر حتى أفنوا كل ذكر في أدوم ..»(٢٧)

هذا النص يبين أن الاسرائيليين انتصروا على الأدوميين واحتلوا ديارهم وأبادوا كل ذكورهم .. الا أنه لم يذكر شيئا عن خسائر الاسرائيليين أنفسهم .

غير أن إشارة جاءت في النص جعلت المؤرخين يستنتجون منها أن الاسرائيليين تكبدوا خسائر فادحة على أيدي الأدوميين . أما هذه الاشارة فهي قوله : «.. عند صعود يوآب رئيس الجيش لدفن القتلى ..» فقداعتبر المؤرخون أن «القتلى» كانوا قتلى الاسرائيليين ، بالرغم من سكوت الرواية عن ذكر ذلك .

يعلق سكنر على هذا النص بقوله : إن ذلك يعني أن الاسرائيليين تعرضوا لهزيمة منكرة في أدوم ، إلا أن سجل هذه الهزيمة فقد تماما ، لذلك لم يرد ذكرها في الرواية ، والذي يدل على ذلك أن الاسرائيليين ، انتقاما لهزيمتهم جردوا جيشا بقيادة يوآب احتل ادوم لمدة ستة أشهر ، أفنوا خلالها كل الذكور في البلاد .(٢٨)

● ● ●

(٢٥) History of Israel, p. 219

(٢٦) Lods, p. 362

(٢٧) امل ١١ : ١٥ـ ١٦ .

(٢٨) Skinner, p. 177

جاءت قصة حرب داود مع العمونيين بعد وفاة ملك بني عمون ، فقد ورد في سفر صموئيل الثاني أن داود أرسل رسلا إلى (حانون بن ناحاش) لتعزيته بوفاة أبيه «فقال رؤساء بني عمون لحانون سيدهم : هل يكرم داود أباك في عينيك حتى أرسل اليك معزّين . أليس لأجل فحص المدينة وتجسسها وقلبها أرسل داود عبيده اليك . فأخذ حانون عبيد داود وحلق أنصاف لحاهم وقص ثيابهم من الوسط ألى أستاههم ثم أطلقهم .»[٢٩]

ولاعتقاد بني عمون أن داود لابد أن ينتقم منهم ، فقد استعانوا بحلفائهم السوريين . واستعد الطرفان للحرب ، ودارت رحى المعركة بينهما تمكن فيها الاسرائيليون بقيادة يوآب من تحقيق النصر ، فهرب السوريون من أرض المعركة والتجأ بنو عمون أنفسهم إلى عاصمتهم (ربة عمون) ، فحاصرها يوآب إلى أن سقطت .

تقول رواية سفر صموئيل الثاني إن داود «أخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرّهم في أتون الآجرّ ، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون» .[٣٠]

وكما هو واضح من نصوص العهد القديم فانها تسكت عن ذكر خسائر بني اسرائيل في حرب العمونيين ، إلا أن روبنسون يلقى ضوءاً على ذلك فيقول : إن مدينة (ربة عمون) التي تعرضت للحصار على أيدي الاسرائيليين أظهرت مقاومة شجاعة وعنيدة . ويظهر من قصة مقتل (أوريا) أن الاسرائيليين المهاجين تكبدوا بعض الخسائر في هذه المعركة .

ويعلق روبنسون على رواية العهد القديم التي تقول إن داود قام بتعذيب العمونيين فيقول : إنها لحقيقة ذات مغزى كبير أن ملك بني عمون كان بين أولئك الذين آووا داود وقدموا له المساعدة عندما فر عبر نهر الأردن هربا من ابنه أبشالوم أثناء ثورته عليه ، بينما يذكر العهد القديم أن داود قام بتعذيب الأسرى العمونيين حتى الموت بمختلف المعدات ، وقام بشيّهم في الأفران .

ويلقى روبنسون الضوء على قصة بني عمون من واقع ورود اسم أوريا الحثى مرتبطا بالحرب ضدهم ، فيقول : إن قصة بني عمون من المحتمل أنهاوردت في العهد القديم لتفسير الأحداث التي أحاطت بخطيئة داود مع بت شيفع زوجة أوريا الحثي الذي قتل في الحرب مع العمونيين .[٣١]

---

(٢٩) صموئيل الثاني ١٠ : ٣ ـ ٤ .
(٣٠) صموئيل الثاني ١٢ : ٣١ .
(٣١) Robinson, pp. 219 - 220

ويقول جاكسون لقد عومل العمونيون بوحشية متناهية من قبل داود ، على الرغم من أن نص العهد القديم يحاول أن يلطف الحال بقوله إن السجناء أخذوا ليعملوا في إنشاء المباني الملكية.[٣٢]

وتقول دائرة المعارف اليهودية : من المحتمل أن إثارة داود وإغضابه من قبل حانون ملك بني عمون كان بتحريض وتشجيع (هدد عزر) ملك صوبة.[٣٣]

ويقول شاين إن هجوم داود كان على مدينة من المحتمل أن اسمها كان يدعى (عقربة بني عرمون) في شمالي الجزيرة العربية ، وان الشعب الذي شن عليه داود ويوآب حربا كان يقطن شمالي الجزيرة العربية وأن هذه الحرب كانت حربا ظالمة ، وذلك اذا ما أخذنا بعين الاعتبار الترحيب الذي استقبل به داود من قبل الملك السابق (اخيش)[٣٤] . غير أن طموح داود كان أقوى من أن يقيم وزنا لرقة العواطف أو العرفان بالجميل.[٣٥]

● ● ●

ـ حرب داود مع السوريين (الآراميين)

جاء في العهد القديم مايلي : «وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليردّ سلطته عند نهر الفرات.»[٣٦]

كانت حرب داود مع بني عمون مقدمة لحربه مع السوريين .

يقول روبنسون : في الحملة الأولى التي قام بها يوآب ضد بني عمون ، عاد إلى أورشليم تاركا (ربة عمون) سليمة بدون أذى ، على الرغم من أن انتصاره في تلك الحملة كان تحت أسوارها . إنه من الصعب تجنب الانطباع من أنه لم يكن ناجحا في تلك الحملة كما تدعي رواية العهد القديم ، وأنه اعتبر هزيمة السوريين وانسحابه هاربا دون أن يتعرض لكارثة ما ، إنجازا كبيرا .

أما عن عبارة «حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات» ، فيقول روبنسون إن السلطة تخص هدد عزر الذي لم يتمكن من جمع قواته المرابطة عند مقاطعة الفرات ، فهزمه داود وسلب ممتلكاته.[٣٧]

---

(٣٢) Jackson, p. 175

(٣٣) Enc. Judaica, Vol. 5, Col. 1320

(٣٤) يعتبر شاين أن (أخيش) و(ناحاش) هما اسمان لمسمى واحد، وأن (عمّون) محرفة من (عرمون).

(٣٥) Cheyne, pp. 45 - 47

(٣٦) ٢ صم ٨ : ٣. انظر أيضا : امل ٤:٢١ ، ٢٤ ، أخبار الأيام الثاني ٩:٢٦ .

(٣٧) History of Israel, p. 221

إلا أن كثيرا من المؤرخين المشايعين للرواية اليهودية يقولون إن سلطة داود امتدت إلى ضفاف الفرات(٣٨) ، على الرغم من أن بعض العلماء والباحثين يشكون في مدى صحة ذلك من الناحية التاريخية .

ويعلق محمد عزة دروزة على عبارة استرداد سلطة داود على نهر الفرات بقوله : إن هذه العبارة عجيبة ، لأنه لم يذكر من قبل أن داود وطد سلطة ما له على هذا النهر ، وأين نهر الفرات من فلسطين . ونعتقد أن هذا وليد الخيال أو الخلط .(٣٩)

أما عن الحدود التي وصلت اليها دولة بني اسرائيل فيقول روبنسون : لقد امتدت سلطة داود جنوبا وشرقا حتى الصحراء . أما من الجهة الشمالية فلم يكن هناك خطر يتهدد الحدود ، ويرجع ذلك إلى طبيعة البلاد الجغرافية ، ثم إنه بعد الانتصار على السوريين ، فان ملك حماة مدّ حبال الصداقة مع داود . ومن المحتمل أنه كانت هناك أرض مترامية الأطراف تقع بين المملكتين لم يستخدمها أى منها ، كما لم يفكر في مد حدوده اليها ، أما رواية العهد القديم فتجعل حدود اسرائيل تمتد حتى مدخل حماة(٤٠) ، وهذا يعني أنها تضم أراضي تابعة لملك حماة . أما إلى الشمال الغربي ، فقد أمَّنَ داود حدوده بطريقة سلمية ، وذلك بأن عقد معاهدة مع ملك صور .

ويستطرد روبنسون قائلا : إن دولة داود لم تكن بهذا الاتساع الذي يدعيه العهد القديم ، إلا أنها بالتأكيد كانت تضم من الأراضي أكبر من تلك التي ضمتها تحت حكم أى ملك بمفرده من الملوك المحليين الذين حكموا في تلك البلاد قبل داود أوبعده . حقيقة إن حدوده لم تشمل المدن الفلسطينية التي تمتد على السهل الساحلي ، غير أنها كانت تمتد من دان في الشمال إلى بئر السبع في الجنوب .(٤١)

● ● ●

ـ حكاية داود وبت شيفع :

يسوق العهد القديم حكاية من حكايات الإفك ويلصقها بداود عليه السلام ، من غير أن يعبأ كاتب تلك القصة بمكانة داود كنبي معصوم ، فيجعله زانيا ثم قاتلا . ويؤيد ماجاء في تلك الرواية المؤرخون الغربيون الذين يقولون إن داود ، بعد انتصاره في حملته على سوريا ، أخذ يتنعم بحياة الترف والرفاهية في عاصمته ، كما بدأ يمسك عن المشاركة في الصعاب والمشقات التي يتعرض لها جيشه في ميادين القتال ، فكان

(٣٨) ماير ، ص ٢٠٠ ، الموسوعة اليهودية ، مجلد ٥ ، عمود ١٣٢١ .
(٣٩) دروزة ، ص ١٤٨ .
(٤٠) امل ٨ : ٦٥ «من مدخل حماة الى وادي مصر».
(٤١) History of Israel, pp. 222 - 224

ذلك ـ كما يقول جاكسون ـ هو المناسبة التي أدت إلى الخطيئة الكبرى التي شوهت جمال أخلاق داود، وكان السبب في كل المحن والمصائب التي تلت هذه الحادثة.[42]

أما هذه الرواية في العهد القديم فجاءت مبسوطة في الاصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني، تقول الرواية:

«وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيدَه معه وجميعَ إسرائيل، فأخربوا بني عمّون وحاصروا ربّة، وأما داود فأقام في أورشليم. وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا. فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد أليست هذه بت شيفع بنت أليعام امرأةَ أوريا الحثّي. فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طَمْثِها، ثم رجَعَت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حُبْلى»[43].

وتستطرد رواية العهد القديم: «فأرسل داودُ إلى يوآب يقول أرسِلْ اليَّ أوريا الحثي، فأرسل يوآب أوريا إلى داود. فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك، فخرج أوريا من بيت الملك .. ونام على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته، فقال داود لأوريا أما جئت من السفر، فلماذا لم تنزل إلى بيتك. فقال أوريا لداود إن التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتي، وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر. فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضا وغدا أُطْلِقُكَ، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليومَ وغَدَه. ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره، وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل.»[44]

ثم تضيف رواية العهد القديم: «وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب، فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضا.»[45]

---

(٤٢) Jackson, p. 176

(٤٣) ٢ صم ١١ : ١ ـ ٥.

(٤٤) ٢ صم ١١ : ٦ ـ ١٣.

(٤٥) ٢ صم ١١ : ١٤ ـ ١٧.

وتقول الرواية إن يوآب أرسل وأخبر داود بذلك : «فقال داود للرسول هكذا تقول ليوآب : لايَسُؤْ في عينيك هذا الأمر لأن السيف يأكل هذا وذاك .. فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبَتْ بعلَها . ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا ، وأما الأمرُ الذي فعله داود فقَبُحَ في عيني الرب .»(٤٦)

وجاء في الاصحاح الثاني عشر من السفر المذكور أن الرب أرسل ناثان النبي إلى داود : «فجاء إليه وقال له : كان رجلان في مدينة واحدة ، واحد منها غني والآخر فقير . وكان للغني غنم وبقر كثيرة جدا . وأما الفقير فلم يكن له شيء الا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها وربَّاها وكَبُرَتْ معه ومع بنيه جميعا ، تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنةٍ . فجاء ضيف إلى الرجل الغني ، فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهييء للضيَف الذي جاء إليه ، فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذي جاء اليه . فحمي غضب داود على الرجل جدا ، وقال لناثان : حيٌّ هو الرب إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك . ويرد النعجة أربعة أضعاف ، لأنه فعل هذا الأمر ، ولأنه لم يشفق . فقال ناثان لداود : أنت هو الرجل ، هكذا قال الرب إله إسرائيل ، أنا مسحتك ملكا على اسرائيل ، وأنقذتك من يد شاؤل .. لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه . قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة ، وإياه قتلت بسيف بني عمون . والآن لايفارق السيف بيتك إلى الأبد .. فقال داود لناثان : قد أخطأت إلى الرب ، فقال ناثان لداود : الرب أيضا قد نقل عنك خطيتك»(٤٧) .

هذه رواية العهد القديم فيما يتعلق بالخطيئة التي ينسبها لداود . وقبل أن نفند رواية الإفك هذه بحق نبي كريم استنادا لما جاء في القرآن الكريم ، سنذكر ماقاله المؤرخون الغربيون بهذا الشأن .

بداية لاينكر هؤلاء المؤرخون رواية العهد القديم ولايعارضونها ، ولكنهم يعلقون عليها كل من وجهة نظره الخاصة :

يقول جاكسون : إنه من الضروري أن نذكر السلوك النبيل الذي سلكه الملك داود بأن ندم على خطيئته ، حيث ينبغي علينا ألا نهمل ظروف عصره آنذاك والإغراءات التي تعرض لها بحكم منصبه ومكانته .. كما أنه من الضروري أيضا السخرية من الكلمات التي تصف رجلا يأتي بعمل كالذي أتى به داود فتجعله «رجلا قريبا إلى قلب الله» كما جاء في العهد القديم .(٤٨)

---

(٤٦) ٢ صم ١١ : ٢٥ ـ ٢٧ .
(٤٧) ٢ صم ١٢ : ١ ـ ١٠ ، ١٣ .
(٤٨) Jackson, p. 177

ويقول روبنسون إن قصة الشهوة والغدر المتعلقة بجريمة الزنا التي اقترفها داود مع بت شيفع ، وارتكابه جريمة قتل بطريقة تنم عن جبن وغدر بحق زوجها أوريا ، أصبحت أحد الأمثلة والشواهد الحية على فعل الإثم والخطيئة .. ويضيف قائلا : إننا نظن أن داود قد وقع في حداثة سنه ، في مثل هذا الشرك ، كما أنه من المحتمل أن موت (نابال) أنقذه من مواجهة نفس المصير.

ويستطرد قائلا : إلا أن عمل داود فيما يتعلق بمسألة أوريا وبت شيفع كان عملاً من الأعمال التي تتصف بها المالك الشرقية ، وهو نادرا ما يجلب الملاحظة والانتباه خارج اسرائيل . فبالنسبة للعقلية الشرقية العادية ، اذا ما استولى ملك على زوجة أحد رعاياه ، فان ذلك أمر طبيعي وعادي تماما ، ويعتبره الملك حقا من حقوقه على رعيته .. قليل من الرجال الذين هم في وضع داود كان من الممكن أن يشعروا أن عليهم إخفاء عمل كهذا أو التخلص من الزوج .. ولكن الرجل في اسرائيل كان يشعر بأن حقوقه في التملك يجب أن تصان وتحترم .. ومن خصائص العقلية الاسرائيلية أيضا ماظهر من توبيخ النبي ناثان لداود ، وماتبع ذلك من توبة وندم ..

هذا الأمر كان لايمكن تصوره عند أي شعب آخر من شعوب الشرق القديم .. إن حقيقة كون هذه القصة قد وصلتنا عن طريق كاتب معاصر لداود تعزز شعورنا بالمستوى الرفيع الذي وصلت اليه الديانة والأخلاق في اسرائيل .. الا أن ذلك يجب أن يعزى إلى العنصر الآرامي الموجود في البلاد والذي مازال يتصف بهذه الصفات التي طبعته بها حياة البادية.[٤٩]

أما الربانيون من اليهود فيميلون إلى تبرئة داود من كل لوم فيما يتعلق بموضوع بت شيفع ، وذلك لسببين :

١ ـ السبب الأول تشريعي ، فقد قضت الشريعة أن «كل شخص يخرج للحرب يتوجب عليه أن يكتب وثيقة طلاق زوجته» ، وهكذا فان بت شيفع كانت مطلقة .

٢ ـ أما السبب الثاني فهو لأن داود ندم من كل قلبه على هذا لعمل . ويورد الربانيون هذا الحوار بين داود وربه : «قال داود أمام الرب المقدس : مبارك أنت ياإله العالمين .. اغفر لي خطيئتي . فأجاب الرب : إنني غفرت لك . فتوسل اليه داود قائلا : امنحني علامة على غفرانك في حياتي . فأجاب الرب : لن يعلم بها أحد في حياتك ، ولكن سيعلم بها الناس في حياة ابنك سليمان .»

ويقول الربانيون إن شعور داود بالزهو والثقة بالنفس جعله يتوسل إلى الله أن يخضعه لامتحان مع بت شيفع ، حتى يبرهن أنه جدير بالاحترام الذي يتمتع به كل من ابراهيم واسحق ويعقوب ، وأنه لايقل

---

(٤٩) History of Israel, pp. 202 - 203, 225

عنهم بل هو مساو لهم في هذا الشأن . وقد بيّن الربانيون بالأدلة أن كلام داود لم يخل من الفساد ، فعندما كان يستعطف شاؤل أثناء مطاردته له قال داود : «والآن فليسمع سيدي الملك كلام عبده ، فان كان الرب قد أهاجك ضدي فَلْيَشْتَمَّ تَقْدِمَةً ..»(٥٠) وقد اعتبر الربانيون هذا القول تلميحا لايليق بصاحب العزة ، وقد ابتلى داود ـ في نظرهم ـ بسببه في مسألة إحصاء بني اسرائيل ، وفي غير ذلك .(٥١)

أما القرآن الكريم فانه يذكر قصة ابتلاء داود وفتنته في الآيات التالية من سورة (ص) .. وبالرغم من أننا سبق وأن ذكرناها عند الحديث عن داود في القرآن الكريم ، الا أننا سنعيد ذكرها هنا لمقارنتها بما جاء في العهد القديم وبيان صورة داود الحقيقية وكيف أن القرآن الكريم نزهه عما نسبه اليه كتبة العهد القديم .

يقول تعالى : «وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوَّروا المحراب . إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تُشْطِطْ واهدِنا إلى سَواء الصِّرط . إنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ، فقال أَكْفِلْنيها وعزّني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيرا من الخُلَطاء ليبغي بعضُهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ماهم ، وظن داود أنما فتنّاه فاستغفر ربَّه وخرَّ راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا لزلفى وحُسْنَ مآب . ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تَتَّبعِ الهَوى فيُضِلَّكَ عن سبيل الله ، إن الذين يَضِلُّون عن سبيلِ الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نَسُوا يومَ الحساب .»(٥٢)

هذا النص القرآني يختلف عن النص الذي جاء في رواية العهد القديم ، تلك الرواية التي استرسلت في سرد قصة منافية لمقام النبوة والأنبياء صلوات الله عليهم ، فجعلت داود يتعلق بامرأة أوريا ومن ثم يعرض زوجها للقتل بعد أن ارتكب الفاحشة معها . إن رواية العهد القديم رسمت صورة لأوريا فيها من النزاهة والإخلاص وقوة العقيدة والشرف مانفته تلك الرواية عن داود وجردته من هذه الصفات ، وألصقت به بدلا منها اقتراف الفاحشة والتآمر على أوريا والتخطيط لقتله ، وهي أعمال لاتليق بنبي كريم معصوم . لذلك جاء النص القرآني يشيد بداود عليه السلام بقوله : «وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب» وقوله : «ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض» .

ومن كانت له القربى عند الله ، ومن جعله الله سبحانه وتعالى خليفة في الأرض يحكم بين الناس لايصح أن يكون فاسقا مرتكبا للفواحش .. أما اذا كان هذا الخليفة نبيا من أكابر الأنبياء فهو المعصوم المنزه عن فعل ذلك .. ومن قال بغير هذا ـ ولو كان من كتبة الأسفار ـ فهو ينقض أصلا قطعيا من أصول الدين ، لأنه يناقض عصمة الأنبياء التي هي من أصول الدين القطعية ، وتصبح روايته باطلة بلا مراء .

---

(٥٠) ١ صم ٢٦ : ١٩ .

(٥١) Enc. Judaica, Vol. 5, Cols. 1328 - 1329

(٥٢) سورة (ص) : ٢١ ـ ٢٦ .

وكما يبدو من الجزء الثاني لرواية العهد القديم والمتمثلة في مجيء النبي ناثان إلى داود وتنبيهه إلى خطئه بحكاية الغني والفقير الذي لم يكن له الا نعجة واحدة ، بينما كان للغني غنم وبقر كثيرة جدا ، فان شكل الرواية هنا يشبه شكل النص الوارد في القرآن الكريم .. الا أن الرواية الأولى تذكر أن الذي جاء إلى داود هو النبي ناثان .. بينما النص القرآني يقول إنهما خصمان .. وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنهما خصمان على الحقيقة من البشر ، وذهب آخرون إلى أنهما ملكان تمثلا بصورة رجلين .

كما أن رواية العهد القديم لم تذكر عدد الأغنام والأبقار التي للغني وذكرت نعجة الفقير ، بينما جاء في النص القرآني أنه كان لأحد الخصمين تسع وتسعون نعجة .. وقد يكون غنيا لما يملكه من كثرة النعاج مقارنة بالخصم الآخر الذي قد يكون فقيرا لأنه لايملك الا نعجة واحدة حسب النص القرآني ، وفي ذلك شبه بين النصين .

ومع ذلك فان رواية العهد القديم في الجزء الثاني منها ، تعود إلى الشطط مرة أخرى عندما تقول على لسان ناثان موجها كلامه إلى داود .. «لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشرفي عينيه . قد قتلت اوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة ..»

حاشى لداود عليه السلام أن يحتقر كلام الرب ويعمل الشر في عينيه ، ويقتل أوريا ويأخذ امرأته .

إن الأمر لم يتعد قول داود لأحد الخصمين «لقد ظلمك» قبل أن يستمع من الخصم الآخر - على رأى بعض المفسرين - أو ان داود سأل أوريا أن ينزل له عن امرأته ، وكانت لهم عادة في ذلك ، أو أنه خطب خطيبته فآثره أهلها ، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه ، كما يقول آخرون .

ونلاحظ مما جاء على لسان ربانيّي اليهود الشبه بين ما يرونه سببا لابتلاء داود وامتحانه مع امرأة أوريا ، وبين الروايات التي جاءت على لسان بعض مفسري القرآن الكريم من مسلمة أهل الكتاب . ففي إحدى تلك الروايات كان السبب هو نفسه الذي ذكره الربانيون من أن داود شعر بالزهو والثقة بالنفس فتوسل الى الله أن يخضعه للامتحان حتى يبرهن أنه جدير بمنزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب .. وقد نبّه ثقات المفسرين على أن مثل هذه الروايات إنما هي من الاسرائيليات التي دخلت الى التفاسير عن طريق مسلمة أهل الكتاب . وقد بيّنا ذلك في مكانه عند التفسير ، وفي فصل الاسرائيليات .

وبالنتيجة فان القرآن الكريم ذكر داود عليه السلام وبين أن الله سبحانه وتعالى نزهه عن فعل المعاصي والمنكرات ، بل كرّمه كما لم يكرم غيره من البشر ، وخصه بنعم كثيرة لم يخص بها أحدا من عباده - وقد ذكرناها مفصلة في مكان آخر من هذه الدراسة - وكل ذلك يدل على المكانة الرفيعة والمنزلة العالية التى جعلها الله لنبيّه داود .. هذه المكانة الرفيعة التي نجدها في أي مكان في القرآن الكريم أتى على ذكر داود ،

خسفت على أيدى كتبة أسفار العهد القديم الى أسفل سافلين !! لقد جعلوه زانيا ثم قاتلا ! صوروا النبي الكريم كواحد من سفلة الناس ، لا همّ له إلا الجرى وراء شهواته وتصيد النساء ـ كما حصل مع امرأة أوريا ـ ولم يكتفوا بذلك بل قارنوه بواحد من جنوده ، فرجحت كفة الجندي على كفة النبي والملك في جميع الجوانب ، سواء أكان ذلك من ناحية العقيدة وتقوى الله والاخلاص له والجهاد في سبيله ، أو من الناحية الخلقية والتحلى بالصفات الحميدة كالشهامة والكرامة ونكران الذات ، فقد تفوق الجندي أوريا في كل هذه الصفات على النبي والملك داود ـ حسب رواية العهد القديم ـ وكل ذلك أدلة على التحريف والتبديل الذي تعرضت له روايات العهد القديم .

● ● ●

ـ إحصاء بني اسرائيل

جاء في سفر أخبار الأيام الأول أن داود أمر يوآب بإحصاء بني اسرائيل ففعل ، «فدفع يوآب جملة عدد الشعب الى داود فكان كل اسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل مستلّي السيف ، ويهوذا أربعمائة وسبعين ألف رجل مستلّي السيف . وأما لاوي وبنيامين فلم يعدّهم معهم ..» (٥٣)

أي إن عدد الرجال القادرين على حمل السلاح بموجب هذه الرواية كان مليونا وخمسمائة وسبعين ألفا من غير بني لاوي وبنيامين ، وهي رواية فيها الكثير من المبالغة . لذلك رفضها المؤرخون وشككوا في صحتها .

يقول محمد عزة دروزة إن بني إسرائيل بموجب هذه الرواية يرتفع عددهم الى أكثر من خمسة ملايين نسمة . (٥٤)

وتختلف رواية سفر أخبار الأيام مع رواية سفر صموئيل الثاني بشأن عدد بني إسرائيل ، إذ جاء في صموئيل الثاني : «... فكان اسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذي بأس مستلّ السيف ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل» . (٥٥)

كما أن رواية صموئيل الثاني تختلف عن رواية أخبار الأيام الأول في أمر آخر هو أن الرب أغرى داود باحصاء الشعب في الرواية الأولى ، بينما الرواية الثانية تقول ان الشيطان هو الذي أغرى داود بالتعداد . يقول سفر صموئيل الثاني : «وعاد فحمى غضب الرب على اسرائيل فأهاج عليهم داود قائلا امض وأحص اسرائيل ويهوذا ..» (٥٦)

---

(٥٣) أخبار الأيام الأول ٢١ : ٥ ـ ٦ .
(٥٤) دروزة ، ص ١٥٥ .
(٥٥) سفر صموئيل الثاني ٢٤ : ٩ .
(٥٦) ٢ صم ٢٤ : ١ .

وجاء في سفر أخبار الأيام الأول : «ووقف الشيطان ضد اسرائيل ، وأغوى داود ليحصى اسرائيل» . [٥٧]

●●●

ـ ثورة أبشالوم

كان أبشالوم يعد العدة للثورة على أبيه داود واستلام زمام الحكم بدلا منه . ويصفه العهد القديم فيقول : «لم يكن في كل اسرائيل رجل جميل وممدوح جدا كابشالوم من باطن قدمه حتى هامته لم يكن فيه عيب» . [٥٨]

لقد كان محبوبا من أبيه ومن جميع الشعب . غير أن المؤرخين يرسمون له صورة أخرى . يقول عنه روبنسون إن ذلك الشاب الاسرائيلي الأنيق ، الجذاب ، العاطفي ، الطموح ، كان عديم الضمير ، مجردا من المباديء الخلقية . [٥٩]

وتمهيدا لثورته يذكر العهد القديم أن أبشالوم «كان يبكر ويقف بجانب طريق الباب وكل صاحب دعوى آت الى الملك لأجل الحكم كان أبشالوم يدعوه اليه ويقول من أية مدينة أنت ، فيقول من أحد أسباط اسرائيل عبدك . فيقول أبشالوم له : انظر ، أمورك صالحة ومستقيمة ، ولكن ليس من يسمع لك من قبل الملك . ثم يقول أبشالوم : من يجعلني قاضيا في الأرض فيأتي اليّ كل انسان له خصومة ودعوى فأنصفه . وكان اذا تقدم أحد ليسجد له يمد يده ويمسكه ويقبله . وكان أبشالوم يفعل مثل هذا الأمر لجميع اسرائيل الذين كانوا يأتون لأجل الحكم الى الملك فاستَرَق أبشالوم قلوب رجال اسرائيل» . [٦٠]

هكذا كان أبشالوم يتقرب الى الناس لاستمالتهم الى جانبه ، بينما كان أبوه يقوم بعمله خير قيام ، ولا دليل في رواية العهد القديم على تقصير داود أو عجزه عن القضاء لبني اسرائيل .

إلا أن المؤرخين لهم رأي آخر . يقول روبنسون : كان داود يقترب من الشيخوخة ، ولم يعد قادرا على القيام بأعباء القضاء كما كان في السابق ، والقضاء هو أول الواجبات التي على الحاكم الشرقي القيام بها . لقد أفاد أبشالوم من فشل داود في هذه الناحية ، وذلك بخلق حالة من عدم الرضا بين الناس ، وكان ناجحا في ذلك ، خاصة وأن المتقاضين كانوا يأتون من مناطق كثيرة في اسرائيل ، وبالتالي كانوا يحملون معهم لدى عودتهم انطباعا حسنا عن لطف أبشالوم وكياسته . [٦١]

---

(٥٧) أخبار الأيام الثاني ٢١ : ١ .
(٥٨) ٢ صم ١٤ : ٢٥ .
(٥٩) History of Israel, p. 225
(٦٠) ٢ صم ١٥ : ٢ ـ ٦ .
(٦١) History of Israel, p. 226

ويقول جاكسون: يبدو أن داود في ذلك الوقت فقد قوته ونشاطه، كما فقد التصميم والثبات اللذين كان يتحلى بهما في شبابه .. كان سلوكه كله يتصف بالوهن والضعف بشكل مغاير تماما لقوته وحصافته وحكمته، وهي الصفات التي كانت طابعه في أوائل حكمه. لقد ظهر أنه أصبح غير مكترث بواجباته الملكية، بحيث اضطربت أمور العدل والقضاء، وأضحى داود تحت السيطرة الكاملة لمستشاريه الأقوياء أمثال يوآب .. كان داود خلال تلك الفترة المضطربة محزنا ومثيرا للشفقة أكثر منه بطلا، كانت شئون الدولة تدار في الحقيقة بواسطة أشخاص أقوى منه .. إن (الدراما) التي أدت إليها الأحداث لم يلعب فيها داود أو ابنه أبشالوم الدور الرئيسي .. فعندما أعلن أبشالوم عصيانه توقف عن المبادرة بشيء يذكر، وأصبح ألعوبة بأيدي مستشاريه. (٦٢)

ويقول لودز: لقد استغل أبشالوم بمهارة العيوب والخلل الذي أصاب إدارة داود، وخاصة فيما يتعلق بالقضاء، ومن ثم نجح في إثارة عصيان عام ضد والده الذي أجبر على الهرب الى شرقي الأردن مع بعض أتباعه وحرسه الخاص المكون من الفلسطينيين. (٦٣)

وعن الرجال الذين انطلقوا مع أبشالوم عند بداية ثورته يقول العهد القديم: «وانطلق مع أبشالوم مائتا رجل من أورشليم قد دُعُوا وذهبوا ببساطة ولم يكونوا يعلمون شيئا.» (٦٤)

يقول شاين في تعليقه على هذا النص: إن الرجال المائتين - كما يفهم من النص - لم يكونوا يعلمون شيئا عن ترتيبات أبشالوم في الاستيلاء على التاج.

الا أن ذلك بعيد الاحتمال، لأن الرجال المائتين لا يمكن أن يكونوا يجهلون ما يعرفه كل واحد أو يتوقع حدوثه .. لقد كانت المؤامرة قوية لدرجة أن الرجال المقاتلين كانوا يتزايدون باستمرار مع أبشالوم (حسب ما جاء في ٢ صم ١٥ : ١٢) .. إنه من الواضح أن أولئك الذين رافقوا أبشالوم الى حبرون لم يكونوا مغفلين ساذجين لا يعلمون شيئا .. لقد كانوا في الحقيقة يشكلون حرسه الشخصي من شمالي الجزيرة العربية، لقد كانوا من الاسماعيليين العرب. (٦٥)

وجاء في صموئيل الثاني (١٨:١٥) أن هناك ستمائة رجل من الجلادين والسعاة رافقوا داود في هربه من أورشليم وشكلوا نواة جيشه. ويعلق شاين على هذه الرواية بقوله: إن المدينة التي تألفت فيها هذه القوة الكبيرة نسبيا من الرجال المسلحين من شمالي الجزيرة العربية ومن غير الاسرائيليين، كانت أورشليم الجنوبية التي تقع شمالي جزيرة العرب، وليست بالتأكيد أورشليم التي تسمى الآن القدس.

---

(٦٢) Jackson. p. 178

(٦٣) Lods, p. 365

(٦٤) ٢ صم ١٥ : ١١

(٦٥) Cheyne, p. 51

ويضيف شاين إن أعضاء الحرس الملكي كانوا - كما يظهر من تسمياتهم وألقابهم العرقية - من الجنس العربي الذي يقطن شمالي الجزيرة العربية .. إن مثل هذه الفرقة كبيرة العدد (٦٠٠ أو ٨٠٠ شخص) لا يمكن أن تكون إلا في أورشليم الجنوبية التي تقع شمالي جزيرة العرب ، والا فانها تشكل خطرا أبديا على الملك أكثر من كونها مشكلة لحمايته . ثم يقول: إن محنايم التي التجأ اليها داود بعد هربه من وجه أبشالوم ، هي منطقة تقع شمالي الجزيرة العربية . كما أن هناك تسميات أخرى كلها عربية شمالية . ويخرج بنتيجة تقول : إن مسرح أحداث ثورة أبشالوم ، هو شمال الجزيرة العربية .[٦٦]

- تنظيم طقوس العبادة في المعبد

يذكر العهد القديم أن داود شكل فرقا من العازفين والمرتلين وخصصهم للخدمة في المعبد ، وأدخل المزامير لتشكل عنصرا مهما في طقوس العبادة ، فكانت التراتيل والتسابيح تستخدم في هذه الطقوس بمصاحبة أنواع عديدة من المعازف ، مضفية جوا من الخشوع الذي يتطلبه الموقف في العبادة الجماعية .

فقد جاء في سفر أخبار الأيام الأول أن داود «جمع كل رؤساء إسرائيل والكهنة واللاويين .. من هؤلاء للمناظرة على عمل بيت الرب أربعة وعشرون ألفا ، وستة آلاف عرفاء وقضاة . وأربعة آلاف بوّابون ، وأربعة آلاف مسبّحون للرب بالآلات التي عملت للتسبيح . وقسمهم داود فرقا ..»[٦٧]

يتعرض أولبرايت لرواية سفر الأخبار التي تعزو لداود تنظيم فرق العازفين والموسيقيين في الهيكل ، دون أن تشير تلك الرواية الى المصدر الذي أخذ عنه ذلك التنظيم ، فيورد الكثير من الأدلة التي تثبت أن داود لم يكن أول من أوجد نظام استخدام الموسيقى في الطقوس الدينيه .

يقول أولبرايت إن كلا من فلسطين وسوريا اشتهرت بالعازفين والموسيقيين في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، يظهر ذلك من المصادر المصرية ، والبابلية والأشورية في بلاد ما بين النهرين . كما أن اليونانيين استعاروا العديد من الآلات الموسيقية مع أسمائها من الكنعانيين . وقد شكل المغنون في أوجاريت مجموعة منهم خاصة بالهيكل سنة ١٤٠٠ ق.م - أي قبل عصر داود بأكثر من أربعة قرون - علاوة على ذلك فقد جاء في سفر أخبار الأيام ذكر لأسماء آساف وهيمان وإيثان أو (يدوثون) ، ويسمي سفر الملوك الأول إيثان «الأزراحي» ، أي إنه أحد أعضاء عائلة من سكان البلاد الأصليين الذين كانوا موجودين قبل طروء بني اسرائيل على أرض كنعان . ويطلق سفر أخبار الأيام الأول (٢:٦) على جميع مؤسسي فرق الموسيقى تسمية (الأزراحيين) ، ويظهر من عنوان المزمور (٨٨) أن (هيمان) كان أزراحياً . وبمعنى آخر فان جميع هذه الفرق الموسيقية كانت كنعانية الأصل ، بدليل الأسماء الواردة فيها .

---

(٦٦) نفس المرجع ، ص ٥١ - ٦١ .
(٦٧) أخبار الأيام الأول ٢٣ : ٢ ، ٤ - ٦ .

ويختتم أولبرايت ملاحظاته بقوله : يتضح من ذلك أن موسيقى الهيكل العبرية التي كانت معروفة في اسرائيل ، ترجع في حقيقتها الى أصول تعود الى ما قبل ظهور بني اسرائيل في تلك الديار ، كما أن ذلك يبرهن على أن داود لم يكن أول من أوجد نظام استخدام الموسيقى في الطقوس الدينية .(٦٨)

ـ «الجلّادون» و «السُّعَاة» وجيش داود

ورد ذكر الجلادين والسعاة في أماكن متعددة من العهد القديم ، غير أن الأسفار سكتت عن ذكر التفاصيل بشأنهم وما كان لوجودهم من أهمية سواء في الجيش أو البلاط الملكي . الا أن المؤرخين يضعون النقاط على الحروف بشأن علاقتهم بداود ومملكته .

يقول روبنسون إن قوة داود الرئيسية اكتسبها عن طريق مصادر وقوى أجنبية ، حيث إن (الجلادين والسعاة) كانوا في الغالب من الفلسطينيين ، ولم يكونوا يشكلون الدعامة الأساسية لقوة داود الشخصية فحسب ، بل كان وجودهم في القوات المسلحة لسليمان سببا في تأمين ارتقائه على العرش .. كانوا بالنسبة لداود كالحرس الإمبراطوري بالنسبة لأباطرة الرومان .(٦٩)

ويقول جاكسون : لما كان داود قد عاش ردحا من الزمن بين الفلسطينيين ، فانه قام بتنظيم جيشه على غرار جيشهم .(٧٠)

● ● ●

ـ الحكم على داود وعهده

لقد رأينا الصورة التي رسمها العهد القديم لداود ، وكيف جعل منه زانيا وقاتلا ، وهما صفتان تعتبران من الموبقات التي تودي بصاحبها الى النار ، وقد فنّدنا فيما سبق إلصاق الفواحش بواحد من الأنبياء المرسلين رضوان الله عليهم لأنهم المعصومون الذين نزههم الله سبحانه وتعالى وجنّبهم الانزلاق في دروب الخطايا .

أما المؤرخون الغربيون فإنهم يوافقون رواية العهد القديم فيما يتعلق بمسألة الإفك ، ويرسمون صورة لداود اعتمدوا في الكثير من ملامحها على روايات العهد القديم . وسنذكر فيما يلي طرفا مما قاله أولئك المؤرخون :

---

(٦٨) Albright, Arch. and the Religion of Israel, pp. 125 - 128, 209

(٦٩) History of Israel, p. 230

(٧٠) Jackson, p. 190

يقول لودز : كان داود شخصية غنية بالمفارقات والتباين .. فبينما كان شجاعا شهما ، كان بارعا مكارا ، وغالبا ما كان يتصف بالنفاق والازدواجية .. لقد كان قاسيا عندما كانت مقتضيات الحكم تتطلب ذلك ، ولكنه كان يفيض عاطفة ورقة أمام أبنائه لدرجة الضعف .. كان تقيا مخلصا ، غير أن تقواه لم يرتفع فوق المستوى الذي كان عليه الناس في زمانه ، ذلك المستوى الذي كان في الغالب ماديا ، بالاضافة الى كونه ساذجا أنانيا .. كان يكن احتراما عميقا لأوامر (يهوه) ، ولكنه كان يعتقد أنه بشيء من البراعة يمكنه الالتفاف حول هذه الأوامر ، لقد ظهر ذلك بوضوح في تعليماته الأخيرة التي كان على ابنه سليمان أن ينفذها لدى اعتلائه العرش .[٧١]

ويقول جاكسون : كانت شخصية داود شخصية فريدة من نوعها في تاريخ بني اسرائيل القديم ، وتجمع الروايات على أنه كان شخصية جذابة ، وتركز بصفة خاصة على حكمة داود وتعقله . لقد اشتهر بين معاصريه بذكائه وحصافته أكثر من شهرته العسكرية .. ولكن هناك نزعة عند الشرقيين وفي المجتمعات البدائية لاعتبار الشخص المخادع المضلل وغير الشريف شخصا متفوقا عقليا ، يظهر ذلك بشكل جلي واضح في الروايات المتعلقة بداود . لقد تفوق داود على معاصريه في أمر هام ، هو كراهيته الظاهرة للعنف والفوضى .. وكان ذلك جليا في أعماله في كثير من المناسبات .. إننا لا ننكر أنه لم يكن رجلا مثاليا بلغ حد الكمال ، فقد لوّثت سيرته بكثير من الأخطاء والفشل والجرائم ، وإنه لأمر يدعو للملاحظة والانتباه أن كل ذلك سجل بجسارة على صفحات الكتاب المقدس .. غير أن داود ينتمي لجيل يختلف كليا عن جيلنا ، بحيث إنه ليس من السهل فهم الأعمال التي قام بها .[٧٢]

ويقول اندرسون : إن قصة داود ترقى الى آفاق الطموح البشري .. لقد كان ضحية عظمته الشخصية ، كان ضحية إرادته التي لا تقهر ، تلك الارادة التي قادته الى محاولة الوصول الى أبعاد القوة ، وكان تعلقه العميق بالله واضحا في تصرفاته وفي حياته اليومية ، لدرجة جعلت (يهوه) يقيم عهدا أبديا مع داود على الرغم من الأخطاء التي وقع فيها بسبب ضعفه كانسان .[٧٣]

وجاء في قاموس العهد القديم لهيستنجز أن شخصية داود كانت تحتوي على الخير والشر ، إلا أن الخير فيها كان غالبا . أما صفاته الأخرى مثل إخلاصه وكرمه وشجاعته ، بالاضافة الى أخطائه ، فإنها ترجع بدرجة كبيرة الى العصر الذي عاش فيه .. وإن أي تقييم له في هذا الشأن يجب أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار .[٧٤]

---

(٧١) Lods, pp. 365 - 366
(٧٢) Jackson, pp. 186 - 192
(٧٣) Anderson, pp. 148 - 149
(٧٤) Hastings, p. 203

ويقول روبنسون : إن حكمنا على داود ينبغي أن يكون وفق مقاييس عصره .. إن الأعمال التي ارتكبها من قتل وتعذيب وتدمير وما الى ذلك ، لها ما يوازيها من أعمال ملوك قدماء آخرين .. إن مفاخرتهم وتباهيهم بأصناف التعذيب التي ينزلونها بالشعب الذي يتصدى لهم ويقاومهم ، تعد أمرا خطيرا جدا .

وهكذا فان داود ، اذا لم يكن أفضل من رجال عصره فيما يتعلق بهذه الأمور فإنه بالتأكيد ليس أسوأ منهم . (٧٥)

ويقول جورج روبنسون : كان داود موهوبا ، وأما الجوانب التي برع فيها فكانت متعددة لم تدانه فيها أية شخصية أخرى في التاريخ الاسرائيلي كله . أما في الأهمية التاريخية وسموّ الأخلاق فيأتي في المرتبة التالية بعد موسى .. لقد أكمل ما بدأه موسى ، وخلق من اسرائيل أمة جعلها تتبوأ مكانة عالية بين الأمم .. وبالرغم من الزلات التي ارتكبها بسبب الضعف البشري ، الا أنه كان تقيا ورعا .. لقد كان حاكما مثاليا ، محبا للسلام والاستقامة والصلاح .. كان متحمسا في الدفاع عن وطنه ، كريما ، لطيفا ، ثابتا على العقيدة .. كان سياسيا متسامحا شجاعا .. وكان خاطئا لدرجة شائنة ، ولكنه بالمقابل كان نادما على خطيئته ، مخلصا في توبته .. وفوق كل ذلك كان متدينا ، وكانت ثقته كبيرة في الله . (٧٦)

ونختتم آراء المؤرخين في الحكم على داود ، بما قاله المؤرخ الشهير هنري سميث (Henry P. Smith) الذي يقول : إن أفضل مثال للرجل العصامي ما أطلقه المؤرخون المحدثون على داود . أما عن خصائص شخصيته ، فكانت عبارة عن لغز كما هو الحال مع عظماء الرجال في العالم القديم .. إن قوة شخصيته تظهر من التأثير الذي مارسه على تلك العصابة من المتمردين المشاغبين الموالين له .. إن قيادة مثل اولئك الرجال تتطلب وجود رجل يتمتع بالحذق وسحر الشخصية بالاضافة الى القوة .

أما الظلال القاتمة في شخصية داود فلا يمكن إخفاؤها ، وكانت مبررا لأعدائه للتجديف عليه والنيل منه .. وحتى نقيّم الرجل فلا مناص من أن نتذكر أنه كان شرقيا ، وبالتالي كان شهوانيا ، ماكرا ، قاسيا ـ على حد قول سميث ـ لقد سقط داود ، في أكثر من حالة ، دون المستوى الذي كان عليه الناس في زمانه .. حقا لقد هزت حكايته مع أوريا المفهوم الأخلاقي لدى معاصريه .

أما تقوى داود فكان حقيقيا .. ولكنه على غرار ما كان سائدا في أيامه .. إن تصورنا لديانة داود أنها كانت ذات طابع بدائي . (٧٧)

---

(٧٥) History of Israel, p. 203

(٧٦) George L. Robinson, Leaders of Israel, A Brief History of The Hebrews, New Yerk, 1906, pp. 139 - 140.

(٧٧) Henry Preserved Smith, Old Testament History, T. and T. Clark, Edinburgh, 1911, pp. 153 - 155

هذه هي الصورة التي يرسمها المؤرخون لداود عليه السلام ، وقد رأينا قبل ذلك صورته في أسفار العهد القديم .. إنها في كلتا الحالتين صورة إنسان أقل من عادي ، لم يعصمه شيء عن ارتكاب الفواحش والمعاصي .. وعلى الرغم من الاشادة به أحيانا ووصفه بالشجاعة والكرم والتسامح والتقوى .. إلا أن تلك الروايات جميعا لم تنف عنه حكاية الإفك ، بل جعلته يتمرغ في الرذيلة .. ولم تكتف بما نسبته اليه في شبابه ، بل امتدت الأيدي الظالمة لتشويه صورته وهو شيخ هرم لتكملة صورة الارتكاس الخلقي التي أرادتها له ، فنسبت اليه أنه عندما شاخ كانوا يدثرونه فلا يدفأ ، فاختاروا فتاة عذراء جميلة صغيرة السن لهذا الغرض ، فكانت تضطجع في حضنه ليدفأ وينام .. ثم امتدت الأيدي الظالمة الى أبنائه وبناته لتشويه صورة الأسرة بكاملها .. ثم ألصقت به صفات أخرى كالمكر والخداع والنفاق والقسوة وازدواج الشخصية .. وهي لعمري صفات لا تجتمع في شخص إلا كان منبوذا محتقرا في مجتمعه وبين قومه وعند الناس أجمعين .. فهل يتفق ذلك ومكانة داود والصفات الأخرى التي أسبغتها عليه نفس تلك الروايات !! إنه التناقض والتحريف الذي تعرضت له روايات العهد القديم واعتمده المؤرخون الغربيون على أنه حقائق مسلم بها .

واذا ما انتقلنا للحكم على داود بموجب ما جاء في القرآن الكريم ، فاننا نجد صورة مغايرة تماما .. نجد صورة النبي الكريم الذي خصه الله سبحانه وتعالى بفيض من نعمه ، فقد آتاه الملك والحكمة ، وسخر له الجبال والطير تسبح معه ، ومنحه صوتا شجيا لم يعط أحدا من البشر مثله ، وألان له الحديد .. الى غير ذلك من النعم التي بسطنا القول فيها فيما سبق . كما أن القرآن الكريم نفى حكاية الإفك المروية في العهد القديم وفي كتب المؤرخين الغربيين .. فهو النبي المعصوم .

ولو أخذنا بتلك الروايات لانتزعت الثقة في الأنبياء ، وبطلت الشرائع ، وسادت الفوضى ، وعمّ الفساد في الأرض ..

لقد كان داود عبدا لله أوابا ، آتاه الله الزبور ، فكان اذا انطلق صوته في ترتيله ، وأخذ يمجد خالقه ، رجعت معه الجبال والطير وتجاوب الكون كله بتلك الترانيم .. لقد بلغ داود عليه السلام من الشفافية والتجرد وهو يسبح لله ، أن انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات ، فاتصلت حقيقتها بحقيقته في تسبيح بارئها وبارئه بلا حواجز ولا سدود .. هذا التعلق بالله وبطاعته وعبادته ما حدا برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب المثل بعبادة داود عليه السلام فيقول : « أحب الصيام الى الله صيام داود .. وأحب الصلاة الى الله صلاة داود .»

أهناك بعد ذلك مجال للتشكيك في صورة داود .. النبي الكريم المعصوم كما رسمها القرآن الكريم !

● ● ●

« الفصل الثاني »

أوجه الشبه والخلاف في الروايات المتعلقة بسليمان وحكمه

بعد أن ذكرنا الروايات المتعلقة بداود عليه السلام ، في كل من العهد القديم والقرآن الكريم وفي كتب المؤرخين ، وبينا المواضع التي كانت الروايات موضع خلاف فيها ، وتلك التي صادفت اتفاقا فيما بينها ...

نأتي الآن لبيان أوجه الشبه والخلاف في الروايات المشار اليها فيما يتعلق بسليمان عليه السلام .

ـ تنصيب سليمان ملكا

عندما شاخ داود وتقدمت به السن ، طمع أكبر أبنائه الأحياء ـ وهو أدونيا ـ في الملك ، فأخذ يعد العدة لخلافة أبيه وتنصيب نفسه ملكا باعتباره الوريث الشرعي ، وذلك بمساعدة كل من يوآب وأبياثار الكاهن . غير أن كثيرا من كبار رجال الدولة لم يكونوا في صف أدونيا ومنهم ناثان النبي الذي ذهب الى بت شيفع أم سليمان وحرّضها على الذهاب الى داود وتذكيره بوعده السابق لسليمان بالملك ، حسب رواية سفر الملوك الأول ـ الاصحاح الأول . فدخلت بت شيفع وكلمت داود ، ثم دخل ناثان وأعلمه بما فعل أدونيا .. فتضايق داود وأقسم أن الذي يملك بعده هو سليمان ، وأمر ناثان وصادوق الكاهن بأن يأخذا سليمان وينزلا به الى جيحون ويمسحاه ملكا على اسرائيل .[1]

يرى المؤرخون أن تنصيب سليمان على العرش كان خروجا على القاعدة الشرعية في الخلافة ، تلك القاعدة التي تكرس الابن الأكبر للملك للخلافة . وفي هذه الحالة كان أدونيا الوريث الشرعي لأنه الأكبر ، غير أن رواية العهد القديم جعلت داود يفضل سليمان على أدونيا . ويفسر المؤرخون السبب في ذلك ـ وهو ما سكتت عنه رواية العهد القديم ـ بعدة أمور .

لودز يرى أن السبب ينحصر فيما يلي :

١) دعم رجال الملك الجدد لسليمان ، وهم : بناياهو بن يهوياداع ، وصادوق الكاهن ، وناثان النبي ، بالاضافة الى الجبابرة .

٢) كون بت شيفع أم سليمان ، التي كانت ذات جمال غير طبيعي ، هي الزوجة المحببة لداود ، ومن ثم ـ وتحت تأثيرها ـ مال الى جانب سليمان الذي لم يكن سوى الابن العاشر له .[2]

أما جاكسون فيقول : إن المخاطر والأيام العصيبة التي تعرض لها داود في شبابه جعلته يشيخ قبل الأوان . فلم يكد يبلغ السبعين حتى غاص في حالة من الخرف ، وأسلم الى فتاة عذراء تعنى به ، بينما كان أولاده وأنصارهم مشغولين ، كل منهم يرتب أموره للاستيلاء على العرش . فكان يوآب كعادته في قلب هذه

---

(١) امل ١ : ١٧ ـ ٣٤ .

(٢) لودز ، ص ٣٦٥ .

المكائد والمؤامرات ، فأخذ جانب أدونيا الابن الأكبر لداود وأيد مطالبته بالعرش ، وقد انضم اليه في هذا الجانب أبياثار الكاهن ، وكان ـ من المحتمل ـ غير راض عن التأثير المتنامي لعائلة صادوق الكاهن .

ويضيف جاكسون : أما في الجانب الآخر فكانت بت شيفع التي ابتزت داود وانتزعت منه وعدا بأن يورث المملكة إلى ابنها سليمان ، الذي كان ما يزال فتى يافعا ، دون إخوته الآخرين . وقد آزرها في طلبها وعاضدها بقوة كل من ناثان وصادوق ، وبناياهو الذي كان قائدا للحرس الملكي .[٣]

ويرى جاكسون أن أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت داود يختار سليمان ـ بالاضافة الى ما سبق ـ هو أن داود تعلم من خبرته المريرة أن أبناءه الكبار تنقصهم المواصفات والمؤهلات الضرورية لحمل أعباء العمل الذي بدأه ، لذلك فانه رأى أن تنصيب ولد من أبنائه مشابه لأمنون أو أبشالوم يعني كارثة وطنية .. كما لاحظ أن التحالف الذي تم بين أكبر أبنائه الأحياء ، وهو أدونيا ، ويوآب وأبياثار ، كان بدافع إبقاء الأمور على حالها القديم دون محاولة التطور والتقدم .. وتحت ضغط هذه الظروف فان الملك المسنّ لابد أنه صمّم على تدريب سليمان ليصبح ملكا على عرش بني إسرائيل عن جدارة واستحقاق .. لقد اتسم حكم سليمان بالازدهار والرخاء الاقتصادي وبالتقدم في فنون الحياة المختلفة التي تتكون منها الحضارة .. إنه أمر من الممكن تصوره أن داود اختار واحدا من أصغر أبنائه لوراثة العرش بتروّ وتأن وهذا الهدف ماثل أمامه .[٤]

أما روبنسون فيعلق على تنصيب سليمان قائلا : تدل الظروف المحيطة بتنصيب سليمان على أن وصوله الى العرش كان انتصارا للأوتوقراطية ، وهي قاعدة حكم الفرد المطلق . لقد كان أحد أبناء داود الصغار ، إلا أن مطالبته بالعرش لم تلق قبولا واسعا .. وكان من الطبيعي أن يخلف داود أحد أبنائه الكبار ، وكانت هذه هي وجهة النظر التي على ما يظهر أخذ بها أدونيا وتبنى فكرة كونه الوريث الشرعي . أما اختيار داود واحدا من أبنائه الصغار ، ربما كان كارثة لاسرائيل .. فلو كان خليفته واحدا من أبنائه الذين عرفوا ـ نتيجة لتجربتهم ـ شيئا عن حياته الأولى ، وشيئا عن حكمه في حبرون ، وشيئا عن كفاحه من أجل إيجاد مملكته وشعبه ، عندئذ فان تاريخ بني اسرائيل يمكن أن يكون قد اتخذ منحى آخر يختلف كثيرا عن المنحى المعروف .[٥]

وترجع الموسوعة اليهودية سبب اختيار داود لسليمان وريثا للعرش لأمرين اثنين :ـ

١) قوة شخصية بت شيفع أم سليمان من ناحية .

---

(٣) جاكسون ، ص ١٨٤ .
(٤) نفس المرجع ، ص ١٩٣ .
(٥) History of Israel, pp. 240, 243

٢) اتحاد أدونيا مع أفراد من البلاط الملكي لم يكونوا على وفاق مع داود، بل كان داود يبغضهم ويمقتهم، من ناحية أخرى.[٦]

وعن المكان الذي نودي فيه بسليمان ملكا، يقول شاين: إنه مكان قريب من عاصمة داود التي تقع شمالي الجزيرة العربية، يدعى (حبرون) وليس (جيحون) كما ورد في العهد القديم. ثم يقول: إن هذا الاسم (حبرون) ورد بالتأكيد في الرواية الأصلية للعهد القديم، إلا أنه تم تعديل نص الرواية وتغييره فيما بعد ليصبح (جيحون) بدلا من (حبرون).[٧]

أما القرآن الكريم فانه يشير الى خلافة سليمان لأبيه داود ووراثته إياه، دون تفصيل في ذلك.

يقول تعالى في سورة النمل، آية ١٦: «وورث سليمانُ داودَ»، ويقول في سورة (ص)، آية ٣٠: «ووهبنا لداودَ سليمانَ».

يتضح من هذا النص القرآني أن خلافة سليمان لأبيه ووراثته إياه كانت في الملك والنبوة بترتيب إلهي. لذلك جاء في بعض التفاسير أن داود عليه السلام أراد أن يستخلف ابنه سليمان عليه السلام، لأن الله تعالى أمره بذلك، فقال بنو اسرائيل: يستخلف علينا حدثا؟. فدعاهم فقال لهم: قد بلغني مقالتكم، فأروني عصيكم فأي عصا أثمرت، فصاحبها ولي الأمر بعدي. فرضوا بذلك، وأدخلوا عصيهم بيتا، فأصبحوا وقد أورقت عصا سليمان وأثمرت، فسلموا بذلك لداود.[٨]

● ● ●

ـ بداية حكم سليمان

جاء في سفر الملوك الأول أن داود أوصى ابنه سليمان قبيل وفاته أن يقتل يوآب وألّا يدع «شيبته تنحدر بسلام الى الهاوية. وافعل معروفا لبني برزلاي الجلعادي .. وهوذا معك شمعي بن جيرا البنياميني .. فلا تبرره لأنك أنت رجل حكيم، فاعلم ما تفعل به وأحدر شيبته بالدم الى الهاوية».[٩]

يعتقد بعض المؤرخين المشهورين أمثال روبنسون، وبنزنجر، وستيد، وكورنهل، وكمفاوزن أن رواية العهد القديم المشار اليها غير صحيحة ومحرفة، وأنها وضعت بشكلها الحالي لتبرئة سليمان من وصمة العار التي كان يمكن أن تلحق به، والذي وضعها مؤرخ متأخر ألقى بالمسئولية فيها على داود لتبرئة سليمان بصفته مؤسس الهيكل.

---

(٦) Enc. Judaica, Vol. 5, Col. 1325

(٧) Cheyne, p. 63

(٨) الثعلبي، ص ٢٥٨، قصص الأنبياء لنعمة الله الجزائري، ص ٤٠٥.

(٩) امل ٢: ٥ ـ ٩.

وكمثال لرأي هؤلاء المؤرخين نذكر ما قاله روبنسون في هذا الشأن ، يقول : إننا لا نستطيع إلا أن نسأل أنفسنا عما إذا كانت روايات العهد القديم صحيحة ودقيقة في نسبتها هذه الوصايا والتعليمات الى داود . فقد كان لدى سليمان الأسباب الوفيرة التي تجعله يبادر الى قتل كل من شمعي ويوآب ، لأن الأول كان يمثل بيت شاؤل ، بينما كان يوآب يشكل قوة كبيرة في جماعة (أدونيا) يمكن أن تعاود نشاطها من جديد ، كما أن تأثيره كقائد للجيش جعل منه رجلا خطيرا .. ومن هنا فان أي ملك من ملوك الشرق لا يستطيع أن يشعر بالأمان بينما يوجد أمثال هؤلاء الرجال أحياء يرزقون ، بعيدا عن الأخطار التي يمكن أن تسببها أقوال هذا وأفعال ذاك .

ويستطرد قائلا : إننا نظن أن روايات العهد القديم في هذا الشأن بشكلها الحالي ، ما هي إلا محاولة لإزالة وصمة عار يمكن أن يوصم بها سليمان ، وذلك بالقاء المسئولية على داود ، ولكن التدخل غير المشروع في الخصومات الشخصية ضد الأعداء الخصوصيين ، لم يكن من صفات داود ـ كما اتضح لنا من معاملته لشاؤل ـ بينما لا نعرف شيئا عن سليمان يمنعنا من أن ننسب هذا الأمر إليه .[١٠]

غير أن هناك مؤرخين آخرين يؤيدون رواية العهد القديم . من هؤلاء لودز الذي يقول إن أمر تحريف النص هنا لتبرئة سليمان وإدانة داود غير مرجح .. فلو كان غرض الرواة هو تبرئة ساحة سليمان ، لكان عليهم أيضا أن يلقوا باللوم على داود فيما يتعلق بمقتل أدونيا .

ويعلق على وصية داود لسليمان بقوله : إننا نجد في كلمات الملك المسنّ نكهة من أثر قديم .. لقد قال بالضبط ما كان يجب أن يقوله بدافع من شعوره بالعرفان بالجميل ، ومن رغبته في الانتقام ، ومن ندمه ، ثم أخيرا مما تكون لديه من أفكار بسيطة غير ناضجة عن أمور القضاء .[١١]

وتؤيد الموسوعة اليهودية كذلك رواية العهد القديم ، وترفض القول بانحياز مؤلف الرواية الى سليمان ، بأن نسب إراقة الدماء من قبله ، وجعلها نتيجة تعليمات داود ، وبررت الموسوعة المذكورة رفض انحياز المؤلف لعدة أسباب :

١) أن حقد داود وعداءه ليوآب كان معروفا وواضحا تماما .
٢) لم يكن من الضروري نسبة مسألة أبناء برزلاي الجلعادي لوصية داود الأخيرة .[١٢]
٣) أما السبب الثالث والأهم ، فهو ما جاء في الرواية المتعلقة برفعة سليمان وسموّه ، اذ لم تتضمن تلك الرواية تمجيدا مبالغا فيه لسليمان .[١٣]

---

(١٠) History of Israel, pp. 244 - 245
(١١) Lods, p. 367
(١٢) انظر : صموئيل الثاني ٢ : ٥ ـ ٩
(١٣) Enc. Judaica, Vol. 15, Cols. 97 - 98

وفي بداية حكم سليمان أيضا جاء في العهد القديم أن الرب تراءى لسليمان في المنام «وقال الله اسأل ماذا أعطيك . فقال سليمان : إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبرّ واستقامة قلب معك ، فحفظتَ له هذه الرحمة العظيمة ، وأعطيتَه ابناً يجلس على كرسيّه كهذا اليوم . والآن أيها الرب إلهي أنت ملّكْتَ عبدَكَ مكانَ داود أبي وأنا فتى صغير ، لا أعلمُ الخروجَ والدخول . وعبدك في وسط شعبك الذي اخترتَه شعبٌ كثيرٌ لا يُحْصَى ولا يُعَدُّ من الكثرة ، فأعط عبدك قلبا فهيماً لأحكم على شعبك وأميّز بين الخير والشر ، لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا . فحَسُنَ الكلامُ في عيني الرب لأن سليمان سأل هذا الأمر . فقال له الله من أجل أنك قد سألتَ هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أياما كثيرة ، ولا سألتَ لنفسك غنىً ولا سألتَ أنفُسَ أعدائك ، بل سألتَ لنفسك تمييزا لتفهَم الحكم . هُوَ ذَا قد فعلتُ حَسَبَ كلامِك ، هو ذا أعطيتُك قلبا حكيما ومميِّزا حتى إنه لم يكن مثلُكَ قبلَكَ ، ولا يقومُ بعدك نظيرُك . وقد أعطيتك أيضا مالم تسألْه غنىً وكرامة حتى إنه لا يكون رجلٌ مثلَكَ في الملوكِ كلَّ أيامِك ..» [١٤]

يعارض بعض المؤرخين ما جاء في هذه الرؤيا ، ويرون أن سليمان لم يكن حقيقة كما يصوره هذا النص . يقول أندرسون في تعليقه على النص : أما القصة الأسطورية الواردة في سفر الملوك الأول بشأن اختيار سليمان عطية ربه بأن يمنحه قلبا فهيما ليحكم شعبه ، مفضلا ذلك على طلب الغنى والرفعة ، فإن الحقائق الواقعية التي عرفت عن إدارته تبين أنه كان يفتقر الى القدرة على تحويل هذا الحلم الورع الى حقيقة .. لقد كان طموحا أنانيا بطبعه .. وكان بلاطه في أورشليم يتصف بالاسراف والتبذير ، لم يكن سليمان يعرف شيئا سوى الالتجاء الى حياة البذخ والترف في القصر الملكي . [١٥]

أما القرآن الكريم فإنه يتفق مع العهد القديم في أن سليمان سأل ربه فاستجاب له .. فبعد فتنة سليمان المذكورة في القرآن وإنابته الى الله سبحانه وتعالى : «قال ربِّ اغفِرْ لي وهَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ، إنك أنتَ الوهَّاب . فسخّرنا له الريح تجري بأمره رُخَاءً حيث أصاب . والشياطين كل بنَّاء وغواص . وآخرين مقرَّنين في الأصفاد». [١٦]

هذا السؤال والاستجابة في العهد القديم والقرآن الكريم يدل على المنزلة الرفيعة التي خص الله عز وجل نبيه سليمان عليه السلام بها .. على الرغم من الاختلاف الواضح في ماهية السؤال الذي قصد اليه سليمان في الكتابين .. فبينما كان سؤاله في العهد القديم : «قلبا فهيما لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر» ، كان في القرآن الكريم طلب الصفح والغفران ، وأن يهب له ملكا يميزه به عن بقية خَلْقه .. فكان له

---

(١٤) امل ٣ : ٥ ـ ١٣ .

(١٥) أندرسون ، ص ١٥٢ .

(١٦) سورة (ص) : ٣٥ ـ ٣٨ .

ما أراد . بالاضافة الى ذلك فاننا نجد في القرآن ما يؤيد رواية العهد القديم في شأن حكمة سليمان «ومنحه قلبا فهيما للتمييز بين الخير والشر» ، نجد ذلك في قصة الحرث وحكم داود وسليمان فيه ، يقول تعالى : «وداودَ وسليمانَ إذ يحكمان في الحَرْثِ إذْ نَفَشَتْ فيه غنمُ القوم وكنَّا لِحُكْمِهِم شاهدين . فَفَهَّمْنَاها سليمانَ وكُلًّا آتينا حُكْماً وعِلْماً ..»[17]

وقد مر معنا في تفسير الآيات المتعلقة بقصة الحرث أن قوله : «ففهّمناها» أي ففهّمنا القضية في ذلك سليمان دون داود ، وكلاهما أوتي النبوة والعلم بأحكام الله .

أما قول بعض المؤرخين ومنهم أندرسون إن سليمان كان يفتقر الى الحكمة وإنه لم يعرف إلا حياة البذخ والترف في القصر الملكي ، فإن هذا القول نفسه يفتقر الى الحقيقة ، لأن حكمة سليمان موصوفة في العهد القديم ، وهناك عدة أسفار في العهد القديم تتحدث عن حكمته . وقد جاء تأكيد هذا الأمر في القرآن الكريم ، وكلمته هي القول الفصل . وإننا نرفض أيضا قول أولئك المؤرخين عن حياة البذخ والترف التي عاشها سليمان . فبالرغم من أن الله وهب له ملكا عريضا ، إلا أن الكثير من الروايات تحدثت عن زهده وتقشفه ، وهو أمر يتنافى مع ذلك القول .

● ● ●

ـ علاقة سليمان مع ملك صور

في شأن علاقة سليمان بحيرام ملك صور جاء في العهد القديم ما يلي : «أعطى حينئذ الملك سليمان حيرام عشرين مدينة في أرض الجليل . فخرج حيرام من صور ليرى المدن التي أعطاه إياها سليمان فلم تَحْسُنْ في عينيه . فقال ما هذه المدن التي أعطيتني يا أخي ، ودعاها أرض كابول الى هذا اليوم . وأرسل حيرام للملك مئة وعشرين وزنة ذهب» .[18]

المؤرخ والناقد شاين يختلف مع هذا النص ، وله وجهة نظر أخرى حول هذا الموضوع . يقول شاين : انه من غير الحكمة أن نثق بما ورد في هذا النص أو نعول عليه . وهو يعتقد أن ملك صور Sor أو (مصور Missor) لم يكن صديقا لسليمان كما اعتبرته رواية العهد القديم ـ على الأقل بعد السنوات الأولى من حكم سليمان ـ إذ ربما قام في صور ملك جديد لاحظ الفرق في الإمكانيات الحربية لكل من داود وخليفته ، فقام بإخضاع سليمان .

أما عن المدن العشرين التي أعطيت لحيرام من قبل سليمان ، والمائة والعشرين وزنة ذهب التي تقول

---

(١٧) الانبياء : ٧٨ ـ ٧٩ .

(١٨) امل ٩ : ١١ ـ ١٤ .

الرواية إن حيرام أرسلها للملك سليمان ، فيرى شاين وكذلك (ونكلر) وجوب تعديل نص الفقرة (١٤) من الاصحاح التاسع من سفر الملوك الأول بحيث يصبح : «وأرسل الملك الى حيرام مائةوعشرين وزنة ذهب» ، وليس العكس . ويعلق شاين على هذا النص بقوله : من ذلك يتبين لنا بالتأكيد أن هذه لم تكن منحة صديق لصديقه ، بل كانت جزية دفعها سليمان لسيّده .[١٩]

يتضح مما سبق ومن نص الفقرات المشار اليها أن هناك تناقضا ظاهرا في النص ، فكيف يعطى الملك سليمان حيرام عشرين مدينة ، أبدى حيرام بعد أن تفقدها استياءه وعدم رضاه عن هذه العطية ، ثم يأتي النص ليقول إن حيرام أرسل الى الملك مائة وعشرين وزنة ذهب ؟!

إننا نعتقد أن معارضة كل من شاين ونكلر لرواية العهد القديم في هذا الأمر ، هي معارضة حقّة ، لأن المعنى يصبح ، بعد التعديل الذي أدخلاه على النص ، أكثر قبولا ومنطقية . وقد فنّدنا رواية العهد القديم في هذا الشأن ، في الفصل الثالث من الباب الأول .

● ● ●

ـ تجارة سليمان

لقد أنشأ سليمان تجارة واسعة بمساعدة حيرام ملك صور فأقام علاقات تجارية متعددة عن طريق البر والبحر .. ومن هذه التجارة كانت تجارة الخيول .

جاء في العهد القديم : «وكان مَخْرَجُ الخيلِ التي لسليمانَ من مصر ، وجماعة تجار الملك أخذوا جَلِيبَةً بثمن . وكانت المركبة تصعد وتخرج من مصر بست مائة شاقل من الفضة ، والفَرَسُ بمائة وخمسين ، وهكذا لجميع ملوك الحثيين وملوك آرام كانوا يُخْرِجون عن يدهم .»[٢٠]

يختلف المؤرخون في تأويل ما جاء في هذا النص ، يقول لودز إن عبيد سليمان كانوا يجلبون الخيول من طورس وكليكيا ويبيعونها في سوريا وحتى للملوك الحثيين .[٢١]

ويقول أولبرايت إن تجار سليمان كانوا يحتكرون التجارة في الخيول والمركبات لكونهم يسيطرون على جميع الطرق التجارية بين مصر وسوريا . فكان المصريون يعتمدون على اسرائيل في الحصول على أجود خيولهم ، بينما يعتمد السوريون على اسرائيل أيضا في الحصول على أفضل مركباتهم ، لأن المصريين كانوا

(١٩) شاين ، ص ٧٢ ، ٨٩ .
(٢٠) امل ١٠ : ٢٨ ـ ٢٩ .
(٢١) لودز ، ص ٣٧٠ .

خبراء في صناعة المركبات ، ومهما كان السعر الأصلي لها ، فكان هناك ثمن ثابت عند المبادلة ، إذ كانت كل أربع خيول من كليكيا بمركبة مصرية واحدة .(٢٢)

أما شاين فيعارض ما جاء في رواية العهد القديم بهذا الشأن ويقول إن تجارة سليمان كانت في شمالي جزيرة العرب ، وإن رواية العهد القديم مضطربة ومحرفة . إن التجار الذين كانت لسليمان علاقة بهم في تجارة الخيول والمركبات هم تجار مقاطعات شمال الجزيرة العربية وبالذات متسريم Misrim ومعكة (Maakath) ، حيث كانت الخيول تربى في هضاب الجزيرة . وبالتالي فان خيول سليمان ومركباته كان مصدرها تلك المقاطعات . وهناك أدلة في العهد القديم ـ وخاصة في سفر أيوب ـ على أن الخيول كانت من المشاهد المألوفة في الجزيرة العربية .(٢٣)

ويشير القرآن الكريم الى خيل سليمان دون أن يذكر شيئا عن التجارة بها . يقول تعالى :«إذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات الجياد . فقال إني أحببْتُ حُبَّ الخير عن ذكر ربي حتى تورات بالحجاب . ردوها عليّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق .» (٢٤)

وإننا لا نستبعد أنه كانت هناك تجارة في الخيول زمن سليمان عليه السلام كان يجني من ورائها ربحا حلالا بارك الله فيه .

غير أن الدكتور حسن ظاظا والسيد محمد عاشور يرفضان القول بأن عصر سليمان كان عصر تجارة كما يفهم من رواية الاصحاح العاشر من سفر الملوك الأول . ويذكران أدلة كثيرة لتأييد وجهة نظرهما ، منها أن التجارة في عصر سليمان كانت بأيدي الفينيقيين الذين كانوا يقومون بالتصدير والاستيراد ، وأنهم هم الذين قاموا ببناء السفن التي كانت تمخر عباب البحر وتجلب السلع المختلفة . كما أنه على الرغم من أن الحركة التجارية ازدادت في عهد الملك سليمان ، إلا أن طرق القوافل كانت في أيدي الفلسطينيين ، وبعد موت الملك سليمان لم يتمكن اليهود من الاستمرار في التجارة ، لأن الفلسطينيين كانوا مسيطرين على هذه الطرق ، ثم تلا ذلك انقسام المملكة مما عجل بضعف التجارة وانهيارها .(٢٥)

● ● ●

هيكل سليمان

جاء ذكر بناء الهيكل بشكل مستفيض في العهد القديم ، وذاعت شهرة سليمان بالدرجة الأولى لبنائه

---

(٢٢) Albright, Arch. p. 135

(٢٣) شاين ، ص ٧٩ ـ ٨٢

(٢٤) سورة (ص) : ٣١ ـ ٣٣ .

(٢٥) اليهود ليسوا تجارا بالنشأة ، ص ٨٥ ـ ٨٧ .

الهيكل . وقد بالغ كتبة العهد القديم في أهمية بنائه ، وأطلقوا عليه من الأوصاف ما فاق أوصاف المباني الضخمة التي كانت لدى الأمم الأخرى ، كالمصريين والأشوريين والبابليين والفينيقيين . وقد ذكرنا ما قاله العهد القديم بهذا الشأن عند الحديث عن « سليمان في العهد القديم » ومع ذلك سنورد بعض الفقرات المتعلقة بهذا الموضوع وبيان وجهةنظر المؤرخين في ذلك .

جاء في سفر الملوك الأول : «وكان في سنة الأربعمائة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل ... أنه بنى البيت للرب . والبيت الذى بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وسمكه ثلاثون ذراعا . والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعا حسب عرض البيت ، وعرضه عشر أذرع قدام البيت» .[٢٦]

أما عن الذهب الذي استخدم في زخرفة البناء فحدث ولا حرج : «وهيّأ محرابا في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب . ولأجل المحراب عشرون ذراعا طولا وعشرون ذراعا عرضا وعشرون ذراعا سمكا ، وغشاه بذهب خالص ، وغشّى المذبح بأرز . وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص ، وسدّ بسلاسل ذهب قدام المحراب ، وغشاه بذهب . وجميع البيت غشاه بذهب الى تمام كل البيت ، وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بذهب ..»[٢٧]

وتستمر الرواية في وصف الذهب الذي أدخل في عمل ملحقات الهيكل بشكل تظهر منه المبالغة غير المستساغة .

أما المؤرخون فانهم يختلفون مع رواية العهد القديم المتعلقة بالهيكل وحجمه وأوصافه .

يقول غوستاف لوبون لقد شاد سليمان الهيكل عن زهو لا عن زهد ، وذلك تقليدا لأبهة ملوك مصر وأشور واستنساخا لطُرُزها البنائية . وعن المبالغة في ذكر الذهب يقول لوبون : ولم يجر على فم مؤلف السفر غير كلمة الذهب في وصف مظاهر الترف لدى سليمان ، وقد كررت هذه الكلمة اثنتي عشرة مرة في بضعة أسطر ... وما كان من عرض ذلك الذهب بجميع الأشكال في القصور والهيكل العاطل من كل جمال فني ، فيدل على الروح اليهودية الساذجة الغليظة .[٢٨]

ويقول لودز كان الهيكل في الأصل كنيسة صغيرة ، أو مكانا خاصا أقيم ليتعبد فيه الملك سليمان .[٢٩]

---

(٢٦) امل ٦ : ١ ـ ٣ .
(٢٧) امل ٦ : ١٩ ـ ٢٢ .
(٢٨) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ص ٣٩ ، ٥٥ .
(٢٩) Lods, p. 414

ويقول ويلز: في سفر الملوك الأول وصف مسهب لعظمة سليمان، يبين أن جمال وروعة البناء والتنظيم لملوك عظام مثل تحتمس الثالث أو رمسيس الثاني، أو نصف دزينة من الفراعنة الآخرين، أو سرجون الثاني، أو نبوخذ نصر الكبير، لم تكن بجانب عظمة سليمان إلا شيئا تافها .. إن حجم هيكل سليمان لم يتعد حجم قصر صغير.[٣٠]

ويرفض روبنسون قبول رواية العهد القديم في شأن الذهب الذي غشى به الهيكل من الداخل، ويعلق على الرواية بقوله: إن هذا الأمر، مع أنه غير ممكن من الناحية التاريخية، فهو محل تساؤل من وجهة النظر النقدية، مما يجعلنا نستبعد صحته بالنسبة لمعظم أنحاء الهيكل.[٣١]

ويرى لودز أن هناك أسبابا أخرى وراء بناء الهيكل غير السبب الديني الذي يذكره العهد القديم.

يقول لودز: يبدو أن سليمان كان متأثرا في ذلك بحوافز سياسية بالاضافة الى الأهداف الدينية .. لقد رغب في أن يبهر أعين الأمم المحيطة به، وذلك عن طريق قوة وثروة اسرائيل، كما رغب في أن يخلد أبهة أسرته وعظمتها، ورغب أخيرا في أن يعزز هيبة العاصمة ومكانتها ببناء مسكن فخم لتابوت العهد، لا يوازيه أي مسكن آخر.

ويضيف لودز: لقد كانت فخامة الهيكل المبالغ فيها إساءة للاسرائيليين أكثر من أن تكون جاذبة لهم، أولئك الاسرائيليين الذين تعلقوا بالتقليد السائد والمتمثل في بساطة العبادة الحقيقية (ليهوه). ثم يقول إن بني إسرائيل اتبعوا بعد إقامتهم في بلاد كنعان، طريقة الكنعانيين في تكريس ما يشبه الهيكل وبه (مقدس) يرمز للاله، كانوا يقيمونه في أماكن مقدسة معينة، إلا أن هذه الأماكن كانت بسيطة ولا تحتوي على أية زخرفات .. لقد كان بناء الهيكل محاولة من سليمان للتوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة، وذلك باندماج عبادة يهوه، المتمثلة في تابوت العهد، مع العبادات الأجنبية وخصوصا عبادات الفينيقيين.[٣٢]

ويعلق ول ديورانت على رواية العهد القديم التي تصف الهيكل بالضخامة قائلا: كان العبرانيون يعتقدون أنه إحدى عجائب العالم .. ومن حقهم علينا ألا نلومهم على هذا الاعتقاد، لأنهم لم يروا هياكل طيبة وبابل ونينوى التي لا يعدّ هيكلهم بجانبها شيئا مذكورا.[٣٣]

كما يعلق على ذلك جورج روبنسون بقوله: لم يكن الهيكل في الحقيقة الا جزءا من قصر سليمان، واذا ما قورن بمثيله من المباني الحديثة الضخمة، فانه لم يكن سوى بناء صغير تافه.[٣٤]

---

(٣٠) Wells, The Outline of History, p. 265
(٣١) History of Israel, p. 251
(٣٢) Lods, pp. 414 - 415
(٣٣) قصة الحضارة، ص ٣٣٥.
(٣٤) Leaders of Israel. p.145

ويقول هنري سميث : لم يكن الهيكل بالنسبة لسليمان إلا واحدا من المباني المتعددة التي شادها ، ولم يكن المبنى الرئيسي فيها . لقد قام سليمان - بغرض تجميل وتزيين عاصمة ملكه - بالتخطيط للتوسع ، فأعاد بناء أسوار المدينة وشاد مجموعة من المباني الفخمة التي يمكن أن نطلق عليها (حصنه) ، وكان الهيكل واحدا منها .

ويضيف سميث : لم يكن سليمان بالتأكيد يهدف الى بناء مكان شرعي للعبادة لكل بني اسرائيل . كان الهيكل بالنسبة لسليمان يشكل جزءا واحدا من حصنه ، ولا يعدّ مكان العبادة الخاص به ، بل كان عبارة عن كتدرائية لعاصمته . ان مثل هذا المعبد من الممكن أن يلقي بظلاله على المعابد التي كانت موجودة آنذاك ، إلا أنه لم يكن من المتوقع أن يبطل عمل تلك المعابد أو يحل محلها .

وكما حصل مع داود عندما أحضر التابوت الى أورشليم فانه لم يتدخل في شئون أماكن العبادة الأخرى في البلاد ، كذلك سليمان لم يكن له هدف آخر سوى وضع التابوت في مكان أكثر فخامة وهيبة . [٣٥]

أي إن سميث يرى أن هدف سليمان من بناء الهيكل كان بغرض تجميل العاصمة أكثر منه بدوافع دينية محضة .

ويقول أولبرايت : إن بناء الهيكل رافقه ضعف روحي خطير يتمثل في تنظيمه المعقد ، وكونه مدينا بقوة لأسلوب البناء الديني وطريقة الأداء الدينية للسوريين والفينيقيين . كما أن خطر التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة أصبح كبيرا جدا لدرجة أن القرون التالية تميزت بصراع متقطع بين المتدينين والمنشقين عن الدين . أما التنازلات الرسمية الأولى فقد قام بها سليمان نفسه عندما سمح ببناء المعابد والمراكز الدينية للآلهة الأجنبية الى جوار أورشليم نفسها .. وما كانت تنازلات سليمان في هذا الشأن إلا تشجيعا للارتداد الجزئي الى الوثنية التي تنسبها رواية سفر التثنية للجيلين التاليين . إن حركة الارتداد الى الوثنية ، التي يمكن القول إنها دشنت مع بناء الهيكل وعجل بقيامها تسامح سليمان تجاه الشعائر الوثنية التي كانت تقام في ظل الهيكل ، استمرت وتطورت الى أبعاد خطيرة خلال الجيلين التاليين . [٣٦]

ويقول أولبرايت في مكان آخر : لقد وصلت عملية (الكنعنة) ، باقامة الهيكل وعمل الزخارف اللازمة له ، قمتها ، ولم يكن القصد من بناء الهيكل أن يكون مكانا عاما للعبادة يؤمه كل الاسرائيليين ، وانما ليكون معبدا صغيرا للملك ، وضع فيه التابوت كعلامة على أن عبادة يهوه كانت منذ ذلك الحين فصاعدا تحت رعاية الملك الخاصة . لقد بناه مهندس صوري على غرار الهياكل الفينيقية .. وقد أطلق على الهيكل اسم كنعاني

---

(٣٥) Old Testament History, pp. 161 - 162

(٣٦) Albright, Arch.. pp. 154 - 155

جديد هو (هيكل Hekhal) ، وهي كلمة استعارها الكنعانيون في الأساس من السومريين قبل عام ٢٥٠٠ ق.م . [٣٧]

هذه الآراء تتعارض مع روايات العهد القديم بشأن الهيكل سواء من ناحية ضخامته أو الغرض من بنائه .. ففي الوقت الذي تصور فيه رواية العهد القديم الهيكل على أنه بناء ضخم أقيم من أجل تركيز العبادة في هيكل أورشليم ، فإن المؤرخين يقولون إنه كان عبارة عن بناء صغير تافه لا يقارن بما كان لدى الشعوب الأخرى ، كما أن الهدف من بنائه لم يقتصر على الناحية الدينية .

ويقول العامري : يظن بعض الباحثين أن الهيكل الذي بناه سليمان ، لم يكن سوى الهيكل اليبوسي نفسه الذي بناه ملكي صادق والذي كان الغزاة يهدمونه أو يحرقونه في العهد الاسرائيلي بسبب لجوئهم اليه وقت الحصار ، أي إنه كان عند الاسرائيليين «قلعة حرب يجدّدون بناءها لحصانتها وليس لما فيها من قداسة .» [٣٨]

● ● ●

ـ الصناعة زمن سليمان

هناك إشارات في العهد القديم تدل على أن سليمان كانت لديه صناعة مزدهرة في تكرير خام النحاس وصناعته . وظهرت هذه الاشارات الى النحاس في الأعمال التي قام بها الفنان الصوري حيرام في هيكل سليمان . جاء في سفر الملوك «وعمل حيرام المراحض والرفوش والمناضح .. والبحر الواحد والاثنى عشر ثورا تحت البحر ... وجميع هذه الآنية التي عملها حيرام للملك سليمان لبيت الرب هي من نحاس مصقول .» [٣٩]

أما عن المكان الذي كانت تتم فيه عمليات التكرير والسبك فيقول سفر الملوك : «في غور الأردن سبكها الملك في أرض الخزف بين سُكُّوت وصَرَتَان .» [٤٠]

هذه الاشارات عن الصناعة في العهد القديم ، نجد تأييدا لها عند المؤرخين .

يقول اولبرايت لقد ثبتت حقيقة هذا الأمر عن طريق المكتشفات الأثرية الحديثة التي كشفت جانبا جديدا ومهما في نشاطات سليمان الصناعية ، وهو تطوير مناجم النحاس وتكريره . لقد كشفت الحفريات التي

---

(٣٧) Albright, From The Stone Age To Christianity, pp. 293 - 294

(٣٨) العامري ، عروبة فلسطين في التاريخ ، ص ١٥١ .

(٣٩) امل ٧ : ٤٠ ، ٤٤ ـ ٤٥

(٤٠) امل ٧ : ٤٦ .

قام بها نلسون جلوك في «تل الخليفة» ، الذي كان يسمى قديما «عصيون جابر» على خليج العقبة ، عن وجود معمل لتكرير النحاس بني لأول مرة في القرن العاشر ق.م. مما يؤكد أن مناجم العصر الحديدي المبكر التي وجدها (جلوك) في وادي عربة جنوبي البحر الميت وشمالي عصيون جابر ، كانت تعمل من قبل سليمان .

ويقول اولبرايت إن معمل التكرير المذكور بني على غرار معامل التكرير الفينيقية . وبيّن أن كلمة «ترشيش» الواردة في سفر الملوك (١٠ : ٢٢) تعني «معمل تكرير» في اللغة الفينيقية ، ويقول : إن «تل الخليفة» كانت عبارة عن «ترشيش» أي محطة تكرير تشبه المحطات الفينيقية .(٤١)

ويؤكد جون جرى وجود هذه الصناعة زمن سليمان ، غير أنه يشير الى أن منطقة وادي عربة كانت حافلة بالنشاط الصناعي في العصور التي سبقت ظهور بني اسرائيل في تلك المنطقة . ويقول : إن المصريين القدماء في عصر الأهرامات ـ في الألف الثالث ق.م ـ كانوا يستثمرون عروق النحاس في عمليات التنجيم التي كانوا يقومون بها هناك ، ويستخلصون منها السبائك والقوالب النحاسية .

ويشير الى اكتشافات جلوك في المنطقة المذكورة فيقول : إن أكثر إنجازات جلوك إثارة كان اكتشافه للموقع الذي كانت تكرر فيه معادن وادي عربة ، والميناء الذي من خلاله كان سليمان وشركاؤه الفينيقيون ينطلقون في رحلاتهم البحرية الى البحر الأحمر . كان الموقع عبارة عن قرية صغيرة بنيت من أجل تكرير النحاس والحديد الذي يستخرج من مناجم وادي عربة ويذاب هناك . وربما كان الغرض من إقامتها هو صناعة الأدوات الجاهزة من هذه المعادن ، وخاصة من النحاس .

كما يظهر من الحفريات التي قام بها (فرانكن) في بلدة «دير علّا» الواقعة بجوار المنطقة التي أجرى فيها (جلوك) حفرياته ، أن تلك المنطقة بكاملها كانت عبارة عن مركز لصناعة المعادن زمن المملكة اليهودية .

ثم يقول إن الكثير من النحاس الذي كان يصنّع في وادي عربة ، كان يصدّر على شكل أدوات مصنوعة جاهزة ، أو على شكل كتل مسبوكة ، ضمن الحملات التجارية التي كان يقوم بها سليمان بمساعدة الفينيقيين الى جنوب الجزيرة العربية وشرق افريقيا .

ويضيف قائلا : إن الترسبات والتراكمات الطبيعية من النحاس والحديد ربما هي التي أغرت داود باخضاع أدوم التي تقع معظم المناجم في وادي عربة في أراضيها . ومن المحتمل أن يكون هذا هو الأساس التاريخي الذي يكمن خلف التقليد الاسلامي الذي يعتبر داود رائد صناعة المعادن .(٤٢)

---

(٤١) Albright, Arch. pp. 136 - 137

(٤٢) John Gray, pp. 135 - 137

أما القرآن الكريم فانه يؤكد حقيقة وجود الصناعة زمن سليمان عليه السلام ، وبالذات من النحاس . يقول تعالى : «وأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ..» [٤٣] أي أذبنا له معدن النحاس (وهو الصُّفْر) .

ويقول المفسرون إن الله سبحانه وتعالى أجرى لسليمان النحاس حتى صنع منه ماأراد من غير نار ، معجزة خارقة له ، كإلانة الحديد لداود . ويقولون إن ذلك قد يكون بأن فجّر الله له عينا بركانية من النحاس المذاب من الأرض ، أو بأنِ ألهمه الله إذابة النحاس حتى يسيل ويصبح قابلا للصب والطرق .

وهكذا يتضح لنا في أمر صناعة النحاس توافق روايات العهد القديم مع مكتشفات المؤرخين وعلماء الآثار ، وكذلك توافقها مع ما جاء في القرآن الكريم .

● ● ●

ـ حكمة سليمان

كانت شهرة سليمان تعزى الى بنائه الهيكل والى حكمته التي فاقت حكمة أهل الشرق جميعا .

يقول العهد القديم : «وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيرا جدا ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطيء البحر . وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر . وكان أحكم من جميع الناس .. وكان صيته في جميع الأمم حواليه . وتكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت نشائده ألفا وخمسا . وتكلم عن الأشجار من الأرز الذي في لبنان الى الزوفا النابت في الحائط . وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك . وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته .» [٤٤]

أما المؤرخون فقد تضاربت آراؤهم في أمر حكمة سليمان ، فمنهم من أيّد رواية العهد القديم ، ومنهم من عارضها .

ومن الذين اتفقت آراؤهم مع تلك الرواية جاكسون الذي يقول : إن سليمان برهن منذ سنوات حكمه الأولى على أنه كفء لتحمل الميراث الذي ورّثه له أبوه ، وانتصر على الشقاق الذي قامت به زمرة مناوئة له في الداخل ، كما انتصر على الخصومات التي ثارت في الخارج ، ودخل في تحالف وطيد مع أعظم ملوك زمانه .. وهذه كلها أدلة على حكمة سليمان . وكانت أهدافه نبيلة في اختياره الحكمة عندما ظهر له (يهوه) في منامه ودعاه أن يسأل ما يريد ، فسأل «قلبا فهيما» ليحكم به ويميز بين الخير والشر . وجاء في العهد القديم ما يبرهن على قوة بصيرته وفطنته في قضائه المشهور الذي اكتشف بموجبه والدة الطفل الحي . [٤٥]

---

(٤٣) سبأ : ١٢ .

(٤٤) امل ٤ : ٢٩ ـ ٣٤ .

(٤٥) Jackson, pp. 196 - 197

وتقول الموسوعة اليهودية : لقد اعتبر سليمان قاضيا حكيما كما يظهر من رؤياه في جبعون ، ومن قصة المرأتين الزانيتين .. وتجلّت حكمته في إقامة العدالة بين الناس ، وفي تأسيس نظام حكم قويم ، وتجسدت بدقة في قدرته على القيادة التي تفرق بين الخير والشر .. لقد كان هذا التنوع في مفهوم القيادة محاطا بإلهام مقدس ، هو الذي جلب الشهرة للملك الحكيم ، مما دعا الأجيال المتعاقبة أن تنسب اليه نظم الكثير من الأشعار وأعمال الحكمة مثل نشيد الانشاد ، الأمثال ، الجامعة .(٤٦)

وتقول الموسوعة البريطانية إن دهاء سليمان كقاض يتمثل في قصة الزانيتين ، غير أن الفكرة الرئيسية لهذه القصة تعتبر عنصرا عاما في القصص الشعبي في كثير من البلدان .. وربما تكون هذه القصة بالذات مأخوذة عن الفولكلور خاصة وأن هناك حكاية عربية عن سليمان بينما كان عمره لا يتعدى إحدى عشرة سنة ، حيث حكم في قضية التعدي على الزرع ، وكان حكمه أكثر حكمة من حكم والده . لقد كانت شهرة سليمان في الحكمة سبباً في جعل المؤلفين في مختلف نواحي أدب الحكمة ، ينتحلون اسمه في أعمالهم ، ومن بينها الأسفار المنسوبة له في العهد القديم ، وضمن أسفار (الأبوكريفا) و (البسيدا بجرافا) اليهودية .(٤٧)

وجاء في قاموس هيستنجز أن حكمة سليمان كانت منحة الهية ، ويفترض أنها حدثت في بدايات حكمه ، وهي تنم عن معرفة حاذقة بالطبيعة البشرية . واعتبر سليمان أبا الحكمة المعبر عنها بالأمثال . ويقول القاموس المذكور : أما «كتب الحكمة» فكانت موجودة في مصر قبل ذلك الوقت بزمن طويل .

وبالنسبة لحل الألغاز فان هذا الأمر كان له مكان بارز في حكمة بلاد الشرق . ويتكلم يوسيفوس عن قوة سليمان وتسخيره الجن والشياطين .. وجاء في أساطير أحبار اليهود سيطرته على الوحوش والطير ، وتكلموا عن (بساطه السحري) ومعرفته بالاسم المقدس .

غير أن قاموس هيستنجز يقول في نفي الحكمة عن سليمان : إن حكمة سليمان لم تعلمه كيف يضبط نفسه ويسيطر عليها ، لذلك كان عبارة عن ولد «مفرط في الحماقة وينقصه الفهم والادراك» .(٤٨)

ومن الذين اختلفوا مع رواية العهد القديم ونفوا نسبة الحكمة الى سليمان روبنسون الذي يقول إن الأمثلة التي سجلتها روايات العهد القديم بشأن حكمة سليمان ، تبين أن ما كان يمتلكه سليمان في هذا الشأن لابد أن يكون من صنف آخر ـ فقد يكون سليمان قد امتلك العقل الرصين الحاذق الذي كان يمكنه من حل المسائل المعقدة في شئون القضاء ، وكان ذلك يلقى ترحيبا في مجتمع شرقي ، حيث كان من الضروري أن لا يحكم الملك حسب ما تراه عيناه أو تسمعه أذناه .. هذه البراعة كان يمتلكها سليمان .. ومن الممكن أيضا

---

(٤٦) Enc. Jud., Solomon, Cols. 105 - 106

(٤٧) Enc. Brit., Vol. 20, Solomon, p. 877

(٤٨) Hastings, Dictionary of the Bible, p. 930

أن سليمان كان له اهتمام بدائي في العلوم .. ومن الممكن أنه كانت لديه نزعة في قول الحكم البارعة ، وموهبة في الشعر الغنائي الممتاز .

هذه هي أشكال الحكمة والانجازات والمآثر التي تنسب لسليمان ، وهي التي جذبت ملكة سبأ ، وما يزال لها أثرها الكبير في مأثورات الشرقيين وخاصة عند المسلمين .

ويتابع روبنسون تعليقه بقوله : ولكن لا يوجد شيء من ذلك يمكن أن يعوض حاجته المطلقة للحكمة الصحيحة ، وعجزه عن رؤية معنى الحقائق ، وفشله في تقييم القوانين الأبدية التي تحكم العلاقات بين الإنسان والإنسان ، والقواعد والأسس التي بموجبها فقط يمكن تأسيس مملكة سعيدة وناجحة . لقد كان سليمان أقل شأنا في كل ذلك من والده ، بل إنه وقف حتى دون مستوى عامة الاسرائيليين ، وفي الدرك الأسفل من المستوى الذي بلغه الأنبياء الكبار في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد .[٤٩]

ويقول لودز : إنه من الضروري أن نأخذ جانب الحيطة والحذر في كلامنا عن حكمة سليمان .. إنه موضوع قامت الأجيال التالية لسليمان ، بكثير من الحرية ، بالمبالغة فيه ، فنسبت الى الملك الشهير أرقى أشكال الحكمة التي توفرت لدى كل جيل ، مثل : ذكاء وحصافة القاضي ، المهارة في حل الألغاز ، تأليف الأمثال والحكم السائرة ، تأليف الكتب الفلسفية ، نظم أغاني العشق والحب ، نظم المزامير والأناشيد الشعبية ، عمل السحر . إن حكمة سليمان ، كما تنبئنا أقدم الوثائق ، تكونت من براعته وحنكته السياسية التي تمكن بواسطتها من تخليص نفسه من يوآب وشمعي .[٥٠]

ويقول ويلز في نفي الحكمة عن سليمان : إنها ضربة ثقيلة على عقول الناس وما استقر فيها من حقائق ، ان استطاعت قوة الإصرار على تأكيد رواية أن تفرض - ليس على المسيحيين فحسب ولكن على العالم الاسلامي أيضا - الاعتقاد بأن الملك سليمان لم يكن عظيما فقط ، بل كان واحدا من أحكم الناس . أما بالنسبة لحكمته وفنه في الحكم وادارة شئون الدولة ، فان المرء لايحتاج أكثر من أن يقف عند نص العهد القديم نفسه ليرى أن سليمان لم يكن سوى مساعد فقط في الخطط والمشاريع الواسعة للملك التاجر حيرام ، وكانت مملكته مرتهنة بين فينيقيا ومصر . أما شهرته فتعزى بدرجة كبيرة إلى ضعف مصر آنذاك .. وكان بالنسبة لشعبه مبذرا متلافا ، كما كان مستبدا ؛ وقبيل وفاته تمزقت مملكته وأصبحت بددا .[٥١]

أما هنري سميث فيعلق على موضوع الحكمة التي تنسب لسليمان بقوله : لم يكن باستطاعة سليمان أن يستثمر مملكته بنجاح مالم يكن ذا قدرات غير عادية ، وهذا هو السبب الذي جعل الناس بالدرجة الأولى

---

(٤٩) History of Israel, pp. 240, 242
(٥٠) Lods, p. 372
(٥١) The Outline of History, pp. 262 - 263

تطلق عليه اسم الحكيم . إلا أن الرواية اليهودية توسعت في تأويل الحكمة المنسوبة اليه . ويحتاج الحاكم الذي هو في نفس الوقت رئيس القضاء إلى الدهاء حتى يستبين الدعاوي القضائية الزائفة التي تعرض أمامه . إن مثال المرأتين اللتين قضى بشأنهما يبيّن أن سليمان عرف عنه إدراكه العملي ومعرفته للطبيعة البشرية من خلال إدارته لشئون القضاء .

ويمكن تصنيف هذا المثال مع الحالات المماثلة ، فان العديد من الأمراء العرب يظهرون مثل هذا الذكاء الفطري في الفصل بين المتخاصمين .

إن الأقوال الجامعة المانعة ، والألغاز التي توضع لاختبار الذكاء ، والحكم والأمثال السائرة ، كل ذلك معروف أنه من بضاعة حكماء الشرق منذ أقدم العصور . وبالرغم من أن العهد القديم ينسب لسليمان تأليف الحكم والأقوال المأثورة التي تضمنها «سفر الأمثال» ، إلا أنه من غير الممكن ـ بكل تأكيد ـ إثبات مجيء مثل واحد فقط منها عن طريق سليمان .

أما الأسئلة والأجوبة التي أدهشت ملكة سبأ ، فكانت عبارة عن ألغاز وأحاجي كتلك التي كان أهل الشرق ومايزالون حتى اليوم مغرمين بها .

ويختتم سميث تعليقه بهذه العبارة التهكمية فيما يتعلق بحكمة سليمان قائلا : إن معرفتنا في علم النبات لاتتطلب أن نندب فقدان أقوال سليمان في الأشجار ، وهذا مثال منها : «من الأرز الذي في لبنان إلى الزوفا النابت في الحائط» .(٥٢)

وهكذا فان سميث يرفض رواية العهد القديم في شأن الحكمة المنسوبة لسليمان ، لأن الحكمة والأمثال والأقوال الجامعة ، كانت منذ القديم معروفة عند حكماء الشرق .. ومع ذلك فان سميث يقول إن سليمان كان ذا قدرات غير عادية ، عارفا بأبعاد الطبيعة البشرية .

القرآن الكريم يتفق مع ماجاء في العهد القديم بشأن حكمة سليمان ، وقد وردت في أماكن متعددة من القرآن نصوص تدل على ذلك . وقد ذكرنا قبل قليل حكمه في مسألة الحرث ، وكيف كان ذلك الحكم أفضل من حكم أبيه داود عليهما السلام ، وفي ذلك دلالة على حكمته وبعد نظره . وجاء في سورة النمل (آية ١٦) : «وَورِثَ سليمانُ داودَ» . قال المفسرون إنه ورثه في النبوة والعلم والملك والحكمة ، وكان داود يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه ، وذلك لحكمته ووفور عقله وعلمه . وقال بعض المفسرين كان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة .

---

(٥٢) امل ٤ : ٣٣؛ Smith, pp. 160 - 161

أما أقوال أولئك المؤرخين الذين ينفون عن سليمان الحكمة ، ويقولون إنه لم يعرف كيف يضبط نفسه ، وكان مبذرا متلافا ، فاننا نعتقد أن مرد هذه الأقوال والآراء هو ماجاء في روايات العهد القديم نفسها التي تنسب له الإسراف في كل شيء : في مشاريعه العمرانية الكثيرة وماتطلبه ذلك من فرض للضرائب ... وفي ظهوره بمظهر العظمة وتقليده الملوك الآخرين بما يحتويه بلاط الملوك من بذخ وترف ، وقد مر معنا المقادير الضخمة من الذبائح والمؤن التي كانت تلزم لطعامه في كل يوم ... وفي أعداد النساء والمحظيات التي كانت تربو على الألف ... إلى غير ذلك ، مما نسبته اليه روايات العهد القديم ، وتلقفته أيدي المؤرخين الغربيين ، ونسجوا على منواله صورا لسليمان بعيدة كل البعد عن حقيقة شخصية النبي الكريم الذي منحه الله من فضله نعما لم يمنحها لأحد غيره .

● ● ●

ـ تقسيم البلاد إلى اثنتي عشرة مقاطعة

قام سليمان بتقسيم مملكته إلى اثنتي عشرة مقاطعة إدارية ، وعين اثنى عشر وكيلا على هذه المقاطعات لجباية الضرائب وتزويد الملك وحاشيته بمستلزماتهم التموينية .

جاء في العهد القديم : «وكان لسليمان اثنا عشر وكيلا على جميع اسرائيل يمتارون للملك وبيته ، وكان على الواحد أن يمتار شهرا في السنة» .[٥٣]

يختلف المؤرخون مع رواية العهد القديم بشأن هذه المقاطعات ومهمة الوكلاء الذين تقول الرواية إن مهمتهم أن «يمتاروا للملك وبيته» . ويرى المؤرخون أن التقسيم كان لأغراض سياسية لتفتيت النظام القبلي الذي كان سائدا من قبل ، وتركيز القوة في التاج الملكي .. بالاضافة إلى إيجاد شكل جديد من جباية الضرائب التي فرضها سليمان على الشعب .

يقول لودز : كان سليمان مجبرا على فرض نظام من جباية الضرائب وأعمال السخرة مشابه لذلك النظام الذي كان معروفا في مصر ، وذلك من أجل مواجهة المصاريف الباهظة التي استلزمتها الأعمال العامة التي قام بها . من أجل هذا الهدف قام سليمان بتقسيم البلاد إلى اثنتي عشرة مقاطعة ، أوكلت المسئولية فيها إلى وكلاء كان على كل منهم تزويد البلاط الملكي باحتياجاته ولوازمه لمدة شهر .. ومع عزم سليمان وتصميمه على تعزيز المركزية في البلاد ، فانه كان يهدف إلى تدمير شكل حكومة المقاطعات المستقلة ، أو التي لها صبغة

---

(٥٣) امل ٤ : ٧

الحكم الذاتي .. ويظهر من تقسيم المقاطعات الاثنتي عشرة أن ممتلكات قبيلته يهوذا كانت خارج هذا التقسيم ، مما يدل على أن سليمان أعفى القبيلة التي ينحدر منها الملك من واجب الضريبة .. إن هذه الحقيقة يمكن أن تساعد على تفسير الكراهية المتزايدة التي نمت بين القبائل الشمالية ضد ملك أورشليم ، تلك الكراهية التي انفجرت لأول مرة خلال حكم سليمان ، عندما فرضت أعمال السخرة على رجال قبائل إسرائيل الشمالية لإقامة التحصينات في العاصمة . لقد أخمدت الثورة ، وأجبر قائدها (يربعام) على الهرب إلى مصر ، حيث التجأ إلى شيشق . إلا أن الثورة اندلعت بعد وفاة سليمان مباشرة .. وإنه يتحمل بدرجة كبيرة مسئولية الانفصال الذي حدث . بسبب تحيزه ومحاباته لأورشليم ويهوذا ، ولفرضه الأعباء الثقيلة على مواطنيه من أجل تغطية نفقاته الكبيرة التي وضع التنظيمات من أجلها[٥٤] .

ويؤيد كل من (أولت Alt) وروبنسون الرأي الذي يقول إن سليمان استثنى قبيلته من تقسيم المقاطعات الادارية ، مما يدل على المعاملة التفضيلية الخاصة التي منحها إياها .[٥٥]

غير أن أولبرايت يعارض هذا الرأى قائلا : إذا كان كل من داود وسليمان أراد حقيقة أن يعطي قبيلة يهوذا مكانة مميزة في الدولة ، فلماذا إذن اختارا عاصمة جديدة كانت خارج النظام القبلي القديم تماما .. ولماذا عمل سليمان على تقريب وكلاء المقاطعات الشمالية اليه بروابط الزواج من بناته ؟ .

ثم يضيف أولبرايت : لقد أقدم الملك على تقسيم البلاد إلى مقاطعات تنفيذاً للخطة التي كان أبوه داود قد وضعها من قبل ، وكان مضطراً إلى ذلك بعد أن أضيفت لاسرائيل مناطق شاسعة جديدة ، وهناك سبب آخر هو المحاولة المتعمدة والمدروسة للقضاء على وحدات أكبر كانت موجودة في شمالي اسرائيل ووضع حد لها . لذلك فان الترتيب الذي اتخذه سليمان كان بوضوح حركة سياسية .[٥٦]

ويقول جاكسون : كان تعيين سليمان للوكلاء الاثنى عشر على المقاطعات التي قسمها ، ضربا من ضروب السياسة . فقد عرف أن النظام القبلي الذي كان سائدا بين بني اسرائيل ، لم يكن منسجما مع وجهة نظره في الوحدة الوطنية .. لقد منع الحسد والتنافس بين القبائل أي عمل منظم في السابق .. كان سليمان يأمل بوضوح من وراء إهمال الحدود القبلية وتجاهل تلك الموانع بين القبائل ، أن يجعل شعبه ينسى الضغائن والأحقاد العائلية ، ويتحد في الكفاح من أجل تحقيق الوحدة الوطنية الكبرى .. الا أن الملك لم يتمكن من الاستمرار في سياسته وتطبيقها تماما .[٥٧]

---

(٥٤) Lods, pp. 371 - 372
(٥٥) History of Israel, p. 256
(٥٦) Albright, Arch., pp. 140 - 142
(٥٧) Jackson, pp. 200 - 201

ويقول ول ديورانت : كان من وراء التقسيم الذي قام به سليمان أن يضعف النزعة الانفصالية بينهم ، وأن يؤلف منهم شعبا واحدا ، ولكنه أفلس في هذا وأفلست بلاد اليهود معه .[٥٨]

ويقول جون جرى : يظهر من التنظيمات الادارية التي اكتشفت في أوجاريت (رأس الشمرا) أن الاسرائيليين اتبعوا النمط الكنعاني في التقسيم الاداري الجديد الذي أقاموه . إن مملكة أوجاريت كانت منظمة لأغراض أميرية ليس على أساس الأسر والعائلات ، بل كانت مقسمة على شكل مقاطعات ، مما يوحي في الحال أن التقسيم الأميري لمملكة بني اسرائيل تحت حكم سليمان اتبع نفس تقسيم مملكة أوجاريت ، حيث استبدل بالتقسيم القبلي القديم ، تقسيم جديد يقوم على أساس المقاطعات ، على الرغم من أنناالمح أثرا بسيطا من النظام القديم .[٥٩]

ويقول شاين إن واجبات الوكلاء الاثنى عشر الذين عينهم سليمان على المقاطعات لم تقف عند تزويد الملك وبيته بالمواد التموينية ، وانما تعدت ذلك إلى جباية الضرائب لمواجهة النفقات الحربية .. لقد تكرر ورود اسم الوكيل دون ذكر اسمه الشخصي ، وانما اقتصر على ذكر اسم أبيه (وردت الأسماء هكذا .. ابن حور ، ابن دقر ، ابن حسد ، ابن أبينا داب ، ابن جابر) ، إن هذا الأمر يعد شيئا خادعا ومضللا ، إذ إن المسألة هي تحريف النص .

ويحلل شاين تلك الأسماء ويبرهن على أنها أسماء عربية ثم يقول : لو كانت لدينا الروايات المتعلقة بسليمان في شكلها الأصلي ، لما كان هناك شك على الاطلاق ، ولكان قد تم الاعتراف بالنظرية القائلة إن بني اسرائيل كانوا في شمالي الجزيرة العربية لا في فلسطين ، بكل مافي هذه النظرية من حقائق مؤكدة .. وقد عرف كتبة العهد القديم على أية حال ، الحقيقة .. ونستطيع أن نتبين ذلك مما نراه مخفيا تحت الستار الشفاف للنصوص المحرفة . إن كتبة الأسفار هم الذين تسببوا في هذا التفسير الخاطىء لأسماء الأماكن الحقيقية الموجودة شمالي الجزيرة العربية .[٦٠]

وهكذا فان المؤرخين يختلفون مع رواية العهد القديم فيما يتعلق بالمقاطعات التي أنشأها سليمان .. وقد تبين لنا أن تقسيم سليمان للبلاد لم يكن ابتكارا جديدا ، وانما تنفيذا لخطة أبيه للقضاء على استقلال القبائل . وقد ظهر لنا أن هذا النظام أخذ عن الكنعانيين أهل البلاد الأصليين الذين سبقوا بني اسرائيل في كثير من أوجه الحضارة ، بقصد تسهيل جباية الضرائب التي فرضها سليمان على الشعب ، وتحصيل الإتاوات من القوافل التجارية المارة عبر الأراضي التي كان يسيطر عليها بنو اسرائيل .

---

(٥٨) قصة الحضارة ، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤

(٥٩) John Gray, p. 143

(٦٠) Cheyne, pp. 67 - 69

بيد أن تلك الضرائب كانت باهظة وأكثر من أن يطيقها الناس خاصة إذا ما علمنا ـ حسب رأي عدد من المؤرخين ـ أن قبيلة سليمان الخاصة ـ وهي قبيلة يهوذا ـ كانت مستثناة من الضرائب . فكانت هذه الضرائب الباهظة من أهم الأسباب التي أدت إلى تمزيق المملكة الموحدة وانهيارها .

● ● ●

ـ حريم سليمان وادعاء العهد القديم بانحرافه وراء الآلهة الوثنية

جاء في العهد القديم أن سليمان اتخذ أعدادا كبيرة جدا من الزوجات إلى جانب أعداد أخرى من السراري . يقول سفر الملوك الأول : «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، مؤابيات وعمّونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات . من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لاتدخلون اليهم وهم لايدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري ، فأمالت نساؤه قلبه . وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب وراء عشتورث إلاهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر في عيني الرب ، ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه .»[٦١]

هذه رواية العهد القديم التي تنسب لسليمان جريه وراء الآلهة الأجنبية .. بل إن هذه الرواية تذهب إلى أبعد من ذلك فتقول : «حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بني عمّون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب .»[٦٢]

هذه الرواية بشأن عدد نساء سليمان وسراريه نجد ما ينقاضها في العهد القديم نفسه ، فقد جاء في سفر نشيد الإنشاد مايلي : «هنّ ستون ملكة وثمانون سرية وعذارى بلا عدد .»[٦٣]

أما المؤرخون فان معظمهم يرى أن رواية سفر الملوك بشأن عدد نساء سليمان مبالغ فيها وغير صحيحة . ومع ذلك فهم يبررون هذه الكثرة لاعتبارات سياسية واجتماعية .

---

(٦١) امل ١١ : ١ـ ٦ .
(٦٢) امل ١١ : ٧ـ ٩ .
(٦٣) نشيد الانشاد ٦ : ٨ .

هاهو جاكسون يرفض قبول رواية سفر الملوك ويقول إنه أمر من الصعب تصديقه . وعن العدد الذي ذكره سفر نشيد الانشاد يقول : إنه تقدير أكثر احتمالا . ثم يقول : كان الزواج من عدد كبير من النساء ، واتخاذ أعداد أخرى من المحظيات ، برهانا على الغنى والقوة ، كما كانت تقتضي السياسة أن يختار زوجاته من جميع أنحاء بلاده .[٦٤]

يقول لودز : كانت حريم سليمان كثيرة جدا ، على الرغم من أن روايات العهد القديم ربما كان مبالغا فيها ومتعارضة بعضها مع بعض .[٦٥]

ويرفض سميث قبول العدد الوارد في سفر الملوك ، ويعلق على ذلك بقوله : إن عدد النساء والسرارى الذي ينسب إلى سليمان ، لابد أنه جاء من احتساب جميع الإناث من الخدم الموجودين في البلاط ضمن السرارى ، ومع ذلك يبقى العدد مبالغا فيه كثيرا . ويتفق سميث مع كلوسترمن في أن الرقم محرف ، ويعتقد بأن الرقم الصحيح هو «سبعون امرأة وثلاثمائة سرية» . ثم يقول : إن رغبة سليمان في إقامة تحالفات مع جيرانه ، هي التي دفعته للزواج من هذا العدد الكبير من الأميرات .[٦٦]

كذلك يرفض (فرار F.W. Farrar) في بحث ممتع رواية سفر الملوك بهذا الشأن ، ويورد الكثير من الأدلة لتدعيم وجهة نظره . يقول فرار : إن عدد نساء سليمان ومحظياته بموجب تلك الرواية يساوي ألفاً ، وهذا الرقم ـ غالبا ـ لايصدق . وعلى الرغم من أن الاساطير المتعلقة بالحكم الهندي الاستبدادي الرهيب ، تروى أن «المغول الأكبر» كان له ألف امرأة ، إلا أن (داريوس) ملك الفرس المرعب ، لم يكن لديه سوى امرأة واحدة واثنتين وثلاثين محظية .[٦٧]

ويستطرد (فرار) قائلا : إنه أمر لايمكن تصوره أن يكون لملك على بلد ضئيل الحجم كفلسطين هذه الأسرة المفرطة في عدد أفرادها وفي مدينة صغيرة كأورشليم . وفوق ذلك ، على أية حال ، لدينا الأسباب التي تدفعنا لتصحيح النص المذكور . فلم يكن لدى شاؤل ـ مع سلطاته الواسعة ـ سوى زوجة واحدة ومعها سرّية . وأما داود فعلى الرغم من أنه كبح جماح نفسه بعض الشيء ، فلم يتعدّ عدد نسائه الست عشرة امرأة . ولم يكن لدى أى ملك من ملوك اسرائيل أو يهوذا اللاحقين ، حتى جزء صغير من عدد النساء المنسوب لسليمان ، الذي جاء إما عن طريق مرض المبالغة أو عن طريق تحريف النص ، إن الأمر الأكثر

---

(٦٤) جاكسون ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٦٥) لودز ، ص ٣٦٩ .

(٦٦) Smith, p. 160

(٦٧) ويذكر (فرار) أن (أمحيت Amehhate) فرعون مصر كان لديه أكثر من (٣١٧) امرأة . أما رحبعام الذي كانت له (١٨) زوجة و(٦٠) سرية فقد ترك (٢٨) ولدا و(٦٠) بنتا . بينما لم يترك سليمان ـ الذي فاقهم في عدد نسائه وسرارية حسب الرواية ـ سوى ولد واحد وبنتين . (انظر : فرار ، هامش ص ٢٤٥).

احتمالا هو تعديل النص ليصبح «سبعين امرأة» ، وهذا الرقم يماثل جزئيا على الأقل الرقم الوارد في سفر نشيد الانشاد وهو «ستون ملكة» .

ويضيف فرار : وحتى مع هذا التعديل فان وضع أسرة بهذا العدد لابدّ أن يقود إلى تعقيدات ومشاكل تعيسة .

إن حريم سليمان في أورشليم لابدّ أنهن كنّ عبارة عن فرن ملتهب بالحزازات والضغائن ، والمكائد والمؤامرات ، والحسد والسخط .

ثم يقول فرار : ربما كانت سياسة سليمان بعيدة المدى هي التي قادته لمضاعفة أعداد زوجاته .. فقد ضمن تحالفه مع مصر عن طريق زواجه من ابنة الفرعون ، ومن المحتمل أن تحالفه مع حيرام كان أيضا بسبب زواجه من أميرة من صور ، غير أن هذه السياسة لم تكن ناجحة .[٦٨]

ويشكك ول ديورانت في رواية سفر الملوك بقوله : لقد استخدم سليمان بعض ثروته في ملاذه الشخصية ، وأخص ما استخدمها فيه إشباع شهواته في جمع السرارى ، وإن كان المؤرخون ينقصون زوجاته السبعمائة وسراريه الثلاثمائة إلى ستين وثمانين على التوالي .

ويضيف ول ديوارنت : ولعله أراد ببعض هذه الزيجات أن يوطد صلاته بمصر وفينيقية ، أو لعل الباعث عليها هو نفس الباعث الذي حمل رمسيس الثاني على هذا العمل بعينه ، وهو رغبته في أن يترك وراءه طائفة من الأبناء لهم من القوة الجنسية العظيمة ما كان له هو .[٦٩]

وبالرغم من أن روبنسون لايعترض على عدد حريم سليمان كما ورد في سفر الملوك ، غير أنه يعلق على ذلك بقوله : إن كثرة حريم سليمان تعزى بالدرجة الأولى إلى حبّه للأبهة والعظمة ، لأن مكانة الرجل في بلاد الشرق ، غالبا مايحكم عليها من خلال عدد زوجاته وعدد مايمتلكه من حريم .[٧٠]

ويقول ويلز : إن تأسيس سليمان عبادة يهوه في أورشليم على أسس جديدة ورؤياه وتكليمه يهوه في بداية حكمه ، لم يقفا في طريقه عندما قام في شيخوخته بتطوير نوع من المغازلة والعبث اللاهوتي . لقد تزوج بكثرة لأسباب سياسية ، وبدواعي الأبهة والعظمة .[٧١]

---

(٦٨) F.W. Farrar, The First Book of Kings, A.C.Armstrong and Son, New York, 1893, pp. 245 - 247

(٦٩) قصة الحضارة ، ص ٣٣٣ .

(٧٠) History of Israel, p. 241

(٧١) The Outline of History. p. 261

أما ماورد في نص سفر الملوك الأول الذي ذكرناه قبل قليل والذي يقول إن نساء سليمان الأجنبيات أملن قلبه وراء آلهتهن ، وأنه بنى لهن أماكن العبادة ، وحتى عبد آلهتهن الوثنية ، فإن المؤرخين الغربيين على اختلاف ميولهم وآرائهم لايرفضون هذه الرواية ، بل إنهم تلقفوها وذهبوا بها بعيدا جدا ، وصوّروا سليمان كواحد من المنحرفين الفاسدين ، دون اعتبار لكونه نبياً معصوما .

يقول أندرسون : إن تسامح سليمان المفرط وتحرره الزائد الذي تجلى مع حريمه ، كان يشكل نقطة ضعف .. وانه يجب القول إن امتلاكه سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية ، لم يكن دليلا على انغماسه في الشهوات الحسية فقط .. كان سليمان حقا محبا للنساء ، وكانت نساؤه على قدر عظيم من الحسن والجمال ، غير أن العديد من زيجاته كان الغرض منه تأسيس روابط سياسية وثقافية وثيقة مع الشعوب المحيطة به .. ولما كان الدافع الرئيسي لهذا النوع من الزواج يقوم على أسس واعتبارات سياسية ، فان سليمان كان راغبا حقا في جعل زوجاته الأجنبيات يمارسن ديانتهن الخاصة .. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل ذهب سليمان إلى أبعد من ذلك عندما بنى لهن معابد خاصة بهن في عاصمته . لقد ذهب هذا التصرف بموضوع التسامح بعيدا جدا ، إذ إن ملك اسرائيل أقر بموجبه سياسة وثنية أفسدت عقيدة بني إسرائيل .[٧٢]

وجاء في قاموس هيستنجز : لقد كان سقوط سليمان مقترنا بتعدد زوجاته واتخاذه زوجات أجنبيات .. إنه لم يسمح لهن بممارسة طقوسهن الدينية الخاصة بهن فحسب ، وهو تنازل ضروري مسلّم به ،ولكنه شاركهن في ممارسة ذلك .. لقد أدى انغماسه في الشهوات وحياة البذخ إلى إفساده وتدهور حاله .[٧٣]

ويقول روبنسون : إن المؤرخ مجبر بكل أسف على الاعتراف بأن سليمان لم يحتفظ بالمستوى الرفيع الذي كان عليه عند بداية حكمه ، ولكنه سمح لزوجاته أن يقدنه لعبادة الآلهة الأجنبية .. لقد كان ذلك بالنسبة لكتبة التوراة فيما بعد ، يشكل خطيئة أكثر فظاعة من الظلم الذي أوقعه على شعبه والشعوب الأخرى الخاضعة له .[٧٤]

ويقول ويلز : كان سليمان يسليّ زوجاته الكثر ويمتعهن بذبح القرابين لآلهتهن الوثنية ، إن روايات العهد القديم عن سليمان ترينا في الحقيقة ملكا ضعيفا عاجزا عن ضبط عواطفه .. كما تجعله يتساوى من الناحية الدينية مع أى فرد آخر .[٧٥]

---

(٧٢) Anderson, p. 158
(٧٣) Hastings, p. 930
(٧٤) History of Israel, p. 242
(٧٥) The Outline of History, p. 261

ويعلق شاين على رواية سفر الملوك بأن زوجات سليمان الأجنبيات أملن قلبه بعيدا عن يهوه بقوله : إن يهوه لم يكن إله سليمان الوحيد أبدا ، كما أنه لم يكن في الحقيقة حتى الهه أو معبوده الرئيسي دائما .[٧٦]

أما ول ديورانت فيصف سليمان بالشهامة والعدل لأنه أقام المعابد الوثنية للآلهة التي كانت تعبدها زوجاته الأجنبيات حسب الرواية ، إذ يقول : لما فرغ سليمان من إقامة ملكه شرع يستمتع به ، وأخذت عنايته بالدين تقل على مرّ الأيام ، كما أخذ يتردد على حريمه أكثر مما يتردد على الهيكل . ولشدّ ما يلومه كتاب أسفار التوراة على شهامته ، إذ أقام مذابح للآلهة الخارجية التي كانت تعبدها زوجاته الأجنبيات ، ولا تطاوعهم أنفسهم على أن يصفحوا عنه لعدله الفلسفي - أو لعله السياسي - بين مختلف الآلهة .[٧٧]

ويعلق موسكاتي على الرواية بقوله : إن الدين اليهودي نفسه لم يظل بعيدا عن التأثير الأجنبي ، فالرواية اليهودية تنعي على سليمان أنه أدخل صورا أجنبية من العبادة ، ولسنا ندري أتجاوز هذا نطاق الحيل الدبلوماسية أم لا ، ولكنه كان - رغم المنافع التي قد يكون جلبها من ناحية السياسة الخارجية - خطوة هددت بالخطر الوحدة القومية للشعب العبري .[٧٨]

أما سميث فانه يؤيد القول بأن سليمان كان يعبد الآلهة الأجنبية ، ويرفض قبول رواية العهد القديم التي تلقي السبب في ذلك على زوجاته الأجنبيات .

يقول سميث : إن عبادة سليمان للآلهة الأجنبية واضحة تماما من الناحية التاريخية . إن غفران الكتّاب اليهود لبطلهم جعلهم يسترونه بإلقاء اللوم في هذا الأمر على زوجاته اللواتي قيل إنهن أملن قلبه وراء آلهة أخرى . غير أن هذا القول نفسه غير مقبول ، لأن التسليم بأن الزوجة لم تتخذ إله زوجها إلهاً لها ، وبالتالي فان الأميرات الأجنبيات لابد أن يكون لهن معابدهن الخاصة بهن ، معناه عدم وجود مايمنع من انضمام الزوج إليهن في العبادة . أما جوهر الموضوع فهو مايقوله النص بشأن قيام سليمان ببناء مرتفعة لكموش إله المؤابيين ، ولمولك إله العمونيين على الجبل الذي تجاه أورشليم . ويعلق سميث على ذلك بقوله : إن المعابد التي بناها سليمان هي بدون شك في أروشليم ، بالرغم من أن مؤلف النص الذي جاء فيها بعد ، لم يحمل نفسه على التفكير في ذلك ، فأزاح تلك المعابد إلى «جبل الزيتون» . إن من السهل إيجاد الحافز على إدخال الآلهة المذكورة إلى أورشليم .. لقد كان المؤابيون والعمونيون يمتون بصلة القرابة والنسب إلى الاسرائيليين .. وكانت أراضيهم تشكل جزءا من المملكة ذاتها .. ومن وجهة نظر الحاكم فانه من الصحيح والمقبول وجوب استرضاء هؤلاء الناس واستمالتهم والاعتراف بآلهتهم .. إذن ، فانه أمر لايثير الدهشة والاستغراب إذا ما

---

(٧٦) Cheyne, p. 91

(٧٧) قصة الحضارة ، ص ٣٣٧.

(٧٨) موسكاتي ، ص ١٤٤.

وجدنا آلهة جميع الشعوب التي كانت خاضعة لسليمان متحدة في هيكل سليمان في أورشليم .. إن فن الحكم يتطلب مثل هذه الخطوة ، خاصة وأن عبادة يهوه لم تكن حتى ذلك الوقت منتشرة بما فيه الكفاية لدرجة استبعاد الآلهة الأخرى .

ويستطرد سيمث قائلا : إننا يجب أن نعزو هذا الأمر إلى سليمان إذا ما افترضنا كونه شمولي النظرة عالميا ، كل الديانات بالنسبة إليه صحيحة وتقف على قدم المساواة ، وأنه يجد الله الواحد متمثلا في جميع أشكال العبادة .. كما ينبغي ألا نفترض اعتقاده بالآلهة المتعددة التي من المفروض أنه استمالها بدواعي المحافظة على العرش ولمصلحة الأمة .

وعلى العموم فان عبادة سليمان لاتعني أن يهوه لم تعد له مكانته مثل الآلهة الأخرى .. لقد كان يشعر بدون شك أن يهوه أقرب إليه من تلك الآلهة ، وأنه هو إله اسرائيل .. يظهر ذلك من حقيقة كون المكان الرئيسي والأكثر قداسة في الهيكل قد خصص له .(٧٩)

كذلك فان (فرار) يقف موقفا مؤيدا لرواية العهد القديم التي تنحدر بسليمان إلى عالم الوثنية ، ويشن هجوما عنيفا على سليمان من هذا المنطلق .

يقول (فرار) : لم يكتف كاتب السفر المقدس من تسجيل الحقيقة المخزية عن وثنية سليمان ، ولكنه سجل دوافعها والأساس الذي جاءت منه .. لقد كان قلب سليمان فاسدا منحرفا ، أما إرادته فقد ضعفت ، وتمرغت مُثُلهُ في الوحل باتخاذه نساء أجنبيات وتكديسهن في حريمه .. لقد سلك طريق مهلكات الملوك .. إن الديانة الوثنية لهؤلاء النسوة الغريبات من أمم كثيرة ، «أمالت قلب سليمان وراء الألهة الأجنبية» .. وإنه لمن المشكوك فيه ما إذا كان سليمان قد اطلع على التحريم الصارم للتزاوج مع الكنعانيين الوارد في الأسفار الخمسة .. أما اذا كان قد حصل هذا الأمر ، فان سليمان يكون عندها قد ضرب بعرض الحائط تلك الأوامر ، لأن الحثيين والفينيقيين كانوا كنعانيين . إن الزواج من المصريين والمؤابيين والأدوميين لم يكن ممنوعا ، لكن الشعور الذي ساد بين الأجيال التالية عمّم القاعدة على الجميع . إن النتيجة أثبتت كم كان مهما ذلك القانون .

وعندما شاخ سليمان فان قلبه لم يصمد أمام غواية النساء .. لم يكن سليمان قد شاخ بسبب تقدمه في العمر ، لأن ماحصل كان قبل سنوات قليلة من وفاته ، إذ توفي ولم يتعد عمره الستين بقليل .. ولكن ذلك الحاكم المطلق المستبد متعدد الزوجات شاخ قبل أوانه !

---

(٧٩) Smith, pp. 168 - 169

ويستطرد (فرار) قائلا : إن محاولة (إيوالد Ewald) وغيره من المؤرخين التمويه على حقيقة سليمان وارتداده عن الدين ، وجعل ذلك علامة على تسامحه وقلبه الكبير ، تعتبر إساءة لفهم التاريخ بشكل يثير الدهشة والاستغراب . إن التسامح يكون عند تباين الآراء والأفكار بشكل سليم غير مؤذ على الرغم من أن التسامح هو نتاج العصور الحديثة .. أما أن يكون التسامح فيما يتعلق بالخطيئة والإثم ، فذلك من شأنه أن يسيء إلى القداسة . إن عبادة هذه الأوثان وتوقيرها قد لطخ العاطفة الانسانية وحطّ من قدر طبيعة الانسان . لقد كانت تلك الأوثان في ذاتها تجسيدا للغرائز المنحرفة الفاسدة .

ويمضي فرار في عرض وجهة نظره ورفض هذا النوع من التسامح بقوله : أي تسامح نقبله لأوثان كان وجودها يعني قتل طفل ما ، وتحريك الشهوات المحرمة ؟! وأي انسجام يكون مع هذا التسامح في هيكل الرب بوجود الأوثان فيه ؟! ألم يسمع سليمان أبدا «أن الرب الإله كان إلها غيورا لايقبل التسامح مع منافَسات آلهة النار والشهوة المحرمة ؟!» .

لم يقتصر سليمان في تمجيد زوجاته الأجنبيات وتوقيرهن على إبداء هذه الكياسة ولين الجانب تجاههن ، ولكنه غاص في قاع هاوية الردة ، «لقد أحرق البخور ، وقرب القرابين لآلهتهن» !

ويختتم تعليقه بذكر ماقاله الأسقف هول Bishop Hall عن سليمان : «إن الذي بنى هيكلا لنفسه ولاسرائيل في صهيون ، بنى هيكلا آخر لكموش في جبل سكاندل مقابل بيت الرب مباشرة ، من أجل عبادة خليلاته .. ولما كان سليمان قد شجعهن في خرافاتهن وغذّى فيهن تلك الخرافات ، فانه جلب الخطيئة إلى بيته ، ووُصِمَ بالعار بسبب شيء كان عليه أن يمنعه .»[٨٠]

هذا ماقاله كل من سميث وفرار تأييداً لما جاء في رواية العهد القديم التي تنسب لسليمان عليه السلام السقوط في عبادة الأوثان .. بل ذهب سميث إلى أبعد من الرواية التي جعلت انحرافه بسبب زوجاته الأجنبيات ، فقال إننا يجب أن نعزو هذا الأمر إلى سليمان نفسه الذي أقام الأوثان ، ولم يكتف بوضعها على «الجبل الذي تجاه أورشليم» ـ كما جاء في الرواية ـ بل وضعها في الهيكل الذي به «تابوت العهد» ، وذلك من أجل استمالة الشعوب التي كانت خاضعة له .

أما فرار فقد ذهب بعيدا أيضا عندما أخذ يكيل التهم لسليمان عليه السلام كقوله : «إنه كان فاسد القلب منحرفا» ، «وان مُثُله تمرغت في الوحل» .. كما أنه شكك في اطلاعه على نصوص التوراة ، والأسفار الخمسة بصورة خاصة ، وما فيها من أوامر ونواهٍ ، وإننا نعلم أن التوراة كانت موجودة آنذاك بين يدي بني اسرائيل

---

(٨٠) Farrar, pp. 244 - 249

ولم تفقد الا بعد تدمير أورشليم والهيكل على يد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق . م ، وأعيدت كتابتها فيما بعد برؤيا جديدة . فكيف يصح أن يقال إن سليمان لم يطلع على مافي التوراة من تعاليم وهو النبي المرسل ؟!

ثم يقول فرار إن سليمان لم يصمد أمام غواية النساء ، ويصفه بأوصاف لايجوز أن يوصف بها إلا من كان فاسقا فاجرا لايقيم أي وزن للأخلاق والقيم الانسانية الشريفة . إننا نجلّه عليه السلام من كل هذه الافتراءات ، لأنه النبي الكريم الذي عصمه الله سبحانه وتعالى عن كل مايشين ، ومنحه من فضله مافيه أبلغ رد على كل اولئك المؤرخين ومن لف لفّهم .

أما قول فرار : «إن الرب غيور» ، فإنه اقتباس لروايات التوراة نفسها التي تطلق على الرب من الأوصاف كالغيرة والندم وغيرهما ، مايماثل فيها رب العزة أوصاف مخلوقاته .. جلّت قدرته .. سبحانه وتعالى عما يصفون .

القرآن الكريم من ناحية أخرى ، يختلف اختلافا جذريا في هذه المسألة عن العهد القديم وما ذكره المؤرخون الغربيون . وبالنسبة لنساء سليمان فلم يذكر القرآن شيئا عن عددهن ، إلا أنه ورد في الأحاديث النبوية مايفيد ذلك . جاء في صحيح البخارى ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «قال سليمان بن داود لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله ..» قال شعيب وابن أبي الزناد : تسعين ، قال البخارى : وهو أصح (أي تسعين) .[٨١]

وذكر ابن حجر في فتح الباري روايات أخرى محصلها أن العدد كان : ستين ، وسبعين ، وتسعين ، وتسعا وتسعين ، ومائة امرأة . ويعلق على هذه الروايات بقوله : الجمع بينها أن الستين كنّ حرائر ، وما زاد عليهن كن سرارى ، أو بالعكس . وأما السبعون فللمبالغة . وأما التسعون ، والمائة ، فكن دون المائة وفوق التسعين . فمن قال : تسعون ألغى الكسر ، ومن قال : مائة جَبَرَه .[٨٢]

هذا القول يختلف عن رواية سفر الملوك الأول بشأن عدد نساء سليمان وسراريه ، تلك الرواية التي تجعل منهن ألفا ، وإن اقترب من رواية سفر نشيد الإنشاد : «هن ستون ملكة وثمانون سرية وعذارى بلا عدد» .

أما عن وثنية سليمان ـ أو «كفره» ـ تلك الوثنية التي تلصقها به رواية العهد القديم ، ويجاريها في هذا الافتراء المؤرخون الغربيون الذين عرضنا آراءهم فيما سبق .. فان القرآن الكريم يرفض نسبة الكفر إلى

---

(٨١) صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ١٧١ .
(٨٢) فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

سليمان ، ويبرئه من هذا الإفك . يقول تعالى في سورة البقرة : «واتَّبعُوا ما تتلوا الشياطينُ على مُلْكِ سليمانَ ومَا كَفرَ سليمانُ ولكنَّ الشياطينَ كَفَرُوا يُعَلِّمون الناسَ السِّحْرَ»[٨٣] .

تتضمن الآية الكريمة نفي الكفر عن سليمان عليه السلام .. ولم يتقدم في الآية أن أحدا نسبه إلى الكفر ، ولكن اليهود نسبوه إلى السحر .. والسبب الذي جعل القرآن الكريم ينفي الكفر عن سليمان هو ـ كما يقول الطبري ـ أن الذين أضاف الله اليهم اتباع ماتتله الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود ، نسبوا ما أضافه الله تعالى إلى الشياطين من ذلك إلى سليمان بن داود ، وزعموا أن ذلك كان من علمه وروايته ، وأنه إنما كان يستعبد من يستعبد من الإنس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر ، فتبرأ من صدق مقولتهم من سليمان وهو نبي الله ، وأنكر أن يكون لله رسولا ، وقال : بل كان ساحرا . فبرأ الله تعالى سليمان من السحر والكفر ، وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر ، فنفى الله عن سليمان عليه السلام أن يكون ساحرا أو كافرا ، وأعلمهم أنهم إنما اتبعوا في عملهم ماتتله الشياطين في عهد سليمان ، دون ماكان سليمان يأمرهم من طاعة الله واتباع ما أمرهم به في كتابه الذي أنزله على موسى عليه السلام .[٨٤]

وقد فصّلنا القول في هذا الأمر عند الحديث عن صورة سليمان في القرآن الكريم . أما حكاية عبادة سليمان للأوثان المذكورة في العهد القديم ، فلا وجود لها في القرآن الكريم ، بالرغم من ذكر بعض المفسرين أن فتنة سليمان المذكورة في القرآن كانت بسبب قيام إحدى زوجاته بعبادة صنم على صورة أبيها في بيت سليمان دون علمه . وقد رفض المفسرون الموثوقون هذا الرأي ، وفي ذلك يقول سيد قطب : كان هناك ابتلاء من الله وفتنة لنبي الله سليمان عليه السلام في شأن يتعلق بتصرفاته في الملك والسلطان كما يبتلي الله أنبياءه ليوجههم ويرشدهم ويبعد خطاهم عن الزلل .[٨٥]

وقال الإمام النسفي : ما يروى من عبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود .[٨٦]

● ● ●

ـ سليمان وملكة سبأ

جاءت قصة سليمان وملكة سبأ مروية في كل من العهد القديم والقرآن الكريم ، ومع ذلك هناك اختلافات بين الروايتين .. وسنعرض لبيان ذلك فيما يلي :

---

(٨٣) البقرة : ١٠٢ .
(٨٤) تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .
(٨٥) في ظلال القرآن ، ج ٢٣ ، ص ١٠٠ .
(٨٦) تفسير النسفي ، ج ٤ ، ص ٤٢ .

جاء في رواية العهد القديم : «وسمعت ملكةُ سبأ بخبر سليمان لمجدِ الرب فأَتَتْ لتمتحنَه بمسائل . فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جدا ، وحجارة كريمة ، وأتت إلى سليمان وكلمته بكل ماكان بقلبها . فأخبرها سليمان بكل كلامها ، لم يكن أمرٌ مخفياً عن الملك لم يخبرها به . فلما رأت ملكةُ سبأ كلَّ حكمةِ سليمان والبيتَ الذي بناه ، وطعامَ مائدته ومجلسَ عبيده وموقفَ خُدَّامه وملابسَهم وسقاتَه ومحرقاتِه التي كان يُصْعِدُها في بيت الرب ، لم يبق فيها روحٌ بعد . فقالت للملك صحيحا كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك . ولم أصدق الأخبار حتى جئتُ وأبصرتْ عيناي فهوذا النصفُ لم أُخْبَرْ به ، زدتَ حكمةً وصلاحا على الخبر الذي سمعتُه . طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائما السامعين حكمتَكَ . ليكن مباركا الربُّ الهُكَ الذي سُرَّبك وجعلك على كرسي إسرائيل .. جعلك مَلِكاً لتُجرِيَ حُكْماً وبرّاً .»(٨٧)

وأحضرت ملكة سبأ هدية لسليمان يقول العهد القديم في وصفها : « وأعطت الملكَ مائةً وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيرة جدا وحجارة كريمة ، لم يأت بعدُ مثلُ ذلك الطيب في الكثرة الذى أعطته ملكة سبأ للملك سليمان. »(٨٨)

وجاء في رواية العهد القديم أيضا أن سليمان لم يردها خالية ، بل أكرمها وقدم لها هدية في مقابل هديتها ، وعادت الى بلادها راضية النفس : « وأعطى الملك سليمان لملكة سبأ كل مشتهاها الذى طلبت ، عَدَاما أعطاها إياه حسب كرم الملك سليمان ، فانصرفت وذهبت الى أرضها هي وعبيدها . »(٨٩)

هذا ما جاء عن ملكة سبأ في العهد القديم ؛ وقبل أن نتعرض لما جاء في القرآن الكريم بشأنها ، سنذكر ما قاله بعض المؤرخين في هذا الموضوع ، كمثال لرأي من تعرض منهم لذلك .

يقول أندرسون : ربما كان الهدف الحقيقي الذى يكمن وراء الرحلة الطويلة التي قامت بها ملكة سبأ من جنوبي الجزيرة العربية لزيارة سليمان ، هو التباحث بشأن عقد معاهدة تجارية مع الملك الذى كان يتدخل في التجارة المزدهرة للقوافل عبر الجزيرة العربية .

وعن عبارة سفر الملوك الواردة في النص : « وكلمته بكل ما كان بقلبها » يقول أندرسون : إن حديثها معه لابد قد دار حول العلاقات الاقتصادية بين البلدين .. ومن الواضح أن دبلوماسيتها لم تذهب عبثا لأن « الملك سليمان أعطى ملكة سبأ كل مشتهاها الذى طلبت . »(٩٠)

---

(٨٧) امل ١٠ : ١ ـ ٩ .
(٨٨) امل ١٠ : ١٠ .
(٨٩) امل ١٠ : ١٣ .
(٩٠) أندرسون ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

وجاء في قاموس هيستنجز أن زيارة ملكة سبأ ربما كانت بدوافع اقتصادية بالاضافة الى الحافز الديني .[٩١]

ويقول جورج روبنسون : من المحتمل أن الزيارة كانت لعقد معاهدة تجارية مع سليمان . وعن هديتها من الذهب التى أحضرتها لسليمان ومقدارها (مائة وعشرون وزنة ذهب) يقول روبنسون : أى ما يعادل أكثر بقليل من ثلاثة ملايين دولار .[٩٢]

أما فرار فيقول إن شهرة سليمان وما كان فيه من أبهة بلغت الذروة ، هي التي قادت بلقيس ملكة سبأ لزيارة سليمان ، حيث قطعت الفيافي والقفار ، في قافلة كبيرة من الجمال ، حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدا وحجارة كريمة .

ويعارض فرار رواية العهد القديم بشأن الهدية التي قدمتها بلقيس من الذهب الى سليمان ويقول ربما كانت « عشرين وزنة ذهب » بدلا من « مائة وعشرين وزنة ذهب » .. أى ما يعادل اثنى عشر ألف جنيه استرليني .[٩٣]

وجاء في الموسوعة اليهودية : إنه من الصعب حقا أن نربط بدقة هذه القصة مع ما هو معروف عن القرن العاشر ق . م ، إن سبأ تقع في جنوبي شبه الجزيرة العربية ، والمعلومات التي تضمنتها القصة بشأن هدية ملكة سبأ لسليمان يمكن تفسيرها على ضوء تجارته الواسعة فى البر والبحر مع الأقطار الجنوبية ، حيث كان يجلب منها الذهب والأحجار الكريمة والطيوب .[٩٤]

وهكذا فان معظم المؤرخين يختلفون مع رواية العهد القديم بشأن الغرض من زيارة ملكة سبأ لسليمان ، اذ يرون فيها هدفاً تجارياً واقتصادياً بحتاً ، كانت بلقيس تسعى من ورائه لعقد معاهدة تجارية مع سليمان عندما رأت نشاطه الواسع في هذا المجال . كما يرى بعضهم أن الزيارة كانت بدوافع اقتصادية بالاضافة الى الحافز الديني . ومنهم أيضا من يرى أن الزيارة تمت نظرا لشهرة سليمان التي طبقت الآفاق ، وذلك للاطلاع عن كثب على وضعه الحقيقي .

القرآن الكريم من جانبه ذكر قصة سليمان مع ملكة سبأ ، وقد ذكرنا هذه القصة في الحديث عن (سليمان في القرآن الكريم) ، وبسطنا القول فيما قاله المفسرون بهذا الشأن .. ومن تلك القصة يتبين لنا اختلافات كثيرة بين ما جاء في القرآن الكريم ، وبين روايات العهد القديم وآراء المؤرخين . من هذه الاختلافات :

---

(٩١) هيستنجز ، ص ٩٢٩ .
(٩٢) جورج روبنسون ، ص ١٤٧ .
(٩٣) فرار ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٩ .
(٩٤) Enc. Jud., Vol. 15, Col. 99

١ ـ المبادرة بالزيارة والاتصال جاءت من قبل ملكة سبأ بعد أن سمعت بسليمان وحكمته ، فجاءت تمتحنه بمسائل في الحكمة والذكاء ، دون أن يكون سليمان قد علم بأمرها ، أو جرى بينهما أى اتصال قبل ذلك ، حسب رواية العهد القديم .

أما القصة في القرآن الكريم ، فتعزو المبادرة بالاتصال لسليمان ، وذلك بعد أن أخبره الهدهد بخبر ملكة وقومها ، وأنهم قائمون على عبادة الشمس .. يقول تعالى على لسان الهدهد : « فقالَ أَحَطْتُ بما لم تُحِطْ به وجئتكَ من سبإٍ بنبأٍ يقين . إني وجدتُ امرأةً تَملكُهم وأوتيتْ من كلِ شيء ولها عرشٌ عظيم . وجدتُها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وزيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهم فصدَّهم عن السبيل فهم لايَهْتَدون .. »[٩٥]

هنا ، عندما علم سليمان بأن هناك قوما يعبدون الشمس ، بادر الى الاتصال بهم ودعوتهم للايمان بالله والدخول في دينه ، وكان اتصاله بهم عن طريق الهدهد الذى حمله كتابا يتضمن ذلك . يقول سليمان : « إذهبْ بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليهم ثم تولَّ عنهم فانظُرْ ماذا يَرْجعون »[٩٦].

٢ ـ الغرض من الاتصال كان دينيا ، كما يقول القرآن الكريم ، وكما جاء في كتاب سليمان الى ملكة سبأ ، يقول تعالى على لسانها : « قالت يا أيها الملأ إني أُلْقِيَ إليَّ كتابٌ كريم ، إنه من سليمانَ وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألَّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين . »[٩٧]

إنها دعوة من سليمان الى ملكة سبأ وقومها بالدخول في الإسلام ، مذعنين لله بالوحدانية والطاعة ، وإن امتنعوا فان النبي الكريم على أهبة الاستعداد لمجاهدتهم على ذلك . إن فحوى الكتاب في غاية البساطة والقوة .. فهو مبدوء باسم الله الرحمن الرحيم ، ومطلوب فيه أمر واحد .. هذا الأمر لم يكن تجاريا ، أو متعلقا بأمر من أمور سليمان الشخصية .. كان الأمر أسمى من كل ذلك .. إنه أمر في شأن الدين الذى حمل النبي لواءه ، ولاشيء غير ذلك ، فجاءت لغة الكتاب فيها استعلاء وحزم وجزم : ألا يستكبروا على مرسله ويستعصوا ، وأن يأتوا اليه مستسلمين لله الذى يخاطبهم باسمه .

أما الرواية في العهد القديم فكانت عبارة عن رغبة ملكة سبأ في زيارة سليمان لإشباع فضولها بعد الذى سمعته عنه ، ومن ثم اختباره في بعض الأحاجي والألغاز .

كذلك فان المؤرخين يعزون هذا الأمر بالدرجة الأولى الى العوامل الاقتصادية ، وأن ملكة سبأ كانت تهدف الى عقد معاهدة تجارية مع سليمان .

---

(٩٥) النمل : ٢٢ ـ ٢٤ .
(٩٦) النمل : ٢٨ .
(٩٧) النمل : ٢٩ ـ ٣١ .

٣ ـ رواية العهد القديم تقول إن ملكة سبأجاءت بنفسها للاطلاع على أحوال سليمان ، حاملة الهدايا ، وهو قول المؤرخين أيضا .

أما القرآن الكريم فيقول إنها أرسلت وفدا محملا بالهدايا ، لاختبار الملك ، عسى أن يكون في ذلك دفع للقتال ، لأن الهدية تلين القلب .. فان قبل الهدية فهو ملك دنيوى ، ووسائل الدنيا إذن تجدى ، وإن لم يقبلها فهو نبي .. إذن هو أمر العقيدة الذى لايصرفه عنه مال ولاعرض من أعراض الدنيا .

يقول تعالى على لسان بلقيس ملكة سبأ : « وإني مُرْسِلَةٌ اليهم بهديةٍ فناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُون ».[٩٨]

٤ ـ يقول العهد القديم إن ملكة سبأ قدمت هدية من الذهب والطيوب والحجارة الكريمة الى سليمان الذى قبل الهدية ، وقدم لها بالمقابل هدية أخرى . وهذا ما يقوله المؤرخون أيضا .

أما القرآن الكريم فيقول إن سليمان رفض قبول هدية ملكة سبأ التي أحضرها وفدها ، وأعاد الهدية اليها ، لأن غرضه ، كما ذكرنا قبل قليل ، لم يكن دنيويا ، بل كان أمرا من أمور الدين التي لاتنفع معها الأساليب الدنيوية الرخيصة . يقول تعالى : « فلما جاءَ سليمان قال : أَتُمِدُّونَنِ بمالٍ ، فما آتاني الله خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارْجِعْ إليهم فلنأتينَّهم بجنودٍ لاقِبَلَ لهم بها ولنخرجَنَّهم منها أذلَّةً وهم صاغِرُون ».[٩٩]

٥ ـ لم تزد رواية العهد القديم على القول إن ملكة سبأ ـ بعد أن اطلعت على وضع سليمان وتأكدت من صحة ما سمعته عنه ـ قدمت الهدايا الى سليمان ، وتلقت منه هداياه وما طلبته منه ، ثم عادت الى بلادها . لم تتضمن تلك الرواية رغبتها في الدخول في دين سليمان ، أو دعوته هو إياها للدخول في دين الله ، وهو يعلم أنها قائمة على عبادة غير الله كما هو حال بلدها . وهذا موقف مستهجن في رواية العهد القديم بحق النبي المرسل سليمان عليه السلام .. إن تلك الرواية تصوره كما لو كان لاشأن له بالدين ، وإنما كان اهتمامه منصبا على الامور الدنيوية كالتباهي بمظاهر السلطان والأبهة وتبادل الهدايا القيمة .. الى غير ذلك من الأمور التي لاصلة لها بالدين والعقيدة ، تلك العقيدة التي من المفروض أن يكون ـ بصفته النبى المرسل ـ حاملا للوائها ، وهي شغله الشاغل .

غير أن استهجاننا واستغرابنا يزولان إذا علمنا أن كتبة أسفار العهد القديم المتأخرين هم الذين صاغوا هذه الروايات التى تتنافى ورسالة الأنبياء في كل مكان وزمان ، فجاءت صورتهم مشوهة مبتورة ، وكأن تلك الروايات قد صيغت لتنفي عنهم ـ وخاصة سليمان ـ صفة النبوة !

---

(٩٨) النمل : ٣٥ .
(٩٩) النمل : ٣٦ ـ ٣٧ .

كذلك فان المؤرخين الغربيين يقفون هذا الموقف ولايشيرون الى شيء من ذلك ، ويزيدون بأنها أجرت مباحثات مع سليمان لاعلاقة لها بالدين ، وإنما من أجل عقد معاهدة تجارية بينهما ، عادت بعدها الى بلدها ، وهي على وثنيتها كسابق عهدها .

أما الكلمة الحق فهي كلمة القرآن .. الذى جاءت صورة سليمان فيه صورة نبي كريم مجاهد في سبيل الله لنشر دينه بين الناس .. فبعد أن رفض هدية ملكة سبأ ، عاد الرسل إليها بالخبر ، فعرفت أنه نبي مرسل ، فقررت التوجه اليه مع علية قومها ، تاركة عرشها العظيم داخل أقفال حصينة عليها حراسة مشددة . فنقلت اليه جنوده من الجن والانس والطير ، المسخرون لخدمته ، خبر مجيئها . فاستحضر عرشها قبل وصولها إليه ليريها مظاهر القوة الخارقة التي تؤيده ، لكي تؤثر في قلب الملكة وتقودها الى الايمان بالله ، والإذعان لدعوته .. فجاءه العرش في طرفة عين بمشيئة الله .. فأخذ يهيىء لها المفاجأة للتأثير عليها : « قال نَكِّروا لها عرشَها نَنْظُرْ أتهتدى أم تكوُن من الذين لايهْتَدون . فلما جاءت قيل أهكذا عرشُكِ ، قالت كأنه هو ، وأوُتينا العِلْمَ من قَبْلِها وكُنَّا مُسْلِمِين »[100] .

لقد أخذتها المفاجأة بوجود عرشها الذى تركته في حراسة مشددة .. فكيف جيء به .. لقد تأكدت أن من يستطيع أن يفعل ذلك لابد أن يكون فوق مستوى الملوك ، ولابد أن هناك قوى كبرى تؤيده .

وكان سليمان قد أعد لها مفاجأة أخرى ليقودها الى الايمان بالله ، لاسبيل الى إنكارها .. لقد أمر ببناء قصر من البلور الشفاف أجرى تحته الماء وجلس في صدره : « قيلَ لها ادخلي الصَّرحَ ، فلما رأته حَسِبَتْه لُجَّةً وكشفَت عن ساقيها ، قال إنه صرحٌ ممردٌ من قوارير ، قالت ربِّ إني ظلمت نفسي وأسلمتُ مع سليمانَ لله رب العالمين . »[101]

وقفت ملكة سبأ أمام المفاجأة الأخرى مذهولة لهذه العجائب التي تعجز البشر .. وتأكد لها أن سليمان مسخر له قوى أكبر من طاقة البشر .. فرجعت الى الله معلنة إسلامها ودخولها في دين الله .. وهو ما اختتم به النص القرآني قصة سليمان مع ملكة سبأ ، ليرينا الحكمة من هذا القصص القرآني الهادف إلى اعلاء كلمة الحق والدين .. ولكن أين روايات العهد القديم وقصصه من هذا ؟ ! لقد رأينا كيف يدور ذلك القصص ، وكيف يشوه صورة أنبياء الله ويبتعد بهم عن الرسالات التي يحملونها .. والأهداف التي انتدبوا لأجلها .

● ● ●

---

(١٠٠) النمل : ٤١ ـ ٤٢ .
(١٠١) النمل : ٤٤ .

لقد رأينا الصورة التي رسمها كتبة العهد القديم لسليمان عليه السلام ، فقد جعله أولئك الكتبة يفتتح عهده بالدم فيقتل أخاه ، ثم قائد جيش أبيه .. وجعلوه يظهر بمظهر العظمة والإسراف في كل شيء .. فصنع لنفسه عرشا من العاج المغشى بالذهب تحيط به الأسود المصنوعة من الذهب ، وجعلوا جميع آنيته من الذهب أيضا .. كما ظهر الإسراف والتبذير في مقادير الذهب التي قال كتبة الأسفار إن سليمان أدخلها في عمل الهيكل وملحقاته .. كما ظهرت صور الإسراف في مقادير الطعام التي كان يستهلكها بيته في كل يوم .

ويستمر كتبة الأسفار في تشويه صورة سليمان عليه السلام فينسبون اليه أنه اتخذ أعدادا كبيرة جدا من الزوجات ، بالاضافة الى أعداد أخرى من السرارى بلغ مجموعهن ألفا .. وبلغت الصورة المشوهة لسليمان في أسفار العهد القديم مداها عندما نسبت إليه الانحراف عن الدين وعبادة الأوثان ، مما استوجب غضب الله الذى تمثل في إيقاع العقاب عليه بتمزيق مملكته .. وإن كان هذا العقاب لم يتم إلا في عهد ابنه رحبعام .

هذه إذن صورة سليمان في العهد القديم ، صورة مشوهة لا يمكن أن يكون صاحبها نبيا مرسلا معصوما من كل ما نسبه اليه كتبة الأسفار .

أما المؤرخون الغربيون الذين تلقفوا روايات العهد القديم وذهب بهم الخيال مذهبه ، فقد تفوقوا على كتبة الأسفار المقدسة وبالغوا في تشويه صورة النبي الكريم ، وألصقوا به من الأوصاف ما لا يمكن أن يوصف به السفلة من الناس ممن تجردوا من الأخلاق والقيم والمثل العليا .

وسنذكر طرفا مما قاله أولئك المؤرخون بالرغم من أننا أوردنا سابقا كثيرا مما قالوه في هذا الأمر .

يقول ويلز : كان سليمان بالنسبة لشعبه مبذرا متلافا ، كما كان ملكا مستبدا ظالما .. وقبل وفاته كانت مملكته تتبدد شيعا متفرقة بشكل واضح .[١٠٢]

ويقول ول ديورانت : كان عهد سليمان عهد سلام بحق .. غير أن حكمه تميز بما فيه من مركزية شديدة .. وقد فرض ضرائب باهظة على الشعب للإنفاق على الهيكل والقصر .. فلما مات سليمان كانت موارد اسرائيل قد نضبت .[١٠٣]

(١٠٢) The Outline of History, p. 263
(١٠٣) قصة الحضارة ، ص ٣٣٢ .

ويقول لودز :بالاضافة الى الأخطاء التي ارتكبها سليمان وابنه من بعده ، فان الأسباب التي أدت الى انقطاع العلاقات الودية بين أسباط بني اسرائيل ، تتمثل في العداء الراسخ بين القبائل الشمالية والجنوبية .. وقد تسببت تلك الأخطاء في إحياء روح الاستقلال القديمة التي طعنت بواسطة سياسة سليمان الاستبدادية ، ومن تقليده الواسع لحضارات الأمم الأخرى[١٠٤] .

ويقول روبنسون : بعيدا عن مسألة الارتداد عن الدين ، كانت سياسته المحلية كارثة على البلاد ، فبينما قام داود ببناء مملكة موحدة كانت مستقرة ووطيدة الى حد ما في ذلك الوقت ، وترك وراءه خزينة الدولة عامرة ، وخلف شعبا كان على العموم قانعا بحكمه راضيابه .. فان تبذير سليمان وإسرافه لم يبدد المخازن التي تركها داود ملآنة بالمواد المكدسة فحسب ، ولكنه جعل المملكة مفلسة من الناحية العملية .[١٠٥]

ويقول جاكسون : لقد أصبح معروفا أن حياة البذخ والترف التى كان يعيشها سليمان كانت السبب في وهنه وضعفه ، مما جعل سلطته تضعف في أواخر أيامه .. لقد توفي سليمان قبل التمزق الكبير الذى حدث لمملكة بني اسرائيل .. وعلى الرغم من تبذيره وظلمه اللذين مهدا للكارثة التي وقعت فيما بعد ، فإنه خلف أشياء كثيرة ظلت باقية بعده ..[١٠٦]

ويقول غوستاف لوبون : عاش سليمان حاكما شرقيا حقيقيا ، وفي بلاطه تجلت أكبر أبهة عرضت لدى بنى إسرائيل ، وانهمك في ضروب الملاذ الآسيوية فأثقل كاهل الشعب بالضرائب ليقوم بنفقات شهواته معدا بذلك مقبل الفتن .[١٠٧]

ويقول قاموس هيستنجز : يرتبط سقوط سليمان بتعدد زوجاته وبزواجه من النساء الأجنبيات اللواتي سمح لهن بممارسة طقوسهن الدينية ، بل شاركهن في ممارسة تلك الطقوس . وقد أدى انغماسه في الشهوات وإطلاقه العنان لرغباته وأهوائه ، بالاضافة الى شهرة الغنى والثروة ، الى تدهوره ، ولعب دورا كبيرا في إفساده .[١٠٨]

ويقول أوسترلي وروبنسون : كان عهد سليمان يمثل انحرافا عن العقيدة وانحطاطا من الناحية السياسية .. لقد اكتسب سليمان شهرة كبيرة لما شاده من مبان فخمة ، إلا أننا يجب ألا ننسى أن إقامة هذه

---

(١٠٤) لودز ، ص ٣٧٣ .
(١٠٥) History of Israel, pp. 258, 260
(١٠٦) جاكسون ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ .
(١٠٧) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .
(١٠٨) هيستنجز ، ص ٩٣٠ .

المباني لم يكن ممكنا إلا بما أوقعه سليمان على شعبه من ظلم وجور . إن النهج الذى اتبعه سليمان كان انتهاكا صارخا لحقوق الانسان كما ظهر من تذمر عامة الاسرائيليين.(١٠٩)

ويقول (كنت Kent) : مع كل ما اتصف به سليمان من حكمة ، إلا أنه نسي - في خضم سعيه وراء الملذات والترف والابهة - مصالح شعبه ، وأوصل هذا الشعب الى حافة الافلاس .

ويقول (سايس Sayce) : لقد توفي سليمان منهكا بسبب إفراطه في الانغماس في اللذات وإطلاقه العنان لشهواته ، مخلفا وراءه خزينة خاوية ، وشعبا ساخطا ، وامبراطورية متداعية .(١١٠)

ويقول سميث : ما يقال عن ثروة سليمان وإسرافه وتبذيره يعد أمرا بسيطا ، بجانب سوء إدارة شئون الدولة من قبل حاكم كان شعاره : الدولة - أنا الدولة !! من وجهة النظر هذه فإن المملكة هي ملك خاص بالملك ، يستثمرها ويستغلها لمنفعته الشخصية ، أو حسب رغبته وهواه . لقد فرض سليمان الضرائب الباهظة على القبائل ، مستثنيا منها قبيلة يهوذا ، وهي القبيلة التي ينتمي اليها الملك .. وسخر الاسرائيليين في أعمال السخرة للعمل في الغابات والمناجم . لقد ازدهرت التجارة في عهده ، ولكنها كانت مشروعات تجارية خاصة بالملك ، تذهب أرباحها الى خزينته الخاصة ، مما جعل ثروته الشخصية كبيرة .

إن حياة سليمان - كما قدمت الينا - تشبه بلا جدال حياة أمير تشغله أمور الدنيا .. كان مزهوا مغرورا بثروته وبمبانيه باهظة التكاليف .. إن الاسراف الذى لامعنى له والذى يظهر من خلال تروس الذهب التي يستخدمها حرسه الشخصي ، يلقي ضوءاً على ذوقه وما يطمح اليه .. لقد فكر في منافسة ملوك العالم الآخرين في ميدان الأبهة والتنعم بالملذات.(١١١)

ويقول فرار : إن قلب سليمان كان فاسدا منحرفا ، أما ارادته فقد ضعفت ، وتمرغت مُثُلُه في الوحل باتخاذه نساء أجنبيات .. وعندما شاخ فان قلبه لم يصمد أمام غواية النساء .. لقد غاص سليمان في قاع هاوية الردة .

ثم يقول : لقد لطخت روحه ، وضعفت عقيدته ، وخبا حماسه وأصبح كل ذلك بلا محتوى .. لقد وقف وحيدا ، حتى ابنه الوحيد لم يكن عاقلا بل كان أحمق .. أما ثروته فقد بددت ، وسمعته لوثت ، وممتلكاته قلصت .. حتى إنه هو نفسه أهين من قبل أعداء وضيعين لاقيمة لهم ، بحيث لم يكن لديه القدرة على السيطرة عليهم أو معاقبتهم .. إن السلام الذى ساد في البداية أُنهِكَ بواسطة الغارات التي كانت تُشَنُّ ، إن الملك

---

(١٠٩) W.O.E. Oesterley and T.H.Robinson, Hebrew Religion, p. 208
(١١٠) George Robinson, Leaders of Israel, p. 149
(١١١) سميث ، ص ١٥٦ ، ١٥٩ .

الذى عاش في ظل أبهة الملك ، أصبح مثقلا بالديون .. لقد أجاز باني الهيكل الشرك وعبادة الآلهة المتعددة .. إن محبوب الشعب أصبح طاغية مستبدا ، يعذب شعبه الذى نفد صبره بالسياط .. إن الذى كان « مدللا من قبل الرب » أقام المعابد الوثنية لمولك وعشتروت . لقد أصبح الملك الفتى الرائع شيخا هرما وحيدا مرهقا .(١١٢)

وجاء في التلمود : « في البداية ، وقبل زواج سليمان من نساء أجنبيات ، فإنه كان يحكم على الملائكة (أخبار الايام الأول ٢٩ : ٢٣) ؛ ثم على جميع الممالك فقط (١ مل ٤ : ٢١) ؛ ثم على إسرائيل فقط (الجامعة ١ : ١٢) ؛ثم على أورشليم فقط (الجامعه ١ : ١) ؛ وأخيرا فإنه لم يحكم إلا على منسأته ».(١١٣)

ويقول جارودى : أما أن سليمان كان يعدد الآلهة فأمر لاشك فيه ، حتى ولو كان الكهنة الذين كتبوا - بعد حين - تاريخه ، لاموه ، ويشهد العهد القديم على ذلك بما لا يمكن دفعه ... كان سليمان يحلم بعظمة الفراعنة ، وبترف الأشوريين .(١١٤)

هذه آراء المؤرخين في سليمان .. وبالرغم من أن هذه الآراء هي صدى لروايات أسفار العهد القديم ، فقد توسع بعض المؤرخين بالقاء اللوم على سليمان وحمله مسئولية بناء المعابد الوثنية وإدخالها في هيكل أورشليم لتعبد جنبا الى جنب مع (يهوه) معبود بني اسرائيل .. كما رسموا له صورة الأمير المتغطرس الأناني الذى يجرى وراء الملذات وحياة المجون تارة .. وكملك مستبد ظالم تارة أخرى .. يفرض الضرائب الباهظة على شعبه ، ويجبرهم على القيام بالأعمال الشاقة دون مقابل .. يعذب منهم من يعذب ، ويقرب من يقرب .. يقيم المشاريع الواسعة ، لالمصلحة الشعب ، وإنما لحسابه الخاص ، لايقيم وزنا للمبادىء الدينية ، فينجرف وراء الآلهة الوثنية يبني لها المعابد .. ثم يعبدها !!

القرآن الكريم يقف على الجانب الآخر ليرينا الصورة الحقيقية لواحد من أنبياء الله الذين بعثهم بالحق .. تلك الصورة التي لم يستطع كتبة العهد القديم أو من شايعهم من المؤرخين إبراز معالمها الصحيحة .. إن ما نطالعه من خلال نصوص الأسفار المقدسة فيما يتعلق بسليمان بعيد كل البعد عن سلامة القداسة الدينية المفترض وجودها .. لم يستطع أولئك الكتبة إبراز الحقيقة الدينية عند النبي ، كما لم يستطيعوا أن يسجلوا كل ما يستفاد من رسالته الدينية ودعوته ، بكل ما جاء فيها من تأكيد لعظمة الرجل وطهارة دينه وأهمية رسالته .. وكل ذلك يعطينا صورة مثالية ونقية عن كل مواقفه ، فيما يتعلق بدينه أو بعلاقته بربه أو بالناس من حوله .. ولكن الكتبة لم يبرزوا ذلك .. بل أظهروا للرجل التقي النقي صورة مغايرة تماما للطهر

---

(١١٢) فرار ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، ٢٤٤ - ٢٤٩ .
(١١٣) نفس المرجع ، ص ٢٣٨ .
(١١٤) فلسطين أرض الرسالات الالهية ، ص ٨٧ ، ١٢٤ .

والنقاء .. ولولا الله سبحانه وتعالى حفظ لنا تلك الصورة الطاهرة في سجله السماوي المتمثل في قرآنه المجيد ـ كما هو الحال مع بقية الأنبياء عليهم أفضل السلام ـ لبقيت صورته ، مع غيره من الأنبياء المكرمين ، على ما أرادها له ولهم كتبة الأسفار الذين حرفوا وبدلوا وشوهوا الحقائق الناصعة التي يفترض أنها وردت في الروايات المقدسة الأصلية ، وفيها أخبار عن دور الدين وارتباطه بالعمل الحقيقي الذي قام به سليمان بإلهام الهي .

وقد مر معنا في الحديث عن صورة سليمان في القرآن الكريم حقيقة تلك الصورة ومعالمها الرئيسية .. يتضح ذلك من الفضل الذي آتاه الله سليمان عليه السلام ، وما خصه به من نعم كثيرة تتمثل فيما يلي :ـ

١ ـ منحه الله الحكمة والذكاء منذ صباه ، وقد تمثل ذلك في حكمه في مسألة الحرث : « .. وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرْث .. ففهمناها سليمان » .

٢ ـ عُلِّمَ منطقَ الطير : « .. وقال يا أيها الناس عُلِّمْنَا منطقَ الطير . »

٣ ـ تسخير الريح لسليمان : « فسخرنا له الريح تجري بأمره .. »

٤ ـ إسالة النحاس له : « وأَسَلْنَا له عَيْنَ القِطْر » .

٥ ـ تسخير الجن والشياطين له : « ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه .. » ، « والشياطين كلَّ بنَّاء وغوّاص ..»

٦ ـ يقول تعالى عن سليمان : « وإن له عندنا لزلفى وحُسْنَ مآب .. » .

هذا الفضل الكبير ، وهذه النعم الجمة ، ما كانت لتمنح من قبل رب العزة لواحد ملطخ السيرة .. يجري وراء ملذاته وأهوائه ، بل يقيم صنما إلهاً يعبده من دون الله ربه الذي لا إله غيره .. إن ذلك الفضل وتلك النعم منحها الله سبحانه وتعالى لنبي مرسل كريم ، عصمه ـ كغيره من الأنبياء رضوان الله عليهم ـ من كل ما يسيء الى سيرته العطرة الطاهرة .. فكان عطاؤه تعضيدا لدعوة نبيه ، وتسهيلا لنشر رسالته التي حمله إياها .. وهي رسالة القداسة والدين السماوي ، الذي يحمل في طياته عقيدة سمحة .. وخلقا رفيعا .. يحمل الناس على السير في الطريق السوى بعيدا عن ارتكاب المعاصي .. هذه رسالته .. وهذه دعوته .. أخليق بصاحب الرسالة .. وبصاحب الدعوة أن يكون زائغ القلب ، ماجنا ، مرتداً عن الدين .. كما صورته أسفار العهد القديم ؟! أم يكون صاحبها أهلا لحملها .. أمينا على ما فيها من تعاليم سماوية مقدسة .. متصفا بكل صفات التقى والطهر والعفة والصلاح .. كما صوره القرآن الكريم الذي يثني عليه فيقول : « .. نعم العبد إنه أوّاب ..» ؟

إن صورة سليمان عليه السلام ، بعد هذا ، هي صورة العملاق الديني الذي تلقى رسالة السماء فكان أهلا لحملها .. وأدى دوره كاملا بنشر الدعوة في بني اسرائيل .. إننا لا نعبأ بما حملته أسفار العهد القديم مغايرا لما نص عليه القرآن بشأنه .. فقد أحاطه بسياج من الطهر والعفة والارتباط بالله باعتباره نبيا رسولا .

● ● ●

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أستطيع أن أسجل ما توصلت اليه من حقائق أثبتتها الدراسة ، واستنتاجات وملاحظات أخرى في النقاط التالية :

١ ـ تبين من البحث أن بني اسرائيل لم تكن لهم أهمية تذكر في أيامهم مثلما أصبح تأثيرهم على تاريخ العالم فيما بعد .. ولم يكونوا جديرين بالاشارة اليهم لو لم يؤثر عنهم ذلك التراث الديني والأدبي المتمثل في « العهد القديم » .

٢ ـ أثبتت الدراسة أن مدة إقامة بني اسرائيل في مصر كانت ٢١٥ سنة وليس ٤٣٠ سنة كما جاء في العهد القديم ، وأن نص العهد القديم بشأن عدد الذين خرجوا من مصر محرف .

٣ ـ تبين من البحث أن داود عليه السلام لم يكن إسرائيليا خالصا ـ كما يظهر من سفر راعوث ـ إذ إن والدة جده عوبيد ـ وهي راعوث التي سمي هذا السفر باسمها ـ هي من مؤاب ، تزوجت (بوعز) فولدت له (عوبيد) الذي أنجب (يسّى) والد داود . (الباب الأول ـ الفصل الأول) .

٤ ـ أثبتت الدراسة أن داود تمكن من إقامة «المملكة الموحدة» لبني اسرائيل بفضل ما كان عليه من مقدرة عسكرية وحنكة سياسية وشخصية قوية جذابة ، وجعل عاصمتها أورشليم بعد أن استولى عليها من أصحابها الأصليين وهم اليبوسيون .. ثم نقل اليها (تابوت العهد) .. وبدأ بالتحضير لبناء (الهيكل) ، وهو البناء الذي تم في عهد خليفته ، وذلك بعد أن استتب له الأمن في الداخل والخارج عن طريق إخضاع بعض الشعوب المحيطة به من ناحية ، وإقامة تحالفات سياسية مع شعوب أخرى من ناحية ثانية . ويظهر من الروايات المتعلقة بحربه مع الفلسطينيين أنه لم يتمكن من احتلال المناطق التي يقيمون فيها في المدن الساحلية فاسترضاهم واستمالهم الى جانبه ، واتخذ منهم أعوانا له ، سواء في البلاط أو في الجيش ، حتى إن حرسه الشخصي كان منهم . (الباب الأول ـ الفصل الأول) .

٥ ـ من خلال المقارنات التي أجريتها عن تاريخ الموسيقى التي كانت تستخدم في الطقوس الدينية والعبادة في الهيكل ، اتضح أن هناك فرقة من المغنين والمنشدين كانت موجودة سنة ١٤٠٠ ق.م في

(أوجاريت) وكانت تشارك في الطقوس التي كانت تجرى في الهيكل . كما أن كلا من فلسطين وسوريا اشتهرت بالعازفين والموسيقيين في تاريخ الشرق الأدنى القديم . ومن المرجح أن موسيقى الهيكل العبرية التي كانت معروفة في إسرائيل ترجع في حقيقتها إلى أصول تعود إلى ماقبل ظهور بني إسرائيل في أرض كنعان .. كما برهنت المقارنات على أن داود لم يكن أول من أوجد نظام استخدام الموسيقى في الطقوس الدينية ، على الرغم من أن سفر الأخبار يعزو تنظيم فرق الموسيقيين والعازفين في الهيكل إلى داود (الباب الأول ـ الفصل الأول) .

٦ ـ اتضح من الدراسة أن المؤرخين يرفضون رواية العهد القديم التي تقول إن حدود دولة داود امتدت من نهر الفرات حتى «نهر مصر» ، ويقولون إنها لم تكن بهذا الاتساع .

٧ ـ اتضح أن المزامير التي تنسب لداود لم توضع من قبل شخص واحد ، أو في زمن واحد .. وأنها تأثرت بالمزامير الكنعانية ، وبالأناشيد المصرية القديمة التي خلّفها لنا أخناتون وعثر عليها في مكتشفات تل العمارنة .. كما تأثر نوع منها بالمزامير البابلية . (الباب الأول ـ الفصل الأول) .

٨ ـ لقد ثبت بالدليل القاطع من خلال ما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة أن روايات العهد القديم المتعلقة بمسألة الإفك المنسوبة لداود عليه السلام ، وما جاء بهذا الشأن في مصادر المؤرخين ، إنما هو كذب وافتراء على نبي من أنبياء الله المعصومين الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى لحمل رسالته ونشرها بين الناس .. ولايعقل أن يقوم هؤلاء المصطفون بعمل من أعمال الكبائر نهت عنه رسالة السماء التي كان لهم شرف حملها .. كما لايليق هذا العمل بمن أسبغ الله عليه من فضله نعما كثيرا وجعله خليفة في الأرض : «ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض» ، وقال فيه : «وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ..» .. ولا يليق بمن ضرب به سيد المرسلين محمد ﷺ المثل في حسن العبادة فقال : «احب الصيام الى الله صيام داود .. وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود ..» (الباب الثاني)

٩ ـ تبين من الدراسة أن بعض روايات المفسرين والاخباريين تعد من الاسرائيليات التي دخلت كتب التفسير ، وقد رفض هذه الروايات علماء التفسير والرواية الذين هم موضع ثقة عند جمهور المسلمين . ومن الروايات التي اعتبرت من الاسرائيليات المرفوضة ماقيل بعد ابتلاء داود عليه السلام : إنه سجد لله تعالى أربعين ليلة وبكى حتى نبت العشب من دموع عينيه .. وما قيل في الروايات عن حسن صوت داود إنه كان لايسمعه أحد إلا حجل كهيئة الرقص ، وإنه اذا أخذ في قراءة الزبور تفتقت العذارى .. وإن الوحوش كانت تترك مرابضها للاستماع اليه ، ويقف الماء عن الجريان ، وينزل الطير من السماء .. ويتبعه الناس إلى الفلوات ذاهلين عن مأكلهم ومشربهم أياما .. كل ذلك عده ثقات المفسرين والعلماء من الاسرائيليات المرفوضة التي دخلت كتب التفسير . (الباب الثاني ـ الفصل الثالث) .

١٠ ـ خص الله سبحانه وتعالى نبيه داود عليه السلام بنعم كثيرة فصلها القرآن الكريم وذكرناها في هذه الدراسة ومن أهمها : تسخير الجبال تسبح معه والطير ، وتشديد ملكه ، وأنه آتاه الحكمة وفصل الخطاب ، وألَان له الحديد ، وعلّمه صناعة الدروع ، وأنزل عليه الزبور ، ثم جعله خليفة في الأرض .

وكل ذلك يدل على المكانة الرفيعة التي جعلها الله له في الدنيا والآخرة .. وهي مكانة حط من قدرها كتبة أسفار العهد القديم فيما نسبوه اليه عليه السلام من معاص .. وقد دحضنا زيف ادعاءاتهم ورواياتهم في المكان المخصص لذلك من الدراسة (الباب الثاني) .

١١ ـ جاء في الدراسة ان واحدا من أشهر المؤرخين ـ وهو شاين ـ يرى أن دولة بني اسرائيل زمن داود وسليمان كانت في شمالي الجزيرة العربية ، وأن سليمان نصب ملكا هناك . (الباب الأول ـ الفصل الثاني) .

١٢ ـ اتضح من البحث أن سليمان عليه السلام عندما ملك كان صغير السن ، واتصف بالحكمة التي ميزه الله تعالى بها منذ صغره .. وقد اتفقت رواية العهد القديم مع ماجاء في القرآن الكريم بهذا الخصوص .

١٣ ـ أثبتت الدراسة أن سليمان أنشأ حركة تجارية نشطة في البر والبحر ، وقد ساعده على ذلك استمرار العلاقات الطيبة التي أنشأها أبوه داود مع الفينيقيين وملكهم حيرام ، فقام هؤلاء بمساعدة سليمان في هذا المجال لما كان لهم من باع طويل وخبرة كبيرة في ذلك . ومن تجارة سليمان كانت تجارة الخيول التي يشير القرآن الكريم إلى أن سليمان كان يقتنيها (الباب الأول ـ الفصل الثاني) .

١٤ ـ أثبتت الدراسة أيضا ان سليمان كانت لديه صناعة مزدهرة وبالتحديد في تكرير خام النحاس وصناعته في موقع اكتشفه (جلوك) في وادي عربة .. وقد وردت إشارات لهذه الصناعة في كل من العهد القديم والقرآن الكريم الذي يقول : «وأسلنا له عين القِطْر» . (الباب الأول ـ الفصل الثاني) .

١٥ ـ أوضحت الدراسة أن الهيكل الذي اشتهر به سليمان بناه مهندسون فينيقيون من صور على غرار الهياكل الفينيقية ، وكانت هذه النماذج من الهياكل معروفة عند الكنعانيين والمصريين ، حتى ان الاسم الذي أطلق عليه وهو (هيكل הֵיכָל) هو اسم كنعاني . كما تبين أن كثيرا من المبالغة والتحريف شاب روايات العهد القديم فيما يتعلق بمقادير الذهب الذي ذكرت تلك الروايات أنه أدخل في زخرفة الهيكل من الداخل ، وكذلك فيما يتعلق بما أضفاه العهد القديم عليه من ضخامة .. إذ لم يكن حجمه يتعدى حجم قصر صغير ، ولم يكن إلى جانب الهياكل المصرية والأشورية شيئا يذكر . (الباب الأول ـ الفصل الثاني) .

١٦ ـ قام سليمان بتقسيم البلاد إداريا إلى (اثنتي عشرة مقاطعة) ، وعين على كل منها وكيلا كان أحد واجباته تزويد الملك وبيته بما يلزم من المواد التموينية .. لقد أوضحت الدراسة أن التنظيمات الادارية التي

كانت قائمة في مملكة أوجاريت أو (رأس الشمرا)، والتي تم اكتشافها في حفريات الآثار، هي نفس التنظيمات التي اتبعها سليمان في تقسيمه الادراي، مما يدل على أن الاسرائيليين أخذوا هذا النمط في نظامهم الجديد عن الكنعانيين. (الباب الأول - الفصل الثاني).

١٧ - أوضحت الدراسة مدى المبالغة والتحريف الذي تعرضت له أسفار العهد القديم على أيدي كتاب الأسفار، وخاصة فيما يتعلق بأعداد النساء والسراري اللواتي اتخذهن سليمان .. حيث بلغن أكثر من ألف حسب رواية العهد القديم .. وقد رفض المؤرخون هذه الرواية، كما أن المفسرين والمحدثين بينوا أن عدد نساء سليمان كان يتراوح بين ستين ومائة امرأة لا غير. (الباب الأول - الفصل الثاني، الباب الثاني - الفصل الثاني).

١٨ - أثبتت الدراسة الاختلاف الجوهري في قصة ملكة سبأ وزيارتها لسليمان، تلك القصة المذكورة في كل من العهد القديم والقرآن الكريم .. ففي الوقت الذي يذكر فيه العهد القديم أن الزيارة كانت بمبادرة من ملكة سبأ جاءت لتمتحنه بمسائل عقلية وألغاز، بعد أن سمعت عنه وعن حكمته، وأنها قدمت اليه الهدايا وأخذت منه هداياه بالمقابل، ثم عادت الى بلادها دون الاشارة الى دخولها في دين سليمان أو دعوتها للدخول في دينه .. فان القرآن الكريم يقول إن المبادرة بالاتصال كانت من سليمان بعد أن علم عن طريق الهدهد أنها وقومها قائمون على عبادة الشمس من دون الله، فأرسل اليها يدعوها للدخول في الاسلام .. فأرسلت اليه وفدا محملا بالهدايا، فرفض سليمان قبول تلك الهدايا وردها اليها لأن غرضه لم يكن دنيويا .. وإنما يتعلق بأمر من أمور الدين والعقيدة .. مع تحذيرها بوجوب قبول دعوته .. فجاءت إليه مذعنة طائعة ودخلت في دينه وهو الاسلام بعد أن استيقنت من نبوته، ورأت ما رأت من المعجزات التي تحققت أمامها. (الباب الثالث).

١٩ - دحضت الدراسة افتراء العهد القديم بقوله إن سليمان ارتد عن الدين وبنى المعابد الوثنية بل وعبد الأوثان .. « وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى .. فذهب وراء عشتورث .. وملكوم .. وعمل الشر في عيني الرب .. » لقد أثبتت الدراسة أن رواية العهد القديم هذه التي تلقفها المؤرخون الغربيون وشكلوا على ضوئها آراءهم في مهاجمة سليمان، وإلصاق أقذع التهم به .. إنما هي رواية باطلة ظالمة .. وضعها كتبة أسفار العهد القديم لتشويه سيرة النبي سليمان كما هو ديدنهم في تشويه سيرة معظم الأنبياء، وكما شوهوا سيرة أبيه داود من قبل. ولكن صورة سليمان النقية جاءت في القرآن الكريم الذي يبرئه من هذا الافتراء بقوله: « .. وما كفر سليمان » (الباب الثالث).

٢٠ ـ أوضحت الدراسة عدم صحة روايات بعض المفسرين بشأن ما ورد في القرآن الكريم عن سيرة سليمان عليه السلام، واعتبر الثقات من علماء التفسير مثل تلك الروايات من الاسرائيليات التي دخلت كتب التفسير .. من هذه الروايات ما ورد بشأن الملكين هاروت وماروت والزهرة وأنها راوداها عن نفسها الى آخر القصة .. ومنها ما قيل من أن سليمان ملك مشارق الأرض ومغاربها، وأنه ملك سبعمائة سنة .. ومنها ما قيل عن تحكم سليمان في الجن والشياطين والطير والدواب والسباع في جميع الدنيا .. ومنها ما قيل عن نملة سليمان واسمها وأنها كانت بحجم الذئب أو الكلب .. ومنها ما جاء في أوصاف هدية ملكة سبأ لسليمان .. ومنها أنه أمر ببناء الصرح حتى ينظر الى ساقيها وقدميها .. ومنها ما جاء في شأن الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان وأنه صخر المارد .. الى آخر ما جاء في تلك الروايات .. وقد عدّ ثقات العلماء والمفسرين كل هذا القصص من الاسرائيليات المرفوضة التي دخلت كتب التفسير. (الباب الثاني ـ الفصل الثالث).

٢١ ـ أوضحت الدراسة الصورة الواضحة والحقيقية لنبي الله سليمان عليه السلام .. كما جاء في القرآن الكريم .. بعيدا عن الصورة التي رسمها له كتاب أسفار العهد القديم .. جاءت صورته في القرآن صورة النبي الكريم الحامل مشعل الدين .. المجاهد في سبيله .. الزاهد في الدنيا على سعة الملك الذي أعطيه .. فأسبغ عليه الله من فضله ونعمه الكثير .. وقرّبه اليه قائلا : « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ». هذه الصورة القرآنية، تبعتها صورة أخرى مماثلة في المأثور من حديث الرسول (ص) .. فجاءت صورة متكاملة منزهة للنبي الملك سليمان عليه السلام. (الباب الثاني ـ الفصل الثاني).

٢٢ ـ قدمت في هذا البحث دراسة لغوية تحليلية ناقدة للأسفار التي جاءت سيرة داود وسليمان عليهما السلام مبسوطة فيها، وهي أسفار صموئيل الأول والثاني والملوك الأول .. وبيّنت ما اعتور النص العبري لهذه الأسفار من تحريف واضطراب .. وألقيت الضوء على ما تعرضت له الأسفار من إضافة وحذف على أيدي كتبة الأسفار الكثيرين عبر العصور المتعاقبة، وبينت مواطن ذلك في النصوص .. بالاضافة الى تحليل لمحتويات تلك الأسفار ومصادرها وأسلوبها ولغتها وعصر تدوينها. (الباب الثاني ـ الفصل الثالث).

في الختام إن أملي كبير في أن أكون قد وفقت في تقديم فائدة كنت أطمح اليها من وراء هذه الدراسة.

●●●

فهارس الكتاب

« قائمة المراجع »

أولا : المراجع العربية :

- القرآن الكريم .
- الكتاب المقدس .

١ - ابن الأثير الجزري (أبو السعادات مبارك بن محمد) :
جامع الأصول في أحاديث الرسول ، حققه محمد حامد الفقي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٢ - ابن الأثير :
الكامل في التاريخ ، المجلد الأول ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٣ - ابن الجوزي : (أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي) :
زاد المسير في علم التفسير ، الطبعة الأولى ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق وبيروت ، ١٩٦٤ .

٤ - ابن حجر : (الحافظ شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني) :
فتح الباري بشرح البخاري ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٥٩ .

٥ - ابن حزم : (الامام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري) :
الفِصَل في الملل والأهواء والنحل ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٦ - ابن خلدون : (عبد الرحمن بن خلدون المغربي) :
مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بدون تاريخ .

٧ - ابن قتيبة :
المعارف ، حققه وقدم له ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

٨ - ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي) :
تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم) ، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) ، القاهرة .

٩ - ابن كثير :
البداية والنهاية ، الطبعة الخامسة ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٣ .

١٠ ـ ابن كثير:
قصص الأنبياء، دار التراث العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨١.

١١ ـ ابن منظور المصري:
لسان العرب، طبعة دار المعارف بمصر، ١٩٨١.

١٢ ـ أبو السعود: (محمد بن محمد العمادي):
تفسير أبي السعود المسمى (ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم)، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٣ ـ الأحاديث القدسية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢.

١٤ ـ البخاري: (أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزيه الجعفي البخاري):
صحيح البخاري، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٣.

١٥ ـ بدوي (أحمد، دكتور):
في موكب الشمس، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٠.

١٦ ـ بوكاي (موريس):
القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩.

١٧ ـ البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي):
تفسير القرآن الكريم المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، مكتبة الجمهورية المصرية، القاهرة.

١٨ ـ الثعلبي: (أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري):
قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

١٩ ـ الجزائري: (السيد نعمة الله):
النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، الطبعة الثامنة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٨.

٢٠ ـ حتي (فيليب ، دكتور) :
تاريخ العرب ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، دار الكشاف للنشر والطبع والتوزيع ، ١٩٥٨ .

٢١ ـ الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي) :
تفسير الخازن المعروف باسم (لباب التأويل في معاني التنزيل) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

٢٢ ـ خان (ظفر الاسلام) :
تاريخ فلسطين القديم ، دار النفائس ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، ١٩٨٤ .

٢٣ ـ خليل (السيد أحمد ، دكتور) :
نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٤ .

٢٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلدان ٩ ، ١٢ الطبعة الثانية ، ١٩٣٤ .

٢٥ ـ الدباغ (مصطفى مراد) :
بلادنا فلسطين ، الجزء الأول ، القسم الأول ، دار الطليعة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٢٦ ـ دروزة (محمد عزة) :
تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ـ بيروت ، ١٩٦٩ .

٢٧ ـ الذهبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان) :
ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٣ .

٢٨ ـ الذهبي (محمد حسين ، دكتور) :
التفسير والمفسرون ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٢٩ ـ الذهبي :
الاسرائيليات في التفسير والحديث ، الطبعة الثالثة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٣٠ ـ الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري) :
التفسير الكبير ، الطبعة الأولى ، عبدالرحمن محمد ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

٣١ ـ الرازي :
عصمة الأنبياء ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨١ .

٣٢ ـ الزمخشري (جاد الله محمود بن عمر) :
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣٣ ـ السباعي (مصطفى ، دكتور) :
السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، الطبعة الأولى ، مكتب دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٣٤ ـ سعيد (حبيب) :
المدخل الى الكتاب المقدس ، دار التأليف والنشر لكنيسة الأسقفية ، القاهرة . د . ت .

٣٥ ـ سعيد (حبيب) :
أديان العالم ، دار التأليف والنشر لكنيسة الأسقفية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٣٦ ـ السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ، الجزء السادس (تفسير سفر المزامير) ، صادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٣٧ ـ سوسة (أحمد ، دكتور) :
العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الثانية ، العربي للاعلان والنشر والطباعة ، دمشق ١٩٧٢ .

٣٨ ـ سيل (القس سيكل) :
المرشد الى الكتاب المقدس ، مكتبة المشعل الانجيلية ، بيروت ، ١٩٥٨ .

٣٩ ـ شاهين (عبد الصبور ، دكتور) :
القراءات القرآنية ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٤٠ ـ شلبي (أحمد ، دكتور) :
مقارنة الأديان ـ اليهودية ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

٤١ ـ شلبي (محمود) :
حياة داود ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ .

٤٢ ـ شنودة (زكي) :
اليهود ـ نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٤٣ ـ شنودة (زكي) :
المجتمع اليهودي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٤٤ ـ الصابوني (محمد علي) :
صفوة التفاسير ، الطبعة الرابعة ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٩٨١ .

٤٥ ـ الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن) :
مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١ .

٤٦ ـ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) :
تفسير الطبري المعروف باسم (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، الطبعة الثالثة ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٦٨ .

٤٧ ـ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ .

٤٨ ـ طعيمة (صابر عبد الرحمن) :
التاريخ اليهودي العام ، الجزء الأول ، دار الجيل ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٤٩ ـ طعيمـــة :
اليهود بين الدين والتاريخ ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ .

٥٠ ـ طعيمة :
التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٥١ ـ ظاظا (حسن ، دكتور) وعاشور (السيد محمد) :
اليهود ليسوا تجارا بالنشأة ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٥٢ ـ العامري (محمد أديب) :
عروبة فلسطين في التاريخ ، المكتبة العصرية ، بيروت ـ صيدا ، ١٩٧٢ .

٥٣ ـ عبد النور (القس منيس) :
داود صاحب المزامير ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٥٤ ـ عبود (عبد الغني ، دكتور) :
أنبياء الله والحياة المعاصرة ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

٥٥ ـ العقاد (عباس محمود) :
ابراهيم أبو الأنبياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ .

٥٦ ـ العقــاد :
الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ، دار القلم ومكتبة النهضة المصرية (بدون تاريخ) .

٥٧ ـ علي (جواد ، دكتور) :
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ومكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٨ .

٥٨ ـ علي (فؤاد حسنين ، دكتور) :
التوراة ، عرض وتحليل ، مطبعة دار المستقبل ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

٥٩ ـ علي :
التوراة الهيروغليفية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٦٠ ـ الغزالي (أبو حامد) :
فضائح الباطنية ، حققه وقدم له عبدالرحمن بدوي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٦١ ـ قاموس الكتاب المقدس ، الطبعة السادسة ، مكتبة المشعل ، بيروت ، ١٩٨١ .

٦٢ ـ فريحة (أنيس) :
ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا) ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٦٣ ـ القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري) :
تفسير القرطبي المعروف باسم (الجامع لأحكام القرآن) ، الطبعة الثالثة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٦٤ ـ قطب (سيد) :
في ظلال القرآن ، الطبعة الرابعة ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٦٥ ـ الكرماني :
صحيح أبي عبدالله البخاري بشرح الكرماني ، طبع عبدالرحمن محمد ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

٦٦ ـ المراغي (أحمد مصطفى) :
تفسير المراغي ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٩ .

٦٧ ـ المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) :
مروج الذهب ، الطبعة الأولى ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٦٨ ـ المناوي (زين الدين عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي) :
الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية ، الطبعة الرابعة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

٦٩ ـ النجار (عبدالوهاب) :
قصص الأنبياء ، الطبعة الثالثة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت (د. ت) .

٧٠ ـ النسفي (أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود) :
تفسير النسفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٧١ ـ النووي (الحافظ أبو زكريا محيي الدين يحيى النووي) :
رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، حققه رضوان محمد رضوان ، دار الارشاد ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٧٢ ـ الهندي (الشيخ رحمة الله) :
إظهار الحق ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٩ هـ .

٧٣ ـ الهيثمي (الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر) :
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ .

٧٤ ـ وافي (علي عبد الواحد ، دكتور) :
الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ، الطبعة الثالثة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

• • •

ثانيا : المراجع الأجنبية

1 — Ackroyd, Peter R: The First Book of Samuel-Commentary, Cambridge, 1971.

2 — Albright, W.F. : Archaeology and The Religion of Israel, Fifth Edition, The John Hopkins Press, Baltimore, 1968.

3 — Albright, W.F. : From the Stone Age to Christianity, Second Edition., The John Hopkins Press, Baltimore, 1957.

4 — Anderson, Bernhard W. : The Living World of The Old Testament, Second Edition, Longmans, 1968.

5 — Bentzen, Aage : Introduction to the Old Testament, Vol.II, Second Edition, G.E.C. Gad Publisher, Copenhagen, Denmark, 1952.

6 — Bowle, John : A New Outline of World History from the Origins to the 18th Century, George Allen, London, 1961.

7 — Burney, C.F. : Notes on the Hebrew Text of the Books of Kings with an Introduction, Oxford, 1903.

8 — Cheyne, T.K. : The Veil of Hebrew History, Adam and Charles Black, London, 1913.

9 — Driver, S.R. : Notes on the Hebrew Text and the Topography of the Books of Samuel, with an Introductin, Second Edition, Oxford, 1913.

10 — Eissfeldt, O. : The Old Testament, An Introduction, Translated by Peter R. Ackroyd, Basil Blackwell, Oxford, 1966.

11 — Encyclopaedia Britannica, William Benton, Publisher, London, 1968,

12 — Encyclopaedia Judaica, Keter Publishing House Jerusalem Ltd., Third Printing, Jerusalem, 1974.

13 — Farrar, F.W. : The First Book of Kings, A.C. Armstrong And Son, New York, 1893.

14 — Franken, H.J. : The Excavations at Deir' Alla in Jordan, 1960.

15 — Freud, Sigmund : Moses and Monotheism, translated and edited by James Strachey, The International Psycho — Analytical Library, London, 1974.

16 — Ginsberg : The Structure and Contents of the Book of Koheleth, 1955.

17 — Gray, John : Archaeology and the Old Testament World, Thomas Nelson & Sons Ltd., London, 1962.

18 — Harper's Bible Dictionary : By Miller, Madeleine S. and Miller, J. Lane, Harper & Row Publishers, New York, 1817.

19 — Hastings, James : Dictionary of the Bible, Revised Edition by Frederick C. Grant and H.H. Rowley, Charles Scribner's Sons, New York, 1963.

20 — Jackson, F.J. Foakes : The Biblical History of the Hebrews to The Christian Era, Fourth Edition, W. Heffer & Sons Ltd. Cambridge — London, 1921.

21 — Kaiser, Otto : Introduction to the Old Testament, translated by John Sturdy, Blackwell, Oxford, 1973.

22 — Kennedy, A.R.S. : Samuel, (Introduction, Revised Version with Notes), The Century Bible, Edinburg : T.C. & E.C. Jack Ltd., London, (without date).

23 — Kenyon, Kathleen : Archaeology in The Holy Land, 1970.

24 — Kenyon, Kathleen : Digging up Jericho, 1957.

25 — Kittel, Rudolf : The Scientific Study of the Old Testament, translated by J. Caleb Hughes, Williams & Norgate, London — New York, 1910.

26 — Lods, Adolphe : Israel from its beginnings to the middle of the Eighth Century, translated by S.H. Hooke, Routledge & Kegan Paul Ltd., Broadway House, Carter Lane, E. C. London, 1948.

27 — Myers, Philip Van Ness : General History, Second Revised Edition, Ginn & Company, Boston, 1921.

28 — Naville, Edouard : The Text of the Old Testament, The British Academy, Oxford University Press, London, 1916.

29 — Oesterley & Robinson : An Introduction to The Books of The Old Testament, Society For Promoting Christian Knowledge, London, 1934.

30 — Oesterley, W.O.E. and Robinson, Theodore H. : Herbew Relgion, S.P.C.K. London, 1966.

31 — Pfeiffer, Robert H. : Introduction To The Old Testament, Harper & Brothers, Publishers, New York, 1948.

32 — Robertson, Edward : The Old Testament Problem, A Re-Investigation, Vol. I, First Edition, Manchester, 1950.

33 — Robinson, Charles Alexander : Ancient History, From Prehistoric Times to the Death of Justinian, The Macmillan Company, New York, 1951.

34 — Robinson, George L. : Leaders of Israel, A Brief History of the Hebrews, New York, 1906.

35 — Robinson, Theodore H. : A History of Israel, Vol. I, Oxford, 1957.

36 — Robinson, Theodore H. : History of the Hebrew and Jewish People, Article in : "The Abingdon Bible Commentary," Edited by Frederick C. Eiselen & Others, Abingdon Press, New York, 1929.

37 — Robinson, H. Wheeler : The Old Testament, Its Making And Meaning, Cokesbury Press, Nashville — Tennessee, U.S.A., 1937.

38 — Rowley, H.H. : The Old Testament And Modern Study, Oxford, 1951.

39 — Sellin : Introduction To The Old Testament, (English Edition) 1923.

40 — Skinner, Professor : Kings, Introduction, Revised Version with Notes, Index and Map, The Century Bible, Thomas Nelson & Sons Ltd., London (without date).

41 — Smith, Henry Preserved : Old Testament History, T.&T. Clark, Edinburg, 1911.

42 — Stewart, C. Easton : A Survey of Ancient, Medieval & Modern History, Barnes & Nobles Inc., New York, 1964.

43 — Weiser, Artur : The Psalms, A Commentary, Translated by Herbert Hartwell, Old Testament Library, SCM Press Ltd., London, 1965.

44 — Wells, H.G. : A Short History of the World, Penguin Books Ltd., Middlesex, England, 1984.

45 — Wells, H.G. : The Outline of History, Cassell and Co. Ltd., Twelfth Edition, London, 1951.

● ● ●

ثالثا - مراجع مترجمة الى اللغة العربية :

١ - إلدر (جون) :

الأحجار تتكلم ، ترجمة د . عزت زكي ، دار التأليف والنشر للمكتبة الأسقفية بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٢ - تفسير الكتاب المقدس ، تأليف جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافدسن ، الجزء الثالث ، مركز المطبوعات ، بيروت ، بدون تاريخ .

٣ - جارودي (رجا) :

فلسطين أرض الرسالات الإلهية ، ترجمة وتعليق وتقديم الدكتور عبد الصبور شاهين ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٤ - ديورانت (ول) :

قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، الطبعة الثالثة ، الجزء الثاني من المجلد الأول ، بإشراف الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، ١٩٦١ .

٥ - فلوتن (فان) :

السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن ، ومحمد زكي ابراهيم ، الطبعة الثانية ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة .

٦ - لوبون (غوستاف ، دكتور) :

اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٧ - ماير (ف . ب) :

حياة داود ، ترجمة مرقس داود ، مكتبة المحبة ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٨ - موسكاتي (سبتينو) :

الحضارات السامية القديمة ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

● ● ●

رابعا - مراجع باللغة العبرية

1 - אלקלעי , ראובן , מלון עברי אנגלי שלם , ישראל 1965 .

2 - אנציקלופדיה יהודית , ירושלים 1970 .

3 - אנציקלופדיה כללית , מסדה , ירושלים 1966 .

4 - אנציקלופדיה עברית , ירושלים 1965 .

5 - יודיקה ליקסיקון , ירושלים 1967 .

6 - בן שושן , מלון עברי עברי , ירושלים 1965 .

7 - תנ״ך הוגה בעיון נמרץ ע״י החכם מאיר הלוי , ברלין 1927 .

فهرس الأعلام

الهمـــزة

حرف البـاء

حـرف التـاء

حـرف الثـاء

حـرف الجيـم

حـرف الحـاء

حـرف الخـاء

حـرف الـدال

حـرف الـذال

حـرف الـراء

حـرف الـزاي

حـرف السـين

حـرف الشـين

حـرف الصـاد

حـرف الطـاء

حـرف الظـاء

حـرف العـين

حـرف الفـاء

حـرف القـاف

حـرف الكـاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهـــرس الأماكـــن

الهمـــزة

حـرف البـاء

حـرف التـاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حـرف الطـاء

حـرف العـين

حـرف الغـين

حـرف الفـاء

حـرف القـاف

حـرف الكـاف

حـرف الـلام

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

محتويات الكتاب

الموضـــوع	رقـــم الصفحـــة

الموضـــوع	رقـــم الصفحـــة

الفصـــل الثانـــي

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الثاني

الفصل الأول

الفصل الثاني

الموضوع	رقم الصفحة